

٢٥ (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

شعارنا التوحيد

إلى الإسلام

من جديد

تصدر في ندوة العلماء - لكهنؤ - الهند

المنهج الاسلامى

المنهج الاسلامى، منهج مستقل، منهج مختلف، منهج أصيل ليس بينه وبين المناهج الوضعية وجه شبه أونسب، فبينما المناهج الأخرى أوالديانات السائدة الأخرى. تختلط مع الشعوب البشرية العامة فى سوق المادة والمعدة، وتجتمع معها على مائدة واحدة، وتتمتع معها بملذات الحياة المحرمة بحرية تامة، نرى الاسلام ينفصل عن هذه الشعوب المادية من أول الطريق، احتفاظاً بسماته و خصائصه، و غيرة على دين الله
الباطل
بما
و التشد
البسيطة «و تحسبونه هينا و هو عند الله عظيم».

محمد الحسنى (رحمه الله)

أكتيات كاهس و تشرين (١) 25

العدد الأول

رمضان ١٤٠٠هـ

يوليو و أغسطس ١٩٨٠م

البعث الاسلامي
شهرية اسلامية جامعة

أنشأها فقيد الدعوة الاسلامية
الأستاذ محمد الحسنى (رحمه الله)
فى عام ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م

رئيس التحرير
سعيد الأعظمي الندوي
واضح رشيد الندوي

المراسلات
البعث الاسلامي
ندوة العلماء، ص ب ٩٣
لكهنؤ — الهند

Nadwatul Ulama

Po· Bax 93

في هذا العدد

أخي القارىء ! — ٣

مؤمرات مكثفة لتصفية العناصر الاسلامية و تحويل العالم الاسلامى إلى أوكار الهدامين — سعيد الأعظمى الندوى — ٤

التوجيه الاسلامى

تشريع الصوم وأسراره كما ذكرها القرآن — سماحة الشيخ أبي الحسن على الحسنى الندوى — ١٠

الغزو الفكرى فى العالم الحديث — الدكتور يوسف القرضاوى — ١٩

بعض مقومات الحضارة و نظم الحكم الاسلامية — دكتور / عبد الشافى غنيم عبد القادر جامعة قطر — ٣٢

الاستخلاف فى الأرض ، مفهومه و مصالحه — العلامة الدكتور السيد سليمان الندوى رحمه الله — ٤٠

تعليم المسلمين و تربيتهم العامة — سماحة الشيخ أبي الحسن على الحسنى الندوى — ٨٤

الأساليب الخداعة لانكار السنة — فضيلة الشيخ محمد برهان الدين — ٥٤

دراسة موجزة عن الحاكم المثالى فى الادارة والتخطيط — الدكتور عماد الدين خليل — ٦٣

القانون الاسلامى و تدوينه الجديد — الأستاذ منظور أحمد محاضر فى قسم العلوم الاسلامية — ٧٣

المرأة قبل الاسلام و بعده — الأستاذ سعيد بن عبد الله سيف الحاتمى — ٨١

من صناعة الموت إلى صناعة القرارات — واضح رشيد الندوى — ٨٧

إلى روح الشهيد محمد مصطفى رمضان — بقلم الأستاذ أبو ياسر — ٩٣

أمانستان المجاهدة فى مؤتمر إسلام آباد — قلم التحرير — ٩٦

ماذا يجرى فى سوريا الاسلامية — » » — ٩٧

إيران و باكستان تستطيعان أن تمثلا دوراً ريادياً فى تحقيق المجتمع الاسلامى الأفضل — ٩٨

مات « جان بول سارتر » زعيم الوجودية — ٩٩

الشيخ عبد الله على المحمود ، و الدكتور عز الدين إبراهيم فى ندوة العلماء — ١٠٠



أخي القارئ

بعد غيابنا لفترة من الوقت نلتقي معك بأول عدد لعام المجلة الخامس والعشرين.

وكيف لا يفيض القلب شكراً لله الذى وفقنا إلى الاستمرار بهذا العمل رغم الأعاصير التى مرت بنا، وضآلة الوسائل والامكانيات التى رافقتنا طوال ربع قرن من الزمان، ولا تزال، و رغم الأوضاع السيئة المضادة التى عاصرت العالم الاسلامى بوجه خاص والعالم كله عامة، حينما خرست الألسن عن قول الحق، وتوقفت الأقلام الجريئة عن الكتابة الصريحة المنكر بالقلب، هنالك ظلت المجلة منبراً جريئاً للشجاعة والايمان وصدعت بكلمة الحق مدوية عند سلطان جائر، فنحمد الله سبحانه على دا و الاستقامة و الاخلاص.

مع إطلالة عام المجلة الجديد تجددت ذكريات حزينة، ذكرتنا بأخينا وصديقنا الحبيب فقيد الدعوة الاسلامية الأستاذ محمد الحسنى رحمه الله، الذى آثرت به رحمة الله تعالى فى مثل هذا الشهر (رجب) فى العام الماضى فكانت مفاجأة تحطمت بها القلوب، ولا نزال نشعر بمرارة الأسى رغم ما مر على الحادث عام كامل، و ندعو الله سبحانه أن يتغمده بالرحمة والرضا، و يسكنه فسيح جنانه ويوفقنا للقيام بجانب الحق والعدل والدعوة إلى الله فى إيمان وإخلاص و نزاهة.

و رجاؤنا من الأخ القارىء أن لا ينسى واجبه نحو توسيع نطاق المجلة وإيصالها إلى أكبر عدد ممكن، تعاوناً منه على البر والخير، وتأكيداً على مصلحة الدعوة والعمل الاسلامى، وتشجيعاً منه لزملائه على درب الجهاد وثغر الايمان.

« و الله من وراء القصد و هو يهدى السبيل »

سعيد الأعظمى

مؤامرات مكشفة لتصفية العناصر الاسلامية

و تحويل العالم الاسلامى إلى أوكار الهدامين

ما سجل التاريخ فترة عصيبة احتازها العالم الاسلامى - بأوسع معناه - كشأنه اليوم ، فقد تألبت القوى المضادة كلها شرقاً وغرباً على حسر المد الاسلامى ، الذى ظهرت تباشيره فى الآونة الأخيرة فى جميع أنحاء العالم بألوانه المختلفة ، وقد أصبحت الكتل الدولية والمعسكرات القومية كلها جبهة موحدة ضد ما تلمسه بالبنان من بعث إسلامى تنطلق أمواجه خارقة جميع الحواجز والسدود نحو المجتمعات الانسانية فى كل مكان ، وتريد أن تتغلب على الأفكار والدعوات والفلسفات التى قامت بدور التضليل والهدم أكثر منها بالهداية و البناء ، والتى ملأت الحياة بأسرها شقاء وتعاسة ، وقف منها الانسان على شفا الدمار ، وذاق منها عذاباً أدنى دون العذاب الأكبر ، فكان تفسيراً لقوله تعالى « ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون » .

و بدأ يتراجع الناس من تجارب الحضارات و النظريات المرة الفاشلة إلى ظل الاسلام ، وعمت موجة العودة إلى الاسلام فى المجتمعات الانسانية والقطاعات الأممية على اختلاف جنسياتها وقومياتها ، ذلك لأنهم لم يجدوا ملجأ إلا فى منهج الحياة الاسلامى فلاذوا به من سوءات الحضارات المادية ، و الأيدولوجيات العقيمة التى جعلت حياة الانسان مجرد ماكينة غنية عن كل الاعتبارات الانسانيـة و القيم الأخلاقية .

رأى ذلك زعماء النظريات المزعومة وسماسرة الشعوب و الأمم الذين يساومون الضمائر و يشترون رؤساء الدول بثمن بخس دراهم معدودة ، فأزعجهم كساد سلعتهم و نفاد رأسمالهم ، وهنالك صمموا على المقاومة ، و على حشد كل طاقاتهم لصد التيار

و كان لهم تلاميذ « أوفياء نجباء » فی كل بلد مسلم ، و آخرون متملقون متزلفون من أغبياء الدول الاسلاميـــة الذين نصبهم سادتهم و كبراؤهم محل القادة و الحكام فاستخدموهم لكل غرض خبيث و أداروهم كآلة صماء فی كل ما أرادوا ، فلم يكن منهم إلا الامتثال بل وفوق الامتثال ، فيما أمروهم به من الفتك بالنفوس البريئة و اغتيال الرجال البارزين فی المجتمع الاسلامی و هتـــك الأعراض ، و العبث بالمقدسات و المعتقدات .

اتحد علی هذه النقطة المعسكرات و المؤسسات الدولية كلها فامت خبراؤها فی دول العالم الاسلامی حيث خططوا لضرب الحركات .

و تصفية الدعاة و العلماء و العاملين فی مجال الد

بذلك بل تعدت خطواتهم إلى عامة الشعب المسل

إجراءاتهم التعسفية أو يخافون منهم فی أی مر

ولهؤلاء الخبراء المبعوثين حولة وصولة فی الدوائر الرسمية . والحكام يحيطونهم بهالات من التقديس و التبجيل ، و يخضعون لهم فيما يخططون لتصفية العناصر الاسلامية .

ذلك عدا ما تدبر هذه المؤسسات الدولية من مؤامرات ضد الوطن الاسلامی و الشعب المسلم من خارجه ، و قد تبلغ هذه المؤامرات فی شراستها و ضراوتها البالغة المدى مبلغاً لايكاد يتصوره العقل ، و ما قضية المؤامرة العسكرية الكبرى التی تولتها الولايات المتحدة ضد الثورة الاسلامية فی إيران باسم إنقاذ الرهائن المحتجزين سر، تلك التی خذلها الله تعالى فی صحراء إيران وضرب عليها بالذلة والهوان ، و إن نجاح هذه المؤامرة لا يعنی إلا السيطرة علی إيران بكاملها والثورة علی كل شیء ينتمی إلى الاسلام والعودة بإيران إلى عهد الظلام والوحشية والظلم ، وإسكات كل صوت ينادی بالمنهج الاسلامی ، و الدستور الاسلامی ، و الحكم الاسلامی .

هذه واحدة و هناك مئات و آلاف من مثل هذه المؤامرات و المخططات التى تنجح وتنفذ علناً وجهاراً ، فمثلا ليبيا التى أعلنت يوم الثورة على الملك إدريس و إعلان الجمهورية هناك أن الدستور الاسلامى سيحكم البلاد ، و تنفذ الحدود و تحرم الخمر و تفرض الزكاة وتتخذ جميع الخطوات اللازمة لأى دولة إسلامية ، و فعلا خطوا بعض الخطوات الايجابية فى هذا المجال ، و لكن سرعان ما تنبه إلى الوضع المتفجر أعداء الاسلام ، ورأوا أنه لابد من إيقاف هذا المد الدينى ، و تفنيد هذه الفطرة الاسلامية الخالصة واستبدالها بفطرة اشتراكية وفلسفة شيوعية ، ولكن من غير تسرع فى الأمر ، بل بحكمة تامة . . وما هى إلا فترة قليلة إذ بدأ رئيسها « المسلم » ينكر السنة ومكانتها فى التشريع الاسلامى و بدأ ينظر إليها نظرة ملؤها الشك و الارتياب ، وكذلك القرآن ، فقد أثار ضده الشبهات وشكك فى كونه وحياً من الله ، و أراد أن يصرف الناس عن تلاوته و تعظيمه ، و لم يتوقف الوضع إلى هذا الحد وإنما تجاوز الحدود كلها وتفاقم ، حيث إن الحكام قد أطلقوا العنان للحاقدين المستكبرين الذين تناولوا أئمة الاسلام من المحدثين والفقهاء بالسخرية و النقد اللاذع و التهكم المرير القاسى ، و راحوا يأمرون باحراق كتب الدين و الفقه ، إخراجها من المكتبة الاسلامية .

و تابع السيل الزبى فى الأخير فتطاولوا على الصحابة الكرام و على مكانة الرسول ﷺ ، و منذ أسابيع فقط أطلقوا آخر سهم من جعبتهم و تناولوا مقام الخلافة بالسب و الشتم ، و هذوا ما هذوا ، و نشروا هذا الهذيان و الهراء فى صحفهم الرسمية « الزحف الأخضر » و أثبتوا ما هذوه باللسان على الورق بالحبر والقلم ، فكان ذلك آخر شهادة عليهم يوم تشهد عليهم أيديهم وأرجلهم بما كانوا يكسبون .

كل ذلك حدث و لا يزال يحدث بايعاز من الخبراء الأجانب الذين يديرون دفة الحكم فى هذا البلد المسلم العريق و يملون إرادتهم على كل من الحكام والشعب

و يعودون بهذا البلد من طبيعته الاسلامية وطابعه الأصيل إلى طابع علماني كافر ، و الشعب المسلم لا يملك إزاء ذلك إلا الرفض و الكراهية بالقلب ، و قد بدأت هجرة السكان المسلمين إلى دول أخرى تفادياً عما يفرض عليهم من الكفر البواح ، أما الرئيس « المسلم » فانه تعدى حـــدود العقل كلها و أرسل فوجاً من عملائه و جواسيسه إلى جميع دول العالم عن طريق سفاراته فيها ، ومهمتهم أن يقتلوا من وجدوه لا يوافق خطوات الرئيس مع تهوين شأن الدين والتنديد بعلماء الدين ودعاة الاسلام ، وقد اغتال بعض هؤلاء العملاء خيرة الشباب و صفوة الدعاة العاملين فى المجال الاسلامي فى أوربا حال خروجهم من المسجد بعد أداء الصلاة لأنهم كانوا ينتقدون الرئيس فى تصرفاته الصبيانية .

أما ما يجرى فى سوريا من تعسف ذليل أن يتصوره أحد على حقيقته و تقشعر الجلود لأن أعداء الاسلام لم يصبروا على أن تبقى سوريا للعلماء و المحدثين و الفقهاء و الدعاة و العاملين للاسلام ، و لم يحتملوا أن تكون هناك مدارس إسلامية ومراكز دعوة وتربية ويوجد فيها شباب جامعيون متحمسون للاسلام ، خوفاً منهم أن تحقق مكيدتهم فى السيطرة على البلاد بما فيها من خيرات و طاقات ، ولتحقيق نواياهم الخسيسة ومطامعهم السخيفة أقاموا لهم عملاء وأرسلوا إليهم خبراء نفـــذوا فى الشعب المؤمن إرادة الأعداء والخونة ، فاغتالوا و نكلوا بالنفوس و قتلوا الرجال و النساء و الولدان و الشيوخ ، و أتوا عليهم من فوقهم و من تحت أرجلهم وعن أيمانهم و عن شمائلهم . و استهدفوا بوجه خاص أصحاب الدين و رجال الدعوة والتربية الدينية ، و الشباب المسلم الذى أبى إلا الاسلام ، و سقطت جثث الشهداء من المسلمين فى كل من حلب و حماه و حمص ، و عم الذعر والخوف فى البيوت و الأحياء ، وبدأ الناس يهاجرون من ديارهم و أوطانهم فى ظلام الليل الحالك .

و لا يخفى على العالم ما يجرى فى العراق من الوضع المشابه ، و ما يجرى فى أفغانستان من أبشع أنواع الاحتلال و العدوان ، و سحق الشعب الأفغانى بالدبابات و قنابل النابالم والغازات السامة ، وغيرها من أساليب السحق والتعذيب ، و ما تعد له العدة فى بعض الدول الأخرى غيرها ، والأوضاع التى هى على وشك الانفجار فى بلدان أخرى ، كل ذلك دليل واضح على ما هنالك من إعدادات ضخمة للقضاء على ما يرتعدون منه ألا و هو الاسلام « و قد مكروا مكرهم و عند الله مكرهم ، و إن كان مكرهم لتزول منه الجبال ، فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله إن الله عزيز ذو انتقام » (سورة إبراهيم / ٤٦ - ٤٧) .

أظن أنى بهذه الاشارات العابرة حاولت أن ألفت الانتباه إلى صلب الموضوع ، وكيف أن الطغمة الحاكمة تتقلب فى أحضان المؤامرات وتلعب فى أيدى الحاقدين الطامعين بمصير الدول الاسلامية والمسلمين ، وتلك هى فئة الأغبياء الساقطين ، الذين اختارهم المتآمرون مطية لتحقيق مآربهم و ذريعة لهدم الكيان الاسلامى و تحويل الأمة الاسلامية إلى أمة جاهلية لا تعرف من العقيدة و الضمير و الايمان شيئاً .

إن أخوف شئ كنتيجة لهذه العملية التى يمارسها أعداؤنا هو إذابة العقائد و إخراج قيمتها و هيبتها من القلوب ، والنجاح فى هذا المجال لا يعنى إلا الارتماء فى أحضان العدو أولا ، والتجرد عن الايمان الحقيقى ثانياً و أخيراً - لاقدر الله - .

هذا ما يريده العدو المتربص ويتمناه ، وهو يحشد كل الوسائل والاغراءات لتحقيق نواياه ، و لا يبالى بأى ثمن غال يدفعه فى سبيل ذلك .

فهل نحن راضون بما يخططه العدو و ينفذه ضد إسلامنا و عقائدنا ، و ضد أجيالنا و وطننا الاسلامى الكبير ؟ !

سعيد الأعظمى الندوى

التوحيد

تشريع الصوم و أسراره كما ذكرها القرآن

سماحة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي

« يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ، أياماً معدودات ، فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر ، و على الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ، فمن تطوع خيراً فهو خير له ، و أن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون ، شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هـــدى للناس و بينات من الهدى و الفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، و من كان مريضاً أو على سفر فعـــدة من أيام أخر ، يريد الله بكم اليسر و لا يريد بكم العسر ، و لتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم و لعلكم تشكرون » (١)

هى آيات من سورة البقرة تدور حول فريضة الصيام ، هذه هى الآيات الأولى التى عرف المسلمون بها وجوب الصيـام فى رمضان ، و الصوم شاق على النفس ، لأنه حرمان من الطعـام و الشراب و الشهوات فى مدة محدودة ، فما كان أجدرهم بأن يستثقلوا هذا التشريع و أن يستثقلوا هذه الآيات التى تنزل به !

إن كل من يأتى بمسؤولية ومتاعب ، و كل من يحول بين المرء و بين شهواته بغيض ثقيل ، و لكنه ليس كذلك . فلماذا ؟ .

ليست هـــذه الآيات - التى تضمنت وجوب الصوم - تشريعاً جافاً مجرداً كالقوانين و المراسيم العادية التى لا تعتمد إلا على الرابطة السياسية و الاجتماعية التى

(١) سورة البقرة ١٨٣ - ١٨٥ .

تقوم بين الفرد والحكومة ، إن هذه الآيات - بالعكس من ذلك - تخاطب الايمان و العقيدة و العقل و الضمير ، والقلب و العاطفة فى وقت واحد ، و تثير كل ذلك و تغذى كل ذلك ، وهكذا تهيء الجو لقبول هذا التشريع و إساغته بل للترحيب به واستقباله بنشاط وحماس ، إنها آية فى الاعجاز ، آية فى فقه الدعوة . آية فى علم النفس ، آية فى التشريع الحكيم ، « تنزيل من حكيم حميد » .

خاطب الله المكلفين بهذا التشريع بقوله : « يا أيها الذين آمنوا » و هكذا هيأ المخاطبين لقبول كل ما يكلفون به ويطلب منهم ، مهما كان شاقاً وعسيراً ، لأن صفة الايمان هى تقتضى ذلك وتوجبه . فمن آمن بالله كا له الأمر و النهى ، و خضع له بقلبه و قالبه ، و ا كان جديراً بإجابة كل ما يصدر عنه من أمر ، .

« إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله و رسو و أطعنا » « و ما كان لمؤمن و لا مؤمنة إذا قضى الله و رسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة » « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله و للرسول إذا دعاكم لما يحييكم » و الشريعة كلها - بما فيها من فرائض و عبادات و أحكام - حياة للنفوس .

ثم ذكر الله أنه كتب عليهم الصيام ، و لكنه لم يكتب عليهم لأول مرة فى تاريخ الأديان و ليس هو بدعا فى التشريع ، فقد كتبه على من سبقهم من أهل الكتاب و أهل الشرائع و الأديان ، و هكذا يخفف الله وطأة هذا التشريع على النفوس و يهون خطبه عليها . فالانسان إذا عرف أنه لم يكلف بشئ جديد ، و إنما هو شيء سبق و تقدم ، و قامت به الطوائف و الأمم ، هان عليه الأمور وتشجع عليه ، ثم ذكر أنه ليس امتحاناً فقط ولامشقة ليس وراءها قصد ، إنه رياضة وتربية و إصلاح وتزكية ، ومدرسة خلقية ، يتخرج فيها الانسان فاضلا كاملا ، رمامه

بيـــده يملك نفسه و شهواته ، و لا تملـــكه ، لقـد استطاع الاضراب عن المباحات و الطيبـــات ، فقوى على ترك الممنوعات و المحرمات ، و « يترك الماء الزلال و الحلال ، و الطعام الزكى الهنيئ لأمر ربه كيف يقرب الحرام و الرجس النجس من المطاعم و المشارب و المعايش ؟ لذلك قال : « لعلكم تتقون » .

ثم قال لا تهولنكم عدة الشهر وتثقلن عليكم ، فانما هى : « أياماً معدودات » تصام تباعاً و تقتضى سراعاً ، و ما نسبة هذا الشهر - الذى لا يصام إلا نهاره - إلى العام الكامل الذى يقضى فى لذة مباحة ، و متعة و راحة ، ثم إنه يستثنى من هذا التكليف مريض و مسافر و من يعجز عن الصوم أو يخاف عليه منه

ثم ذكر فضل الشهر الذى شرع صومه ، أنه شهر نزل فيه القرآن الذى كان بعثاً جديداً للجيل الانسانى و مبدأ حياة جديدة للنوع البشرى ، فحقيق بالمسلم أن يستمد من هذا الشهر المبارك و صيامه و قيامه حياة جديدة و إيماناً جـــديداً ، و قوة جديدة

هذا هو الصوم الاسلامى ، أو الشحن الروحانى الذى هو زاخر بالحياة و المنافع و البركات بعيد عن الارهاق و الاجهاد و المشقات التى لا تطيقها النفوس « يريد الله بكم اليسر و لا يريد بكم العسر و لتكملوا العدة و لتكبروا الله على ما هـــداكم ولعلكم تشكرون » .

خصائص التشريع الاسلامى فى الصوم و فضله و أحكامه :

و هكذا جاء التشريع الاسلامى للصوم أكمل تشريع و أوفاه بالمقصود ، وأضمنه بالفائدة ، و قد تجلت فيه حكمـــة العزيز العليم الحكيم الخبير ، الذى خلق الانسان « ألا يعلم من خلق ، و هو اللطيف الخبير » (١) .

(١) سورة الملك : ١٤ ،

لخمس شهراً كاملا - و هو شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن - بصيام أيام متتابعات متواليات ، يصام نهارها و يفطر ليلها ، و هو العرف عند العرب فى الصوم و هو الميزان فى التشريع العالمى الاسلامى ، يقول شيخ الاسلام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوى :

« ويضبط اليوم بطلوع الفجر إلى غروب الشمس ، لأنه هو حساب العرب و مقدار يومهم ، و المشهور عندهم فى صوم عاشوراء ، و الشهر برؤية الهلال إلى رؤية الهلال ، لأنه هو شهر العرب ، وليس حسابهم على الشهور الشمسية (١).

لماذا خص رمضان بالصوم ؟

و جعل الله الصوم فى رمضان ، لحمل أ-

به . فذلك قران السعدين ، و التقاء السعادتين فى

رمضان قد أنزل فيه القرآن ، فكان مطلع الصبح الصادق

لحسن أن يقرن هذا الشهر بالصوم ، كما يقترن طلوع الصبح الصادق بالصوم كل يوم ، و كان أحق شهور الله - بما خصه الله من يمن و سعادة و بركة و رحمة ، و بما بينه و بين القلوب الانسانية السليمة من صلة خفية روحية - بأن يصام نهاره ، و يقام ليله (٢) .

وبين الصوم والقرآن صلة متينة عميقة ، ولذلك كان رسول الله ﷺ يكثر من القرآن فى رمضان ، يقول ابن عباس رضى الله عنه : « كان رسول الله ﷺ أجود الناس ،

---

(١) حجة الله البالغة ج ٢ ص ٢٧ .

(٢) يقول شيخ الاسلام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوى « إذا وجب تعيين ذلك الشهر ، فلا أحق من شهر نزل فيه القرآن ، و ارتسخت فيه الملة المصطفوية و هو مظنة ليلة القدر » (حجة الله البالغة ج ٢ ص ٢٧) .

و كان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل ، و كان يلقاه جبريل فى كل ليلة من رمضان فى دراسه القرآن ، فرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل ، أجود بالخير من الريح المرسلة (١) » .

يقول العارف بالله ، العالم الربانى الشيخ أحمد بن عبد الأحد السرهندى (م١٠٣٤هـ) فى بعض رسائله :

« إن لهذا الشهر مناسبة تامة بالقرآن ، و بهذه المناسبة ، كان نزوله فيه ، و كان هذا الشهر جامعاً لجميع الخيرات والبركات ، وكل خير وبركة تصل إلى الناس فى طول العام ، قطرة من هذا البحر ، و إن جمعية هذا الشهر سبب لجمعية العام كله . و تشتت البال فيه سبب للتشتت فى بقية الأيام ، و فى طول العام ، فطوبى لمن مضى عليه هذا الشهر المبارك ، و رضى عنه ، و ويل لمن سخط عليه فمنع من البركات ، و حرم من الخيرات (٢) » .

و يقول فى رسالة أخرى :

« إذا وفق الانسان للخيرات ، و الأعمال الصالحة فى هذا الشهر ، حالفه التوفيق فى طول السنة ، و إذا مضى هذا الشهر فى توزع بال و تشتت حال ، مضى العام كله فى تشتت و تشويش » (٣) .

و قد روى أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ ، قال : « إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة ، و أغلقت أبواب جهنم ، و سلسلت الشياطين » و الأحاديث فى الباب كثيرة .

(١) حديث متفق عليه .
(٢) رسائل الامام الربانى ، الشيخ أحمد بن عبد الأحد السرهندى ، ج ١ ص ٨
(٣) رسالة (٤٥ :) أيضاً .

موسم عالمى ، و مهرجان
عام ، للعبادات ، والخيرات :

و هكذا أصبح رمضان موسماً عالمياً ، للعبادة و الذكر و التلاوة و الورع و الزهادة ، يلتقى على صعيده المسلم الشرقى مع المسلم العربى ، و الخامل مع العالم ، و الفقير مع الغنى ، و المقصر مع المجاهد ، ففى كل بلد رمضان ، و فى كل قرية وبادية رمضان ، و فى كل قصر وكوخ رمضان . فلا اختلافات فى الرأى ، ولا فوضى فى اختيار أيام الصوم ، فكل ذى عينين ، يستشعر جلاله و جماله ، أينما حل ورحل فى العالم الاسلامى ، المترامى الأطراف تغشى سحاب
فيحجم المفطر المتهاون بالصوم عن الاشفاق عن حيا
أو خجلا ، إلا إذا كان وقحاً مستهتراً من الملا
المرضى و المسافرين ، الذين أذن الله لهم فى الافطار ، ...
له جو خاص ، يسهل فيه الصوم ، و ترق فيه القلوب ، و تخشع فيه النفوس ، و تميل فيه إلى أنواع العبادات و الطاعات ، و البر و المواساة .

الجو العالمى ، و ماله من تأثير فى النفوس و المجتمع :

وقد لاحظ ذلك شيخ الاسلام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوى ، بنظره الدقيق العميق ، فقال وهو يشرح حديث : « إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة » إلخ .

« الصوم إذا جعل رسماً مشهوراً ، نفع عن غوائل الرسوم و إذا التزمته أمة من الأمم ، سلسلت شياطينها ، و فتحت أبواب جنانها . و غلقت أبواب النيران عنها (١) » .

(١) حجة الله البالغة ، ج ١ ص ٥٩ .

و یقول فی موضع آخر :

« أیضاً فان اجتماع طوائف عظیمة من المسلمین علی شئ واحد ، فی زمان واحد ، یری بعضهم بعضاً معونة لهم علی العمل ، میسر علیهم و مشجع إیاهم » ..

« و أیضاً فان اجتماعهم هذا لنزول البرکات الملکیة علی خاصتهم و عامتهم ، و أدنی أن ینعکس أنوار کملهم علی من دونهم ، وتحیط دعوتهم من وراءهم (۱) .

الفضائل و مالها من تأثیر و قوة :

إن الحیاة فی صراع دائم بین الشهوات الحبیبة إلی النفس ، و المنافع المقررة عند العقل ، ولیست الشهوات هی التی تنتصر دائماً فی هذه المعرکة ، کما یعتقد بعض الناس ، فذلک سوء ظن بالطبیعة البشریة ، و إنکار للواقع .

إن القوة التی تدیر عجلة الحیاة بسرعة ، وتفیض علی هذا العالم الحیاة والنشاط هی الایمان بالنفع ، ذلک الایمـــان هو الذی یوقظ الفلاح فی یوم شات ، شدید البرد ، فیحرم علیه الدفء ، و یبکر به إلی الحقل ، و فی یوم صائف شدید الحر یهون علیه وهج الشمس و لفح السموم ، و یفصل بین التاجر و أهله ، و یتوجه به إلی متجره ، ذلک الایمان ، هو الذی یزین للجندی الموت فی ساحـــة القتال ، و فراق الأحبـــة و العیال ، فلا یعدل به راحة و لا ثروة و لا نعیماً إن کل ذلک إیمان بالمنافع و حرص علی الخیر ، فهو القطب الذی تدور حوله الحیاة .

و هنالک إیمان أعظم سلطاناً علی النفوس ، و أعمق أثراً من الایمان الذی ضربنا له بعض الأمثال ، ذلک الایمان بمنافع أخبر بها الأنبیاء و الرسل ، و نزل بها الوحی ، و نطقت بهـــا الصحف ، و هی تنحصر فی رضا الله و ثوابه و جزائه

(۱) حجة الله البالغة ج ۲ ص ۳۷ .

فى الدنيا و الآخرة .

لقد علم الجميع ، أن الامساك عن الطعام فى بعض الأيام مفيـــد للصحة ، وخير للمرء أن يصوم مراراً فى كل عام ، و قد أسرف الناس فى الأكل والشرب ، و اتخموا بأنواع من الطعام و الشراب ، فأصيبوا بأمراض جسدية و خلقية ، كل ذلك معروف ومشاهد ، و آمن الناس بفوائد الصوم الطبية ، و آمنوا بأنه ضرورة صحية ، و آمنوا كذلك بفوائد الصوم الاقتصادية .

ولكن إذا سأل سائل ما عدد الصائمين فى هذه السنة لفوائد طبية ، ومصالح اقتصادية ؟ و ما عدد الأيام التى صاموها طمعاً فى الاعتدا[illegible]

فى المعيشة ؟ كان الجواب المقرر ، إنه عدد ضئيل

أن الصوم فيه سهل هين ، و رغم أن الصوم الط[illegible]

من الصوم الشرعى .

ثم ننظر فى عدد الصائمين الذين يصومون لأنهم يعتقدون [illegible] صوم فريضة دينية ، قد وعد الله عليه بثوابه و رضاه ، و تكفل بجزائه ، فنرى أن هذا العدد - مهما طغت المادية وضعف الدافع الدينى - عدد ضخم لا يقل عن ملايين ، وإن هؤلاء الملايين من النفوس لايمنعهم الحر الشديد فى الأقاليم الحارة من أن يصوموا فى النهار ، و يقوموا فى الليل ، لأن الايمان بالمنافع الدينية التى أخبر بها الأنبياء ، عند أهل الايمان أقوى من الايمان بالمنافع الطبية التى أخبر بها الأطباء و من الايمان بالمنافع الاقتصادية التى لمح بها الاقتصاديون .

ذلك لأن المؤمنين سمعوا فى الصوم ، ما هون عليهم متاعب الصوم ، وشجعهم على احتمال الحر و الجوع والعطش ، فقد روى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال :

« كل عمل ابن آدم يضاعف ، الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، قال الله تعالى : « إلا الصوم فانه لى ، و أنا أجزى به ، يدع شهوته و طعامه من أجلى ، للصائم فرحتان فرحة عند فطوره و فرحة عند لقاء ربه و لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك (١) و روى سهل بن سعد عن النبى ﷺ قال : « فى الجنة باب يدعى الريان يدعى له الصائمون ، فمن كان من الصائمين دخله ، و من دخله لم يظمأ أبداً (٢) » و عن أبى هريرة رضى الله عنه رفعه : « من صام رمضان إيماناً و احتساباً ، غفر له ما تقدم من ذنبه (٣) » .

(١) رواه الستة
(٢) للشيخين
(٣) رواه البخارى

الغزو الفكرى فى العالم الحديث

[هذا المقال حلقة أولى لمجموعة من المحاضرات التى ألقاها فضيلة الدكتور الشيخ يوسف القرضاوى أمام طلبة كليتى الشريعة و اللغة العربية بدار العلوم ندوة العلماء ، و ذلك فى شهر ربيع الثانى ١٤٠٠هـ - مارس ١٩٨٠م ، نقلها من الشريط الأخ طريف أحمد ال...
و الفكر الاسلامى]

حديثنا اليوم عن الغزو الفكرى !

ذلك الغزو الذى أصاب المسلمين فى هذا العصر فأثر فى عقولهم و أفكارهم و شوه مفاهيمهم و وضع لهم أو لكثير منهم عقليات جديدة ينظرون بها إلى الحياة و الوجود و الانسان و التاريخ و الدين و المواقف و الأشخاص نظرة جديدة غير النظرة التى يجب أن ينظر بها المسلم إلى تلك الأمور كلها ، و هذا الغزو هو أشد الأمور خطراً فى عصرنا هذا ، نحن نعرف أن الغزو نوعان غزو عسكرى و غزو فكرى ، كان الغزو فى الماضى يعتمد على الجانب العسكرى أى على احتلال الأرض و كان الأعداء إذا انتصروا على بلد ما حاولوا أن يهدموا المقومات المادية بحضارة المغلوبين ، ولما انتصر التتار مثلا على المسلمين و دخلوا بغداد عاصمة الخلافة الاسلامية فى ذلك الوقت سنة ٦٥٦ من الهجرة ماذا صنعوا ؟ هدموا المساجد هناك

و ألقوا بالكتب نهر دجلة حتى اسود ماء النهر من كثرة ما أريق فيه من مداد ، هناك ذبحوا الناس حتى سالت الدماء كالمياه ، هذا ماذ لوه ، وكانت مهمة الغزو الأجنبي أن يعمل هذا مع من يغزوهم ، يهدم المقومات المادية التى يقدر عليها .

ثم جاء الاستعمار الحديث و وجد أن هـــذه الوسيلة وسيلة بالية تقليدية عتيقة لا تستطيع أن تصمد طويلا للمقاومة والتصدى و كثيراً ما تنقلب على أصحابها و كثيراً ما تثير النقمة و توغر الصدور و تشعل النار فى القلوب و تشتد المقاومة ويقف المغلوبون ضد الغالبين وهذا ماحدث فعلا ، فمثلا إذا أخذنا التتار أولئك الذين غلبوا على المسلمين غلبة تذكر فى التاريخ وضرب بها المثل ، إذا قيل إن التتار انهزموا فلا تصدق » وذلك أشبه ما كان يقال عن إسرائيل ، إنها القوة التى لا تقاوم » هكذا كان التتار ، و لكن لم يغنه هذا شيئاً فما هى إلا سنتان فقط حتى هزم التتار هزيمـــة كبيرة سجلها التاريخ للمسلمين بأحرف من النور بسنة ستمائة و ثمان و خمسين و ذلك فى معركة عين جالوت فى رمضان ، سنتان فقط واسترد المسلمون أنفسهم وقاتلوا فى معركة من معارك التاريخ الحاسمة معركة عين جالوت بقيادة القائد المملوكى المسلم المتدين المطهر قطز .

ولما جاء هذا الاستعمار فكر تفكيراً جديداً : إنه لا يكفى احتلال الأرض ولا يكفى أن يذبح الناس ولا يكفى أن تهدم المساجد ولا يكفى أن ترمى الكتب فى الأنهار أو تحرق بالنار ، بل لابد من عمل جديد ، هذا العمل الجديد هو أن يغزى الأفكار ، ويغزى الانسان من داخله ويقاد من باطنه ويجعل من حيث يمشى وراء الأفكار والمعتقدات ، فالذى يصنع التاريخ فى الحقيقة هو الأفكار والمعتقدات ، والذى يصنع السلوك هو الفكر ، و ليس كما يقول ماركس : إن الذى يصنع التاريخ هو الاقتصاد أوالانتاج أو علاقات الانتاج ، و لكن الواقع هو ما يقوله الاسلام أن الأفكار و الأنفس

تغییر التاریخ کما قال الله سبحانه و تعالى مقرراً ما به السنة الاجتماعیة الدائمة ، « إن الله لا یغیر ما بقوم حتى یغیروا ما بأنفسهم » ما الذی صنعه النبی ﷺ فی تغییر العرب ، إنه غیر ما بأنفسهم ، غیر أفکارهم و معتقداتهم و صنع منهم أناساً جدداً فی الفکر الجدید والایمان الجدید ، ترك العربی الجاهلی وثنیات ، ترك العادات و الأخلاق القدیمة کشرب الخمر و الزنا و وأد البنات و لعب المیسر و کذا وکذا ترك هذا لما تغیر فکره و معتقداته .

هذا ما فهمه الغاصبون الذین احتلوا دیار الاسلام ، فأرادوا أن یعاملوا المسلمین معاملة أخرى ، کان بعض المتعصبین منهم

إلى دیانة المستعمرین وجاءت الحملات التبشیریة الصد

تنصیر المسلمین و أرادت تحویلهم من محمد ، و أحم

جورج حنا ، و بطرس و هکذا ، و لکنها فشلت ف

مصر، کتب تقریراً أیام الحملة التبشیریة على مصر قال فیه : سیظل الاسلام صخرة عاتیة تتحطم علیها محاولات التبشیر النصرانی ما دام للاسلام فی مصر هذه الدعائم ، القرآن یسمع و یتلى ویحفظ ویدرس ، و الأزهر الذی یعلم هذا القرآن ویقوم علیه تعلیماً و دعوة و تربیة ، واجتماع الجمعة الأسبوعی ، و مؤتمر الحج السنوی للمسلمین ، مادامت هذه الأمور الأربعة سیظل المسلمون متمسکین بالاسلام ، وقال بعضهم : مادام هذا الکتاب موجوداً ، فلن یستقر لنا القرار فی بلاد الشرق .

و قال بعض المتعصبین الکاثولیکیین الفرنسیین إذا توارى القرآن و الکعبة أمکن السیطرة على المسلمین و لکن کیف یمکن أن یتوارى القرآن و کیف یمکن أن تتوارى الکعبة ، و کیف یمکن أن یتوارى المسجد الذی یجتمع فیه المسلمون لصلواتهم ، خاصة فی اجتماع الجمعة الذی أشار إلیه المبشر ، کیف یمکن أن یتوارى الأزهر

بمعاهده و كلياته و حريجيه ، هذه كلها أشياء ليس من السهل أن تتوارى ، ليس من السهل أن نلغى ، ولو أراد أحد من الناس أن يجرب عضلاته و يذهب ليهدم الكعبة مثلا لقامت الدنيا كلها ، لثارت حمية المسلمين فى كل مكان لو أراد أحد أن يهدم المساجد لقام قائم المسلمين ، و وقفوا يدافعون عن المسجد بالروح و الدم ، لوأراد أحد أن يهدم الأزهر أو يلغيه لقام الناس فى كل مكان و يحامون هذه القــاعدة الاسلامية ، ومن هنالك قالوا ليس الهدف أن ندخل المسلمين فى النصرانية ، ولكن الهدف هو أن نخرج المسلمين عن الاسلام ، لا يلزم أن يدخل المسلم النصرانية ، و يسمى جورس حنا و بطرس عالى و لكن يبقى فى الاسلام شاكا مائعاً يشكك فى دينه نتركه إنساناً رجراجاً لا يقف على أرض صلبة من العقيدة السليمة ، وعملية التشكيك عملية التمييع و التغيير للشخصية الاسلامية حيث لا يبقى المسلم متماسكاً و لا يبقى ثابتا ولايبقى واضحاً فى اتجاه ، فلابدأن يكون هذا عن طريق الغزو الفكرى غزو الأفكا لأن الذى يبقى هوالآثار الفكرية التى إذا تسللت إلى العقول يصبغها بالصبغة المطلوبة

ومن هنالك قالوا لابد من الغزو الفكرى و لا حاجة إلى أن يحرق المصحف أويحرق الكتاب دع المصحف يطبع ، ويطبع طبعات جميلة ، وأنيقة ، دعهم يقرأو القرآن و يتلون من غير أن يعوه و يفهموه و يطبقوه .

و من هنا وجدنا إذاعة لندن تذيع القرآن الكريم و إذاعة إسرائيل ت القرآن الكريم وصوت أمريكا تذيع القرآن الكريم لا مانع من هذا لأنهم مطمئ أن إذاعة القرآن الكريم لايحرك من المسلمين ساكناً ، ولا ينبه فيهم غافلا ، و العقول عزلت عن هذا القرآن عن طريق الغزو الفكرى ، و كذلك قالوا : من الضرورى أن نهدم المساجد أو نمنع إقامة المساجد لأننا إذا فعلنا ذلك لأ الناس بكثرة بناء المساجد ، و المسجد الذى يهدم اليوم سيبنى مكانه غداً

منه ، ويزين ويزخرف وتقام له مآذن ومنابر عالية رفيعة تناطح السحاب ، وهكذا كان الغزو الفكرى الوسيلة الفعالة لتغيير نفسية المسلم وعقلية سلوك المسلم ، وهذا ماسار فيه الاستعمار الحديث ، الاستعمار الحديث سار فى هذا الطريق و اتخذ لذلك مسالك و وسائل شتى منها التعليم و التربية عن طريق المدارس الأجنبية التى تتسع الارساليات التبشيرية أوتتبع المؤسسات الأجنبية و قد نظمت أحسن تنظيم و أديرت بأحسن ما تقوم به الادارة ، حتى يترغب الناس فى دخولها و ترغب بالذات أبناء الطبقة الذين يسمونهم الطبقة الراقية والطبقة الارستقراطية الذين يرأون ليحكموا البلاد فيما بعد ، ومن لم ينصحه هذا التعليم وأرادوا له تمام الانصاح أرسل إلى أوربا إلى بلاد الاستعمار الأم ليكمل إ...

آخر يحمل إسماً عربياً إسلامياً او شرقياً ،

ويحمل فى صدره قلباً أوربياً ، تغيرت أفكا...

القوم ، فأصبح ينظر إليه بالاحتقار ، وانسلخ عن ...

أوعربى أوهندى بالدم والعنصر ولكنه بالتفكير والعاطفة إنسان آخر ، هذا ما كان يصنعه الاستعمار فى ذلك الوقت ، ولم يكتف بهذا بل أراد أن يوسع القاعدة فتح المدارس لقطع كل من يريد التعلم وبدأ يشرف عليه فى بلاد إسلامية فى مصر فى الهند ، فى مصر ، و فى مصر كان يشرف على ذلك التعليم قسيس معروف مشهور ، كان المستشار المخطط المدبر والرأس المفكر وراء التعليم فى مصر المستشار «دلو» كان قسيساً انجليزياً صليبي النزعة هو الذى وضع أسس التعليم و أشرف على تطبيقه و إدارته فى مصر فى ذلك الوقت ، و كذلك فى الهند ، فالذى يقرأ كتاب شيخنا الأستاذ أبى الحسن الندوى « الصراع بين الفكرة الاسلامية و الفكرة الغربية » يجد فيه نماذج لهذا التعليم و عقول العلماء و المفكرين الاسلاميين فى وجه هذا التعليم و كانا يذكر كلمة

ذلك الأديب الهندى الشاعر الساخر الذى قال معلقاً على المدارس والكليات الجديدة قال يا لبلادة فرعون ما كان أغبأ بالذى أحوجــه إلى أن يذبح أبناء بنى إسرائيل ويستحى نساءهم ، لو كان عنده عقل و فكر و ذكاء كذكاء المستعمرين المحدثين كان فى غنى عن هذا ، كان يستطيع أن ينشئ مدرسة أوكلية لأبناء قوم بنى إسرائيل يلقنهم فيها ما يريد و يربيهم على ما يريد و يصنع الأفكار التى يريدها لينفذوا بعــد ذلك مخططات دون أن يريد قوماً ودون أن يضر عليه سوء الأحدوثة فى التاريخ ، هذا كلام ساخر و كلام قوى و عميق يدل على قسوة هذا النوع من التعليم الذى يقتل الانسان و يذبحه بغير سكين ، فالتعليم هو الوسيلة الهامة التى صنعت أناساً ينتسبون إلى الاسلام و إلى الأسر الاسلامية و يحملون أسمــاء المسلمين و لكنهم يعيشون بعقلية غير إسلامية و بعاطفة غير إسلامية ، و أضافوا إلى هذا الوسائل الأخرى الكتب الجديدة التى تترجم من اللغات الأخرى و الصحافة الجديدة التى تعلم الناس أفكاراً جديدة ، و تغرس فيهم أفكاراً جديدة و مشاعر جديدة ، و هكذا وسائل الاعلام التى دخلت على الناس فى حياتهم وأثرت فيهم تأثيراً كبيراً وتسللت إليهم تسللا كتسلل الأفعى تدب فيهم كما تدب الخمر فى رأس شاربها حتى وجد الناس أنفسهم بعد زمن و وجدوا الكثيرين من أبنائهم و قد أنشئوا خلقاً آخر ، أنشأهم هذا الغزو الفكرى خلقاً آخر ، هذه هى الخطورة التى تعرض لها المسلمون فى هــذا العصر ، و لم يتعرضوا لمثلها من قبل فى عصر من العصور الأولى ،

إنهم واجهوا غزو الفلسفة اليونانية و الفكر اليونانى الاغريق الذى دخل على المسلمين فى وقت من الأوقات و اعجب به كثير من عباقرتهم و نوابغهم ، أعجبوا بهذا الفكر و بخاصة أولئك الذين يسمون بفلاسفة المسلمين من أمثال الكنــدى و الفارابى وابن سينا و غيرهم ، و قبلهم من كانوا يسمون إخوان الصفا ، هؤلاء

تأثروا بالفكر اليونانى و قاموا بمحاولات تلفيقية كما كان إخوان الصفا يلفقون بين الاسلام و الفلسفة ، أو محاولة توفيقيـــة أخفقت فى النهاية ، و هى محاولة الفارابى و ابن سيناء و غيرهما ممن حاولوا أن يوفقوا بين الفلسفـــة و الدين ، و لكن للاسف كانت الفلسفـــة تعتبر كأنها هى الأخرى كلام أرسطو الذى سموه المعلم الأول ، و كان يعتبر هو الحجة والأصل ، وأحياناً فلسفة أفلاطون التى تنسب إليه الفلسفة الافلاطونية الحديثة ، هذا ما فعله هؤلاء . وقيض الله للاسلام من يدافع عنه فى القرن الخامس الهجرى ، فكان أبو حامد الغزالى الذى ولد سنة أربعمائة و خمسين ٤٥٠ الهجرية وتوفى سنة (٥٠٥هـ) كان قـــد دافع

عن الاسلام و عن العلوم الاسلامية و الثقافة

من أساسها و يقتلعها من جـــذورها فقال لا

أولا فدرس الفلسفة دراسة عميقـة و لخص مقاصد

« مقاصد الفلاسفة » ثم كر عليها بالنقد و الهدم بسلاح الفلسفة نفسه و بمنطقه هذا فى كتابه المعروف « تهافت الفلاسفة » خطأ الفلاسفة فى عشرين مسألة من المسائل الكبيرة والقضايا التى يتبنونها وذكر أن بعضها لو قام أحد من نومه وقال إنى حلمت مثل هذا يعتبر هذيانا مثل قضية العقول العشرة والنفوس الفلكية والعقل الفعال و أشياء غريبة جداً آمن بها بعض الفلاسفة المسلمين .

و كفر هؤلاء الفلاسفة فى ثلاث مسائل أساسية . و فيها مسألة القول بقدم العالم و أنه غير مخلوق .

و المسألة الثانية : أن الله لا يعلم الجزئيات ، والمسألة الثالثة : هى إنكار المعاد الجسمانى وأن الأجساد لا تبعث وليس هناك نعيم لهذه الأبدان و لا العذاب لهذه الأبدان ، إنما هو نعيم روحى و عذاب روحى ، وإنكار القيامة وما فيها من الجنة

و النار كما ذكرها القرآن ، كفرهم الغزالي في هذه المسائل ، والذي دفعه دفع هؤلاء إلى هذا ، لأنه هدم الفلاسفة لأن قضايا الفلسفة قضايا مسلمة و لم يفرقوا بين القضايا العلمية البحتة والقضايا الميتافزيقية ، قضايا ما فوق الطبيعة و القضايا الالهية و الدينية التي لا يمكن أن تعرف إلا عن طريق الوحي ، فلما رأوا عند هؤلاء الفلاسفة اليونانيين أشياء تعتبر حقائق ثابتة كقولهم في مسائل الرياضيات و العلوم الطبيعية و الهندسية وغيرها من الأشياء الثابتة ، فبعض ما قاله هؤلاء الفلاسفة يعتبر الآن أخطاء واضحة للعلم ، حتى قال بعض الفلاسفة في هذا العصر ، إن التلميذ في المدارس الابتدائية ليعرف حقائق الكون أكثر مما كان يعرف أرسطو وجاليوس في عصرهما إنهم مثلا يقولون : إن العناصر في الكون أربعة ، الماء ، و التراب ، و الهواء ، و النار ، هذا الأمر أصبح من الناحية العلمية خرافة ، والعناصر زادت على ذلك ، و التراب الذي يعتبر عنصراً هو مركب من عناصر عديدة ، و الماء ليس عنصراً بل هو مركب من الأكسوجين و الأدروجين و الهواء مركب من عدة عناصر ، و هكذا فهذه الأشياء التي كانوا يعتقدونها أصبحت اليوم خطأ اعتقدوا أن الأفلاك أجسام صلبة لا تقبل الخرق ولا الالتئام ، ولذلك لما قالوا إن الجنة عرضها السماوات و الأرض فمعنى ذلك أنه لا بد أن تكون الجنة في غير هذه الأرض المحدودة وإذاً لابد للناس أن يخترقوا هذه الأفلاك فكيف يخترقونها بأجسامهم و هي أجسام صلبة لا تقبل الخرق ولا الالتئام ، إذاً لابد من النصوص القطعية الكثيرة المتوافرة في القرآن و السنة عن البعث ، البعث الجسماني « أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه » « قال من يحيي العظام و هي رميم ، قل يحييها الذي أنشأها أول مرة » « قد علمنا ما تنقص الأرض منهم و عندنا كتاب حفيظ » و ثم النعيم الجسماني ، الأكل و الشرب والحور العين ، و العذاب الجسماني « كلما نضجت جلودهم بدلناهم

حلوداً غیرها » و مئات من آیات القرآن و أحادیث الرسول فی هذا المعنی

کان هذا نوعاً من الغزو أصاب المسلمین ولکن کان خطر ذلك الغزو محدوداً فقد أصاب طائفة معینة ، و لم یصب جمهور الناس .

و لکن الغزو الفکری فی عصرنا الحدیث کان أشد من هذا کله أشد من غزو الاسرائیلیات . . وأشد من غزو الفلسفة الیونانیة لأن القاعدة التی صنعها هذا الغزو الجدید عریضة ، فقد غزا العقول عن طریق التعلیم و عن طریق أجهزة الاعلام و عن طریق المؤسسات الفکریة و الجامعیة و استطاع أن یؤثر فی جمهور ضخم من المسلمین وظهرت آثار هذا الغزو فی التربیة والتعا

و فی الحکم و السیاسة و فی الاقتصاد و الاجتماع

المرأة و الأسرة ، و نری آثار هذا الغزو فی نواح

بل رأینا آثار هذا الغزو فی بعض المؤسسات التی —

و فی بعض العلماء الذین یحملون سمة الدین الأصیل من التربیة و التعلیم ، رأینا الغزو الفکری یشوه الاسلام و یمجد الغرب ، قام التعلیم فی کثیر من بلاد المسلمین علی تشویه الاسلام و علی تمجید الحضارة الغربیة ، تشویه الاسلام فی القرآن و فی النبی و فی سیرة رسوله ﷺ و فی تاریخ رجاله و فی حضارته ، و رأینا تلامید المستشرقین فی الجامعات و غیرها یبدون هـذه الأفکار لأبناء الاسلام بل یغرسون هذه الأفکار فی الکتب التعلیمیة و فی صلب المناهج التعلیمیة فیعرض الاسلام صورة مشوهة و تعرض السیرة النبویة کأنها عبارة عن مجموع الغزوات لا العرض الذی یبین جمال الرسالة الاسلامیة و عظمة الشخصیة المحمدیة ، وعظمة الجوانب الخلقیة التی تمتع بها هذا الرسول ، وتاریخ الکفاح الحقیقی للعدوان علی الدعوة الاسلامیة ، ویعرض الصحابة الکرام رضی الله عنهم بحیث یظهرون وکأنهم جماعة یقتتلون علی

الملك و على الدنيا ، هذا هو الذى نرى فى الكتب التى تعد لأبناء المسلمين ، هذا من ناحية ، و من ناحية أخرى تمجيد الغرب و كل ما يأتى من الغرب ، وتقديس حضارة الغرب و اعتبار الحضارة الاسلامية نسخة من الحضارة اليونانية ، و أن المسلمين ما كانوا إلا نقلة لحضارة اليونان وثقافة اليونان ، وهم بهذه المناسبة يتناسون الشخصيات الضخمة فى تاريخ الحضارة الاسلامية من الأطباء و المهندسين و الفلكيين و الجغرافيين وفى كل ناحية ، وأن المسلمين اختاروا العلوم من أساسها ، وأضافوا المنهج إلى العلوم القديمة الجديدة و نقحوها و هذبوها ، و هم الذين اخترعوا المنهج الذى يسمى المنهج الحديث ، المنهج التجريبى الذى هو قائم على الاستقراء ، لانهم من الناحية النظرية نقدوا منطق أرسطو و من الناحية العملية نشأوا على الاستقراء ولم يسيروا على مامشى عليه اليونان ، فقامت الحضارة سامقة الذرى وتميزت بالجمع بين الجانب الربانى و الجانب الانسانى ، بين الابداع المادى و السمو الأخلاقى وبين العلم والايمان و ربطت الأرض بالسماء ، ولكن تشوهت هذه الحضارة ، ويقال لها إنها كانت النسخة من الحضارة اليونانية هذا مع أن المنصفين من الغربيين اعترفوا بأن المسلمين هم واضعو المنهج للعلم التجريبى قبل « فرنسسكو » و قبل « روجر بيكو » اللذين ينسب إليهما اختراع و ابتكار المنهج العلمى التجريبى ، هما كما قال « الفلد » فى كتابه « بناة الانسانية » إن « روجر بيكو » و« فرنسكو » كانا رسولى الحضارة الاسلامية إلى الغرب ، وهم الذين نقلوا المنهج من الحضارة الاسلامية إلى البلاد الأوربية كانت اللغة العربية فى ذلك الوقت هى لغة العلم فى العالم ولا تزال آثار الكلمات العلمية العربية فى اللغات الأخرى موجودة ، و بعض الناس أحصوا مئات الكلمات العلمية فى تلك اللغات، كان أساتذة العلم المسلمون هم أساتذةالعلم فى العالم كانت الكتب العلمية الاسلامية هى التى تدرس فى جامعات العالم ، كان الطلاب يأتون إلى الحواضر الاسلامية ليتعلموا منهم فى الأندلس ، كانوا يأتون ليتعلموا هناك من أوربا و فى

غيرها ، وفى الحروب الصليبية استفاد الغربيون من المسلمين فى كثير من نواحى العلم و الثقافة و الحضارة الاسلامية ، و هذا - مع الأسف - لا يدرس لأبنائنـــا ، و لكن يدرس لهم ، أن المسلمين كانوا نقلة للحضارة ، لم يكونوا من المبدعين فيها و لا من المبتكرين ، وكذلك شوهوا تاريخ العثمانيين فيدرس لأبنائنا فى بلاد العرب أن تاريخ العثمانيين هو تاريخ الاستعمار العثمانى فى بلاد العرب وصوروا الغزو الأجنبى لبلاد العرب ويذكرون التتار و يذكرون الصليبيين ، ويذكرون العثمانيين الذين دافعوا عن البلاد الاسلامية ، و نشروا الاسلام و أرهبوا الغرب الصليبى و حملوا راية الاسلام لعدة قرون ، هؤلاء يقال إنهم المستعمرو

الفكرى أكثر فى المناهج التعليمية التى ليست مصبوغة

للدين الاسلامى ، بل روح العداء و المحاقاة لهذا

ومن نتائج هذا الغزو الفكرى هى الفكرة التى تقول . إن الدين شئ والدولة شئ ، لا سياسة فى الدين ولا دين فى السياسة ، كالعملية المعروفة فى المسيحية ، وهذا الفكر مقبول عندنا لأنهم يحكون عن المسيح أنه قال : ما لقيصر لقيصر ، و هذا من الناحية الدينية مقبول و من الناحية الفكرية لدى الذهنية الغربية أيضاً مقبول ، لأن عندها أن الله خالق العالم وترك ، فهو لا يدبره و لا يشرف عليه ، مثل نظرية أرسطو : إن الاله لايدبر أمر العالم بل لا يعلم شيئاً مما فى العالم ، حتى قال مؤرخ الحضارة صاحب « قصـــة الحضارة » « ويلدورنت » قال : يا لإله أرسطو من إله مسكين ، إنه لا يعرف فى الكون شيئاً و لا يدبر فيه أمراً ، فالفكرة عند الغربيين أن الاله لاشأن له بالعالم ، معناها أن الدولة فى ناحية و الدين فى ناحية ، و جاءت تلاميذ « انجلس » نفسه فقالوا : دع ما لقيصر لقيصر ، و ما لله لله ، هذه الفكرة بالنسبة للمسلمين مرفوضة تماماً ، لأن الأمر كله لله وهو صاحب الخلق والأمر وهو الذى

يدبر هذا الكون كله ، ولا يمكن أن يقال بالنسبة للمسلم : دع ما قيصر لقيصر و ما لله لله ، بل قيصر و ما لقيصر لله الواحد القهار . لأن لله ما فى السماوات و ما فى الأرض » « ولله من فى السماوات و من فى الأرض » و ليس هناك شىء يخرج عن قبضة الألوهية و تقدير الألوهية ، كل ملك لله .

أما الدين فى ناحية ، و الدولة فى ناحية فهذه الاجتماعية مرفوضة بالنسبة للمسلم ، و لم يعرف الاسلام هذه الثنائية أبداً ، و الرسول عليه الصلاة و السلام كان إمام المسجد فى الصلوات و قائدهم فى المعركة و حاكمهم فى الخصومة ، وزعيمهم فى السياسة ، وهو رئيس الدولة . وهو مبلغ عن الله ، ولم يكن معه ملك آخر يقود الناس و يسودهم ، لا - و الخلفاء الراشدون كانوا كذلك والخلافة كما عرفها علماء المسلمين نيابة عن رسول الله ﷺ بحراسة الدين و السياسة فى الدنيا ، هذه الخلافة هى منصب دينى و دنيوى ، و سلطة روحية و زمنية ، ليس فى الاسلام سلطتان ، سلطة روحية و سلطة زمنية ، رجال الكهنوت ، و رجال الدولة والسياسة ، ليس هذا فى الاسلام قط ، الاسلام لا يقبل أبداً هذا الانقسام و هذا الانفصال بين الدين و الدنيا ، و المسلم فى صلاته يتدخل فى شئون السياسة حينما يقرأ بسورة المائدة « و من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » « فأولئك هم الظالمون» « فأولئك هم الفاسقون » و يمكن و هو فى صلاته - أن يدعو الله سبحانه وتعالى للمسلمين المضطهدين فى سوريا و يدعو الله لاخوانه المجاهدين فى أفغانستان و هو فى قلب الصلاة ، فلم يصالح دين الاسلام بين العبادة وبين السياسة ولا بين الدين وبين الدولة ولا بين المصحف و بين السيف إلا بالوحدة التى تجمعهما ، ولذلك لا يعرف الاسلام سلطتين سلطة توجه الروح وسلطة توجه البدن أوالعقل ، هى سلطة واحدة ، و ليس هناك أى صراع بين سلطتين ، كما حدث الصراع بين الكنيسة وبين الأمراء

و السلاطين و غيرهما .

هذا الاسلام لايعترف بهذا الانقسام مطلقاً والانسان من جهة الفطرة العلمية وحدة ، وليس هناك شئ واحد مثل الروح و شئ واحد مثل البدن هو كيان واحد بروحه و بدنه وعقله ، كيان واحد لا تفارق فيه ، ولذلك يجب أن توجهه سلطة واحدة ، - إن الدين بناحية من الدولة فكرة غير إسلامية ، وهى بالنسبة للمسلم كفر بواح ، من قال إن الدين ينبغى أن ينفصل عن الدولة و الدولة تنفصل عن الدين !

هذه الأفكار جاءت عن طريق الغزو الفكرى و أصبح كثير من الحكام و من المتملقين للحكام ومن عبيد الفكر الغربى يعتقدون هـ '

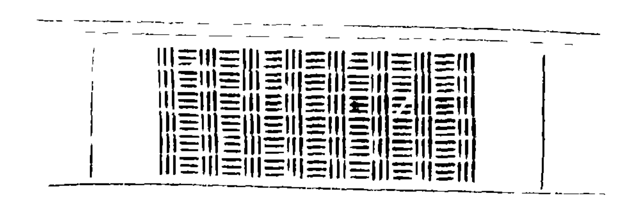
فى الناس و يعلمونه لتلاميذهم ، إن الدين لا علاقة

بالدين ، ومن آثار الغزو الفكرى أيضاً ما يقولون

« الدين لله و الوطن للجميع » ما معنى هذا ، هـ

بين الأديان، يريدون أن ينكروا أن هناك فارقاً بين الاسلام والنصرانية ، والاسلام والهندوكية ، و الاسلام والوثنية ، والاسلام واليهودية ، هذا لايمكن لأن الله سبحانه و تعالى لا يعرف إلا ديناً واحداً ، و لم يعرفنا إلا بدين واحد « إن الدين عند الله الاسلام » وهو الذى أنزل به كتبه وبعث به رسله ، كل الرسل بعثوا بالاسلام و كل الكتب نزلت بالاسلام ، ليس فى الأمر أن هناك من حرفوا و بدلوا هذا الدين فجاء محمد ﷺ مصححا لما حرف ، و متمماً للأديان السابقة بما يقتضى تطور البشرية .

« يتبع »



بعض مقومات الحضارة و نظم الحكم الاسلامية
فى عهد الرسول ﷺ

(الحلقة الثالثة الأخيرة)

للدكتور عبد الشافى غنيم عبد القادر

دعائم و مقومات نظام الحكم الاسلامى فى عهد الرسول بعد الهجرة :

لقد كانت هجرة الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة ، ليست مجرد حدث هام بين فترتين ، أو حداً فاصلا بين عهدين ، أولهما يتسم بالنبوة و الدعوة الخالصة و ثانيهما يتصف بالنبوة و الدعوة و الدولة معاً ، و إنما كانت هجرته ﷺ حدثاً تاريخياً و نضالياً و تنظيمياً و حضارياً إلى أبعد الحدود .

لقد كان الدور المدنى زاخراً بالتطورات الواضحة فى مختلف الميادين العقيدية و السياسية و التنظيمية و الاقتصادية و الفكرية ، استكمالا للأسس الراسخة الأولى التى أرساها رسول الله ﷺ فى فترة الدور المكى .

و قد واجه الرسول فى دولته الجديدة عدة مشكلات و قضايا هامة ، كان على رأسها أربع قضايا : (ألف) قضية الوحدة العقيدية و التكافلية بين المهاجرين و الأنصار (ب) قضية الوحدة الوطنية لمجتمع المدينة (ح) قضية الجهاد فى سبيل الله ضد المعتدين (د) قضية تفصيل ما سبق إجماله من تشريعات فى الدور المكى بالسور و الآيات المدنية الكريمة .

و ليس من شك فى أن هذه الموضوعات تحتاج إلى مجلدات كثيرة يعجز عنها ذلك البحث المحدود و لذلك فسوف نقتصر على إبراز قدرة رسول الله التنظيمية

فى مواجهة المشكلتين الأوليين، وكيف استطاع رسول الله ﷺ أن يحقق هـدين الهدفين و هما الوحدة العقيدية و الوحدة الوطنية الاسلامية من خلال أول صحيفة وضعها لمجتمع المدينـة أوردها ابن هشام فى كتابه سيرة رسول الله ﷺ و هاك نصها (١) .

« بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد النبى (ﷺ) بين المؤمنين و المسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم . إنهم أمة واحدة من دون الناس ، المهـاجرون من قريش على ربعتهم (٢) يتعاقلون بينهم و هم يفـدون عانيهم (٣) بالمعروف و القسط بين المؤمنين

يتعاقلون معاقلهـم الأولى (٤) كل طائفة تفـدى

المؤمنين . . و ألا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه

بغى منهم أو ابتغى دسيعـة (٥) ظلم أو إثم أو عدوان

أيديهم عليه جميعاً ولو كان ولد أحدهم ، و لا يقتل مؤمن مؤمناً فى كافر ولا ينصر كافراً على مؤمن و إن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم ، و إن المؤمنين بعضهم

(١) السيرة لابن هشام الجزء الثانى من ص ٩٤ - ٩٨

(٢) عن بكرة أبيهم . (٣) أسيرهم .

(٤) البعض يعنيهم بالأنصار وآخرون يعنيهم بأهل المدينة و نحن نميل للرأى الثانى لأكثر من سبب ، أولا لأن الصحيفة نصها جاء فيها ذكر يهود بنى عوف ، وثانياً لأن الرسول كان يشرك اليهود مع الأنصار فى افتداء أسرى الأنصار من المسلمين إلى الحروب .

(٥) أو كما كانوا يعملون من قبل فى افتداء أسراهم .

موالى بعض دون الناس ، و إنه من تبعنـــا من يهود فان له النصر و لأسرته غير مظلومين و لا متناصرين عليهم ، و إن سلم المؤمنين واحدة لا يسالم مؤمن دون مؤمن فى قتال فى سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهـم ، و إن كل غازية غزت معنا تعقب بعضها بعضاً ، وإن المؤمنين يبيء (١) بعضهم على بعض بما نال دماءهم فى سبيل الله و إن المؤمنين المتقين على أحسن هدى و أقومــه ، و إنه لا يجير مشرك مالا لقريش و لا نفساً و لا يحول دونه عـــلى مؤمن ، و إنه من اغتبط مؤمناً قتلا عن بينـة فانه وديه إلى أن يرضى ولى المقتول ، و إن المؤمنين عليـــه كافة ، و لا يحل لهم إلا قيام عليه و إنه لا يحل لمؤمن أقر بما فى هذه الصحيفة و آمن بالله و اليوم والآخر أن ينصر محدثاً لا يؤويه و إنه من نصره أو آواه فان عليه لعنة الله و غضبـــه يوم القيامة . . . و إن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين وأن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ، مواليهم و أنفسهم إلا من ظلم وأثم ، و أنه لايخرج منهم أحد إلا باذن محمد ﷺ و إنه من فتك فبنفسه فتك وأهل بيته إلا من ظلم ، و إنه ما كان بين أهل هذه الصحيفــة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فان مرده إلى الله عز وجل و إلى محمد رسول الله ﷺ ، وإن الله على أتقى ما فى هذه الصحيفة وأبره ، و إنه لايجار قريش و لا من نصرهـا و أن بينهم النصر على دهم يثرب ، وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه و يلبسونه ، فانهم يصالحونه و يلبسونه ، و إنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فانه لهم على المؤمنين إلا من حارب فى الدين ، على كل أناس من حصتهم من جانبهم الذى قبلهم . .

لقد كانت أول مشكلة واجهت رسول الله ﷺ مشكلة المهاجرين من مـكة

(١) يرجـــع .

الذين أخذوا يتوافدون على المدينة بعد الهجرة تاركين من خلفهم كل شئ من مال و متاع و ولد ، و كان على رسول الله أن يجابه ذلك الموقف المؤقت على ما فيه من خطورة و حساسية فبدأ بما يعرف فى التاريخ الاسلامى بالمؤاخاة حين كان يأتى بمهاجر من المهاجرين ليضع يده فى يد أنصارى من الأنصار أن يكون له أخاً وعوناً و مساعداً و كفيلا ، و لقد تقبل الأنصار المؤمنون ذلك بصدر رحب ندر أن يوجد مثله فى التاريخ خاصة ، و إن المهاجرين أخذوا يتوافدون تباعاً ليلحقوا برسول الله فى المدينة و بلغ من شدة إخلاص الأنصار لدينهم و حبهم لدينهم أنهم طالبوا بتوريث المهاجرين بل إن بعضهم من أراد أن قة و الحق ، و لكن المهاجرين الذين كانوا يدركون بكل جد و إخلاص لكفالة أنفسهم كى لا يطلوا الأحداث المتتابعة تشارك فى حل هذه المشكلة ، خاصة بـ الرسول عليهم من اختصاص المهاجرين بجزء من أموال اليهود الذين نقضوا عهودهم مع المسلمين و اضطروا للجلاء عن المدينة وانتهت المشكلة نهائياً بغزوة الفتح وعودة المهاجرين إلى ديارهم و أموالهم و عيالهم .

وعلى الرغم من كل هذا فقد حاول بعض المنافقين فى المدينة أن يستغلوا هذه الظاهرة لبث الفرقة بين الأنصار و المهاجرين و بذر بذور الشقاق بينهم تارة بإذكاء نيران خلافات مفتعلة بين الجانبين كما حدث بعد غزوة بنى المصطلق حين اختلف أحد الأنصار و يدعى سنان بن دبر الجهنى مع واحد من المهاجرين و يدعى جهجاه ابن مسعود الغفارى فنادى سنان « يا للأنصار » ونادى جهجاه « يا للمهاجرين » و شهر بعض المهاجرين و الأنصار السلاح فى وجه البعض ، وكادوا يقتتلون لولا أن تداركهم الرسول الحاكم و المعلم ، و قال لهم . « ما بال دعوى الجاهلية دعوا

هذه الكلمة فانها فتنة » و سرعان ما سكنت الفتنة .

و لقد بذل عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين فى المدينة جهوداً مضنية لتمزيق وحدة هذه المؤاخاة حقداً منه على الرسول الذى أفقده سيادة يثرب التى كاد يلمس شارتها قبيل وصول محمد إلى المدينة و كثيراً ما كان يحض تابعيه على طرد المهاجرين و عودة الحال إلى ما كان عليه المدينة قبل الهجرة و إقامة الدولة والنظام الاسلاميين ، وكان دائماً يقول لقومه « أو قد فعلوها قد نافرونا و كاثرونا فى بلادنا و الله ما عدونا وجلابيب قريش ما قال القائل « سمن كلبك يأكلك أما والله ليخرجن الأعز منها الأذل » .

غير أن كل هذه المحاولات باءت بالفشل لعدة أسباب منها :

أولا : دقة التنظيم الذى وضعه الرسول لحكم المدينة و عدالته و مثاليته و قدرته الأصيلة بالاضافة إلى سرعة حركته و وجوده عند كل فتنة لاطفائها قبل استفحال شرها .

ثانياً : توقيع الجميع على الصحيفة « الدستور » التى وضع الرسول بنودها و وافق الجميع على احترامها .

ثالثاً : ضعف العصبية القبلية شيئاً فشيئاً بين الأنصار والمهاجرين وإحلال العاطفة العقيدية و الروحية و الايمانية مكانها .

رابعاً : بمرور الزمن أحدث مشكلة المهاجرين تحل نفسها بنفسها للأسباب التى سبق أن ذكرناها

خامساً : انكشاف أمر المنافقين خاصة بعد موقفهم من حادث الافك بالدرجة التى جعلت ابن عبد الله بن أبي بن سلول يطلب من الرسول أن يأذن له فى قتل أبيه و رفض الرسول .

أما عن المبادىء التنظيمية التى أرستها الصحيفة « الدستور » لحكم دولة المدينة بعد هجرة الرسول إليها ، فيمكن أن نلخصها فيما يلى :

أولا : النص على أن مجتمع المدينـــة يتشكل من كل المواطنين المسلمين أنصاراً ومهاجرين (الموجودين وقت وضع الصحيفة والوافدين) والذميين من اليهود أو من قد يوجد من كفار أومشركين، ومن هذا النص كسب الذميون بعد ذلك كل ما لهم من حقوق فى الدول و الدويلات الاسلامية المتعاقبة . ومن هنا كان النص فى نظم الحكم الاسلامية على الوحدة الوطنية التى يمكن أن يعيش فى ظلالها المسلم و الذمى فى إطار القواعد و القوانين المنظمة لهذه المواطنة

ثانياً : و تفريعاً على هـذا أصبح أمن المدينة فى مجتمع المدينة ، و كل إثارة للفتنة أو الاستعانة ..

و من هنا كانت مواقف الرسول ﷺ من المنافقين نى قريظة و يهود بنى النضير ، و بنود هذه الصحيفة تحمل ... بعض المستشرقين المتعصبين الذين يؤكدون سياسة الرسول المسبقة فى التخلص من يهود المدينة ولكن الحقيقة التى لا شك فيها أن كل واحدة من القبائل اليهودية كان طردها من المدينة يرجع قبل كل شئ إلى نقضهم لبنود الصحيفة التى وقعوا عليها ، فبنو قينقاع من اليهود حاولوا بذر بذور الفتنة عند تحويل القبلة من بيت المقـــدس إلى البيت الحرام ، و بنو النضير ، فانهم رغم تآمرهم على قتل الرسول بعد غزوة أحد رفضوا أن ينفذوا ما نصت عليــــه الوثيقة من اشتراكهم مع الأنصار لفك بعض أسراهم ، أما بنو قريظة ، فقد ارتكبوا جريمة الخيانة العظمى باتصالهم بأعداء المسلمين فى موقعة الخندق

ثالثاً : علية الوحدة العقيدية على العصبية القبلية ، فعلاقة المؤمن بالمؤمن من فوق صلة

القرابة و المؤمنون بعضهم موالى بعض دون الناس و لا يحالف مؤمن مولى مؤمن دون استشارته و المؤمنون على من بغى منهم ، و لو كان ولد أحدهم و لا يقتل مؤمن مؤمناً فى كافر و لا ينصر كافر على مؤمن وسلم المؤمنين واحدة .. إلخ.

رابعاً : حق الذميين فى إقامة شعائرهم الدينية و البقاء على دياناتهم مكفول لهم كما هو مكفول للمسلمين تماماً سواء بسواء ومن هنا كانت جدران المساجد تلاصق جدران الكنائس فى البلاد الاسلامية على اختلاف اتساعها ، وليس على الذمى إلا أن يدفع الجزية والخراج نظير مايدفعه المسلم من زكاة وعشور وضريبة دم ، وكلها من الأمور التى وضع رسول الله ضوابطها بما أنزله الله عليه من آيات بينات وما أثر عنه من أحاديث .

خامساً : القصاص العادل ، أمن المجتمع لا يهادن فيه ذو نسب أو صلة أو قرابة حتى و لو كان من المسلمين .

سادساً : المرجع الأخير لأى خلاف يقوم حول بنود هذه الصحيفة ، وكل إلى رسول الله ﷺ الذى يستمد مصدر تشريعاته من القرآن الكريم .

سابعاً : يحرم على كل مقر لهذه الصحيفة أن يؤوى عدواً أو ينصره أو يفعل ما من شأنه إضعاف الدولة الاسلامية .

ثامناً : لما كان اليهود غير مطالبين بالانخراط فى جيش المسلمين نصت الصحيفة على واجبهم فى تمويل حروب المسلمين كجزء من الدفاع عن سلامتهم و أمنهم ، وهكذا كان رسول الله ﷺ المشرع الأول ليس فقط لأصول العقيدة الاسلامية و فروعها و إنما أيضاً للحضارة الاسلامية ، و نظم حكمها و على نهجه سار من أتى بعده .

الدّعوة الإ

الاستخلاف فى الأرض ، مفهومه و مصالحه

العلامة الدكتور السيد سليمان الندوى (رحمه الله)

« معرب »

الدرس الأساسى الذى يبتدىء به الجزء الأول من كتاب الله العظيم هو مسألة الخلافة الانسانية ، أما قصة آدم عليه السلام فيعترف بها كل من اليهود والنصارى ، و لكن الاسلام يشرح هذه القصة كعقيدة مدنية ، فان الغرض من خلق آدم عليه السلام وفق العقائد الاسلامية أنه اختير خليفة الله فى هذه الأرض ، كما تشير إليه الآية من سورة القرآن الأولى : « و إذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة » و جعله الله خليفة له و سماه آدم الذى أصبح إمام ذريته ، ومن هنا كان آدم خليفة الله و إمام خلق الله فى هذه الدنيا ، و كذلك الأنبياء الذين تتابعوا بعده فى عهودهم وأنهم كانوا خلفاء الله و أئمة البشر ، هكذا ذكرهم القرآن و سماهم بهذا الاسم مراراً و تكراراً .

إن إبراهيم عليه السلام الذى يعتبر من كبار الأنبياء و الرسل فى الاسلام تحدث عنه القرآن فقال : « إنى جاعلك للناس إماماً » و كذلك داوٗد عليه السلام الذى يعتقده المسلمون رسولا يسميه القرآن خليفة فيقول « يا داوٗد إنا جعلناك خليفة فى الأرض » .

و المسلمون يؤمنون بأن خليفة الله الأخير و إمام النوع البشرى هو محمد ﷺ

و قد بدأ الله عهداً جديداً منذ وفاته لجعل خلافة الدولة مكان الخلافة الالهية ، فى صحيح مسلم الذى يعتبر الكتاب الثانى للحديث فى الاسلام « عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء ، كلما هلك نبى خلفه نبى ، وانه لا نبى بعدى ، و ستكون خلفاء » و أول خليفة للرسول ﷺ هو أبو بكر رضى الله عنه ، و منذ ذلك الوقت و لا يزال هذا العهد مستمراً إلى يومنا هذا من غير انقطاع ، فالآية التى تعتبر أساس الخلافة هى ما قاله الله تبارك و تعالى : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، و ليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم و ...
يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً ، و من كفر بعد ...
(النور /٥٥) .

هذه الآيات القرآنيه لا تحوى مسألة الخلافه ... حقيقة الخلافة و شروطها و مصالحها ، و هى تتضمن خمس كلمات نتناولها بالشرح لكى يتضح الموضوع .

١- الاستخلاف : معناه فى اللغة العربية جعل المرء خليفة أو حاكماً ، فهو يجمع بين المعانى المادية و الروحية ، و الدينية و الدنيوية فى وقت واحد ، و يعنى نوعاً من السيادة ، و يحسن بنا أن نسوق بعض الآراء التفسيرية لهذا اللفظ عدا معناه اللغوى ، فيقول أقدم المفسرين و شيخهم الامام ابن جرير الطبرى :

« ليورثهم الله أرض المشركين من العرب و العجم ، فيجعلهم ملوكها وساستها (١) » .

و يقول المفسر الشهير العلامة البغوى فى معالم التنزيل :

(١) ابن جرير الطبرى ج ٨/ ١٠٩

« ليورثهم أرض الكفار من العرب و العجم فيجعلهم ملوكها وساستها و سكانها »
و جاء فى تفسير البيضاوى :

« ليجعلهم خلفاء متصرفين فى الأرض تصرف الملوك فى ممالكهم » .

أما العلامة ابن كثير الذى يعتبر تفسيره من أوثق المصادر التفسيرية فيشرح الآية بما يأتى :

« هذا وعد من الله تعالى لرسوله ﷺ بأنه سيجعل أمته خلفاء الأرض ، أى أئمة الناس و الولاة عليهم ، و بهم تصلح البلاد ، و تخضع لهم العباد » .

وهكذا يوجد معنى الاستخلاف فى كتب التفسير الأخرى عـدا ما ذكرنا ، واتضح بهذا التفسير الذى يثق فيه كافة العلماء و الأئمة من المسلمين أن الخليفة يملك السيادة الدينية و الدنيوية و القوى المادية و الروحيـة فى وقت واحد ، و لذلك فلا يمكن أحداً أن يكون خليفة أو إماماً ما لم يمتلك القوى المادية و الروحية على حد سواء و يتصرف فيهما وفق أوامر الله

٢- الأرض : ومعنى هذه الكلمة لغة : الأرض والملك مطلقاً . و لكن تعريف الأرض هنا باللام يدل على معنى خاص . والمراد بها الأرض التى يعتبرها المسلمون مقدسة منذ أن خلقها الله ، و التى سميت فى التوراة « بالأرض المقدسة » وأورثها الله ذرية إبراهيم عليه السلام . أما اليهود فإن لديهم مفهوماً محدوداً لهذه الأرض المقدسة حيث إنهم يحددونها بين فلسطين التى كانت موطنهم الأصلى ، و لكن الاسلام يراها أرضاً يسكنها ذرية إبراهيم عليـه السلام إلى الآن ، و ظلت مقاماً و مقراً للرسل عليهم السلام من قديم ، وأعنى بها تلك البقاع التى يحيط بها الرافدان من دجلة و الفرات ، و بحر الشام والبحر الأحمر و المحيط الهندى و الخليج العربى ، والتى يقع فيها العراق و الشام و الجزيرة العربية ، و بما أن هذه البقاع كلها يحيط بها

البحار من جوانبها الأربعة عبر عنها الرسول ﷺ بجزيرة العرب ، و أمر بصيانتها عن كل عدوان كافر و احتلال غير شرعى، و ذلك لكى تبقى حياة الاسلام الخالصة على صفة دائمة .

والحاصل أن مركز الخلافة الالهية الذى هو بمثابة القلب لها هو هذه الجزيرة العربية ، و إن مناطقها تزيد و تنقص حسب الظروف و الأحوال ، فقد كانت منطقة الخلافة محدودة فى عهد النبى ﷺ إلى شبه الجزيرة العربية، و لكنها اتسعت فى عهد الخليفة الأول رضى الله عنه إلى حدود العراق و الشام ، و لما جاء الخليفة الثانى عمر بن الخطاب رضى الله عنه وسعها إلى ثغو

فى جانب آخر ، ولكنها توسعت فى عهد الخليفة

و تركستان ، و لكنها توزعت فى عهد الخليفة ال

فكانت الجزيرة العربية و العراق و العجم بيد على رضى

و مصر و إفريقيـة إلى معاوية رضى الله عنه ، ولما بايع المسلمون معاوية رضى الله عنه بعد وفاة على رضى الله عنه و بعده إلى آخر عهد بنى أمية ١٣٢هـ امتدت أرض الخلافة من أسبانيا إلى أرض السند ، و اتسعت بين القارات الثلاث اوربا و آسيا و إفريقيا ، و لما جاء عهد الخلافة العباسية لم تتجاوز حدود خلافتهم من مصر إلى أفريقيا و أوربا

و لما انتقلت الخلافة العباسية إلى مصر بعد انقضائها فى بغداد انحسرت حدودها بين مصر و الشام و الجزيرة العربية وحدها ، و حينما انتقلت الخلافة إلى العثمانيين فى سنة ٩٢٣هـ شملت القارات الثلاث مرة اخرى . أوربا و إفريقيا و آسيا .

اتضح بهذا التفصيل أن الأرض المقدسة فى كل عصر كانت الجزء الأصيل

للخلافة ، والأقطار الأخرى انضمت إليها بحكم مقر الخليفة وعاصمة الخلافة ومراكز الجيش ، ولكنها ينبغى على كل حال أن تكون مساحتها الأرضية فى كل زمن حسب المدد ، بحيث يمكنها صيانة كيانها من الحكومات الغير الاسلامية التى تحيط بها فى ذلك الوقت .

و بعد هذا الشرح ندلى بشهادات للمفسرين الموثوق بهم حول كلمة الأرض ، يقول العلامة ابن كثير الذى يعتبر من كبار المفسرين ثقة و صحة رواية :

« هذا وعد من الله تعالى لرسوله ﷺ بأنه سيجعل أمته خلفاء الأرض . . . و قد فعله . . . فإنه ﷺ لم يمت حتى فتح الله عليه مكة و خيبر و البحرين و سائر جزيرة العرب و أرض اليمن بكمالها و أخذ الجزية من مجوس هجر ، و من بعض أطراف الشام وهاداه هرقل ملك الروم وصاحب مصر و الاسكندرية وملوك عمان و النجاشى ملك الحبشة » .

و يقول العلامة الزمخشرى الذى يعتبر من كبار المفسرين أدباً و أسلوباً

« و فى الله بوعده و ملك المسلمين أولا الجزيرة العربية ، ثم فتحوا بعدها بلاد الشرق و الغرب »

و جاء فى غرائب القرآن :

« وفى الله وعده وملكهم الجزيرة العربية وأورثهم مملكة كسرى وخزائنه »

و يقول ابن الأعرابى :

« المراد بالأرض بلاد العرب و غيرها من البلدان » .

اتضح بهذه التصريحات كلها أن الجزيرة العربية هى بمثابة الأصل فى أرض الخلافة الموعود بها ، و يدخل ضمنها بلاد أخرى كذلك .

٣- تمكين الدين : جاء هذا التعبير فى الآية المذكورة « و ليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم » .

و هذا الجزء من آية الاستخلاف يصرح بأن الغاية من الخلافة الالهية هى أن ينال دين الله الذى ارتضى لهم (الاسلام) قوة و تحكما ، حيث يكون هذا الدين و أتباعه فى أمن من حملات المعتدين و ظلم الظالمين ، و لا يواجه الاسلام أخطار الظالمين المعتدين من أمثال « بخت نصر » و « جنكيز » و « هولاكو » وأمثالهم .

و سيأتى آراء المفسرين « حول الموضوع » .

٤- تبديل الأمن بعد الخوف : واجـــه الاسلام فور ظهوره فى الجزيرة العربية بازاء دعوته إنكاراً و عدواناً و معاناة من الظلم والجور ، ففترة ثلاثة عشر عاماً الأولى حافلة صفحاتها بقصص هذا الظلم والعدوان ،

الخلافة الالهية لكى يعم فى العالم الأمن و الهدوء ،

من بعد خوفهم أمنا » توضح الغاية الثانية لوجود الخ

المسلمون فى ظلالها بأمن و سلام ، و تأييداً لهذا التفسير

المفسرون بأجمعهم .

و القصـد من ذلك أن يتدعم بنيان صرح الاسلام ، فقد كان المسلمون فى المدينـــة المنورة أجبروا على أن يكونوا فى تسلح تام لصيانة أنفسهم ، حتى طال عليهم العهد بالسلاح و تبرموا من هذا الأسلوب للحياة ، و حضروا الرسول ﷺ و رجوا منه أن ينجيهم منه فوعد الله بأنه سيستخلفهم و ليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا .

إن تاريخ آسيا و أوربا و أفريقية خير شاهـــد على أن خطر الحروب و الخوف لا يزال قائماً فى هذه الدنيا مثل ما كان قبل اليوم بأربعة عشر قرناً ، و هل بعد وقائع وأحداث أسبانيا و سسلى ، و كريت ، و مالتا ، وهرزيغونا ، و بوسنيا ، و اليونان ، و بلغاريا ، و مقدونيا ، و سمرنا ، و الروم و أرمينيا

و ما إلى ذلك من الدول هل بعدها من شك فى هذه الحقيقة الناصعة .

٥- عبادة الله و عدم الاشراك به : يشير الله سبحانه فى هذه الكلمات إلى غاية الاستخلاف و التمكين فى الأرض و تبديل الخوف أمناً ، و معنى ذلك أن المسلم إنما بعث إلى هذا العالم بدعوة خاصة من الله سبحانه ، له من العقائد والعبادات ما يخصه ، و له من العلوم و الثقافات و المدنية و منهج الحياة ما يختص به ، ولذلك فان مبدأ قوة الخلافة المادية يبتنى على مصلحة أن المسلم يجب عليـــه أن يسمو على حياته الروحية و مدنيته المادية الخاصة به .

ومن يستطيع أن يتنبأ بأن تاريخ العالم فى المستقبل لا يكون حافلا بالأحداث والحروب مادام التاريخ القديم زاخراً بها ، ولذلك فان المسلمين فى هذا العالم الواسع مدعوون بحكم العقيدة إلى أن يطالبوا لأنفسهم بالأمن والسلام من الجماعات الانسانية الأخرى و تلك هى الخلافة التى ظلت قائمة فى العالم منذ بدء الاسلام إلى الآن ، و ستبقى قائمـــة فى المستقبل أيضاً ، كما وعد الله بذلك . يقول العلامـــة ابن كثير فى آخر تفسير هذه الآية :

« فالصحابة رضى الله عنهم لما كانوا أقوم الناس بعد النبى ﷺ بأوامر الله عز وجل و أطوعهم لله و كان نصرهم بحسبهم و أظهروا كلمـــة الله فى المشارق و المغارب وأيدهم تأييداً عظيماً و حكموا فى سائر البلاد ، ولما قصر الناس بعدهم فى بعض الأوامر نقص ظهورهم بحسبهم ، و لكن قد ثبت فى الصحيحين من غير وجه عن رسول الله ﷺ أنه قال لا تزال طائفـــة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم إلى يوم القيامة ، وفى رواية : حتى يأتى أمر الله و هم كذلك ، وفى رواية حتى يقاتلوا الدجال ، وفى رواية : حتى ينزل عيسى ابن مريم و هم ظاهرون ، و كل هذه الروايات صحيحة و لا تعارض بينها » .

تعليم المسلمين و تربيتهم العامة

سماحة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى
تعريب : الأستاذ شمس الحق الندوى

تعليم الأميين و تربيتهم :

يعرف الجميع أن بعثه النبى ﷺ كانت فى أ
ذكرت هذه الأمة باسم الأميين فى القرآن حيث تنا
و تعليمه للناس فقال « هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم » و مع هذه الاية كانت هذه الأمة فى ضلالة لا يعبر عنها بأصدق من القرآن حيث قال « و إن كانوا من قبل لفى ضلال مبين » وقال أيضاً : « وكنتم على شفا حفرة من النار » و ما كانت غاية بعثة النبى ﷺ تعليم هذه الأمة الأمية الجاهلة ربها العليم فقط . بل كانت غاية بعثته تعليم الكتاب و الحكمة عملياً . و تهذيب أخلاقها و تزكية نفوسها ، و تفويض منصب المعلم و الهادى المصلح إليها مع تحليتها بخصال الملائكة كما جاء فى القرآن الكريم « يتلو عليهم آياته ويزكيهم و يعلمهم الكتاب والحكمة »

لم تكن تكفى ولا تغنى لاحداث ثورة فى مثل هذه الأمة العظيمة أية مدرسة كبيرة أو المدارس الكثيرة ، و هى لم تكن ترغب فى التعليم و التربية بل لم تكن تنهيا لسماع كلمة ما فكيف ، إذا لم تكن هناك أى مدرسة ، و فى مثل هذا الوضع ، حيث لم يكن يوجد هناك معلمون و لا طلبة لمدرسة واحدة ، إذا قامت

هناك مدرسة أو مدارس لقيت فائدتها و تأثيرها محدودة مقصورة و لم تنتج أكثر من أن يتعلم فيها عـــدة أفراد من الأذكياء و الراغبين فى العلم مع إعجابهم بأنفسهم و زعمهم بأنهم طبقة خاصة ممتازة من بين الناس أجمعين ، و لكان قد انحصر العلم فى مكان واحد و فى طبقة محدودة فضلا عن أن ينتشر فى الناس كلهم .

لابد من الايمان قبل العلم :

إن الأسلوب الذى اختاره النبى ﷺ للثورة العامة بتوفيق من الله هو معجزة بذاتها نظراً إلى نجاحه و معجزاته و نظراً إلى حكمته و سهولتـه أيضاً ، فقد نفخ النبى ﷺ أولا فى هذه الأمة روح الطالب الصادق للـدين ، و الشعور بحاجة الدين و علمه ذلك لكى تثق و تؤمن بوعد الله - روى عن صحابى رضى الله عنه « تعلمنا الايمان ثم تعلمنا القرآن » - و بقوة هذا الايمان و طلبهم الصادق تركوا دارهم و تحملوا المشاق فى سبيله ، و كان يسعى كل فرد منهم لينال القدر اللازم من العلم ، و كان يعد السهر فى سبيله عبادة و المحنة جهاداً ، و الموت فى سبيله شهادة ، و كل متعلم كان يرى من واجبه أن يعلم الآخرين ما هو يعلم .

مدرسة سيارة عملية :

كانت بداية هذا التعليم و التعلم من أول يومـــه بتطبيق العلم مع العمل ، و العمل مع العلم ، و كـــذلك تطبيق العلم مع التعليم و التعلم و كان المجتمع الاسلامى كله مدرسة علمية سيارة واسعة النطاق ، كان كل فرد من هذه المدرسة طالباً نفسه و معلماً للآخرين ، ثم لم تكن تحفظ دروس هذا العلم فى الخلوة ، بل كانت تنشت معانيها فى قلوبهم بتوجيهها إلى الناس و نشرها فى الجمهور مع تحمل المشاق ، و الصبر على ما يلاقونه فى سبيل ذلك من المصائب ، و كانت تشتعل بها مجامر القلوب ، و كان واجب التعليم و الاصـــلاح و تزكيـــة النفوس يتأدى عملياً

بالمعاشرة و الاجتماع و المعاملات مع الناس و على سبيل المثال - لم تكن تعلم هناك أصول السباحة و قواعدها على البر و لا على الأيدى بل كانت تعلم و تمرن بها فى تيار الحياة - فمن تعلم كلمة الاسلام و آمن بالله و رسوله شد المئزر و شمر فى طلب معرفة الرب بدلا من طلب الرزق و السعى له . و لم يبال بنفسه فى طلب الدين و العمل به ولم يتمتع به بديلا من أغراضه الدنيوية الداهية ، بل انه كان يواجه بعد إيمانه محناً و يلقى نفسه فى شدائد المصائب و الآلام ، ثم يخرج منها سعيداً عزيزاً بعد مدة من الزمن كما يخرج الابريز من النار

النفوس لا الرسوم :

كان هذا التعليم تعليماً عملياً فى ميادين الجهاد و...

و منازل السفر ، و لم تكن أجهزة هذا التعليم الرسو...

النفوس المتحركة المتحولة التى كانت تؤثر صحبتها فى كل مناسبة ، و لدى كل حاجة تأثيراً عملياً ، فكان المرء يتعلم بذلك اللباقة فى مجال العمل و التطبيق عندا وسائل الدين و مفاهيمه كما يتعلم الانسان اللغة بين أصحابها ، و الحضارة و حسن المعاشرة بين المثقفين والقائمين بها - هكذا كان يتعلم الدين بمصاحبة أهله فى أسلوب طبيعى .

إن هذا الأسلوب لتعليم الدين أسلوب طبيعى سهل كأسلوب تعليم اللغة بين أصحابها وناطقيها - كذلك تعليم الدين بالاختلاط مع الناس ومصاحبتهم ، و التعليم بالنفوس بدلا من الكتب والرسوم أسلوب الأنبياء ، وبالأخص ميزة تعليم سيدنا محمد ﷺ الذى لم يكن أسلوب التعليم عنده النقل من كتاب إلى كتاب آخر - بل كان النبى ﷺ يأخذ من ربه و يكتب على ألواح القلوب ، ثم يعلم بهم الآخرين . و بهذا الأسلوب يستطيع ملايين من الناس أن يتعلموا العلم الضرورى فى مدة يسيرة ، كما أن هذا الأسلوب يخلو من نقائص العمل والتأثير التى طالما توجد فى التعليم اللفظى

ليس الكتب فى الحقيقة إلا ميزاناً يعرف به الخطأ و الصواب ، كما قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه « من كان مستناً فليستن بمن قد مات ، فان الحى لا يؤمن عليه الفتنة » والوسيلة العظيمة لاقتداء السلف الصالح هى الكتاب ، ولكن الكتب والصحائف العلمية لا تتعدى فوائدها دون المعاشرة والأسوة العملية فهى فى الحقيقة ذريعة للاستفادة الكاملة منها ، و لكن كان من الخطأ أن اتكل الناس على الكتب فى اكتساب العلم واقتنعوا به ، الأمر الذى أتيح أن تعلم الدين أصبح أمراً صعباً ، و صارت دائرته محدودة جداً كذلك ، و حرم أهل الحرف و الأشغال من حصوله و يئسوا منه ، و لم يتيسر حصول الدين إلا لنبذة من الأمة و رجال معدودين ممن كان فى استطاعتهم أن يفرغوا حياتهم لذلك ، فانحسر العلم فى طبقة صغيرة محدودة ، و بقيت الأمة أكثرها فى جهل و يأس .

ثم إذا صح أن المتعلم يتفاعل مع العلم فلابد أن نعترف بأن الكتب ورسومها يتولد منها الجمود الذى لا يحرك ساكناً و لا يثير العواطف الكامنة الخامدة فى الانسان . و لكن الانسان المتحرك يثير النشاط أو الحماس ، و كذلك لا يحصل فهم صحيح للدين ولا الحكمة العملية بدون الصحبة و الرفاقة وبدون الحركة والعمل ، إذ أن عملا واحداً صحيحاً يكشف الحجاب عن ألف خطأ .

إن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين تعلموا الدين والعلم بالصحبة والخدمة ، فميزتهم معهم فى دينهم و علم دينهم إلى يوم القيامة ، و لا شك أنهم كانوا فائزين بحقيقة الدين وروحه وجوهره كما يصور ذلك الصحابى الجليل سيدنا عبد الله بن مسعود تصويراً صادقاً بليغاً لا يمكن أبلغ منه فقال عنهم :

« أولئك أصحاب محمد ﷺ أبر الناس قلوباً ، أعمقهم علماً و أقلهم تكلفاً »

السفر و الهجرة فى سبيل العلم الدينى :

بعد هذه الميزة التى ذكرناها آنفاً ، كانت هناك ميزة أخرى وهى أن المسلمين دعوا إلى الخروج لمدة من الزمن من بيئتهم وأشغالهم ليطلبوا العلم ، إذ لم تكن العناية بالطلب ميسوراً لهم مع هذه الشواغل و العلائق ، و ما كان فى استطاعتهم فى هذا الجو و فى هذه الأحوال الخاصة أن يحدثوا تغييراً أو انقلاباً فى حياتهم ، و كانت المدينة مركزاً وحيداً بعد الهجرة حيث كان يوجد جو إسلامى كامل ، و كان من المستطاع أن يشاهد هناك الدين الاسلامى فى ص...

مسلمو العرب كلهم إلى أن يأتوا إلى هذا الجو الاسلا...

الدين هناك ثم يرجعوا . . « ما كان المؤمنون لينفروا...

منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين و لينذروا قومهم إذا ر...

(التوبة ١٢٢)

و كان يشترط لطالب العلم الاجتهاد العملى ، و الايثار و التضحية بالنفس و النفائس و احتمال المشاق إلى حد ما ، كان من امتحان حب الدين و طلبه الصادق أن يستعد الانسان لترك مألوفاته ورغائبه ، إذ أن ترك المألوفات و مخالفة النفس أكبر جهاد للمرء و ذلك يتيسر بالهجرة بسهولة إذ أن الوطن جامع لشتات من المألوفات و الرغائب و مفارقته على النفس شاقة جداً ، و هذا الذى يعبر عنه القرآن بالهجرة . كما قال فى المنافقين « فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا فى سبيل الله » (النساء ٨٩) .

هذه الآية مدنية ومن المعلوم أن المنافقين كانوا يسكنون المدينة المنورة وحواليها فقد جاء فى سورة التوبة « و ممن حولكم من الأعراب منافقون و من أهل المدينة مردوا على النفاق » فالمراد بها إما أن تكون هجرة المنافقين من جوار المدينة إليها

أو خروج منافق المدينـــة للجهاد فى سبيل الله و ترك الوطن مؤقتاً ، والواقع أن ثمار الدين وعلوم الدين تتوقف على الاجتهاد الشخصى و عزم المرء عـــلى طلبها ، وبالنظر إلى ما عند الله من قيمة الدين وغيرة الله عليه ينافى أن يحصل العلم لرجل بدون طلب منه - على كل حال ربط الله هدايته ورحمته على العباد باجتهادهم وسعيهم فى سبيل ذلك ، يقول : « إن الذين آمنوا و الذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله » (البقرة ٢١٨) .

يقول الشيخ محمد إلياس فى كتاب له وجهه إلى شخص كان يستفيد منه بالمكاتبة « الأجر على قدر النصب ، لايساوى من يسعى لغيره مع من يسعى لنفسه ، جرت عادة الله أنه يعطى الدين لطالب الدين بقدر سعيه و جهده ، فبقدر ما يسعى الانسان لغرض من أغراضه و يجهد نفسه و يواجـــه المشاق التى تؤثر على القلب و الجوارح و أحواله ، بقدر ذلك تنزل عليه رحمة الله و يستحق لطفه و كرمـه و لا يدرك المرء عزة ما لم يحتمل قبلها ذلة

و يتحدث الشيخ محمد إلياس فى كتاب له آخر فيقول : بلينا فى هذا العصر بالماديات بلاءاً ، حتى انتهت استفادة الطمائع من الطبائع ، إننا تركنا تحصيل العلم و الدين بكد اليمين و عرق الجبين و اكتفينا باستخدام اللسان فقط .

و كتب الشيخ فى رسالة له ثالثة : إن من سنة الله الأزلية التى لا تتبدل و لا تتغير أنه ربط الهـــداية بالسعى و الجهـــد ، فالعلم الذى ينكشف على القلب ببذل الجهود وتحمل المشاق إنما هو علم يشرح الصدر ويكشف عن حقيقة العلم والطمأنينة الحقة ، إنه علم يتذوق به صاحبه طعم الايمان ويتكيف به ، أما ما يحصل من الحق و الصدق بالخطابة و الكتابة بدون جهد و مشقة فلا روح فيه بل هو حجاب فى الحقيقة سماها العلماء بالحجاب الأكبر وهو حاجز كبير فى سبيل الوصول إلى الله عزوجل .

« يتبع »

دراسات وأبحاث

الأساليب الخداعة لانكار السنة

و مكانتها فى التشريع الاسلامى

فضيلة الشيخ محمـــد برهـان الدين السنبهلى
(الحلقة الثالثة الأخيرة)   مدير مجلس الدراسات الشرعية بندوة العلماء
تعريب : محمد صدر الحسن الندوى

الأمر الذى يستلفت النظر إلى هذه الناحية المهمة ، هو أننا لو كنا مطالبين باتباع القرآن وحده ، لكان يكفى للقرآن أن يأمرنا باتباع القرآن فحسب ، و كان الجدير أن تشتمل القرآن على آيات من أمثال « أطيعوا الله » أو « اتبعوا الله » أو « اتبعوا ما أنزل الله » ولم تكن هناك حاجة إلى الأمر بطاعة الرسول «أطيعوا الرسول » « و ما أرسلنا من رسول إلا ليطاع باذن الله » ، و إن تعجب فعجب قولهم أننا نؤمن بالقرآن - و القرآن يأمر باتباع الرسل - و نرفض السنن (سواء كانت قوليـــة أو فعلية لأن الله تعالى لم يفرق بينهما بل أمر باتباعهما) و الذى زاد الطين بلة هو أن هذه النظرة الخاطئه تشاع بجراءة منقطعة النظير .

و يجب أيضاً أن نتأمل فيما إذا كان يمكن العمل بالقرآن بدون اتباع السنة بتفاصيلها ، فقد جاء ذكر الصلاة ، والزكاة ، و الحج ، والصوم ، فى القرآن الـكريم و لـكن هل يمكن العمل بهذه كلها بدون السـنـــة ، و الذين يحتجون بالقرآن بدون السنة نسائلهم فى ألفاظ الحافظ أبى بكر ابن حزم رحمه الله تعالى : « فى أى قرآن وجدتم أن الظهر أربع ركعات وأن المغرب ثلاث ركعات و أن الركوع والسجود على صفة كذا . وصفة القراءة فيها و السلام و بيان ما يجتنب فى الصوم و بيان

كيفية زكاة الذهب و الفضة و الغنم و الابل ، ومقدار الأعداد المأخوذة من الزكاة و بيان أعمال الحج من وقت الوقوف بعرفة وصفة الصلاة بها و بمزدلفة و رمى الجمار وصفة الاحرام ، و ما يجتنب فيه و قطع يد السارق . و ما يحرم من المآكل . . . و أحكام الحدود . . . . و أحكام البيوع و بيان الربا ، و الأقضية والتداعى و الأيمان . . و سائر أنواع الفقه . و إنما فى القرآن جمل لو تركناها لم ندر كيف نعمل فيها . فلا بد من الرجوع إلى الحديث ضرورة ، و لو أن امرءاً قال لا نأخذ إلا ما وجدنا فى القرآن لكان كافراً . . . و لكان لا يلزمه إلا ركعة ما بين دلوك الشمس إلى الفجر (١) .

و من المعلوم أن هذه التفاصيل كلها لا توجد إلا فى السنة. فنرى عكس ذلك أن التفاصيل الكثيرة فى السنة القولية ، فقولهم « حسبنا كتاب الله » هو ستار للفرار عن العمل بالشريعة السمحة ، يتخذه المارقون عن الدين

و هذا دخل فيه و كذب صراح من قولهم ، بأن الامامين البخارى و مسلم ولدا بعد ثلاث مائة سنة من وفاة النبى ﷺ ، فان الامام البخارى هو من مواليد سنة ١٩٤ﻫ ولد بعد وفاة النبى ﷺ بـ ١٧٣ سنة فحسب ، ومع ذلك ليس الامام البخارى أول جامع للحديث ، بل قد جمع الامام مالك ذلك المحدث الكبير مجموعة من الأحاديث النبوية الشريفة قبل الامام البخارى بمأة عام ، و قد ولد الامام مالك فى سنة ٩٣ﻫ يعنى بعد وفاة النبي ﷺ بـ ٨٢ عاماً فحسب ، و كان يوجد فى ذلك الحين عدد وجيه للصحابة رضى الله عنهم ، أما الذين تشرفوا بصحبة الصحابة ، فقد كانوا فى عدد ضخم يربو عددهم على الآلاف وعدا ذلك فقد جمع كبار الصحابة أحاديث

(١) الأحكام ص٨٠ - ٧٩/ ج ٢

النبى ﷺ ومن المعلوم لدى الجميع أن أبا هريرة رضى الله عنه يبلغ تعداد أحاديثه إلى الآلاف ، و كانت الأحاديث كلها مكتوبة لديه كما نقله الحافظ ابن عبد البر فى كتابه الشهير « جامع بيان العلم » و أرى أبو هريرة مجموعة تلك الأحاديث المكتوبة ابن الصحابى الشهير عمرو بن أمية الضمرى ، كما يقول : فأرانا كتبا كثيرة .

وقد عقد الامام البخارى ترجمة خاصة « باب كتابة العلم » فى صحيحه و نقل فيه عدة قصص للصحابة الذين كانوا يكتبون أحاديث النبى ﷺ ، وكانت عدة أحكام مكتوبة عند على ، وكذلك كتبت عدة أحكام لأبى شاه اليمنى بأمر النبى ﷺ (١) وكذلك كان عبد الله بن عمرو بن العاص يهتم بكتابة الحديث (٢) ويقول أبوهريرة : كان عنده أحاديث كثيرة بالنسبة إلى ، و كان يكتبه باذن النبى ﷺ ، و يقول أيضاً : قلت يا رسول الله أكتب كل ما سمع منك ؟ قال نعم ! قلت فى الرضاء و الغضب ؟ قال نعم ! فانى لا أقول فى ذلك كله إلا حقاً (٣) و يوجد الحديث المحتوى على تلك المواد بتغيير يسير فى الألفاظ ، فى سنن أبى داؤد (وهذا من كتب الصحاح الستة) فى كتاب العلم . و أمر أنس (الذى خدم النبى ﷺ عشر سنوات متتاليات . و يبلغ عدد رواياته إلى ١٢٨٦ حديث) أبناءه بكتابة الحديث فقال : يا بنى قيدوا هذا العلم (٤) و جاء فى المستدرك أنه كانت عنده مجموعة لأحاديث النبى ﷺ المكتوبة ، وكلما كانت توجه إليه الأسئلة ، يرى الناس تلك المجموعة

(١) صحيح البخارى ج ١ ص ٢١

(٢) نفس المصدر ص ٢٢ .

(٣) تدوين الحديث ص ٦٦ .

(٤) مسند الدارمى ص ٦٨ .

قائلا : هذه سمعتها عن النبي ﷺ فكتبتها و عرضتها عليه (١) و عدا ذلك كانت أحاديث مكتوبة كثيرة عند العديد من الصحابة (٢) رضى الله عنهم .

أما الصحابة الذين لم يهتموا بكتابة الأحاديث فكانوا يكرسون جهودهم على حفظ أحاديث النبي ﷺ ، وكان الحفظ يحمل وزناً لائقاً عند العرب بالنسبة إلى الكتابة بل كانوا يرون فى الكتابة عاراً و عيباً و علامة لسوء الحفظ ، و كذلك نجد هذه الظاهرة مع القرآن الكريم ، فكان القرآن محفوظاً فى ذاكرة الصحابة رضى الله عنهم ولم يكن القرآن كله مكتوباً فى زمن النبي ﷺ عند صحابى واحد ، إن وجدت نسخة واحدة منه فقط ، وجمعه زيد بن ثابت بأمر أبى بكر

مجموعة واحدة ، و وضعت تلك النسخة الواحدة عند

عنها ، و بعد ذلك أرسل عثمان فى زمن خلافته نسخ

إلى العالم الاسلامى كله ، لكنه كان من الصعب العسير أن تصل ... ... إلى مآت الآلاف من الرجال و النساء ، فكانوا يحفظونه فى ذاكرتهم - كما نرى اليوم - فعلم أن النسخة الكاملة المكتوبة لم تكن لدى أى صحابى فى زمن النبي ﷺ ، فهل يصح لأى شخص أن يقول إن القرآن ليس بمحفوظ ، و هل يمكن أن يبقى ذلك الرجل مسلماً بعد التلوح بهذا القول .

و لما لم يكن الأمر كذلك لم يشك الناس فى صحة الحديث ، حينما يقال إن الصحابة كانوا يحفظونه ولكن الواقع الذى لامراء فيه هو أن حفاظ الصحابة للحديث يقلون عدداً عن حفظ القرآن ، وكانوا قد يروون معانى الأحاديث أيضاً ، لكن

(١) تدوين الحديث ص ٦٨ .

(٢) راجع للتفصيل « الرسالة المحمدية » المحاضرة الثالثة ومحاسن الاصطلاح لسراج الدين البلقينى تحقيق عائشة بنت الشاطئ من ص ٢٩٦ إلى ٢٩٩ .

كيف يثبت من هذا أن ذخائر الأحاديث كلها مختلقة أو مشكوك فيها ، مع علمنا بأن الأحاديث التى تصح عند المحدثين لا يمكن أن تصح إذا لم يكن لها أى شاهد ومتابع لأن الحديث الذى يروى عن سند واحد فحسب ، و ليس له متابع و شاهد هو رواية شاذة عند المحدثين ، و إن كان رواته عادلين موثوقاً بهم - والرواية الشاذة ليست من أنواع الأحاديث الصحيحة - ذكر الحاكم أبو عبدالله الحافظ أن الشاذ هو الحديث الذى يتفرد به ثقة من الثقات و ليس له أصل متابع لذلك الثقة (١)

و قد ذكرنا من قبل أن عدد الرواة لأحاديث الصحيحين قد بلغ فى بعض المواضع إلى المآت ولا تكاد توجد فيهما الرواية التى نقل رواته فى كل مرحلة عن اثنين عدلين ضابطين متقنين ، وقد التزم الامام مسلم فى صحيحه أن يذكر أسانيد مختلفة للأحاديث التى قام بتخريجها فيه ، و فى بعض المواضع يتجاوز عدد الرواة العشرة ، لأجل ذلك اتفقت جماعة من العلماء كلهم أو جلهم أن هذا القسم جميعه مقطوع بصحته و العلم اليقينى النظرى واقع به (٢) و رجح هذا القول العالم المحدث الكبير الورع اليقظ ابن الصلاح رحمه الله تعالى .

وتقتضى - أيضاً - الآية القرآنية « إنا نحن نزلنا الذكر و إنا له لحافظون » أن يبقى شرح كلماته الصحيح مع ألفاظه وكلماته . لأن الألفاظ القرآنية إذا حوفظ عليها ، و لم تكن التفاصيل التى وردت - كالشرح لهـــا - فى الأحاديث مصونة لا يمكن أن نقول إن القرآن محفوظ ، كما نرى فى الديانات السالفـــة أن الألفاظ تكاد توجد و لو جزئياً لكن التفاصيل شوهت تفسير العلماء الذين كانوا يشرحون

(١) مقدمة ابن الصلاح ص ٣٦ .

(٢) نفس المصدر ص ١٤ .

الآيات حسب أهوائهم ، لأنها لم تكن محفوظـة ، و لذلك تشوهت الديانة المسيحية و اليهودية .

و بالجملة ثبت من التفاصيل التى قدمت (و منها حد الشاذ) أن الأحاديث الصحيحة لا بد أن يكون رواتها عادلين متقنين ضابطين فى كل مرحـــلة ، كما يقول الامام ابن الصلاح فى كتابه : « أما الحديث الصحيح فهو الحديث المسند الذى يتصل إسناده بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط إلى منتهاه ، و لا يكون شاذاً و لا معللا (١) » وعلم من هذا الحد للحديث الصحيح أن هذه الش... تتوفر فى الحديث الصحيح ، فاذا فات أى شرط منها

تأملوا بعد ذلك ، إن القرآن الـكريم لا يعوض

على شهادة رجلين عادلين بل يوجبه عليه - سواء كانت أو حد - كما جاء فى القرآن الـكريم .

« و أشهدوا ذوى عدل منكم » « و استشهدوا شهيدين من رجالكم » علم من هذه الآية الـكريمة أنه لابد من قطع يد السارق فى السرقة والقتل فى القتل على شهادة رجلين عادلين فى هذا الزمان أيضاً و لا يخفى على العاقل أن مستوى عدالة الرجال اليوم لا يمكن أن يبلغ إلى مستوى عدالة الصحابة و التابعين لهم باحسان ، رضى الله عنهـــم ، إذا سلمنا هذا الأمر فهل يبقى لـــا أى مبرر لأن نترك الأحاديث التى رواهـــا الصحابة و التابعون و الذين جاؤا من بعـــدهم و كلهم متقنون عادلون ، و إن لم تبلغ تلك الأحاديث إلى حـــد التواتر ، مالـــكم كيف تحكمون ! تعتمدون على رجل واحد عادل فحسب فى قضايا الدنيا ولا تبالون بأنفسكم لأجل قول رجل واحد و تصممون العزم على ارتكاب أفعال محاطة بالخطر ، لـكن الصحابة لما رووا أحاديث النبى ﷺ و قد يبلغ عددهم إلى أربعة وخمسة - و إن

(١) نفس المصدر ص ٨٧٧ .

لم تبلغ إلى حد التواتر - ترفضوهـا قائلين إنها أحاديث لم تبلغ إلى التواتر (١) لا يجرؤ على هذا القول إلا من كان همه الوحيد عبادة الهوى و الرغبات ، و كان فى قلبه ميل إلى الهروب من أوامر الدين السمحة ، و الحقيقة التى لامراء فيها أن أخبار الآحاد هى حجة عند أهل الحق ، و قد أجمع عليها الصحابة (٢) .

أما قول المعترض « إذا صدقنا أى كتاب آخر . فهذا إشراك بالله » و هذا دجل منه واختلاق ، لأن الأقوال التى توجد فى صحيح البخارى وصحيح مسلم لوكانت من أقوال الامام البخارى والامام مسلم ويسلمها أهل السنة ويصدقونها كالقرآن فكان مثاراً لتلك الشكوك والشبهات التى أثارها ذلك الرجل ، لكن هذه الكتب دونت فيهـا أقوال الله و أقوال الرسول ﷺ ، فاذا كان الايمان بأقوال الله و أحاديث الرسول إشراكا بالله ، فيستحيل وجود التوحيد ، و إذ كان هـذا إشراكا بالله فلم أمر الله فى القرآن فى مواضع كثيرة باتباع الرسل . و الذين دونوا الأحاديث من الامام البخارى و مسلم أو ممن قبلهم من الصحابة أو التابعين فلم يكن أى فرق بينهم و بين زيد بن ثابت الذى جمع القرآن فى دفة واحدة و لكنه لم يدون اسماء الصحابة فى القرآن ، الذين كانت الآيات القرآنية موجودة عندهم وقت جمعه ، مع أن المحدثين دونوا فى كتب الأحاديث أسماء الرواة أيضاً ، فاذا لم يكن القرآن كلام زيد ابن ثابت و عثمان مع أنهما دوناه ، فكيف يكون صحيحا البخارى و مسلم من كلام الامامين البخارى و مسلم رحمهما الله تعالى ، و لو دوناهما فى مجموعة ، بل هذان الصحيحان يشتملان على قول الله و أحاديث الرسول ﷺ ، لكنه لا يعنى ذلك - و حاشا لله - أن المسلمين يقيمون لصحيح البخارى و صحيح مسلم وزناً مثل القرآن ، نعوذ بالله من ذلك ألف مرة ، ولكن مع هذا (يعنى ليست الأحاديث

(١) كل خبر إن لم يبلغ حد التواتر هو خبر آحاد فى اصطلاح المحدثين وإن تعددت رواته « نخبة الفكر ص ٢٥ »

(٢) راجعوا للتفصيل «الرسالة» للامام الشافعى ومقدمة فتح الملهم للعلامة العثمانى

الموجودة فيها كلها متواترة و ليست هى فى الدرجة كالقرآن) يثق المسلمون به كل الثقة ويؤمنون به للعمل ، ولا نجد أحداً من أولياء الله العلماء الراسخين فى العلم من ينكر حجية الأحاديث ، أما الأسماء التى أدرجها المعترض فهم إما متأثرون بالمستشرقين أو ليس لهم أى علاقة وثقة بالحديث - عدا ابن خلدون - وهم إما زعماء سياسيون أو مصلحون ، ومن المعلوم أن الكل فن رجالا كما أننا لا نقيم لرأى الطبيب وزنا ما فى تخطيط المبانى و لا نرى بأساً فى ترك قول المهندس فى وصف الدواء لأى مرض كذلك لا ينبغى أن نتجاهل هذه الحقيقة الثابتة فى أمور الدين .

وقد أسلفنا القول أن أبا رية يحذو حذو المستشرقين
ومن الافتراء السافر على ابن خلدون أنه لا يسلم الأحـ
إلا ستة أحاديث ، بل نرى عكس ذلك فى مقدمته ا
عن صحيح البخارى و صحيح مسلم أنهما أوثق كتب الأ
فصلا خاصاً به فى مقدمته فقال : فصل سادس فى علوم الحديث ، وجاء فيها فى حجية الحديث : « ومن علوم الأحاديث النظر فى الأسانيد ومعرفة ما يجب العمل به من الأحاديث بوقوعه على السند الكامل الشروط لأن العمل إنما وجب بما يغلب على الظن صدقه من أخبار الرسول ﷺ ، ثم يقول : وكان علم الشريعة فى مبدأ هذا الأمر نقلا صرفاً شمر لها السلف و تحروا الصحيح حتى أكملوها و كتب مالك رحمه الله تعالى كتاب الموطا أودعه أصول الأحكام من الصحيح المتفق عليه . . و جاء محمد بن إسماعيل البخارى إمام المحدثين فى عصره فخرج أحاديث السنة على أبوابها فى مسنده الصحيح . ثم جاء مسلم بن الحجاج القشيرى رحمه الله تعالى ، وألف مسنده الصحيح حذا فيه حذو البخارى فى نقل المجمع عليه وحذف المتكرر منها و جمع الطرق و الأسانيد و مع ذلك لم يستوعبا الصحيح كله » و بعد ذلك يعبر عن رأيه فى عامة المحدثين : « إن هؤلاء الأئمة على تعددهم وتلاحق عصورهم

(١) راجعوا للتفصيل السنة و مكانتها فى التشريع الاسلامى .

و كفايتهم و اجتهادهم لم يكونوا ليغفلوا السنـــة . . فأما البخارى و هو أعلاها رتبة ، ويكتب فى آخر هذا الفصل : « لأن الشروط التى اعتمدها البخارى ومسلم فى كتابيهما مجمع عليها بين الأمة . . و من أجل هذا ، قيل فى الصحيحين بالاجماع على قبولهما من جهة الاجماع على صحة ما فيهما من الشروط المتفق عليها فلا تأخذك ريبة فى ذلك (١) .

و تحدثت عن تأثير تلاوة ذلك الرجل بأن من ينصت لها يخشع لا محالة . فأقول فى هذا الصدد : إنه لاعبرة بكثرة التلاوة وتأثيرها العميق بل حذرنا رسول الله ﷺ من الفرقة الضالة المارقة عن الدين و بين علامتها فقـــال : سيخرج فى آخرالزمان قوم أحداث الأسنان سفهاء الأحلام . وفى رواية : قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم ، و فى رواية : يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم يقرأون القرآن ، و فى رواية : يتلون كتاب الله لينا رطباً ، لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية . فلا يوجد فيه شيء (٢) و بعد ذلك نقول : إن الله ضمن أن ينشئ فى كل مرحلة أمة صالحة تنفى عن الاسلام تحريف الغالين و انتحال المبطلين و تأويل الجاهلين (٣) .

و أخيراً نقول إنه لا بد لنا أن نعمل بهذه الآية الكريمة « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة و جادلهم بالتى هى أحسن » اللهم وفقنا لما تحبـــه و ترضاه و أرشدنا سواء السبيل « ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا و هب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب » .

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٤٤٥ مطبعة محمد .
(٢) صحيح مسلم كتاب الزكاة باب ذكر الخوارج .
(٣) راجعوا للتفصيل الأحكام لابن حزم ج ٤ ص ١٣١ ، أعلام الموقعين ج ٢ ص ٣٢٠ ، تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٣٩٣ تحت آية « و من يشاقق الرسول » و الموافقات للشاطبى ج ٢ ص ٥٨ .

دراسة موجزة عن الحاكم المثالى فى الادارة و التخطيط

الدكتور عماد الدين خليل

هنا ، فى ميدان الادارة ، يبدو البون شاسعاً بين الانقلابات العقدية الشاملة
و بين تلك التى لا تقوم على برنامج عقيدى أصيل شامل
و بين محترفى السياسة ، بين أولئك الذين يعتزمون
لا يعتزمون إلا أشياء تافهة محدودة لأنفسهم و محسو
عبد العزيز ، كما كان فى كل الجبهات ، و كما هو حال كل الذين يحملون مسؤولية
من المسلمين : حركة دائبة لتغيير كل الأوضاع و الانقلاب عليها ، و نصر طامح
تغطى رؤياه أبعاد العالم الاسلامى من حدود الصين إلى جبال البيرنيه و من أبواب
القسطنطينية إلى أعماق الصحراء الكبرى ، يعزل و يولى ، يهدم و يبنى ، و يصنع
المسؤولين الذين يتحملون الأمانة فى كل اقليم من أقاليم الدولة ثم هو لا يقف
عند هذا فحسب ، بل يظل ينظر - كجده العظيم - إلى هؤلاء المسؤولين بعينين
لا تغمضان ، يشد أعصابهم أبداً إلى الحق و العدل ، و يضع نصب أعينهم دوماً
شريعة الله ، و سعادة الأمة . إن عمر بن عبـــد العزيز هنا - كبطل من أبطال
التاريخ - لا تعجزه (الظروف الراهـــنة) ، و لا يصده ركام عقود طويلة من
أعمال و تقاليد الذين سبقوه ، و إن (البيروقراطية) هذا الغول الذى يجثم على
صدور أكثر الدول تمدناً وتحضراً ، ويكسر إرادة أشد الانقلابيين عزماً وتصميماً ،

هذه (البيروقراطية) سرعان ما تسلم قيادها ليدى، عمر المؤمنتين المساهرتين المريدتين . . و من ثم تعلو إرادته على الارادات ، و يصبح ما يعيد إلى الأمة ارتباطها الحقق بالله .

يبدأ عمر بن عبد العزيز الانقلاب من الداخل ، من أعماق البلاط ، ذلك الذى كان قد غدا منصة للخطابة ، و (سوق عكاظ) يجتمع فيها الشعراء ليعرضوا فنهم على الخلفاء ، يقدمون مديحهم و هجاءهم و يرتزقون . . و من حول هذا البلاط جدران و تقاليد وبروتوكولات فارسية وبيزنطية تحجب الخلفاء عن مطالب أمتهم و مشاعرها . يسد عمر الأبواب فى وجوه الشعراء المرتزقة (١) و يعود فيفتحها على مصراعيها أمام كبار علماء الأمة وربانيها كى يتدفق قلب الدولة الاسلامية أبداً بدماء الايمان ، وينبض دوماً بالروح التى صنعت هذه الأمة و بعثتها إلى العالم ، و كى يظل فكر عمر فى حوار دائم مع قادة الفكر وممثلى الأمة : يعلمهم ويعلمونه ، يوجههم و يوجهونه ، يستشيرهم و يشيرون عليه . و تلك هى طبيعة الخلافة الراشدة بما أنها تنبثق عن عقيدة و شريعة ، و تجابه ظروفاً و أوضاعاً حية متطورة ومن ثم يغدو اتصال الخليفة بكبار المتفقهين أمراً ضرورياً إذا ما أريد لدولة أن تحكم بما أنزل الله .

أما الجدران و البروتوكولات التى وقفت حائلا بين الخلفاء و جماهير أمتهم ، فقد أسقطها عمر بن عبد العزيز و فتح الطريق مباشرة إليه . إلى قلبه و وجدانه : أمام كل المظلومين و المرهقين و الباحثين عن فرصهم و مستقبلهم المشروع . ليس هذا فحسب بل إنه أعلن عن مكافأة مالية لكل مسلم يشد الرحال من مكان بعيد لكى

(١) عن أبعاد عمر بن عبد العزيز للشعراء المرتزقة و تقريبه للعلماء أنظر : ابن الجوزى : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٧٤ ، ٧٦ ، ١٦٦ ، ١٧١ .

يأتى دمشق و يقول للخليفة كلمة الحق أو يطالب برد مظلمة ! ! (١) .

ثم يخطو عمر الخطوة التالية . ها هو ، بعد أن فجر القلب بالدماء الحقيقــة الحارة ، يزيل كل السدود و الصمامات من شرايين الدولة لكى يصل إليها الدم : نقاً فواراً ، إلى كل أطرافها ، فيعيد إليها حيويتها ودفقها الايمانى العجيب وإن هذا لا يتم قطعاً ، إلا باقالة كل ولاة السوء الذين كانوا يقفون بين جماهير الأمة و بين أهدافها المشروعة ، و حقوقها العادلة ، وتشهد السنة الأولى من خلافة عمر (٩٩هـ) إجراءات واسعة النطاق فى هذا المجـــال : عزل يزيد بن المهلب عن العراق وجعله قسمين إداريين ، ولى أحدهما ـ و عاصمته الكوفة ـ عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ، و ولى الآخر ـ وعاصمته البصرة ـ عدى بن أرطأة ، وولى المدينة أبا بكر محمد بن عمرو بن حزم ، و مكة عبــد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، وخراسان وسجستان الجراح ابن عبد الله (٢) . و ... مسمع بن مالك عاملا من قبل عدى بن ارطأة ، ثم عزل و ولى عمرو بن مسلم الباهلى ، و ولى البحرين صالح بن حريث . عاملا من قبل عـدى بن ارطأة ، ثم عزل و ولى عبد الكريم بن المغيرة الباهلى ، و ولى عمان سعيد بن مسعود المازنى عاملا من قبل عدى ، ثم ما لبث عمر أن ولى من قبله ـ مبـــاشرة ـ عمرو بن عبد الله الأنصارى . و ولى اليمامة زرارة بن عبد الرحمن ، و أقر عروة بن محمد على اليمن و فى أرمينية و أذربيجان عين عبـــد العزيز حاتم بن النعمان ثم عزله و عين عدى بن عدى فقام هذا بتعيين سوادة أبا الصباح بن سوادة الكندى عاملا من قبله على الجزيرة العراقية وولى عمر دمشق عبد بن الحساس العذرى ، و حمص يزيد بن حصين السكونى و قنسرين الوليد بن هشام بن الوليد بن عقبة ، و الأردن

(١) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٣٧ .

(٢) الطبرى : تاريخ الأمم و الملوك ٦ ـ ٥٥٤ .

عبادة بن نسى الكندى ، و فلسطين النصر بن أبرهة بن الصباح ، و مصر أيوب ابن شر حبيل بن أبرهة بن الصباح . و أما أفريقية فقد ولى عليها أول الأمر عبد الله بن مهاجر (المولى الأنصارى) ثم عزله و ولى إسماعيل بن عبيد الله مولى بنى مخزوم (١) و فى الأندلس ولى السمح بن مالك الخولانى بعد أن اطمأن إلى دينه و أمانته (٢) .

و لم تقف هذه الاجراءات الادارية عند طبقة الولاة بل تعدتها إلى كافة الطبقات : قضاة و كتاباً ، و قادة حرب و عمال خراج و صدقات ، و قادة شرطة و حرس ، و حجاباً و اصحاب خاتم (٣) ففى القضاء اختار عمر العناصر التى تتميز بالفقه و الايثار العميق ، و الجرأة فى الحق ، فولى قضاء الكوفة عامراً الشعبى ، و قضاء البصرة الحسن البصرى ، غير أن الأخير طلب من والى البصرة إعفاءه من وظيفته كى يتفرغ لمهامه العلمية ، فأعفاه عدى و ولى مكانه أياس بن معاوية بن قرة المزنى (٤) . و ولى على قضاء المدينة عبد الله بن عبد الرحمن بن

(١) خليفة بن خياط : تاريخ خليفة ١ - ٣٢٩ - ٣٣٠ ، الطبرى ٦ - ٥٥٤ ، ٥٥٦ .
(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ٥ - ٥٥ .
(٣) خليفة بن خياط ١ - ٣٣١ ، - ٣٣٢ ، الطبرى ٦ - ٥٥٤ ، ٥٥٨ ، ٥٦٠ ، ٥٦١
(٤) الطبرى ٦ - ٥٥٤ . فى تاريخ خليفة خلاف عما أورده الطبرى فيما يتعلق بالقضاة حيث يذكر أن الذى تولى قضاء الكوفة هو القاسم بن عبد الرحمن ابن عبد الله بن مسعود ، وأما فى البصرة فيذكر أن عمر كتب إلى عامله : أن اجمع ناساً ممن قبلك فشاورهم فى أياس بن معاوية والقاسم بن ربيعة الجوشنى و استقض أحدهما . فجمع عدى ناساً فخاف القاسم أن اياساً أعلم بالقضاء و أصلح له منه ، فولاه عدى ! ! و ما لبث إياس أن غادر البصرة فى مهام خاصة فولى عدى الحسن البصرى على قضائها ١ - ٣٣٠ - ٣٣١) .

معمر (١) . و عين عمر على شرطته يزيد بن بشر بن يزيد الكلبى ، وعلى خراجه و جنده صالح بن جبير الغدانى ، و على خاتمه نعيم بن سلامة ، و على حرسه ابن أبى عياش الألهانى ، ثم عزله و استعمل عمرو بن المهاجر (مولى الأنصار) . و اتخذ ليث بن أبي رقية كاتباً له ، و حبيش - مولاه - حاجبا (٢) .

و يبدو جلياً من استعراض أسماء الولاة و القضاة و سائر الموظفين الذين اختارهم عمر بن عبد العزيز ، حرصه على الاعتماد على أكثر العناصر كفاءة و علماً و إيماناً و قبولا لدى جماهير المسلمين ، و لم يلزم نفسه أبداً بانتقاء [illegible] من حزب بنى أمية الحاكم ، بل على العكس تجاوز رجا[illegible]

[illegible] بعضهم من كفاءات إدارية ، رغبة منه فى كسر البيروقراطية الأموية ، والانفتاح على الصفوة من أبناء [illegible]

الامام الأوزاعى حواراً دار بين عمر وبين أشراف بنى أمية يؤكد رغبة الخليفة وعزمه على التزام هذه السياسة . فقد قال عمر لهؤلاء الأشراف يوماً أتحبون أن أولى كل رجل منكم جنداً ؟ فأجابه أحدهم : لم تعرض علينا ما لا تفعله ؟ ! فقال عمر : أترون بساطى هذا ؟ إنى لأعلم أنه يصير إلى بلاء وفناء وإنى أكره أن تدنسوه بأرجلكم ، فكيف أوليكم دينى ؟ أوليكم أعراض المسلمين و أبشارهم ؟ هيهات لكم هيهات ! ! فقالوا له : لم ؟ أما لنا قرابة ؟ أما لنا حق ؟ أجاب عمر : ما أنتم وأقصى رجل من المسلمين عندى فى الأمر إلا سواء ! ! (٣) .

إننا لا نجد ، خلال استعراضنا للقوائم الادارية ، آنفة الذكر ، سوى اسم

(١) خليفة بن خياط ١ - ٣٣١ .

(٢) خليفة بن خياط ١ - ٣٣١ - ٣٣٢ .

(٣) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ١٥٦ .

أو اسمين لموظفين من بنى أمية ، أما الآخرون جميعاً فقد تم انتقاؤهم اعتماداً على مقياس واحد لم يكن عمر ليفرط به ولو تخطفته الذئاب : التقوى والكفاءة حتى إن المسعودى يذكر - على وجه الاجمال - إن عمر صرف عمال من كان قبله من بنى أمية ، واستعمل أصلح من قدر عليه ، فسلك عماله طريقته (١) فذلك هو هدف عمر بن عبد العزيز أن يسلك عماله طريقته ، ومن ثم يتحقق فعلا البرنامج الانقلابى الذى جاء به يوم تولى الخلافة ، مستمداً من القرآن والسنة وتسرى الثورة إلى الأقاليم .

من أجل هذا أدرك عمر بن عبد العزيز مدى الخطورة التى تتعرض لها ثورته هذه بتسنم عناصر غير إسلامية بعض مناصب الدولة الادارية ، و أسرع باصدار منشور عممه على سائر عماله جاء فيه « . . إن المسلمين كانوا فيما مضى إذا قدموا بلدة فيها أهل الشرك يستعينون بهم لعلمهم بالجباية و الكتابة و التدبير ، فكانت لهم فى ذلك مدة فقد قضاها الله بأمير المؤمنين فلا أعلم كاتباً و لا عاملا فى شئ من عملك على غير دين الاسلام إلا عزلته و استبدلت مكانه رجلا مسلماً . . فافعل ذلك و اكتب إلى كيف فعلت » (٢) وفى منشور آخر عمم أيضاً على العمال ، وضح عمر أهداف منشوره الأول بعزل غير المسلمين جاء فيه « . . . إن الله عز وجل أكرم بالاسلام أهله و شرفهم و أعزهم ، و ضرب الذلة و الصغار على من خالفهم ، وجعلهم خير أمة أخرجت للناس فلا تول أمور المسلمين أحداً من أهل ذمتهم و خراجهم (٣) فتبسط عليهم أيديهم و ألسنتهم فتذلهم بعد أن أعزهم

(١) مروج الذهب ٢ - ١٦٧ ، ١٦٨ ، حسن إبراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى ١ - ٣٢٩ - ٣٣٠ .

(٢) ابن عبد الحكم : سيرة عمر ص ١٥٨ - ١٥٩ .

(٣) ربما يقصد بهم موظفى الخراج من الفرس و غيرهم الذين بقوا على دياناتهم القديمة

الله ، و تبيتهم بعد أن أكرمهم الله تعالى ، و تعرضهم لكيدهم والاستطالة عليهم ، و مع هذا فلا يؤمن غشهم إياهم ! ! فان الله عز وجل يقول (لا تتخذوا بطانة من دونكم ، لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم) (و لا تتخذوا اليهود و النصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض) » (١) .

إن التجانس العقائدي بين جميع المشرفين على مناصب الدولة و العاملين في أجهزتها الحساسة ، أمر لازم لتحقيق البرنامج الاداري الذي اعتزم عمر تنفيذه ، و الذي أقامه على قاعدتي القرآن و السنة ، فضلا عن أن هذا الاجراء أمر بديهي في كثير من الدول التي تسعى إلى تحقيق انقلابيتها و[illegible]
مستقلة . فان وجود عناصر غير متشبعة بالمفاهيم الاس[illegible]
على أهـداف الانقلاب . فكيف بوجود عدد من ال[illegible]
وأن يؤدي إلى عدد من النتائج العكسية التي استعرضها [illegible]

لم يكتف عمر بعزل الولاة و الموظفين السابقين و توليه آخرين يعتمد عليهم في تنفيذ أهدافه الشاملة ، بل وضع هؤلاء جميعاً تحت مراقبة شديدة دائمة كي يظلوا يحملون مسؤليتهم إزاء الأقاليم و الأعمال التي ولوا عليها ، و كي لا تصاب بعض أنحاء الدولة بالشلل من جراء توقف عمالها عن اللحاق بالخطوات الواسعة التي كان عمر يقطعها صوب الامام ، و يحرص على ولاته أن يقطعوها ! ! فلم تمض سنة و خمسة أشهر على توليته للجراح بن عبد الله على خراسان حتى أصدر أمره بعزله وتعيين عبد الرحمن بن نعيم القشيري . و كان أحد الموالي قد شخص إلى الخليفة في دمشق و قال له :

— يا أمير المؤمنين : عشرون ألفاً من الموالي يغزون بلا عطاء ولا رزق ،

(١) ابن الأثير : الكامل ٥ / ـ ٦٦

و مثلهم قد أسلموا من الذمة يؤخذون بالخراج (١) ، و أميرنا عصبى جاف يقوم على منبرنا فيقول : أتيتكم حفياً ، و أما اليوم عصبى ! و الله لرجل من قومى أحب إلى من مائة من غيرهم . . .

كان هذا المولى أحد أعضاء ثلاثة فى وفد طلبه عمر من خراسان ليطلع منه على جلية الأخبار ، أما العضوان الآخران فكانا عربيين ، و كانا قد تكلما والآخر ساكت . و يلاحظ عمر صمته فيلتفت إليه :

— أما أنت من الوفد ؟

— بلى .

— فما يمنعك من الكلام ؟

و أما أن ينهى المولى كلامه — آنف الذكر — حتى تكسو وجه عمر ملامح البشر و الارتياح و يعلن « إذن مثلك فليوفد ! ! » (٢) . إنه يريد من يطلعه على ما يجرى فعلا فى الأقاليم ، دون مواربة أو ريب أو خداع ، ثم هو يريد هذا من أحد المظلومين أنفسهم ، لكى يدرك من كلام المظلوم و وجدانه المحزون المدى الأخير لما يلحق بعض جماهير أمته من أذى على أيدى ولاته ، ومن ثم لكى يتخذ الاجراء السريع الذى يغطى هذا المدى .

و يسرع عمر — دون ابطاء — فيكتب إلى الجراح : « أنظر من صلى من قبلك إلى القبلة فضع عنه الجزية » و يلتفت إلى حاشيته و مستشاريه :

— ابغونى رجلا صادقاً اسأله عن خراسان (أى أوليه إياها) .

(١) يعنى — هنا — الجزية ، وكثيراً ما يرد عدم التفريق هذا بين الجزية والخراج فى عدد من المصادر ، ولكن يتضح من سياق الكلام ما المقصود بكل منهما

(٢) الطبرى ٦ — ٥٥٨ — ٥٦٠

فيعرضون عليه مجموعة من الأسماء ، فيقع الاختيار على اثنين منهم ، و يعزل الخليفة عامله السابق ، و يكتب إلى أهل خراسان « إنى استعملت عبد الرحمن بن نعيم على حربكم و صلاتكم ، وعبد الرحمن بن عبد الله القشيرى على خراجكم ، من غير معرفة منى بهما و لا اختيـــار ! ! إلا ما أخبرت عنهما فإن كانا على ما تحبون فاحمدوا الله ، و إن كانا على غير ذلك فاستعينوا بالله » (١) هذا ، ثم إن الجراح ، لم يحتاب منصبه يوماً لمصلحة خاصة ، حتى إنه عندما ترك خراسان ، خطب أهلها قائلا « يا أهل خراسان جئتكم فى ثيابى هذه التى عليَّ . . . أصب من مالكم إلا حلية سيفى » (٢) . و لكن ا...

يبحث عن الحق والعدل فى كل مكان ، كان بامكانه أن كل مكان ، حتى ولو لم يكن ظلماً مباشراً ، كان يعتبر الشخصى . فهناك أنواع أخرى لا يحصيها العد من الظلم ، و هذا الوالى رغم أنه لم يفد شخصياً من ولايته ، إلا أن عصبيته لقومه ، و حرصه غير العادل على مصلحة مالية الدولة ، جعلت عمر يسرع إلى عزله لما فى سلوكه هذا من مساس بالقيم التى كان عمر يكافح دونها .

إن أخوف ما كان يخافه عمر - و هو يطارد الظلم كى يزيحه من على وجه الأرض و من أعماق النفوس - هو أن يسلك موظفوه أساليب البطش و التنكيل و الارهاب الذى يقتل النفوس و يميت فيها كل معانى الحرية و التطلع المفتوح إلى الآفاق التى جاء الاسلام بثورته التحريرية الشاملة ، لكى يوسع مداها فى عالم الانسان الداخلى و فى أرضه و سمائه . . إن الكبت و الاذلال اللذين طاردهما عمر بن

(١) الطبرى ٦ ٥٦٠ ٥٦١

(٢) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

الخطاب خوفاً على الأمة الاسلامية أن تذل و تتنازل عن أهدافها الكريمة يعود حفيده - اليوم - كى يستمر فى مطاردتهما لاكمال هدف جده العظيم ، و يغسل ضمائر الناس من كل ما من شأنه أن يحيطها برين من الحس الثقيل و الخوف ، و هل أقدر من الاذلال والارهاب على سحق وجدان الناس وضمائرهم و إحاطتهما بهذا الحس الثقيل و هذا الخوف ؟ !

ويتلقى عمر يوماً رسالة من عامله على خراسان يقول فيها « إنى قدمت خراسان فوجدت قوماً قد ابطرتهم الفتنة فهم ينزون فيها نزواً ، احب الأمور إليهم أن تعود (أى الفتنة) ليمنعوا حق الله عليهم ، فليس يكفهم إلا السيف والسوط ، و قد كرهت الأقدام على ذلك إلا باذنك » و يجيبه الخليفة « يا ابن ام الخراج ، أنت أحرص على الفتنة منهم ! ! لا تضربن مؤمناً ولا معاهداً سوطاً إلا فى حق ، واحذر القصاص فانك صائر إلى من يعلم خائنة الأعين و ما تخفى الصدور ، وتقرأ كتاباً لا يغادر صغيرة و لا كبيرة إلا احصاها » (١) و كتب إلى العامل نفسه ، بعد أن أبلغه هذا عن قيامه بتعيين أحد العمال المشتهرين بالارهاب « لا حاجة لى برجل قد صبغ يده بدماء المسلمين ، أعزله » (٢) وكان عمر يمنع من تولية أى موظف تكشف سجل أعماله الماضية عن كونه مارس ظلماً و إرهاباً (٣)

(١) الطبرى ٦ - ٥٦ - ٥٦١

(٢) ابن الجوزى ص ٨٦

(٣) المصدر السابق ص ٨٩

القانون الاسلامى و تدوينــــه الجديد

الأستاذ منظور احمد محاضر فى قسم العلوم الاسلامية
بجامعة الزراعة فى فيصل آباد - باكستان
تعريب : سرفراز عالم

القانون توجيه من الله للانسان يشمل الحياة بأسرها
الاسلامى للقانون ، و من أجل ذلك فان مفهوم الاسلا
بالنسبة إلى تصور القانون لدى الغرب ، فالفكر والأخلاق
المجتمع وضوابط الأسرة و التعامل الدولى و المعاملات
مصدر واحد وتكيفه توجيهات الاسلام ، وكل هذه التوجيهات تتكون بجملتها قانوناً يطبق الأفراد على الحياة قسطاً منه و قسطاً آخر ينفذه المجتمع عن طريق تقاليده الاجتماعية و طقوسه الجماعية ، وقسطاً منه تنفذه الحكومة بواسطة محاكمها وقضاتها و أجهزتها الادارية ، غير أن كل جزء من أجزائه يعبر عن القانون ، و قد أشار الدكتور محمد إقبال إلى هذه الحقيقة فى إحدى رسائله ويقول : إن العصبية الفردية و الجماعية لكل منهما حدود معينة فى الاسلام و هى التى يعبر عنها « بالشريعة » ، و لذلك فيرى كل مسلم أن التجاوز عن هـذه الحدود سبب للخسارة و أن العمل فى حدودها يتكفل الفوز و الفلاح كما أن التعدى عن الحدود يحدث صراعاً والمسلم ما دام مسلماً لا يستطيع إنكار القيمة القانونيـــة لأى جزء من أجزاء القانون الاسلامى (١) .

(١) رسالته إلى القاضى نذير أحمد ، إقبال نامه ص ٢٤٠ .

القانون الاسلامی و القانون الانسانی و الفرق بينهما :

١ـ القانون الانسانی لكی يكون قانوناً يبتنی وينحصر كلياً علی أن شيخ القبيلة أو كبيرها قد وافق عليه أو عملت به محكمة أو سلمته دولة ، و بدون ذلك فان مكانته القانونية تتلاشی و تنتهی ، و لكن من عكس ذلك فان القانون الاسلامی لايحتاج إلی شئ من مثل هذا ، ولايضطر إليه للابقاء علی مكانته القانونية والتشريعية ، إنه فی كل حال قانون سواء اعترفت أم لم تعترف به محكمة ، وخضعت أم لم تخضع له حكومة .

٢ـ إن القانون الانسانی لا يتمتع بجانب من الاحترام والتقديس ولا يكون جزءاً من إيمان المرء ، ولايتصور المرء فی شأنه أن الذی منحه هذا القانون لايخفی عليه طاعة أو معصية ، و لا يعتقد فيه أن الخضوع له يضمن الجنة و معارضته تؤدی إلی جهنم ، و بالعكس من ذلك فان القانون الاسلامی له قدسيته و إجلاله لكونه من عند الله عز وجل . وهو كذلك جزء من إيمان المسلم ، وهو الذی لايصلح و لا يصح إيمانه إلا بالاعتراف به و الاعتقاد فيه والعمل بمقتضاه ، إنه يعتقد فی الذی منحه هذا القانون أنه عليم بذات الصدور ، و خبير بأسراره ، و كذلك كل مسلم يعتقد أنه لا ينال رضا الله سبحانه بدون الايمان والاعتراف به .

٣ـ إن الصورة الأصيلة للقانون الانسانی هی صورة سلبية فحسب ، فالشئ الذی يسبب وجوده ـ كما يعتقد خبراؤه ـ هو أن يصرف الناس عن الاعتداء والتعدی علی غيره و يضع عليهم الحد لكی يمتنعوا عن التطاول و الافساد فی المجتمعات الانسانيـــة ، و إن هذا القانون لا حاجة إليه أصلا إذا لم يكن هناك شئ من هذا النوع . أما القانون الاسلامی فانه لا يهـــدف إلی وضع الحد علی التطاول والافساد فحسب ، و ليست غايته هی كف الناس عن التعدی و التجاوز عن الحد بل هدفه الأصيل

هو هداية الناس وإرشادهم وتوجيههم إلى الله ، وهو يدعى أن الانسان لايستغنى عنه فى بناء حياته الجماعية والفردية ، لذلك فان دور القانون الاسلامى فى إصلاح أحوال الحياة وتحسينها إيجابى أكثر من أن يكون سلبياً ، وإن الدولة الاسلامية مسئولياتها فى الجانب القانونى أهم و أوسع بالنسبة إلى الدول الغير المسلمة الأخرى .

٤- الحقوق الانسانية تبتنى فى الأصل على العرف و التقاليـــد و العادات ، فالأمور التى نالت رواجاً فى الأسرة وتعودتها القبيلة حلت محل القانون لدى الضرورة ثم امتزجت به النظريات العلمية و الفلسفية مع تقدم الزمن . ولـكن مواده الدائمة تشمل التقاليد العائلية و القبلية وعصبياتها و نظراتها الص

فزعموا أن القانون الانسانى منذ أواخر القرن الثامن

و المساواة و الانسانية الشاملة و يعنى ذلك أنه لا ير

مستقبله مجهول ، و لـكن القانون الاسلامى يقوم منذ بدايته ونوبن نوعه على أساس الفطرة الانسانيـــة و على هـدى من الله و ليس فيـــه تدخل النزعات و العادات و العصبيات العائلية والجاهلية ، و إذا كان فيه شئ من أثر التقاليد فى جانب معين و ناحية محدودة و بشرط أن لا يعارض ذلك هدى الله و رسوله ، كما أن ماضيه و حاضره يرتبطان برباط وثيق مع خطوط واضحة و طرق معينة فى مستقبله ، و المرحلة التى يتمناها القانون الاسلامى من العدل و المساواة و الرحمة و العطف أن يتوصل إليها إنما هى مرحلته الأولى والأخيرة

٥- الوحدة والانسجام من خصائص القانون المطلوبة إذ لا يمكن بدون ذلك أن يتحقق غرضه الأصيل من إقامة العدل ، و لـكن القانون الانسانى ، ليس فى طبيعته وحدة و انسجام ، أما ما يتراءى فيه بعض آثار الوحـــدة و الانسجام ، فليس ذلك إلا من تفاعل مصالح الدولة كشئ صناعى . كما تحاول المؤسسات الدولية

إزالة الفروق و الخلافات من القوانین الوضعیة لکی یحل محلها انسجام و وئام .

الفقه الاسلامی و جموده :

لما تضاعف أثر الغرب العلمانی فی القرن الثامن عشر و عظم خطبه و تفاقم أمره فی المسلمین إلی مدی کثیر جعلهم یرکنون إلی القوانین الغربیة ویتخذونها أساساً لتشریعهم ، فکان ذلك أکبر سبب لجمود الفقه الاسلامی و دخل القانون الانسانی الوضعی - عدا منطقة محدودة - فی کل ناحیة من نواحی الحیاة الاجتماعیة والسیاسیة ، والدول الاسلامیة التی استتب فیها للغرب أن یحکم بقیت فیها القوانین الاسلامیة بصورة ضئیلة تدرس فی فصول الجامعات و المدارس الاسلامیة فحسب ، ولا شك فعندما تعود الطبائع مغلولة إلی هذا الحد مات لدیها کل نشاط لعلم القوانین الاسلامیة و تعلمها فضلا عن ذوق الاجتهاد فی المسائل و المشکلات المتجددة .

٢- السبب الثانی أن منهاجنا التعلیمی و نظامنا الدراسی توزع إلی قسمین :

ا- إن الأحکام لأحاب نظراً إلی احتیاجاتهم و مواصفاتهم أسسوا مدارس و جامعات و معاهد تمثل نظریاتهم ، فجعلوا یدرسون فیها تلك العلوم المعترف بها لدیهم ، أو تلك العلوم التی احتاجوا إلیها ضرورة .

(ب) و بجانب آخر کان رجال غیاری علی دینهم وفکرهم الاسلامی استرعی انتباههم تراثهم الاسلامی فتمسکوا بمدارسهم القدیمة ، و کانت الجامعات و المدارس العصریة تزدری التدریس للعلوم الاسلامیة کما أن العلوم الحدیثة العصریة کانت محرمة فی المدارس القدیمة ، و إذا وجدت بعض العلوم الاسلامیة مکاناً - بعد جهود جهیدة بذلت - إلی المدارس الحدیثة فلم یکن لها وزن ما ،

و لذلك لما قامت حرکة إصلاح المدارس الاسلامیة و تطویر مناهجها دخلت فیها بعض العلوم الحدیثة کالانکلیزیة مثلا حیث کانت مجفوة لدی علمائها وطلابها ،

فأنتج ذلك أنهم لم تبحروا فی العلوم الاسلامية و لم يعرفوا الأفكار الحديثة ، ومع ذلك فان السيطرة الأجنبية و عناية الحكومة بالمدارس جعلتهم فی تضايق حتی إن العلوم و الفنون التی ارمعوا علی تدريسها و تعلمها لم يتمكنوا من ذلك نظراً إلی الأوضاع المالية السيئة فضلا أن يهتموا بتدريس العلوم الحديثه ، فنتج من ذلك أن الذين تخرجوا من المدارس الحديثة العصرية صاروا لاعلاقة لهم بالدين ، و الذين تخرجوا من المدارس الاسلامية القديمة تخرجوا غافلين عن مايحيط بهم من أوضاع العالم المعاصر ، و لعل أحداً من هؤلاء المتخرجين لم تتوفر فيه الشروط اللازمة للاجتهاد بكاملها

٣- أضف إلی ذلك أن التحزب الفقهی والعصبية فی شتی جماعات الفقه قد باءت بضرر عظيم ، و من كل جماعة و قصرت الحق فی مذهبها الفقهی و رفضت التدبر و التفكير و النظر فی آراء العلماء الاجتهادية فی ضوء براهينهم و دلائلهم ، و امتنعوا عن مجال التمييز بين الصحيح و السقيم رغم أن أئمتنا هم الذين أكدوا مثل هذا البحث و التحقيق و التنقيب و الانتقاد .

و هنا نتساءل ، لماذا حدث هذا ؟ فان من أسباب ذلك أنه لما أصيب النظام الاسلامی بالانحطاط و الاضمحلال ندر وجود رجال أكفاء فی ميدان الاجتهاد بينما كان العصر الراهن يحتم أن يوجد هناك علماء كبار ذووكفاءات علمية و فكرية واجتهادية ، إلا أن النظام التعليمی المعاصر كان عقيماً و عاجزاً عن إنجاب أمثالهم .

٤- و كذلك من أسبابه انحطاط المسلمين خلقياً ، و بهذا الانحطاط الخلقی و التدهور الفكری لازم الأذكياء وذوو الكفاءات بلاط الأمراء والحكام فاجتهدوا و أصدروا فتاواهم إرضاء لحكامهم و تحقيقاً لأغراضهم ، و لو كان هؤلاء الناس يتمتعون بالسمو الخلقی مع الذكاء النادر والفكر المجتهد لأقبل عليهم المسلمون ووحدوا

فيهم الثقة للاجتهاد و الفتيا ، و لكنهم لما رأوا أن العلماء يبيعون دينهم بثمن بخس دراهم معدودة رووا سلامة العقيدة و النجاة فى الاقتناع بالتقليد بدلا من الاجتهاد فى ضوء الكتاب و السنة .

القانون الاسلامى و تدوينه الجديد :

لا بد من مراعاة بعض الأمور والنواحى فى تدوين القانون الاسلامى وترتيبه من جديد و هى كما يلى :

١- خلق روح المداراة و المرونة بين الجماعات كلها من أهل السنة لكى تكون عملية تدوين القانون الاسلامى نافعـــة عامة ، و يرفض الناس أن يتكلموا حول مصطلحات الفقه من الحنفى و الشافعى و أهل الحديث ، لأن الفقه كله سواء كان فقه الامام أبى حنيفة أوفقه الامام الشافعى أوفقه الامام مالك أوفقه الامام أحمد بن حنبل ملك مشاع بين الأمة كلها و هؤلاء الأئمة بأجمعهم أئمـــة الجميع ، فلا ينبغى أن نتعصب لهـــم أو عليهم بغير حق ، و الطريق المستقيم فى ذلك أن ننظر فى اجتهاداتهم وآرائهم فى شتى المسائل ، وأى إمام نرى اجتهاده أكثر ملاءمة للكتاب و السنة و موافقتهما ، و أكثر مناسباً وملائماً للاوضاع و الظروف و مصالح الأحوال تمسكنا به ، فلم يوجه الاسلام أتباعه فى المسائل الاجتهادية إلى تقليـــد الامام أبى حنيفة أو اتباع الامام الشافعى ، بل هـــدانا إلى الاجتهاد الذى ينسجم مع الكتاب والسنة ، الأمر الذى أكده أولئك الأئمة العظام الكرام ، فان أخذنا هذا المأخذ و انتهجنا هذا المنهج فى تدوين القانون و سلكنا هذا المسلك فى ترتيبه من جديد عدنا من ذلك بفوائد عدة ، أولها ـ أن قانون بلادنا لا يقوم على فقه معين بل يبنى على مصادر القانون الاسلامى . وثانيها ، أن هذا القانون يعتمد عليه كل مذهب من المذاهب الفقهية ويثق به ويمده فى شئونه ، وثالثها : أننا سوف ننجح فى وضع دستور شامل لمتطلبات العصر الراهن و مقتضيات الزمن المعاصر بأحسن طريق ، و رابعها ـ أننا نظفر بتطهير مجتمعنا ومنهج حياتنا من العصبيات المذهبية وفسادها .

٢- و يجب أن لا يفوتنا و لا يعزب عن بالنا فى كل مرحلة من مراحل

التدوين أن تعبيرات القرآن و السنة التى كان يعتمد عليها المسلمون ، هى التى يبتنى القانون الاسلامى عليها ، فان أحدث أحد من عنده تعبيراً لا يقبل أبداً ، و إن أراد أن يفرضه عليهم بقوة يجر ذالك ضرراً كبيراً عليه ولاحرج فى الاعتماد على تعبير جديد لأمر مستحدث ، ولكن الكل أمر رجال فلا يتضلع به كل شخص . فالعمل الذى قام به الامام مالك والامام أبو حنيفة لا يستطيع أن يقوم به كل شخص ، وكيف يثق فيه الناس لأنهم لم يقلدوا هؤلاء الأئمة تقليداً أعمى ، بل إنهم كانوا على جانب أوسع من العلم والفقه والفطرة الدقيقة والاطلاع الواسع على أسرار الدين وأحكام الكتاب والسنة وتفسير معانيهما وحل مشكلاتهما وفتح مغالقهما ، الذى تشهد له أعمالهم و مآثرهم ، و إنما السلامة لنا أن نتبع السلف الصالح .

و أعنى بذلك أن نسعى أن لا نخرج عن اجتهاداتهم

اجتهدوا أو حققوا فيها .

٣- غير أن المسائل و القضايا و المعاملات التى

من السلف الصالح ، فالأحسن فيها أن نجمع ما أصدرت حولها من فتاوى و آراء العلماء الموثوق بهم فى شتى الدول ، فكل ما وجدناه أوفق للكتاب و السنة وأقرب إليهما وأكثر قوة مدعمة اخترناه ، وقد بدأت تواجهنا الآن بعض القضايا والمشكلات التى لاتزال تتفرق آراء العلماء واجتهاداتهم فيها . فالأحسن أن نجمع معلومات لازمة للتفكير فيها ، وذلك عن طريق لجنة مؤلفة من العلماء و الفقهاء الأكفاء ، و تكون هذه اللجنة مسئولة عن البحث و التحقيق فيها وسيكون ذلك عوناً كبيراً فى تدوين القانون الاسلامى و وضعه من جديد .

٤- إن الأحكام و الأمور و القوانين التى تبتنى على العرف و المصلحة تتغير حسب تغير الأوضاع و الظروف و المقتضيات ، فتحدث مرونة فى القانون الاسلامى حسب مقتضيات الوقت المتغير و الوضع المتطور فكما أن تطوير الفقه الاسلامى أساساً خطاء عظيم كذلك تجميد القانون و الفقه الاسلامى من الأخطاء الشائنة التى لا تغتفر .

شكوى إلى رمضان

الشاعر اليمني الاسلامي حسن الداري

رمضان فاجأت الوجود بدعوة	الوحي فيها مشرق بسام
فغدوت تاريخاً مجيداً للهدى	إذ أشرقت بجلالك الأعوام
رمضان واقعاً يجسم محنة	عجزت عن استقصائها الأقلام
رمضان واقعاً يسود وجوده	قلق سرت في طيه آلام
قد جئت يا رمضان بالدرس الذي	لو أتقنوه لما عرت أتعاب
لكنهم جحدوا الحقيقة وبحبهم	فطغى على فهم اليقين حجاب
من غفلة نسج الجحود نقابها	وبغفلة الحس البليد نقاب
تقمص الشهوات في تربيه	فإذا الجحود شقاوة وعذاب
أملي على الدنيا حقيقة حلمه	فتلت روائع حلمه الأحقاب
الله فوقها التي لا تنتهي	آثارها وبها يعز جناب
للمسلمين فإنهم قد أصبحوا	شيعاً تعوث بأرضهم أذناب
ممن يحدثهم ضلال عدونا	فإذا بهم قد جمعوا وأجابوا
غرسوا بهم خطر ارتداد فادح	فتعاظمت أخطارهم مذ غابوا
عن دينهم حتى غدوا ألعوبة	وغدت موارد أرضهم أسلاب
للعاصمين بكل قطر طالما	أصباه من عدوانهم إرهاب
فإلى رحاب الله عودوا واهتدوا	بالوحي فهو المنقذ الغلاب

المرأة قبل الاسلام و بعده

— ٦ —

الأستاذ سعد بن عبد الله سيف الحاتمى

و عنه ﷺ أنه قال : تستأمر اليتيمـــة فى نفسها ، فان سكتت فهو أذنها
و إن أبت فلا جواز عليها (رواه أصحاب السنن)

عن خنساء بنت حدام الأنصارية رضى الله عنها

فكرهت ذلك فأتت رسول الله ﷺ فرد نكاحها (رو

جاءت فتاة إلى النبى ﷺ وقالت : إن أبى زوجنى

فجعل أمرها إليها فقالت : قد أجزت ما صنع أبى ، و لكن أردت أن تعلم النساء
أن ليس للآباء من الأمر شىء (رواه النسائى)

و جاءت جارية بكر إلى النبى ﷺ فذكرت أن أباها زوجها و هى كارهة
فخيرها النبى ﷺ « رواه أبو داود »

إن الأحاديث النبوية الشريفة التى ذكرناها آنفاً و غيرها تدل على ما أولاه
الاسلام من اهتمام لكرامة المرأة المسلمة أنها لا تزوج إلا بعد إذنها و موافقتها
و إلا فيمكنهـا أن تفسخ ذلك الزواج ، قد راعى العلماء مسألة مهمة فى هذا ،
و هى مسألة البنت الصغيرة التى لم تجرب الحياة فيها لمصلحتها و للمصلحة العامة ، فقد
قال بعض العلماء أن لولى أمرها الحق فى ترغيبها على الموافقة أو إجبارها إذا اقتضى
الأمر ذلك ويذهب آخرون فيقولون إن العقد يكون معلقاً فى صحته على رغبتها بعد
البلوغ .

قوامة الرجل

لكل من الرجل و المرأة حقوق و واجبات نحو الآخر ، اللهم إلا فى شئ واحد ألا و هو المسئولية أو الرئاسة ، يعتبر الاسلام الرئاسة شيئاً طبيعياً فى كل منحى من مناحى حياة الانسان الطبيعية و فى الحياة الاجتماعية خاصة (١) .

و قد حث الاسلام أتباعه على الرئاسة فى كل ما يقوم به المسلمون من أعمال فنراه يأمرهم إذا اجتمع مسلمان للصلاة أن يؤم أحدهما الآخر .

و الرجل قوام الأسرة أى حاكم الأسرة و راعيها و مراقب أخلاقها وشئونها وواجب الطاعة له من جميع أفرادها إلا أن يأمرهم بمعصية الله ورسوله ، ثم هو مكلف بإعالة الأسرة و تزويدها بحاجات حياتها : « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم ، فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله ، و التى تخافون نشوزهن فعظوهن و اهجروهن فى المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا . إن الله كان علياً كبيراً » (الآية ٣٤ من سورة النساء) .

عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ أنه قال : كلكم راع و كلكم مسئول عن رعيته ، والأمير راع و الرجل راع على أهل بيته و المرأة راعية على بيت زوجها و ولده ، فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته (رواه البخارى) .

(١) و نجد مصداق هذا جلياً فى حياتنا اليومية ، إذ نجد الرؤساء فى كل شئ ، وإن اختلفت المسميات ، فالأصل واحد والمضمون واحد ، ومن تلك الأسماء السلطان و الملك و الرئيس و الشيخ و الوزير و الوكيل و المدير و المشرف و القائد و العقيد و الرائد و المرشد و الامام و الناظر و الملاحظ و غيرها . إلخ .

يروى عن النبى ﷺ أنه قال ما معناه: إذا خرجت المرأة من بيتها، وزوجها كاره لعنها كل ملك فى السماء وكل شئ مرت عليه غير الجن والانس حتى ترجع: لا طاعة لمن لم يطع الله (رواه أحمد).

و هكذا نظمت الأسرة على أن يكون لها راع و صاحب أمر مطاع و من حاول أن يحل تنظيم الأسرة هذا فيتوعده النبى ﷺ بقوله من أفسد امرأة على زوجها فليس منا (١).

يقول الأستـــاذ عباس محمود العقاد فى كتابه : المرأة فى القرآن : المرأة فى القرآن أحد الجنسين الذكر و الأنثى من نوع الانسان و
النساء و الجنسان سواء و لكن للرجال على النساء درجة
و القوامة هنا مستحقة بتفصيل الفطرة ثم بما فرض
الانفاق على المرأة وهو واجب مرجعه إلى واجب الأفضل لمن ...
مرجعه إلى مجرد إنفاق المال و إلا لامتنع الفضل إذا ملكت المرأة ما لا يغنيها عن نفقة الرجل أو يمكنها من الانفاق عليه.

و حكم القرآن الكريم بتفضيل الرجل على المرأة هو الحكم البين من تاريخ نبى آدم منذ كانوا قبل نشوء الحضارات و الشرائع العامة و بعد نشوئها (٢)

نجد فرقاً كبيراً بين المرأة و الرجل فى الكتابة و القدرة على القيام ببعض الأعمال إذ نجد أن المرأة تتقن بعض الأعمال أكثر من الرجل و فى نفس الوقت نرى الرجل يظهر مهارته على أعمال أخرى أكثر من المرأة ، و هذا شئ طبيعى إذ جعل كل من الرجل و المرأة على القيام ببعض الأعمال دون الآخر و توحد

(١) أبو الاعلى المودودى : الحجاب ،

(٢) عباس محمود العقاد : المرأة فى القرآن

هناك أعمال مشتركة يقوم بها كل من الرجل و المرأة على حد سواء .

هل فكر أصحاب السموم الخبيثة الذين يقومون بيننا قائلين : إن المرأة تخلفت فى الكفاية و القدرة بسبب أثرة الرجل و استبداده ؟ إن سبب الكفاية لا يعود إلى القوة الجسدية فحسب و إن الأمر لا تقاس بالنصيب المشترك بل تقاس بالغاية التى لا تدرك و بالقاعدة الأعم و بالغايات القصوى .

قد خلق الله الذكر و الأنثى و خلق فيهم هذه الرغبة و جعل أحدهما يريد و الآخر يتقبل و على وجود هذه الرغبة بين الذكر و الأنثى ، فاننا نلاحظ أنها بالارادة أو الدعوة ، و إنما يصدر ذلك من الذكر بعد أن تتعرض الأنثى له أن الشهوة الجنسية تنتهى بالرجل إلى الضراوة و السيطرة وتنتهى بالمرأة إلى الاستسلام و الغشية (١)

و علاوة على هذا يجب أن لا ننسى مسألة الحمل : تسعة أشهر يليها الرضاع عامين كاملين ، ثم حمل فرضاع ، و ما يترتب عليها من مشاكل .

قد يقول قائل : يبدو أن للرجل فى الاسلام حقوقاً أكثر مما هى لدى المرأة كما قيل فى القرآن فى إحدى الآيات التى ذكرتها سابقاً . « وللرجال عليهن درجة »

بعد كل ما ذكرت لك يا هذا تعود فتقول مثل هذا الكلام ؟ لا بأس ويبدو أن سموم أعداء الاسلام و خاصة الجاهلية الحديثة قد أثرت فيك ، إن الاسلام قد منح هذه الدرجة أوالقوامة للرجل لسبب الاعالة و الحماية ، وذلك لسبب الخلافات الطبيعية بين الجنسين إن الجنس الذى يطلق عليه الجنس اللطيف و الضعيف أقول إنه قد أصاب لب الحقيقة من أطلق هذه التسمية أنه جنس ضعيف حقاً و يكفيها هذا شرفاً و يكفيها مثوبة الرد على من يزعم أن الاسلام يهضم حقها بأن جعل للرجل

(١) عباس محمود العقاد : المرأة فى القرآن .

عليها درجة وهي درجة القوامة . ومما لاشك فيه أن هذا الحس اللطيف بحاجة إلى نوع من الحماية و خاصة فى الحالات الحرجة . إذ كثيراً ما تفقد المرأة الحازمة توازنها . ناهيك من الضعيفة منهن . يجب أن لا تكون دكتاتورية فى المعاملات بين الرجل والمرأة بل يجب أن تسود علاقتهما روح التفاهم و المشورة و شعور الاقتناع و الاقناع المشتركين بين الزوجين فى كل الأمور المتعلقة بقرارات العائلة و إذا عدم التفاهم المشترك فى عائلة إسلامية ، فان رد الفعل لمثل هذا الجو يعود على الأطفال الأبرياء حيث يصبحون ضحايا لتلك الأسرة المفككة ، وهذا بدوره ينعكس على المجتمع بصفة عامة ، إذ ينتج منها جنوح الشباب و أمور أخرى شبيهة بذلك .

و لقد عنى الاسلام بهذه الناحية بالذات عناية .

يوم يرضع فيه الطفل لدى أمه إلى آخر يوم يبقى فيه ..

اقرأ معى قول الحق تبارك و تعالى حول موضوع

« و الوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين ، لمن أراد ان يتم الرضاعة و على المولود له رزقهن و كسوتهن بالمعروف ، لا تكلف نفس إلا وسعها ، لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده ، وعلى الوارث مثل ذلك ، فان أرادا فصالا عن تراض منهما وتشاور ، فلا جناح عليهما ، و إن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم ، إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف ، و اتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير » (الآية ٢٣٣ من سورة البقرة) .

إن حكم الأسرة لا بد أن يتضمن بياناً عن تلك العلاقة التى لا تنفصم بين الزوجين بعد الطلاق و علاقة النسل الذى ساهم كلاهما فيه . و ارتبط كلاهما به فاذا تعذرت الحياة بين الأبوين فان الفراخ الزغب لا بد لها من ضمانات و عليه نزلت هذه الآية الكريمة .

و إن على الوالدة المطلقة واجباً نحو طفلها الرضيع أن ترضعه حولين كاملين

فذلك هو الأمد الكافى لاكمال الرضاعة و لضمان صحة الطفل و نموه و أن لها فى مقابل ذلك حقاً على أبيه أن يرزقها و يكسوها بالمعروف والمحاسنة فكلاهما شريك فى التبعة و كلاهما مسئول تجاه هذا الرضيع - هى تمده باللبن و أبوه بعدها بالغذاء و وسائل الحياة لترعاه . وكل منهما يؤدى واجبه فى حدود طاقته : « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لا تضار والدة بولده » فيستغل الأب عواطفها وحنانها ليدعها وطفلها مطمئنا إلى أنها مرغمة بعواطفها و غرائزها أن ترضعه و ترعاه ، و لا مولود له بولده ولا يضار والد بولده بالاستغلال والأثقال وتكليفه ما لا يطاق ، والواجبات الملقاة على عاتق الأب تنتقل فى حالة وفاته إلى وارثه الراشد فهو المكلف أن يرزق الأم المرضع و يكسوها بالمعروف والحسنى تحقيقاً للتكافل العائلى الذى يتحقق طرفه بالارث و يتحقق طرفه الآخر باحتمال تبعات الموروث جراء وفاقاً .

فاذا شاء الوالد أو الوالدة أو الوارث أن يفطما الطفل قبل استيفاء العامين لأنهما يريان مصلحة فى ذلك الفطام لسبب صحى أو سواه فلا جناح عليهما إذا تم هذا بالرضى بينهما و بالتشاور فى مصلحة الرضيع الموكول إليهما رعايته ، المفروض عليهما حمايته .

كذلك إذا رغب الوالد فى أن يحضر لطفلـــه مرضعاً مأجورة حين تتحقق مصلحة الطفل فى هذه الرضاعة على شرط أن يوفى المرضع أجرهــا و أن يحسن معاملتها فذلك ضمان لأن تكون للطفل ناصحة و له راعية و واعية .

و فى النهاية يربط الأمر كله بذلك الرباط السماوى : بالتقوى : بذلك الشعور العميق الشفيف ، الذى يكل إليه ما لا سبيل لتحقيقه إلا بذلك الشعور اللطيف .

« و اتقوا الله و اعلموا أن الله بما تعملون بصير » فهذا هو الضمان الأكيد فى النهاية و هذا هو الضمان الوحيد (١) .

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن

صور وأوضاع

من صناعة الموت إلى صناعة القرارات

واصح رشيد الندوى

من الأسلوب الصحفى المختار فى البلاد العربية اليوم تمجيد زعمائها و التطفل لهم و جعلهم عمالقة التاريخ ، و قد يدهش من يطالع صحف ...
لنظم استبدادية اشتراكية ، و يحار بين العمالقة و الر...
و تزداد دهشته عندما يجد هذه البطولات وأعمال المجد ...
دعاوى لا أساس لها ، بل تتعارض مع الواقع ، فيحتار ...
الدول فى عالم الأحلام

و قد ثارت فى نفسى نفس الخواطر و أنا أتصفح صحفاً عربيـــة فجعلتنى أفكر و أتأمل عن المسلمين بصفة عامة و العرب بصفة خاصة باعتبارهم قادة العـالم الاسلامى بتراثهم الدينى و رصيدهم التاريخى ، و دورهم الطليعى فى تحرير الشعوب و الأمم من عبوديات كانت تخنقها وتقضى عليها ، أمة ذات تاريخ مجيد ، بل أمة تستحق أن تعتبر صانعة التاريخ ، رائدة تحرير الانسان والشرف الانسانى ، أمة الحال والمستقبل لأن العرب يحملون مفاتيح الحياة ، ويستولون على كنوز الأرض بما وهبهم الله من ذخائر و مواهب طبعية و بشرية هائلة ، تعجبت كيف يحركهم و يعبث بهم رجال ليسوا ليوث الوغى ، بل إنهم ليوث المسارح .

تركت الصحف جانباً و طالت أتأمل فى المسلمين عامة و فى العرب خاصة

كيف تحولوا من أمة العمل إلى أمة القول ، و قد كانت الطبيعة العربية و هى نواة الطبيعة الاسلامية تتسم بالجد و العمل ، أمة كانت تصنع الأعاجيب و تحول مجرى الحياة ، و تسحر القلوب ، أمة خرجت من الصحارى و الجبال من واد غير ذى زرع ، لما شرفها الله برسالة الاسلام فانطلقت إلى آفاق بعيدة فى الشرق و الغرب و خضع العالم كله لرسالتها ، وطبقت ثقافتها ، وانتشرت علومها وآدابها تقود العالم و تستولى على حرائث الأرض ، حتى قال أحـد الخلفاء العرب المسلمين و هو يخاطب السحاب قولته التاريخية المشهورة الخالدة التى تدل على امتداد رقعة المملكة الاسلامية و اعتزاز خليفة المسلمين بها ،

أمة أصبحت فى التاريخ قادة حركة العلم و الثقافـة و الدين ، و عمالقـة فى التدبير و الفكر و السياسة ، و أصحاب همم عالية وقوة محركة ، تسير بها قافلة الحياة الاسلامية الشاملة المتسقـة غير المتجزأة ، تنتقل القيـادة من جيل إلى جيل و من طبقة إلى طبقـة و من جنس إلى جنس ، إذا كلت يد تسلمت القيـادة يد أخرى كما يتسلم قائد من قائد فى ساحة القتال .

كان السبق فى أيدى العرب ثم انضـم إليهم الفرس و الأتراك و الأكراد و الأفارقة و الهنود ، و تراوحت مراكز قوة الاسلام و منطلقات الدعوة إلى الاسلام و الدفاع عنه ، و مراكز الاشعاع من بلد إلى بلد و ظلت مكة المكرمة مهبط الوحى و مهد الاسلام تهوى إليها القلوب و تجبى إليها الثمرات من كل شئ و شجرة الاسلام تؤتى أكلها فى كل حين بأمر ربها .

كنت أتصفح الصحف فمررت بأخبار البطش و التنكيل وقتل المسلمين الأبرياء فى أفغانستان و فى أماكن أخرى فى العـالم ، حيث يكافح المسلمون ضد قوى الظلم و الطغيان و لا يجدون لهم معيناً إلا أصوات الاحتجاجات والقرارات ، فتجددت

فى ذهى قصص البطولات التى سجلها التاريخ الاسلامى عند ما ثارت حمية الحكام المسلمين على انتهاك حرمة ، وهبوا لاغاثة الملهوف ، و ذكرت قصة الخليفة العباسى المعتصم الذى سار إلى أنقره بجيش ضخم عند ما استغاثه المظلومون و حاصر عمورية ٢٤٢هـ لمعاقبة الامبراطور البيزنطى فلم يعد إلى سامراء إلا بعد الانتصار الساحق فى عمورية ، فمدحه أبو تمام بقصيدته التى مطلعها :

السيف أصدق إنباء من الكتب — فى حده الحد بين الجد و اللعب

و تحدثت لى مآثر نور الدين زنكى و قائده العسكرى العظيم صلاح الدين الأيوبى الذى قصم ظهر الصليبيين و فتح القدس وطهر البلاد الاسلامية من الغزاة وموقف صلاح الدين الأيوبى فى الانتقام من ريجى نالد على !
الكريم و إظهار دنيته الخبيثة لغزو الأماكن المقدسة و
والملك الظاهر بيبرس الذى هزم التتر بفرسانه المماليك فى
٦٥٨هـ ، فهزمهم شر هزيمة

لقد تراكمت الغيوم على العالم الاسلامى فى فترات كثيرة من التاريخ و طمع الأعداء فى مهد الاسلام ، و لكن الأمة الاسلامية أنجبت أكفاء لهذه المحن الذين لم يصمدوا أمام الأعـــداء فحسب بل أجلوهم من الوطن الاسلامى و توغلوا فى بلادهم و عقر دارهم .

لقد واجه صلاح الدين فى أوقات رهيبة جيوش أوربا كلها التى كانت تجيش بالعصبية الدينية فلم يهدأ له بال قبل أن يطهر البلاد الاسلامية و يستعيد الأرض المقدسة .

ثم ظهر على مسرح التاريخ العثمانيون ، فدك محمد بن مراد أوربا بفتح القسطنطينية فى عام ١٤٥٣م وصار العثمانيون موضع ثقة المسلمين وقيادتهم وتملكوا القيادة البرية و البحرية ، فكانت أوربا ترتعد منهم ، و رغم كل دسائس وأخطار ، و تسرب الوهن فى الخلافة العثمانية لم يساوم حكامها مع الأعداء ، ووقف السلطان عبد الحميد موقفه التاريخى إزاء اليهود فى مسألة فلسطين عند ما عرض عليه هرتزل اليهودى

كميات كبيرة من الأموال مقابل استيطـــان اليهود فقال « إن أرض وطننا لا تباع بالدراهم ، إن بلادنا التى حصلنا على كل شبر منها ببذل دماء أجدادنا لا يمكن أن نفرط بها دون أن نبذل أكثر مما بذلوا من دماء فى سبيلها » .

تاريخ حافل بالبطولات ، تاريخ الانتماء إلى الاسلام والتضحية ، تاريخ إعلاء كلمته ، و الاستماتة فى سبيله ، تاريخ غيرة و أنفة و إباء فى حماية الاسلام و كسر شوكة أعدائه ، تاريخ العمل و الصدق والوفاء ، و البطولة لا تعترف إلا بالاقدام لا بالدعوة والدعاية كما يحاول أبطال الجولان والقنيطره أن يكسبوها ويتمجدوا بها .

لقـــد تغيرت القيم اليوم و المقاييس ، و حلت الانتماءات إلى القوميات ، و السلالات ، و الانتماءات إلى أحزاب و دعوات . والانتماءات إلى أشخاص ، و أفراد ، محل الانتماء إلى الاسلام .

تغيرت القيم و المقاييس فحل الحبر على الورق ، محل الدم فى سبيل الشرف . و كلمة الحق

إن ركب العلم و الثقافة و انفتاح كبور الأرض فى العالم الاسلامى قـــد زاد فيـــه منابر القول و مراكز الدعوة ، و الدعوى ، و فتح فرص اللقاءات ، و تدفقت منه الندوات و المؤتمرات ، و الحلقات ، فلا ينفض مجلس إلا للاجتماع فى مجلس ، و لكل مجلس مداولات ، و توصيات ، و قرارات .

أكوام من القرارات ، وأكداس من المؤتمرات ، و يضيف إليهما أكداساً مكدسة من الذخائر الحربية و المعدات .

معركة فى كل مكان ، ولكن المعركة لترديد القول ورفع المطالب ، والدعاوى و شرح المواقف ، و إعداد خطة تسجل فى دفتر المؤتمرات و يحتم عليها لتكون وثيقة تاريخية تدل على عزم القادة ، و معارك فى الصحف و الاذاعة و التلفزيون و مسابقات كلامية .

إن هذه الأكوام من القرارات التى تتخذ فى المؤتمرات سواء كانت سياسية

أم كانت دينية ، سواء كانت مؤتمرات العلماء و رجال الدين . أم كانت مؤتمرات رجال السياسة و الحكم . لو جمعت و وضعت فى مكان لكونت بناية ناطحة السماء من احتجاجات ، و مقررات و خطط عمل .

ترى ، ينقص العالم الاسلامی الموارد ، أو القوى البشرية ، أو القادة ، و العلماء ، أو الحكام أصحاب سيادة ، و حرية ، أو شعوب تؤيد قرارات الحكام أو ذخائر حربية ؟ كلا ! إن العالم الاسلامی غنى بالموارد ، غنى بالطاقات البشرية ، غنى بالأسلحة التى كدسها من كل جهة .

كل ما ينقص العالم الاسلامی هو قوة الارادة و العمل ، والصادقة ... قادة علماء مخلصون ، و حكام تصدق فيهم الظنون .

إن أسلوب الاحتجاج ، و اتخاذ القرارات فى

فى التشاور ، و اللقاءات ، أسلوب الضعف و أسلم

المسلمون فى تاريخهم الطويل أن احتجاجاتهم و قراراتهم

موقفاً ، و صدق عليهم المثل العربى « أوسعتهم سباً وأودوا بالابل » .

نشرت إحدى الصحف العربية صورة كاريكاتورية تصور الواقع الاسلامی ، والصورة تبدى جهازاً كبيراً مصنوعاً فى أمريكا مكتوب عليه « مصنع لصناعة القرارات » حقاً إن العالم المتحضر يصنع الأسلحة الفتاكة ، ويصنع الكواكب الصناعية ويغزو القمر أما العالم الاسلامی بمواهبه و قدراته الهائلة فلا يقوم إلا بصناعة القرارات .

لقد وصل العالم الاسلامی إلى مرحلة لا يحتاج فيها إلى مصانع أدوات ، و لا مصانع أسلحة ، فان الأدوات و الأسلحة تتوفر فى السوق ، و تشترى بالمال و قد تكدست فى بلاده المختلفة ، إن الشئ الوحيد الذى يحتاج إليه هو صناعة الموت ، وهو بضاعة لا تشترى ، وهو البضاعة المفقودة وهى ضالة المسلم ، صناعة صنعت الأعاجيب ، وتملكت على خزائن الأرض ، و هى مفتاح القيادة ، و هى التى أنجبت الأبطال الذين نتمجد بهم و نعتز ، و الذين صنعوا التاريخ و نذين لهم بفخر و اعتزاز .

العالم الإسلامي

إلى روح الشهيد محمد مصطفى رمضان

بقلم : الأستاذ محمد ياسر

وفاء لحق الأخوة الاسلامية المتينة التي تربطني بالكا... ال...
مصطفى رمضان ، و وفاء لصداقة دامت سنوات عدة أ...
القلبية ، علها تخفف ما أشعر به من ألم ممض يعتصرني
نبأ اغتيال الشهيد عليه رحمة الله .

هنيئاً لك الشهادة في سبيل الله يا أخي محمد فقد مرت بها ورب الكلمة حراء ما أنتجته في ميدان الكلمة من أعمال فكرية إعلامية تشرف الاسلام و المسلم الملتزم المعتز باسلامه ، فقد فضحت الفكر اليهودي المسيطر على الاعلام العربي و الشرقي ، و الفكر القومي الشعوبي الذي مزق بنيان المجتمع الاسلامي . و المتسترين وراء الواجهات المصطنعة الموسومة بالتقدمية الاصلاحية و الانقلابية الثائرة ، والجماهيرية المشرفة . قمت بهذا يوم كان الطغاة في قمة نشوتهم . و الطلمة في أوج عزهم بعد تصفية المجاهدين الأباة ، . و إسكات من بقي منهم بالخوف و التخويف ، والحديد و النار . . و بتلفيق التهم و انتهاك الأعراض .

و هنيئاً لك الشهادة يا أخي لأنك قتلت في يوم عظيم عند الله ، قال فيه الرسول ﷺ : « خير يوم طلعت عليه الشمس . . . » أمام بيت الله بعـــد أدائك لفريضة الجمعة و ما يدرينا لعلك طلبت لربك في سجودك أن تأخذ مكانك في موكب

الشهداء الطاهر . بعد عناء و صراع عنيف مع الجبابرة المتسلطين على سياسة العالم الاسلامى المنكوب ، فكان ما أردت ، و حصل ما تمنيت فهنيئاً لك .

و يكفى هذا عزاء لأهلك ، و إخوانك و أصدقائك . و كل الذين تألموا لقتلك ، و غاظهم فراقك فى أرجاء وطننا الاسلامى . . و كل الذين فقدوا نبرة صوتية حانية ترحب بهم و تودعهم بتحية الاسلام الهادفة . « سلام من الله عليكم و رحمة منه و بركاته » .

عزاؤنا يا أخى فانك لم تقتل فى ملهى أو خمارة أو شاطئ و إنما أمام مسجد وسط جموع المسلمين و كان يد الله المدبرة الحكيمة اختارتك من بينهم لتتخذ منك شهيداً .

هنيئاً لك لقاء الله .

هنيئاً لك لقاء الرسول الله و صحبه الكرام

و هنيئاً لك لقاء الشهداء الذين وقفوا قمما شامخة فى مواجهة طغمة العتمة . . حتى أسلموا الروح راضين ليكون منهج الاسلام الحياتى هو المهيمن ، و المسير و الرائد فى عالم قطع كل صلاته وأواصره بالكلمة الربانية الهادية .

تباً للقتلة المجرمين . « . . سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله و عذاب شديد بما كانوا يمكرون »

تباً للامعات المنافقة الحقيرة التى باعت أحرارها بدنياها فكانت سيفاً مسلطاً على رقاب الأحرار . . تضع حداً لأنفاسها الايمانية الموصولة بالله قلماً و قالباً .

و سحقاً للطغاة الجبناء الذين ترعبهم صيحات الايمان الواعية الملتزمة المتزنة ويرعبهم صرير الاقلام المجاهدة التى تقذف الحق بالباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ، و التى تأبى الركوع و الاستسلام ، و ترفض الانحناء و الاحتواء ، و تأنف

من إحراق بحور النفاق و الاستجداء ، آخذة على نفسها ألا تكتب كلمة ، تكون حجة عليها يوم يقوم الناس لرب العالمين .

بعداً للجبناء الطائنين بأن الجو سيكون خاليا لهم بالتصفيات الجسدية والمخابرات الجاسوسية . . . و لم يعلموا أن نهايتهم - بإذن الله - ستكون مروعة . و كما تدين تدان ،

إلا فليعلم أمين القومية الجاهلية . . و خليفة فرعون مصر السابق ، و حصان القوى الاستعمارية . . و صاحب الشطحات الفكرية المهوسة . . أن الثمن سيكون غالياً إن لم يكن هنا ، فهناك . . « و لا تحسبن الله غافلا »

إن العين تدمع ، و القلب يحزن ، و لا نقول

لفراقك يا أخى محمد مصطفى رمضان لمحزونون .

و إنا لله و إنا إليه راجعون

يطردون الموتى

ذكرت الصحف أن جثة الشهيد محمد مصطفى رمضان الذى اغتالته أيد آثمة فى بريطانيا بعد أن وصل جثمانه إلى ليبيا ودفن . جاءت أوامر عليا بنبش قبره و إعادة رفاته إلى حيث جاءت منه !

و كذلك الشهيد عبد الجليل الذى قتل فى إيطاليا أيضاً . . حين وصل جثمانه و وجدوه أثقل مما هو مسجل وزنه فى بطاقة الطائرة شرحوا جثته . . ثم أعادوه إلى روما حيث جاءمنه ! (مع الشكر للبلاغ الكويتية)

أخبار اجتماعية و ثقافية

★ إلى روح الشهيد محمد مصطفى رمضان .
★ أفغانستان المجاهدة فى مؤتمر إسلام آباد .
★ ماذا يجرى فى سوريا الاسلامية .
★ إيران وباكستان تستطيعان أن تمثلا دوراً ريادياً فى تحقيق المجتمع الاسلامى الأفضل .
★ مات « جان بول سارتر زعيم الوجوديه ،
★ سعادة الشيخ عبد الله العلى المحمود والدكتور عزالدين إبراهيم فى ندوة العلماء .

انتهى مؤتمر إسلام آباد فى ٢٢/ من شهر مايو المنصرم بقرارات عديدة اتخذها حول قضايا إسلامية كقضية القدس وفلسطين وأفغانستان والرهائن الأمريكان فى إيران و الدعايات المكثفة التى تتولاها أجهزة الاعلام الغربى و الصهيونى ضد الاسلام و المسلمين .

أعرب المؤتمر عن قلقه الشديد حيال الاجراءات الوحشية التى يقوم بها الاتحاد السوفياتى ضد المسلمين فى أفغانستان ، و طالب انسحاب القوات السوفياتية بأسرع وقت ممكن .

قضية أفغانستان كانت من أهم ما شغل المؤتمر فنوقشت من جميع النواحى و رغم وجود الاعتداء السوفياتى السافر وإجرامه الانسانى الكبير وجد فى المؤتمر أعضاء من الدول الاسلامية العربية لم يؤيدوا القرار الذى كان يخص قضية المجاهدين الأفغان ، بل و قد برروا موقف السوفيات من هـذه القضية و من بين هؤلاء

المبررين ممثل فلسطين الذى عارض القرار بوقاحة نادرة و أيد الاتحاد السوفياتى فى تدخله العسكرى و إجراءاته الوحشية من قتل الأبرياء و تشريدهم و إلقاء قنابل النابالم و الغاز السام عليهم

و هل يسعنا نحو هذه العقلية التى تظاهر بها بعض ممثلى الدول العربية نحو هذه القضية الانسانية (قبل أن تكون إسلامية) إلا أن نبدى أسفنا العميق على بيع ضمائرهم و إعانهم لقاء صداقة كاذبة و كلمات معسولة من أوليائهم السوفيات الذين لا يهمهم إلا السيطرة الكاملة على منابع البترول و مصادر الرخاء و الثراء فى الدول العربية من وراء ستار جميل خلاب لصداقات .

أفهل يجهل هؤلاء الحكام ما يقوم به العدو الس..

ونسف المدن و القرى بأسرها و قد بلغ عدد القتلى :

مواطن أفغانى بين الصبيان و الشيوخ و النساء والشباب .

و من هنا لا ندرى ماذا يفيد القرار الذى اتخذه مؤتمر إسلام آباد حول القضية الأفغانية ، وقد سبقه قرارات فى مؤتمرات إسلامية ، ولكن دون جدوى.

و معلوم أن العدو لا يفهم منطق القرارات و التوصيات و أنه لا يقيم وزناً إلا لمنطق القوة ، وندعو الله أن يوفق إخواننا المجاهدين لمقاومة و مواجهة أقوى والصمود بأمل حتى يقهروا العدو ويرغموه على الانسحاب بخسائر كبيرة فى أرواحه ومعداته و على الاندحار من أرض أفغان المسلمين مذموماً مدحوراً «ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم» .

✖ فى سوريا اليوم محاولة شنيعة لابادة المسلمين الجماعية ، فتشن هناك حملات وحشية على مراكز و بيوت المسلمين حيث يشم حكام سوريا رائحة رفض الحكم القائم أو إنكاره والحقيقة أن سوريا كلها ترفض هؤلاء الحكام العملاء ، ولكن

المسلمين و قادتهم من العلماء و الدعاة و الشباب المسلم يقولون كلمة حق إزاء الحكم الجائر ، الأمر الذى أنتج تصفية الخيرة من الشباب المسلم و الصفوة من علمائهم و لا تزال عملية الابادة الجماعية و التصفية العامة تشمل المدن و القرى ، خاصة حلب ، و حماه و حمص ، فانها تتعرض اليوم لأقسى تعذيب و أشد نقمة من قبل هؤلاء الحكام الوحشيين الذين يتحدث عنهم بعض المطلعين على الحقيقة ، فيقول :

« إنهم (الحكام) أقرب إلى العصابات الاجرامية و قطاع الطرق منهم إلى الحكام ، فقد لجأوا إلى ضروب القمع و البطش الوحشى الذى لا يقبله ضمير مهما فسد ، و لا ترضاه أى شرعة من الشرائع الالهية ، أوالبشرية . . . و ارتكبوا فى مختلف المدن ألواناً من الجرائم التى تقشعر منها الجلود : سملوا العيون ، وقتلوا الطلبة الصغار و الشيوخ ، و دمروا البيوت على رؤس الأبرياء ، وسحلوا بعض المعتقلين فى الطرقات و أخذوا الرهائن من الرجال و النساء ، و حكموا أتباعهم المسلحين فى أرواح الناس وأعراض الناس وأموال الناس بصورة لم يسبق لها فى سورية مثيل » .

لقـــد كان نصيب إيران و باكستان أكبر من أى بلد إسلامى آخر فى الاستياء العام و التذمر الشديد الذى عم لدى زعماء و قادة الغرب و الشرق ضد الدول الاسلاميـــة ذلك لأنهم يعتبرون إيران قاعـــدة الثورة الاسلامية فى العالم الاسلامى كله و منطلق الجهاد الاسلامى ضد القوى الكافرة الطاغية ، و كـــذلك يرون باكستان دولة إسلامية تحرص كل الحرص على تنفيـــذ و تطبيق الدستور الاسلامى ، و يعتبرونها أولى دولة فى العالم تكرر إلحاحها على جعلها دولة إسلامية مثالية فى العالم ، تنفذ حكم الله فى شعبها و تحكم كتاب الله و سنة رسوله ﷺ فى كل القطاعات و على جميع المستويات .

و من ثم جاء قرار مؤتمر إسلام آباد فى وقته حول التصدى للدعايات الكاذبة التى تروجها أجهزة الاعلام الغربية و الدوائر الصهيونية ضد الاسلام والمسلمين، و قد أكد القرار الحاجة لتوفير الأموال اللازمة لانشاء جهاز يستخدم كافة السبل المتاحة بما فى ذلك الاعلام لمحاربة الدعاية المعادية للاسلام و المسلمين، كما أكد القرار على الحاجة إلى تحقيق تعاون أفضل بين أجهزة التلفزيون والراديو والصحف فى الدول الأعضاء و القيام بجهود التنسيق فى هذا المجال.

نرجو أن يثمر هذا القرار لكى يؤدى دوره فى تعميم المنهج الاسلامى للحياة و العود بالحياة إلى ظلال الدستور الاسلامى و تطبيقه فى حياة الفرد و المجتمع، باذن الله، و لا شك فان إيران و باكستان ... ريادياً فى تحقيق المجتمع الاسلامى الأفضل فى كل العالم.

★ مات فى الشهر المنصرم زعيم الوجودية ...

الذى خدع العالم إلى مدة طويلة بفلسفته الوجودية و بأدبه الوجودى الذى حرف كثيراً من شبابنا و أدبائنا فى سبيل التحرر و الاباحية و الانطلاق، و كم كان هؤلاء المخدوعون يرون فيه إنساناً نموذجياً يعطف على الضعفاء و المظلومين ويقف من قضايا إنسانية موقفاً مشرفاً، و رأى بعضهم أنه كان صديق العرب، و أيدهم فى قضية فلسطين.

و هكذا كله خداع و دعاية مزورة يقوم به بعض أعداء العرب و المسلمين فان جان بول سارتر كان عدواً ماكراً خبيثاً داهية أيد إسرائيل و عادى المسلمين و كان يتمنى أن تقوم دولة إسرائيل قوية و تحتل فى القدس، و قد زار مصر فى عام ١٩٦٧م حيث نال حفاوة بالغة و إجلالا كبيراً. و لكن موقفه مع ذلك من إسرائيل لم يتغير، و ظل عدو المسلمين إلى آخر أيام حياته.

★ سعادة الشيخ عبد الله المحمود ، و الدكتور عزالدين إبراهيم فى ندوة العلماء

زار سعادة الشيخ عبد الله العلى المحمود الرئيس العام لمركز الدعوة الاسلامية بالشارقة ، و سعادة الدكتور عز الدين إبراهيم المستشار الثقافى لصاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان النهيان رئيس اتحاد الامارات العربية المتحدة ، ندوة العلماء فى ٣١/ ٥/ ١٩٨٠م إثر عودتهما من مؤتمر وزراء خارجية الدول فى إسلام آباد .

و قد أقيم تكريماً للضيفين حفل فى قاعة اتحاد الطلبة لدار العلوم ندوة العلماء تحدث فيه سماحة الشيخ الندوى مرحباً بالضيفين الكريمين و ذكر صلته الشخصية بهما التى تعود إلى أكثر من ثلاثين سنة ، وتحدث سعادة الدكتور عز الدين إبراهيم فأكد أهميـــة التعليم الاسلامى و صرح أن المسلمين هم أول من أنشأوا الجامعات وقد أخذت أوربا فكرة الجامعة من المسلمين وأشار إلى جامعات الزيتونة والقرويين و الأزهر التى أنشأها المسلمون قبل ألف عام حينما كانت أوربا تغط فى نوم عميق ،

و حث سعادة الدكتور عز الدين على أهمية التوحيد و التجميع و التبليغ ، والاجتهاد الاسلامى وقال : إنها أساس المجتمع الاسلامى ، وركائز تقدمه وتطوره .

و زار سعادة الدكتور عز الدين إبراهيم مختلف شعب ندوة العلماء و أبدى اهتمامه البالغ بنشاطات دار العلوم وما قام به المجمع العلمى الاسلامى ، وقال إنه وجد ندوة العلماء أكبر و أعظم مما كان يتصوره .

كانت هذه أول زيارة لسعادة الدكتور عز الدين إبراهيم . وسبقه بأسبوع سعادة الشيخ عبد الله العلى المحمود الذى زار ندوة العلماء فى المناسبات السابقة وخاصة أثناء المهرجان التعليمى لندوة العلماء فى ١٩٧٥م و أقام سعادته هذه المرة أسبوعاً كاملا للعلاج و الاستجمام ، و زيارة ندوة العلماء و لقاء سماحة الشيخ الندوى ومكث فى الندوة كـكبير العائلة ، حفظه الله و قواه

Phone : 42948 Regd No. LW/NP59

ALBAAS-EL-ISLAMI

Nadwat -ul- Ulama, LUCKNOW (India)

ابو الحسن الندوى

إلى الإسلام من جديد







شعارنا الو

إلى الإسلام من جديد

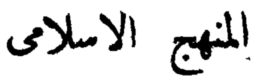
تصدر : في ندوة العلماء - لكهنؤ (الهند)



البعث الإسلامي

انشأها فقيد الدعوة الإسلامية
الأستاذ محمد الحسني (رحمه الله)
في عام ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م

سعيد الأعظمي الندوي
واضح رشيد الندوي



المنهج الاسلامى

المنهج الاسلامى، منهج مستقل، منهج مختلف، منهج أصيل ليس بينه وبين المناهج الوضعية وجه شبه أونسب، فبينما المناهج الأخرى أوالديانات السائدة الأخرى، تختلط مع الشعوب البشرية العامة فى سوق المادة والمعدة، وتجتمع معها على مائدة واحدة، وتتمتع معها بملذات الحياة المحرمة بحرية تامة، نرى الاسلام ينفصل عن هذه الشعوب المادية من أول الطريق، احتفاظاً

على دين الله واستم

الباطلة و الدعوات ا

بما جاء فى الحديث ا

و التشديد على النهى عن متابعتهم ولو فى الامور المادية البسيطة « و تحسبونه هينا و هو عند الله عظيم ».

محمد الحسنى (رحمه الله)

25(2)

العدد الثانى

● شوال ١٤٠٠هـ

● أغسطس وسبتمبر ١٩٨٠م

Nadwat-ul-Ulama

Po Box 93

Lucknow (India)

البعث الإسلامي
ندوة العلماء ص ب ٩٢
لكهنؤ — الهند

في هذا العدد

أخي القارئ !		٣
مستوانا الخلقي في تدهور مستمر !	سعيد الأعظمي الندوي	٤

★★★ التوجيه الاسلامي ★★★

من معاني سورة البقرة	فضيلة الشيخ عبد السلام القدوائي الندوي	١٠
الغزو الفكري في العالم الحديث (٢)	فضيلة الدكتور الشيخ يوسف القرضاوي	١٥
العوامل التي تتكفل نجاح الدعوة وتوجيه الأمة	سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي	٢٢

★★★ الدعوة الاسلامية ★★★

أرض الحرم ، أحكامها ومصالحها	العلامة الدكتور السيد سليمان الندوي	٣٠
صفحة من تاريخ الدعوة إلى الله	الامام الشهيد حسن البنا	٤٠
تعليم المسلمين وتربيتهم العامة	سماحة الشيخ السيد أبي الحسن علي الندوي	٤٨

★★★ دراسات وأبحاث ★★★

حان حول سارتر و الأدب الوجودي	بقلم الأستاذ محمد الحسني	٥٦
الشيوعية والصهيونية وجهان لعملة واحدة	دكتور / غريب جمعه	٦٨

★★★ الفقـه الاسلامي ★★★

شبهات حول الفقه الاسلامي	محمد صدر الحسن الندوي	٧٢
بيان حول مسألة تحديد النسل	سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز	٨٣

★★★ المـــــــرأة ★★★

المرأة قبل الاسلام و بعده	الأستاذ سعيد بن عبد الله بن سيف الحاتمي	٨٦

★★★ العالم الاسلامي ★★★

لقاء مع سماحة الشيخ الندوي	الأستاذ بدر الحفيظ الندوي	٩٢

★★★ صور و أوضاع ★★★

حرروا الرجال قبل أن تحرروا النساء	واضح رشيد الندوي	٩٧

أخي القارئ



« غداً نلتقي الأحبة ، محمداً و صحبه »

بهذا الهتاف العلوي المؤمن يستقبلون رصاص النقمة و الغدر و الخيانة ، في سوريا المكروبة الجريحة .

وكانت السلطات المأجورة فيها تتوقع أن مجرد عملية الفتك والشنق والقتل . ومجرد المفاجأة باطلاق النيران و بالقنابل والدبابات سوف يقضي عليهم ، و يصفيهم

إنهم شباب الاسلام ، فتيان في عمر الزهور . .

منهم عشرين عاماً ، ولكنهم يقاومون الوضع باء

أن يقروا بالذل و يرضوا بالعيش في ظل الالحاديه

و لا يبالون بأي ثمن يدفعون في سبيل ذلك ، و

الزكية ، و من شبابهم ، و مستقبلهم و حياتهم .

« إنهم فتية آمنوا بربهم و زدناهم هدى و ربطنا على قلوبهم ، إذ قاموا فقالوا ربنا رب السماوات و الأرض لن ندعو من دونه إلهاً ، لقد قلنا إذاً شططاً »

و لكنهم يرغمون على الكفر ، و على قبول ما يوجه إليهم من قول و عمل ، و يطالبون بالتأييد المطلق للسلطة الكافرة ، و الخضوع لهـا . مع رفض القيم الخلقية و الايمانية كلها .

و لكنهم رفضوا كل مساومة من السلطة العليا ، و كل مراودة منها ، بغاية من الصراحة و الجراءة و الايمان .

وقالوا : كلا ! في دمشق ، في حلب ، في حماه . في حمص . وفي كل مكان ، واستقبلوا الموت في سبيل الله بوجه باسم ، وإشراقة الايمان تعلو محياهم .

فطوبى للشهداء . و سحقاً للجبناء ! ؟

سعيد الأعظمي

مستوانا الخلقى فى تدهور مستمر

فمن ذا الذى ينتشله من الهاوية و يرفعـــه إلى مكانته الأصيلة

واقع الخلق الاسلامى الذى يعيشه عامة دعا تنا و قادتنا - إلا من عصمه الله - واقع فى غاية المرارة والأسف ، فلم يعد هذا الخلق ذا لون واحـــد فى الأعمال و المعاملات والسلوك ، وفيما يمارسه المرء من نشاطات وتحركات ، ولـكنه تغير وأصبح كسائر الأشياء المادية ذا وجوه عديدة ، وأحجام مختلفة تطبق على الظروف المتغيرة والأوضاع المتطورة ، وتستخدم فى أغراض شتى منوعة وحاجات متعددة .

لقد كان الخلق الاسلامى أكبر سلاح ضد العاهات الانسانية والأوبئة الخلقية والأثرة النفسية ، بل و ضد كل شر و جريمة و تمرد وطغيان ، فهو الذى فتح به المسلمون مغاليق الأرض ، وأبواب كسرى و قيصر ، و هو الذى فتحوا به أقفال القلوب الميتة و نوافذ العقول الخامـــدة ، و أدانوا الشعوب و الأمم للاسلام ، و بفضل هذا الخلق انتصر الخير على الشر ، والفضيلة على الرذيلة

إن الخلق الاسلامى أكبر قوة عرفها الانسان فى تاريخ الديانات و الأخلاق كلها ، و الحقيقة أن الاسلام كله قام على أساس الخلق العظيم ، و أن تعاليمه كلها تهدف إلى بناء كيان الخلق قبل كل شئ ليرفع صرح الانسانية عليه ، و يعيد حياة الانسان إلى أشرف مستوى ، حيث يتضاءل أمامه القيم المادية كلها ، و تتراءى له الدنيا بجميع زخارفها كلعبة يتعلل بها الأطفال لفترة من الوقت ، و من أجل ذلك فقط لا لسبب آخر ، كان الانسان أشرف خلق الله وأكرمه و وصفه الرب تبارك و تعالى فى كتابه فقال : « و لقـــد كرمنا بنى آدم و حملناهم فى البر و البحر ،

ورزقناهم من الطيبات، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » (سورة بنى إسرائيل) و بدون هذا الخلق العظيم لا قيمة للانسان مهما جال وصال ، و بغى و طغى ، فهو الذى يزينه بالورع و العفة ، و السمو و النزاهة ، و العلو و الشرف ، فاذا تعرى منه فهو كالانعام أو أضل منها ، كما يصف أمثاله فيقول « لهم قلوب لا يفقهون بها و لهم أعين لا يبصرون بها ، و لهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون » .

ذلك هو الخلق العظيم الذى وصفت به عائشة رضى الله عنها رسول الله ﷺ فقالت : كان خلقه القرآن » و أشار به الله تعالى إلى عظم

و منصبه فى الحياة فقال فى تأكيد « و إنك لعلى خلق

بذاته مقصد بعثته و غاية مجيئه إلى الناس فقال: « إنما

و فعلا تمم الرسول عليه الصلاة والسلام هذه المكارم ى

مثالياً لمكارم الأخلاق التى رباهم عليها ، و إن التاريخ لحافل زاخر بقصص هذه الأخلاق العالية و المكارم الانسانية ، و لا يمكن إعادتها فى مثل هذه الصفحات القصيرة .

تمسك بهذا الخلق العظيم الرعيل الأول من المسلمين ومن جاء بعدهم ، وتمثلوا به فى جميع ألوان الحياة و النشاط ، فى الظاهر و الباطن على السواء ، وقد يكون باطنهم أكثر تحلياً بصفات الخلق من ظاهرهم ، و يكون تعاملهم مع غيرهم أكثر تمثيلا لمكارم الأخلاق بالنسبة إلى تعاملهم مع ذاتهم ، و يكون اهتمامهم بتطبيق صفات الخلق على ما يتصل بجانب السلوك و المعاملات أكثر من اهتمامهم به على ما يتعلق بذوات أنفسهم و بعلاقتهم الخاصة ، و من ثم كان لهم تأثير أى تأثير فى المجتمع و النفس ، و فى مجريات الأمور مما يتصل بالله وبالناس ، و كانوا يعتبرون

منارة العلم و الخلق و الورع و العفاف ، و الطهارة و الاتصال بالله و التوكل عليه فى جميع الأحوال والأعمال ، كانت حياتهم مثالا صادقاً للمسلم الصادق الواعى ، العارف بجميع الواجبـــات و الشاعر بمسئولياته نحو نفسه و ربه و نحو المجتمع و العالم كله .

هكذا كانت حياة الجماهير المسلمة ، فضلا عن دعاتهم و قادتهم ، و علمائهم و عظمائهم ، كانوا يتحرون الدقة كلها لدى كل إقدام عملى لكى يكون ذلك تفسيراً للخلق الاسلامى العظيم ، وتعبيراً لحياة الايمان و صفات المؤمنين ، مع الذكاء التام و الفراسة الكاملة و العقل الذكى فى شئون الحياة و ما يجرى حولهم من أحـداث و أحوال ، و لعل ذلك ما أشار إليه رسولنا العظيم فى وصف المؤمن ، فقال : « اتقوا فراسة المؤمن . فانه ينظر بنور الله » .

أما دعاة المسلمين و مربوهم و علماؤهم فكانوا شديدى الحذر من فتنة النفس لا يفارقهم الخوف مما إذا صدر منهم إفراط أو تفريط فى العدل ، أو محاباة فيما يتصل بالأهل و الأولاد و الأقربين ، فكانوا يؤثرون غيرهم على من عنــدهم فى فى المنح والاعطاء والبذل والسخاء ، ولايحبون أن يتمتعوا حتى بحقوقهم المشروعة و لو كانوا بحاجة إليها ، رجاء أن تكون آخرتهم خيراً من الاولى ، و بمثل هذه الخلال العظيمة ملأوا العالم عدلا و سعادة ، و قصروا الشقة بين العبد والمعبود و وصلوا الأرض بالسماء .

هذه قصة الخلق الاسلامى مع أهله بالأمس !

ولكن قصته مع أهله اليوم تختلف عنها كأنها نقيضها ، وبينهما فرق كما بين السماء و الأرض ، و لنترك الجماهير من المسلمين الآن ، و نتناول الخاصة من الدعاة و العلماء و أصحاب التربية و التوجيه فنجــد عامتهم لا يتناهون عن منكر

فعلوه ، و لا يتحاشون من رذيلة باشروها ، و لا يتورعون عن حرام ارتكبوه تجدهم متمسكين بظاهر الدين متشددين فى أشكال العبادات أحياناً ، و مواظبين على الصلوات فريضة و نفلا ، و محافظين على عادات توارثوها ، ولا يستطيع المرء أن يتصور فيهم موضع ضعف ، أو نقصاً خلقياً ، أوخيانة أومكراً ، إلا أنه إذا اطلع عليهم عن كثب وجربهم من قريب ، وباشرهم فى السلوك العام فاذا هم أقرب إلى أهل الدنيا منهم إلى أهل الدين ، و لا يرون حرجاً فيما إذا قلد أهلهم و أولادهم حضارة المادة و المعـــدة و دخل سلوك الغرب و أسلوب حياته !! عائلات و أسرهم ، فيأولون تأويلا إذا تجاوز أعضاء هذه العائلات

و اعتنقوا بالعادات الغربية كما يفسحون الطريق لذويهم

بالدنيا وزخارفها و يتيحون الفرص لجمع الأموال والأر

بل لا يتحاشون عن الارتشاء باسم الهدية ، و التفكير

الأموال و رصدها فى البنوك أو إيداعها فى الخزائن ، رغم ما يناديهم القرآن : « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم و أهليكم ناراً وقودها الناس و الحجارة » .

فى هذا و شبهه يعيش الخاصة من « أعلام الأمة » الذين تثق فيهم الجماهير المسلمة ، و تراهم قدوة فى أمور الدنيا و الآخرة ، و لكن ظاهرهم يختلف عن باطنهم ، و صورهم تختلف عن قلوبهم ، و إن صلواتهم و عباداتهم لا تحول دون ما يمارسونه فى خفاء من أمور منكرة و فساد أخلاق ، و قد لا يصدق الانسان نظراً إلى منصبهم الذى يتولونه أن يصدر منهم ذنب عن خطأ و من غير شعور فضلا عن أن يبيحوا كل جريمة خلقية من خيانة و فاحشة و مكر و زور .

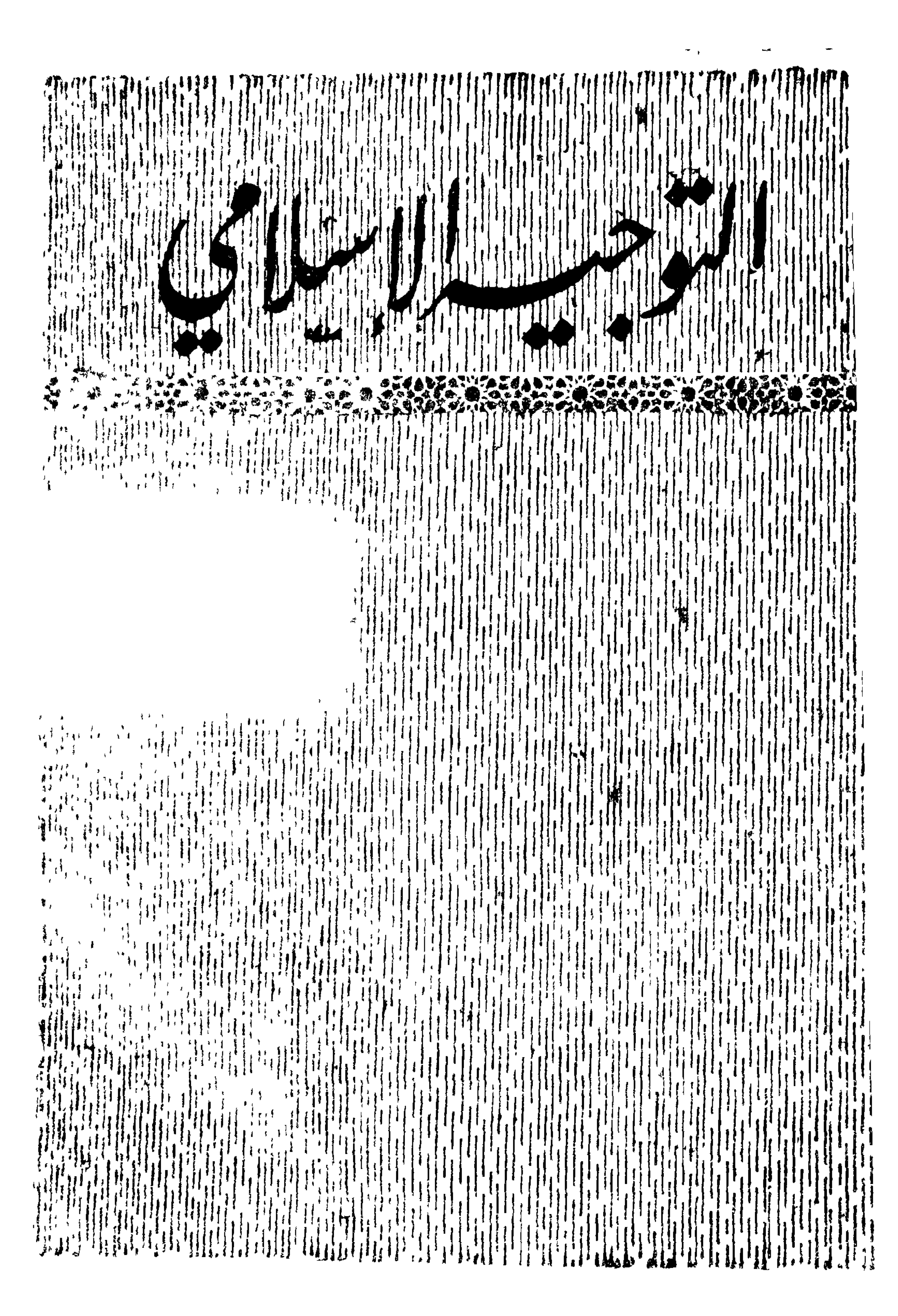
قد يستنكر هذا الكلام من ينظر إلى ظواهر الأمور ، ولكن الذين يدرسونها من خلال الحقائق ويتوصلون إلى دقائق الواقع يصدقونها من غير تلكأ ، وليس هذا المرض المعدى ما يختص ببلد دون بلد أو جماعة دون جماعة أو رجال دون

رجال ، إنما هو داء عام يشمل الخاصة و العامة - إلا من عصمه الله و من عليه بالورع - من المسلمين ، و يجرفهم فى تياره من غير تمييز أو رحمة و هوادة ، و لعل عصرنا هذا أكثر انسياقاً إلى اتباع النفس و الهوى من العصور السابقة .

فأين ذلك الخلق الاسلامى العظيم الذى مثله المسلمون الأولون و من حذا حذوهم ، الخلق الذى رفع منار الاسلام و تولى انتصاره و اتساع رقعته فى العالم كله ، ذلك الخلق الذى انهار أمامه دعائم الحكومات الكبرى ، أين ذلك الخلق الاسلامى العظيم الذى هز أركان الجيوش و كسر قوات الجنود ، و حول المسلمين إلى أمة لها أهميتها فى ساحة العلم و العمل ، الأمة التى مثلت سيرة الاسلام النقية و بعثت العالم من جديد .

فعلى أساس خلق الاسلام العظيم الذى يشمل الحياة من جميع نواحيها يقوم العمل الاسلامى العظيم ، و لذلك فان مسؤلية التمثيل الصحيح لهذا الخلق تعود أولا على رجال العلم و الدين والدعوة و التوجيه و التربية ، وكلنا مسؤل عن إعادة النظر إلى ما نعيشه من أخلاق و أسلوب للحياة ، فان كان هناك ما يحتاج إلى إصلاح أو تهذيب وتقويم نهتم به غاية الاهتمام ، و نزيل هذه المفارقات بين ما نسميه الحياة العامة و الحياة الخاصة ، فكما أن الحياة العامة الظاهرة تحوج المرء إلى تزينها بالعلم و الثقافة و اللين و التسامح . كذلك يجب أن تتزكى الحياة الخاصة من أى شائبة من شوائب الفساد و النفاق ، و غلبة للنفس و الأهواء ، ذلك لترتفع إلى مستواها المطلوب ، وتؤثر فى مجريات الأمور ، ولأهمية موضوع الخلق و دوره فى حياة المسلم يجب أن نقرأ ونفهم ما رواه الترمذى عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : إن من أحبكم إلى و أقربكم منى مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً ؟

سعيد الأعظمى الندوى


التوجيه الاسلامي

من معاني سورة البقرة

فضيلة الشيخ عبد السلام القدوائي الندوي

« معرب »

الم ، ذلك الكتاب لا ريب فيه . . . . .

هذه السورة من أعظم سور القرآن ، نزلت كلها في المدينة المنورة ، وهي تتضمن معاني تساعد في بناء السيرة لأمة من الأمم ، كما أنها تتحدث عن الأحداث و الوقائع التي تشير إلى أسباب الانحطاط لأمة راقية متحضرة شريفة ، و تتجلى بها تلك المفاسد الفردية والاجتماعية التي تقف بأمة ذات تاريخ مجيد على شفا حفرة من الهلاك و الدمار ، و تهوى بها في هوة سحيقة يستحيل الخروج منها ، و لذلك فان رسول الله ﷺ قد أولاها أهمية كبيرة ، ففي مسند ابن حنبل عن معقل بن يسار رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : البقرة سنام القرآن و ذروته (مسند ابن حنبل) و في مسند أحمد و صحيح مسلم و الترمذي و النسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : لا تجعلوا بيوتكم قبوراً فان البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة لا يدخله الشيطان » و في رواية « إن الشيطان يخرج من البيت إذا سمع سورة البقرة تقرأ فيه » و عن عبد الله بن مسعود : من قرأ عشر آيات من سورة البقرة في ليلة لم يدخل ذلك البيت شيطان تلك الليلة ، أربع من أولها و آية الكرسي ، و آيتان بعدها ، و ثلاث آيات من آخرها ، و في رواية لم يقربه و لا أهله يومئذ شيطان و لا شيء يكرهه ، و لا يقرأن على مجنون إلا أفاق .

لا يزعمن أحد أن فضائل السورة وخواصها من معتقدات المدنيين ، المعجبين بكل ما فى دينهم ، إذ أن المتأمل فى السورة و معانيها ، يستطيع أن يدرك أن القلب الذى يعمر بحلاوة الايمان و لذة اليقين كيف تجد الوساوس الشيطانية سبيلا إليه ، و إن الآيات العشر التى أشار إليها عبد الله بن مسعود رضى الله عنهما إنما هى أسس الايمان التى يقوم عليها بناء الاسلام بكامله ، فمجرد تلاوتها يفيد تأثيراً ، و تملأ القلب شهادة على أن المؤمن بهذه الآيات و التالى لها ، لن يستحوذ عليه الشيطان و لا هو يقع فريسة الكفر ، ولا يتأثر بأى نوع من الكفر و الالحاد . و لكنه يتبوأ قمة الايمان و اليقين .

ذلك ما حمل رسول الله ﷺ يلفت انتباه الناس إ

بوجه خاص ، و كان يحثهم على تلاوتها و التفكير فى م

يشير بذلك على من كان يريد أن ينهض بعمل اجتماعى .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال « بعث رسول الله ﷺ بعثاً و هم ذوو عدد فاستقرأ كل واحد منهم ما معه من القرآن فأتى على رجل من أحدثهم سناً فقال ما معك يا فلان ؟ فقال معى كذا و كذا وسورة البقرة ، فقال أمعك سورة البقرة ؟ قال نعم ، قال : اذهب فأنت أميرهم »

وقد كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه معجباً غاية الاعجاب بسورة البقرة ، و قد بذل فى دراسة هذه السورة مدة ثمان سنوات ، فلما انتهى من دراسة جميع جوانب السورة و معانيها ، و تركزت فى ذهنه من جميع نواحيها فرح بذلك ، و ضحى بناقة فى سبيل الله و أضاف الناس شكراً على ما رزقه الله من حفظ السورة و فهم معانيها ، ولذلك فان الذين يتذوقون القرآن و يتمتعون بدراسة سورة البقرة ويتعمقون إلى معانيها ، مع اطلاع على مزايا عمر رضى الله عنه السياسية والادارية

يرون ذلك نتيجة لتأثير السورة العميق فى نفسه .

كانت معانى هذه السورة مرتسمة فى نفوس الصحابة رضى الله عنهم بغاية من العمق حيث إنها لم تضمحل أبداً ، لا فى الرخاء والسراء ولا فى الشدة و الضراء ، و رغم حوادث الزمان و طوارق الحدثان ، بل إن معانيها أحدثت فى قلوبهم قوة ونشاطاً و طموحاً و عزيمة بوجه دائم ، وقد ثبتت بها الأقدام حال اقتلاعها و تزلزلها ، و تأكدت العزائم وقت انهيارها ، كان المسلمون يتمتعون بوفرة الجيش والقوة حين قتالهم مع قبائل ثقيف وهوازن ، الذى حدث لهم بعد فتح مكة ، وتقدم رسول الله ﷺ بجيش يحتوى على اثنى عشر ألف مقاتل ، وتأكد المسلمون بالفتح نظراً إلى كثرة عددهم و وفرة وسائلهم وظنوا أن العدو لا يستطيع أن يتجرأ على قتالهم ، و لكن الله تعالى كره إعجاب المؤمنين بجيشهم و جندهم لأن ذلك كان يعارض صفة المؤمن حالة الرخاء و السراء ، و لأن الايمان يتطلب التوكل على الله وحده فى كل حال ، و المسلمون كانوا يجتازون مراحل الضعف و قلة الأسباب قبل فتح مكة ، و لكنهم لما أكرموا بالقوة و الجند و السلاح و الوسائل أراد الله أن يمتحنهم ، و يبين لهم أن الانتصار و الفتح لا يتوقف على ما عندهم من القوة والوسائل ، إنما هو من عند الله وحده ، فلا بد من التضرع والانابة إليه ، وطلب النصر و الفتح منه بحسن إقبالهم عليه و صلاح أعمالهم له ، ثم لا يدخل إليهم الضعف و الجبن فيما أعدوه من قوة و وسائل للتظاهر بعبوديتهم و طاعتهم ، بل ليتقدموا إلى الله بكل ما عندهم من قوة و أسباب ، مع الانابة الكاملة إليه و طلب النصر منه .

و لما حدث فى وقعة حنين أن المسلمين أعجبوا بكثرة العدد و العدد ، زلزلت أقدامهم فى أول وهلة منها ، و تولوا عن المعركة رغم القوة الكثيرة و الأسباب

الزائدة، ذلك لكى لا يجد زيغ أو فساد سبيلا إلى المجتمع الاسلامى من أول يومه، و ينتبهوا إلى ذلك بوجــه دائم ، و بما أن ذلك الاعجاب إنما كان كشئى خارجى لم تتعمق جذوره ، و كان الايمان قد تغلغل فى أحشائهم ضاربة جذوره إلى أعماق القلوب ، ثبت أقدامهم إشارة واحدة فقط من رسول الله ﷺ «فعن عتبة بن مرثد رضى الله عنه قال :

رأى النبى ﷺ فى أصحـــابه تأخراً فقال « يا أصحاب سورة البقرة » وأطن هذا كان يوم حنين يوم ولوا مدبرين ، أمر العباس فناداهم « يا أصحا أهل بيعـــة الرضوان و فى رواية « يا أصحاب سورة البقر يقبلون من كل وجه »

و هنا قصة أخرى لتأثير سورة البقرة ، فمن المعلوم ... فى قبائل العرب ، بعد وفاة رسول الله ﷺ و ظهر المتنبؤن فى كثير من المدن و القرى الذين استهدفوا الناس بضلالهم وتضليلاتهم ، خاصة ظهرت الردة فى اليمامة حيث ادعى مسيلمة الكذاب بالنبوة واحتال فى تضليل الناس و إغوائهم ، و ذلك فى عهد خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه الذى وجـه جيشاً لمحاربة مسيلمة نظراً إلى دقة الموقف ، و كان عدد جيش المسلمين أقل بالنسبة إلى جيش مسيلمة ، وكان الموقف فى غاية من الدقة والخطورة ، ورغم أن المسلمين كانوا يستميتون ويقاتلون فى شجاعة ، إلا أن كثرة جيش العدو بعثت فى نفوسهم الخوف و زلزلت أقدامهم .

و فى هـــذه المناسبة إعلاءاً لهمم الجيش ، و تقوية لايمانهم بالنصر من الله ، وترغيباً لهم فى تقديم كل نوع من التضحية فى سبيل إعلاء كلمة الله جعل المهاجرون والأنصار يتنادون : يا أصحاب سورة البقرة حتى فتح الله عليهم رضى الله عن أصحاب رسول الله أجمعين .

و فضلا عن هذه الأحداث و الوقائع فان هناك مناسبات عصيبة بعثت فيها سورة البقرة إيماناً جديداً و ثقة جديدة فى نفوس المسلمين ، و أى بقعة من بقاع الأرض سواء فى العرب أو العجم ، فى الشرق أو الغرب لم تشهد معجزة الغلبة و الانتصار و الفتح المبين ، و لم تحظ بتفسير « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله »

وكلما واجه المسلمون فى تاريخهم حوادث قاسية من الهزيمة و البلاء بعد الغلبة و السعادة استقبلتهم الآية من كتاب الله تعالى ، تسليهم وترشدهم إلى التدرع بالصبر والصلاة « يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين »

والواقع أن سورة البقرة فى القرآن من أعظم السور تأثيراً فى القلوب و إثارة على الأوضاع الفاسدة ، و إن معانى هـــذه السورة إذا كانت موضع اهتمام المسلم ، و دراسته ، و أراد أن يصوغ حياته فى قالبها العظيم ، لتمثلت أمامه معجزات من السماء ، و خضع العالم كله أمام عظمة المسلم و إيمانه .

« يتبع »

الغزو الفكرى فى العالم الحديث

(الحلقة الثانية الأخيرة)   فضيلة الدكتور الشيخ يوسف القرضاوى

أريد فى وقت من الأوقات أن تؤلف الكتب للجميع تحت اسم « الدين يشمل الاسلام والمسيحية و اليهودية » و يشترك فيها مشايخ معمون ، و نادوا بأن الدين لله و الوطن للجميع ، ما معنى ؟ الدين لله و الو
كلمة حق يراد بها الباطل ، و لكن نستطيع أن نقول
و نستطيع أن نقول : « الدين للجميع والوطن لله » و
للجميع و الوطن للجميع » لا يلزم أن يكون الانسان متعصبا
أن يتعصب ضد الآخرين بالباطل « فاستمسك بالذى أوحى إليك إنك على صراط مستقيم » « فتوكل على الله إنك على الحق المبين » وهذا معنى « قوله تعالى « ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله و عمل صالحاً و قال إنى من المسلمين » إنها تعنى الاعتزاز و الاستمساك بهذا الدين ، فمن آثار الغزو الفكرى عملية توحيد الديانات و ضمها إلى الدين الاسلامى و الفصل بين الدين و الدولة والاعتقاد أن الدين شئ والدولة شئ آخر .

ثم من ناحية أخرى هناك غزو فى مجالات مختلفة ، دخل الغزو الفكرى إلى ميدان التشريع لحصروا التشريع الاسلامى فيما يسمى بالأحوال الشخصية و شئون أخرى من الزواج و الصلاة ونحوها ، أما التشريع الجنائى والتشريع المدنى والتشريع الدستورى ، والتشريع الدولى ، والتشريع التجارى وغير ذلك فكلها سحبت من الاسلام

و استوردت قوانين وضعية أجنبية من هذا البلد أو ذاك و فرض على المسلمين أن يحتكموا إليها .

كان يمكن أن يحدث هذا فى عهد الاستعمار بحكم القوة الغاصبة ولكن المصيبة أن يحدث هذا بعد رحيل الاستعمار و تبقى القوانين الوضعية و تطبق فى قلب ديار الاسلام ، لأن المشرعين درسوا القوانين الوضعية فى كليات الحقوق فى بلاد إسلامية وسافروا إلى البلاد الخارجية ليستكملوا هناك دراساتهم العليا ، فى أوساط كافرة وبين أساتذة و قضاة و محامين و مستشارين يهتفون ضد العودة إلى الشريعة الاسلامية ، و بقى الاسلام معزولا عن الحكم و عن التشريع وعن القضاء إلا فى دائرة محدودة ونطاق ضيق ، نطاق الأحوال الشخصية ، بل وهذه الدائرة المحدودة أيضاً غزيت الآن فى بعض البلاد الاسلامية ، نحن نعرف أن التشريع الاسلامى لم يبق منه شئ للسلمين فى عهد أتاتورك حتى قانون الأحوال الشخصية للسلمين لأن أتاتورك رفض أن يكون للذكر مثل حظ الأنثيين و رفض أن يتزوج المسلم امرأة أخرى و رفض أن يطلق المسلم امرأته لسبب ، فاستورد الأفكار النصرانية ليحكم بها المسلمين ، و منع تعدد الزوجات و منع الطلاق و سوى بين الذكر و الأنثى فى الميراث و جعل المرأة أن أن تتزوج بغير رضى أهلها .

و فى بعض البلاد العربية أيضاً منعوا الطلاق و تعدد الزوجات كما فى تونس منعوا تعدد الزوجات و حرموا ذلك بالقانون ، و من الشروط التى سمعتها من شيخنا الشيخ عبد الحليم محمود شيخ الأزهر السابق (رحمه الله) أن رجلا فى تونس تزوج بامرأة فى السر ، و عقد عليها سراً عقداً شرعياً و أعطاها صداقها و أشهد الشهود ، وهو من الناحية الشرعية زواج صحيح تماماً ، فكان يذهب إليها بين الحين والحين ولكن لم يسجل ذلك فى الوسائط الرسمية لأن ذلك ممنوع وغير جائز فى نظر القانون

فبقى هذا الزواج شرعياً غير موثق به رسمياً ، المهم أن بعض الناس لاحظوا تردده على هذا البيت و عرفوا أنه متزوج بهذه المرأة فبعثوا بشكوى إلى السلطات الرسمية أن فلان بن فلان تزوج بامرأة على زوجته فنصبت له بعض المباحث و المخابرات الذين يراقبونه حتى قبضوا عليه فى ليلة ما متلبسا بدخول هـذا البيت و ذهبوا به إلى الشرطة و رجال التحقيق ، فسألوه : هل أنت متزوج بهذه المرأة و أنت تعلم أن القانون يحرم هذا ؟ فقال لهم من قال لكم إنى متزوجها ، قالوا أنت تدخل عليها ما بين الحين والحين والآن دخلت عليها ، فقال إنها ليست زوجة لى إنها عشيقة لى . رفيقة لى ، قالوا : صحيح ما تقول؟ قال نعم ؟ قالوا إذاً قد أ..
تزوجتها ، فاعتذروا إليه ، و أطلقوا سراحه ، كانوا يظ..
و تزوج بالمرأة و لكن الرجل تخلص منه بهذه الحيلة ..
هى رفيقتى .

هذا ما يراد فى البلاد الاسلامية للاسف ، يريده عبيد الغزو الفكرى ، يريدون أن يحللوا الحرام ويحرموا الحلال فأحلوا للناس ما حرم الله و حرموا على النـاس ما أحل الله ، و لا تريد تونس أن تكتفى بهذا بل ذكر الرئيس التونسى فى رسالة له سماها ـ للاسف ـ بعنوان « العمل بالاسلام » ذكر فى هـذه الرسالة أنه يريد أن يكمل خطواته فى سبيل تحرير المجتمع التونسى كما يدعو إلى التسوية بين الذكـر و الأنثى فى الميراث ، ويقول إن هذا التفاوت كان قبل أن تستقل المرأة اقتصادياً و تعتمد على نفسها لا على زوجها و لا على أبيها و لا على أخيها ، فالآن آن الأوان لأن نجتهد من جديد و نسوى بين الذكر و الأنثى ، والنص القطعى المدعم بالعمل و بالاجتماع المستمر طوال أربعة عشر قرنا من المسلمين يريد أن يجتهد فيه من جديد فيسوى بين الذكر و الأنثى ، هذا كله نتيجة للغزو الفكرى .

رأينا فى كثير من بلاد الاسلام أن المرأة المسلمة تنسلخ من شخصيتها و تخرج متبرجة ، تخرج النساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤسهن كأسنمة البخت كما صور ذلك الحديث الصحيح الذى رواه أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ ، كأنما كان ينظر إلى نساء هذا العصر و يصورهن تصويراً دقيقاً ، وللشراح قديماً يختارون معنى كاسيات عاريات ، كاسيات من الثياب ، عاريات من الحياء ، أو عاريات من التقوى ، وتفعل ذلك المسلمة بنت المسلم نتيجة للغزو الفكرى .

لما دعا قاسم أمين فى أوائل هذا القرن أو منذ نصف قرن تقريباً إلى تحرير المرأة كان يريد أن تكشف المرأة عن وجهها و أن تذهب إلى المدارس للتعليم ، وما كان يتصور قبل نصف قرن من الزمان فقط أن تنسلخ المرأة المسلمة إلى مثل هذا الحد الذى نراه و تقلد المرأة الأجنبية فى ذلك .

و نتيجة للغزو الفكرى رأينا انكماشا وانهزاماً أمام الحضارة الغربية فى عدة ميادين ، منها ميدان المرأة ، ومنها ميدان الاقتصاد حيث زحف الربا على بلاد المسلمين و قامت البنوك الراسمالية الربوية فى شتى بلاد الاسلام ، وصعب للناس الاستغناء عن البنك ، و هذا ما حدث مع الزكاة ، ذلك الركن الاسلامى الثالث فى الاسلام الذى حطم تحطيماً و أصبح من المسلمين من يؤمن بالاقتصاد الرأسمالى ، و منهم يؤمن بالاقتصاد الاشتراكى و لا يؤمن بالاقتصاد الاسلامى ، هذا كله أيها الاخوة نتيجة الغزو الفكرى ، و الغزو الفكرى عم فى جوانب الحياة الاسلامية المختلفة و لم يترك للدين إلا ركنا صغيراً ضيقاً محدوداً ، مثلا ركن الدين فى التشريع فى الأحوال الشخصية وركن الدين فى التعليم على أنه يجب أن يصبغ التعليم كله بالصبغة الاسلامية فالتاريخ فى بلاد الاسلام و الاجتماع والاقتصاد واللغة كلها يجب أن ينظر إليها من وجهة النظر الاسلامية ، و كذلك العلوم و الكيمياء و الفيزياء كلها يجب أن ترى

من رؤية الاسلامَ ، فبدلا من أن نشرح ونقول : إن الطبيعة زودت الحيوان كذا و كذا من الخصائص يجب أن نقول : إن الله زود هذا الحيوان بكذا ، و لكن صار فى جامعاتنا و مدارسنا فى الدول الاسلامية حصة أو حصتان للدين فى نهاية اليوم الدراسى بعد أن يتعب الطلاب و يملوا و لذلك يعتبرها المدرس راحة له ، و يعتبرها التلاميذ أنفسهم كذلك ، و فى بعض البلاد تدرس القومية باسم الدين أو الاشتراكية تدرس باسم الدين . أو نحو ذلك .

أيها الاخوة ! هذا هو الغزو الفكرى و بعض آثاره فى الحياة الاسلامية ، و لكن أحب أن لا أنهى حديثى قبل أن أذكر لكم أن هذا

يقاومه كما وجد للغزو العسكرى من يقاومه بالسلاح و

للغزو الفكرى من يقاومه من رجالات الاسلام علما

وقفوا ضد هذا الغزو فى كل بلد من بلاد المسلمين و هذ

و تعالى ، ولكى يقيم الله الحجة على عباده ولا يجمع الله هذه الأمة على الضلالة « فان يكفر بها هؤلاء ، فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين »

و رحم الله أمير شعراء العرب أحمد شوقى حينما قال :

إن الذى خلق الحقيقة علقما لم يخل من أهل الحقيقة جيلا

و لا تخلو الأرض من قائم لله بالحجة و الله يبعث على رأس كل مأة سنة من يجدد لهذه الأمة أمر دينها ، و لا تزال طائفة من هذه الأمة قائمين على الحق ما يضرهم من خالفهم ، حتى يأتى أمر الله و هم على ذلك ، « و من خلقنا أمة يهدون بالحق و به يعدلون » فكتاب الله و سنة رسوله يعطياننا الأمل بأن هذه الأمة لا يمكن أن تجتمع على الضلالة و أنه سيبقى فيها من يحمل الراية ومن يذود عنه ومن يحمل الراية و يدافع عنه بالدم ومن يدافع عنه باللسان و بالقلم ولو لقى

فى سبيل ذلك ما لقى ، فقد يلقى فى سبيل ذلك الاضطهاد والظلم والعذاب ، وقد يدخل السجن وقد يعلق على حبال المشانق فى سبيل الذود عن الفكر الاسلامى الصحيح ، وعن رسالة الاسلام الشاملة ، وله فى كل مكان من يصحح للناس المفاهيم ، ويرد الناس الشاردين إلى دائرة الاسلام من جديد ، و يجمع الناس على هـذا الدين و يأخذهم ألوفا ألوفاً فى ساحة الاسلام .

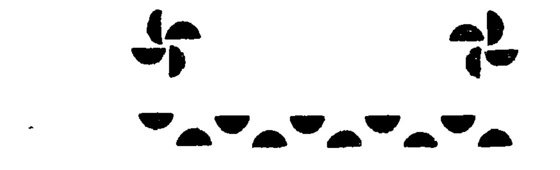
وجد من هولاء كثيرون فى بلاد العرب و بلاد الهند و فى اندونيسيا و فى كل مكان ، وجد هؤلاء فكانت نتيجة ذلك أن عادت الثقة إلى كثير من المسلمين بالكتاب وعاد الاعتزاز بهذا الاسلام ، و وجدنا من يرفع رأسه لنا وينادى بأعلى صوته « إننى من المسلمين » وجدنا هذا فى كل البلاد و الحمد لله ، و وجدنا هذه اليقظة الفكرية الروحية العملية فى شتى بلاد الاسلام ، وخاصة بين الشباب فى الهند ، فى باكستان ، فى تركيـــا ، فى مصر ، فى المغرب فى بلاد العرب ، فى أوربا ، فى أمريكا ، فى أمريكا والله أيها الاخوة وجدت الشباب الملتزمين بالاسلام ، فى قلب بلاد الاباحية و التحلل وجدت الصائمين القائمين الراكعين الساجدين الذين يلتزمون صيام الاثنين والخميس ، فى قلب أمريكا وجدت الفتيات المحجبات ، فى قلب الشـارع فى أمريكا وفى قلب الجامعة الأمريكية وجدت هذا بوضوح ، وجدنا الانتصار على الغزو الفكرى من جديد ، وجدنا المكتبه الاسلامية تزخر بكتب الدعاة الاسلاميين فى كل بلد ، وبمحاسن الاسلام ، و جمال الاسلام وعظمة الاسلام و زالت الشبهات عن هذا الدين ، و إن كان هناك أناس دعونا إلى أن نأخـــذ الحضارة الغربية بخيرها و شرها و حلوها و مرها كما فعل مثل طه حسين الذى كان شيخاً أزهرياً معمماً و لكنه نادى فى وقت من الأوقات بالحضارة الغربية و دعانا لكى نأخذها بحلوها و مرها و ما يحب منها و ما يكره ، و ما يحمد منها و ما يعاب ، ومن

ظن غير ذلك فهو خادع أو مخدوع فى زعمه ، ويحدث هذا فى وقت من الأوقات فى علم الطبيعة ، فان هناك من ينادينا بالطبيعة المطلقة .

ولكن نحن الآن فى مرحلة واضحة بدأ ينهزم فيها الغزو الفكرى ـ والحمد لله ـ بدأنا نرى فى الجامعات آلافاً من الشباب المسلمين بالاسلام عقيدة و عملا و فكراً و سلوكا و طريقة و حضارة ، هكذا يوجد فى كل الجامعات آلاف من الشباب و جمعيات إسلامية فى كل مكان تقتبس الفكرة الاسلامية و تقاوم الفكرة الغربية ، و لا شك أن اليوم خير لنا من الأمس ، و نرجو إن شاء الله أن يكون الغد خيراً من اليوم .

اللهم اجعل يومنا خيراً من أمسنا ، و اجعل غد عاقبتنا فى الأمور كلها ، « ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب »

و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته



لستم طلاب ملك ولا منتجعى جاه ومنصب ، ولا رواد ثروة ورخاء ، أومدفوعين من شح و حرص .

قيل لشيخ الاسلام ابن تيميــة : يقال : إنك تريد الملك ، فقال فى دهشة و قوة أنا أريد الملك ؟ ! و الله إن ملك التتار لا يساوى عندى درهماً ، و قد كانت دولة التتار أكبر دولة و أكبر قوة على وجه الأرض فى ذلك الحين .

و إن أحد المربين فى الهند الذى نفع الله به خلقاً كثيراً ، عرض عليه ملك دهلى مالا طائلا ، فقال له : لا شأن لى به ، قال : لا بد من أن تقبل شيئاً مما أعطانى الله ، فقال : إن الله - سبحانه و تعالى - يقول : « قل متاع الدنيا قليل » فاذا كانت الدنيا كلها قليلة : فقارة آسيا - طبعاً - أقل منها ، و الهند أقل منها ثم دهلى أقل منها ، و أنت لا تملك إلا هذا ، فكيف ارزأك فى هذا الزهيد اليسير .

وأحكى لكم قصة وقعت فى دمشق ، كان الشيخ سعيد الحلبى من كبار الأساتذة والمربين فى القرن الماضى و كان - مرة - يلقى درساً فى جامع من جوامع دمشق فجاء إبراهيم باشا - الحاكم العام لسورية - و إبراهيم باشا من تعرفونه فى القسوة و العنف - و دخل و وقف أمام الباب ، و كان الشيخ يشكو ألماً فى رجــله ، و كان ماداً رجله إلى الأمام لأنه كان مستنــداً إلى جدار المحراب و يلقى الدرس فكانت رجله إلى الباب ، فدخل إبراهيم باشا ومعه المحافظون العسكريون والشرطة ، فانتظر و توقع أنه سيقبض رجله ، و لكنه لم يفعل ، و خاف أصحابه عليه من السيف ، و قبضوا ثيابهم لئلا يصيبها دم زكى ، دم عالم تقى ، و بقى إبراهيم باشا واقفاً ثم رجع و أرسل صرة من دنانير ذهبية مع أحد الخدم ، و قال : تقدم إلى سيدنا الشيخ سعيد الحلبى ، وتقول له : هذه هدية من إبراهيم باشا ، فلما جاء بها الخادم إليه قال كلمته البليغة الحكيمة التى هى أبلغ من ألف قصيدة قال : قل لسيدك

إن الذی یمد رجله لا یمد یده .

فالانسان مخیر ، إما أن یمد رجله وإما أن یمد یده ، فاذا مد رجله لایسوغ له أن یمد یده ، لأنه تناقض .

و قد جبل الناس علی حب من زهد فیما عندهم و البغض لمن ینافسهم فیما یحرصون علیه ، هذه هی الطبیعة البشریة منذ آلاف السنین و لا تزال ، فأنتم إذا أردتم أن تؤثروا فی نفوس من توجهون إلیهم الدعوة فأوضحوا لهم أولا وطمئنوهم أنكم لستم طلاب ملك ومال وطلاب رئاسة وجاه ، وطلاب مناصب و وظائف ، إنما أنتم تفعلون ذلك شفقة علیهم ، و رقـة بهم ، و عطفاً علیهم ، و خوفاً من أن یصیبهم مكروه

أنا تلمیذ صغیر لتاریخ الاصلاح و التجـدید

متعددة ولـكن تأتی فی مقدمتها هوایتی فی التاریخ ، وخ

فما رأیت تجربة فی القرون الأخیرة ـ أعنی بعـد القرن الثامن علی الأقل ـ انجح و أكثر توفیقاً من تجربة الاصلاح والتجدید التی قام بها الشیخ أحمد السرهندی فی القارة الهندیة، وقد حكیت قصته فی الجزء الرابع من كتابی «رجال الفكر والدعوة» الذی سیصدر إن شاء الله قریباً باللغة الأردیة و ستقرأون هذه القصة بالتفصیل .

تقرأون فیه أنه كیف استطاع الرجل الأعزل المجرد من كل سلاح و المجرد من كل ثروة مادیة ، و المجرد من كل جیش ، أن یحول التیار فی الامبراطوریة المغولیة العظمی التی كانت فی الدرجة الثانیة بعد الامبراطوریة العثمانیة الـكبری فی الشرق الأوسط ، و فی البلاد العربیة والتركیة ، إن هذه الامبراطوریة التی لم تكن إمبراطوریة ـ بعد الامبراطوریة العثمانیة ـ أكبر منها مساحة ، وأكثر منها فتوحاً ونجاحاً ، وكان علی رأسها الملك القوی القاهر الذی اتسعت له الفتوحات الواسعة العظیمة وهو جلال الدین أكبر

و كان هذا الامبراطور نشأ فى قلبه عداء للاسلام و حقد عليه ، لأن من ينحرف عن الاسلام و يثور عليه أقبح و أشد من الذى نشأ فى الكفر ، كما حكيت لكم فى حديثى بالتفصيل فى محاضرتى بعنوان « عاصفة يواجهها العالم الاسلامى والعربى » و فى هذه الجامعة نفسها ، و لأن الذى يخرج من النور إلى الظلام يكون أعمش و أقل إبصاراً من الذى نشأ فى الظلام ، ثم إنه يصاب بمركب النقص .

فكان الامبراطور جلال الدين ، نشأ فيه عداء شديد للاسلام ، ومن الأمثلة على ذلك أنه ما كان يستطيع احد فى بلاطه أن يسمى ابنه محمداً ، لأنه كان يكره هذا الاسم ، فترك الناس التسمية بهذا الاسم وكان من يذبح بقرة فى عهده يعاقب بالقتل ، و كان قد فتح الخمارات وشجع الناس على شرب الخمور وأكل لحم الخنزير ، و كان قد تأثر بالبرهمية و الوثنية الهندية ، كان يتجه بالمملكة إلى الطابع الهندى البرهمى و الفلسفة الهندية القديمة (١) .

هنالك قيض الله - تعالى شأنه - لمكافحة هذا التيار و مقاومة هـذه الفتنة العظيمة الشيخ أحمد السرهنـدى (٩٧١ - ١٠٣٤هـ) فجلس فى ركن من أركان بيته و بدأ يفكر فى شق الطريق لمكافحة هـذا التيار : فجعل يراسل الملك و أهل البلاط ، من الوزراء الكبار ، و الأمراء العظام ، و يثير فيهم النخوة الاسلامية و الحمية الدينية و يقول لهم : يا جماعة أنتم مسلمون و أولاد المسلمين ، و قد شرفكم الله تعالى بنعمة الاسلام ، و رغم ذلك نرى أتباع محمد ﷺ و هو حبيب رب العالمين - أذلاء فى هذه البلاد التى فتحها المسلمون . وأراقوا عليها أزكى دمائهم وصرفوا لها أفضل عبقرياتهم ، وأحسن مواهبهم ، كيف تحتملون هذا الوضع وكيف

(١) راجع للتفصيل رسالة المؤلف « الدعوة الاسلامية فى الهند و تطوراتها »

ترضون بذلك يا عباد الله .

صار يثير فيهم كامن الايمان ، و يحرك فيهم العرق الاسلامى الذى لا يخلو منه قلب أى مسلم ، وما زال يثير فيهم النخوة الاسلامية و يواصل العمل ، وبقى هكذا مدة طويلة يراسل و يكتب و يقابل حتى كسب عدداً من الأمراء فكانوا أنصاره و تلاميذه ، و مات جلال الدين أكبر و خلفه ابنه نور الدين جهانكير و طلبه إلى بلاطه ، و لم يسجد له الشيخ تعظيماً كما كانت العادة فى البلاط ، فسجنه فبقى فى السجن سنتين ، ثم أمره بأن يبقى فى المعسكر و يرافقه لمدة ثلاث سنين فصبر على هذه الحالة و عرف جهانكير أنه من طراز آخر و أنه عالم ربانى مخلص ، زاهد فى الدنيا محب للخير فأحبه و أجله و بدأ

و بناء المساجد فى المناطق والقلاع التى كان يفتحها ، و

و لم يزل يجرى اتصالاته بالأمراء المسلمين و كان

مؤمنة ذات حمية دينية ، فقلب التيار ، وغير مجرى التاريخ فكان

أبيه أكبر ، و كان ابنه شاهجهان أفضل من أبيه جهانكير ، و مما يدل على ذلك أنه لما صنع له « عرش الطاؤس » الذى صرف عليه الملايين ، و تربع عليه نزل بعد هنيهة ، و قال : لقد كان فرعون سعيداً ، إنه جلس على عرش آدوس و ادعى الألوهية و قال : « أنا ربكم الأعلى » و لكننى أنا مسلم ، ثم سجد لله شكراً . ثم جلس على العرش .

و خلفه أورنك زيب عالمكير ، ذلك الذى دون الفتاوى الهندية ، و طبق الأحكام الشرعية ، و نصب الحرية على الهندوس و كان من أفقه الملوك الذين عرفناهم فى العصور الأخيرة ، و من أغير الملوك على الاسلام و من أكثر الناس حرصاً على اتباع السنة لا تفوته جمعة و لا جماعة ، و حفظ القرآن الكريم ،

و جمع أربعين حديثاً و شرحها .

كل ذلك بجهود رجل واحد فقير أعزل . ولكنه تملكته العقيدة ، و سيطرت عليه الفكرة وتشبثت به الغاية النبيلة ، حتى أصبح لا يملك نفسه و لا يقدر على التحول من موقفه ، و قد أثبت للملوك أنه لا يريد الملك ، و قال لهم : إذا صلحتم أنتم فأنتم أولى للحكم ، لا أشاطركم و لا أنافسكم فى ملككم . و أدعو الله تعالى لكم بالتوفيق و النجاح ، و خذوا أنتم الزمام بأيديكم ، و طبقوا الأحكام الشرعية و توجهوا بهذه البلاد إلى الاسلام .

هذان عاملان أساسيان فى رجال الدعوة : أحدهما : تملك الفكرة وسيطرتها على نفسه ، و الثانى : التجرد عن المطامع الدنيوية و الزهد فى المناصب و الملك .

واكتفى بذلك و أرجو أن يكون هذا بلاغاً للمستمعين النبهاء الأذكياء أبنائنا أبناء الجامعة الاسلامية ، و عسى الله أن ينفعنا جميعاً لما فيه خير الاسلام والمسلمين .

و أعود فأقول لكم : إنه ينبغى أن تكون كلمتكم الرائدة :

« أينقص الدين و أنا حى ؟

و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته .

و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الدّعوة الإسلامية

أرض الحرم ، أحكامها و مصالحها

كمايراها القرآن .

العلامة الدكتور السيد سليمان الندوى (رحمه الله)
« معرب »

الأحكام التى تتعلق بالجزيرة العربية مصدرها هى تلك الآيات العديدة التى تتضمنها سورة التوبة ، و لما توسع نطاق الفتوح الاسلاميـــة أيام خلافة عمر ابن الخطاب رضى الله عنه ، و انعدمت القوى الكافرة من الجزيرة العربية لم يخطر ببال أى مسلم قط أن تستولى عليها حكومة كافرة فتنتهك حرمة الأرض و قدسية الحرم .

هذه الآيات فى سورة التوبة لم يفسرها أحد من هذه الوجهة للنظر ، التى يواجهها اليوم كل مسلم ، ويبدو الآن أن المجهودات التى بذلها النبي ﷺ وماتلاها من أبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما لانقاذ الجزيرة العربية والعراق والشام من التصرف الأجنبي ، و ما قدمه المسلمون من تضحيات فى سبيل ذلك ، إنما كان كل ذلك تفسيراً عملياً لهذه الآيات .

أما عهد المفسرين فلم يشهد ذلك المنظر لأرض الحرم ، و لا خطر على بالهم أن الحرم يعود قط إلى ما كان عليه قبل الاسلام ، حينما كان العرب متشتتى الشمل و نظامهم فوضى ، و كانت القبائل و المشركة ذات ألوان و أنواع تتحكم فى الناس و كان للمجوس و نصارى الروم سلطة على اليمن و العراق و الشام ، كشأنهم

فى السلطة على اليمن و البحرين و عمان اليوم ، و آل منذر كانوا يحكمون العراق تحت سيادة المجوس . وآل غسان فى حدود الشام فى سيادة الروم ، أما بقية الشام ، فكانت تحت سلطة الروم من النصارى ، و فى مثل هذا الوضع الذى كان يسود على الجزيرة العربية ، نزلت الآيات التاليات من سورة التوبة :

« يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ، وإن خفتم عيلة ، فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء ، إن الله عليم حكيم . قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله و لا باليوم الآخر ، و لا يحرمون ما حرم الله و رسوله و لا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكـ[illegible] الجزية عن يد وهم صاغرون » (التوبة / ٢٨ -

هذه الآيات تضم ثلاثة أمور :

١- المشركون لا يقربوا المسجد الحرام

٢- إن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله

٣- قاتلوا الذين لا يدينون دين الحق من أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد و هم صاغرون

إن ترابط الآيات بعضها ببعض و سياقها يدل دلالة واضحة على أن الأمور الثلاثة المذكورة أعلاه كلها مترابطة بعضها مع بعض ، و إن هذا الترابط يقتضى أن نمعن النظر فى ألفاظ الآيات لكى نتوصل إلى معانيها ويتضح لنا الترابط المعنوى فيها بوضوح أيضاً .

استنبط الفقهاء من الآية الأولى حكما قرآنيا حول منع دخول المشركين فى المسجد الحرام ، و رغم اتفاقهم فى هذا الحكم اختلفوا فى نوعية الدخول ، فقال الامام أبو حنيفة رحمه الله إن المشرك لا يستطيع أن يدخل المسجد الحرام كحاكم بالغلبة والاستيلاء ،

أما الامام الشافعى و جمهور الفقهاء فيرون أن المشرك ممنوع الدخول فى المسجد الحرام فى كل حال حاكماً كان أومحكوماً ، وينمى إلى أبى حنيفة فى شرح هذه الآية أمر آخر و هو أنه يرى أن مقتضى الآية فقط فى منع المشركين عن الحج

و لا شك أن الفقهاء قد عينوا مقتضى الآية فى منع المشركين عن الدخول فى المسجد الحرام أو منعهم عن أداء مناسك الحج ، و لكن الآية إذا كانت تتوخى هذا الغرض وحده لم يعبر القرآن عن ذلك بقوله : « فلا يقربوا المسجد الحرام » بل استطاع أن يعبر عنه بقول « فلا يدخلوا المسجد الحرام » أو بعبارة « فلايحجوا المسجد الحرام » ولكن الله سبحانه لم يرد ذلك فقط بل إن مراده بمنع المشركين عن الاقتراب إلى المسجد الحرام أوسع و أشمل مما عناه بعض الفقهاء ، و المعنى واضح فى أن الله تعالى لم يستعمل كلمة تمنعهم عن الدخول والحج ، وإنما استعمل كلمة « فلايقربوا » لأنهم حينما منعوا عن قربهم المسجد ، شمل ذلك معنى المنع عن الدخول والحج تلقائياً ، واستحال بالأولى أن يغلبوا أو يستولوا عليه أو يتولوه أو يقيموا ويسكنوا فيه ، و الواقع أن لفظ القرآن فى الموضوع عام و يشمل كل نوع من أنواع القرب .

و لو سلمنا أن لفظ القرآن هذا أريد به نوع خاص من عدم الدخول وعدم الاستيلاء والمنع عن الحج ، فماذا ستكون علاقة الأمرين اللذين ذكرهما الله سبحانه بعد منعهم عن الاقتراب إلى المسجد الحرام ، و هما أولا : إغناء الله المؤمنين إن خافوا عيلة نتيجة لمنعهم عن الاقتراب إلى المسجد ، والثانى : المقاتلة ضد المشركين ما لم يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون . وأى صلة لهذين الأمرين بعدم دخول المشركين المسجد الحرام و منعهم عن أداء مناسك الحج ، هل إن المشركين إذا لم يدخلوا المسجد ، ولم يؤذن لهم بأداء الحج يؤدى ذلك إلى فقر المسلمين ومقاتلتهم مع أهل الكتاب ؟

و يجب أن لا تفوتنا بالمناسبة نقطة أخرى مهمة ، و هى أن هده الآيات من سورة البراءة نزلت بعد فتح مكة فى عام ٩هـ كما يؤكد ذلك الأحاديث الصحيحة ، و إن معانى السورة تدل بايضاح على أن الاسلام كان له حكم و قوة ، من اليمن إلى العراق وحدود الشام ، وكان المشركون قد أسلموا بوجه عام ، والبقية ما كانوا يطالبون بشئ إلا الاسلام ، وفى مثل هدا الوضع لايهم المؤمنين أن يمنعوهم عن دخول المسجد الحرام أو الحج ، وكذلك النصارى و اليهود كانوا خاضعين للسلمين الفاتحين من صميم قلوبهم ، ولذلك فلا معنى لمنع المشركين إذا وجدوا عن دخولهم المسجد أو أداء مناسك الحج ، بل إنهم منعوا عن الاقتراب إلى المسجد الحرام [illegible]

الغرض هو أن لايقيم ولا يسكن أحد من غير المسلمين

لايحق لهم أن يجاوروا البيت الحرام و يعيشوا على .

الآية الآتية من سورة التوبة نفسها .

« ما كان للشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر ، أولئك حبطت أعمالهم و فى النار هم خالدون ، إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله و اليوم الآخر و أقام الصلاة و آتى الزكاة و لم يخش الا الله » (سورة التوبة ١٧ - ١٨) .

لايغيبن عن البال أن الله سبحانه خص المؤمنين بتوليتهم مساجد الله العامة ، و معلوم أن المساجد المقدسة فى الاسلام ثلاثة ، و كلها تذكار الأنبياء ، فالمسجد الحرام تذكار لسيدنا إبراهيم عليه السلام ، و بيت المقدس هو الذى بناه سيدنا سليمان عليه السلام ، والمسجد النبوى هو تذكار لسيدنا محمد ﷺ ، فان عمارة هذه المساجد الثلاثة و توليتها حق المؤمنين الذين يؤمنون بالله و اليوم الآخر و يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة و لا يخشون إلا الله .

وقيل نزول هـــذه السورة كان قد تم فتح مكة و القضاء على الوثنية ، أما

البقية الباقية من المشركين فكانوا أهل الكتاب ممن كانوا ينقضون عهد الله و أحكام الله رغم إيمانهم بالنبي عيسى عليه السلام و موسى عليه السلام ؛ وكانوا يجعلون مع الله أنداداً ، و لذلك فان تعميم الآية « إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام » يتناول كل نوع من المشركين . و لكنها تشمل الساكنين بجوار المسجد الحرام من اليهود و النصارى بوجه خاص .

و بهذا البيان يتضح من الترابط ما بين هذه الآية و ما بعدها من الآيات ، ومما لا خفاء فيه أن اليهود هم الذين كانوا يسيطرون على تجارة العرب ، و كان تعاملهم الربوي منتشرا بين الجزيرة العربية كلها ، فالحبوب من الطعام و البضائع الأخرى يأتي بها أنباط الشام ويهودها الذين كانوا تجار الجزيرة العربية ، وكانت مراكز اليهود التجارية قائمة كالحصون في كل مكان ، و كان يحكم ولاية الشام من الجزيرة العربية نصارى الروم و ولاية العراق مجوس الفرس ، الذين اعتبرهم الاسلام شبه أهل الكتاب .

استعمل الله تعالى في الآية كلمة « فلا يقربوا » يعني كل نوع من المشركين لا يكونوا قرب المسجد الحرام ، و معلوم أن لفظ القرب و البعد إضافي ، فيمكن أن يكون قريباً من طريق وبعيداً من طريق آخر ، وعلى ذلك لما أمر الله أن لا يقرب المشركون المسجد الحرام فلا بد من تحديد القرب و البعد ، و لذلك فان الشارع عليه الصلاة و السلام حدد هذا القرب بلفظ « جزيرة العرب » و قال : أخرجوا المشركين من جزيرة العرب » وقال أيضاً : « لا يبقى فيها دينان » وقال لا تبقى فيها قبلتان » و الواقع أن هذه الأوامر كلها تفسير الآية و تنفيذ للحكم المذكور فيها .

و الأحسن أن نعود إلى الآيات المذكورة من سورة التوبة في مستهل

البحث ، و نتأمل فيها من جديد : « يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء ، إن الله عليم حكيم ، قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله و لا باليوم الآخر ، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله و لا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » (التوبة / ٢٨ - ٢٩) .

اتضح المعنى جلياً أن المسجد الحرام و جواره يجب أن يكون مطهراً من جميع أنواع المشركين و خاصة أهل الكتاب منهم ، و يجب أن يمنع دخولهم فى الجزيرة العربية و إقامتهم فيها ، و قد كان المشركون الذ
الحرام و مناطقه المجاورة و يقيمون فيهـــا ، على
المشركين الذين كانوا يأتون إلى المسجد الحرام والمناط
التى كانوا يديرونها هناك ، و الثانى ، ممن كانت لهم ـــ
فى حدود الجزيرة العربية ، و لكن الاسلام أغلق أبواب مدنه المقدسة على هذين النوعين كليهما ، و قد أسلفنا أن معظم التجارة كانت بيد اليهود و الأنباط ، ومن هنالك خاف المسلمون على أنفسهم عيلة و فقراً نظراً إلى الحـــد الذى وضع على دخول المشركين فى المدن المقدسة ، فأراد الله سبحانه و تعالى أن يزيل عنهم هذا الخوف و يبشرهم بالغنى و اتساع أموالهم و تجاراتهم .

أما الآية الثالثة التى تنطوى على معنى القتال فهو نازاء القوى الكافرة التى كانت تقيم فى ولايات الشام و العراق على آخر حدود الجزيرة العربية ، و كانت تمتلك الحكم و السلطـــة ، فأمر الله المؤمنين بالمقاتلة معهم ما لم يعطوا الجزية عن يد و هم صاغرون .

و أثبت الله تعالى فى الآيات التى تليها بالدليل أن اليهود و النصارى كانوا

مشركين ذلك أن قالت اليهود عزير بن الله ، و قالت النصارى المسيح بن الله ، وكشف عن نياتهم السيئة حيث إنهم يريدون أن يطفئوا نورالله بأفواههم ، يقول:

« وقالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح بن الله ، ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يوفكون ، اتخذوا أحبارهم و رهبانهم أرباباً من دون الله و المسيح ابن مريم و ما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لاإله إلا هو سبحانه عما يشركون ، يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره و لو كره الكافرون ، هو الذى أرسل رسوله بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » (التو بة /٣٠ - ٣١) .

إن المحاولات التى قام بها اليهود والنصارى لاطفاء نور الله التى ذكرتها الآيات المذكورة أعلاه لا تزال قائمة بذاتها حتى اليوم ، وقد تولى الله سبحانه وتعالى فى سورة التوبة كشف الستار عن فساد اعتقادهم وإيمانهم الذى يحرمهم حق تولية مساجد الله ، و الكشف عن نواياهم السيئة فى الشئون المالية و التجارية ، ثم ذكر الله تعالى تلك الأشهر الأربعة الحرم التى يحرم فيها القتال فى أرض العرب ، وتحدث بعد ذلك عن غزوة تبوك التى هى مبدأ الغزوات فى الشام ، وما هى إلا سنوات عديدة إذ تسلم المسلمون مفاتيح بيت المقدس وتشرفوا بمفخرة تولية المسجد الأقصى ، ذلك المسجد الثالث فى الاسلام .

حلقات الأحداث كلها توفر لنا شهادة و تأييداً لما ندعيه من أن مشركى العرب لم يغزوا بعد نزول هذا الحكم إذ أن أى كتلة منهم لم تعد موجودة فى الجزيرة العربية ، بل الواقع .

١ — أن نصارى الروم فى الشام الذين كانوا يتزعمون الأمم الكافرة فى إطفاء نور الاسلام بحكم وجودهم فى أرض هى أقرب إلى أرض الحرم قوتلوا بعد نزول هذا الحكم ، و قد تحدث عنه القرآن ، و أشار إلى الغزوة التى

التى لم يحضرها بعض المؤمنين الصادقين مع المنافقين فواجهوا تأنيباً و عقاباً من أجل ذلك ، ثم وجه الخطاب إلى المؤمنين فقال : « يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار » .

يتجلى بوضوح من قرائن تبوك أن المراد من الكفار الذين يلون المؤمنين هى الحكومات الكافرة فى العراق و الشام التى كانت مستولية على البقية الباقية من أرض العرب من غير حق ، فصرف إليها النبي ﷺ وجوه الغزوات الاسلامية امتثالا لهذا الأمر ، ولما انتهى غزوة تبوك أمر بتعبئة الجيش لغزوة موتة فى مرضه الأخير و أوصى خلفاء الأربعة بتطهير الجزيرة العربية من الكفار ..

فقد تولى هذه الجبهة خليفته الأول أبو بكر الصديق

نطاقها إلى العراق و جاء عمر بن الخطاب فأنجز هـ

العربية بحدودها و عادت مركزاً لدين الحق و مقراً

الصلاة والسلام وهنالك نقل اليهود و النصارى من البقاع العربية الخالصة ، من اليمن و خيبر و غيرهما إلى العراق و الشام .

هـذا الشرح دل على أحكام الجزيرة العربيـة بكاملها و أحكام أجزائها المختلفة ، فمن أحكام الجزيرة العربية بكاملها أن تكون متحررة من التسلط الكافر و الاستيلاء الأجنبي ، لأن ذالك أقرب شكل لقرب المشركين و اتصالهم بأرض الحرم التى منعوا عنها ، و لذلك فان النبي ﷺ ظل مشغولا بالمغازى ضد المشركين حتى فتح مكة ، لئلا يجد المشركون الوثنيون فرصة سانحة للقرب إلى أرض الحرم والدخول فيها ، وظل بعده خلفاؤه مشغولين بالجهاد ضد المشركين فى العراق والشام حتى تم تطهير الجزيرة العربية بكاملها من سيطرة أهل الكتاب وشبههم من المشركين و استيلائهم عليها

٢- الآية تشتمل بصفة خاصة على كلمة المسجد الحرام فى منع المشركين عن القرب والدخول فيه ، ولكن الأجزاء الأخرى من الجزيرة العربية التى هى بجوار المسجد الحرام أغلقت أبوابها على المشركين إبقاءاً على حرمته ، و لذلك فيحرم على كل مشرك أن يدخل المسجد الحرام بناءاً على النص الصريح .

٣- الأحاديث الصريحة التى وردت فى تفسير الآية كقوله : « أخرجوا المشركين » تشمل صريح كلمة جزيرة العرب ، و على ذلك أخرج عمر بن الخطاب المشركين من اليمن و خيبر و نقلهم إلى العراق و الشام موطنهم الأصيل ، فثبت من هذا أن الجزيرة العربية الخالصة أعنى الحجاز و اليمن و حضرموت و عمان و البحرين ونجد واليمامة و غيرها من الولايات العربية لا تصلح أن تكون مسكناً مستقلا لغير المسلم و يمكن أن تكون مسكناً مؤقتاً له ، و منذ ذلك الوقت كان رؤساء الدول و سفراؤها من غير المسلمين يزورون المدينة المنورة فى عهد الرسول ﷺ و الخلفاء ، إلا أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد حدد مدة إقامتهم هناك لثلاثة أيام ، و هى مدة الضيافة ، و قد ذكر عبد الرزاق هذا الحديث فى مسنده .

٤- كلمة « جزيرة العرب » تشمل ولايات العراق والشام ، إلا أنها خارجة عن حدود العرب الخالص و أن أهل الكتاب الذين كانوا يقيمون فيها لم يأمر القرآن باخراجهم منها بعد اعترافهم بحكم الاسلام والخضوع لسيطرته و سمح الرسول ﷺ و الخلفاء الراشدون باقامتهم فى حدود هذه الولايات وداخلها و أسكنهم فيها ، و من ثم فانهم مسموحو الاقامة فيها تحت راية الحكم الاسلامى ، و لقد وصف الله سبحانه وتعالى نفسه بالعلم والحكمة لدى ذكره هذه الأحكام ، لأنه عليم بمصالح

هذه الآحكام و فوائدها و أن حكمته تقتضى تنفيذ هـذه الآحكام ، و لدلك فان الله سبحانه لم يسم الـكعبة بالبيت فى هذا السياق و لا سماها بالـكعبة ى هذه المناسبة كما فعل ذالك فى مناسبات عديدة ، ولـكنه عبر عنه بالمسجد الحرام ى هده المناسبة الخاصة ، إشارة إلى حرمته التى هى أساس هــذا الحكم و مصلحته ، كما عبر عن غير المسلمين بالمشركين ، أولئك الذين أراد أن يطهر عهم هــذا المسجــد و ما والاه ، وذلك إشارة إلى حقيقة أن شركهم هو فى الواقع سبب لمنعهم عن الاقتراب إلى المسجد الحرام و الدخول فيه ، و لذلك لما شرح النبى ﷺ هدا الحكم الالهى شرحه بقوله : أخرجوا المشركين من جزيرة العرب

أو قال : « لا تبق قبيلتان » .

و كل هذه الألفاظ و العبارات تعبير عن

واحد .

« يتبع »

صفحة من تاريخ الدعوة إلى الله

بقلم : الامام الشهيد حسن البنا (رحمه الله)

صلاة العيد فى الصحراء :

كنت أقوم فى رمضان بتدريس بعض الأحكام الاسلاميـة عقب صلاة الفجر فى المسجد العباسى و كانت أكثر ما تتعرض لأحكام الصيام و الزكاة و رمضان . و قبيل نهاية رمضان تناولنا أحكام صلاة العيد بالبيان ، و جاء فى هذه الأحكام أن من السنـــة أن يصلى العيـد فى ظاهر البلد و أن يخرج لها الناس رجالا و نساء يشهدن الخير و جماعة المسلمين ، و إن الأئمة قد اتفقوا جميعاً على أفضلية صلاتها فى الصحراء ما عدا الامام الشافعى الذى أفتى بأن صلاتها فى المسجد أفضل إذا كان فى البلد مسجد يتسع لأهلها جميعاً .

و بينما نحن نقرر هذه الأحكام إذا اقترح أحد المستمعين أن نحيي هذه السنة و نقوم بصلاة عيد الفطر فى الصحراء و بخاصة و ليس بالاسماعيلية حينذاك إلا مساجد صغيرة لا تتسع لبعض أهل البلد فضلا عن كلهم ، و من حولها صحراء قد اتسعت لجنود الاحتلال ، و تحمس السامعون جميعاً لهـذا الاقتراح فلم أر بداً من موافقتهم عليه و لكن مراعاة لما أعلم من سرعة انقسام الآراء فى هذا البلد حول المسائل الدينيـــة لشدة حساسيته فى هذه الناحية و لقرب عهده بالخلافات الماضية اشترطت ألا نخطو خطوة حتى نستشير العلماء ونتفق معهم على أسلوب التنفيذ ، فان

وافقوا فذاك و إلا فان اجتماع الآراء عـــلى خلاف الأولى أفضل من افتراقهـا و تشتيت الكلمة على ما هو أفضل.

و حاولت أن أخطو هذه الخطوة فاذا بى افاجأ بحملة عيفة من المتربصين بالدعوة و اتهامات قاسية بأن هذه ابتداع بالدين و تعطيل للمساجد و محاربة للاسلام و افتاء بالباطل . ومن ذا الذى يقول : إن الشارع أفضل من الجامع ، ما سمعنا بهذا فى آبائنا الأولين . و انتشر الخبر بسرعـة البرق و أصبح حدث الناس فى المقاهى و المساجد و المجتمعات العامة و الخاصة و كانت حملة يا لها من حملة . و تصادف أنى كنت حينذاك معتكفاً العشر الأواخر من رمضان
الناس يتقاطرون على عقب كل صلاة و يسألوننى عن
استغرب هذه الحملة التى لا أساس لهـا ، و أقرر
و أطلع الناس على النصوص الفقهية فى هذا المعنى ، وأتجنب ... و ... وأوصى بجمع الكلمة و البعد عن الخصومة . و لكن الأمر كان قد خرج من يدى و يد العلماء و تحمس الجمهور للحق و السنة و أعلنوا أن الصلاة ستكون ظاهر البلد ، و أعدوا المصلى لذلك فعلا ، و كنت لا بد أن أحضر إلى القاهرة لأقضى العيد مع الأهل فيها . لحضرت ليلة العيد و رتب الناس أنفسهم و صلى بهم الشيخ محمد مدين إمام مسجد العرايشية . و كان سرور الناس وانشراحهم بهذا المظهر الاسلامى عظيماً ، و حلت فى نفوسهم بركة السنة النبوية المطهرة . وعدت من إجازة العيد ، و رأيت آثار هذا الارتياح بادية على كل وجه ، و خمدت العاصفة المغرضـــة ، و تقررت السنة المباركة و استمرت صلاة العيدين إلى الآن ظاهر البلد فى مهرجان إسلامى جميل ،

نقاش فى بيت القاضى :

و فى إحدى ليالى رمضان زرت منزل فضيلة قاضى الاسماعيلية الشرعى واجتمع فى هذه الزيارة مأمور المركز و القاضى الأهلى وناظر المدرسة الابتدائية ومفتش المعارف و لفيف من الأدباء و الفضلاء و المحامين و الأعيان ، وكانت جلسة سمر لطيف .

و طلب فضيلة القاضى الشاى فقدم إلينا فى أكواب من الفضة و حامدورى فطلبت كوبا من زجاج فقط ، فنظر إلى فضيلته متبسماً ، و قال أظنك لا تريد أن تشرب لأن الكوب من فضة فقلت : نعم و بخاصة و نحن فى بيت القاضى .

فقال إن المسألة خلافية ، و فيها كلام طويل ، و نحن لم نفعل كل شئ حتى نتشدد فى مثل هذا المعنى ، فقلت يا مولانا إنها خلافية إلا فى الطعام و الشراب فالحديث متفق عليه و النهى شديد والنبى ﷺ يقول : « لا تشربوا فى آنية الذهب و الفضة و لا تأكلوا فى صحافهما » ويقول : الذى يشرب فى آنية الذهب والفضة فانما يجرجر فى بطنه نار جهنم » و لا قياس مع النص و لا مناص من الامتثال ، و حبـــذا لو أمرت بأن نشرب جميعاً فى أكواب من زجاج ، و تدخل بعض الحاضرين فى الأمر وأرادوا أن يقولوا إن الأمر ما دام خلافياً فلا لزوم للانكار ، و أراد القاضى الأهلى أن يدلى بدلوه فى الدلاء ، فقال للقاضى الشرعى : يا فضيلة القاضى ما دام هناك نص فالنص محترم ، ولسنا ملزمين بالبحث عن الحكمة وإيقاف العمل بالنص حتى تظهر ، فعلينا الامتثال أولا ، ثم إن عرفنا الحكمة فيها و إلا فذلك قصور منا و العمل على كل حال واجب . فانتهزتها فرصة و شكرت له وقلت له مشيراً إلى أصبعه ، و ما دمت قد حكمت فاخلع هـــذا الخاتم ، فانه من ذهب و النص يحرمه ، فابتسم و قال يا أستاذ أنا أحكم بقوانين نابليون و فضيلة القاضى

يحكم بالكتاب و السنة و كل منا ملزم بشريعته مدعى و تمسك بقاضى الشريعة ، فقلت إن الأمر إنما جاء للمسلمين عامة و أنت واحد منهم فهو يتجه إليك بهذا الاعتبار ، فخلع خاتمه ، وكانت جلسة ممتعة حقا وكان لها صداها بعد ذلك فى جمهور يرى مثل هذا الموقف العادى أمراً بمعروف أو نهياً عن منكر و نصيحة فى ذات الله .

محاضرة عن الاسراء :

و فى ليلة من ليالى الاسراء و المعراج كنت ألقى محاضرة بهذه المناسبة و قلت إن الاسراء و المعراج تكريم لرسول الله ﷺ ، سلطاناً قوياً على البدن بحيث يمكن أن يقال إن الليلة المباركة كانت من القوة و الامداد و الاتسا فعطلت نواميس المادة و جعلته فى غنى عن الطعا و التأثر بالاحتكاك والمسافات إلخ فان ذلك لا يكون مستبعداً ، و يقرب معجزة الاسراء إلى أفهام الدين يستغربونها ، وقلت إن شوقى رحمه الله أشار إلى هذا فقال :

يتساءلون و أنت أكرم مرسل بالروح أم بالهيكل الاسراء ؟
بهما سريت مطهرين كلاهما روح و روحانية و صفاء

و انتهى الحفل و الناس كلهم سرور بما سمعوا . و لكن المغرضين ذهبوا يشيعون أن الاخوان المسلمين ينكرون الاسراء و المعراج و يقولون إنهما ليست معجزة و إنها بالروح فقط وليست بالبدن ، و أنهم خوارج بهذا على اجماع الأمة وما عرف فى ذلك عن الأئمة ، و أراد الاخوان أن يردوا على هذا الكلام فنهيتهم نهياً شديداً و قلت لهم : « إن الطريقة الايجابية أجدى ألف مرة من الطريقة السلبية فاشغلوا الناس عن الفكرة الباطلة بفكرة صحيحة فقالوا : و ماذا نصنع ؟ فقلت

أعلنوا عن محاضرة تحت عنوان عظمة رسول الله ﷺ ففعلوا ، و اجتمع النـاس وتحدثت إليهم عن نواحى عظمته ﷺ الخاقية والخلقية والروحية و العبادية وعظمة رسالته الشاملة الخالدة الكاملة الباقية ، وعظم منزلته عند الله فى الدنيا و الآخرة ، فخرج الناس و لا حـــديث لهم إلا ما سمعوا ، و قذف الله بالحق على الباطل فدمغه فاذا هو زاهق .

عود إلى الدعوة فى البحر الصغير :

كتب إلى الأخ الشيخ أحمد المدنى نائب الاخوان فى ميت مرجا سلسبيل منذ سنـــة ١٩٣٠ الميلادية يعتب عـــلى أنى لم أشر إلى انتشار الدعوة فى ميت مرجا ، و ثبات الاخوان فيها على بيعتهـــم الأولى ، و هم من الرعيل الأول إلى الآن ، و للشيخ أحمد المدنى حقه فى هذا و عتبه محمود عواقبه ، و لقد كافح هو و إخوانه الفضلاء فى سبيل الدعوة و فى هذا البلد كفاح الابطال ، و ثبتوا فيه على الحق إلى اليوم جداً مخلصين ومؤمنين صادقين جزاهم الله خيراً . و إنما أردت أن أوجز القول و أن أشير إلى سير الدعوة فى طورها أو أطوارها الجديدة ، فقد طال بالاخوان شوقهم إلى ذلك ، و إن كان لا بد من تعرف هذه الأصول و الوقوف عند هذه القواعد التى نبت عليها هذا الشجر المبارك ، و أكتب هذه الكلمة الآن حفظاً لحق الشيخ أحمد و إخوانه الفضلاء و اعترافاً بأقدميتهم ثبتنا الله و إياهم على الحق و هـــدانا جميعاً سواء السبيل . و معـــذرة للاخوان الفضلاء الذين لم يتسع الاخوان لتفاصيل صلتهم بدعوتهم المباركة ، و حسبهم مثوبة الله و علمه و الله خير و أبقى .

إله يعبد .

و ذات فوجئت باثنين من أخلص الاخوان دخلا على حالة من الألم الشديد

وقالا إن فى البلد إشاعة قوية ضدنا ونحن لايمكننا أن نسكت على هذه الاشاعات فاسمح لنا أن ننتقم من هؤلاء الذين يتقولون علينا بالباطل، فابتسمت وقلت لهما إن ذلك من الخير و الله تبارك وتعالى يقول « لتبلون فى أموالكم و أنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً وإن تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الأمور » فعلينا بالصبر وبالتقوى ، و هذا دليل حقية الدعوات أن يقول عليها الناس بالباطل ، و أنتما تعلمان ماذا قيل عن دعوة الاسلام الأولى و عن رسول الله ﷺ ، و أخذت استرسل فى هذه المعانى ، فقال لى ألم ولكن هذا الذى سمعناه لا يمكن أن نسكت عليه أبداً فانه كلام .. و لهم أثرهم فى نفوس الناس .

فقلت : وما هذا ، فقالوا إنهم يقولون إنك

من دون الله ، و إن الاخوان المسلمين يعتقدون بأنه سى

يعبد ، و ليس بشراً و لا نبياً و لا ولياً و لا شبحاً ، و لقد تحرينا مصدر الاشاعة قبل أن نحضر إليك فعرفنا أن الذى يذيع هذا شيخ عالم يشغل منصباً دينياً و يصدقه الناس فيما يقول ، فلم نكتف بهذا و لكننا ذهبنا إليه و سألناه من الذى أخبره بهذا فقال : لقد سمعته بأذنى من استاذكم ، فاستغربنا الأمر وكررنا عليه القول فأكد لنا أنه سمع هذا القول منك و نحن طبعا لا نصدق هذا أبداً ، ولكننا جئنا نسأل و نحن فى أشد الدهشة من جراءة هؤلاء الناس ، ونريد مع هذا أن نعرف حقيقة هذا القول و أصل هذه الاشاعة !

نزل هذا الكلام نزول الصاعقة ، و عجبت كيف يبلغ الكيد بالناس بعضهم لبعض هذا المبلغ العجيب ، و أخذت أفكر فى مجلس جمعنى بهـــذا الشيخ أو شىء يمكن أن يكون ذريعة لبعض هذا القول ، فلم أتذكر شيئاً ، ولكنى قمت من فورى

وأخذت هذين الأخوين واستدعيت اثنين من إخواننا المدرسين الفضلاء أعلم أن لهما بهذا الشخص صلة وثيقة و بينهم صداقة و تزاور ، و قصصت عليهما القصة وقلت لابد أن نذهب إليه الآن ، و نسأله بأنفسنا عن أصل هذه الاشاعة لأنى أصدر حكما بأنى لم أستطع بعد أن أصدق هذين الأخوين فى نقلهما عن هذا الرجل ، و لعله مظلوم أو لعلهما لم يفقها قوله و ليست التهمة مما يتساهل فيه ، أو يغفل عنه ، فهيأ بنا إليه وذهبنا نحن الخمسة و طرقنا باب الرجل و دخلنا إلى حجرة الانتظار و جاء يسلم علينا ، فلما رآنا بجمعنا هذا اصفر وجهه و بدا الاضطراب فى صوته و حركاته و كأنه شعر ما هنالك ، و لم أدع له فرصة فقلت له توا يا أستاذ : هذان الاخوان نقلا إلى الآن أنك تقول كذا وكذا و أنك قلت لهما سمعت هذا القول منى شخصيا بأذنك . هل ما نقله هذان الاخوان عنك صحيح وأنت قلت لهما هذا القول ؟ فقال نعم . فقلت : قد برئت ساحتهما وأديا الا مانة ، و التفت إليهما و قلت : جزاكما الله خيرا ثم وجهت القول إليه ثانية و قلت : وأنت يا أستاذ متى سمعت منى هذا القول ؟ فقال : أتذكر منذ شهر تقريبا أننا كنا جالسين فى « صندرة » المسجد فدخل علينا أحد المدرسين واسمه محمد الليثى أفندى وجلس معنا ، وجاء الاخوان يسلمون عليك فى شغف شديد واحترام فقال لك هذا المدرس يا أستاذ إن الاخوان يحبونك إلى حد العبادة ، فقلت له إذا كان هذا الحب خالصا لوجه الله فأنعم به من حب . و نسأل الله أن يزيدنا منه ، و تمثلت بقول الشافعى :

إن كان رفضا حب آل محمد فليشهد الثقلان أنى رافضى

فقلت له نعم أذكر هذه الحكاية فقال أليس معنى هذا أنهم يعبدونك . و هنا رأينا أحد الاخوان من أصدقائه المدرسين الذين معى قام من فوره و انهال عليه

شتما وهم به ليضربه فى بيته فأخذ يخاطبه أهذا ما تعلمته يا أستاذ و هذا مبلغك من الفهم ومن الأمانة فى المجالس ومن الصدق فى نقل القول . ولكننا حلنا بينهما و التفت إليه وقلت له أستاذ لقد ذكرت هذا ولك أن تفهم فيه ما تشاء ولكنك أضفت إليه ، أنى أنا الذى آمر الاخوان بعبادة غير الله «حاش لله وتعالت دعوته عن ذلك علوا كبيراً » وأن هذه هى عقيدة الاخوان التى سمعتها منى ، و حذفت من القول أنى عاتبته على هذا التعبير عتابا قاسياً وقلت له إن هذا تعبير غير إسلامى جاءنا به الأدب الأوروبى و الميوعة الغربية ، و انزلق إلى ألسنتا وأقلامنا بحكم التقليد الأعمى ، و أن من واجب كل مسلم أن يحة

والألفاظ . لقــــد ذكرت الحكاية يا أستاد ونسـ

لحسبنا هذا منك ، وقد وضح الصبح لذى عينين » .

أصدقاؤه لم يكتفوا بهذا و ألزموه أن يوضح الأمر بوصيـ

أحفال الاخوان و الا فهم سيعلمون كيف يعاقبونه أشد العقاب وقد كان ، ونزل الرجل عــــلى حكم أصدقائه ، و فى أول محاضرة أسبوعية و قف وأعلن الحكاية وأعلن أنه و لم يقصد إلا مجرد نقلها كمـــا هى ، وأنه شاكــر للاخوانــ ، و دعوتهم جميل أثرها فى نفوس الأمة عامة و الشباب خاصة ، و قضى الأمر .



تعليم المسلمين و تربيتهم العامة

سماحة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي
(تعريب) الأستاذ شمس الحق الندوي (الحلقة الثانية)

العلم الديني و السعي للدين أمر لا بد منه لكل مسلم :

يتبين من القرآن والسنة بكل وضوح أن علم الدين وتبليغ تعاليم الدين إلى الناس و الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبذل المجهود لنشر الدين وإعلاء كلمته واجب على كل مسلم وجزءا من حياته مهم ، فالمسلم في العهد النبوي سواء كان فلاحاً أو تاجراً ، فقيراً أو غنياً ، جاهلا أو أمياً كان يفرغ وقتاً من أوقات ليله و نهاره في طلب الدين و خدمته ، و إن كان يشتغل بكسب المعاش و الحوائج اللازمة في أوقات الفراغ ، وكلما دعتهم حاجة أو أمر مهم للدين قدموه على كل عمل آخر من أمور الدنيا إسهاماً في العمل الديني ، و من تغافل عنه أو لم ينفض يده من مألوفاته و مرغوباته أخذ بالعتاب الشديد ، فان سورة التوبة مليئة بهذا العتاب ، ولما تخلف كعب بن مالك عن غزوة تبوك أخذ بالعتاب و التأنيب بحيث إن الأرض ضاقت عليه بما رحبت ، لم يكن هناك من يخاطبه أو يلتفت إليه و يحدثه .

أما في زماننا هذا فقد انقلب الوضع رأساً على عقب إذ أن تعلم الدين وخدمته و السعي له و العمل به لم يعد أمراً مهما واجباً على كل فرد من أفراد الأمة بل صار جزءاً من أعمال الأمة ، واختص له أفراد . وأما بقية الأمة فصارت بمعزل عنها كأنها ليست عليها مسئولية مع أن القرآن يصف المسلمين فيقول ، « والمؤمنون و المؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر و يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة و يطيعون الله و رسوله (التوبة /٧١)

إن وصف المسلمين فى هذه المناسبة بالمؤمنين يؤكد أن هذه الأعمال من عامة واجباتهم ، و علتها الايمان ، ولا شك أن هذا التغير فى المسلمين كان تحريفاً عملياً فى حياة المسلمين ، ولم يكن يوجد هذا التخصيص والاستثناء فى عهد الرسول ﷺ ولا فى عهد الصحابة رضى الله عنهم ، كان طلب الدين وخدمته فريضة شاملة للجميع ، و لم يستثن منها تاجر المدينة و لا فلاحها و زراعها ، و عند ما طلبت طائفة من الأنصار ، الرخصة من الجهاد لمدة من الزمن ليصلحوا أمور دنياهم و يقيموا أياماً مع الأهل بحجة أن الاسلام قد انتشر و أن العاملين للدين لم يعودوا قلة .

نزلت هذه الآية ، « ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلـ[illegible]

الدين و إعلاء كلمة الله كان يرادف » الانتحار ،[illegible]

تعليم الدين و خدمته مع أشغال الحياة :

و نشأ هناك وهم آخر ، و هو أن الاشتغال بكسب [illegible] لخدمة الدين و لا يترك المرء أهلا للقيام بخدمة الدين ، ما لم يتفرغ كلياً لهذا العمل و انحاز عن الدنيا إلى الدين وحده ، و لا شك أنه لا يقدم على هذه التضحية العظيمة الا نبذة من الرجال ، ومع هذا التفكير بدأ يتناقص طلاب الدين والعاملون له تدريجياً ، و أما العامة من المسلمين الذين كانوا منهمكين بأشغالهم و ما كان خروجهم منها أمراً ميسوراً طووا أنفسهم محرومين من سعادة خدمة الدين والعمل له ، و اقتنعوا بما كانوا يظنونه عملا دنيوياً كما قال الله تعـــالى عز وجل ، « رضوا بالحياة الدنيا و اطمأنوا بها » ، و ماتوا محرومين من سعـادة طلب العلم و نعمة الدين وخدمته مع أن الصحابة رضى الله عنهم كانوا يجمعون بين عمل الدنيا وخدمة الدين ، فكان فيهم تجار وزراع و أهل الحرف ، و لكنهم ما تركوا طلب العلم و ما قعدوا عن خدمة الدين على أى حال ، و خاصة أولئك الذين كانوا يدعون

بالقراء « أى طلاب العلم و علمــاء الدين ، إنما كانوا يشتغلون بالعمل أوالتجارة نهاراً و يقرأون فى الليل .

« عن أنس بن مالك رضى الله عنــه قال ألا أحدثكم عن إخوانكم الذين كنا نسميهم على عهد رسول الله ﷺ القراء فذكر أنهم كانوا سبعين فكانوا إذا جنهــم الليل انطلقوا إلى معلم لهم بالمدينــة فيدرسون الليل حتى يصبحوا ، فاذا أصبحوا فمن كانت له قوة استعذب من الماء و أصاب من الحطب ، و من كانت عنده سعة اجتمعوا فاشتروا الشاة و أصلحوهــا فيصبح ذلك معلقاً بحجر رسول الله ﷺ (مسند أحمد بن حنبل ص ١٢٧ ج ٣)

و كانوا يهتمون بهذا الطلب اهتماماً بالغاً حتى إذا لم تسمح لأحد منهم فرصة الحضور بسبب ما ، كان يتفق على التناوب ، فاذا غاب أحدهم عن مجلس الرسول حضر جاره أو أخوه فيخبر الأول بما دار فى المجلس من حديث و ما نزل فيه من آية ورغم ذلك أيضاً من غاب عن مجلس الرسول يقضى يومه فى قلق وأسف ، فهذا عمر رضى الله عنه يقول : « إنى كنت وجار لى من الانصار فى حى بنى أمية ابن زيد و هى من عوالى المدينة و كنا نتناوب النزول عن النبى ﷺ فينزل يوماً و أنزل يوماً فاذا نزلت جئته من خبر ذلك اليوم من الأمر و غيره و إذا نزل فعل مثله »

منهج العمل :

فالأمة الاسلامية اليوم فى حاجة ملحة إلى تجديد نفس المنهج الذى كان متبعاً فى العصر النبوى لتعلم الدين فى شكل عملى مطابق للفطرة الانسانية و هى فى حاجة إلى أن تضم مع رسوم الكتاب الاستفادة من النفوس الحية فانه هو أسهل وأعم طريق للتعليم ، فلتكن تحت اشراف هذه المدارس و المعاهد العلمية مدارس سيارة

و مراكز تربية نشيطة و صحائف ناطقة تملأ صدورها من العلوم النبوية فی هــذه المدارس الدينية وتسقی جوانب الحياة العامة فی القطاعات المختلفــة ، إذن لابد من فتح الأبواب العلمية للجهودات الدينية و إذن لابد من بعث الهمم للعمل فی سبيل الدين وإثارة النفوس للخروج فی سبيل الطلب للعلم النبوی من جديد ، ذلك الذی تناساه الناس و أهملوه منذ زمن بعيد ، - هذه هی طبيعة الاسلام - ووضع العلم الدينی الطبيعی و سنة الله الجارية فی هذا الكون .

فالحاجة ملحة إلى أن تتجدد تحركات عملة لخدمة الدين ، [illegible]

الدين والسعی له جزءاً لازماً لحياة المسلمين ، فيجعل

ومعاشهم تابعة للدين ، إذ يقول الله عز وجل « و[illegible]

ليعبدون » و هذا هو رأس مال الحياة ، ولم يخلق

الذی تشير إليــه الآية « كنتم خير أمــة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر و تؤمنون بالله » نعم ، إذا توفر الوقت من هذا العمل العظيم يشغل بكسب المعاش بدلا من أن ينقضی ذلك فی راحة وبطالة إذ « أن الله يحب المؤمن المحترف » .

قد لا يتمكن الناس من تفريغ أوقاتهم لتعلم الدين بسبب أعمالهم و أشغالهم السائدة على بيئتهم ولا يستفيدون من الدعوة استفادة تامة فيمكن حثهم على الخروج فی سبيل الله والاغتراب لمدة من الزمان لكی يتسنى لهم تعلم الدين والاستفادة من خدمة أصحاب الدين و العلم ، وليتعودوا على الاقامة فی بيئة دينيــة خالصة ، وفی جو تربوی لا يتيسر لهم فی وطنهم و فی زحمة أشغالهم ، فيكون خروجهم درساً مفيداً مباركا لهم ولغيرهم كذلك ويثير العواطف الروحانية الكامنة التی غطتها عليهم أشغال الحيــاة و أعمال الكسب و المعاش ،

هذه هى المبادىء و الأغراض السامية التى يدعو الشيخ محمد إلياس رحمه الله من أجلها كل طبقة من المسلمين إلى الخروج من بيوتهم و أوطانهم و تحمل مشاق الغربة والسفر تحت نظام خاص يسهل لهم تعلم الدين ، يقول فى إحدى رسائله التى وجهها إلى بعض إخوانه موضحاً هذه الأغراض : « إننا تركنا الخروج فى صورة الجماعة لتعلم الدين مع أن هذا أصل أساسى ، كان النبى ﷺ يطوف بنفسه و يتجول بهذه الدعوة ، ومن يأتيه فهو كذلك يطوف ولهان فى سبيل هذه الدعوة ، كان عدد المسلمين فى مكة قبل الهجرة إلى المدينة قليلا فى عدد الأفراد ، فكل من كان يعتنق بالاسلام كان يقوم بدعوة الحق إلى الآخرين منفرداً . ولما هاجر المسلمون إلى المدينة و النبى ﷺ و تكونت هناك حياة اجتماعية متمدنة لم يلبث النبى ﷺ إلا وجعل يبعث جماعات المسلمين إلى أنحاء المدينة كلها ، وقد تحولت حياتهم إلى حركة و تجوال وما كان يتمتع بحياة الاقامة و الهدوء إلا الذين كانوا مرجعا لهولاء المتجولين ، و جملة الكلام أن الحركة و التنقل من مكان إلى مكان و الجد و الاجتهاد للدين كان أصلا و عندما انحرف المسلمون عن سيرتهم هذه انفلتت الخلافة من أيديهم » .

و لكن ماذا ينبغى أن تكون حالة من خرج فى سبيل الدعوة و إلى أى شئ يدعو الناس و بأى أسلوب يدعوهم ؟ فلنقرأ ذلك فى بيان الشيخ محمد إلياس رحمه الله يقول :

« توجه الدعوة إلى أمرين فقط وما عداهما فهو ظل وشبه لهما ، أولهما مادى والآخر روحانى وأريد من المادى ما يتعلق بالجوارح وهو أن نسيح فى البلاد والأقطار لتبليغ ما جاء به النبى ﷺ فى شكل جماعى ولنحيى هذه السنة النبوية ترويجاً لها وتحكيماً ، و أريد من الروحانى تربية العواطف الدينية و التضحية بالنفوس فى سبيل الله كما قال

الله تعالى . « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما ـ وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون » .

المبادیء السنة :

إذا أزمعت جماعة على الخروج يجب أن تراعى من الأمور ما هو الأهم أولا بأول :

تصحيح الكلمة و تبليغها :

من سوء الحظ أن كثيراً منا يجهلون معنى كلمة الاسلام ولا يعرفونه ولذلك ندعو أولا إخواننا إلى تعلم هذه الكلمة ـ كلمة ـ « لا إله الا التى هى إقرار بربوبية الله و يعنى ذلك أنه لا يهم ! فى سبيل الله .

تصحيح الصلاة :

وبعد تصحيح هذه الكلمة يجب أن نهتم بتصحيح أمور الصلاة من الخشوع و الخضوع كما كان النبى ﷺ يصليها .

حصول العلم و الذكر :

يجب أن نشغل أوقاتنا الثلاثة (الصبح والمساء وجزءاً من الليل) بتحصيل العلم و الذكر لله تعالى حسب ما يتيسر .

تفريغ الوقت لهذا الغرض النبيل :

فلنفرغ جزءاً من أوقاتنا لتبليغ هذه الأمور والخروج إلى بلاد أخرى معتقدين أن هذا هو العمل النبوى الكريم الذى بعث لأجله بنبينا محمد ﷺ و أخرجت له هذه الأمة .

التخلق بالخلق الجميل :

ولتكن من نيـة من يخرج فى سبيل الدعوة و التبليغ أن يؤدى واجباته نحو الخلق و الخالق فكل أمرىء مسئول عما قام به من العمل .

تصحيح النية :ـ

السعى للحصول على رضا الرب تبارك و تعالى و لاصلاح حياة الآخرة وفقاً لما وعد الله به من المثوبة على العمل فى الدنيا .

إن هذه الحركة و التنقل و هذا السفر و الغربة لمدة قليلة لتعلم الدين وتبليغ أوامر الله و رسوله إلى الآخرين و مفارقة مرغوبات و مألوفات لمدة من الزمن و تغيير خفيف فى العادات شئ حقير فى بازاء ما يعقبها من الفوائد و المنافع كما أنها طريق سهل للشكر على هذه النعمة العظيمة .

الدين الذى لا يقوم بآلاف من النفوس أن يضحى بها ، و الدين الذى كان ثمنه الاصلى لوعة القلب و إهراق دم العين هو ذلك الدين الذى إذا خرجنا فى سبيله و بذلنا فيه بعض الجهود ، لا يمكن أن يكون قيمة حقيرة له حيال الواجب الأصيل الذى يعود علينا ، و لكن رحمة الله الواسعة تبشر دعاة هذا الزمن الأخير بالأجر ما يساوى أجور خمسين صحابياً ، و إن بشارة « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها » تبعث فينا أملا كبيراً (١) » وكتب الشيخ محمد إلياس إلى تلميذ له أصيب بمرض فى مثل هذا السفر.: أريد أن أهنئك على هذا المرض الذى كان بسبب الخروج فى سبيل الله فى هذا القرن الرابع عشر ،

هل أنت إلا إصبع دميت
و فى سبيل الله ما لقيت

إن مرضك هذا لا يختلف فى صورته عن آلاف من الرجال الذين يصابون بالحمى ، ولا أهمية لهذا المرض فى مثل هذا الزمان الذى يضحى فيه الناس بنفوسهم فى سبيل البطن و المعـــدة ، و يالها من حمى تكون بسبب الخروج فى سبيل الله للدعوة إلى أسلوب من الحياة إذا عم وانفتح له الطريق بتضحيات جسام لنال بها أفراد هذه الأمة الذين لا تتركهم أمور دنياهم طريقاً نحو الرشد والهداية ، وتمهد لهم الطريق للاسهام فى عمل الدعوة إلى الله التى تضمحل آثارها اليوم .

(١) من رسالة للشيخ محمد إلياس رحمة الله عليه .

دراسات وأبحاث

جان بول سارتر و الأدب الوجودى

بقلم المرحوم الأستاذ محمد الحسنى

[ننشر هذا المقال بمناسبة وفاة « جان بول سارتر » فى الأشهر الماضية ، و هو يزيح الستـــار عن أدب الوجودى و يفند فلسفته المزعومة]

« التحرير »

الوجودية (Existentialism) من التيارات الفكرية و الأدبية المعاصرة التى صادفت هوى فى نفس الأدباء ، وتجاوبت مع أفكار كثير من الشباب المثقف الحر المطلق فى فرنسا و بالتالى فى سائر أوربا .

و كان نصيب واحد من زعماء هذه الحركة الأدبية و الفلسفيـــة « جان بول سارتر » (Jean Paul Sartre) أكثر من زعيمها الآخر « مارسيل » (Marcel) شهرة و قبولا ، مع أن مارسيل يعتبر من أقطاب الوجودية و هو مؤسس مدرسة فكرية مستقلة فى المذهب الوجودى .

و نرجع قليلا إلى الوراء فنلتق « باندريه جيد » الذى نال اعجـــاب الجمهور المثقف و تخطت شهرته البلاد و الأمصـــار ، و برز على مسرح الأدب القصصى العالمى كقائد و زعيم .

فماذا كان السبب فى نجاحهما وشيوع أفكارهما فى أوربا ، بينما فشل الآخرون ؟ وما هو السر فى هذه الشهرة السائرة الذائعة الصيت ؟ وما الذى حمل بعض أقطاب السياسة فى العالم العربى على تكريم واحد منهم ، و الترحيب به على الصعيد الرسمى ؟

ذلك ما نحاول عنه الاجابة فى السطور الآتية :

أما السر فى نجاحهما وشيوع أفكارهما فهو نقدهما اللاذع على التقليد والأخلاق ، و المبادىء المزعومة فهو نفس الشئ الذى نجــده فى « داروين » و « فرويد » و « أدلر » و أمثالهم .

و قد يلتقى « سارتر » مع « فرويد » فى كثير من الخطوط ، و ربما استق منه جزءاً كبيراً من نظريته الشاذة عن الحياة ، و الوجود ، و العـــدم ، كما يلتقى مع « أندريه جيد » الذى سبقه فى دعوته إلى الانطلاق العام عن المبادىء الخلقيــة التى يفرضها المجتمع ، فجمع بين سوآتهما ، وأضاف إ
من نظريات و آراء أكثرها غامضة مبهمة تنم عن ذه
و لا يطمئن إلى نتيجـــة و فكرة ، إنه يؤمن - ك
(sex - impulse هو نتيجة تطورات طويلة ، وأنه أصل
منذ طفولته ، و يسرى فى العلاقات الانسانية كلها ، و لـكنه يضيف إليه أن الدافع إلى الجنس ليس القوة الجنسية و أسبـابها فحسب . إن نزعة الوجودية الكامنة فى الانسان تدفعه على ذلك (١) .

أما « أندريه جيد » فقد اعترف الأدباء أن « سارتر » شديد التأثر بهـــذا الكاتب الفرنسى ، و قد أخذ منه مفهومه عن الخير و الشر و الأقدار الخلقيــة . و أكـمل منه ما نقص . وزاد فيه زيادات ، و هو يؤمن كـأندريه جيد أن هذه الأقدار كلها نسبية لا مطلقة ، و أن الانسان هو صانع هذه الأقدار أو خالقها بلا استثناء (٢) كما أنه تأثر إلى حد كبير بالفلسفى . . . الوجودى الألمانى « هيدجر »

(١) اقرأ Beingand Nothingness (introductio) By J · P . Sartre:

٢ « الأدب الفرنسى » للدكتور « يوسف حسين » ص : ٤٥ - ٥٠ .

(Heidegger) الذى مزج الباطنية بالالحاد و عرف به ، و لكن يبدو من دراسته أنه تلمذ على « فرويد » - فكريا - أكثر من أى شخص آخر ، و قد شهد بذلك (Hazelebarnes) الذى نقل كتابه العـــام - أو المبهم فى عبارة أصح - إلى اللغة الانجليزية ، و هو شديد الاعجاب به ، كثير الاستيحاء منه .

فالسر الوحيد فى بروزه و شهرته أنه برر للشباب طريق الهوى ، وزينه بالعلم و الفلسفة و الأدب و الرواية ، بالعكس من « مارسيل » مؤسس مدرسة فكرية خاصة فى المذهب الوجودى الذى نتحدث عنه قريباً .

و نستعرض الآن بعض نظراته الأساسية التى قامت عليها الوجودية :

إن الايمان بالله هو العائق الوحيد عند الوجوديين ، لأن الانسان إذا آمن بقدرة تسيره ، و حكمة تدبر أمره ، و قوة تسيطر عليه ، و رقابة لا تنفك عنه ، فهو لا يستطيع أبدا أن يستقل بوجوده و لا أن يتحمل المسئوليـــة دون غيره ، أو دون الله ، فوجود الانسان نفسه وحبه للحرية و الانطلاق و تحمل المسئوليات على حسابه و عدم التقيد فى تقاليده و أوضاعه ، ينفى وجود الخالق المدبر ، و قد أشار إليه الأستاذ (Hazelebarnes) فى مقدمته لكتـــاب سارتر - Being) (and nothingness - بشئ من التفصيل .

و قد رد « سارتر » على تصور Leibniz للحرية ، الذى يقول : بأن الله أودع فى كل إنسان جوهراً خاصاً Essense ، ثم تركه و أعطاه الحرية الكاملة أن يتصرف في حيـــاته وفق ما يقتضى منها هذا الجوهر - و هى نظرية تشبه نظرية القدرية التى كانت تؤمن بالتعطيل و تجرد الخالق عن قدرته و صفاته ، وكان جوابه عليه أن هذه الحرية ليست حرية فى أى من الأحوال ، لأننا إذا فرضنا أن الله خلق فينا جوهراً خاصاً فمعنى ذلك أنه يكيف الحياة تكييفاً خاصاً و تتسم حياة الانسان

إذاً - بطابع محدود خاص (١) .

و ذلك يشير بصراحة و يؤيد قولنا بأنه يعتبر الايمان بالله عائقاً كبيراً فی حرية الانسان ، و لا يحب أن يرى فی الانسان أثراً ما للتعاليم الالهية و أوامرهـا ، لأنها - عنده - تفسد عليه حريته أو بالأصح - تضيع فرصتـه - فرصة التمتع بالأهواء و التمرغ فی الشهوات .

الوجودی لا يؤمن بوجود الله و لا يؤمن بنظام خلق يسود على الانسانية ، الانسان عنده حر و مسئول فی ذات الوقت ، لكنه مسئول أمام نفسه ، لا أمام الله (٢) ، إنه لا يعتمد على عقله و لا يستمد على

هو يقول : إن الانسان مجموعة أعماله ، وهذه الأعـ

إنه يعارض أى نظام وتنسيق للحياة البشرية - لأنه

و يقضی حياته بتوجيه من عمله و وجدانه فحسب ، أيا كان

من ويلات على البشرية (٣) .

و ننتقل إلى ناحية أخرى لها أهمية كبرى فی تكييف حياة الوجوديين ، وهی تلقی الضوء على نظرة « سارتر » إلى الأقدار الخلقية و الخير و الشر ، و علاقة الانسان بالانسان

و نستطيع أن نلخص فكرته فی جملة واحدة ، و هی أن هبوطنا و سقوطنا و أخطاءنا لا وجود لها بنفسهـا ، بل إن لهـا مبرراً من وجود الآخرين الذين نعيش فيهم ، فلولا « هؤلاء » أو لولا « الخارج » ما كان لهذه الأخطاء معنى ،

(١) Being & notningness « introduction By Translator

(٢) نفس المصدر و نفس الصفحة .

(٣) الأدب الفرنسی ، ص : ٤١٤ .

و يشرح هذه النظرية بقوله : Itisbefore the others that Iam Guilty و يقول في صدد الكلام : « إنني مجرم إذا رأيت إلى الآخرين (١) .

و يقول : إننا نعيش مساكين في هذا العالم ، لأن وجود كل واحد منا هو يتداخل في وجود الآخر بطبيعـــة الحال من غير أن نحب أو لا نحب . فاحترام بعضنا لبعض و استحياء بعضنا من بعض و مفاهيمنا الأخرى لا حاجة إليها ، لأنه انتهاك مكشوف Voilatior لهذه الحرية التي نحترمها (٢) .

و يضرب لذلك مثلا في التعليم ، فيقول : إن هناك منهاجاً للتربيـــة يرغم الأولاد على اعتناق ما ينبغي من قيم و أقدار ، و يسوقهم إلى أهدافه الخاصة التي يريدها . وهناك منهج آخر أكثر توسعاً و مرونة ، فهو لا يستخدم هذه الخشونة أو الضغط ، و لكنه يريد أن يوجه الأولاد إلى أغراض معينة ، مع أن ترغيب الأولاد (إذا فرضت عليهم قيم معينة) ليس أقل خطراً من الترحيب ، وهكذا الاحترام لحرية الآخرين فهو أيضاً كلام فارغ لأنه تجريح لحريتنا التي ننشدها (٣) .

هذه خلاصة لبعض أفكار هذا الوجودي و مقوماته الأساسية التي تدل على فلسفته الحائرة التي يسميها L ' Etretneant أو . . . Being and nothingness بالانجليزية ، و قد تدور معظم أبحاثه بين الوجود بنفسه Being و الوجود لغيره . Being For Others

ولكن الطابع الذي تتسم به أبحاثه من غير استثناء هو طابع اليأس والألم ، و المقت ، و التذمر ، و القلق ، و التشاؤم ، والشعور بأنه لا يستطيع أن يعبر عن وجوده و ذاتيه على الوجه الذي يريده ، فالحرية المطلقة مهددة دائماً بالآخرين

(١) Being & nothingness P. 409 - 410

(٢) و (٣) نفس المصدر ص ٤٠٩

الذين يعيش بينهم حتى يموت ، و الشعور بهذا العبء الثقيل ، عبء المسئولية الكبرى التي حملها على عاتقه وحده تكميلا لحريتـه المفقودة المنشودة ، و الشعور بالخواء الروحي العظيم الذى نشأ من أجل الالحاد ، و نبذ القيم الخلقية ، و اعتبار المجتمع و الدولة و الأسرة و العائلة متداخلة فى شئون الفرد ، منغصة حريتـه ، و لكنه يحاول أن يكسو هذا الشعور القاتل بالعزلة و الوحدة و الخيبة و اليأس ثوب الفلسفة و الأدب ، فيأتى أدب غامض مبهم ، و فلسفـة مليئة بالمتناقضات و الأضـداد و الأسئلة الحائرة التى لا تجد جوابا ، و غموض لا يقبله العقل السليم ، و شذوذ لا تستسيغه الفطرة السليمة . و تستعصى علـيه هذه الأسئلة و تزعجه حتى يضطر إلى أن يؤخر الرد و البحث

و قد أعلن بذلك فى آخر كتابه .

إنه يدعو إلى الحرية المطلقة الدائمة البريئة ...

الآخرين ، فيتركهم ليعيشوا أشقياء أبدا ، تمساه دائما ، يحسو...

و ينشأ بين وجود و وجود ، أوبين Being for others وبين Being for itself لون من العداء ، أو نوع من الجفاء .

الاتجاه الفكرى الذى يتزعمه « سارتر » فى المذهب الوجودى هو - فى الواقع - ظل هذه الحروب العالمية التى رزئت بها الانسانية ، إن هـذا القلق ، و السآمة ، و الفوضى ، والميوعة الفكرية التى طغت و سادت على التفكير الانسانى و نشاطه فى هذه العقود من السنين هى المسئولة عن هذا المذهب الاباحى الغامض و لا عجب فى ذلك فقد اكتوى الرجل بنار هذه الحرب و عاش بين شظاهـا ، حين قبض عليه فى الحرب العالمية الثانيـة ، و لبث فى السجن عاما كاملا ، ثم تسلل من السجن ، و لاذ بأذيال الفرار ، و انضم إلى حركة معادية لألمانيا وعاد

أخيراً بأدب جديد يرخى العنان للانسان و يبرر كل صنيعة أو شنيعة يأتى بها ، و يحاول أن يقضى على همومه و متاعبه و آلامه عن طريق هـــذه الحرية التى لا حدود لها و لا قيود ، و لا رقيب لها و لا حارس .

إن « سارتر » يعترف - بنفسه - أن هذا الخواء ، و الوحدة و العزلة أصيلة راسخة فى كيان الانسان ولكنه يرجو أن يستولى عليه الانسان ، أو يتناساه - فى تعبير أصح - بهذا الشذوذ الفكرى و الاباحية العقليـة ، و التصرف الحر و يضع عنه « أغلاله » و « أثقاله » من الايمان و الأخلاق و المثل العليـا ، و يحطم كل مقيـــاس أو ميزان للخير و الشر ، و الخبيث و الطيب ، و المنكر والمعروف ، أما إذا تدخل فى هذه الحرية وجود إنسان آخر ، فذلك قسر طبيعى لا نملك إلا أن نواجهه بضغط نفسى شديد وكبت ، أوننتصر عليه باستعمال حريتنا فى نطاق أوسع أو باللامبالاة إلى آخر الحدود .

وقد تجلى ذلك فى رواياته « سبل الحرية Les Chemins Laiberte و « موتة الروح Lamortdans i. ame و « عصر العقل « L' agederasıon التى صور فيها تلك الأوضـاع الاجتماعيـــة و الظروف التى تحيط بالانسـان المتمثل فى شخص « بطل القصة » الأوضاع التى تتدخل فى حريته الفردية و انطلاقاته الواسعـــة فيواجهها بعنف أحياناً ، و بلامبالاة بعض الأحيان .

و هو فى هذه الناحية - ناحية اليأس و التشاؤم - لا يقل فى أى حال من شهوبنهور « (Schopenhauer) - زعيم المتشـائمين - الذى قال :

. Life Swings Like a penduaum From

أى أن Pain to ennui from ennui to Pain الحياة تتدلى كالبندول من

الألم إلى السآمة ، ومن السآمة إلى الألم» (١) هذه السآمة والقلق هى الطابع العام البارز ، لجميع هؤلاء الكتاب و الفلاسفة و الأدباء ، السآمة و الشعور بالفراغ ثم ملء هذا الفراغ بالتدهور إلى درجة الوحوش و السباع ، و ممارسة ألوان مضحكة للتسلية و الترفيه ، و إرواء هذا الظمأ النفسى الشديد سخافات لا يصدقها العقل السليم و لا تقبلها الكرامة البشرية (٢) .

فالسبب الرئيسى لانتصار هذا و انتشاره فى الشباب و الأدباء و الكتاب انه هيأ سنداً كبيراً وركناً شديداً للمستهترين و العابثين و فتح لهم الأبواب على مصراعيها لتحقيق نزوات الجسد ، وشهوات النفس ، بمرأى من العالم و مسمع ، و ذلك تحت ستار « الفلسفة » و « الادب » و

لا ينبغى أن يصبو إلى غاية و يفضى إلى نتيجة —

النتيجة و الغاية بينه و بين الدين دائماً .

و نعود الآن إلى « مارسيل » «Marcel» الذى يعتبر من اقطاب المفكرين فى فرنسا (١٨٨٩م) و هو زعيم مدرسة خاصة فى المذهب الوجودى و برحع منه بصورة نقابلها بصورة « سارتر » فاذا هى تختلف عنها اختلافاً هائلا ، سواء فى الأبعاد و الحجم ، أو فى القسمات و الملامح ، أو فى الطابع و اللون ، مع

(١) الأدب الفرنسى ، ص ٥٥١ .

(٢) و ما هذه الرقصات المجنونة الثائرة أمثال الجاز والروك اندرول أو رقصة الجير والبغال ، وهى آخر الموضات ، أو ظهور عصابات للمغنين والمغنيات أمثال Franksintara by dingcras ,Elwis Presley أو Beatles . إلا محاولات يائسة للتخلص من هذا القلق النفسى و الحرمان و اليأس الذى يئن الغرب كله تحت وطأته الشديدة .

أنهما زميلان فى المذهب الوجودى رغم اختلاف المنهج الفكرى School of thought و الاتجاه الأدبى .

الفرق الرئيسى و الفرق الأصيل بين الأدبين أن الأول يمثل الجناح الملحد الاباحى ، الكافر بسائر القيم الخلقيـــة ، فى هذا المذهب أو هذه الحركة الفلسفية الأدبية و الثانى يمثل الجناح المؤمن بالله المعترف بالقيم الخلقية ، الداعية إلى التفاهم مع المسيحية .

إن « مارسيل » يؤمن بالروح ، و يعتقـــد أن الانسان لا يحظى بالحرية الصحيحة و الحرية الكاملة إلا إذا اتصل بقوة أكبر منها ، و هى الذات الالهية و كل اعتباره و قيمته أنه اختار الله و رضى به غاية و هـــدفاً ، إنه يرى أن الاستقرار فى النشاط الفردى و الكفاح الاجتماعى لا يتأتى بدون هذا الايمان و هنالك يلتقى « مارسيل » بالمسيحية فى أوسع نطاق و أفسح مجال (١) .

إنه يقول : إن الحس الخلقى والارادة الشخصية هما يفيضان على الحياة معنى و غاية ، إنه لا يعتبر الحياة ضائعة مهملة لا معنى لها ولا قيمة ، شأن « سارتر » و « كامو » Camus بل إنه يؤمن - بالعكس - بأن العمل والرجاء أصيل متسرب فى الروح البشرى متغلغل فى كيانه و نحن لا نستطيع أن نفوز بذواتنا إلا فى حالة الأمل و الرجاء ، لا فى حالة اليأس و الشقاء ، فان الأمل للحياة الروحية ، بمثابة النفس ، للحالة الطبيعية (٢) .

إنه يؤمن بالحب و الوفاء والرجاء وسائر المعانى النبيلة الكريمة التى أودعها الله فى الانسان ليستعين بها فى مضائق سفره و يتزود بها فى رحلته الطويلة فتخفف ما

---

(١) الأدب الفرنسى ص ٥٤٨ .

(٢) نفس المصدر ص ٥٤٩ .

به من آلام و متاعب و صعوبات ، و مشكلات وعقبات ، و لكنه لا يستطيع أن يضع لها تصميماً واضحاً ، أو يشير إلى منهج خاص يضيئ له الطريق ، فاذا كان الأول كمثل « الذين طبع الله على قلوبهم وعلى سمعهم و على أبصارهم » (٢) كان الثانى كمثل الذين وصفهم الله بهذا الوصف المعجز البليغ « كلما أضاء لهم مشوا فيه ، و إذا أظلم عليهم قاموا ، ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شئ قدير » (٣) .

و أما رواياتـــه و تمثيلاته فمجرد عناوينها و أسمائها تدل على منهج تفكيره و عاطفته و وجدانه ، فهنا تمثيلية مشهورة و رواية « ولى من أولياء الله » Unhomme de dien و رواية تحت عنوان « قلوب Autres - بخلاف روايات « سارتر » .

و ثالثة اسمها « التوفيق الالهى » . (Lagrace)

و نقدم هنا نموذجاً واحـــداً من رواية « ولى من أولياء الله » فهو يلقى الضوء على أسلوب تفكيره و على ضميره العلمى ، و عقله المشوب بالوجـــدان و العاطفة .

إنه يصور فى هـــذه الرواية قساً من البروتستانت (و هو بطل الرواية) غفر لزوجته بعض جفوتها وعفا عما أتت به من جناية أو خيانة ، و لكنه تحول منذ ذلك الوقت شخصاً آخر ، وحدثت فى نفسه ثورة عجيبة ، فبينما كان يثق بكل واحد أصبح لا يعتمد الآن على أى شخص مطلقاً ويرى الناس حوله بنظرة الشبهة ويسئ بهم الظن ، ثم راح يشك فى نفسه فتعبد فى الخلوات ، و مضى فى العبادات

(١) سورة النحل ، آية ١٠٨ .

(٢) سورة البقرة ، آية ٢٠ .

لعله يبرأ من علته ، و لكنه لم يتخلص منها ، و ابتلى بها مـــدة من الزمان ، و توجه أخيراً إلى خدمة الرهبان فى الكنيسة ، و انصرف إليها كلياً ، و حاول أن ينسى نفسه فى زحمة الأشغال و الوظائف اليومية المعتادة ، و نجحت هــذه الفكرة و هذه المحاولة ، فلم تذهب عنه الظنون و الشبهات فحسب ، بل إنه عثر بذلك على ضالته المنشودة ، فبدأ يلمس فى حياته معنى خاصاً .

إنه نموذج لكاتب كبير له مكانة مرموقة فى الأدب الفرنسى و طابع ممتاز بين المناهج الأدبية و أساليبها ، و زعيم من كبار زعماء المذهب الوجودى ، فما هى إذاً جنايته إذ تخونه الأعين و تفوته الأبصار ، فى مصر و سوريا و لبنان ، و لا ينال هذا الأديب المؤمن بالذات الالهية و بالقيم الأخلاقية – و أنا لاأدافع عنه فنى أدبه مؤاخذات وفى فلسفته فجوات وثغرات يضيق عنها المكان – بعشر ذلك الترحيب الحار أو بهذه الورود و الأزهار التى نالها ذلك الكاتب الملحد المعروف بذهنه المائع و فلسفته الفاجرة الهدامـــة لسائر القيم و المبادىء و الأخلاق ، و الدعوات و الرسالات التى قامت بها الأرض و تشرفت بها الانسانية ، وامتاز بها الجنس البشرى على حشرات الأرض و فقاقيع البحر .

هل هى « مؤامرة أدبية » للكتاب الاشتراكيين و الأدباء الثوريين لتحقيق ما تصبو إليه نفوسهم من هدم للدين و إشاعة الفاحشة فى المسلمين أم أنه انسياق مع التيار من غير هدى ، و تخبط فى ضلالة و عمى .

لقد أحاطوه بهالات التقديس و الاجلال و فرشوا له المحاجر و القلوب ، كأنه نبى أرسله الله إلى الاشتراكيين العرب ، أو قديس جادت به أرض فرنسا – كعبة هؤلاء الأدباء المزعومين – ليمسح دموع هذه الأمـــة المنكوبة و يبارك على أحزابها المتنافرة و هيئاتها المتنافسة و دويلاتها المتفرقة و حكامها المتناحرين

المتكالبين على مقاعد الحكم والقيادة ، و مناصب الامارة و الرئاسة ، أم أنه مسيح يحيي الموتى و يبرىء الأكمة و الأبرص ، بإذن الله .

لقـــد وقع بصيرى على تصريح و تعليق لبعض رجال السلك الدبلوماسى ، فآلمنى هذا المستوى المنخفض الساقط الذليل من التفكير و هـــذه العقلية الصغيرة القاصرة ، عقلية العصافير أو عقلية القرود و الببغاوات التى تحسن التقاليد و تجيد فن المحاكاة .

يا عباد « سارتر » ! يا أيها الأقزام المقلدون ، المتآ ر

المسلم ، و يا أيها المتنكرون لمبادئكم ، المنحرفون عن

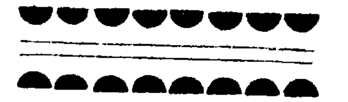
إن تحمسكم لهؤلاء الكتاب الملحدين و احتفالكم بهؤ

والدين ، و تصفيقكم لهذه الشرذمة القليلة من الطغا

وجه الانسانية و انحطوا بها إلى درجـــة الكلاب و الذئاب - تسوقكم فى نهاية المطاف إلى مزبلة التاريخ التى تكدس فيها كل ما أبته النفوس الطاهرة المؤمنـــة ، و مجته العقول النظيفة و الأرواح الشفافة . وعافه القلب السليم والفكر المستقيم .

إنها ترمى بكم فى النهـاية ومن غير احتمال بكم فى أوساخ التاريخ أو فى مهوى سحيق . فهل أصبركم « سارتر » و « ماركس » و « تيتو » و « هيـــلاسلاسى » على هذا المصير ؟ ؟ .

« و إن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا ، وإن يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا » (١) وصدق الله العظيم .



(١) سورة الأعراف . الآية ١٤٦ .

الشيوعية الصهيونية وجهان لعملة واحدة

الدكتور غريب جمعه

(القاهرة)

أتى على أمتنا العربية و الاسلامية حين من الدهر سيطر فيه الدجل السياسى والتضليل الاعلامى على عقول الكثيرين من أبنائها حتى حسبوا أن الاتحاد السوفيتى هو بلسم صبرهم عند المصائب وسند عزمهم فى النوائب ناسين أو متناسين قول الله عز وجل « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً و لعباً من أوتوا الكتاب من قبلكم و الكفار أولياء و اتقوا الله إن كنتم مؤمنين ، و إذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزواً و لعباً ذلك بأنهم قوم لا يعقلون » [المائدة ٥٧ - ٥٨] ثم جاءت أسوأ هزيمة للعرب فى تاريخهم الحديث فى عام ١٩٦٧م على يد إسرائيل و خلع عليها الدجالون اسم « نكسة » تخفيفاً لوقعها الأليم على النفوس . جاءت تلك الهزيمة لتكشف أن الاتحاد السوفيتى كان له القدح المعلى فيها حيث أخبر سفيره حاكم مصر المستبد حينئذ بتواجد حشود عسكرية إسرائيلية على حدود سوريا وعليه أن لا يوجه الضربة الأولى إلى إسرائيل وكان ما كان مما عرفه الناس جميعاً ، و حينما ينظر الانسان إلى الساحة العربية و الاسلامية يرى أن مذابح المسلمين فى اريتريا و أفغانستان وفى غيرهما من البلدان هى أيضاً « صناعة سوفيتية » فكأنه يقوم بعمليات بتر لأعضاء جسد الأمة الاسلامية واحداً تلو الآخر . حتى إذا لم يبق إلا القلب أصبح الاجهاز عليه أمراً سهلا ، و بذلك تتحقق له السيطرة الكاملة وتنتشر الشيوعية فى العالم الاسلامى انتشار النار فى الهشيم - لا قدر الله - و قد يظن البعض أن ما يحدث من مذابح على أيدى الروس الشيوعيين

و الـكفرة الفجرة . . قد يظن البعض أن تلك المذابح تنفصل عن المخطط الصهيونى الخبيث و بالتالى عن إسرائيل و هذا ظن خاطئ لأننا لو تأملنا الحاضر لوجدنا أن معظم المهاجرين من اليهود إلى إسرائيل من الاتحـــاد السوفيتى الذى يقذف بهم فى وجه العالم العربى و الاسلامى ، و الذى يقلب صفحات التاريخ يرى أن الشيوعيـة ترتبط بالصهيونية ارتباطاً عضوياً وكلتاهما تصدر عن ينبوع واحد آسن هو التفكير اليهودى الذى وضع أسسه حكماء صهيون الذين ظهروا فى أوكرانيا و النمسا أمثال « موسى هيس » و « كارل ماركس » و « بينسكر » و « هـ . . .

و ليس هؤلاء الحكماء هم الذين ضمهم مؤتمر « بال »

« بروتوكولات صهيون السرية » و الذى انعقد برئاسة

كبيرة من الزعماء الروحيين اليهود بينهم حاخامات .

جامعيون ولهم مؤتمرات دورية سرية يعقدونها فى الخفاء ليتدارسوا شئون بنى ملتهم اليهود على ضوء التعاليم « التلمودية » و نصوص التوراة ـ المحرفة بالطبع ـ و قد بلغ نشاط هؤلاء الحكماء ذروته فى منتصف القرن التاسع عشر قبل مؤتمر « بال » ـ و يعتبر « موسى هيس » اليهودى الصهيونى العريق ، هو مؤسس التفكير اليهودى فى القرن التاسع عشر وهو صاحب « كتاب روما والقدس » الذى وضعه سنة ١٨٦٢ و اقترح فيه إنشاء دولة يهودية فى فلسطين بمساعدة فرنسا و قد تلمذ هرتزل على ذلك الـكتاب وظهر ذلك واضحاً حينما ألف كتابه « الدولة اليهودية » ـ و يعتبر موسى هيس أستاذاً لكاهن الشيوعية و إبليس العصر « كارل ماركس » الذى تعرف عليه عام ١٨٤١ وأعجب به إلى درجة الافتتان ، ولقد اعترف ذلك الابليس بهذا فى إحدى رسائله إلى « أورباخ » حيث قال إنه اتخذ « موسى هيس » قدوة ومثالا لما يتحلى به من دقة التفكير وتوافق الآراء فهو نضالى فى حياته و فكره .

يقول الحاخام « لويس بروتز » فى كتابه «أغرب من الخيال» (إن التاريخ

اليهودى قلما يذكر أن كارل ماركس حفيد الحاخام مردخاى ماركس كان فى روحه وعمله أشد إخلاصاً لإسرائيل من كثير من أولئك الذين يتشدقون بذلك - و لم يقف دور اليهود عند وضع أسس الشيوعية فقط بل تزعموا الانقلاب البلشفى فى روسيا سنة ١٩١٧ و قاموا بالاغتيالات السياسية و بالدور الارهابى الذى سبق الانقلاب بحوالى أربعين سنة ، و تشير التقارير التى تسربت من روسيا عقب الانقلاب إلى أن عدد أعضاء اللجنة المركزية الشيوعية بلغ فى بداية الحكم الشيوعى ٣٨٨ عضواً بينهم ٣٧١ يهودياً و ١٦ روسياً وزنجياً واحداً !!! ولهذا أصدرت حكومة الانقلاب و معظم أعضائها من اليهود بالطبع قانوناً اعتبرت فيه اللاسامية أى بغض اليهود جريمة تقع تحت طائلة العقاب - و يقول روبرت و لبامن فى كتابه « اليهود فى أمريكا » - « الصهيونية هى صنو الشيوعية و حاميتها ومرضعتها و كلتاهما تهدف إلى إشعال ثورة عالمية ، والشيوعية التى وضع تعاليمها يهودى عريق هو ماركس ونفذت فى روسيا بفضل اليهود وهى من نتاج العقل اليهودى ، والصحف الشيوعية تحارب كل حركة معادية لليهودية بحجة أنها حركة لاسامية كأنما عدم كره اليهود دين عالمى يفرض احترامه على الناس ، و من هذه اللمحة التاريخية السريعة يتبين لك أيها القارىء الكريم أن ما يحدث من غزو سوفيتى لأفغانستان و غيرها يخدم إسرائيل بنفس الدرجة التى يخدم بها الشيوعية وكفى دجلا وتضليلا من عملاء الشيوعية فى العالم العربى و الاسلامى الذين قالوا للناس : إن روسيا هى عدو الامبريالية و نصير كفاح البروليتاريا و رائدة التقدمية إلى آخر هذه المسميات الهازلة الحقيرة - كفى دجلا أيها الناس فقد أخرج الله أضغانكم وسود وجوهكم .

و انتبهوا أيها المسلمون - انتبهوا فقد أزفت الآزفة ، انتبهوا فان الشيوعية و الصهيونية وجهان لعملة واحدة قذرة هى اليهودية العالمية ،

الفقه الإسلامي

شبهات حول الفقه الاسلامى

الحلقة الأولى

محمد صدر الحسن الندوى

منى الاسلام من أول أمره باليهود حينما بذلوا مجهودات مكثفة لتشويه سمعة الاسلام و الافتراء عليه بطرق شتى و أساليب مختلفة ، واستمر ذلك إلى يومنا هذا ، فى واجهات متنوعة ، و نشطت هذه الحركة المضادة للاسلام حينما بدأ العالم الاسلامى يتدهور سياسيا و عسكريا واقتصاديا وثقافيا ، فبرزت القوى الاستعمارية فى معارك الحياة وجعلت تسود العالم الاسلامى بصناعاتها الحربية الجديدة ، و باستعدادها المادى المدهش ، و بتنظيمها العلمى الحديد ، و بقواها الجبارة التى كانت تحملها فى طيها . لكنهم سرعان أدركوا أن احتلال البلاد وتسيير دفتها لن يكون أنفع للغرب ، فخملوا يفكرون فى الانتقام من الاسلام وتشويه تاريخه النقى بطرق أخرى فكانت الطريقة الاولى هى دراسة الاسلام تمهيداً للغزو الثقافى والفكرى ، ومن هنالك كانت النوايا الأولى لجمعيات المستشرقين ، وهمهم الوحيد « إنشاء الفجوة بين الاسلام و المسلمين » لذلك حاولوا تشويه كل شئ يمت إلى الاسلام بصلة ما من تاريخ وفقه و تفسير و حديث و أدب وحضارة ، وما إلى ذلك .

فى هذه المقالة المتواضعة أريد أن استعرض تلك القالة و الافتراءات التى أثيرت « حول الفقه الاسلامى و أصالته » من نواح مختلفة ، لكن قبل إيراد افتراءات المستشرقين والرد عليها رداً مقنعا ـ باذن الله ـ يجدر بى أن أبحث القانون و تطوره و خاصة القوانين الرومانية وتدوينها ، لأن المستشرقين يستدلون بالقوانين

الرومانية ، ويبنون عليها أساسهم ، لقدمها ، حينما يهاجمون على الفقه الاسلامی ويضفون مآثر الفقه الاسلامی كلها على القوانين الرومانية ، عسى أن يكون هذا البحث مقنعاً للذين يريدون الحق و الصواب ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت و إليه أنيب .

آراء حول بداية القانون :

قد تضاربت آراء المشرعين للعالم حول القانون وفكره البدائی ، وفق النظرة الحديثة ، بأنه يصعب على الباحث ترجيح نظرية على نظرية أخرى ، والشيء الذي يزيد القضية تعقداً ، هو وجود نظرية مستقلة واضحة ل
البدائية فی صورة مجموع التعازير المسمى بالتعازير الحوراب
التي تعزى إلى الملوك الآشوريين و البابليين و زمن
الميلاد ، و لذلك ذهب بعض المشرعين إلى رفض وجود القانون فی المجتمعات الانسانية البدائية رفضا باتا و يقولون بكل ثقة : « ما كان هناك أی تصور للقانون وواضعه فی الأوضاع البدائية للانسان ، بل لم يكن فی ذلك الزمان قد حصل على درجة العرف بل إنه كان عادة محضة أو كان له « وجود خيالی » كما يقول الفرنسيون (١) .

القانون وتطوره :

يقول المورخ الشهير لتاريخ القانون « سرهنری مين » (SIR HENRY-MAINE) - فی كتابه « القوانين القديمة » وهو يبحث عن القوانين و تطوراتها المختلفة ، يقول :

---

(١) چراغ راه عدد ممتاز من مقال الاستاذ خورشيد أحمد المجلد الأول ص ٢١٩ (١٩٥٨م) كراتشی .

« يقال إن القوانين القديمة وصلت إلينا عابرة مراحل ثلاثا بارزة . المرحلة الأولى تتعلق بالزمن الذى لم تكن المحاكم قد أنشئت فى العالم ، وفى المرحلة الثانية جردت القوانين الوضعية عن الأعراف و التقاليد و القيود الأخرى الاجتماعية التى كان فيها الغث و السمين و الرطب و اليابس حينما أنشئت المحاكم ، جاء هذا التطور فى بداية « العهد الزراعى » . وكلما تضخمت نشاطات المحاكم برزت معالم التقدم والتطور فى القانون وأنشئت مؤسسة مستقلة لتنفيذ القوانين فى بعض القضايا الخاصة . وبعد ذلك أنشئت مؤسسة مستقلة لترقية القانون و تدوينه ، وأدت هذه المؤسسة دوراً هاماً فى ترقية القانون وتنميته . وبدأت المرحلة الثالثة حينما انتسخت القوانين وجمعت فى صورة مجموعة تعزيرية لهداية المحاكم . ويسرت هذه المجاميع عملية شرح القوانين و تعبيرها وقضت - إلى حد - على الخلافات التى كانت توجد فى بعض الأحيان فى صورة لازمة بسبب أقضية القضاة الفردية وتمثل هذه المرحلة « التعزيرات الحمورابية (CODE OF HAMMURABI) » و اثنى عشر لوحاً (TWELVE TABLES OF ROME) « للدولة الرومانية » (١) .

تدوين القانون الرومانى :

الدولة الرومانية التى أسسها رومولوس (ROMULUS) فى سنة ٧٥٣ قبل الميلاد (٢) اتسعت ونمت و ازدهرت على مر الأيام و أصبحت عندهم مجموعة للقوانين لا يستهان بها ، لكنها كانت منثورة مبعثرة وكانت فى حاجة إلى من يدونها و يهذبها حسب الأبواب و الفصول لكى يعم نفعها وتتيسر الاستفادة منها . و من

(١) القوانين القديمة ص ٢٦ (١٩٢٤م) سرهندى مين

(٢) دائرة معارف القرن العشرين لفريد وجدى ص ٤٣٠ المجلد الرابع الطبعة الثالثة ١٩٧١م .

المؤسف جداً أن العباقرة من الملوك الذين تبوؤا عرش الحكومة لم يعيروا اهتمامهم بهذه الناحية المهمة بل لانجد مجهودات مخصية فی هذا المضمار إلا قليلا نادراً .

مرت عملية التدوين للقانون الرومانی بمراحل ثلاث .

١ـ المرحلة الأولى : دونت القوانين الرومانية باسم « اثنی عشر لوحاً » لأول مرة فی سنة ٤٥١ـ٤٤٨ قبل الميلاد و الذی حاز قصب السبق فی هــذا المجال كان ذلك المجلس الذی كان أعضاؤه مأة نفرا . و كان هذا المجلس يشمل أعيان البلاد (Patrician) و العوام من الناس (Plebian) إذا

٢ـ المرحلة الثانية : و ابتدأت المرحلة الثانيـــ

(الذی تولى عرش الحكومة من ١١٧ إلى ١٣٨-

الاعلانات التی صدرت من القضاة لأبد الدهر ر

جوليانس « (Salvius Julianus) بتدوين القوانين ، لجمع الاعلانات كلها لقضاة البلدية (preator Urabanus) و قضاة الخارجية (preat r peregrinus) وبعض إعلانات « كورولی » Curule Aediles مع دراستها باعلانات حكام الولاية ، فی صورة مجموعة . ونفذت هذه المجموعة للقوانين بعد ما قررها مجلس الأعيان فی سنة ١٢٩م وصارت هذه الاعلانات غير قابلة للاصلاح و التغيير من ذلك الحين .

٣ـ المرحلة الثالثة : لما تبوأجستينيان Justinian عرش الحكومة فی سنة ٥٢٧م اهتم بتدوين القانون فی صورته القشيبة ، و كان هــذا العهد « العصر الذهبی » فی تاريخ الرومان بالنسبة إلى تدوين القوانين . إنه أصـــدر أمراً ملكيا إلى تقسم القوانين إلى قسمين :

١ـ القوانين الموضوعة LEX

٢ـ القوانين غير المضوعة JUS

القوانين الموضوعة : هى عبارة عن تلك القوانين التى شرعتها المجالس التشريعية فى أوقات مختلفة لكنها كانت منثوره مبعثرة لفقدان عملية التدوين الرسمية .

القوانين غير الموضوعة : هى عبارة عن إعلانات القضاة و فتاوى المجتهدين التى صدرت من صاحبها حسب الظروف والملابسات فى أوقات مختلفة ، وكانت هذه القوانين معترفاً بها لدى الحكومة :

« ألف » تدوين القوانين الموضوعة :

قام جستينان بتشكيل اللجنة المحتوية على عشرة أشخاص فى سنة ٥٢٨م لتدوين القوانين الموضوعة ، و أصدر الأحكام التالية .

١- تترك الأمور الفارغه

٢- تنشأ المماثلة بين القوانين المتناقضة

أكملت اللجنة عملية تدوين القوانين الموضوعة فى سنة ٥٢٩ فى مدة سنة واحدة وبعد ذلك صارت هذه المجموعة للقوانين Codex Justinianus» قانونا رسميا للبلاد كلها . ثم روجعت هذه المجموعة للتهذيب و التنقيح فى سنة ٥٣٤ م وضمت معها الأحكام الملكية التى صدرت فى هذه الفترة وسميت بـ Codex Repe-titae Praelectionis - والذى قام بهذه العلمية الشاقة كان (ترائى بونيان Tribonian)

« ب » تدوين القوانين غير الموضوعة :

لما تمت عملية تدوين القوانين الموضوعة عقد جستينان مجلساً خاصاً تحت رئاسة ترائى بونيان فى دسمبر سنة ٥٣٠م لتدوين القوانين غير الموضوعة فى صورة مجلة (Digest) لكن العرقلة الكبرى التى واجهت هذه العلمية بأنه كان هناك اختلاف كبير بين أقضية الفقهاء و إعلانات القضاة ، لذلك أصدر جستينان خمسين قضاءاً كحلول لهذه المشكلة Quinqueginta decisiones وبعد ذلك جمعت هذه القوانين فى

صورة مجملة و صارت قانونا عاماً للبلاد كلها فی سنة ۵۳۳ الميلادی (۱) .

مصادر القوانين الرومانية :

١- الأعراف (USUS)

٢- القوانين التی وضعها المجلس التشريعی الأعلی (LEGES)

٣- القوانين التی وضعها مجلس العوام (Plebisicta)

٤- اقتراحات مجلس الأعيان (Senatus Consulta)

٥- الأحكام الملكية (Imperial Constitution)

٦- إعلانات القضاة (Edicts)

٧- فتاوی المجتهدين (Besponsa Prudentium)

٨- القوانين اليونانية

ذكر آر ، دبلو ، ليج مؤلف « القوانين الرومانية الخاصة » المصادر السبعة للقوانين الرومانية ، وأغفل المصدر الثامن « القوانين الرومانية » والحقيقة أن الأساس الوحيد للمصادر السبعة هو « القوانين الرومانية » ، و التحقيق العلمی الرصين المتزن يؤيد هذا وينكر تلك بتاتا ، يقول المؤرخ الشهير ليكی Lecky فی هذا الصدد :

« إن اليونان كانت لهم ثروة علمية صحمة أنتجوها وزادوا فيها علی مر القرون و العصور و كانت روما لا تزال فی طورها الجندی لا تملك أثراً من الآثار الأدبية بل كانت لغتها قاصرة فی التعبير عن الأفكار و المعانی العالية فغلبت الروم بتخلقهم و قصورهم فی العلم وانقلبوا صاغرين للمدنية اليونانية التی غلبت أهلها فی السياسة ولم يزالوا مأخوذين بسحرهم فی كل قسم من أقسام العلم فكان المؤرخون الأقدمون

(۱) راجعوا للتفصيل « القوانين الرومانية الخاصة لمؤلفه آر ، دبليو ، ليج .

فى الروم يؤلفون كتبهم بالبونانية -واستفرعت اليونانية لغة التأليف و العلم بعد ما بدأ شعراء الروم ينظمون الشعر فى اللاتينية (١) .

ويقول مؤلف دائرة معارف القرن العشرين فى هذا الصدد :

« لما استتب النظام قام الديسمفير بما عهد إليه خير قيام ، ثم قصدوا بلاد اليونان لدرس شريعة سولون فأخذوا منها ما يلائم حالة الرومانيين » (٢) وقد أسهب بلوتارك الكلام فى هذا (٣) .

افتراءات المستشرقين على الفقة الاسلامى :

آن لنا أن نستعرض افتراءات المستشرقين فى ضوء التحقيق العلمى الرصين ونبين مدى كذبهم و تشويههم للحقائق الثابتة . فأولا ننقل الشكوك و الشبهات التى أثيرت حول الفقـــه الاسلامى من قبلهم وبعد ذلك سنرد عليها - باذن الله - فى ضوء الحقائق التاريخية العلمية .

١ - أول من ادعى أن الفقـــه الاسلامى مقتبس من القانون الرومانى هو دومينى كوكاتيسكى (Domenico Gatheschi) و كان ذلك فى سنة ١٨٦٥ الميلادية إنه كتب فى كتابه الذى ألفه فى لغة ايطالية اسمـــه « القوانين العثمانية العامـــة والخاصة » أن هناك مماثلة عديدة بين القوانين الاسلامية والقوانين الرومانية ، وظن

(١) Lecky OP CIT P . 243 (نقلا عن « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » لسماحة الشيخ الندوى) .

(٢) دائرة معارف القرن العشرين لفريد وجدى ص ٤٢٢ المجلد الرابع الطبعة الثالثة ١٩٧١م .

(٣) راجعوا للتفصيل « عباقرة اليونان والروم » لـ « بلوتارك » .

أن المسلمين أدخلوا هذه القوانين بوضع الاحاديث التى نسبت إلى النبى ﷺ بعد (١)

٢- وبعد ذلك جاء « هنرى هيوز » و ادعى أن القوانين الاسلامية هى القوانين الرومانية ولم تجر فيها التعديلات إلا قليلا نادراً ، وكان ذلك فى سنة ١٨٨٠م (٢) .

٣- يقول المستر شيلڈن ايموز « Sheldon Amos » فى كتابه - Rommon « Civil Law » - أن الفقه الاسلامى تأثر بالقوانين الرومانية إلى حد كبير واستدل أن القرآن الكريم يشمل أحكاماً قليلة بحيث لا يمكن أن يكو...

وبعد ذلك يقول إن القرآن يشتمل على أحد عش...

فقال هو فيمايلى :

١- لا تتخذوا الله عرضة لأيمانكم .

٢- الطلاق مرتان فامساك بمعروف أو تسريح باحسان .

٣- مسألة الربا .

٤- حكم تسحيل الأمراض الرمدية .

٥- جمع أربع زوجات فى النكاح بمراعاة العدل .

٦- للذكر مثل حظ الانثيين .

٧- للزوج النصف .

٨- لابد من الشاهد فى مرض الموت عند الوصية .

٩- السنة اثنا عشر شهراً .

---

(١) ذكره الدكتور سى ، اے ، نال لينو (ايطاليا) فى مقالته الضافية المنشورة فى مجلة « چراغ راه » ١٩٥٨ » .

(٢) مجلة « چراغ راه » ، ١٩٥٨ » عدد ممتاز

- اكتبوا اتفاقية الحرية للكاتب إذا رصيتهم .

١- عقوبه الزنا و الغيبة (١) .

وكذلك يقدم كاروسى « Caruse » نظريته قائلا : إن القانون الاسلامى ليس إلا القانون الرومانى .

وكذلك أثبت « سانتلانا » المماثلة فى كتابه مختصر الخليل ونص الكتاب هو فى اللغة الفرنسية ، وكذلك بحث منها « موزان فى كتابه » « دراسة حول القوانين الاسلامية الجزائرية » و كذلك ألف « اسمث « Schmidt » كتابه « الملكية فى القانون الاسلامى » وهو يبحث عن الأوقاف الاسلامية وكذلك ألف « بسى » Bussi كتابا فى الشفعة فى لغة ايطالية وألف « روسے » « Roussier » كتيبة فى اللغة الفرنسية حول تاريخ القانون و جاء بافتراءات على القانون الاسلامى وكذلك نقد بركشترسر « Bergstraesser » فى كتابه دير إسلام « Der islam » نقداً شنيعا على القانون الاسلامى ، وألف « لشكى » « Leszenshy » كتابة فى اللغة الألمانية « اليهود فى العرب » ونقد فيه القانون الاسلامى نقداً شنيعا ، و ألف « وين زنك » كتيبة فى اللغه الألمانية باسم « دير إسلام » وجاء فيها بنقد لاذع ، و كذلك ألف بيالو بلوسكى « Bialoblocki » كتابه فى النكاح والأمور العائلية باسم المواد حول القوانين الاسلامية فى الوراثة ، و كذلك ألف « تارے » « Torry » كتابا فى اللغة الانجليزية « الأسس اليهودية للاسلام » « Jewish Foundation Of islam » وجاء بمضحكات فى هذا الصدد (٢) .

---

(١) Rommon Civil Law p . 4 . 6 To 415 By Sheldon Amos

(٢) راجعوا مجلة « معارف » الشهرية الأردية الصادرة من أعظم جراه (الهند) ص ٢٦١ - ١٧٧ مارس ١٩٥٨م .

٤- يكتب المستشرق الشهير الدكتور كارل بروكلمان فى كتابه « تاريخ الأدب العربى » وهو يبحث عن تاريخ العلوم التشريعية و الدينية فى الاسلام يقول :

« ظهرت هذه الحركة العقلية بالمدينة فى أوائل العصر الأموى و كان عرف أهل المدينة فى الأحكام و التشريع يوافق فى بعض النواحى ما جرى العمل عليه فى ولايات المملكة الرومية فاجتهد فقهاء المدينة فى تطبيق ذلك العرف على أصول الاسلام من وقت إلى آخر و كان مسلكهم فى ذلك البحث فيما إذا كان ذلك العمل أو غيره جائزاً فى نظر الاسلام أو غير جائز (١) .

٥- يقول هيفننج أن ترتيب مواد الفقه عند الحنفية يحاكى التلمود اليهودى (٢) .

٦- يقول أحمد أمين فى كتابه « فجر الاسلام » يذهب مثل « جولدزيهر » و « سانتلانا » إلى أن الفقه الاسـ الأموى) تأثر كثيراً بالقانون الرومانى ، و كان هذا الفقه [illegible] من مصادره استمد منه بعض أحكامه قالوا :

« الف » كان فى الشام مدارس للقانون الرومانى عند الفتح الاسلامى فى قيصرية وفى بيروت .

« ب » كان هناك محاكم تسير فى نظامها و أحكامها حسب القانون الرومانى واستمرت هذه المحاكم فى البلاد بعد الاسلام زمناً .

« ج » و طبيعى أن قوما بهم يأخذوا من المدنيـة بحظ وافر إذا فتحوا بلاداً ممدنة نظروا ماذا يفعلون وبم يحكمون ثم اقتبسوا من أحكامهم .

« د » إن هناك قواعد نقلت من القانون الرومانى مثل البينة على من ادعى واليمين على من أنكر .

« هـ » إن كلمة « Juris » و هى تدل على الفهم و المعرفة و الحكمة .

---

(١) تاريخ الأدب العربى كارل بروكلمان ص ٣٣٣ المجلد الثالث (دار المعارف بمصر)

(٢) نفس المصدر ص ٢٣٤ .

« و » إن الفقـــه الاسلامى أخذ من القانون الرومانى إما مباشرة أومن طريق التلمود فان هذا التلمود أخذ كثيراً من القانون الرومانى .

« ز » إن من دواعى الأسف أن مذهب « الامام الأوزاعى » اندثر ولو عثرنا عليه لوجدنا فيه أثراً كبيراً للقانون الرومانى (١)

٧- يقول المستشرق دافيد سانتلانا : إن الاسلام عند فتوح البلدان التى كانت تابعة لدولة الرومان كالشام ومصر و أفريقية و الجزائر و مراكش ، وجد الشرع الرومانى سائداً فيها فنسخ منه ما فسخ و أيد ما أيد ولذلك كان أغلب قواعد الفقه الاسلامى موافقاً لقواعد الفقة العبرى والرومانى فى مسائل المعاملات الدنيوية المعبر عنها بالمسائل المدنية و التجارية و العقوبات (٢) .

تيسر لنا الآن أن نلحص تلك الافتراءات فى النقاط التالية

١- إن القرآن يشتمل على أحد عشر قانوناً فحسب .

٢- أدخل المسلمون القوانين الرومانية فى القوانين الاسلاميـــة بوضع الأحاديث التى نسبت إلى النبى ﷺ بعد ذلك .

٣- إن ترتيب مواد الفقه يحاكى ترتيب « المشنا » وهى أصل التلمود اليهودى .

٤- كان فى الشام مدارس للقانون الرومانى عند الفتح فى قيصرية وبيروت .

٥- كان هناك محاكم تسير فى نظامها و أحكامها حسب القانون الرومانى واستمرت هذه المحاكم فى البلاد بعد الاسلام زمناً .

٦- طبيعى أن قوما لم يأخذوا من المدنية بحظ وافر إذا فتحوا بلاداً مدينة نظروا ماذا يفعلون وبم يحكمون ثم اقتبسوا من أحكامهم .

٧- إن هناك قواعـــد نقلت من القانون الرومانى بعضها مثل البينة على من ادعى و اليمين على من أنكر .

٨- إن كلمة Juris و هى تدل على الفهم والمعرفة و الحكمة والفقه يشبه هذا .

٩- إن مذهب الأوزاعى اندثر ولو عثرنا عليه لوجدنا فيه أثراً كبيراً للقانون الرومانى .

(١) فجر الاسلام ص ٢٤٦ الطبعة الثانية عشرة ١٩٧٨م لمؤلفه أحمد أمين ،
(٢) مجلة القبس ربيع الثانى ١٣٧٨هـ يوليو ١٩٦٨

بيان حول مسألة تحديد النسل

سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز
الرئيس العام لادارات الافتاء والبحوث العلمية والدعوة والارشاد (الرياض)

الحمد لله وحده و الصلاة والسلام على نبينا محمد و ...

فقد سبق أن بحث مجلس هيئة كبار العلماء ...

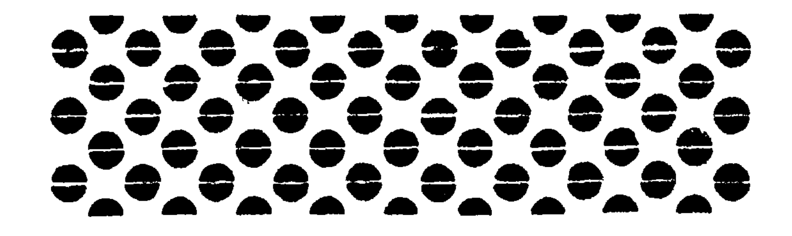
أو تنظيمه و أصدر قراراً برقم ٤٢ و تاريخ ١٣/

(نظراً إلى أن الشريعة الاسلامية ترغب فى ا...

النسل نعمة كبرى ومنة عظيمة من الله بها على عباده ، فقد تضافرت بذلك النصوص الشرعية من كتاب الله و سنة رسوله مما أوردته اللجنة الدائمة للبحوث العلمية و الافتاء فى بحثها المعد للهيئة و المقدم لها ، و نظراً إلى أن القول بتحديد النسل أو منع الحمل مصادم للفطرة الانسانية التى فطر الله الخلق عليها وللشريعة الاسلامية التى ارتضاها الرب تعالى لعباده ، ونظراً إلى أن دعاة القول بتحديد النسل أو منع الحمل فئة تهدف بدعوتها إلى الكيد للمسلمين بصفة عامة وللأمة العربية المسلمة بصفة خاصة حتى تكون لهم القدرة على استعمار البلاد و استعباد أهلها ، وحيث إن فى الأخذ بذلك ضرباً من أعمال الجاهلية و سوء ظن بالله تعالى و إضعافاً للكيان الاسلامى المتكون من كثرة اللبنات البشرية وترابطها ، لذلك كله فان المجلس يقرر بأنه لا يجوز تحديد النسل مطلقاً و لا يجوز منع الحمل ، إذا كان القصد من ذلك خشية الاملاق لأن الله تعالى هو الرزاق ذو القوة المتين ، وما من دابة فى الأرض

إلا على الله رزقها ، أما إذا كان منع الحمل لضرورة محققة ككون المرأة لا تلد ولادة عادية وتضطر معها إلى إجراء عملية جراحية لاخراج الولد ، أو كان تأخيره لفترة ما لمصلحة يراها الزوجان ، فانه لامانع حينئذ من منع الحمل أو تأخيره عملا بما جاء فى الأحاديث الصحيحة وما روى عن جمع من الصحابة رضوان الله عليهم من جواز العزل و تمشياً مع ما صرح به جواز شرب الدواء لألقاء النطفة قبل الأربعين ، بل قد يتعين منع الحمل فى حالة ثبوت الضرورة المحققـــة) . انتهى

وحيث كثرة الأسئلة والاستفسارات عن حكم منع الحمل و تحديد النسل أو تنظيمه و لما لمعرفة الحكم الشرعى من اهمية كبيرة فى حياة المسلمين اليوم ، فقـــد رأيت نشر ما أصـــدره مجلس هيئة كبار العلماء فى ذلك لتعم به الفائدة و أسأل الله أن يوفق المسلمين للعمل بطاعته والعمل بأحكام شريعته فى أمورهم الدينية والدنيوية إنه ولى ذلك والقادر عليه و صلى الله على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه وبارك وسلم .




المرأة

المرأة قبل الاسلام و بعده

— ٧ —

الأستاذ سعيد بن عبد الله سيف الحاتمى

الفكرة الخاطئة عن القوامة

كان كاتب هذا المقال قبل بضع سنين حضر دورة تدريبية لتدريس اللغة الانجليزية كلغة أجنبية فى أمريكا ، و كان من عادة المتدربين الاجتماع بعد العشاء يرتشفون القهوة و يتجاذبون أطراف الحديث . و فى أمسية تطرقنا إلى موضوع حقوق المرأة فى الاسلام و كان ذلك قبل صدور كتاب الأستاذ رياض الدروبى : حقوق المرأة فى الاسلام باللغة الإنجليزية ، و لم يكن قد صدر كتاب آخر باللغة الانجليزية يعالج موضوع المرأة سوى كتاب السير أمير علي « روح الاسلام » و أذكر فى حينه أن أحد الأشخاص المتسامرين معنا أبدى الملاحظة الآتية :

إنك تهذى و تهذر . تدعى أنكم تعاملون المرأة معاملة متساوية مع معاملتكم للرجل . إنك اقتبست قبل فترة وجيزة شيئاً من كتابكم الذى يقول إن المرأة ترث نصف ما يرثه الرجل . أين الانصاف الذى تدعوه ياهذا ! ! خلينا من هذا الكلام الفارغ .

كدت أن يغمى على من شدة ما كنت فيه من الحيرة و الارتباك ، و جمعت شتات نفسى و دافعت دفاع المستغيث . إذ كنت الوحيد فى الميدان ميدان خمسين شخص من غير المسلمين ضد ثلاثة من المسلمين : اثنان من الثلاثة يخجلون من ذكر شئ عن الدين الاسلامى لأن لا يجرحوا شعور الآخرين ولكيلا يفكرنا الآخرون

أننا متحجرون و ما زلنا رجعيين فلا يلبق بنا ذكر شئ عن الدين الاسلامی فی مثل هذه المجتمعات الأوروبية الراقية التی يقال عليها متقدمة و خاصة و نحن غرباء فيها و يا غريب كن اديباً .

ماذا ترجو من مثل هؤلاء الأشخاص ؟

و مما زاد الطين بلة أن أنظار كل من اشترك فی الدورة قد اتجهت إلى نقاشنا و الكل يدلی بدلوه و يتهكمون على الاسلام و على نبيه ﷺ

تهدئة لعواصف الكلام قلت . أرجو أن تنصتوا إلى قا ... ...

و كنتم تتوقعون منی الرد عليه و إلا لما سألتم ...

أستطيع الرد عليه فأرجوكم أن تنصتوا إلى و ...

الحرية فی أن تثور ثائرتكم . الحمد لله هدؤوا بالفعل

أقوله لهم و بعده كان النقاش حاداً . و أخيراً استأذنت لصلاة المغرب

و قد كان لی كلاما كما يلی : (١)

لا تتناطح عنزان أن كل رجل مهما كان لديكم يصرف ما لا يقل عن ثلث دخله الشهری على امرأة أی امرأة قد تكون ، و نحن فی الشرق نصرف عادة على هؤلاء النساء : زوجاتنا و أمهاتنا و أخواتنا و أنتم فی الغرب تصرفون على نساء أخريات بعضها خليلات .

و مهما حاول الرجل التهرب من هذا لا يستطيع إذ يجب عليه أن يصرف شيئاً من دخله على امرأة ما ، و هذا هو الشئ الطبيعی لكل الرجال اذن نستنتج من هذا أن المرأة لها دخل إضافی غير دخلها العادی بغض النظر عن كون الدخل

(١) أذكر هذا الحادث هنا لأذكر أولياء الأمور إلى خطورة إرسال أولادهم إلى بلاد النصارى لتلقی العلوم دون أن يكونوا قد وقفوا على أرضية إسلامية

الاضافى كثيراً أو قليلا . هذا من ناحية و من ناحية أخرى هى أن ديننا الحنيف يعلمنا أنه على الرجل أن يعول زوجته و أولاده ، ويذهب بعض الفقهاء و يحبذون إعالة أولاد المرأة من الزوج الآخر كذلك و خاصة إذا كان هؤلاء الأولاد صغاراً أو يتامى و يقول لنا الحبيب ﷺ أنا و كافل اليتيم كهاتين ، و لا تسقط هـــذه المسؤلية عن الزوج مهما كانت الزوجة غنية و مهما كان هو فقيراً .

لا يرهق الاسلام كاهل المرأة بمطالبتها بأداء واجبات على ممتلكاتها و لهذا نراها أحسن حالا فى الناحية الماليه من الرجل كل ما كانت تملك قبل الزواج و ما ملكته بعده يبقى ملكا لها و لا يتحول إلى بعلها و لا يطالبهـا الاسلام أن تصرف شيئاً على نفسها أو زوجها أو أولادها و هى فى العش الزوجى تقع المصاريف على عاتق الزوج مهما كان فقيراً و مهما كانت هى غنية ، ولا يمنعها الاسلام أن تعين زوجهـا أو أن تساعده فى تكاليف الحياة عن طيب خاطر و خاصة إذا كانت لها موارد معينة أو كانت غنية و تقوم المرأة باعانة زوجها بالمال ليتولى هو الاعالة .

و علاوة على هذا فان الاسلام يطالب الزوج أن يعامل زوجته معاملة حسنة و أن تكون هناك معاشرة طيبة بينهما و يوضح القرآن الكريم هذه الفكرة توضيحاً لا يحتاج إلى سؤال إذ لا غبار عليه و لا غموض

« يا أيها الذين آمنوا لا يحل لـــكم أن ترثوا النساء كرها ، ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف ، فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً و يجعل الله فيـــه خيراً كثيرا . و إن أردتم استبدال زوج مكان زوج و آتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً أتأخذونه بهتانا و اثماً مبينا . و كيف تأخذونه و قد أفضى بعضكم إلى بعض و أخذن منكم ميثاقاً غليظاً » (الآيات من ١٩ إلى ٢١ من سورة النساء) .

نستنتج من الآيات الكريمة الآنفة الذكر أموراً كثيرة منها أن القرآن الكريم ينصح المسلمين بل يأمرهم عندما يطلقوا زوجاتهم أن لا يطالبوا برد الصداق الذى كانوا قد دفعوه إليهن . ما أحلى هذه اللمسة الدينية لقساة القلوب و غلاظها .

كانت المرأة فى الجاهلية تعـد من قبيل المتاع حتى كان أقارب الزوج المتوفى يستولون عليها كرهاً و قد كان الرجل يمسك المرأة و هى له كارهـة حتى تموت فيرثها و كان الرجل إذا تزوج امرأة و لم تكن تكفى حاجته حبسها مع سوء العشرة لتفتدى نفسها بمالها و تختلع فقيل و لا تعضلوهن وكان من عادة ... إذا أرادوا فراق امرأة رموها بفاحشة (١) حتى ... دفعوه إليها .

و الآية الكريمة فيها دواء لهـذه الأدواء و ... مكانتها اللائقة بها كشريكة فى الحياة وكانسان له كرامة و شخصيه ، و هذا الاسلام و القرآن من أربعة عشر قرناً يعالج و لكن بحكمـة لا إفراط ولا تفريط ، إنه تنزيل من حكيم عليم .

هل يليق بمن اتصف بالايمان و خالط قلبـه بشاشتـه أن يفعل الايذاء و خاصة مع من أفضى إليها و عاشرهـا معاشرة الأزواج لاجل المال أو العناد ؟ تالله إن هذا لا يليق أبداً مادامت المرأة فى طاعته و تحفظ فراشه و تقوم بخدمته فاذا نشزت عن طاعتكم و ساءت عشرتهن و لم ينفع معهن النصح أو التأديب أو ظهر و العياذ بالله أنهن أرتكبن فاحشة كالزنا أو السرقة أو نحوها من الأمور الممقوته شرعاً و عرفاً فلكم حينئذ أن تماكسوهن و تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما أعطيتموهن من المال والصداق ، وإنما شرط فى الفاحشة أن تكون ظاهرة فاضحة لئلا يستغل هذا

(١) هذا ما تقوم به بعض الدول المتقدمة تقدم الجاهلية الحديث .



بعض ضعاف النفوس من الرجال فيرى المرأة الضعيفة بشئ لمجرد الظن فقط (١) و كان الجهلاء ينهلون من مصدر واحد للسكر .

« خياركم . خياركم لنسائهم » و يقول فى حديث آخر « خيركم خيركم لأهله و أنا خيركم لأهلى » و عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال : من كان يؤمن بالله و اليوم الآخر فـلا يؤذ جاره و استوصوا بالنساء خيراً فانهن خلقن من ضلع و إن اعوج شئ فى الضلع أعلاه . فان ذهبت تقيمـه كسرته ، و إن تركته لم يزل أعوج ، فاستوصوا بالنساء خيراً (رواه الشيخان) .

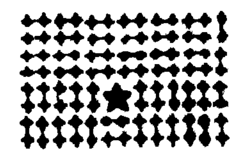
« لا يفرك مؤمن مؤمنة و إن كره منها خلقاً رضى منها آخر (رواه عن عمر رضى الله عنـه) عن النبى ﷺ قال : لا يسأل الرجل فيم ضرب امرأته (رواه النسائى) .

عن أياس بن عبد الله رضى الله قال : يا رسول الله ذئر النساء على أزواجهن فأذن فى ضربهن فقال النبى ﷺ : فطاف بآل محمـد نساء كثير يشكون أزواجهن فقال النبى ﷺ لقـد طـاف بآل محمد سبعون امرأة كلهن يشتكين أزواجهن و لا تجدون أولئك خياركم (رواه أبوداؤد و الحاكم) .

يسمح للرجل أن يضرب زوجه كما سوف نرى و ذلك تحت ظروف معينة ، و يجب أن يكون ضرب الزوجة آخر سلاح يلجأ إليه الزوج بعد أن جرب كل أنواع الأسلحة الأخرى لردعها و كيف يضربها فى النهار ثم يضاجعها فى الليل ؟

(١) محمد محمود حجازى : التفسير الواضح .

« يتبع »



العالم الإسلامي

لقاء مع سماحة الشيخ الندوى

[أجرى اللقاء الأستاذ نذر الحفيظ الندوى ، رئيس
تحرير صحيفــة « تعمير حياة » الأردية ، الصادرة من
ندوة العلماء ، مع سماحة الشيخ أبى الحسن على الحسنى
الندوى ، نقدم هذا الحديث لقرائنا الكرام بعد التعريب -
[التحرير]

س- ما رأيكم حول الجهاد الاسلامى فى أفغانستان ، ضد الاحتلال السوفياتى ، خاصة و فى ضوء الأحداث الأخيرة .

ج - الواقع أن المجاهدين الأفغان ضربوا مثالا رائعاً جديداً للمقاومة والبسالة و الحمية الاسلامية ، فى تاريخ نصف قرن من الزمان - الفترة التى وقعت خلالها أكثر من ست دول إسلامية فى الشرق فريسة مطامع الشيوعية التوسعية واعتداءاتها ، سواء بواسطة أو مباشرة - و قد عجز مع الأسف عن تقديم هـذا المثال الرائع الشعوب الاسلامية والعربية ، ولاشك أن ما قدمه المسلمون الأفغان من دلائل باهرة للعزيمة و الوحدة الاجتماعية و الغيرة القومية يجب أن ينظر إليها كل مؤمن غيور و كل مسلم أبى بعين الاعتبار ، ذلك الذى يمنح الشخصية المستقلة كل بلد وشعب ، ويخرجه من كل نوع للعبودية .

و أتمنى أن يعود الاتحاد السوفياتى إلى الواقعية ، والبصيرة السياسية ، خاصة و هو يدعى بالعطف على قضايا المظلومين والمنكوبين من الشعوب والدول ، و أن لا يستمر فى غيه إلى أمد بعيد ، و أدعو الله سبحانه أن تثمر الجهود التى تبذل

فى إزالة هذا العدوان . و إعادة الحق إلى أهله .

س - هل لى أن أطلع على وجهة نظركم نحو الثورة الاسلامية فى إيران ؟

ج - هذا سؤال محرج ، ولست الآن فى موقف من يبدى فيه رأياً تفصيلياً نحو ما ظهر هناك من أحداث ، و قد وجهت إلى حكومة إيران الجديدة دعوة للحضور فى عيد ميلادها الأول ، و لكن لم أتمكن من الحضور فيه شخصياً نظراً إلى ظروفى الخاصة . ولما تزايد الالحاح على قبول الدعوة من قبل السفارة الايرانية فى الهند بعثت هناك مندوبا لى .

إننى أشعر بضخامة المسئولية عما إذا أبدي

جديداً من حمامات الدم ، ويواجه مشكلات وقضا

الباب للمغرضين المستغلين ، و لذلك فاننى أسلك مس

إن الثورة التى أحدثت باسم الاسلام مسئولياتها كبيرة جسيمة ، فكل عمل تقوم به قيادة الثورة و الحكومة يحسب فى حساب الاسلام ، و يراه الناس عملا إسلامياً زعماً منهم أن ثورة تحدث أو حكومة تقوم باسم الاسلام تمارس مثل هذه الأعمال و النشاطات ، و أن ذلك هو قانون الاسلام ، و لذلك فان قادة إيران - و يتزعمهم علماء الدين - يجب أن يلاحظوا هذا الجانب المهم دائماً ، ويكونوا على حذر من أن تتواجد هناك فكرة خاطئة عن تعاليم و أفكار الاسلام الأخلاقية و طبيعته و سلوكه ، و بدلا من أن يبعث ذلك على الأمل و السمعة الطيبة يسئ الظنون و يثبط الهمم ، ثم إن خطأ قليلا فى تسيير دفة الأمور أو عناداً أوتهوراً سريعاً يعرض البلدان الاسلامية المجاورة لها بما فيها الجزيرة العربية ودول الخليج لخطر كبير ، و يتركها فى مواجهة بلاء و محنة كبيرة ، الأمر الذى يجعل هذه الثورة مصداقاً لقوله تعالى : « و إثمهما أكبر من نفعهما » .

س ـ أريد أن أعرف الأسباب التى دعتكم إلى تأليف كتابكم الجديد « التفسير السياسى فى الاسلام » أظن أن هذا الكتاب لا يوافق مستوى طبيعتكم و أعمالكم الدعوية و التأليفية الأخرى .

ج ـ سؤالك هذا وإن كان محرجاً كذلك ولكننى أرى أن الاجابة عليه ربما توضح بعض الجوانب المهمة و تزيل مايتطرق إلى بعض الأذهان من سوء ظن بمؤلف هذا الكتاب ، لعلك تعرف بحكم اتصالك بى فى بعض أعمالى التأليفية أنى لا أتصدى للكتابة حول موضوع ما لم أطمئن إلى حاجته وأهميته الموضوعية ، بحيث يتمالك على الموضوع و يشغل جوانب تفكيرى كلها ، و لا ينبغى أن يفوتنا فى هذه المناسبة أن الفكرة الأساسية للجماعة الاسلامية و أفكار الأستاذ المرحوم أبى الأعلى المودودى يوجه إليها الطعن و الانتقاد من الأوساط الدينية من مدة طويلة ، و لكن تأخرى فى الكتابة حول هذا الموضوع ، و أسلوب كتابتى و انتقادى و مفاتحتى له يختلف عن غيرى ، فما السبب فى ذلك ؟

الواقع أنى منذ مدة كنت أريد أن أعرض عصارة فكرى و دراستى و تجاربى فى أسلوب علمى دينى وبناء خالص حول محور وأساس تفكير الجماعة الاسلامية وكنت أريد أن أبدى ما كنت أشعر به من أخطار و مخاوف تدنو نحو الجماعة ، بأسلوب هادىء هادف رزين ، و من أول الأمر كان كتاب الشيخ المودودى رحمه الله « المصطلحات الأربعة فى القرآن » موضع اهتمامى .

كنت أعتقد و لا أزال أن هذا الكتاب ينحرف بحياة المسلم من جادة الفهم الصحيح للدين وإدراكه وبذل الجهود فى سبيله . الجادة الأصيلة التى دعا إليها الأنبياء عليهم الصلاة السلام و أتباعهم ، و التى كانت تصل بين العبد و المعبود و تنشى العلاقة الصحيحة المفيدة بين الدنيا والآخرة ، و التى كانت تبعث الحياة على حب

الله ورسوله و على الايمان و الاحتساب و تربها على الطاعة والاهتمام بالآخرة ، كان هذا الكتاب يحيد بحياة المسلم عن هذه الجادة الايمانية الحقيقية إلى طريق السياسة والتنظيم ، و الحرص على السلطة و الحكم ، و بايجاز إلى طريق « المادية » كما أنه يثير شكوكا فى قدرة تفهيم القرآن الكريم و كفاءات أمة الدعوة و فهمها - التى ظلت تتقاصر لمدة قرون متتالية عن فهم هذه المصطلحات القرآنية -

كنت أرى خطورة هذه النتيجة التى تنتجها دراسة هذا الكتاب و أشعر بأهميتها وعمق تأثيرها ، فكان بودى أن أكتب حول الموضوع رجاء أن يكون ذلك خدمة لا يستهان بها لجماعة إسلامية تضم عدداً كبيراً من
و المخلصين و الشباب المسلم المثقف الذكى ، و لكن
فى كتابات الشيخ المودودى ومؤلفاته و رسائله الأ-
ذلك نظراً إلى ضعف البصر الذى كان يحول دون المطالعة والكتابات محصيا لفترة طويلة تمتد إلى ما بين العامين ١٩٦٤ - ١٩٧٧م ، و لما فتح الله على الطريق بعد إجراء العملية الجراحية و عادت إلى قوة المطالعة و الكتابة بدأت أجمع كتابات الشيخ المودودى وكتبه وأدرسها من جديد عسى أن أوفق لتقريبها إلى فهم الدين الصحيح ، و لكن دون جدوى ، و استخرت الله قبل البدء فى العمل أياماً عديدة و أقول بصراحة إنى لمحت إشارات واضحة خلال استخاراتى للبدء فى وضع هذا الكتاب (التفسير السياسى فى الاسلام) و فى رمضان ١٣٩٨م بدأت العمل بعون الله تعالى .

ولما انتهيت عن كتابة الموضوع تداولته بالدراسة عدة مرات ، لعل هناك كلاماً لاذعاً أو طعناً من غير قصد . و تحريت القصد و الاتزان و أخرجت من الكتاب كل شئ من هذا النوع ، و إن كان ذلك سبباً لقوة فى الكلام ،

و الله يعلم أنى ما سوغت لنفسى خيانة أو حذفاً و زيادة ، و إنى لا أفرمن تحمل المسئولية عن كل ما جاء فى الكتاب من مقتطفات و عبارات و نتائج مستنبطة و لا أشعر بأى خجل أو خطأ نحو هذا العمل الذى قمت به لوجه الله وحده ، بل و أرى ذلك خدمة للجماعة بل خدمة للدين ، و إنى أعتبر هذا الكتاب مادة مبدئية وكتابا موضوعياً يفيد أعضاء الجماعة وغيرهم على السواء ، و ذلك ماجعلنى نقلته إلى العربية ، و زدت فى الطبعة العربية زيادات مفيدة .

وأحب أن ألفت أنظار أصدقاء الجماعة المخلصين – ومنهم عدد كبير للباحثين عن الحق و الهداية – إلى أهمية شأن الدين والآخرة وخطورته ، وأنه ليس هناك من يكون بريئاً عن الخطأ ومعصوماً عن الزلل سوى رسول الله ﷺ ، و قد أوضح الشيخ المودودى رحمه الله فى رسالته فقال : « إنى لا أرى نفسى فوق الانتقاد» .

و لكن قضيت من عجبى حينما ظهر لى رد فعل الجماعة العام ، الذى كان ينافى ما كنت أتوقع من أعضاء الجماعة ، و يغاير تعليمات دستور الجماعة وروحه ، فقد اعتبروا الكتاب محاولة خالصة للمعارضة و المنافسة ، و من هنالك تبين لى سبب إخفاق أولئك المصلحين والقادة الذين يبذلون جهودهم ضد العصبية الجماعية والمحاباة الشخصية ، وتقرر لى مدى ما تحمله المغالاة والمبالغة و الافراط والتفريط من جاذبية للفطرة الانسانية (إلا من عصم ربك وقليل ما هم) .

و من طبيعتى أن ألاحظ القصد و الاتزان و العدل بين المعارضة والموافقة و بين الانتقاد والمدح وأحاول دائماً أن أعمل بقول الله تعالى « و لا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى » و لذلك فلا يمكننى إرضاء من يحبون المغالاة فى كل شئ من المعارضة أو الموافقة .

صور وأوضاع

حررو الرجال قبل أن تحرروا النساء

واضح رشيد الندوى

تحرير المرأة هتاف من الهتافات المغرية ، و هو كذلك سلاح من الأسلحة الفتاكة لقتل الشعور الانسانى النبيل ، و معول من معاول هدم المجتمع فى البلاد المتحفظة ، و قد استخدم الغرب هذا السلاح لعكاء
الاسلامية أثناء الاستعمار ، و لا يزال يستخدمه
بأيدى عملائه و وكلائه .

واجهت تركيا و مصر حملة تحرير المرأة ، و بذلت
المرأة من البيت و تحويلها عن دورها الطبيعى الانسانى بالنسبة لأسرتها ولأطفالها ، قادة الحال ، وقادة المستقبل ، وكان تغيير مسئولية المرأة ، عاملا كبيراً من عوامل الانحطاط الاجتماعى ، والميوعة الخلقية ، و تدهور نظام التربية الأساسية والأصيلة ، فقد كانت المرأة المعلمة الأولى ، و كان حضنها المدرسة الأولى التى كان الطفل يتعلم فيها الخصائص القومية ، و الدينية ، و الثقافية ، و تنمو فيه الملكة اللغوية و يتعلم السلوك الانسانى ، أو الاجتماع .

كان من النتائج الأولى لتداعى كيان هذه المدرسة الأصيلة ، غير الانفكاك الخلقى العام ، ضعف الصلة بالدين و الأمة ، واللغة ، لأن الأم هى المعلمة الأولى فى هذه المجالات الأصيلة كلها للمعرفة الأساسية و هى المعلمة الأولى للعواطف النبيلة من الحب ، و الرحمة ، و العطف ، و الحنان .

لست فی هذه العجالة بصدد استعراض أبعاد المسألة ، ومكاسبها وأخطارها للفرد والمجتمع ، وإيضاح موقف الدين إزاء هذه المسألة فقد عولجت المسألة ، ولا تزال تعالج منذ نشأتها و منذ أن غرست هذه الشجرة ، و قد أتت أكلها ، وثارت هذه المسألة فی أوربا نفسها و أصبحت مسألة اجتماعية ، لا يستطيع أحد أن يغفلها .

ولكنی أريد أن أشير إلی مفارقة غريبة فی إثارة مسألة تحرير المرأة فقد أعلن رئيس الجماهيرية الليبية معمر القذافی الذی عرف بمواقفه المتعارضة ، وكونه جامعاً للأضداد ، أو لكونه بنفسه من الأضداد ، فی نبأ لوكالة رويتر أن الرئيس القذافی :

« دعا إلی ضرورة أن تتحرر المرأة من القهر الاجتماعی النفسی المفروض عليها فكان يتحدث إلی طالبات معهد للعلمات فی طرابلس ، و أضاف القذافی يقول إن بقاء المرأة تحت سيطرة و استعباد أی شخص مثل أی بضاعة تباع و تشتری هو امتهان لكرامة الانسان ، وذلك الوضع قد أنهته الثورة الجماهيرية ، وقال إن الثورة ستحقق الحرية لكل رجل و امرأة فان الحرية ليست مقصودة علی الرجال دون النساء » (١)

و قد صدر هذا الاعلان من الرئيس الليبی وسط أخبار مطاردة الشعب بكامله ، و وسط حملات القمع والاستبداد والسجن بدون محاكمة لكل من يمارس أدنی حرية فی التعبير والعمل ، وتولی معمر القذافی بنفسه حقوقاً وسلطات استثنائية ولجأ إلی أعمال القتل و التعذيب ، ويفرض علی البلاد حجاباً بل ستاراً من حديد .

و ما أغرب هذا المنطق فی هذه الخلفية ، التفكير فی حرية المرأة و اعتبار الحجاب و سلطة الرجل عليها مهانة لها ، و رجعية ، بينما يعيش الرجال فی نفس البلاد وضعاً أسوأ من الوضع الذی كانت المرأة تعيش فيه فی العهد الهمجی .

---

(١) مجلة الاصلاح دبی

ليس الوضع فی لیبیا غریبا و بدعاً فقد جرب حملة تحرير المرأة فی ترکیا ، جنباً بجنب مع أعمال القمع و استعباد الشعب الترکی المسلم و حرمانه من حقوقه الأساسية و إرغامه على الخضوع لطبيعة حياة مغايرة لضميره ، وجرت هذه الحملة فی مصر و بلغت أشدها فی عهد عبد الناصر ، الذی حول بلاده إلى سجن كبير حيث كانت شريعة الغاب الدستور السائد ، و جرت هذه الحملة فی عهد بوتو فی باكستان بينما كان أصحاب الضمائر الحرة يواجهون الكفاح من أجل الحياة بكرامة و كان المطالبون بالحرية يعاملون بأقسى اجراءات القمع و الكبت

كان رواد حملة تحرير المرأة يدعون بأن الحـ

الاستبدادی البائد ، يقصد منه الاستغلال و إبقاء الـ

العالم الاسلامی منذ أن خضع لتلامذة الغرب ، يشير

تحرير المرأة ظلت مقترنة فی البلاد الاسلامية فی سائر أدوار

فقد حاربت الحكومات القائمة فی البلاد الاسلامية شعوبها المسلمة وسلبت حريتها ، و أخضعتها لارادتها و لتفكيرها الذی كان ملهما من الغرب ، فی التعليم و السياسة و الادارة ، حتى الدين ، أصبح خاضعـــاً لرغبات الحكام المستبدين ، و الذين يقومون بتعيين الخطوط ، والفكرة والموضوع لخطب الجمعة والأعياد ، وتعيين الأئمة فی المساجد و يضعون حراسهم فی المساجد للاشراف على أعمال المسجد ، و انبثت رجال مخابراتهم فی المحافل و مراكز الاجتماع ، و لا يستثنى من آلات تسجيلهم الحوار بين الأصدقاء ، بل بين الزوجين داخل البيوت .

لقد أصبحت الحياة فی كثير من البلاد الاسلامية اليوم مظهر شقاء و بؤس وذل وعبودية للعلماء ، والمثقفين والمفكرين ، فقد وضعت أقفال على ألسنتهم وقيود على أرجلهم و أصبحت ممتلكاتهم عرضة للنهب و السلب ، يصطادون من الشوارع

و البيوت تحرم زبائن الحكومة من المساجد ، و قد ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، فخرج من استطاع أن يخرج من بلاده سعياً وراء الأمن فى البلاد الخارجية ، ولكن رجال المخابرات و المرتزقة لا يتركونه فى البلدان المجاورة ، فلا يغنيه الجوار فى غير بلاده .

هل يمكن أن يكون قهر اجتماعى فوق هذا القهر الاجتماعى السائد فى ليبيا ، و نفسية الذعر فوق نفسية الذعر التى تعم فيها .

لقد كان من حق الوضع فى مثل هذه البلدان و خاصة فى ليبيا حيث أفتى رئيس البلاد برفع الحجاب ، أن تبذل جهود لحرية الرجال ، وأن يرفع ذلك الستار الحديدى المفروض على البلاد بكاملها ، فيخرج الرجل فى إساره ، و أن تنظم جمعيات عالمية تطالب باعادة شرف الرجال و إيقاف مهانتهم و ذلهم ، و أن ترفع المشانق التى تعلق فوق رؤس الرجال من أصحاب الضمائر الحرة و تصان الكرامة الانسانية ، ويضمن للشعب الليبى حياة شرف وكرامة ، وتعاد إليه الحرية التى سلبت الثورة ، ولكن الرئيس الليبى ترك العالم فى دهشة باعلانه أنه يعيد حرية النساء ، لأنه يخاف الرجال .

و لعل هناك سراً كامناً فى خطة الرئيس الليبى الجديدة ، و هو أنه يعانى من خيبة بالنسبة للرجال ، أو يئس من أن يكسب ودهم ، فتحول إلى النساء ، فان لم يحفظ عرشه الرجال فستحفظ عرشه النساء !

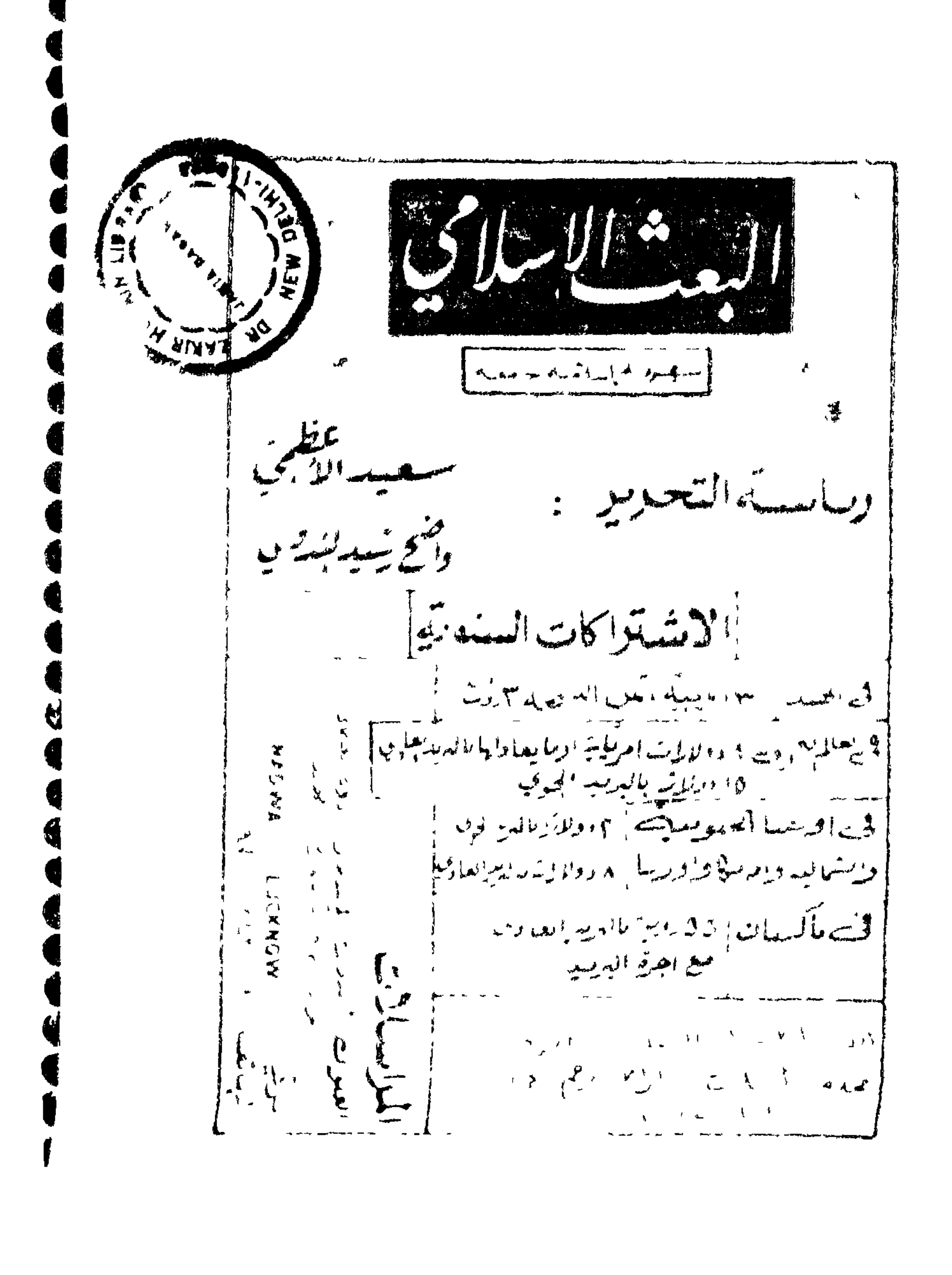
عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ : إذا كان أمراؤكم خياركم ، و أغنياؤكم ، سمحاؤكم ، و أمركم شورى بينكم فظهر الأرض خير لكم من بطنها ، وإذا كانت أمراؤكم شراركم و أغنياؤكم بخلاؤكم ، و أموركم إلى نسائكم فبطن الأرض خير لكم من ظهرها (رواه الترمذى)



Phone : 42348 Regd No Lw/ NP59

ALBAAS El-ISLAMI

Nadwat-ul-Ulama Lucknow (India)

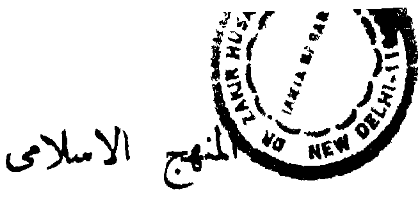




البعث الإسلامي

تصدر في ندوة العلماء - لكهنؤ - الهند





المنهج الاسلامى

المنهج الاسلامى، منهج مستقل، منهج مختلف، منهج أصيل ليس بينه وبين المناهج الوضعية وجه شبه أو نسب . فبينما المناهج الأخرى أو الديانات السائدة الأخرى، تختلط مع الشعوب البشرية العامة فى سوق المادة والمعدة، وتجتمع معها على مائدة واحدة، وتتمتع معها بملذات الحياة المحرمة بحرية تامة، نرى الاسلام ينفصل عن هذه الشعوب المادية من أول الطر

على دين الله

الباطلة و الله

بما جاء فى الحديث

و التشديد على النهى عن متابعتهم ولو فى الأمور العادية البسيطة « و تحسبونه هينا و هو عند الله عظيم » .

محمد الحسنى (رحمه الله)

البعث الاسلامى

مجلة شهرية جامعة

انشأها فقيد الدعوة الاسلامية
الاستاذ محمد الحسنى (رحمه الله)
فى عام ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م

رئيس التحرير

سعيد الاعظمى الندوى
واضح رشيد الندوى

المجلد الخامس والعشرون

العدد الثالث

ذو القعدة ١٤٠٠هـ

سبتمبر و أكتوبر ١٩٨٠م

المراسلات :

البعث الاسلامى
ندوة العلماء ص ب ٩٣
لكهنو — الهند

Nadwat-ul-Ulama

Po. Box 93

Lu know (India)

فهرس العدد

وا قدساه ! . . ومن للمسجد الاقصى ؟!	سعيد الأعظمي الندوي	٣
من معاني سورة البقرة	فضيلة الشيخ عبد السلام القدوائي الندوي	١٠
نموذج رائع من الايمان النبوي والحنان الأبوي	سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي	١٨
فقه سيرة النبي صلى الله عليه وسلم	فضيلة الدكتور الشيخ يوسف القرضاوي	٢٣
زوايا الانسان في المجتمع المعاصر	سماحة الشيخ السيد أبي الحسن علي الندوي	٣٢
أرض الحرم ، أحكامها ومصالحها	العلامة الدكتور السيد سليمان الندوي	٤٦
ردود على شبهات حول شئون اجتماعية	الدكتور عبد الكريم زيدان	٥٧
شبهات حول الفقه الاسلامي	محمد صدر الحسن الندوي	٦٩
دمعة حزن على فقيد الايمان والجهاد محمد الحسني (شعر)	الشاعر الاسلامي حسن بن يحيى الفارسي	٨٤
المرأة قبل الاسلام و بعده	الأستاذ سعيد بن عبد الله بن سيف الحاتمي	٨٦
ما هكذا تورد يا سعد الابل !	الأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي	٩٣
يا شباب الاسلام	الأستاذ عصام العصار	٩٦
برقية استنكار حول تصريحات الخميني	معالي الشيخ محمد علي الحركان	٩٨
مؤتمر الاعلام الاسلامي	قلم التحرير	٩٩
رجال الفكر و الدعوة (المجلد الرابع)	. . .	٩٩
العدد القادم	. . .	١٠٠

بسم الله الرحمن الرحيم

وا قدساه . . . ، و من للمسجد الأقصى ؟

بماذا يفسر ما قد قرره الكنيست اليهودى تجاه قدسنا المفداة الغالية !؟
إسرائيل تجد عندها الجراءة البالغة لكى تعلن تهويد القدس بوقاحة منقطعة النظير،
وتذيع تحويلها إلى عاصمة أبدية موحدة لدولتها المزعو..
كان العدو اليهودى قد ندد بقرار مجلس الأمن التا..
حول إخلائه الأراضى المحتلة حتى ١٥/ نوفمبر الق..
العدو فى الأمم المتحدة الدول العربية والاسلامية ال..
إلى مجلس الأمن .

إنها ليست قضية كسائر القضايا و المشكلات ، إنما هى مسألة ذات أهمية عقيدية خاصة . تثير الغيرة الدينية أكثر من أى وقت آخر ، و تحرك المسلمين فى العالم كله لوقف هذه المهزلة الشنيعة ، وحشد كل الطاقات والامكانيات اقطع دابر هذا السرطان الخبيث الذى يستولى على جسم الأمة الاسلامية كله و يبدأ عملية التذويب و التصهير بقوة وإعلان و وقاحة خطيرة ، و لا أظن أن مسلمى العالم يسكتون على هذا الظلم و الوحشية ، وأن دول العالم المنصفة التى أيدت قرار مجلس الأمن الأخير حول إخلاء القدس والأراضى الفلسطينية المحتلة الأخرى ، لاأراها تتفرج على موقف إسرائيل الارهابى و رفضها لجميع القيم الانسانية و تتركها تعيث فى ديار المسلمين فساداً و ظلماً و إرهاباً ، و تسيطر على المسجد الأقصى تنجسه بمخططاته التوسعية النحسة التى تصرح بتغييره بهيكل يهودى لا رصيد له من الواقع .

إن هذا الحادث المظيع ، و استيلاء العدو اليهودى على القدس و تمكنه من المسجد الأقصى المبارك ، و قيامه بالحفريات الغير المشروعة حوله ، كل ذلك دليل ساطع على أنه يبلغ من الضراوة والانحرافات القاسية بحيث لايبقى فى عينه حرمة المقدسات و تذوب لديه فوارق الظلم و العدل ، و الذمم و الذمار و القيم و الأخلاق ، و يلح على تنفيذ ما قد زينه له سادته و كبراؤه ممن يرعون بقاؤه و ازدهاره فى أرض ليس له فيها ذرة واحدة من الحق المشروع ، و لكنه احتلال و سيطرة و نفوذ غير مشروع ، الواقع الذى تبينه مجلس الأمن و أعلنه مدوياً فى قراره الأخير .

و لكن ماذا كان رد فعل العدو على قرار مجلس الأمن ، ألم يكن عدوانياً محضاً ، وإعلاناً صارخاً عن تنفيذ مخططاته الخطيرة فى القدس المباركة و أولى القبلتين ، ألم يكن إثبات أن اليد المحركة وراء هذه الجراءة الوقحة ليست فى الكنيست وإنما هى فى البيت الأبيض و فى مراكز التخطيط و التآمر و ترسيخ جذور العداوة ضد المسلمين ، فلا غرابة فيما تظاهر به العدو من رفض هذا القرار ودوسه بالأقدام مصحوباً بتهويد القدس و جعله مقراً دائماً لدولته الحقيرة المزعومة .

يفعل العدو اليهودى الصهيونى بمساعدة الصليبية الحاقدة كل ذلك ، يخرق حرمة القانون ، و يدوس الحقوق و يرفض القيم و الأخلاق علناً و جهاراً ، و حتى لا يبالى بقرار أكبر مؤسسة دولية (الأمم المتحدة) ، و الحكومات الاسلامية و دول المسلمين كلها تواجه الحادث الفظيع بشئ قليل من الاستنكار أوالاحتجاج ضده ، و ما هى إلا أصوات ضعيفة ترتفع هنا و هناك ، و تتخذ قرارات و تنشر فى الجرائد والمجلات الرسمية و غير الرسمية و تستمر القضية حديث المجالس والمؤسسات الاسلامية و الجمعيات الدينية إلى مدة لا تتجاوز عدة شهور أوسنوات

فی بعض الأحیان . ما أن یدوم الوضع علی هذا النمط إلا وینتهی بنفسه ، خاصة و قد جربنا ذلك فی قضیة فلسطین فقد بدأت المقاومة بالجهاد الاسلامی ضد العدو المحتل ، و تدرجت من الشهادة فی سبیل الله إلی التظاهر بالاستنكار و الاحتجاج و حسب ، أو بالأصح : من صناعة الموت إلی صیاغة القرارات .

و من ثم طلت قضیة فلسطین علی امتدادها و مسارها التاریخی علامة استفهام وتساؤل لدی الجهات المعنیة الاسلامیة فی العالم كله ، لماذا فقدت قوة المقاومة بروح الجدیة و الایمان ، و التفانی و الاستماتة ، أو إذا ظهرت هذه !! ؟ ؟ ؟

فلماذا اختفت و ضعفت فی آخرها ، و ما الذی یجعل

لا تستطیع أن تطرد إسرائیل التی لاتقف إزاءها فی أی

و الأسلحة و الوسائل المتوفرة ، و تصغر عنها إسرائیل

كا أنها معتدیة محتلة فی أرض غیرها ، و لیس من الصعب أن تطرد او یقضی علیها بأدنی مقاومة و أقل هجوم عربی إسلامی موحد .

و أمامنا مثال حاضر للشعب الأفغانی الذی أبدی من روح المقاومة والایمان ضد العدوان السوفیاتی ما یندر نظیره فی الدولة الاسلامیة نفسها ، و قد شهد العالم كیف أن الاتحاد السوفیاتی رغم جمیع معداته الحربیة و وسائله القویة ورجاله وجنوده الأقویاء ، و رغم قنابله النابالم ، و غازاته السامة التی تمطرها علی الشعب الأفغانی العزل ، لا یزال یندحر و یستكین ، و لا یكاد یصمد أمام الدفاع الأفغانی و المقاومة الشعبیة التی یقوم بها الشعب الأفغانی الأبی ، لاسترداد حقه المشروع ، وصیانة أرضه و خیرات بلاده من الابتزاز السوفیاتی البشع و مطامعه الخطیرة فی الاحتلال الدائم و اتخاذ أفغانستان مركزاً استراتیجیاً للاستیلاء علی منابع البترول فی دول الخلیج والجزیرة العربیة ، و بالتالی الاحتلال الكامل فیها و التمتع بثرواتها علی أنقاض شعبها المسلم .

و لعل هذا البون الشاسع بين الكفاح الأفغانى والكفاح العربى جاء من قبل الايمان بالمبدأ و عاطفة الاستماتة فى سبيله و التفانى لاسترداد الحق السليب وحب الشهادة فى سبيل الله ، فكلما تمتع شعب بهذه الجوانب المشرقة فى حياته الفردية والجماعية كتب له الانتصار فى أحرج الساعات وأدق المواقف وأعصب المناسبات .

نرى أن دولنا العربية الاسلامية تشغلها عن المبدئية و الجدية - التى تتوقف عليها حياة الأمم - أمور تافهـــة لا تمت إلى الأساس ، ذلك كدوافع الانتقام و الثورة ، و أعمال العنف و الهدم ، و حياة البذخ والترهل والنعيم و الرخاء ، الظاهرة التى تفرق بين القلوب و الصفوف و تتردى بالأمة إلى الهاوية ، و هل يخفى على العالم ذلك الوضع المتفجر الخطير الذى تعيشه دول عربيـــة بالذات ، من تركيزها الكبير على محاولات القتل والاغتيال والتدمير داخل الحكومات وخارجها على السواء .

و ما دمنا مشغولين بما ليس من شأننا لا نستطيع أن ننتصر ، بل و لانقدر أن نعيش فى أمن و هدوء ، بله أن نهزم العدو ، ونسترد الحق المسلوب ! و الله من وراء القصد و هو يهدى السبيل ؟

سعيد الأعظمى

٢٠ / رمضان ١٤٠٠هـ



التوجيه الإسلامي

من معانى سورة البقرة

— ٢ —

فضيلة الشيخ عبد السلام القدوائى الندوى

« معرب »

[الم] من الحروف المقطعة التى تبتدىء بها عدة سورة من القرآن الكريم ، و قد اختلف المفسرون فى معانيها ، و لم يرو عن النبى ﷺ و لا عن الصحابة أى قول فى تفسير هذه الحروف ، و إنما ردوا علمها إلى الله تعالى ، كما حكاه القرطبى فى تفسيره عن أبى بكر و عمر و عثمان وعلى وابن مسعود رضى الله عنهم أجمعين ، كذلك قال عامر والشعبى وسفيان الثورى و ربيعة بن خيثم ، واختاره أبو حاتم بن حبان ، و منهـم من فسرها ، و اختلف هؤلاء فى معناها فقال : عبد الرحمن بن زيد بن أسلم إنما هى أسماء السور . و قال الزمخشرى فى تفسيره : و عليه إطباق الأكثر ، و نقله عن سيبويه أنه نص عليه ، و يعتضد لهذا بما ورد فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقرأ فى صلاة الصبح يوم الجمعة ، الم السجدة ، و ، هل أتى على الانسان ، وقال سفيان الثورى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أنه قال : الم ، وحم ، و المص ، و ص . فواتح افتتح الله بها القرآن (١) .

و يقول الامام أبو جعفر الرازى : إن هذه الحروف إنمـا هى تستلفت

(١) تفسير ابن كثير (سورة البقرة) .

أنظار فصحاء العرب و بلغائهم إلى ما في القرآن من فصاحة وبلاغة معجزتين . إذ أن القرآن المعجز ليس إلا مجموعة من هذه الحروف التي دارت فيها الألسن والتي إذا أفردت لا يفهـــم له معنى ، و لكن الله تعالى صنع بتركيبها كلاماً يبلغ من البلاغة و الفصاحة مبلغاً يعجز عنه العقول ، » و قد حكى هذا المذهب الرازي في تفسيره عن المبرد و جمع من المحققين ، و حكى القرطبي عن الفراء و قطرب نحو هذا ، و قرره الزمخشري في كشافه و نصره أتم نصـ

الامام العلامة أبو العبـاس بن تيمية و شيخنا الحافظ

و حكاه لي عن ابن تيمية » (١) .

[ذلك] إشارة إلى الكتاب و المراد بها هذ

رضي الله عنه ، و كذا قال مجاهد و عكرمة و سعـ

ابن حيان و زيد بن أسلم و ابن جريج أن ذلك بمعنى « هذا » و لكن استعمال أشارة البعيد هنا للتعظيم ، ذلك لأن معناه أن الكتاب المشار إليه بعيد عن متناول أيدينا و فوق تصورنا ، كأنه يقول : إن هذا الكتاب نظراً إلى عظمة مكانته و علو منزلته لا يكاد الانسان يتصور تقريب معانيه إلى ذهنه العاجز الجامد ، لما بين مستوى الكتاب و مستوى الانسان من تفاوت عظيم .

[الكتاب] تعريف الكتاب بال إشارة إلى أن هذا الكتاب هو الكتاب الكامل الذي يشمل جميع النواحي و الاعتبارات ، لا نقص فيه و لا عيب ، فهو الكتاب الوحيد الذي يستحق أن يعتبر الكتاب الكامل الشامل بين الكتب كلها ، كما أن ذلك يشير إلى أنه هو الكتاب المنتظر الذي كان دعاة الأديان كلها قد تحدثوا عنه لأتباعهم .

---

(١) نفس المصدر

[لا ريب فيه] الريب معناه فى الأصل الاضطراب و قلق النفس ، و بما أن الشك يورث النفس قلقاً يستعملون الريب فى موضع الشك أيضاً ، و قد يطلق الريب بمعنى التهمة ، و « لا » هنا لنفى الجنس فالمراد بها نفى جنس الريب ، يريد الله سبحانه و تعالى أن هذا الكتاب يحتوى على جميع معانى الكمال و الشمول ، فيه بيان للحقائق التى لا مرية فيها ، إذ ليس فيه ما يحتمل ذرة من شك ، و كل من يتأمل فيه تتبين له حقيقة هذا الكتاب بغاية من الوضوح ، و أنه كلام إلهى يتولى إخراج الناس من ظلمات الشكوك و الأوهام إلى نور الايمان و اليقين .

[هدى للمتقين] هداية كاملة للذين يتقون الله من قلوبهم و يختارون طريق الحق و الهدى فى أعمالهم تاركين جميع المغريات و ضاربين كل الشهوات عرض الحائط ، والهداية معناها الدلالة على ما يوصل إلى المطلوب بغاية من الدقة و الذكاء و القرآن يهدى الناس جميعاً ، فانه « هدى للناس » وإنه « هدى للعالمين » ولكن الوصول إلى المطلوب إنما يتحقق للذين يعيشون فى هداية الله تعالى فى رضا النفس و طمأنينة القلب ، إن نظرة واحدة فى الحياة اليومية تؤكد أن الهادى يهدى الناس كلهم ، و لكنهم لا يستطيعون أن يصلوا إلى المطلوب ما لم يسلكوا الطريق الذى دلهم عليه ، و إلى هذه الحقيقة أشار الله تعالى فى هـذه الآية ، و أكد أن الوصول إلى المطلوب يتطلب صفات ، و كذلك الاتيان بكلمة هدى مكان الهادى دليل ساطع على ما فى القرآن من صفات الهداية الكاملة البالغة ، فان أهل اللغة يلمسون هذا الفرق و يتذوقون بلاغة القرآن ، و معلوم أن الهادى هو الذى يحمل صفة الهداية ، فالهداية هنا شيء ضمن شخصية الهادي ، ولذلك فان الله تعالى استعمل كلمة هدى ، لكى تكون الهداية شيئاً أصيلا فى هذا الكتاب ، و يعتبر أن القرآن هو الهدى بكامله .

و لا يهمهم إلا الحياة الدنيا يستحيل عليهم أن يعيشوا فى طمأنينة وراحة بال ، و لا يمكن أن يمسكوا عن غيهم بقوة القانون لحسب ، إنهم يراعون القانون فى الظاهر خوفاً من أن يصيبهم عقاب ولكن من ذا الذى ينهاهم عن ممارسة الجرائم الخلقية فى السر ، و كيف يمكن إصلاح قلوبهم فيما إذا أرادوا أن يقترفوا المنكر فى بواطن أمورهم ، فينتج ذلك أن الظاهر يتقيد بالقانون و الباطن يتهيأ لنقض القانون دائماً

و لكى يتوافر للنوع البشرى الراحة و الهد.

أن يؤمن بقوة مطلقة ذات قدرة ظاهرة و

و لا فى السماء ، وتطلع على النيات و ما

ترانا و تطلع علينا فى كل لحظة ، و مع هذا

ما نراه فى هذا العالم المادى هو ليس كل شئ بل الواقع أنه أقل شئ بالنسبة إلى ما لا نراه إذ أن وراء هذا العالم المادى عالماً أوسع حداً حيث لاقيمة لهذا العالم المادى ، و لذلك فاذا عشنا فى عالمنا هـذا حياة التقوى و الورع أنتج ذلك أن نعيش فى راحة دائمة و نعمة كاملة فيما يواجهنا من حياة آخرة .

و بهذا الايمان تزول هيبة الحياة الدنيا و زخارفها من القلوب ، و به تنشأ عاطفة الايثار لدى المؤمن ذلك كأن يتنازل عن منافعه وراحته لكى يوفرها لغيره ، و يتعود على المنح و الاعطاء بازاء الأخذ والطلب ، فيضع ماله و وقته فى خدمة أخيه ، و يتخذ ذلك مبدءاً لحياته ، و هكذا يحل التعاون و التناصر محل التصارع و التفاخر و الحب و الايثار محل العداء و الحسد .

و بما أن عالم الغيب ليس أمام الأعين فان العقل المادى يعجز عن الاعتراف به ، على أن الماديين هؤلاء هم الذين يبحثون دائماً عن الحقائق غيرالمرئية والأشياء

و إنه و إن لم يكن أزلياً و لكنه أبدى البتة ، كما يقول الغزالى ، أما الموت فانه لا يفنى الانسان بل ينقله من حياة إلى حياة أخرى ، فاذا انطبقت عينه فى جانب انفتحت فى جانب آخر ، إن هذا العالم المادى ليس مقراً أصيلا له ، بل إنه ممر يمر به من عالم الفناء إلى عالم البقاء الذى يختفى علينا و لا نستطيع أن نراه إلا إذا اخترقنا الحجاب المادى ، و انتقلنا من عالم المادة إلى عالم الروح

هذه الحقيقة الغيبية هى أساس نجاحنا فى كل مرحلة ، ولا نستطيع أن نعيش فى غنى عن الايمان بالغيب حتى إن شئوننا اليومية لانكاد ننجزها على الوجه الصحيح بدون الايمان بالغيب فضلا عن النجاح بعد الموت ، إن متاع الدنيا محـــدود شأن الحياة الدنيا ، و لكن الانسان أمانيه و آماله لا حـــد لها و لا نهاية ، و ذلك ما أحدث صراعاً عنيفاً بين جوانب الحياة كلها ، فكل شخص مشغول باضرار غيره و دوس كرامته ، و توفير الراحة و تخصيصها لنفسه ، و للقضاء على هذه الفوارق و الحد على الظلم و البغى وضعت قوانين الحياة ، و جاءت الحكومات لكى تنفذ هـــذه القوانين وتقوم بالتشريع ، وبما أن هذه الحكومات من صنع الانسان ، و وضع القوانين و تنفيذها كذلك يتولاه الانسان يستحيل العدل و يظهر تأثير الأغراض و المصالح فى كل مناسبة ، ومن ثم تتداخل الكراهية فى نفوس الرعية و الضعفاء من الناس ضد الحكومات و أهلها ، و يحدث صراع عنيف بين الحاكم والمحكوم ينتج ثورات كبيرة ، ولكن الناس لايستريحون فى ظلال هذه الثورات ، و إنما يواجهون مقاومة و صراعاً بوجه مستمر ، حتى إن النوع البشرى لا يتمتع بالراحة و الهدوء و الطمأنينة فى أى حال .

ومهما انتقلت السلطة إلى أناس يريدون أن يودوا واجبهم نحو النوع البشرى مرتفعين عن الأغراض الشخصيـــة ، إلا أن الذين لا يرون وراء المادة عالماً ،

بالطاعة » (١) .

و قد أشار إلى صفات التقوى أبى بن كعب بغاية من الوضوح و البلاغة حينما سأله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ذات مرة عن التقوى فقال له : أما سلكت طريقاً ذا شوك ؟ قال بلى ، قال فما عملت ؟ قال شمرت واجتهدت ، قال : فذلك التقوى ، والمعنى أن يجتهد المرء فى طرق حياته الشائكة والمليئة بالمطامع و المغريات أن يسلكها بأمانة و حذر .

و بعد هذا البيان عن التقوى أقول : إن التقوى ...

وحد ربه معه على الدوام ، كما يقول الله تعالى

هم محسنون » و قال : « إن أكرمكم عند...

عبد الله بن عباس رضى الله عنهما عن رسول ...

أكرم الناس فليتق الله ، و من أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله ، و من أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما فى يد الله أوثق مما فى يده » (٢) .

[الذين يؤمنون بالغيب] يبدأ الآن ذكر الصفات التى يحتاج إليها المسلم بعد التقوى و التى إذا اصطبغها فى حياته وصل إلى الغاية بسهولة ، وقد تناول القرآن بيان التقوى فى بلاغة و أسلوب جميل يملأ القلب بعظمة الله و جلاله ، ثم يحثه على اجتناب السيئات و الذنوب ، حتى يتمنى أن لا يفوته الصراط المستقيم و الوصول إلى الغاية الكريمة ، و لما ثوثقت عاطفة الصلاح و التقوى فى القلب لفته إلى الايمان والعمل الصالح ، فتناول أولا الحقائق الغيبية بالذكر ، التى لا تهنأ الحياة بدونها ، و لا تطمئن فى الآخرة .

إن الاسلام يعتبر الحياة حلقة مستمرة ، إنه يرى الانسان خلقاً لا يفنى ،

(١) تفسير الرازى ١٦٥ (٢) أيضاً

أما المتق فانه من يتق الله بقلبه ، ويتجنب الذنوب فی حياته العملية ، والتقوی تشمل مع معنی الخشية معنی اجتناب الذنوب و أداء المسئولية ، و هكذا فتكون كلمة التقوی جامعة لمفهوم الايمان و الاخلاص و الاقبال علی الله و طاعته ، وتجنب معاصيه ، فقد استعمل القرآن لجميع هذه المعانی كلمة التقوی فی آياته المتعددة كما فی « وألزمهم كلمة التقوی » بمعنی الايمان و فی « فانها من تقوی القلوب » بمعنی الاخلاص و فی « يا أيها الناس اتقوا » بازاء خشية الله ، وكذلك تشير الأحاديث المختلفة إلی شمول معنی التقوی وجامعيته .

سئل معاذ بن جبل رضی الله عنه عن المتقين ، فقال قوم اتقوا الشرك و عبادة الأوثان و أخلصوا لله العبادة و عن عطية السعدی قال قال رسول الله ﷺ : لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتی يدع ما لا بأس به حذراً مما به بأس » يعنی يترك ما ليس باثم ، و لكن يخاف منه الوقوع فی الاثم فمن شأن المتق أن يتجنب ذلك أيضاً . وعن ابن عباس قال الذين يحذرون من الله العقوبة فی ترك ما يميل الهوی و يرجون رحمته بالتصديق بما جاء منه » و عن الحسن البصری قوله تعالی (للمتقين) قال . اتقوا ما حرم الله عليهم ، وأدوا ما افترض عليهم ، و قال الحسن البصری « التقوی أن لا تختار علی الله سوی الله ــ و تعلم أن الامور كلها بيد الله» وقال إبراهيم بن أدهم : « التقوی أن لايجد الخلق فی لسانك عيباً و لا الملائكة فی أفعالك عيباً و لا ملك العرش فی سرك عيباً » و قال الواقدی : « التقوی أن تزين سرك للحق كما زينت ظاهرك للخلق ، و يقال : التقوی أن لا يراك مولاك حيث نهاك ، و يقال : المتق من سلك سبيل المصطفی و نبذ الدنيا وراء القفاء وكلف نفسه الاخلاص و الوفاء و اجتنب الحرام و الجفاء » و قال علی بن أبی طالب : « التقوی ترك الاصرار علی المعصية و ترك اغترار

و لا يهمهم إلا الحياة الدنيا يستحيل عليهم أن يعيشوا فى طمأنينة وراحة بال ، و لا يمكن أن يمسكوا عن غيهم بقوة القانون فحسب ، إنهم يراعون القانون فى الظاهر خوفاً من أن يصيبهم عقاب ولكن من ذا الذى ينهاهم عن ممارسة الجرائم الخلقية فى السر ، و كيف يمكن إصلاح قلوبهم فيما إذا أرادوا أن يقترفوا المنكر فى بواطن أمورهم ، فينتج ذلك أن الظاهر يتقيد بالقانون و الباطن ينتهك لنقض القانون دائماً

و لكى يتوافر للنوع البشرى الراحة
أن يؤمن بقوة مطلقة ذات قدرة ظاهره
و لا فى السماء ، وتطلع على الذات و .
ترانا و تطلع علينا فى كل لحظة ، و مع هذا الايمان نقوى [illegible] إلى [illegible] ما نراه فى هذا العالم المادى هو ليس كل شئ بل الواقع أنه أقل شئ بالنسبة إلى ما لا نراه إذ أن وراء هذا العالم المادى عالماً أوسع جداً حيث لاقيمة لهذا العالم المادى ، و لذلك فاذا عشنا فى عالمنا هذا حياة التقوى و الورع أنتج ذلك أن نعيش فى راحة دائمة و نعمة كاملة فيما يواجهنا من حياة آخرة

و بهذا الايمان تزول هيبة الحياة الدنيا و زخارفها من القلوب ، و به تنشأ عاطفة الايثار لدى المؤمن ذلك كأن يتنازل عن طعامه وراحته لكى يوفرها لغيره ، و يتعود على المنح و الاعطاء بإزاء الأخذ والطلب ، فيصرف ماله و وقته فى خدمة أخيه ، و يتخذ ذلك مبدءاً لحياته ، و هكذا يحل التعاون و التناصر محل التصارع و التفاخر و الحب و الايثار محل العداء و الحسد .

و بما أن عالم الغيب ليس أمام الأعين فان العقل المادى يفر عن الاعتراف به ، على أن الماديين هؤلاء هم الذين يبحثون دائماً عن الحقائق غيرالمرئية والأشياء

و إنه و إن لم يكن أزلياً و لكنه أبدى البتة ، كما يقول الغزالى ، أما الموت فانه لا يفنى الانسان بل ينقله من حياة إلى حياة أخرى ، فاذا انطبقت عينه فى جانب انفتحت فى جانب آخر ، إن هذا العالم المادى ليس مقراً أصيلا له ، بل إنه ممر يمر به من عالم الفناء إلى عالم البقاء الذى يختفى علينا و لا نستطيع أن نراه إلا إذا اخترقنا الحجاب المادى ، و انتقلنا من عالم المادة إلى عالم الروح

هذه الحقيقة الغيبية هى أساس نجاحنا فى كل مرحلة ، ولا نستطيع أن نعيش فى غنى عن الايمان بالغيب حتى إن شئوننا اليومية لانكاد ننجزها على الوجه الصحيح بدون الايمان بالغيب فضلا عن النجاح بعد الموت ، إن متاع الدنيا محـــدود شأن الحياة الدنيا ، و لكن الانسان أمانيه و آماله لا حـــد لها و لا نهاية ، و ذلك ما أحدث صراعاً عنيفاً بين جوانب الحياة كلها ، فكل شخص مشغول باضرار غيره و دوس كرامته ، و توفير الراحة و تخصيصها لنفسه ، و للقضاء على هذه الفوارق و الحد على الظلم و البغى وضعت قوانين الحياة ، و جاءت الحكومات لكى تنفذ هـــذه القوانين وتقوم بالتشريع ، وبما أن هذه الحكومات من صنع الانسان ، و وضع القوانين و تنفيذها كذلك يتولاه الانسان يستحيل العدل و يظهر تأثير الأغراض و المصالح فى كل مناسبة ، ومن ثم تتداخل الكراهية فى نفوس الرعية و الضعفاء من الناس ضد الحكومات و أهلها ، و يحدث صراع عنيف بين الحاكم والمحكوم ينتج ثورات كبيرة ، ولكن الناس لايستريحون فى ظلال هذه الثورات ، و إنما يواجهون مقاومة و صراعاً بوجه مستمر ، حتى إن النوع البشرى لا يتمتع بالراحة و الهدوء و الطمأنينة فى أى حال .

ومهما انتقلت السلطة إلى أناس يريدون أن يودوا واجبهم نحو النوع البشرى مرتفعين عن الأغراض الشخصيـــة ، إلا أن الذين لا يرون وراء المادة عالماً ،

بالطاعة » (١) .

و قد أشار إلى صفات التقوى أبى بن كعب بغاية من الوضوح و البلاغة حينما سأله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ذات مرة عن التقوى فقال له : أما سلكت طريقاً ذا شوك ؟ قال بلى ، قال فما عملت ؟ قال شمرت واجتهدت ، قال : فذلك التقوى ، والمعنى أن يجتهد المرء فى طرق حياته الشائكة والملئة بالمطامع و المغريات أن يسلكها بأمانة و حذر .

و بعد هذا البيان عن التقوى أقول : إن التقر

وحد ربه معه على الدوام ، كما يقول الله تعالى

هم محسنون » و قال : « إن أكرمكم عند الله ...

عبد الله بن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ : « من أحب أن يكون أكرم الناس فليتق الله ، و من أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله ، و من أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما فى يد الله أوثق مما فى يده » (٢) .

[الذين يؤمنون بالغيب] يبدأ الآن ذكر الصفات التى يحتاج إليها المسلم بعد التقوى و التى إذا اصطحبها فى حياته وصل إلى الغاية بسهولة ، وقد تناول القرآن بيان التقوى فى بلاغة و أسلوب جميل يملأ القلب بعظمة الله و جلاله ، ثم يحثه على اجتناب السيئات و الذنوب ، حتى يتمنى أن لا يفوته الصراط المستقيم و الوصول إلى الغاية الكريمة ، و لما توثقت عاطفة الصلاح و التقوى فى القلب لفتة إلى الايمان والعمل الصالح ، فتناول أولا الحقائق الغيبية بالذكر ، التى لا تهنأ الحياة بدونها ، و لا تطمئن فى الآخرة .

إن الاسلام يعتبر الحياة حلقة مستمرة ، إنه يرى الانسان خلقاً لا يفنى ،

---

(١) تفسير الرازى ١٦٥　　　　(٢) أيضاً

أما المتقى فانه من يتقى الله بقلبه ، ويتجنب الذنوب فى حياته العملية ، والتقوى تشمل مع معنى الخشية معنى اجتناب الذنوب و أداء المسئولية ، و هكذا فتكون كلمة التقوى جامعة لمفهوم الايمان و الاخلاص و الاقبال على الله و طاعتـــه ، وتجنب معاصيه . فقد استعمل القرآن لجميع هذه المعانى كلمة التقوى فى آياته المتعددة كما فى « وألزمهم كلمة التقوى » بمعنى الايمان و فى « فانها من تقوى القلوب » بمعنى الاخلاص و فى « يا أيها الناس اتقوا » بازاء خشية الله ، وكذلك تشير الأحاديث المختلفة إلى شمول معنى التقوى وجامعيته .

سئل معاذ بن جبل رضى الله عنـــه عن المتقين ، فقال قوم اتقوا الشرك و عبادة الأوثان و أخلصوا لله العبادة و عن عطية السعدى قال قال رسول الله ﷺ : لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذراً مما به بأس » يعنى يترك ما ليس بإثم ، و لكن يخاف منه الوقوع فى الاثم فمن شأن المتقى أن يتجنب ذلك أيضاً . وعن ابن عباس قال الذين يحذرون من الله العقوبة فى ترك ما يميل الهوى و يرجون رحمته بالتصديق بمـــا جاء منه » و عن الحسن البصرى قوله تعالى (للمتقين) قال : اتقوا ما حرم الله عليهم ، وأدوا ما افترض عليهم ، و قال الحسن البصرى « التقوى أن لا تختار على الله سوى الله ـ و تعلم أن الامور كلها بيد الله» وقال إبراهيم بن أدهم : « التقوى أن لا يجد الخلق فى لسانك عيباً و لا الملائـــكة فى أفعالك عيباً و لا ملك العرش فى سرك عيباً » و قال الواقدى : « التقوى أن تزين سرك للحق كما زينت ظاهرك للخلق » و يقال : التقوى أن لا يراك مولاك حيث نهاك . و يقال : المتقى من سلك سبيل المصطفى و نبذ الدنيا وراء القفاء و كلف نفسه الاخلاص و الوفاء و اجتنب الحرام و الجفـــاء » و قال على بن أبى طالب : « التقوى ترك الاصرار على المعصيـــة و ترك اغترار

الغيبية ، و إن اكتشافات العلم الطبيعي و تجاربه هي نتيجة هذا البحث و التنقيب
و لو أن الانسان اكتفى بالمشاهدات و اعتقد أنه ليس وراء ما يحسه و يشعر به
شئ من عالم الغيب ، لم يوجد علم و لا تجربة و لا اختراع ، و لا تقـــدمت
المدنية و توسعت ، ولكن الايمان بالحقائق المختفية ، وبوجود الأشياء الغير المرئية
من طبيعة الانسان ، فانه يؤمن بعالم الغيب عملياً ، و إن كان يبدى إنكاره قولا ،
و لا يزال يبذل جهوده فى تفهم الأسرار الغيبية و التوصل إلى الحقائق المجهولة ،
و إن تجارب الحياة اليومية هذه تتطلب منه أن يؤمن ''
عالم الآخرة ، ويتأكد أن وراء هذا العالم المادى عالماً
بكثير ، و أنه سوف يكتشف علينا فى وقت قريب ،
الحتمية التى تتمثل أمام أعيننا أكثر وضوحاً من حقائق هذا

« يتبع »



نموذج رائع من الايمان النبوى و الحنان الأبوى

سماحة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى

« وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام ، رب انهن أضللن كثيراً من الناس ، فمن تبعنى فانه منى و من عصانى فانك غفور رحيم ، ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة ، فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ، ربنا إنك تعلم ما نخفى وما نعلن ، و ما يخفى على الله من شئ فى الأرض ولا فى السماء ، الحمد لله الذى وهب لى على الكبر إسماعيل وإسحاق ، إن ربى لسميع الدعاء ، رب اجعلنى مقيم الصلاة و من ذريتى ، ربنا و تقبل دعاء ، ربنا اغفرلى و لوالدى و للمؤمنين يوم يقوم الحساب » (١)

إن دعاء والد لولده ، أو جد و مؤسس أسرة وسيد عشيرة لذريته و فصيلته شئ طبعى جرت عليه العادة واقتضته الطبيعة البشرية ، فان حنان الأبوة ، والحرص على سعادة الأولاد من غريزة الآباء والأجداد وشيوخ القبائل ، وقد سجل التاريخ و دواوين الأدب العربى بصفة خاصة أدعية و وصايا كثيرة من الآباء للأبناء ومن الشيوخ المحنكين للنشء الجديد و الأجيال القادمة تجلت فيها نفسية الشيوخ وثقافتهم و نفسية ذلك العصر الذى عاشوا فيه وثقافته كذلك ، و هى مرآة صادقة وحكاية أمينة مصورة لما كان يعيش فى ذلك العصر من الخواطر و الأفكار ، و لما كان فى تلك البيئة من المثل العليا و الغايات المطلوبة .

(١) سورة إبراهيم / ٣٥ - ٤١

ولكن دعاء إبراهيم الخليل أسلوب من الدعاء لا نظير له فى التاريخ ولا مثيل له فى دواوين الأدب ، كما أن إبراهيم ، طراز خاص من البشر و أمة واحدة ، و الدعاء قطعة من النفس و صورة للنفسية و العقيدة ، إنه دعاء تجلى فيــه إيمان إبراهيم وحنان إبراهيم ، وعلم إبراهيم ، ودعوة إبراهيم فمن أراد أن يعرف مكانة إبراهيم ويتمثل نفسيته فلينظر إلى هذا الدعاء الذى صدر من أعماق النفس و من أعماق القلب ، فدل على النفس و دل على القلب ، و
عقيدة و يعبر عن القلب ، ذلك القلب السليم الذ
الدعاء الذى كان يناجى به ربه .

إن أول ما طلبه إبراهيم من ربه لأولاده .
عبادة الأصنام وكان ذلك أكبر هم إبراهيم الذى شغل خاطره . و ... مشاعره .
فقد رأى — وهو بعيد النظر ، واسع التجربة ، نافذ البصيرة ، سائح فى الأرض — مصير الأجيال البشرية و الأديان السماوية كيف أصبحت فريسة الوثنية ، و عبادة الأصنام ، و كيف ضاعت أمانة التوحيد فى غابة العقائد والفلسفات ، و كيف شغل الانسان بعبادة الأصنام و التماثيل و التوجه إليها والتوصل بها عن عبادة الله وحده فلم يوفق لها و لم يكرم بها فى أجيال كثيرة و آجال طويلة ، و كانت النتيجة أن اتجهت عاطفة العبادة وغريزة الدعاء والاتجاه والتضرع إلى المخلوقات والمحسوسات ، فهل يناقش إبراهيم ـ عليه الصلاة و السلام ـ فى ضوء التجارب و واقع الحياة فى قوله : « رب إنهن أضللن كثيراً من الناس » ؟ وهل يشك فى صدقه وفراسته ؟

ثم أنه يخبر بأنه أسكن ذريته بواد غير ذى زرع بجوار البيت المحرم بعيـداً عن مراكز المدنية و الخصوبة والتجارة ومن العواصم الكبيرة ، على خلاف عادة الآباء و مؤسسى العشائر و القبائل ، و آثر بطن الجزيرة و بطحاء مكة ليعلموا أن

المطلوب منهم غير التجارة وغير الزراعة و غير الثراء والرخاء، المطلوب منهم القيام بدعوة إبراهيم و المحافظة على عقيدة إبراهيم ، و لئلا يذهلوا عن عبادة رب هذا البيت الذى بناه و شيده ، ، الذى أطعمهم من جوع و آمنهم من خوف « ربنا ليقيموا الصلاة »

و هنالك ثار الحنان الأبوى فى جوار الايمان النبوى ، و إبراهيم الخليل مثال رائع بين إيمان الأنبياء وحنان الآباء ، فلم ينس الشفاعة لأولاده الذين هم قطعة من نفسه وجسمه ، فلاحظ - وهو قوى الملاحظة - أن الوادى الذى آثره لأولاده لا زرع فيه و لا ضرع ، وليس فيه شئ يستهوى القلوب و يجاب الناس و يجاب الرزق و الصنائع و هم أمناء الدعوة و ورثة الدين ، فكيف يقومون بفريضتهم و كيف يؤثرون هذا المكان المعزل بالاقامة و البقاء ، فقال : « فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » .

و لم يشغل هذا الدعاء المخلص و المناجاة الخاشعة عن أن يحمد الله على نعمة الأولاد و الذرية التى وهبت على الكبر ، وإنما المسكن بالساكن و المنزل بالعامر و الشئ بالشئ يذكر و كان كل ذلك نتيجة الدعاء و الابتهال و هو يرجو إجابة هذا الدعاء ، كما تحقق إجابة الدعاء القديم « الحمـــد لله الذى و هب لى على الكبر إسماعيل و إسحاق ، إن ربى لسميع الدعاء » و طلب من الله أن يوفقه و ذريته لاقامة الصلاة وأن يجعله و أعقابه مرتبطين بوجهه الكريم وبيته القديم ، ولم ينس حين دعا لذريته أن يدعو لأبيه وللمؤمنين جميعا ، فابراهيم - عليه الصلاة والسلام - آية فى الوفاء وسخى جواد فى الدعاء فقال : ربنا اغفر لى و لوالدى و للمؤمنين يوم يقوم الحساب » .

كان العالم فى عصر إبراهيم عليه الصلاة و السلام خاضعاً للاسباب ، واعتمد

الناس عليها اعتماداً زائداً ، حتى أصبحوا يعتقدون أنها مؤثرة مستقلة قائمة بذاتها ، وحتى أصبحت أرباباً من دون الله ، وأصبح هذا الخضوع للاسباب وتقديسها والاعتماد عليها وثنية أخرى غير الوثنية التى أغرقوا فيها وغلوا ، من عبادة الأصنام و الأوثان ، وكانت حياة إبرهيم ثورة على الوثنيين ، ودعوة إلى التوحيد النقى الخالص ، وتحقيقاً لقدرة الله الواسعة المحيطة بكل شئ و أنه يخلق الأشياء من عدم ، و أنه يخلق الأسباب و يملكها ، و يفصل الأسباب عن المسببات ، و ينزع

و طبيعتها ، و يستخرج منها أضدادها ، و يسحرها لما

الناس له النيران ، و قالوا ـ « حرقوه وانصروا آلهتكم

و كان إبراهيم يؤمن بأن النار خاضعة لارادة الله تعالى

دائمة ، لا تنفك عنها ، إنما هى طبيعة مودعة أمانة فيها ، إذا أراد أطلق لها العنان ، و إذا أراد أمسك الزمام ، و حولهـــا إلى برد و سلام ، فخاضها مؤمناً مطمئناً واثقاً ، وهكذا كان ، قلنا يا نار كونى برداً وسلاماً على إبراهيم ، وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين » (٢)

و اعتقد الناس أنه لا حياة إلا بالخصب و الميرة و المـــاء الغزير ، فكانوا يرتادون لأسرهم و أبنائهم و يختارون لسكنهم و وطنهم أراضى مخصبة تكثر فيهـا المياه و يتوفر فيها الخصب ، و تسهل فيها التجارة و الصناعة ، و قد ثار إبراهيم على هذه العادة المتبعة و العرف الشائع ، و الاعتماد على الأسباب ، فاختار لأسرته الصغيرة ـ المكونة من أم و أب ـ وادياً غير ذى زرع ، لا زراعة فيه ولا تجارة ، منقطعاً عن العالم و مراكزه التجارية ، و مواضع الرخاء و الثراء ، ودعا الله تعالى أن يوسع لهم الرزق و يعطف إليهم القلوب ، و يجبى إليهم الثمرات من غير سبب

(١) سورة الأنبياء ـ ٦٨ (٢) سورة الأنبياء ـ ٦٩ ـ ٧٠

و طريق معروف ، فقال : « ربنا إنی أسكنت من ذريتی بواد غير ذی زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة ، فاجعل أفئدة من الناس تهوی إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » (١)

و أجاب الله دعاءه ، فضمن لهم الرزق و الأمن ، و جعل بلدهم محطاً للخيرات و الثمرات ! « أو لم نمكن لهم حرماً آمناً يجبی إليه ثمرات كل شیء ، رزقاً من لدنا ، ولكن أكثرهم لا يعلمون (٢) » فليعبدوا رب هذا البيت الذی أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف (٣) » تركهم فی أرض لا أثر فيها لما يروی الغلة ، ويبل الحلقوم ، فاذا بماء يفور من الرمال ، ويفيض من غير انقطاع فيشربه الناس فی سخاء ، و يحملونه إلی بلدهم ، ويترك أهله فی بلد قفر لا أنيس فيه ، فاذا به يصبح مكاناً يؤمه الناس من كل صوب ، و يأتون إليه من كل فج عميق .

و هكذا كانت حياة إبراهيم تحدياً للمادية المسرفة الشائعة فی عصره ، وعبادة الأسباب و اتخاذها أرباباً من دون الله ، و مثالا للايمان بالله و قدرته المطلقة ، و إن إرادته فوق كل شیء ، و هكذا كانت سنة الله معه ، يخضع له الأسباب و يخلق له ما تحار فيه الألباب .

---

(١) سورة إبراهيم - ٣٧

(٢) سورة القصص ٥٧

(٣) سورة قريش ٣ - ٤

فقه سيرة النبي صلى الله عليه و سلم

من محاضرة لفضيلة الدكتور الشيخ يوسف القرضاوى

إنه لمن حسن الطالع أن نبدأ بالحديث عن ر
الفطرة النادرة الجامعة الكاملة ، عسى أن يكون لنا .
وأن يكون لنا منها قبس من النور يضيئى لنا السبيل ، و . ..
الله عز وجل ، من حسن الطالع أن نبدأ بالحديث عن رسول الله ﷺ ، ولرسول الله فى عنق كل واحد منا منة كبرى لله سبحانه و تعالى يجب أن تذكر و أن تشكر كما قال عز و جل « كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا و يزكيكم ويعلمكم الكتاب و الحكمـــة و يعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ، فاذكرونى أذكركم و اشكرولى و لا تكفرون »

إنها منة أنعم الله بها على المؤمنين و قد قال : « لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتـــلو عليهم آياته و يزكيهم و يعلمهم الكتاب و الحكمة ، وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين » ومن حق دراسة السيرة و التفقة فيها أن يعرف المسلم الذى يعيش مع السيرة ويعيش فيها ، قدر هذه النعمة ويعرف مقدار نعمة الله عز وجل عليه ببعثة محمد ﷺ ، و من درس السيرة و ما كان عليه الناس قبل رسول الله ﷺ و ما سار عليه أهل الايمان بعد رسول الله ﷺ عرف معنى قوله تعالى « لقد من الله على المؤمنين » و معنى قوله « و إن كانوا

من قبل لفى ضلال مبين » وأى ضلال أكبر مما كان عليه جماعة مثل العرب ، ولم يكونوا أسوأ الأمم بل ولعلهم كانوا أفضل من غيرهم ، ولذلك اختيروا لتكون فيهم الرسالة و تكون فيهم قدوة الاسلام و مع هذا « كانوا فى ضلال مبين » .

حسبنا أن نذكر من هذا الضلال أمرين : أمراً يتعلق بالعقل و أمراً يتعلق بالقلب و العاطفة ، و مما يتعلق بالعقل عبادتهم للأصنام ، فانهم عبدوا أصناماً شتى ، حتى إن الكعبة بيت التوحيد كان فيه و حوله ثلاث مائة و ستون صنماً و حتى كان فى كل بيت صنم من هذه الأصنام و إله من تلك الآلهة ، و حتى كان بعضهم يتخذ كما روى البخارى عن أبى رجاء العطاردى قد كنا إذا استحسنا حجراً اتخذناه إلهاً ، فاذا وجدنا حجراً أحسن منه طرحنا الأول و عبدنا الثانى ، فاذا لم نجد حجراً أخذنا حصيات من تراب و حلبنا عليها من الشاة ثم اتخذناها إلهاً ، أى عقلية هذه العقلية كانوا يتخذون آلهة من العجوة ، فاذا جاعوا أكلوها كان يتخذ أحدهم إلهاً من العجوة و يأخذه معه رجاء البركة فى سفره فاذا فنى الزاد فى السفر أكله .

هذه العقلية التى صنعتها الوثنية يشير إليها القرآن فى سورة الحج « يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله ان يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لايستنقذوه منه » إن الذباب إذا وقع على هذه الحلوى أو العجوة لاتستطيع أن ترده عن نفسها « ضعف الطالب و المطلوب ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوى العزيز » هذا هو ضلال العقل .

ونجد فساد القلب و العاطفة ، يتمثل بتلك الجريمة الشنعة التى عرفت عند عرب الجاهلية وهى جريمة الوأد ، كانوا يقتلون أولادهم من إملاق أوخشية إملاق وكان هذا يشمل البنين والبنات ، الذكور والاناث واختص الاناث بالقتل خشية العار ، ولكن

اشترك الانسان بالقتل من أجل الاملاق الواقع أوخشية الاملاق و الخطر المتوقع و انظروا إلى بشاعة الجريمة ، إن القتل فى حد ذاته جريمة بشعة لأنه جناية على النفس الانسانية على روح خلقه الله ، و هدم البنيان بناه الرب عز و جل ولذلك يعتبر من أعظم الجرائم بعد الشرك بالله تعالى فاذا كان هـــذا القتل لطفل برئ و لنفس زكية لم تقترف جرماً و لم ترتكب إثماً ، كانت الجريمة أبشع ، فاذا كان هذا القاتل هو الآب الذى يفرض عليه أن يحمى ولده و أن ... كانت الجريمة أبشع و أشنع ، خاصة إذا كان هذا القتل من

حديث ابن مسعود فى الصحيحين : من أجل أن يزاحمك

الأمر بشاعة وشناعة أنه ليس قتلا بضرب السيف أوبطعن

الوأد بأن يحفر له الحفرة ثم يضعه فيها ، و يهيل عليـــه التراب و هو حى ، أى بشاعة هذه الجناية الجاهلية ، أى قلب هذا القلب الذى يهون عليه أن يفعل بابنه أو ابنته مثل هـذا ، من أجل إملاق واقع ، أو خشية إملاق مقترب و متوقع و لم يحدث بعد ، « و إذا الموؤدة سئلت بأى ذنب قتلت » « و إذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهـــه مسوداً و هو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ألا ساء ما يحكمون » .

لهذا كانت دراسة السيرة بأن ندرس ما قبل السيرة ، و ما كان عليه العالم عامة ، و العرب خاصة فى الجاهلية ، كما فعل شيخنا أبو الحسن حفظـــه الله فى كتابه عن « السيرة النبوية » وكما فعل أيضاً فى كتابه « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » يجب أن نعرف هذا ، ولقد كان عمر رضى الله عنه يقول إنما ينقض الاسلام عروة عروة إذا نشأ فى الاسلام من لا يعرف الجاهلية ، يجب أن نعرف الجاهلية « و إن كانوا من قبل لفى ضلال مبين »

إن فقه السيرة جدير بأن يعرفنا قدر نعمة الله تعالى علينا برسالة محمد ﷺ وبعثته.

و هى نعمة جليلة و نعمة عظيمة ونعمة الهداية إلى هذا الدين ، وهى أعظم النعم والحمد لله ، ومن ثمرات التفقه فى السيرة أن نزداد فهماً للقرآن الكريم وللاسلام ، هناك فى القرآن الكريم آيات كثيرة و سور عـــديدة لا نستطيع أن نفهمها إلا إذا فهمنا السيرة ، و إلا إذا عرفنا السيرة و تعمقنا فيها ، و لا نستطيع أن نفهم سورة الضحى أوسورة الانشراح ما لم نعرف السيرة ، لانستطيع أن نعرف معنى « يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن فان علمتموهن مؤمنات فلاترجعوهن إلى الكفار ، لاهن حل لهم ولا هم يحلون لهن » لانستطيع أن نفهم هذه الآيات وما فيها من أحكام مالم نعرف قضية صلح الحديبية وما كان فيها من شروط ، لابد أن نفهم السيرة و أن نتعمق فيها لنعرف كثيراً من آيات القرآن الكريم ، إن القرآن غنى بالسيرة تسجيلا لها وتعقيباً عليها ، فالغزوات الكبار المعروفة ذكرت فى القرآن الكريم ونزل فيها السور ، إن « غزوة بدر » نزل فيها سورة الأنفال و « غزوة أحد » نزلت فيها سورة آل عمران ، أونحو ثمانين آية من آل عمران ، وفى بنى النضير نزلت سورة الحشر ، و فى صلح الحديبية جاءت سورة الفتح ، فمن لم يعرف السيرة لم يفهم قوله تعالى ، « إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً » ربما ظن أن هذا الفتح هو فتح مكة ، و لكن كان فتح الحديبية ، كان هذا الفتح السلمى الذى فتح القلوب للاسلام ، فلا بد أن نفقه القرآن و نفقه الاسلام عامة ، ذلك لأن السيرة هى التطبيق العملى للاسلام ، السيرة هى الجانب العملى من السنة . السنة تتضمن أقوال النبى ﷺ و أفعاله و تقريراته ، و السيرة تمثل الجزء العملى من هذه السنة فمن أراد أن يعرف الاسلام مجسداً فى سلوك و فى أعمال و فى تصرفات ، و فى مواقف حسية ملموسة فليفقه سيرة النبى ﷺ ، كان

النبى عليه الصلاة و السلام يمثل الاسلام بسيرته كما سئلت عائشة رضى الله عنها عن خلقه عليه الصلاة و السلام فقالت : كلمتها المعبرة الناصعة « كان خلقه القرآن» فالنبى عليه الصلاة و السلام ، هو الاسلام الحى ، الاسلام المجسد فى أعمال و تصرفات و أخلاق يراها الناس أمامهم رأى العين ، و يشاهدونها تمشى على قدمين ، فالنبى عليه الصلاة و السلام بسيرته يجسم أمامنا الاسلام ، هذه ميزة لهذا الدين ، إنه ليس مجرد مبادىء ونظرية و ليس مجرد أفكار

كلام مكتوب ، إنه نظريات طبقت ومبادىء نفذت كان معه.

فمساواة الاسلام نجدها فى سيرة النبى ﷺ نجده فى

نفسه بأصحابه ، يعرض عليه الصحابيان اللذان كانا يتعاقبان معه ...

له يا رسول إننا الشباب و نحن نستطيع المشى فتمشى أن تركب و نحن نمشى فأجابهما ﷺ الجواب النبوى الكريم قال « ما أنتما بأقوى منى على المشى ، و ما أنا بأغنى منكما على الأجر » إذا أردنا أن نتحدث عن المساواة نجدها مطبقة على نفسه و على أقرب الناس إليه ، من هنا نجد السيرة تطبيقاً عملياً للاسلام

و لكى نفهم الاسلام فهماً صحيحاً يجب أن نفقه السيرة و يجب على من يتحدث عن الاسلام أن يؤيد كلامه بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى لا يكون الكلام جافاً ، ولا يكون مجرد نظريات ومجرد أفكار ، فهذه فائدة أخرى نستفيدها بتفقه سيرة النبى ﷺ ، و فائدة ثالثة : و هى أن نزداد إيماناً بصدق الرسول ﷺ ، بصدق نبوته و بصحة رسالته .

فالواقع أن من أبرز الأدلة على صدق نبوة رسول الله ﷺ هذه السيرة ، سيرته دليل صدقه ، إنها لا يمكن أن تكون سيرة دجال ولايمكن أن تكون سيرة ملك ، كل مرحلة فيها هى الدليل الناصع الناطق بأن هذا رسول من عند الله لايمكن أن

يكون صاحب هذه السيرة دجالا ، وما كان شأنه شأن الدجالين ، وما كانت طريقته طريقة دجالية ، كلا ! لقد أنكر على الكهانة والكهان ولم يدع الغيب يوماً و لا معرفة الغيب ، وقرأ على الناس قول الله تعالى « قل لا أملك لنفسى نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله و لو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير و ما مسنى السوء إن أنا إلا نذير و بشير لقوم يؤمنون » و لما كانت إحدى الحوارى تغنى و تقول : و فينا نبى يعلم ما فى غد ، قال لا ، لا تقولى هذا ، ولما قال الناس يوم مات إبراهيم وكسفت الشمس فى ذلك اليوم : إن الشمس إنما كسفت لموت إبراهيم ابن رسول الله ، وكان قد شاع فى الجاهلية أن كسوف الشمس أو خسوف القمر إنما يحدثان لموت عظيم من العظماء ، لو كان دجالا لسكت على مثل هذا الأمر الذى يضيف حالة جديدة من المجد لنفسه و لأسرته ، و لكنه أبى و رفض أن يسكت على هذا الزيغ ، و وقف يخطب فى الناس قائلا : أيها الناس إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله تعالى ، لا تنكسفان لموت أحد ولا لحياته و حينما أرسل رسول الله ﷺ كتابه إلى هرقل وأراد أن يستفسر عن صاحب هذه الرسالة الجديدة وطالب قوماً من العرب وجيئ له أبو سفيان ومن معه من العرب وكان مما سأله : أجربتم عليه الكذب من قبل ؟ فقال ما جربنا عليه كذباً ، فقال حينما عاق بعد ذلك : ما كان ليجعل الكذب على الناس ثم يكذب على الله ، هكذا أقر له بالصدق وما كان دجالا وليست طريقته طريقة الدجالين و لذلك ناقش القرآن هذا القول فقال « هل أنبئكم من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم يلقون السمع و أكثرهم كاذبون » .

إن محمداً ﷺ الصادق الأمين الذى نشأ حياة كلها صدق ، و كلها أمانة ، و كلها طهارة ، منذ ريعان شبابه ، منـــذ زهرة عمره ، ما عرف بفجور و لا دعارة كما كانت عادة الشباب ، حياة كلها طهر واستقامة ، كلها صدق وأمانة ، لم يكن

دجالا و لا كذابا و لا طالب ملك ، و قد عرض عليه الملك من أول الأمر حينما قالوا لو كنت تريد ملكا ملكناك علينا ، و لكنه أبى و لم يقبل هذا ، لأنه لم يكن طالب ملك و حينما مكنه الله عز وجل و فتح له الفتوح و أقبل عليه الناس و دخلوا فى دينه أفواجا لم يعش عيشة الملوك ، بل عاش عيشة الزاهدين فى هـــذه الدنيا المعرضين عن زخرفها حينما أراد نساؤه أن يعشن كما تعيش نساء الملوك والأمراء فى العالم كله نزلت آيات التخيير المعروفة الحاسمة " و ليس بيت كسرى أو قيصر « يا أيها النبى قل لأزو الدنيا و زينتها فتعالين أمتعكن و أسرحكن سراحا جمي و رسوله و الدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن

حياته ﷺ البسيطة الخشنة ، حتى قالت عائشة رضى الله عنها : لقد ترك الدنيا وما شبع من خبز الشعير ، كما جاء فى الصحيحين : « مات ﷺ و درعه مرهونة عند يهودى فى ثلاثين و سقا من شعير استلفها فى نفقة أهـــله و عياله . ما رأى خبزا مرققا قط كان كما قالت عائشة رضى الله عنها : كان يمر الهلال ، ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة فى شهرين و لا يوقد فى بيت رسول الله ﷺ نار » لا يوقـــد فى بيت أزواجه نار و لا يطبخ الطعام ، و دخل عليه عمر رضى الله عنه فرأى على جسمه ﷺ أثر الحصير ، فبكى فقال : ما يبكيـــك يا عمر ، فقال يا رسول الله كسرى و قيصر ينامان على الديباج و على الاستبرق ، و أنت نائم على الحصير ، حتى يؤثر فى جنبك الا نتخذ لك فراشا ومهادا ، فقال يا عمر أما ترضى أن تكون لهم الدنيا و لنا الآخرة ، مالى و للدنيا ، إنما مثلى و مثل الدنيا كمثل راكب فى يوم صائف استظل تحت شجرة ساعة من النهار ، ثم راح و ترك » هكذا عاش رسول الله ﷺ وهكذا مات ، ماذا ترك لمن بعده ؟ هل ترك القناطير المقنطرة ؟ لا ،

ما ترك ، و لا تظنوا أيها الاخوة أن رسول الله ﷺ كان فقيراً ، كان يمكن أن يجمع المال ، وقد فتح الله عليه ، و لكنه ما كان يترك شيئاً حتى يقسمه فى سبيل الله عز و جل ، قال لوكان عندى مثل أحد ذهباً ما أحببت أن يبقى منه بعد ثلاث ، هكذا كان ﷺ ، و هكذا كانت سيرته ، إنها سيرة نبى و السيرة نفسها دليل ناصع على صدق نبوته ، لو كان يريد الملك لورث أبناءه و ذرياته من بعده ولقال : هذا ينبغى أن يظل فى آل محمد ، و كتب صكا بذلك و أشهد عليه ، و لما طلب منه العباس يوم الفتح الحجابة للكعبة مع السقاية أعطاه السقاية ، و لم يعطه الحجابة ، و السقاية غرم و سقاية الحاج متاعب ، حمل كرب وسقى الناس فى كل مكان عملية فيها جهد بدنى ونفقة مالية ، ولكن الذى ليس فيه الغرم هى الحجابة، حاجب البيت يهدى إليه الهدايا ، وتأتيه الأشياء من هنا ومن هنا فأبى عليه ﷺ و قال إنما أعطيكم ما ترزقون لا ما تغنمون أنتم يا آل بيت النبى و بنى هاشم ، هكذا كان ﷺ ،

فمما نستفيده من التفقه فى السيرة أن نزداد إيماناً بصدق رسول الله ﷺ كأنه رأى عين أمامنا ومن قرأ هذه السيرة عرف أنها سيرة نبى بل سيرة أفضل الأنبياء ﷺ ، كما أن من ثمرات التفقه فى السيرة أن نزداد حباً لرسول الله ﷺ ، إن الايمان الحقيق هو الذى يعطى الحب و حب رسول الله ﷺ جزء من الايمـــان و لا يتذوق الانسان حلاوة هذا الايمان إلا إذا أحب رسول الله وأحب الله قبل ذلك « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله » . و صدق الله العظيم

الدّعوة الإسلاميّة

رزايا الانسان فى المجتمع المعاصر

سماحة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى

١ - بطلان الحاسة الدينيـــة :

ما هى غاية هذا العالم التى ينتهى إليها ، و مصيره الذى يصير إليه هل ؟ بعد هذه الحياة حياة أخرى ؟ و ما هو وضعها إذا كانت ؟ و هل لهـــذه الحياة الآخرة تعليمات و إرشادات فى الحياة الدنيا ؟ و من أى منبع تستقى هـــذه المعلومات ؟ و ما هى الطرق والأسس التى إذا سار عليها الانسان كانت حياته الآخرة راضية مرضية ، و ما مصدر هـذه الطرق ؟ و ما هى الطريق المثلى للوصول بعد الموت الى نعيم لا ينفد و قرة عين لا تنقطع ؟ و من أين تستفاد هذه الطريق ؟ .

تلك الأسئلة ورثها الشرق أباً عن جد و شغلت خاطره ، و أزعجت فكره طيلة قرون و لم يقدر أن يذهل عنها و يتناساها حتى فى لهوه و زهوه ، و كانت هذه الأسئلة حافز نفسه ، ونداء ضميره ، و لم يستطع أن يتصام عنه و يطوى دونه كشحاً ، بل أصغى إليه فى رغبة و نصيحة و إخلاص ، و أحل هذه الأسئلة من نفسه و حياته المحل الأول ، و ما زال منـــذ آلاف من السنين فى أخذ ورد و نقض و إبرام فى هذا الموضوع ، و ليس ما نسميه ما وراء الطبيعة و الفلسفة الالهية ، و الاشراق و الرياضة النفسية، والعلوم والحكمة إلا محاولات ومغامرات فى هذا الطريق الطويل المظلم ، و اردتياداً إثر ارتياد فى مناطق مجهولة ، ينبئ عن اهتمام الشرق البليغ بهذا الموضوع و رغبته الملحة فيه .

هذه طبيعة الشرق و طبيعة أكثر أفراد البشر فى الأقاليم المعتدلة قبل ظهور الغربيين ، وإن استعرنا لذلك لغة الفلاسفة وتعبيرهم قلنا : لم يزل فى الناس - عدا حواسهم الظاهرة الخمس - حاسة سادسة يسوغ أن نسميها بالحاسة الدينية ، و كما أن الحواس الظاهرة لها دوائر عمل تحصل فيها محسوساتها الخاصة بها . فللعين مبصرات و للاذن مسموعات إلخ . كذلك هذه الحاسة الدينية لها ثمرات و تأثيرات ه .

حواص هذه الحاسة التى لم تزل لأهل الشرق ضربة لازب

حاسة من الحواس الظاهرة بطلت محسوساتها الخاصة بها ،

إلا بطريق خرق العادة ، و لا تحل حاسة مهما كانت قو

الأخرى ، كذلك من فقد الحاسة الدينية لطارىء مؤثر أو حرمها

بطلت نتائجها الخاصة بها ، و انعدمت فى حقه بحيث لا يستطيع أن يتصورها أو يصدقها ، شأن الأعمى لا يبصر الألوان و الأجرام المرئية ، و قد يعاند و يكابر فى إنكارها ، و شأن الأصم الذى ليست الدنيا الصاخبة إلا مدينة الأموات عنده ، ليس بها داع ولا مجيب ، كذلك من حرم الحاسة الدينية جحد الغيب ، و كابر فيما هو وراء الطبيعة و عاند فى المعانى الدينية ، و قسا على الرقائق و القوارع التى تهز النفوس ، و ترقق القلوب و تذرف العيون :

ما لجرح بميت إيلام

أشد العقبات التى واجهها الأنبياء و الدعاة الدينيون ، واصطدمت بها خطبهم و مواعظهم و دعوتهم ، هم أولئك الذين حرموا الحاسة الدينية أو فقدوها بتاتاً ، و الذين تحجرت قلوبهم و ماتت نفوسهم فى مسألة الدين و الذين آلوا على أنفسهم أنهم لا يفكرون فى أمر الدين و أمور الآخرة ، و لا يلقون السمع لهـــذا الموضوع أصلا ، والذين لما سمعوا كلام النبى ﷺ الذى تجيش له الصدور و تلين له الصخور ، ما زادوا أن قالوا فى صمم و إعراض : « إن هى إلا حياتنا الدنيا

نموت و نحيا و ما نحن بمبعوثين » (١) ولما انتهى النبى ﷺ من كلامه السائغ المعقول الذى يفهمه الأطفال، و الذى كان بلغتهم الفصيحة قالوا: « ما نفقه كثيراً مما تقول، و إنا لنراك فينا ضعيفاً » (٢)، « وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا إليه، و فى آذاننا وقر و من بيننا و بينك حجاب فاعمل إننا عاملون » (٣).

* لا شك أن هذه الأسئلة كانت موضوع دراسة العلماء و المفكرين فى فجر النهضة الأوربية الجديدة، واستمروا يبحثون فيها و يؤلفون و يتناقشون، ولكن كلما قطعت المدنية الأوربية شوطاً تخلفت هذه المباحث و الأسئلة شوطاً، و لما ظهرت خواص هذه المدنية الباطلة وتجلت هى فى مظهرها المادى خمدت - ضجتها - هـذا الصوت الذى كان ينبع من أعماق القلب و قرارة الضمير الانسانى الحى، و لا ينكر أن هذه الأسئلة تدرس فى قسم الفلسفة و علوم ما وراء الطبيعة فى المدارس و المجامع العلمية و المكاتب العامة، و يتباحث فيها العلماء المختصون و تظهر لهم فى هذا الموضوع تأليفات بين آونة و أخرى، و لكن الذى لاشك فيه أنها فقدت سلطانها على القلوب و الأفكار و امحت علامة الاستفهام النيرة التى كان يراها كل إنسان عاقل فيقف أمامها كما تقف القطار أمام الاشارات، وأصبحت هذه الاستفسارات لا تحيك فى صدر الانسان و لا تشغله كما كانت تشغل آباءه و تحيك فى صدورهم، و لم يكن ذلك عن إيمان و انشراح صدر و طمأنينة قلب و اقتناع بحل صحيح و ارتياح إلى نتيجة حاسمة، كلا ! لم يكن ذلك إلا لأن هذه الأسئلة فقدت أهميتها و أخلت مكانها لأسئلة مادية أهم فى أعين أبناء القرنين

(١) سورة المؤمنون ٣٧.

(٢) سورة حم السجدة : ٥.

(٣) سورة هود : ٩١.

التاسع عشر و العشرين منها ، و لأن رجل العصر قد لزم الحياد التام فى هذه المسائل وصرف النظر عنها ، فلا عليه إن كانت بعد هذه الحياة حياة ثانية وكانت الجنة و النار و الثواب و العقاب و النجاة و الهلاك أو لم تكن ، فلا يهمه شئ من ذلك لا سلباً و لا إيجاباً ، لأن شيئاً من ذلك لا يمس مسائله اليومية أو فى آخر الشهر ، ولا يتصل بشخصه وعياله فى الساعة الحاضرة ، وهو رجل لا يعتقد فى السيئة و لا يترك عاجلا بآجل ، و لا يتكلف ما لا يعنيه « ..

« الفارغة » يبحث فيها معلم العلامة فى الجامعة و يقضى فيها

أما هو فهو رجل جد و عمل ، لا يعرف إلا حياة ..

الماكينات ولا يهتم إلا بتسلية النفس وترويحها فى آخر

الليل والأجرة فى آخر الأسبوع أو الراتب فى أواخر الشهور و حساب الارباح فى آخر السنة و إعادة الصحة والشباب فى آخر العمر ، أما ما بعد الحياة فهو عنده مجهول و وهم من الأوهام: « بل ادارك علمهم فى الآخرة بل هم فى شك منها ، بل هم منها عمون » (١) .

إن هذا الضرب من الناس لا يزال يزداد عدداً و أهمية فى كل أمة وبلاد بتأثير الحضارة الغربية ، ذلك الضرب من الناس لم يترك اشتغالهم بالحياة الدنيا و العكوف عليها فراغاً لدعوة دينية ، وإن الذى يدعوهم إلى الدين الحياة الاخروية ليتحير معهم كما يتحير السندباد البحرى - كما تروى لنا حكاية ألف ليلة و ليلة - مع بيضة العنقاء ، ظنها السندباد البحرى بناء من رخام فدار حولها عدة مرات ليبحث عن باب يدخل منه فلم يجد ، كذلك الداعى الدينى يدور حول رؤسهم فلا يجد منفذاً يدخل منه إلى عقولهم ، و يدخل به دعوته الدينية إلى نفوسهم ، فقد

---

(١) سورة النمل ٦٦ .

اقفلت الحياة المادية و مسائلها جميع أبوابها و سدت جميع نوافذ فكرهم

و كما أن رجلا لم يحظ من الفطرة بالذوق الأدبى ، يسمع الألحان الجميلة و الأبيات الرقيقة فلا يعدها إلا أصواتاً لا فن فيها ، كذلك الذى حرم الحماسة الدينية لا تؤثر فيه دعوة الأنبياء و خطب الوعاظ ، وحكمة العلماء وأمثال الصحف السماوية ، وتضيع فيه بلاغة البلغاء وإخلاص المخلصين ، ويصبح كل ذلك صيحة فى فى واد و نفخة فى رماد :

لقد أسمعت لو ناديت حياً ‏ و لكن لا حياة لمن تنادى

و الذى منى بهذا الضرب من الناس يفهم السر فى قوله تعالى ، « ختم الله على قلوبهم و على سمعهم ، و على أبصارهم غشاوة (١) » « أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أويعقلون ، إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا (٢) » وتظهر له حقيقة قوله : « مثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لايسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمى فهم لا يعقلون (٣) » ولم يلق فى شرحها و تعليلها ما لقيه المفسرون من صعوبة الذين لم يشاهدوا هذا النوع

داء هذا العصر الذى لا ينجح فيه الدواء ولا يؤثر فيه العلاج هو الاستغناء التام عن الدين ، و لم يلق رجال الدعوة الدينية من العنت و الشدة فى أحط أدوار الفسق و الفجور و فى أحلك عهود المعصية و الغفلة ، ما يلاقونه فى دعوة هؤلاء الذين لزموا الاعراض التام فى هذه المسائل (الكلامية) فلا تعنيهم سلباً ولا إيجاباً « إنك لا تسمع الموتى ولاتسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين » (٤).

(١) سورة البقرة : ٧ .

(٢) سورة الفرقان : ٤٤ .

(٣) سورة البقرة : ١٧١ . (٤) سورة النمل : ٨٠ .

و قد فطن لهذا الفرق الجوهرى بين النفسية القديمة و الحديدة أحد كبار معلمى الفلسفة و علم النفس فى إحدى جامعات أوربا الكبرى و شرحه فى عبارة وجيزة . قال س - م جود :

« ثارت فى قديم الزمان شكوك و اعتراضات و أسئلة و استفسارات حول الدين ، لم يطمئن بعض أصحابها و لم يرتاحوا إلى جواب مقنع ، و لكن مما يمتاز به هذا الجيل أنه لا تزعجه الأسئلة رأساً ، ولا تحيك فى صدره ، لا ... العصر أصلا » .

٢- زوال العاطفة الدينية :

لما طغى بحر المادية فى العالم الاسلامى فى العهد الأ-

الدين جزراً صغيرة فى بحر المادية المحيط ، يلجأ إليها الفارون إلى الله و المتبرمون من الحياة المادية و الغفلة ، كان فيها رجال هم كمنارات النور فى بحر الظلمات يربون الناس التربية الدينية و الخلقية ، و يزكون أنفسهم و يصقلون قلوبهم .

و كنت ترى فى العالم الاسلامى حركة مستمرة إلى هذه الجزر ، فترى قوافل لرواد الروحانية و منتجعى التربية الدينية غادية رائحة من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب ، و من أقصى شمال العالم الاسلامى إلى أقصى جنوبه ، متخطية الثغور السياسية ، مجتازة العقبات الجغرافية ، فترى هذه الجزر مستعمرات دينية ، قد امحت فيها الفروق الجنسية و الوطنية ، و ترى متحفاً إنسانياً قد اجتمع فيه الشرقى مع الغربى و البخارى مع المراكشى و الأناضولى مع الاندونوسى ، قد فروا بدينهم من الفتن ورموا بأنفسهم على عتبة ربهم ، يدعون ربهم بالغداة و العشى يريدون وجهه ، ويتلقون التربية الدينية ، ثم ينبثون فى أنحاء العالم دعاة مصلحين ومعلمين مرشدين ، يلتقطون نصيب الله من بين نصيب الشيطان ، ويحيون أرضاً مواتاً

من القلوب ، و يبذرون فيها بذور الدين .

وكذلك لم تزل فى جنب أقوى الدول و أوسعها دول روحية يفوق سلطانها الروحى سلطان الدولة المادى ، فيها رجال تأتيهم الدنيا راغمـــة و يأتيهم الملوك و الأمراء صـاغرين ، و لهم نظام كنظام الدول ينصبون و يقرون و ينقلون و يستخلفون ، و لهم « قناصل و سفراء » فى كل دولة مادية و كأن خارطـــة العالم الاسلامى بين أيديهم . فاذا خلا ثغر من ثغور الاسلام نصبوا فيـه مرابطاً دينياً يحفظه من عادية الغفلة و المعصية ، و يحرسه من غاشية الجهل والطغيان (١)

وكانت هذه الدول الروحية مستقلة فى إدارتها و نظامها الداخلى ، لايتداخل فيها الملوك و الأمراء ولا تؤثر فيها التقلبات السياسية والحوادث المحلية ، ولنضرب لذلك مثلا بالمستعمرة الروحية المعروفة بغياث فور ، التى أنشأها الشيخ نظام الدين البدايونى الهندى « م ٧٢٥ » فى نفس عاصمة الهند وقـــد عاصر الشيخ سبعة من الملوك الجبابرة «من غيـــاث الدين بلبن ٦٦٤ - ٦٨٦ إلى غياث الدين تغلق ٧٢٠ - ٧٢٥ » و حافظت على استقلالها التام من غير أن تمسها يد المـــلوك ،

(١) حـــدث الشيخ صالح السيد أبو الحسن على الهجويرى دفين لاهور أن شيخه أمره بالرحلة إلى لاهور و الاقامة فيها ، فاعتذر بأن هناك زميله الشيخ حسين الزنجانى فلا لزوم لذهابه ، فقال لابد أن تذهب وتقيم بها ، قال : فشددت رحلى و امتثلت أمر الشيخ و وصلت إلى لاهور فى الليل و قد غلقت أبوابها فبت ليلتى خارج السور ، و لما أصبحت و فتح باب السور إذا بالناس يحملون جنازة الشيخ حسين ، فعرفت سر أمر الشيخ و دخلت البلد ، و خلفته فى عمله دعاء الخلق إلى الله (كشف المحجوب للهجويرى) .

و كنت ترى رجالا من سنجر فى إيران إلى رجال من أوده فى شرق الهند .

و قد كان لهذه المراكز و لأصحابها الفقراء من المهابة و الحشمة و الاحترام الفائق ما قد يحسدهم عليه أكبر ملوك العالم ، و قد يكون هذا سبب الوحشة بينهم وما ذاك إلا لاقبال الناس على رجال الدين و احتفائهم و الخضوع للسلطان الروحى فكان السيد آدم البنورى الهندى (م ١٠٥٣هـ) دفين البقيع يأكل على مائدته كل يوم ألف رجل ، و تمشى فى ركابه ألوف الرجال و ...

دخل السيد فى لاهور عام ١٠٥٢ كان فى معيته

و المشايخ و غيرهم ، حتى توجس شاهجهان ملك الهند

من المال ، ثم قال له : قد فرض الله عليك الحج فعليك

الملك ، و سافر إلى الحرمين حيث مات (١)

و هذا الشيخ محمد معصوم (م ١٠٧٩ ابن الشيخ الكبير أحمد السرهندى قد بايعه و تاب على يده تسعمائة ألف من الرجال ، واستخلف فى دعاء الخلق إلى الله و إرشاد الناس و تربيتهم الدينية سبعة آلاف من الرجال (٢)

و هذا ابنه الشيخ سيف الدين السرهندى (م ١٠٩٦) كان يأكل على مائدته ألف و أربعمائة ، و يقترحون الأطعمة و يتخيرونها (١) .

و هذا الشيخ محمد زبير السرهندى (م ١١٥١) كان إذا خرج من بيته ألقى له الأغنياء الشيلان و المناديل حتى لا يطأ الأرض ، و إذا خرج لعيادة مريض

---

(١) التذكرة الآدمية (الفارسية)

(٢) نزهة الخواطر ، المجلد الخامس ، للعلامة عبد الحى الحسنى .

(١) ذيل الرشحات (الفارسية) .

أو لبعض شأنه خرج فى ركابه الأغنياء و الأمراء فكان موكباً مثل مواكب الملوك (١) .

وهذه أمثلة قليلة لا نقصد منها إلا الاستدلال على ما كان للدين من مكانة و شرف فى عيون الناس ، و على ما كان من احتفاء برجاله و من يمثلونه ، و خضوعهم لسلطان الدين فوق سلطان القوة . و تهافتهم على موارد الدين و مشارعه ، و هذه أمثلة التقطناها على عجل من تاريخ الهند الاسلامى و لمحات عابرة فيه ، و لو ذهبنا نستقصى أمثلته و شواهده من تاريخ الاسلام العام و من تراجم الرجال الدينيين و سيرهم فى بلاد الشام و مصر و المغرب الأقصى والعراق لكان مجلداً كبيراً - و نكتفى هنا بذكر الشيخ خالد الشهرزورى (م ١٢٤٢) الذى ازدحم الناس عليه فى بغداد يتوبون على يديه ويستفيدون منه ، و قد أخبر شيخه فى رسالة كتبها إليه أن مائة من العلماء الفحول قد تخرجوا عليه ، و أن خمسمائة من كبارالعلماء قد دخلوا فى بيعته : وأما العوام والخواص فلا يأتى عليهم حصر (٢)

و استمر هذا الاقبال على الدين و الهجرة فى طلب العلم النافع و العمل الصالح ، و تجشم الأسفار و الأخطار لتزكية النفس و تهذيب الخلق و التوصل إلى معالم الرشد و الاستعداد الآخرة إلى أول عهد الاستعمار الاوربى ، فترى فى كل قطر إسلامى مراكز دينية و ملاجئ روحية يأوى إليها أهل الطلب من سائر الآفاق وتخطبهم الدنيا والمناصب العالية فى الحكومات فيأبون إلا فراراً ، ويلجأون إلى هذا المحيط الهادى الروحى ، و نكبون على إصلاح باطنهم ، و سل حظ الشيطان منه .

---

(١) در المعارف (الفارسية) ، و نزهة الخواطر (العربية) .

(٢) در المعارف .

و تتعدى فى الحضارة إلى أواسط القرن الثالث عشر الهجرى و قد احتل الانجليز الهند ، و لما تؤثر حضارتهم و فلسفة حياتهم فى مجتمع البلاد ، فنرى بقايا من الحياة الدينية الأولى ، و يحـــدثنا مؤرخ (١) عن زاوية الشيخ غلام على الدهلوى ، (م ١٢٤٠) فيقول :

« رأيت بعينى فى هذه الزاوية رجالا من الروم و الشام و بغداد و مصر و الحبشة قد بايعوا الشيخ ، و عدوا المثول بين يديه ...

أما الوافدون من البلاد القريبة كالهند و أفغانستان فكانوا

المقيمين فى هذه الزاوية عن خمسمائة رجل تقوم الزاوية

و يجيل الشيخ رؤف أحمد المجددى نظره فى رحال هذه الزاوية اليوم الثامن و العشرين من جمادى الأولى عام ١٢٣١هـ فيجد رجالا من سمرقـــند و بخارى و تاشقند و حصار و قنـــدهار و كابل و بشاور و كشمير و الملتان و لاهور و سرهنـد و أمروهه و سنبهل و رامبور و بريلى و لكهنؤ و جائس و بهرائج و كوركهبور و عظيم آباد و دهاكه ، و حيدر آباد ، و بونه و غيرها (٢) .

وليعرف القارى أن هذا كله فى زمان لم تحدث فيه طرق النقل الحديثة فكان كله مشياً على الأقدام و سفراً فى القوافل .

و تتجلى المناظر الأخيرة لهذا العهد الراحل فى تاريخ مصلحة الهند الكبير و المجاهد الشهير السيد الامام أحمد بن عرفان الشهيد (١٢٤٦هـ) فاذا قرأت

---

(١) هو السير السيد أحمد خان صاحب الدعوة إلى التعليم الانجليزى فى الهند و مؤسس الجامعة الشهيرة فى عليكره

(٢) آثار الصناديد (الأوردية) .

(٣) در المعارف (الفارسية) .

تاريخه و جولاته فی الهند لأجل بث دعوته إلى التوحيـد و اتباع السنة و الجهاد رأيت ألوفاً يتوبون من الذنوب والآثام والشرك و المحدثات ، حتى تقفر الحانات و تغص المساجد ، و يتسابقون فی دعوته هو و رفقته الذين يعـدون بالمئات إلى بيوتهم و صنع الولائم لهم ، و يستهينون فی سبيل ذلك الأموال ، ويسترخصون كل عزيز و غال ، حتى يتقارعوا بينهم أيهم يبدأ و أيهم يتقدم .

و ترى فی المسلمين شهامة فی سبيل الدين و علو همة و سماحة نفس و أريحية لا تعهدها بعد ذلك ، فلما خرج السيد للحج ١٢٣٦هـ و رفقته أكثر من سبعمائة رجل ضيف المسلمون هـذا الراكب فی كل محل يمر به ، من رأى بريلی مسقط رأسه إلى كلكتة حيث ركبوا السفن ، و لما نزل باله آباد ضيفه الشيخ غلام علی و أقام هذا الركب ضيفاً عليـه خمسة عشر يوماً ، و اجتمع الناس من القرى و الضواحی و كلهم يأكلون على مائدة الشيخ الطعام الفاخر ، هذا عدا الهدايا التی أهداها إلى أهل الركب و الكسوة و الزاد الذی قدمه ، و فی أثناء الرجوع لما حلت القافلة قريباً من مرشـد آباد فی طريقها من كلكتة إلى رأى بريلی قام ديوان غـلام مرتضى بضيافتهـم وأعلن فی السوق أن كل من يشترى من أهل القافلة أو يستأجر منهم أهل الصناعة فهو يؤدى الثمن من عنده و كلمه السيد فی هـذا فقال : حسبی من الفخر و الشكر أنی أقوم بخدمة الحجاج .

و ترى من الناس رقة فی القلوب و انقياداً للحق و خضوعاً للشرع ، فقد تشرف بالبيعة و التوبة مئات ألوف من المسلمين فی هذا السفر ، و كان الناس ينهالون من كل صقع و يدخلون فی الخير أفواجاً ، حتى إن المرضى فی مستشفى مدينة بنارس أرسلوا إلى السيـد يقولون : إنا رهائن الفراش و أحلاس الدار فلا نستطيع أن نحضر ، فلو رأى السيد أن يتفضل مرة حتى نتوب على يديه لفعل

و ذهب السید و بایعهم .

و أقام فی کلکته شهرین ، و یقدر أن الذین کانوا یدخلون فی البیعة لا یقل عددهم عن ألف نسمة یومیاً ، و تستمر البیعة إلى نصف اللیل ، و کان من شدة الزحام لا یتمکن من مبایعتهم واحداً واحـــداً فکان یمد سبعاً أو ثمانی من العمائم و الناس یمسکونها ویتوبون و یعاهدون الله ، و کان هذا دأبه کل یوم سبع عشرة أو ثمانی عشرة مرة :

و خطب السید فی الناس فی کلکته خمسة عشر ا

یحضر هذه المواعظ نحو ألفین من وجهاء البلد و العلماء و

الناس و الدهماء ، و کذلك رفیقه الشیخ عبد الحی البر-

جمعة و یوم ثلاثاء بعد صلاة الظهر إلى العصر ، و الناس یتساقطون علیه کالفراش و یسلم کل یوم عشرة أو خمسة عشر رجلا من الکفار .

و کان من تأثیر هذا الوعظ و دخول الناس فی الدین و انقیادهم للشرع أن تعطلت تجارة الخمر فی کلکته و هی کبرى مدن الهند و مرکز الانجلیز ، وکسدت سوقها و أقفرت الحانات و اعتذر الخمارون عن دفع ضرائب الحـکومـــة متعللین بکساد السوق و تعطل تجارة الخمر .

ولما دعا السید الامام إلى الجهاد ای الناس من کل طبقة دعوته فی نشاط وحماسة و لحقوا به ، و ترك الفلاحون سکتهم و أقفل التجار دکاکینهم و غادر النـاس أوطانهم وتغربوا فی دین الله و لم یتلفتوا إلى ما وراءهم و لم یلووا على شئ حتى قتلوا فی سبیل الله فی وادی بالاکوت عام ١٢٤٦ﻫ فی الثغور ، ورجع فلهم إلى قلل الجبال فاعتصموا بها و قضوا نحبهم فی الجهاد .

هذا کله و الحضارة الاسلامیة فی الهند فی الاحتضار والحـکومة الاسلامیة

فى انهيار ، و لكن لم يزل فى الناس بقية من الأنفة الاسلامية و الحمية الدينية و الانابة إلى الله و الفرار إليه و سرعة الاجابة للداعى إلى الله ، و الاستهانة بالحياة الدنيا و بذل النفائس فى سبيل الله ،

و رسخت قدم الانجليز وأصبح نظامهم التعليمى - و هو من أكبر جنودهم - يؤتى أكله كل حين ، و تسربت فى الناس أفكارهم و ميولهم ، فصارت تقلب نظام الحياة و نظام الفكر فى الهند رأساً على عقب من حيث لا يشعر أهلها فتقاصرت الهمم فى الدين و خمدت جذوة القلوب و انطفأت شعلة الحياة الدينية ، وانصرفت الرغبات و الأهواء و التنافس الطبعى - الذى هو الدافع الأكبر إلى التقدم و الابداع - من الدين و الروحانية إلى المعاش و المادة و قلت مرغبات الجهد فى الدين والعلم و ما يتصل بالروح و القلب ، و توافرت المزهدات المثبطات عنه ، و كثرت الدواعى و الحافزات إلى ضده ، و اتجه تيار الذكاء و النبوغ و العبقرية - الذى كان متجهاً من قبل إلى الدين - من صنوف الدين و أقسام العلم الدينى و الوحى ، إلى الانتاج و الابداع فى أنواع علوم المعاش و مرافق الحياة .

و كان لا يزال بالعهد الراحل رمق و بقية من حياة تنازع الموت وتحاول البقاء فكان لا يزال فى الناس رجال يدعون إلى الدين و إصلاح النفوس وتزكية و تهذيب الأخلاق وتصفيتها ، و هم تذكار لسلفهم فى زهدهم فى الدنيا والاقبال على الآخرة و الاخلاص و اتباع السنة ، و كانت لا تزال لهم دعوة فى الناس ، والمسلمون يعدون الاتصال بهؤلاء والتمسك بأهدابهم حقاً من حقوق الدين و واجباً من واجبات الحياة ، و كان بعض الأغنياء و الأمراء و أرباب الدنيا ، لهم اهتمام زائد بحسن الخاتمة و أمر الآخرة و صلاح القلب و عمارة الباطن ، و لكن كان هذا كله أشبه بالتهاب السراج قبل الانطفاء - فقد ذوى أصل الشجرة الدينية ،

و انقطعت عنها مادة الحياة ، و هب عليها إعصار فيه نار ،

سرى الشك و سوء الظن فى الأوساط الدينية و البيوت العريقة فى الدين و العلم بتأثير المحيط و بتأثير التعاليم الافرنجية و ضعفت الثقــــة بالله و بصفاته و مواعيده ، فأصبح الآباء يضنون بأولادهم على الدين ، و لا يخاطرون بأوقاتهم وقواهم فى سبيل الدين وعلوم الدين ، و أصبحوا يعلمونهم العلوم المعاشية و اللغات الافرنجية ، لا رغبة فى تحصيل المفيد النافع و لا دفاعاً ع
الدين وفراراً من خطر المستقبل وخوفاً على أفلاذ أكبادهم
للــدهر المتقلب ، و تسلط عليهــم خوف الفقر حتى أص
فى الموت .

و هكذا انقرض هذا الجيل و طوى هذا البساط ، و لفظ هــذا العهد الروحى نفسه الأخير و تلاه عهد المادة ، و أصبحت الدنيا سوقاً ليس فيهـا إلا البيع و الشراء .

« يتبع »



أرض الحرم ، أحكامها و مصالحها

كما يراها القرآن

— ٢ —

بقلم : العلامة الدكتور السيد سليمان الندوى

« معرب »

الاسلام لم يصرف النظر عن مصلحة أنه دين اجتماعى ، و أن دعائم صرحه الخمس ، التوحيد ، والصلاة ، والزكاة ، والحج ، والصيام مظهر يتجلى فيه الوحدة و الاجتماعية ، فليس معنى التوحيد إلا الايمان بذات الله وحده ، و إن جماعة الصلوات وأوقاتها المعينة إنما شرعت لكى يمثل المسلمون رغم كثرتهم منظراً واحداً ويخضعوا فى جميع أجزاء الأرض أمام الله تعالى فى وقت واحد ، و كذلك الصيام فيه من الوحدة والاجتماعية ما لا يخفى على الناس ، ففى تعيين وقته و شهره وأيامه وحدة لا مثيل لها ، و فى تعيين كمية الزكاة و إيداعها فى بيت المال لكى ينفق منها فى المصارف المشروعة وحدة لا تنكر ، و كذلك فى الحج بتعيين أشهره و أيامه و مناسكه و لباسه و مكانه وحـــدة لا نظير لها فى أى ديانة أو نظام ، و إن الأحكام التى تناولتها الأحاديث الصحيحة حول وحدة المسلمين واجتماعهم ترمز إلى هذه الحقيقة ، كما رواه الترمذى « يد الله على الجماعة ، و من شذ شذ فى النار » و « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » .

وتلك هى الوحدة والاجتماعية التى تتجلى فى جماعات الصلوات و صفوف القتال و يحب الله تعالى أن يراهـــا كالبنيان المرصوص « إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص » (الصف / ٤) .

هذه الوحدة و الاجتماعية فی الاسلام کانت تتطلب أن تخصص بقعة من الأرض یولی إلیها المسلمون فی العالم کله وجوههم ، و حیثما کانوا یتجهوا نحوها خمس مرات فی کل یوم ، لیعلنوا بذلك أنهم رغم اختلاف دیارهم و أجناسهم إنما یرتبطون بقبلة واحدة و یلتقون علی عقیدة واحدة ، و هنالك أمر الله سبحانه نبیه ﷺ فقال « فول وجهك شطر المسجد الحرام ، و حیثما کنتم فولوا وجوهکم شطره » (البقرة / ۱۲٥) .

و تلك هی الجهة المرکزیة التی سمیت بالقبلة ، و

له لکی یکون مثابة للناس و أمناً « و إذ جعلنا البیت

و لم یکتف بذلك بل جعله رمزاً لوحدة المسلمین فی العالم ...

الفذة و قیاماً لمصالحهم کما یقول « جعل الله الکعبة البیت الحرام قیاماً للناس » المائدة / ۹۷) .

و الآن کانت الحاجة ملحة إلی تطهیر هذا المرکز الدینی و مثابة المسلمین و نقطة وحدتهم و اجتماعهم ، و رمز قوتهم و عزهم من أفکار أجنبیة و تقالید صناعیة ، و من کل غبار للاختلاط مع الآخرین و تلوثهم ، حتی تنبع منه عین شفافة للهدایة منزهة عن کل أذی و قذی ، و بعیدة عن کل ما ینحس ، و لذلك أمر الله بأن لا یقرب المشرکون الأنجاس المسجد الحرام .

و لا سبیل لصیانة بقعة خاصة للأرض من الأفکار و العقائد الأجنبیة و تقالید و آداب الشر و الفساد و من الضلال و الظلام إلا أن تخصص تلك البقعة من الأرض بالأفکار و العقائد و الآداب و التقالید الخاصة بجماعة تحول دون الجماعات الأخری و تمنعها عن اقترابها و ترددها إلیها و الاقامة فیها ، إذ أن الأفکار و العقائد السیئة و التقالید و الآداب الأجنبیة إنما تتسرب إلی المجتمع باختلاط

الشعوب و الأفراد بعضها مع بعض ، و لذلك فان دين العالم الخالد الذى ليس بعده دين جديد كان يتطلب بقعة من الأرض خاصة به ، حيث يعيش ذلك الدين و يحكم من غير شريك ، وتكون هى موطنه الدائم ، و منارة نوره إذا ما انطفأت شعلة نوره فى البقاع الأخرى ، و لا تجف فيها منابع هدايته إذا ما جفت فى البلدان الأخرى ، و ذلك فى الحقيقة تفسير ما قال ﷺ « لا تبق فيها قبلتان ، لا يترك فيها دينان » .

ومما لا شك فيه أن أقواماً أوأفراداً إذا أقاموا فى ذلك المركز بوجه دائم مستقل ، فلا بد من أن يؤسسوا هناك معابدهم وينشروا أفكارهم ويبلغوا حضارتهم و أخلاقهم ، الشئ الذى يهدم حرمة المسجد الحرام وينقص عظمته وقدسيته ، و مما هو معلوم أن العراق كان يحكمه المجوس و الشام يحكمها النصارى قبل الاسلام فأثر ذلك أن المزدكية و المسيحية كانتا تترعرعان و تزدهران فى العرب المتوسط و ذلك هو الأساس الذى تقوم عليه سيطرة الشعوب ، ولهذا الواقع نظائر وأمثال لا يأتى عليها الحصر ، فكم من بلاد فى الشرق بدأ فيها استيلاء الغرب - فى عهد ازدهاره اليوم - من منطلق الاتصال والتقارب ، وقد كان مبدؤه تبادل الزيارات عن طريق البحر أولا والجو ثانياً ، ثم توطدت العلاقات التجارية ، وقامت غرف التجارة التى تحولت فيما بعد إلى مراكز للمؤامرات السياسية ، و أخيراً تحولت إلى حصون عسكرية وا ستراتيجية ، أليس هذا هو الوضع القائم اليوم من لمغرب الأقصى إلى مصر فى جانب ، و من خليج البنغال إلى بحر الهند ، و من الخليج العربى إلى المحيط العربى وبحر الحبشة فى جانب آخر ! فاذا كان الاسلام قد حظر وسائل الاستيلاء و السيطرة من التقارب و الاتصال لسد منافذ الفساد فانه لم يخطئ الصواب ، و لم يحد عن الصراط ، فاعتبروا يا أولى الأبصار .

أرض الحرم لا يسكنها إلا العابدون لله : اتضح مما أسلفنا أن أرض الحرم مركز الاسلام الديني و العقيدي ، فكل ركن من أركانها معبد الاسلام و مشهد المسلمين ، و قد أضفى الله سبحانه هذه الميزة على أرض الحرم منذ أن جعلها حرماً آمناً و مؤئلا للطائفين والعاكفين والركع السجود ، الذين يطلبون الحياة الخالدة ، وقد أمر الله سبحانه بناة بيته الحرام حينما انتهوا عن بنائه أن « طهرا بيتى للطائفين و العاكفين و الركع السجود » (البقرة / ١٢٥) .

يعلم من هذا أن الغاية الأصيلة لبناء أرض الحرم فلايتوخون فيه عملا سوى توحيد الله تعالى و عبادته ، فهى تنافى طهر الأرض و قدسيتها ، إذ أنها لا تصلح لعمل سوى التوحيد و الركوع و السجود و الاعتكاف على عتبة الرب تبارك و تعالى ، ولما بنى سيدنا إبراهيم عليه السلام هذا البيت لعبادة الله تعالى وسماه باسمه واختار لحراسته أعز أولاده إسماعيل عليه الصلاة و السلام لم يهتم أن أبدى غرضه وفق ما أراده الله منه ، كما يتحدث عنه القرآن :

« و إذ قال إبراهيم : رب اجعل هذا البلد آمنا و اجنبني و بني أن نعبد الأصنام ، رب انهن أضللن كثيراً من الناس ، فمن تبعني فانه مني ، و من عصاني فانك غفور رحيم ، ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة » (إبراهيم /٣٥ - ٣٦ - ٣٧) .

لقد أكد فى هذه الآيات أول من بنى هذا البيت أنه أسس على التوحيد ، لكى لا يعود إليه الشرك أبداً ، ولذلك فان من يسكن فى ظلال هذا البيت وبجواره إنما يستهدف إقام الصلاة بأن يضحى بنفسه و ماله فى سبيل عبادة الله ، إنه ليس مكان المؤامرات والدسائس الخبيثة والسياسات اللعينة الرخيصة ، والشهوات الخسيسة

و لا علاقة لها بالعرش و التاج والضرائب والخراج و الجيش و الجند والسيف والسلاح ، إنما هو عاصمة ملك واحد وحاكم صمد ، إنه بيت الله الأحد ، فلا يصلح القتال ولا حرب و سفك دماء بل يصلح للتقديس والتسبيح و الركوع و السجود ، يصلح لأولاد إبراهيم و أتباعه .

و معلوم أن خلفاء إبراهيم عليه السلام الأصلاء ليسوا هم أولاده الحقيقيين الذين يتصلون به نسباً و دماً ، و لكنهم أولئك المسلمون الذين ينتمون إليه فى التوحيد والعبادة و يتبعونه فى الصلاة والعكوف على البيت كما صرح بذلك إبراهيم عليه السلام فقال « فمن تبعنى فانه منى » .

إنه ملك مشاع بين جميع المسلمين : فالذين يستحقون أن يخلفوا إبراهيم عليه السلام فى هذه البقعة الطاهرة من الأرض هم أولئك الذين يملكون سند الاتباع و الطاعة له ، و لذلك فان هـــذه الأرض المقدسة ليست ملكاً خاصاً لقوم أو جنس أو أسرة ، و لكنها ملك مشاع لجميع من اتبعوا إبراهيم كاسر الأصنام ، و من هنا يستوى الذين يسكنونها من قديم و الذين وطئوها جديداً بعد أن قبلوا اتباعه ودخلوا فى طاعته ، يستوى الذين دخلوا فى دين الله منذ فجر التاريخ وأعلنوا توحيد الله تعالى قديماً و الذين لم يمض عليهم طويل مدة فيما اعتنقوا به من مبادىء التوحيد و شرف الاسلام ، يستوى فيه العربي و العجمى و التركى و الفارسى ، و آل هاشم و بنو أمية و بنو فاطمة و آل معاوية ، و المكى و الآفاقى ، لكل منهم حق متساو ، لا فضل فيه لعربي على عجمى و لا لعجمى على عربى .

ولم يعترف رب هذا البيت بأى حق للسكن بجواره إلا حقاً واحداً وهو الطاعة الكاملة لابراهيم وأتباعه ، فمن تشرف بهذه الشهادة استحق توليته وجواره ، يقول الله سبحانه « إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذى جعلناه

للناس سواء العاكف فيه و الباد » (الحج /۲٥) .

فمن بعد هذا الاعلان الربانی ، الذی يدعی تولية أرض الحرم لمجرد أنه عربی أولأنه هاشمی ، ويدعی بها لأنه من آل الأشراف أو لأنه يسكنها من قرون ، أو لأن أسرته تحكمها من مدة طويلة ، ومن الذی ينفی حق المسلمين الساكنين فی بلدان أخری بدليل أنهم ليسوا عرباً ، و ليسوا هاشميين و سادة ، أو لأنهم ليسوا سكان أرض الحرم ، إن هذه الأرض إنما هی ملك لله وحده . .

جميعاً سواء فی الحقوق نحو هذه الأرض حاضراً ومستقبلاً

وأتباعه الذين يملأون أركان العالم الاسلامی كلها شرقاً

الشريعة الاسلامية أرض الحرم كلها وقفاً لله لا يتصرف

والايجار ، والذی نراه اليوم من آثار التصرفات الشخصية لا تبررها الشريعة المحمدية ،

إنها دار أمن : لا يزال أولاد آدم يصبغون أرض الله بالدماء البشرية رغم احتجاج الملائكة بقولهم « أتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء » و لكن الله سبحانه خصص بقعة من الأرض و نماها إلی نفسه و سماها بيته ، لكی تكون هی بمعزل عن فساد الانسان و سفك الدماء ، و تلك هی الأرض التی يحرم فيها قتل الانسان مهما كان مجرماً ، و صيد الحلال من الحيوان يعتبر فيها إثماً ، وحيث يحرم قطع الشجر و خضد الأغصان ، و يمنع قلع العشب و النبات ، إنما هی بقعة أمن وموطن سلام وكل ذی روح وغيره مأمون فی ظلها ، ألم يكن إبراهيم عليه السلام قد دعا ربه « رب اجعل هذا البلد آمناً » وكان قد أجيب هذا الدعاء عند الله قبل صدوره من اللسان إذ أن هـــذا الشرف العظيم قدر للحرم ساعة خلقه ، « و إذ جعلنا البيت مثابة للناس و أمناً » و قد أقسم الله سبحانه بأمن هذا البلد فقال « و التين و الزيتون و طور سنين ، و هذا البلد الأمين »(التين / ۱-۲-۳)

و من الله على قريش فقال « فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع و آمنهم من خوف » (أيلاف /٣-٤) و قال « ألم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ، و يتخطف الناس من حولهم » (العنكبوت /٦٧) و أصدر الله سبحانه ميثاقاً حول أنه دار أمن و سلام ، فقال « من دخله كان آمناً » .

و لا ينبغى أن نتناسى فى هذه المناسبة أن الاسلام كان قد أدرك من القوة بعد الهجرة إلى المدينة المنورة بحيث كان بامكانه أن يدخل أرض الحرم كلما أراد بقوة السلاح ، فكم كان المهاجرون يحنون إلى رؤيتها و كم كان الأنصار يتحينون الفرصة للانتقام من قريش ، وكم كان شوق المسلمين عظيماً إلى زيارة المسجد الحرام ، و لكن النبى ﷺ رغماً من ذلك كله كان يرى إلى حقيقة أنها دار أمن لا ينبغى أن يجرح حرمها بالسنان والسيوف ، ولا أن يتغلب عليها بالقتل وسفك الدماء ، ولو كان ذلك تأييداً للحق ، لأنها دار أمن و سلم ، فلا تدرك إلا بالأمن والسلم ، وتلك هى الرؤية النبوية العظيمة التى جعلت النبى ﷺ يعقد الصلح فى الحديبية مع قريش بشئ من الدنيئة الظاهرة ، ورغم عواطف المسلمين الثائرة ، و لا يسمح لسيوف المسلمين بأن تدخل حدود الحرم فاتحة منتصرة ، و يقول قولته الخالدة « لا يسألونى خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها » .

و ما هى إلا أيام تمضى و يقبل العام الجديد إذ يدخل النبى ﷺ و أصحابه مكة فاتحين منتصرين من غير سلاح أو حرب ، و عند ما يعلن فتح مكة فى عام ٨ هـ يدنو إليها عشرة آلاف مقاتل فى ظلال أعلامهم و راياتهم ، وتنسل سيوف الأنصار من الأغماد مرة و أخرى رجاء أن يتحقق الانتقام ، وينشد سيدهم عبادة رضى الله عنه « اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الكعبة » وما أن يسمع رسول الله ﷺ هذا الصوت إلا و يخطئ عبادة بن الصامت رضى الله عنه و يقول :

« اليوم تعظم الكعبة ، و يأخذ الراية من يد عبادة رضى الله عنه و يعطيها ابنه ، و تقدم رسول الله ﷺ خطوات إذ رأى لمعان السيوف . و علم أن سيف خالد رضى الله عنه انسل من الغمد ، فسأله عن ذلك فأخبر أن كتيبة من قريش قد قتلت رجلين من المسلمين ، فقال هذا قضاء الله ، و تسابق بعض من كان من كبار المجرمين إلى مكة ولاذ بها . فأمر بقتلهم حيثما كانوا ، و تلك «

أحل الله فيها سفك الدم فى حرمه ، و قال « لا أقسم بهذا

بهذا البلد » و قد حدد القرآن الكريم هذا الحل بقوله « ،

الحرام حتى يقاتلوكم فيه ، فان قاتلوكم فاقتلوهم » (البقرة) و فى ...

أن يستعيد فيه من هذه الاباحة قال « و إنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلى ، ولم تحل لى إلا ساعة من نهار ، فهو حرام يحرمه الله إلى يوم القيامة »

فما هو حكم الاسلام فى المجرمين الذين انتهكوا حرمة المسجد الحرام ، وجرحوا جسمه الآمن و أرضه الهادئة بالسلاح و آلات القتل ، و لوثوا الأرض العريقة الطاهرة بأنواع من القتل و الفتك و سفك الدماء ؟

الظالم فى الحرم يواجه العقاب : و الميزة الرابعة لأرض الحرم هى أن من يحاول إذهاب الأمن و السلام منها يعاقب عقاباً شديداً ، ومن يريد فيه بظلم يذيقه الله تعالى عذاباً اليماً ، كما يصرح بذلك « و من يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم » (الحج ٢٥) و لنا فى التاريخ شاهد عدل على هذه النبوة بلسان حاله ، فكلما حاول أحد أن يجعل هذه الأرض المقدسة مركزاً للتظاهر بقوته و سطوته فى هذه الدنيا . وأراد أن يقضى على نعمة الأمن فيها ، سواء كان ذلك مهاجماً خارجياً ، أو كان معتدياً داخلياً - و ما قصة أبرهة بخافية - إلا و قد ضربه الله تعالى بيد من حديد .

و من الذى يجهل وقعة يزيد و أسرته التى قضى عليها فى مدة سنوات فقط وكذلك فشل عبد الله بن الزبير رضى الله عنه معلوم ، وكما أن مكة المكرمة فى أرض الحرم كذلك المدينة المنورة من حرم الله تعالى ، فقد قال رسول الله ﷺ : إن إبراهيم عليه السلام جعل مكة حرماً آمناً و أنا أجعل المدينة حرماً كذلك ، و لذلك فان من أدعى الفساد فى المدينة و أراد أن ينتهك حرمتها عوقب من عند الله تعالى ، فقصة اليزيديين و وقعة الحرة التى فشل فيها أولاد الانصار ، وغيرهم ممن ضيعوا أمن الحرم و سفكوا فيه الدماء ، و كذلك تاريخ الخليفة العثمانى فى الأمس القريب ، كل ذلك شهادة على أن الساعى فى الحرم بالحاد بظلم يواجه عذاب الله الأليم .

لا يمكن أن تجعل أرض الحرم عاصمة : إنك اطلعت بوضوح على أن أرض الحرم لا تصلح إلا للعبادة وحدها ، و هى ملك مشاع بين المسلمين كلهم ، و هى دار أمن يعاقب فيها الظالم ، الأمر الذى ينتج أن هذه الأرض ليست للتظاهر بالملوكية أو الغزو العسكرى ، ليست محلا للثورات والفساد ، و ليست مرصداً للمؤامرات و الدسائس ، و تعلموا أيها القراء الكرام أن عاصمة البلاد التى تقوم على أساس الفتن والاضطرابات و التى تؤسس على السفاكية و إراقة الدماء البريئة يجب أن تتبرأ منها أرض الحرم ألف مرة ، ألم تروا أن النبى ﷺ و الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم كلهم لم يتخذوا الحرم عاصمة سياسية رغم حنينهم إليه وحبهم له ، و أنقوا المدينة المنورة عاصمة للخلافة الاسلامية ، و قد أثبت الفتنة العثمانية أن الحرم المحمدى لا يصلح أن يكون مركزاً لسياسة الأمم و الشعوب شأن الحرم الابراهيمى ، و لعل ذلك ما حمل سيدنا علياً رضى الله عنه على نقل عاصمة الخلافة من المدينة المنورة إلى الكوفة ، بالعكس من ذلك لما جعل ابن الزبير رضى الله عنه

مکة مرکزاً سیاسیاً قامت الفتنة فیها علی قدم و ساق ، و واجهت الکعبة المشرفة ما واجهت من فساد عظیم .

و لا ینبغی أن نغمض العین عما إذا اعتدت دولة من الخارج أو الداخل علی الحجاز - لا قدر الله - فاذا ینتج ذلک سوی انتهاك حرمة بیت الله و النیل من شأنه ، و معلوم أن العواصم إنما تکون مؤئلا لکل فسق و فجور ، و مدینة و مظاهر فتنة و فساد و إثم و منکر .

فهل ترضون انتم أیها المسلمون بما إذا أعید

الحرم (١) فاعتبروا یا أولی الأبصار

(١) وقد شهدت عین العالم بعد مضی ٥٧ سنة من کتابة هذا المقال ، ما تفطن به صاحب المقال من انتهاك حرمة الحرم الشریف وثوران الفتنة فیها ، فی غرة محرم ١٤٠٠ھ حینما اعتدت فئة ضالة من المسلمین علی الحرم المکی الشریف ، و حولته إلی ساحة قتال لمدة ١٥ یوماً [التحریر] .

دراسات وأبحاث

ردود على شبهات حول شئون اجتماعية

الدكتور عبد الكريم زيدان

١- هناك شبهات حول الاسلام يثيرها أعداؤه ، .
كانت هزيلة إلا أن لها بعض التأثير في نفوس ضعاف
الاسلام ، و لهذا قد يكون مفيداً الرد على هذه الشبها
و يقوى ضعاف الايمان فلا ينزلقوا في مزالق الباطل .

٢- و من هذه الشبهات التي نرد عليها : تعدد الزوجات ، و معاملة النبي ﷺ لبني قريظة ، و الحرب و الغزوات ، و الحدود في الاسلام .

أولا - تعدد الزوجات

٣- شرع الله تعالى نظام الزواج لايجاد النسل و إشباع الغريزة الجنسية في الانسان بطريق مشروع سليم يليق بالانسان و يرتفع عن مستوى الحيوان .

٤- و نظام الزواج في الاسلام يقوم على أساس وحدانية الزوجة مع جواز تعدد الزوجات إلى حد أربع زوجات في وقت واحد إذا توفرت الشروط الشرعية التي سنشير إليها .

٥- و دليلنا على ما تقول الآية الكريمة « و إن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى و ثلاث ورباع فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذالك أدنى ألا تعولوا » (١) ، و الخوف من عدم

(١) سورة النساء ، الآية ٣ .

العدل الذى تشير إليه الآية الكريمة يصدق بالظن والشك فيه ، و على هذا فالذى يباح له التعدد هو الذى يتيقن من نفسه العدل بين زوجاته أو يظن ذلك ، أما الذى يتوقع عدم العدل فى نفسه فانه ممنوع ديانة من التزوج بثانية أو أكثر (١) .

أما ما يقوله الجهال من أن التعدد ممنوع لأن شرطه القدرة على العدل بين الزوجات و هذا الشرط مستحيل لقوله تعالى « و لن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء و لو حرصتم » (٢) أقول ما ذهب إليه هؤلاء غير صحيح لأن العدل المستطاع الذى هو شرط التعدد هو العدل المادى فى المبيت و النفقة و حسن العشرة و نحو ذلك أما العدل المنفى المستحيل فهو العدل المعنوى أى العدل فى المحبة و الميل القلبى (٣)

٦- إلا أن النظر إلى الآيتين الكريمتين يؤدى إلى القول بأن الأولى و الأفضل هو الاكتفاء بزوجة واحدة ، لأن هـذا الاكتفاء هو الأقرب إلى السلامة من الوقوع فى الجور و لأن الميل القلبى لاحدى الزوجات أكثر من الأخريات ، وإن كان معفواً عنه إلا أنه قد يجر إلى عدم العدل المادى .

٧- وإذا كان الأولى و الأفضل وحدانية الزوجة ، و إباحة التعدد بشرطه ، إلا أن هذه الأفضلية تصير للتعدد إذا وجد المبرر الشرعى له كالذى يتزوج امرأة وحيدة لا أهل لها و لا مال و لا معيل ليقيها الحاجة و الانزلاق .

٨- فتعدد الزوجات فى الشريعة الاسلامية مباح غير واجب و لا مندوب إلا إذا انضم إليه أمر خارجى يجعله مندوباً كما أشرنا ، والشروط فى إباحة التعدد

(١) تفسير المنار للشيخ رشيد رضا ج ٤ ص ٣٢٩ و ما بعدها . تفسير ابن كثير ج ١ ص ٤٥٠ .

(٢) سورة النساء الآية ١٢٩ .

(٣) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز ، للفيروزا بادى ج ٤ ص ٢٩-٣٠

هو القـدرة على العدل بين الزوجات عند وجود المبرر الشرعي للتعـدد ، إلا أن التأكد من القدرة و التأكـد من وجود المبرر الشرعي للتعدد ، كل ذلك متروك لتقدير المسلم و ديانته و لا سبيل للقضاء عليـه ، و على هذا المنهج درج المسلمون الأولون من عهد النبي ﷺ و عهد أصحابه الكرام و التابعين لهم باحسان ، و كل محاولة لاخضاع التعدد و شروطه لسلطان و رقابة القضاء هي محاولة فاشلة لا تأتي بخير و ضررها أكبر من نفعها ، و لا دليل عليها من الله

مبررات نظام التعدد :

٩- نظام التعدد له علاقة بالمعدد و المعدد بها و

في نظام تعدد الزوجات مصلحة لهؤلاء تبرر الأخذ به ؟ .

أولا بالنسبة للمعدد :

١٠- المعدد ، هو الزوج فهل هنـاك من مبررات لأن يتزوج بأكثر من واحدة ؟ الجواب بالايجاب ، و هذه هي بعض المبررات .

ألف- الرجل بطبيعته أكثر طلبا للاتصال الجنسي من المرأة غير مقيد بوقت معين بخلاف المرأة فهي لا تكون مستعـدة له في كل وقت كما في أوقات الحيض و النفاس و أيام الحمل الأخيرة . و قد يكون الرجل من النوع الذي يميل كثيرا إلى غشيان زوجته ، فلا تكفي زوجة واحدة لاسيما إذا كانت من اللواتي تطول أيام حيضهن ، فمن الظلم منعـه من الزواج بأخرى مع قدرته على العدل و القيام بأعباء الزواج .

ب - قد تكون الزوجة مريضة لا تقوى على القيام بمتطلبات الحياة الزوجية ، أو تكون عاقرا أو أنها دخلت في سن اليأس و الزوج يتطلع إلى الذرية و تطلعـه مشروع أو أنه لا يزال قادرا على الاخصاب و بحاجة إلى النساء ، فمن العدل إباحة

الزواج له بأخرى مع بقاء زوجته الأولى ،

ج - قد يكون للزوج قريبة منقطعة ، وحيدة ، فاتها قطار الزواج و يريد أن يحصنها و ينقذها من وحدتها و يضمها إليه كزوجة ، و هذا غرض نبيل يجب أن نشجعه عليه لا أن نمنعه منه .

ثانياً - بالنسبة للمعدد بها .

١١- و هى الزوجة الثانية ، ومصلحتها فى التعدد مصلحة ظاهرة ، إذ تصير به زوجة فى نظر الشرع و القانون و الناس ، و هـــذا خير لها من بقائها عانساً معرضة للغواية و الانزلاق و الحاجة ، و انزلاق المرأة فى عصرنا الحاضر أصبح ميسوراً و سهلا لكثرة وسائل الغواية و الانزلاق ، ، و إذا كان الأمر هكذا ، فان أية امرأة عاقلة تدرك مصلحتها تفضل أن تكون زوجة ثانيـــة على أن تكون عشيقة و أداة لهو و عبث للرجال .

ثالثاً - بالنسبة للمعدد عليها :

١٢- و هى الزوجة الأولى ، ومن مصلحتها أن تقبل بزواج زوجها بأخرى - و قد قانت مبرراته - و لا ترفضه ، لأنها بهذا الرفض تدفع زوجها إلى هجرها أو إلى تطليقها و لا تستفيد هى شيئاً ، وإذا كان القانون يمنع الزواج بأخرى إلا إذا رضيت هى و هى ترفض زواجه فانه سيهجرها ، و يعاملها بما لا تحب ، أما إذا رضيت بزواجه فانه سيقدر لها رضاها وسيغمرها بعطفه ولطفه وحسن معاشرته ، أما إذا كان القانون يمنع من الزواج بثانيـــة مطلقاً مع وجود الأولى فهذا المنع سيلحق أعظم الضرر بالزوجة ولا ينفعها شيئاً ، إذ أن الزوج سيهجر زوجته ويجعلها كالمعلقة ، و قد يندفع إلى الزنا .

رابعاً - بالنسبة للمجتمع :

١٣-أ- من مصلحة المجتمع أن يكون طاهراً نظيفاً لا مكان فيه للفاحشة لأن فى طهره و نظافته قوة مؤكدة للأسرة ، و حفظاً لها من الانهيار ، و صيانة للنسل من الضياع ، و لا شك أن نظام تعدد الزوجات يسهم إلى حد كبير فى تحقيق هذه الأغراض .

ب - نظام التعدد يحل مشكلة كثرة الوقوع وهى و هذه الظاهرة التى تبدو هى الغالبة دائماً فى أكثر بلا فى أعقـــاب الحروب التى تطحن عادة الرجال أكثر من مشكلة زيادة عـدد النساء حلا شريفاً سليماً إلا بإباحة تعدد الزوجات . و بدون هذه الاباحة أى بتحريم التعدد قانوناً ، يعنى ترك هذه المشكلة تحل نفسها بنفسها عن طريق الاتصال الجنسى غيرالمشروع ، كما هو واقع فى أكثر بلاد العالم، ومن المعلوم أن شيوع الفاحشة فى المجتمع تترتب عليه نتائج خطيرة جداً ، اجتماعيـــة واقتصادية وأخلاقية ، مما لا مجال فى الاسهاب فيها هنا ، وهذا الخوف المتوقع من زيادة عدد النساء مع تحريم التعدد، يحصل إذا كانت غير المتزوجات مكفيات المؤنة و إنما ينحدرن إلى الزنا بدافع الغريزة الجنسية لا بدافع الحاجة و الجوع ، أما إذا كن محتاجات أيضاً إلى الكسب فهنا الطامة الكبرى إذ ينزلن إلى ميدان العمل فيتلقفهم عبيد الشهوات الذين لايخشون الله ولا يغارون على أعراض الناس ويظلون يزينون لهن الفاحشة و يضيقون عليهن الخناق حتى يستسلمن لهم

ج - و قد يحتاج المجتمع إلى كثرة النسل ، ونظام التعدد يسهم فى تحقيق ذلك بوجه مشروع و سريع لأن الزوجة الواحدة لا تلد فى السنة إلا مرة واحدة أما الرجل فانه قادر على إخصاب أكثر من واحدة فى السنة فيمكنــــه من الزواج

بأكثر من واحدة لا يتفق و حاجة المجتمع إلى كثرة النسل، ثم إن المرأة تدخل فى اليأس عند بلوغها سن الخمسين عادة، أما الرجل فانه يبقى قادراً على الاخصاب بعد هذا السن، فمنعه من الزواج بأكثر من واحدة يعنى منعه من الاسهام فى زيادة النسل الذى يحتاجه المجتمع.

اعتراضات على نظام التعدد :

١٤- و قد يعترض البعض على نظام التعدد بما يأتى :

ألف - التعدد إجحاف بحق الزوجة الأولى و الزوجة الثانية لأنه يفوت على كل منهما الاختصاص و الانفراد بمكان الزوجة الوحيدة للزوج، إذ لو لا إباحة التعدد لبقيت الزوجة الأولى وحيدة لزوجها، و لتهيأ للزوجة الثانية زوج خاص بها لا تشاركها فيها زوجة أخرى.

ب - التعدد ظلم للزوجة الأولى لأنه يبيح للزوجة الثانية أن تحل فى بيتها وتقاسمها زوجها فى حبه و ماله، والظلم ممنوع فى الشرع ومنعه يكون بمنع التعدد.

ج - التعدد محرم فى الديانتين اليهودية و المسيحية، ولهذا نجد أكثر شعوب العالم فى الوقت الحاضر تحرم التعدد و لا تستسيغه متأثرة بهذا التحريم الدينى، فمن المصلحة تحريم التعدد فى الشريعة الاسلامية مسايرة لشعوب العالم لاسيما والتعدد من المباحات لا من الواجبات فى الاسلام

د - فى التعدد مآسى كثيرة منها وقوع الطلاق و تشرد الأطفال و وقوع العداوة و البغضاء بين الزوجات و بنى أولادهن، و عجز الأب عن رعاية أبنائه، و عجز الدولة عن القيام بواجباتها نحو المواطنين لكثرة النسل المتأتية من إباحة تعدد الزوجات كما نلاحظه فى الشعوب الاسلامية

نقض هذه الاعترضات :

١٥- و هذه الاعتراضات هزيلة لا تقوى على المناقشة، و نردها فيما يلى

بنفس تسلسل فقراتها فنقول :

ألف ـ الادعاء بأن التعدد جحف بحق الزوجة الأولى و الثانية ، ادعاء غير صحيح فليس من حق الزوجة الأولى الاعتراض على زواج زوجها بأخرى بعد أن قامت مبررات زواجه ، وليس من مصلحتها منعه من هذا الزواج أو إعلان سخطها عليه لأن سخطها أو منعها لا يحفظ لها زوجها أو لا يحفظ لها حبه وإخلاصه ، ويفوت الغرض الذى من أجله لم ترض بزواجه أما الزوجة الثانية
لم تفوت عليها فرصة الظفر بالزواج الخاص بها ، و إنما
ثانية ، إذ لم تستطع أن تظفر بمنزلة الزوجة الوحيدة للر
إباحة التعدد ، فان رأت مصلحتها فى الزواج من ذى زوجة
مصلحتها فى الزواج به رفضته ، فالخيار بيدها و لا إجبار فى زواجها فما شأن الآخرين بها الذين يريدون منع التعدد و فى هـذا المنع منع لاختيارها و إهدار لارادتها ؟ أ يريدون أن تبقى وحيدة بلا زوج ليسهل اصطيادها وإيقاعها فى مصايد الذين لا يخشون الله و لا يغارون على أغراض الناس

١٦ ـ الادعاء بأن التعـدد ظلم بالزوجة الأولى ، لأنه يبيح للأخرى أن تشاركها فى بيت زوجها ، ادعاء مبناه التأكيد على مصلحة الزوجة الأولى فقط دون نظر و لا اعتبار لمصلحة الزوجة الثانية ، و مصلحتها أن تكون زوجة شرعيـة ، مصونة من الضياع ، ولاشك أن الاصرار عـلى اعتبار مصلحة الزوجة الأولى فقط هو إصرار فى غير محله و غير جديد بالاعتبار لأنه نظر قاصر و أنانى .

إن الزوجة الأولى يمكنها أن تشترط لنفسها فى عقد الزواج أن لا يتزوج زوجها عليها ، و إنه إذا فعل ذلك كان لها حق الفراق منه ، و هذا شرط سائغ و جائز شرعاً ، جاء فى المغنى فى فقه الحنابلة و غيرهم : « و إن تزوجها وشرط

لها أن لايتزوج عليها فلها فراقه إذا تزوج عليها ، وهو المروى عن عمر بن الخطاب وسعد بن أبي وقاص ومعاوية وعمرو بن العاص رضى الله عنهم ، وبه قال شريح وعمر بن عبد العزيز و جابر بن زيد و طاوس و الأوزاعى و إسحاق » (١) .

١٧- ج - قولهم إن التعدد محرم بالديانتين اليهودية و المسيحية ، ادعاء غير صحيح ، فقد كان التعدد مباحاً للأنبياء السابقين كما كان مباحاً لغيرهم ، فسيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام تزوج بسارة ثم بهاجرة فى حياة سارة ، و إن يعقوب عليه السلام تزوج باربع نسوة ، و إن داود و سليمان تزوجا بنساء كثيرات (٢) ،

و يقول « نيوفلد » صاحب كتاب قوانين الزواج عند العبرانيين الأقدمين « إن التلمود و التوراة معا قد أباحتا تعدد الزوجات على إطلاقه ، و إن كان بعض الربانيين ينصحون بالقصد فى عدد الزوجات » (٣) .

أما كتب الديانة المسيحية القديمة ، فانه لم يرد فيها نص صريح بتحريم تعدد الزوجات ، و إنما ورد فى كلام رسولها الكبير استحسان الاكتفاء بزوجة واحدة لرجل الدين المنقطع عن مآرب دنياه » (٤) .

و قد قال « واتر مارك » العالم الثقة فى تاريخ الزواج : إن تعدد الزوجات باعتراف الكنيسة بقى إلى القرن السابع عشر ، و كان يتكرر كثيراً فى الحالات

---

(١) المغنى لابن قدامة الحنبلى ج ٦ ص ٥٤٨ .

(٢) إظهار الحق تأليف رحمة الله بن خليل الرحمن الهندى ج ٢ ص ٣٦٩ و ما بعدها .

(٣) المرأة فى القرآن للأستاذ عباس محمود العقاد ص ١٣٠ ، الأسرة والمجتمع للدكتور عبد الواحد وافى ص ٨٤ .

(٤) المرأة فى القرآن للأستاذ عباس محمود العقاد ص ١٣٢ .

التى لا تحصيها الكيبسة (١) .

١٨ - ادعاؤهم أن شعوب العالم لم تعد تستسيغ نظام التعدد ، ادعاء مردود بأن هذه الشعوب تستسيغ عرفاً و قانوناً شيوع تعدد العشيقات و شيوع الفاحشة و تستقبل ثمراتها الآثمة و هى مئات الألوف من الأولاد غير الشرعيين فى كل عام فليس من حق هذه الشعوب أن تشمئز أو ترفض نظام التعدد .

١٩ - أما طلبهم تحريم التعدد فى الشريعة بحجة المصلحة و مسا [illegible]
و أنه من المباحات فى الشريعة لا من الواجبات ، فالرد
بقاء نظام التعدد لا فى إلغائه بل لو لم يرد نص فى إباحته لا
والقول بإباحته ، فكيف يستساغ الطلب بتحريمه بعد أن شر
و مسايرة شعوب العالم لا تكون بالباطل أو الخطأ ، و كونه من المباحات لا يبيح تحريمه لأن المباح كالواجب مما شرعه الله و ما شرعه الله فيه المصلحة قطعاً و لا يملك أى إنسان إلغاءه و فسخه .

٢٠ - و أخيراً فاننا نقول : إن ادعاءهم بأن شعوب العالم لم تعدد تستسيغ نظام التعدد ، هذا الادعاء أصبح عتيقاً ، والجديد أن شعوب العالم أخذت تميل إليه . بل إن بعض كتابهم و مفكريهم دعا إلى الأخذ به و توقع أن تأخذ به قوانين أوربا ، فالدكتور ليبون يرى أن القوانين الأوربية سوف تجيز التعدد ، و يذهب الأستاذ أهرنفيل إلى حد القول بأن التعدد ضرورى للمحافظة على بقاء السلالة الآرية (٢)

٢١ - إن مشكلات العالم بخصوص زيادة عدد النساء أصبحت تجبر المهتمين بها على القول بأن الحل يمكن فى نظام التعدد لا فى غيره حتى إن إحدى لجان مؤتمر

(١) حقائق الاسلام و أباطيل خصومه للأستاذ عباس محمود العقاد ص ١٧٨ .
(٢) المرأة فى القرآن للأستاذ عباس محمود العقاد ص ١٣٤ - ١٣٥ .

الشباب العالمى المنعقـد فى ميونخ عام ١٩٤٨ أوصت بضرورة الأخـذ بنظام التعدد حلا لمشكلة زيادة عدد النساء على عدد الرجال فى العالم ، وإن سكان بون فى ألمانيا الاتحادية طلبت إلى السلطات المختصة فى عام ١٩٤٩ ضرورة النص صراحـــة فى الدستور الألمانى على إباحة التعدد (١) .

إن هذه الوقائع أخذت تفرض نفسها ، ولم يعد فى المستطاع الشغب والتهويش على نظام التعدد فى الاسلام ، و لكن مع الأسف بعض الجهال من المنتسبين إلى الاسلام لا يزالون يرددون ادعاءات عتيقة و شبهات قديمة أثارها أعداء الاسلام من زمن بعيد .

د ـ الادعاء بأن فى نظام التعدد مآسى كثيرة . إلخ كالطلاق .. فالجواب على ذلك :

٢٢ـ إن هذه المآسى ليست كما قالوا ولا بالقدر الذى زعموا ، فالطلاق مثلا يزيد إذا منع التعدد و يقل إذا أبيح ، و التشرد ليس سببه تعـــدد الزوجات بل أمور أخرى كما تدل على ذلك الاحصائيات (٢) .

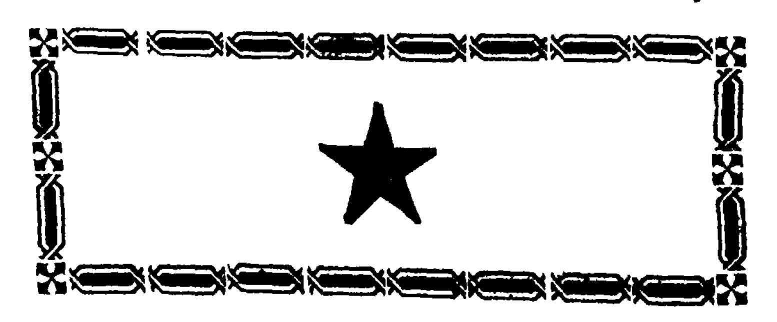
و البغضاء بين الزوجتين قد تقع و لكنها تقل باشاعة الوعى الدينى و معرفة حدود الشرع ، و العداوة بين أولاد الزوجين قد تحصل ، و لكن هـذا المحذور قد يقع أيضاً بين الاخوة لأب أو بين الاخوة لأم دون أن يكون سببها التعدد ، و على كل حال فان إشاعة الوعى الدينى و حسن تربية الأولاد على معانى الاسلام كل ذلك يقلل الجفاء بين أولاد الزوجتين .

(١) المرأة بين الفقه و القانون للدكتور مصطفى السباعى الطبعة الرابعة ص ٧٥
ويشير السباعى فى كتابه إلى الحكومة الألمانية أرسلت إلى مشيخة الأزهر تطلب منها نظام التعدد فى الاسلام للاستفادة منه ص ٧٦ .

(٢) المرأة بين الشريعة و القانون للدكتور مصطفى السباعى ص ٩١ - ٩٢ .

أما زيادة النسل بسبب تعدد الزوجات فهذا صحيح ، و لكن أى شئ فيه ؟ إن المسلمين نفعهم زيادة النسل ، و إن أعداءهم فقط تغيظهم هذه الزيادة والسبب معروف أما أن هذه الزيادة تحمل الآباء يقصرون بتربية أولادهم و تجعل الدولة تقصر فى تقديم الخدمات المطلوبة لمواطنيها . فهذا غير صحيح لأن الأب القادر على رعاية الولد الواحد يقدر على رعاية الولدين و على الدولة أن تعينه ماديا إذ احتاج كما تفعل بعض الدول ، أما الدولة نفسهـا ، فان كثرة النسل
الأيدى العاملة ، وهذه تؤدى إلى زيادة الانتاج ،
قدرة الدولة على تقديم الخدمات لمواطنيها ، و مهما يكن
اليوم بمجموعها أغنى من أى دولة اومجموعة دول فى الع
و التنظيم و التعاون الصادق فى الانتفاع بما حباها الله من خيرات و ثروات .

٢٣- و الخلاصة فان نظام التعدد من محاسن الشريعة لا من مثالبها ، و مما نعتز به لاعما نستحى منه ، ويقدم العلاج الحاسم لكثير من المشكلات الفردية والجماعية و منافعه تزيد على مضاره ، و هذه المضار القليلة متأتية من سوء استعماله لا من ذاته ، فلا يجوز بعد هذا كله أن يسمح لنفر من الجهال بالتشويش و الشغب على هذا النظام الاسلامى الأصيل و فسح المجال لهذا الشغب بالانتشار عن طريق نشره فى الصحف و المجلات و تأثر القوانين به كما حصل مع الأسف الشديد فى بعض البلاد الاسلامية .



الفقه الإسلامي

شبهات حول الفقه الاسلامى

— ٢ —

محمد صدر الحسن الندوى

تحدثت فى المقال الأول عن الافتراءات التى وجهت إلى "
أن أرد فى هذا المقال على تلك الافتراءات والشبهات التى
إلا بالله عليه توكلت و إليه أنيب .

١ـ قالوا : إن القرآن يشتمل على احد عشر قانوناً فحسب .

الكتاب :

الكتاب هو القرآن و هو المصدر الأول من المصادر الاسلامية التشريعية الاساسية ، أنزل على محمد ﷺ منجماً من ليلة اليوم السابع عشر من رمضان للسنة الحادية والأربعين من ميلاده ، حيث أوحى إليه فى غار حراء الذى كان يتحنث فيه ، أول آية هى « بسم الله الرحمن الرحيم ، اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم » إلى تاسع ذى الحجة يوم الحج الأكبر للسنة العاشرة من الهجرة ، و الثالثة و الستين من ميلاده ، حيث أوحى إليه آخر آية « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا »

و توفى رسول الله ﷺ و لم يجمع القرآن فى مصحف بل كان فى صحف متفرقة كتبها كتاب الوحى ، و فى صدور الحفاظ من الصحابة ، وفى عهد أبى بكر

أمر بجمع القرآن لا فى مصحف واحد بل جمعت الصحف المختلفة التى فيها آيات القرآن و سوره و أودعت الصحف الكثيرة التى فيها القرآن عند أبى بكر ، وقد تولى جمعه هذا زيد بن ثابت وانتقلت من أبى بكر إلى عمر ثم إلى حفصة بنت عمر حتى إذا تولى عثمان أخذ الصحف من حفصة و عهد إلى جمع من الصحابة منهم زيد ابن ثابت ، و عبد الله بن الزبير ، و سعيد بن العاص ، بجمعها فى مصحف واحد ، و كتب منها نسخاً كثيرة وزعت على الأمصار و أحرق ما يخالفها .

محتويات الكتاب :

القرآن يشتمل على الأصول للاحكام ولا يتعرض للقوانين الفرعية إلا قليلا ، يقول العلامه الشاطبي فى هذا الصدد :

« القرآن على اختصاره جامع و لا يكون جامعاً إلا و المجموع فيه أمور كليات ، لأن الشريعة تمت بتمام نزوله ، وأنت تعلم أن الصلاة ، والزكاة ، والجهاد ، وأشباه ذلك لم يبين جميع أحكامها ، إنما بينتها السنة ، وكذلك العاديات من الأنكحة و العقود و القصاص و الحدود و غيرها (١)

النصوص القرآنية التى وردت فى القرآن تحتوى على ثلاثة أقسام .

القسم الأول : أحكام اعتقادية تتعلق بالايمان بالله و ملائكته و كتبه ورسله و اليوم الآخر .

القسم الثانى : أحكام خلقية و هى تتعلق بالفضائل التى يجب على الانسان أن يتحلى بها و بالرذائل التى يجب عليه أن يتخلى عنها .

القسم الثالث : أحكام عملية تتعلق بأعمال المكلفين من عبادات و معاملات و جنايات ، و خصومات و عقود و تصرفات و هذا هو الفقه ، وهو المراد من الأحكام عند الاطلاق .

---

(١) الموافقات للشاطبي ، المسألة الخامسة ج ٣ / ٣٦٧ .

آيات الأحكام العملية فى القرآن :

الآيات التى تتعلق بأعمال المكلفين قد وردت فى القرآن فى عـــدة مواضع و هى كما يلى .

١ــ الآيات التى جاءت فى الأحوال الشخصية من زواج و طــلاق و إرث و وصية و حجر وغيرهما هى نحو سبعين آية . ٢ــ وفى المجموعة المدنية من بيع و إجارة و رهن و شركة و تجارة و مداينة يبلغ عدد الآ ؛

٣ــ و فى المجموعة الجنائية من عقوبات و تحقيق جنايات

آية . ٤ــ و فى القضاء و الشهادة و ما يتعلق بها قد ور

فكل الآيات التى وردت فى الأحكام العملية ـ عدا العبادات ـ ى سبع من نحو ١٩٠ آية : سنعرض فى السطور الآتية القوانين التى تشير إليها الآيات القرآنية

قانون النكاح :

ألف ـ لا يجوز نكاح المشركات و الانكاح بالمشركين

لقوله تعالى : « و لا تنكحوا المشركات حتى يؤمن و لأمة مؤمنة خير من مشركة و لو أعجبتكم و لا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا و لعبد مؤمن خير من مشرك و لو أعجبكم ، أولئك يدعون إلى النار والله يدعو إلى الجنة والمغفرة باذنه و يبين آياته للناس لعلهم يتذكرون (١) .

ب ـ يجوز إبداء رغبة النكاح بالكناية قبل أن تقضى المرأة عدتها .

قال الله تعالى : « و لاجناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكننتم فى أنفسكم ، علم الله أنكم ستذكرونهن و لكن لا تواعدوهن سراً إلا أن تقولوا قولا معروفاً ، و لا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله و اعلموا أن

(١) البقرة : الآية ٢٢١ .

يعلم ما فى أنفسكم فاحذروه ، و اعلموا ، أن الله غفور حليم (١) .

(ج) يجوز النكاح بأربع زوجات بنص القرآن .

قال الله تعالى : « وإن خفتم أن لا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم أن لا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى أن لا تعولوا (٢) .

(د) لا يجوز النكاح بما نكح آباؤنا من النساء .

قال الله تعالى : « ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة و مقتاً و ساء سبيلا » (٣) .

(ه) و قد ثبت بنص القرآن حرمة نكاح الأمهات .

(و) و حرمة نكاح البنات (ز) و حرمة نكاح الأخوات

(ح) و حرمة نكاح العمات (ط) و حرمة نكاح الخالات

(ى) و حرمة نكاح بنات الأخ (ك) و حرمة بنات الأخت

(ل) و حرمة نكاح الأمهات من الرضاعة (م) وحرمة نكاح الأخوات من الرضاعة

(ن) و حرمة نكاح أمهات النساء (س) و حرمة نكاح الربائب من النساء اللاتى دخل بهن الرجال (ع) وحرمة نكاح حلائل الأبناء من الصلب

(ف) وحرمة نكاح الأختين فى صورة الجمع (ص) و حرمة نكاح المرأة التى هى فى نكاح رجل (ق) يجوز النكاح بالاماء باذن أهلن .

وهذه كلها لقوله تعالى : « حرمت عليكم أمهاتكم و بناتكم و أخواتكم وعماتكم و خالاتكم و بنات الأخ و بنات الأخت و أمهاتكم اللاتى أرضعنكم و أخواتكم من الرضاعة و أمهات نسائكم وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم

(١) البقرة : الآية ٢٣٥ (٢) النساء : الآية ٣ (٣) النساء : الآية ٢٢

بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلاجناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف إن الله كان غفوراً رحيماً ، والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم كتاب الله عليكم و أحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهن » . . . « ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات و الله أعلم بايمانكم بعضكم من بعض فانكحوهن باذن أهلهن » (١)

(ز) يجوز النكاح بنساء أهل الكتاب :

قال الله تعالى : « اليوم أحل لكم الطيبات وطعام لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين و لا متخذى يكفر بالايمان فقد حبط عمله و هو فى الآخرة من الخاسرين » (٢) .

٢- قانون المهور :

ألف - المتعة فى صورة الطلاق قبل المساس حسب الاستطاعة فى صورة عدم تعيين المهر .

ب - تستطيع الزوجات أن تحط من مقدار المهر كله أو جله .

ج - لابد من أداء نصف المهر فى صورة الطلاق قبل الدخول فى صورة تعيين المهر

د - لابد من المهر فى النكاح .

هـ - لايجوز أخذ المهر - فى النكاح - من الزوجات بعد الدخول فى صورة الطلاق

و هذا لقوله تعالى : « لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة و متعوهن على الموسع قدره و على المقتر قدره متاعاً

(١) النساء : الآية ٢٣ - ٢٤ - ٢٥ (٢) المائدة : الآية ٥

بالمعروف حقاً على المحسنين و إن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم إلا أن يعفون أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح و أن تعفوا أقرب للتقوى و لا تنسوا الفضل بينكم إن الله بما تعملون بصير (١) .

وقال : « وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً أتأخذونه بهتاناً و إثماً مبيناً و كيف تأخذونه و قد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً » (٢) .

وقال : « وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين (٣)

٣- قانون النفقة :

ألف- يجب على الزوج أن ينفق على زوجته .

ب - استحباب الوصية للانفاق على الزوجة لسنة .

قال الله تعالى : « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم . فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله » (٤) .

و قال : « و الذين يتوفون منكم و يذرون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج فان خرجن فلا جناح عليكم فى ما فعلن فى أنفسهن من معروف و الله عزيز حكيم » (٥) .

٤- قانون الايلاء :

قد ثبت جواز الايلاء بنص القرآن . قال الله تعالى : « للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فان فاؤوا فان الله غفور رحيم » (٦) .

(١) البقرة : الآية ٢٣٦ - ٢٣٧ (٢) النساء : الآية ٢١

(٣) النساء : الآية ٢٤ (٤) النساء : الآية ٣٤

(٥) البقرة : الآية ٢٤٠ (٦) البقرة : الآية ٢٢٦

٥- قانون الطلاق :

ألف - طلاق الرجعة ثابت بنص القرآن :

قال الله تعالى : « الطلاق مرتان فامساك بمعروف أو تسريح باحسان (١).

ب - طلاق لا تصح الرجعة فيه :

قال الله تعالى : « فان طلقها فلا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره » (٢) .

ح - لا يجوز إضرار المرأة بطريق الامساك بعد الطلاق .

قال الله تعالى : « إذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن
سرحوهن بمعروف و لا تمسكوهن ضراراً لتعتدوا » (٣)

د- لا يجوز منع المرأة من التزوج بالزوج الأول .

قال الله تعالى : « و إذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن ان ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف » (٤) .

ه - يجوز الطلاق بنص القرآن .

قال الله تعالى : « و إن عزموا الطلاق فان الله سميع عليم » (٥) .

٦- قانون الخلع : يجوز الخلع بنص القرآن

قال الله تعالى: « فان خفتم أن لا يقيما حدود الله فلاجناح عليهما فيما افتدت به (٦)

٧- قانون العدة :

ألف - لابد من قضاء العدة ، قال الله تعالى : وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن (٧)

(١) البقرة : الآية ٢٢٩ (٢) البقرة : الآية ٢٣٠
(٣) البقرة : الآية ٢٣١ (٤) البقرة : الآية ٢٣٢
(٥) البقرة : الآية ٢٢٧ (٦) البقرة : الآية ٢٢٩
(٧) البقرة : الآية ٢٣٤

ب ـ مدة العدة .

قال الله تعالى : « و المطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء » (١) .

ج ـ لا بد من إيفاء شرط آخر فى صورة التغليظ .

قال الله تعالى : « فان طلقها فلا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره » (٢) .

(د) عدة المتوفى عنها زوجها : قال الله تعالى: و الذين يتوفون منكم و يذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر و عشراً (٣) .

(ه) عدة أولات الأحمال أن يضعن حملهن : قال الله تعالى : « وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن » (٤)

٨ ـ قانون التوريث :

الف ـ يجرى التوريث حقاً للقرابة : قال الله تعالى : « للرجال نصيب مما ترك الوالدان و الأقربون و للنساء نصيب مما ترك الوالدان و الأقربون » (٥)

ب ـ يجرى التوريث فى أموال الميت كلها : قال الله تعالى: « للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون » . وقال : « مما قل منه أو كثر نصيباً مفروضاً » (٦ .

ج ـ المرأة تستحق الوراثة فى أموال الميت كالرجال : قال الله تعالى : للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون (٧)

د ـ حصص الأولاد .

قال الله تعالى : « يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين فان كن نساءاً فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك و إن كانت واحدة فلها النصف » (٨) .

---

(١) البقرة : الآية ٢٢١ (٢) البقرة : الآية ٢٣٠

(٣) البقرة : الآية ٢٣٤ (٤) سورة الطلاق الآية ٤

(٥) النساء . الآية ٧ (٦) النساء : الآية ٧ (٧) أيضاً :

(٨) النساء : الآية ١١

هـ - حصص الأبوين .

قال الله تعالى : « ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك . إن كان له ولد ، فان لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث فان كان له إخوة فلأمه السدس » (١)

و - حصة الزوج فى تركة المرأة .

قال الله تعالى : « و لكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن » (٢) .

ز - حصة الزوج فى مال الزوج .

قال الله تعالى : « و لهن الربع مما تركتم إن لم يـ

ولد فلهن الثمن مما تركتم » (٣) .

ح - تنال المرأة نصف الرجل فى الوراثة : قال الله تعالى : « للذكر مثل حظ الأنثيين » (٤) .

ط - لا وراثة للتبنى ولا للذين جرت المواخاة بينهم .

قال الله تعالى : « ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان والأقربون والذين عقدت إيمانكم فآتوهم نصيبهم إن الله كان على كل شئ قديراً » (٥)

ى - سهم الكلالة :

قال الله تعالى : « وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فان كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث » (٦) .

و قال : « يستفتونك ، قل الله يفتيكم فى الكلالة ، إن امرء هلك ليس له

---

(١) النساء : الآية ١١ (٢) النساء : الآية ١١

(٣) » » ١٢ (٤) » » ١١

(٥) النساء : الآية ٣٣ (٦) النساء : الآية ١٢

ولد وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها إن لم يكن لها ولد فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك و إن كانوا اخوة رجالا و نساءاً فللذكر مثل حظ الأنثيين يبين الله لكم أن تضلوا و الله بكل شئ عليم » (١) .

٩- قانون الوصية :

- الف - تستحب الوصيته للتوفى (أسقطت وجوبها آية التوريث) قال الله تعالى : « كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين » (٢) .

- ب - لاتجوز قسمة الأموال إلا بعد إجراء الوصية

قال الله تعالى : « من بعد وصية يوصى بها أودين » (٣) .

- ج - لا يجوز الاضرار بالوصية

قال الله تعالى : « غير مضار وصية من الله والله عليم حليم » (٤) .

- د - نصاب شهادة الوصية .

قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحـدكم حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم » (٥) .

١٠- قانون الأقراض و الرهون :

- الف - لا تجوز قسمة التركة إلا بعد أداء القرض .

قال الله تعالى : « من بعد وصية يوصى بها أو دين » (٦) .

- ب - الشروط اللازمة للاقراض و الرهون .

(١) النساء : الآية ١٧٦
(٢) البقرة : الآية ١٨٠
(٣) النساء : الآية ١١
(٤) النساء : الآية ١٢
(٥) المائدة : الآية ١٠٦
(٦) النساء : الآية ١١

قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين - إلى قوله - و الله بما تعملون عليم » (١)

- ج - نصاب الشهادة فى الأقراض والرهون

قال الله تعالى : « واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل و امرأتان » (٢) .

- د - لا يجوز إضرار الكاتب ولا الشاهد .

قال الله تعالى : « و لا يضار كاتب ولا شهيد »

١١- قانون الزنا :

- الف - عقوبة الزنا .

قال الله تعالى : « الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة » (٤)

- ب - عقوبة الأمة المحصنة فى صورة الزنا

قال الله تعالى : « فان أتين بفاحشـــة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب » (٥).

- ج - نصاب شهادة الزنا .

قال الله تعالى : « فاستشهدوا عليهن أربعة منكم » (٦) .

١٢- قانون الخمر والميسر : حرمت هذه الأشياء فى القوانين الاسلامية بنص القرآن

قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام

(١) البقرة : الآية ٢٨٣
(٢) البقرة : الآية ٢٨٣
(٣) البقرة : الآية ٢٨٣
(٤) النور : الآية ٢
(٥) النساء : الآية ٢٥
(٦) النساء : الآية ١٦

رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون (١) .

١٣- قانون الربا : ثبت حرمة الربا بنص القرآن .

قال الله تعالى : « يمحق الله الربوا ويربى الصدقات و الله لا يحب كل كفار أثيم » (٢) .

قال الله تعالى : « الذين يأكلون الربوا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربوا و أحل الله البيع وحرم الربوا » (٣) .

١٤- قانون القصاص :

ألف ـ المماثلة فى القصاص فى القتل فى العمد .

قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى ، الحر بالحر و العبد بالعبد و الأنثى بالأنثى (٤) .

ب ـ تجوز الدية بنص القرآن .

قال الله تعالى : « فمن عفى له من أخيه شئ فاتباع بالمعروف و أداء إليه بإحسان » (٥) .

ج ـ لا يجوز قتل المؤمن عمداً .

قال الله تعالى : « و ما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأً » (٦) .

هـ ـ كفاره قتل المؤمن خطأً .

قال الله تعالى: «و من قتل مؤمناً خطأً فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله

(١) المائدة : : الآية ٩١
(٢) البقرة : الآية ٢٧٦
(٣) البقرة : الآية ٢٧٥
(٤) البقرة : الآية ١٧٨
(٥) البقرة : الآية ١٧٨
(٦) النساء : الآية ٩٢

إلا أن يصدقوا ، فان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليماً حكيماً (١)

١٥- قانون الشهادة : ألف - شهادة الوصية :

قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم » (٢)

ب - شهادة الزنا : قال تعالى : « و اللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم (٣)

ج - شهادة القذف قال الله تعالى : « و الذين يرمو

بأربعة شهداء » (النور : ٤).

١٦- قانون السرقة : عقوبة السرقة . قال الله تعالى : « و السـ

فاقطعوا أيديهما جزاءاً بما كسبا نكالا من الله و الله عزيز حكيم » (٤) .

١٧- قانون السلم و الحرب الدولي :

ألف - لابد من صيانة حرمة الميثاق .

قال الله تعالى : « و إن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم و بينهم ميثاق و الله بما تعملون بصير » (٥) .

ب - الشرط الضروري لابقاء الاتفاقيـــة ، قال الله تعالى : « كيف يكون للمشركين عهد عند الله و عند رسوله إلا الذين عاهدتم عند المسجـــد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين (٦) .

---

(١) النساء : الآية ٩٢ (٢) المائدة : الآية ١٠٦

(٣) النساء : الآية ١٥ (٤) المائدة : الآية ٣٨

(٥) الأنفال : الآية ١٦٢ (٦) التوبة : الآية ٧

١٨- قانون الحروج على النظام الاسلامى : عقوبة الخروج على النظام الاسلامى :

قال الله تعالى : « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم و أرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا و لهم فى الآخرة عذاب عظيم إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم ، فاعلموا أن الله غفور رحيم » (١) .

١٩- قانون الحرب : ألف - إذا أسلم العدو فلا حرب و لا قتال .

قال الله تعالى : « فان تابوا و أقاموا الصلاة و آتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم (٢) .

ب - كيف تقسم الغنائم : قال الله تعالى : « و أعلموا أنما غنمتم من شئ فأن لله خمسه و للرسول و لذى القربى و اليتامى و المساكين و ابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله ٣) .

قانون الاقتصاد : لا يجوز البخس فى الكيل و الوزن :

قال الله تعالى : « وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير و أحسن تأويلا (٤) .

٢١ — القانون الأساسى : حق الاحتفاظ بالحياة الفردية

قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غيربيوتكم حتى تستأنسوا و تسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون » (٥) .

٢٢- قانون القذف : ألف - قانون القذف ،

قال الله تعـــالى : « و الذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهـــداء

---

(١) المائدة : الآية ٣٣ - ٣٤　　(٢) التوبة : الآية ٥

(٣) الأنفال : الآية ٤١　　(٤) بنى إسرائيل : الآية ٣٥

(٥) النور : الآية ٢٧

فاجلدوهم ثمانين جلدة و لا تقبلوا لهم شهادة أبداً و أولئك هم الفاسقون إلا الذين تابوا من بعد ذلك و أصلحوا فإن الله غفور رحيم (١) ،

ب - إذا رمى الزوج زوجته بالزنا و لم يكن له شهداء :

قال الله تعالى : « و الذين يرمون أزواجهم و لم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين (٢) .

٢٣- قانون المحكمة . من الجريمة أن لا يحضر على طلب (

قال الله تعالى : « و إذا دعوا إلى الله و رسوله ا منهم معرضون » (٣) .

٢٤- القوانين الاجتماعية : قانون الحجاب .

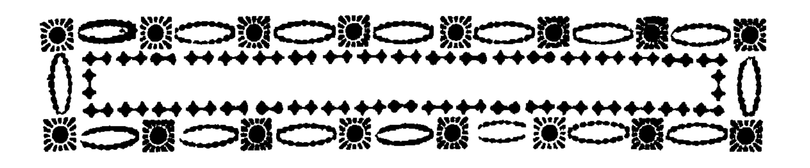
قال الله تعالى : « قل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولايبدين زينتهن إلا لبعولتهن أوآبائهن أوآباء بعولتهن أوأبنائهن أوأبناء بعولتهن أوإخوانهن أو بنى إخوانهن أوبنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أوالتابعين غيرأولى الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ، ولايضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن و توبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون (٤) .

استعرضنا فى الصفحات السالفة إجمالياً أن القرآن يشتمل على مجموعة من القوانين لا يستهان بها و يجدر بنا أن نقدمها فى السطور الآتية حسب رقم التسلسل و ها هى بين أيديكم .

(١) النور : الآية ٤ - ٥
(٢) النور : الآية ٦ - ٧ - ٨ - ٩
(٣) « « ٤٨
(٤) « « ٣١

(١) قانون النكاح	(٢) قانون المهور	(٣) قانون النفقة
(٤) قانون الايلاء	(٥) قانون الطلاق	(٦) قانون الخلع
(٧) قانون العدة	(٨) قانون التوريث	(٩) قانون الوصية
(١٠) قانون الأقراض والرهون		(١١) قانون الزنا
(١٢) قانون الخمر والميسر	(١٣) قانون الربا	(١٤) قانون القصاص
(١٥) قانون الشهادة	(١٦) قانون السرقة	
(١٧) قانون السلم والحرب الدولى	(١٨) قانون الخروج على النظام الاسلامى	
(١٩) قانون الحرب	(٢٠) قانون الاقتصاد	
(١٢) القانون الأساسى	(٢٢) قانون القذف	
(٢٣) قانون المحكمة	(٢٤) القوانين الاجتماعية	

هذه نموذجة ضئيلة للأحكام العملية التى نزلت الآيات فيها (١) وعدا ذلك هناك أحاديث فى الأحكام التى يبلغ عددها إلى نحو ٤٥٠٠ حديث فى أنواعها المختلفة كما ذكره ابن القيم فى « أعلام الموقعين » فكيف يصح أن يقال إن القرآن يشتمل على أحـــد عشر قانوناً فحسب كما قال شيلدن إيموز « Sheldon AMOS » فى كتابه «Rommon Civil Law» يبدو من قول المستشرقين أنهم صمموا العزم أن لا يفوتهم إلا الحق و الصداق ، فالى الله المشتكى و هو المستعان .



(١) راجعوا للتفصيل الكتب التى ألفت فى أحكام القرآن و أيضاً تفهيم القرآن للعلامة المودودى .

دمعـــة حزن

على فقيد الجهاد والايمان محمد الحسنى

أغار على العليـــا بأهواله الخطب
فأذكى جحيماً ذاب من حرها القلب

لمصرع داع كان مصباح دعوة
يؤججها بالنور فى نفســه الحب

لهـا لمباديها التى ترسم الهـــدى
فيزداد إخلاصاً لها

كدر الهدى فرع الميامين شملها
محمد من أصفى

و قد حشد الأفكار فى ساح نصرها
و أيد حقاً ، أجمع الشرق و الغرب

على عصمة فى خمســة ما لأهلها
ذمام و كم يحـــلو لاحرامهم غصب

لأمتنا و هى التى فى غفولهـــا
تتيه و قد أودى بها و طغى السلب

فيـا ندوة الايمان معقل عزه
عزاء لكم فى راحل ، شهد الرب

بأن الأسى فى موته أفقـــد النهى
صواب هداها فاستبد بها الكرب

و عانت نفوس المخلصــين لرزئه
عناء تهاوت من فداحته الشهب

على علم كـنا نرى فى حياته
حياة بها يصمو لأمتنــا الورد

طواه الردى و الحرب ضد وحودنا
مسعرة يذكى قذائفها الحقد
الكل الأفاعى فى اعتداء مروع
علينا فيا لله كم خسر المجد
بفقد نجيب عاجل الموت نفسه
و كان حديراً أن يروح و أن يغدو
ليحمل أعباء الجهاد بهمة
بها عاش لا يثنيه للمعتدى صد
و لكنها الأقدار تجرى بحكمة
و عدل من الرحمن يرضى به العبد
(أبا حسن) يا رائد الفصل و الهدى
عزاء من الأعماق صاغ به الوجد
أحر رثاه فى أعز مهـذب
و فيض الأسى ما زال يدمى ويشتد
إليك شبل كنت خير موجه
له نحو آفاق تجلى بها الرشـد
على شخصه حتى غدا رائد الهدى
و أثمر أمجاداً بها اعترف الخلد
بفوز مساعيكم و نيل جهودكم
فبورك مسعاكم و طاب به الجهد
(أبا حسن) عشتم لنا خير قـدوة
إذا ما الأسى أضنى وهد القوى السهد
رجعنا إلى توجيهكم و ثباتكم
فهانت هموم الحزن و انحسر المد

المرأة قبل الاسلام و بعده

— ٨ —

الأستاذ سعيد بن عبد الله سيف الحاتمى

قامت النصرانية بحرب شعواء ضد الاسلام حول موضوع الطلاق. إنها كانت تنتقد الاسلام أنه يفك الرباط المقدس بين الزوجين و يكسره. إن لله فى عباده شأنا أى شأن، نجد اليوم النصرانية توافق على الطلاق أنه الطريقة
وتوافق أو على أقل تقدير تعتبر أن الطلاق هو الحل الاجتماعى
العائلية التى لا يحصيها حصر.

ذلك أن الله خلق الذكر و الأنثى فاذا اجتمعا على الر...
و صارا جسداً واحداً لا يجوز بعد ذلك أن يعودا اثنين. فان ما جمعته يد الله لا يفرقه إنسان وفى ذلك يقول السيد المسيح عليه السلام لما سأله أتباعه عن الطلاق: « يلتصق الرجل بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً إذ ليسا اثنين بعد جسد واحد فالذى جمعه الله لا يفرقه إنسان ».

يسمح لهم إذا وقع أحد الزوجين فى الخيانة الزوجية، و لم يرد عن المسيح أى إذن بالطلاق لسبب آخر غير تلك الخيانة

نرى البروتستنت قد ذهبوا إلى إباحة الطلاق فى حالات قليلة أخرى عدا حالة الخيانة الزوجية وإذا طلق الرجل زوجته وتزوج بأخرى اعتبر زانياً. وكذلك المرأة إذا طلقت زوجها وتزوجت غيره اعتبرت زانية وقد جاء فى انجيل مرقص، من طلق امرأته و تزوج بأخرى يزنى عليها وإن طلقت امرأة زوجها و تزوجت بآخر تزنى (١)

(١) البهى الخولى: المرأة بين البيت و المجتمع

تنقسم أوربا إلى ثلاثة أقسام مختلفة حول قبولهم الطلاق :

١- دول غربية توافق على فكرة الطلاق وتوجب ألا يكون بدون الفراق البدنى ، و من هذه الدول : السويد و النرويج و البرتغال و رومانيا و سويسرا وألمانيا و روسيا

٢- دول غربية أخرى توافق على الفراق الجسدى دون الطلاق ومن هذه الدول : أسبانيا و إيطاليا .

٣- دول غربية ثالثة توافق على الاثنين : الطلاق و الفراق الجسمانى ومن هذه الدول : فرنسا و بلجيكا و بريطانيا و الولايات المتحدة الأمريكية و بعض دول الكتلة الشرقية .

ماذا يقصد بالفراق البدنى أو الجسمانى ؟ :

الفراق هو الاصطلاح الذى اتفق عليه الأوربيون بالاستعمال و يقصدون بذلك أن يفترق كل من الزوجين عن الآخر إلى الأبد . و يعتبر المجتمع المرأة أنها ما زالت زوجة لبعلها السابق قصرت مدة الفراق أم طالت . و يكون لكل واحد منهما الحق كل الحق فى القيام بكل ما يريد دون تدخل الآخر ولو بيت شفقة ، اللهم إلا الزواج فعلا فلا يحق لأى واحد منهما الزواج بأى شخص آخر ، و يطبق هذا فى كثير من المجتمعات الأوربية .

الاسلام و الطلاق

و إذا عدنا إلى الاسلام فاننا نجد أنه لا يعطى المرأة حق الزواج فحسب ، إنه يعطيها حق الطلاق كذلك ، و بما أن دين الاسلام هو دين الفطرة التى فطر الله الناس عليه فاننا نجده قد قيد الطلاق بقيود لصالح الطرفين المعنيين بالأمر ، وليس بخاف على كل ذى لب حكيم أن فترة المراهقة و الشباب هى فترة الطيش و التسرع فى كل شئ ، إذ يتأثر الشاب بأدنى شئ تثيره به ويؤيد التاريخ كلامنا هذا إذ نرى

المرسلين و المصلحين يقع جل اهتمامهم على الشباب أكثر منه على الشيوخ و إمم فى الاسلام هم مادته

نذكر هنا بعض الخطوات التى يجب اتخاذها قبل اتخاذ ذلك القرار الخطير : الطلاق ، فنقول إذا كان قد نص فى عقد الزواج أن للمرأة حق طلاق نفسها دون اللجوء إلى رفع القضية ضد زوجها (عصمتها بيدها) إذا الناس على ما تفقوا عليه ، أما إذا لم يكن هناك نص صريح فى العقد فانه يطالب منها أن تقدم الشكوى ضد زوجها تذكر فيها الأسباب التى دعتها إلى المطالبة بالفراق و على ال

و يبت فى الأمر حسب الشرع الحنيف هل الحق لها أو ع

و قد يسأل سائل : لماذا قيد الاسلام المرأة فى الط

على الغارب ألا يعتبر هذا إجحافاً بحقوقها ؟ هل يعرف هذا القائل او السائل الكريم أن المرأة تفرز هرمونات مرتين فى الشهر و هى هرمونات الأمومة و هرمونات الأنوثة ؟ و كل من هذين النوعين له تأثير خاص على قراراتها و تصرفاتها وخاصة عند ما تصل هذه الهرمونات ذروتها فى اليوم الرابع عشر أو الخامس عشر .

كما أخذ الاسلام فى نظر الاعتبار أن المرأة تكون عاطفية أكثر من الرجل الذى يستعمل عقله فى كثير من الأمور أكثر من المرأة ، إذ أننا نراها فى كثير من الأحيان تندفع نحو شئ معين دون روية ، اقرأ معى الآيات الكريمة :

« وإذا طلقتم النساء فلبغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ، ولا تمسكوهن ضراراً لتعتدوا و من يفعل ذلك فقد ظلم نفسه و لا تتخذوا آيات الله هزواً و اذكروا نعمة الله عليكم و ما أنزل عليكم من الكتاب و الحكمة يعظكم به واتقوا الله واعلموا أن الله على كل شئ قدير (الآية ٢٣١ من سورة البقرة)

« يا أيها النبى إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن و احصوا العدة ، و اتقوا الله ربكم - لا تخرجوهن من بيوتهن ، و لا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة

و تلك حــدود الله ، و من يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ـ لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً (الآية الأولى من سورة الطلاق) .

و إذا طلقتم النساء و قارن انتهــاء العدة فالواجب عليكم أحد الأمرين إما إمساك لها بالمعروف أى تراجعها لعصمتك بالمعروف وعدم إيذاء أو فراق بمعروف من غير إلحاق ضرر بالمطلقة ، و لا تراجعوهن بقصد إلحاق الضرر بهن و الايذاء لهن لتلجئوهن إلى الفدية و دفع المال لكم و لا شك أن هذا اعتداء منكم عليهن ومن يفعل هذا الفعل المنهى عنه بأى أسلوب وعلى أى شكل فقد ظلم نفسه وعرضها لعذاب الله و غضبه (١)

ويروى عن رسول الله ﷺ أنه قال :

أبغض الحلال إلى الله عز و جل الطلاق (رواه أبو داؤود ليس منا من خبب امرأة على زوجها أو عبداً على سيده (رواه النسائى) ، لا تسأل المرأة طلاق أختها لتستفرغ صحفتها و لتنكح فانما لها ما قدر لها (رواه الأربعة) ، أيما امرأة سألت زوجها طلاقاً من غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة (رواه أصحاب السنن) ما بال أحدكم يلعب بحدود الله يقول قد طلقت ، و قد راجعت أيلعب بكتاب الله و أنا بين أظهركم (رواه النسائى) .

كل هذه الأحاديث وكثير غيرها تدل دلالة واضحة على أن الزواج رباط مقدس بين الزوجين فلا يجب أن يسئ الناس استعماله وإذا حدث مثلا زواج غير موفق فعليهما أن يفترقا حسب الشريعة الاسلامية السمحة .

كان من عادات الجاهلية العربية أن الرجل يحلف أن لا يدخل على زوجته وأن يعيشا كزوجين ، و قد يتركها فى هذه الحالة معلقة إلى ما لا نهاية له لا هى زوجة له و لا هى مطلقة ، و قد يحدث فى بعض الأحيان و بعــد نقاش طويل

(١) محمد محمود حجازى : التفسير الواضح

و تدخل الناس بينهما و بوساطة قوية أن يوافق الرجل على طلاقها . و استمرت هذه الحالة إلى الأيام الأولى من الاسلام و مرت فترة طويلة إلا و نسمع ذلك النداء الربانی يجلجل فی كل ناحية منادياً المؤمنين بهذا النداء الآية ۲۳۱ من سورة البقرة الآنفة الذكر .

لقد عالج القرآن الكريم خطوات الطلاق كلها و لم يترك مجالا للتلاعب بهذا الحق . اقرأ مثلا من الآية ۲۲٤ إلى الآية ۲۳۷ من سورة البقرة والآيات الأولى من سورة الطلاق تجد فيها كثيراً من الأحكام المتعلقة بالطلا

المثال الآية ۲۲۸ من سورة البقرة التی نقتبسها أدناه كيف

الكريمة تلك المسألة العويصة .

« و المطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ، ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله فی أرحامهن إن كن يؤمن بالله و اليوم الآخر و بعولتهن أحق بردهن فی ذلك إن أرادوا إصلاحاً و لهن مثل الذی عليهن بالمعروف و للرجال عليهن درجة و الله عزيز حكيم » .

هذا الحكم حكم المرأة المطلقة هو للمرأة التی تحيض لا هی كبيرة يائسة من الحيض و لا هی صغيرة لا تعرف الحيض بعد ، يجب أن تكون حرة وغير حامل فحكمها هو يمتد ثلاثة قروء أما من لا تحيض فتعتد ثلاثة أشهر ، والحامل عدتها وضع الحمل و الأمة عدتها قرءان .

و يجب عليها ألا تكتم شيئاً مما فی رحمها من حمل أو حيض أن تستجيب إلى طلب زوجها بالرجعة بشرط أن يكون المقصود بها الاصلاح والخير لهما لأن الاسلام حريص على بقاء رباط الزوجية .

أما الزوجة التی توفی عنها زوجها فعدتها أربعة أشهر و عشرا ، لماذا يا ترى

هذه التفرقة فى المعاملة بين الزوجين تسمحون للرجل أن يتزوج بعد طلاقه لامرأته أو وفاتها مباشرة و تقيدونها لتبقى ثلاثة قروء أو ثلاثة أشهر و عشراً أو أربعة أشهر و عشراً ؟ .

السبب فى ذلك بسيط كل البساطة : إن المرأة هى التى تكون حاملا وليس الرجل ، ولكى لا يكون هناك اختلاط فى الرحم أوشبهة فقد أعطى الاسلام هذه المهلة للمرأة ليتبين الحمل خلال المائة يوم من يوم طلاقها و أعطاها مهلة شهر أكثر من مدة الطلاق ـ وذلك بعد وفاة بعلها لأن فيها ما فيها من الأمور المعقدة مثل الميراث و ما يترتب عليها من مسائل . اقرأ الآية ٢٢٨ من سورة البقرة مرة ثانية تجد فيها النص الربانى : « و لا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله فى أرحامهن إن كن يؤمن بالله و اليوم الآخر وبعولتهن أحق بردهن فى ذلك إن أرادوا إصلاحاً » لترى التربية الربانية .

يجب أن تكون الحياة العائلية حياة رخاء و تفاهم وطمأنينة و وئام فاذا حدث أى شئ يعكر و يعرقل صفو هذه الأمور ، يجب أن تتخذ أربع خطوات بصدد المشكلة التى سدت العرقلة هذه ، والخطوات الأربع هى : (١) النصيحة الشفوية (٢) توقيف العلاقة الزوجية (٣) الضرب البسيط (٤) تشكيل المجلس العائلى لحل الخلافات التى نشبت بينهما .

لا يجب على أحد الزوجين أن يفقد توازنه و وعيه أو أن يغضب و أن لا تكون هناك مضايقة أو تهكم أو استهزاء بينهما يلزم كل واحد منهما أن يكلم الآخر أمام الأجانب ولا يذكّر أحدهما الآخر من أخطائه الماضية لأنها تكون عادة قد مر عليها دور النسيان و أصبحت نسياً منسياً و يجب على كل واحد منهما أن يتذكر أن الله معهما و هو يعرف ما نعلن و ما نخفى .

العالم الإسلامي

★ صور و أوضاع

★ ياشباب الاسلام

★ رابطة العالم الاسلامى تستنكر تصريحات الخومينى

★ مؤتمر الاعلام الاسلامى تعقده رابطة العالم الاسلامى فى اندونيشيا

★ « رجال الفكر و الدعوة » المجلد الرابع .

ما هكذا تورد يا سعد الابل

بقلم الأستاذ محمد ا

لقد عرف المسلمون الأولون الجوهر الحقيقى من حياتهم بفضل الهداية الربانية السمحاء التى نقلها إليهم رسولهم العظيم محمد ﷺ فوضعوا نصب عيونهم مبادئهم ومثلهم و آثروا النفع الآجل الكبير على النفع العاجل الحقير ، ورفعوا راية الحق و الكفاح و جسدوا فى ذلك حياتهم ، فنالوا ما يستحقونه على ذلك من النجاح و التقدم والمجد ، و فتحوا العالم بجهادهم حيناً و بارشادهم حيناً آخر ، و لم يكن زحفهم الكاسح المقدس لتصده أو تحول فى طريقه أى طاقــــة من الطاقات البشرية المعاصرة وبقى لهم هذا العز و السلطان قرونا عديدة من الزمان ، و لانزال نحن إلى اليوم فى أطراف عالمنا الاسلامى و غير الاسلامى نجنى ثماره و نأكل من ذلك المجهود ، وليست كرامتنا فى نفوس غيرنا مع كل ضآلتها إلا مقتبسة من تلك الكرامة القديمة و منسوبة إليها .

ولكن هل ينفعنا هذا العز و المجد و السلطان الذى بلغ إلى آخر حد من الضعف و الوهن لبعد المسافة التى وقعت بين ماضى أسلافنا و حاضر أمتنا ، إنها

مسافة ليست ممتدة فی السنين و الأزمان كما هی ممتدة فی الأخلاق و مبادیء الحياة إنما كان ديدنهم الجد والصرامة والعمل وأما ديدننا فهی الغفلة والتهاون والكسل.

لقد بدأت أوربا منذ عدة قرون تتنبه علی تخلفها فی مجالات الحياة ، فبدأت تهتم بجانب الجد و الكفاح و ذلك فی الوقت الذی بدأنا نحن المسلمين فی التهاون و الاهمال فما تعاقبت عليها و علينا قرون إلا بلغت هی إلی منتهی القوة و التقدم و الرقی وبلغنا نحن إلی الحضيض فی كل ذلك ، إنها و إن لم تكسب فی انتصاراتها المادية خيراً فی دينها و ذلك أعظم حرمان لها من الخير السرمدی الدائم، و لكنها كسبت كل خير فی ماديتها ودنياها ، أما نحن فقد خسرنا فی كلا الجانبين فلا علی ديننا حافظنا ولا علی قوتنا أبقينا ، لقد خسرنا فی معركة الحياة مع أن تاريخنا الماضی حفز دائماً ويحفز هممنا ويهز مشاعرنا ، و أما أوربا فليس لديها تاريخ قريب يحفز هممها أويهز مشاعرها ، ولكنها قامت بحساب دقيق لأمور دنياها و جدت كل اهتمامها و جهدها فی خير مجالاتها وهو مجالان للعلم و الصناعة ومكنت أوربا علی ترقيتهما و استغلالهما غير مقصرة فی ذلك عن بذل كل طاقاتها و لا واقفة دون الوصول إلی أبعد مدی فيهما ، فنالت بذلك من تحقق آمالها ما يصعب علی التصور وجنت بها قوة عظيمة من الطاقات المادية ، وثراء طائلا من المال و وسائل الراحة وعزاً وسلطاناً مما له شوكة ومهابة عظيمة .

أما الأمة الاسلامية ذات التاريخ المجيد السابق والعز التليد الماضی فبالعكس من أوربا أصبحت تعانی كل ذلة و خسارة بتأثير ما قضته وتقضيه من حياة الغفلة و التهاون و عدم التعقل للأوضاع التی تحيط بها و الحقائق التی لا يمكن غض البصر عنها ، و منها سقوط أرض فلسطين المقدسة فی أيدی اليهود وهم الذين عرفهم الناس فی تاريخهم الأخير بكل مهانة وضعف ، ولكنهم عندما قاموا بالمعركة

مع المسلمين كانوا أكمل عتاداً وأقوى نظاماً وأشد اهتماماً بالمصالح الكبيرة الأساسية من هؤلاء المسلمين الكثيرين الذين كانوا يحيطون بدويلة اليهود الصغيرة الدخيلة ، ولكن الانتصار ليس تأثيراً لواحد إلى الأبد إنما هو تابع لجانب الجد و الاستعداد و النظام فكان لأصحابه ، ولم يكن لأصحاب التهاون و الأحلام إلا الهزيمة .

لقد أمر القرآن الكريم المسلمين بكل استعداد لمواجهة الأعداء و هو قوله « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » .

وقد ورد فى الحديث الشريف تسلحوا بأسلحة أعدائكم
أن نتخذ هذين الارشادين الجليلين القاعدة و الأساس الكل
مهما منطلقنا إلى الجهاد مع عدونا ، فهل فعلنا ذلك ؟ حتى
الكراء على يد إسرائيل .

إن بلاد الاسلام بما فيها البلاد المحيطة باسرائيل لا تزال إلى اليوم تعيش حياة الراحة و الترهل و التهاون فى الوقت الذى لا يقصر عدوها فى اختيار حياة الجد و الحزم و العمل ، إن كل شئ فى بلاد الاسلام يدل على أنها بلاد لم ترزأ فى كرامتها ، و لم تخسر معركة من معاركها ، ولم تر العار فى حياتها ، فلا نجد فيها إقبالا على الاعداد القوى ، والتفانى فى سبيل التربية و الاحكام و السعى فى طلب الاكتفاء الذاتى فى المعدات والعتاد وفى كل ما تتطلبه حياة الأمة من واحات المعيشة والقناعة بالقليل وبما لديها مستغنية عن الكثير الذى هو لدى غيرها ، بل إننا نجدها بالعكس من ذلك غارقة فى صور من الحياة كانت أكبر سبب للهزيمة أمام العدو ، إن أمة الاسلام تريد الانتصار ، ولكنها لا تستطيع أن تغير من صور حياتها التى أتت عليها بكل بلاء وأفضت بها إلى الهزيمة و العار .

أوردها سعد و سعد مشتمل ما هكذا تورد يا سعد الابل

يا شباب الاسلام

الأستاذ عصام العطار

يا شباب الاسلام فى سوريا و فى كل مكان من الأرض .

يا طلائع الحق و العدالة و الحرية و الكرامة و الجهاد .

يا طلائع الاسلام العظيم .

إنى أتوجه إليكم فى هذه اللحظات الخطيرة من تاريخ الاسلام و المسلمين فى سورية . . هذه اللحظات التى يذبح فيها إخوانكم وآباؤكم ، و تنتهك فيها أعراض أمهاتكم و أخواتكم ، و يداس فيها قرآنكم بالأحذية و الأقدام . . هذه اللحظات التى بلغ فيها الحكم الطائفى العميل ذروة إجرامه و عدوانه و شراسته للقضاء على الاسلام و المسلمين الصادقين ، و على كل قيمة من القيم العليا ، و على كل إنسان حر كريم ، و لارهاب الشعب - كل الشعب - فى الداخل و الخارج ، بالمذابح الجماعية ، و التعذيب الوحشى ، و التمثيل المشبع و بالأحياء و الأموات ، و قتل الشيوخ والنساء والأطفال واغتيال المعارضين من كل اتجاه . . حتى لا يرتفع صوت حر يكشف الحقيقة و يعرى الطاغوت و يحفز إلى التحرر و الخلاص . . و لا يبقى إنسان حر يرفض العبودية والاجرام و الفساد و الخيانة المكشوفة أوالمستترة و المتاجرة بالبلاد و العباد فى أسواق الغرب و الشرق .

يا شباب الاسلام فى سورية و فى كل مكان . . إنى أتوجه إليكم جميعاً دون تمييز . . أتوجه إليكم حركيين و مستقلين ، أفراداً وجماعات . . أتوجه إليكم بقلبى و فكرى و كلماتى و كل كيانى ، وأدعوكم دعوة خالصة لله عز و جل : أن ترتفعوا فى هذه اللحظات الرهيبة الحاسمة فوق الصغائر و الأهواء المفرقة ، فوق المخاوف

والشدائد ، فوق المطامع و المنافع التى تقعد بكم و تصرفكم عن الواجب الاسلامى الكبير ، و عن الجهاد المفروض فى سبيل الله عز وجل .

يجب أن ترتفعوا يا شباب الاسلام فى هذه اللحظات إلى مستوى إسلامكم و مهمتكم و عصركم ، و إلى مستوى حاجة الاسلام و المسلمين فى معركتهم المصيرية المقدسة ضد الطغيان و الطاغوت فى سورية و فى سائر أنحاء وطننا الاسلامى . . ويجب أن تكونوا كلكم معنا فى معركتنا الاسلامية و التاريخية الراهـــنة فى سورية لتحطيم الدكتاتورية الطائفية الاجرامية العميلة ، و إقامة الحياة الا الاسلامى الذى يحرر أبناء أمتنا و وطـنا المظلومين المستضعفين ا أو غير مسلمين ـ من العبودية و الهوان و الظلم و الحرمان و لهم جميعاً الحرية و الكرامة و العدالة و الأمن . . و يحرر أمتـــا و التبعية الغربية و الشرقية ، و يمكنها من أداء دورها العتيد فى خدمـــة قضية الحق و العدالة و الايمان و الانسان فى هذا العالم و العصر .

أما أنتم أيها الحكام الطائفيون . . أما أنتم أيها القتلة المجرمون . . أما أنتم أيها اللصوص الفاسدون . . أما أنتم أيها الفجرة الخونة المستهترون . . أما أنتم الذين تهددون و تتوعدون ثم تهددون و تتوعدون . . فاننى أتحداكم .

أتحداكم فى كل مكان و كل ميدان . . و أتحدى عناصر القتل و الاجرام التى تبثونها فى كل مكان .

إنى على استعداد للموت ألف مرة ـ و ليس مرة واحدة فحسب ـ لينتصر الاسلام و يتحرر الانسان .

إن استشهدنا ـ يا جاهلون ـ يرفعنا ذلك إلى جنة الخلد ، ويهوى بكم ـ يا مجرمون ـ فى دركات الجحيم .

فاقضوا - أيها الفراعنة الصغار - ما أنتم قاضون ، إنما تقضون هذه الحياة الدنيا . . و النصر فى النهاية للاسلام ، و لنا أو لمن بعدنا بالاسلام .

و سننتصر باذن الله . . و سينتصر بنا الحق و العدل والخير فى بلادنا و فى الدنيا ، و سينتصر بنا الانسان حيثما كان .

و ما النصر إلا من عند الله ، إن الله عزيز حكيم .

★ تلقت مجلة البعث الاسلامى برقية الاستنكار التالية من معالى الأمين العام لرابطة العالم الاسلامى :

اطلعت رابطة العالم الاسلامى على ما نشرته جريدة « الرأى العام » الكويتية فى عددها الصادر يوم الاثنين الموافق ١٧ شعبان ١٤٠٠هـ ٣٠ حزيران يوليو ١٩٨٠ على صفحتها الأولى تحت عنوان « الخمينى يقول » المهدى المنتظر سيظهر ويحقق ماعجز عنه جميع الأنبياء حتى النبى محمد ﷺ . و نصه :

إن الأنبياء جميعاً جاؤا من أجل إرساء قواعد العدالة فى العالم و لكنهم لم ينجحوا و حتى إن النبى محمداً خاتم الأنبياء الذى جاء لاصلاح البشرية و تنفيذ العدالة لم ينجح فى ذلك فى عهده وإن الشخص الذى سينجح فى ذلك ويرسى قواعد العدالة فى جميع أنحاء العالم ، و يقوم الانحرافات هو الامام المهدى المنتظر » (جاء ذلك فى الكلمة التى وجهها الخمينى فى ١٥ شعبان ١٤٠٠هـ وأذيعت من راديو طهران)

و حيث إن هذا التصريح المنسوب إلى الخمينى يعارض معارضـــة صريحة للعقيدة الاسلامية و مبادىء ديننا الحنيف فان رابطة العالم الاسلامى تستنكر بشدة هـــذه التصريحات لما تحويه من مناقضة صريحـــة للاسلام ، و ما جاء به القرآن الكريم والسنة المطهرة و ما أجمع عليه أئمة المسلمين و علماؤهم . . كما أنه لم يصدر تكذيب أو نفى لهذه التصريحات من طهران رغم ما تحويه من إنكار لتعاليم الكتاب والسنة

و إجماع الأئمة من أن نبينا محمداً ﷺ هو خاتم الأنبياء و المرسلين و هو المصلح الأعظم للبشرية جمعاء ، حيث أرسل بأكمل الرسالات وأتمها قال تعالى « اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتى و رضيت لكم الاسلام ديناً » .

و قال تعالى مخاطباً نبيه ﷺ « و ما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » و قال عليه الصلاة و السلام ، « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا أبداً كتاب الله و سنتى » .

و قال عليه الصلاة والسلام « تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك » .

نسأل الله سبحانه و تعالى أن يجنبنا مزالق الفتن ما ظهر منها و ما بطن وأن يرشدنا إلى طريق الصواب و يلهمنا سبيل الرشد و لا حول و لا قوة إلا بالله العلى العظيم .

★ رابطة العالم الاسلامى تعقد مؤتمر الاعلام الاسلامى الأول فى مدينة جاكرتا عاصمة إندونيسيا فى الفترة بين ٢١ - ٢٧ شوال ١٤٠٠ﻫ الموافق ١ - ٧ سبتمبر ١٩٨٠م ، وجهت دعوة للحضور فيه إلى رجال الفكر الاسلامى و رؤساء الصحف الاسلاميـــة ، و المعنيين بالدعوة الاسلاميـــة و الاعلام الاسلامى فى العالم ، كما وصلت الدعوة للحضور فى المؤتمر إلى سماحة مولانا الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى عضو المجلس التأسيسى للرابطة و رئيس ندوة العلماء العام .

و تلقت مجلة البعث الاسلامى دعوة للحضور فى المؤتمر ، و يرجى أن يمثلها فى المؤتمر رئيس تحرير المجلة .

★ أصدر المجمع الاسلامى العلمى المجلد الرابع لكتاب « رجال الفكر والدعوة » لسماحة الشيخ السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى ، وهذا الجزء يختص بحياة الامام الربانى مجدد الألف الثانى الشيخ أحمد بن عبد الأحد السرهندى (م ١٠٣٤ﻫ) ذلك الرجل

العظيم الذى قيضه الله سبحانه وتعالى لمحاربة البدع والأفكار الزائفة الالحادية التى انتشرت فى الهند أيام الامبراطور المغولى جلال الدين « أكبر » ، الذى عرف بمروقه عن الدين ومحاربته الاسلام و الأفكار و العقائد الاسلامية ، و تولى نشر الهندوسية و الكفر فى أيام دولته ، وكان قد زعزع بنيان الدين الحنيف فى عهده ، و أساء ظن المسلمين بعقائدهم مع انتصاره للعقائد الهندوسية ونصره لأئمة الكفر والزندقة ،

هنالك ظهر الامام الربانى مجدد الألف الثانى و قام باصلاح واسع فى مجال تجديد الدين الاسلامى فى الهند ، و لم يصبر حتى عاد الأمر إلى نصابه و الماء إلى مجاريه .

ذلك هو الامام الربانى الذى لا يعرف عنه الناس كثيراً فى خارج الهند ، و لا يزالون يجهلون مواقفه الجريئة وعمله الاسلامى الضخم فى تاريخ الهند الدينى .

و الكتاب باللغة الأردية ، و سينقل إلى اللغات العالمية الكبرى مثل العربية و الأنجليزية باذن الله تعالى ،و سوف ننشر حلقات الكتاب معربة على صفحات « البعث الاسلامى » من العدد القادم ، إن شاء الله تعالى .

العدد القادم

العدد القادم سيصدر باذن الله تعالى فى شهر ذى الحجة الحرام و سيكون ذلك عدد محرم ١٤٠١هـ إن شاء الله ويحتوى على مواد إسلامية ، و أخرى على ما يتعلق بالقرن الخامس عشر الهجرى الجديد ،

نرجو قراءنا الكرام أن لا يترقبوا المجلة فى الشهر القادم ، و إلى اللقاء باذن الله تعالى .

التحرير

أبو الحسن الندوي

إلى الإسلام من جديد



ندوة العلماء لكهنؤ

البعث الإسلامي

[illegible] الوحيد

الى الإسلام من جديد





تصدرها : ندوة العلماء ، لكهنؤ (الهند)

البعث الاسلامي
شهرية اسلامية جامعة

انشأها فقيد الدعوة الاسلامية
الاستاذ محمد الحسني (رحمه الله)
في عام ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م

رئاسة التحرير :
سعيد الاعظمي الندوي
واضح رشيد الندوي

المراسلات :
البعث الاسلامي
ندوة العلماء ص ب ٩٣
لكهنؤ — الهند

المنهج الاسلامى

المنهج الاسلامى ، منهج مستقل ، منهج مختلف ، منهج أصيل ليس بينه وبين المناهج الوضعية وجه شبه أونسب ، فبينما المناهج الأخرى أوالديانات السائدة الأخرى . تختلط مع الشعوب البشرية الهائمة فى سوق المادة والمعدة ، وتجتمع معها على مائدة واحدة ، . تتمتع معها بملذات الحياة المحرمة بحرية تامة ، نرى الاسلام يعصا [illegible]
من أول الطريق [illegible]
على دين الله واستمساكا [illegible]
الباطلة و الدعوات الم[illegible]
عما جاء فى الحديث الشريف من [illegible] اليهود والنصارى و التشديد على النهى عن متابعتهم ولو فى الأمور العادية البسيطة « و تحسبونه هينا و هو عنـد الله عظيم » .

محمد الحسنى (رحمه الله)

المجلد الخامس والعشرون
25(4)

العدد الرابع
محرم ١٤٠١هـ
نوفمبر و ديسمبر ١٩٨٠م

Nadwat-ul-Ulama
Po. Box 93
Lucknow (India)

في هذا العدد

القرن الخامس عشر الهجري الجديد قرن الاسلام من جديد — سعيد الأعظمي — ٣

التوجيه الاسلامي

الايمان بالغيب أهم أساس لحياة المسلم — فضيلة الشيخ عبد السلام القدوائي الندوي — ١٠
محنة عظيمة وعقوبة كريمة — سماحة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي — ١٧
موقف الاسلام من العلم — الدكتور محمد معروف الدواليبي — ٢١

الدعوة الاسلامية

رسالة السلام في دين الاسلام — العلامة الدكتور السيد سليمان الندوي — ٣٠
رزايا الانسان في المجتمع المعاصر — سماحة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي — ٣٨
عاهة الشيوعيـــة — بقلم المرحوم الاستاذ عبد الحسني — ٤٨

دراسات و أبحاث

بحث قيم في التوحيد و مفهومه و أنواعه — للعلامة عبد الحي الحسني مدير ندوة العلماء السابق — ٥٣
ردود على شبهات حول شئون احتمالية — الدكتور عبد الكريم زيدان — ٦١

الفقـــه الاسلامي

شبهات حول الفقه الاسلامي — محمد صدر الحسن الندوي — ٦٨
حكم المصافحة و السلام على الامام بعد الصلاة — الأخ محمد منير قمر — ٨٠

المـــــــرأة

المرأة قبل الاسلام و بعده — الأستاذ سعيد بن عبد الله سيف الحاتمي — ٨٢

صور و أوضاع

مصانع حربية لانتاج معدات المخابر الآلية — واضح رشيد الندوي — ٨٨

العـــالم الاسلامي

مؤتمر الاعلام الاسلامي الأول بجاكرتا — ٩٣
يا شعبنا المؤمن الأبي — ٩٦
الدكتور أحمد الشرباصي الى رحمة الله — ٩٨
فضيلة الشيخ فخر الحسن في ذمة الله — ٩٩
المحامي ظفر أحمد الصديقي في ذمة الله — ١٠٠

بسم الله الرحمن الرحيم

القرن الخامس عشر الهجرى الجديد

* قرن الاسلام من جديد

من خلال أحداث خطيرة سجلها التاريخ على مدى الأشهر الأخيرة لعام ١٤٠٠هـ يطلع علينا القرن الهجرى الجديد .

فان حادث تهويد القدس وتحويلها إلى عاصمة يهودية أبدية أخطر موجات النكبات و المآسى التى مرت على المسلمين .

و التى كانت سبباً مباشراً لا سراع بعض الجهات المسؤلة فى العالم العربى [illegible] إعلان الجهاد ضـــد إسرائيل ، و قبل أن ينال هذا الاعلان الهام طريقه إلى التنفيذ قرع آذان المسلمين نبأ صدامات مسلحة بين إيران و العراق [illegible] استمرت إلى مدة غير قصيرة و تحولت إلى حرب ساخنة دموية أدت إلى خسائر فادحة من كل نوع ، هذا بالاضافة إلى حالة ذعر نفسى و توتر عصبي كانت تسود على عـــدة دول إسلامية ، وعاشها المسلمون فى وضع متحير بين مقاومة باسلة ، و روح ثائرة من الجهاد و الشهادة .

من خلال هذه الأحداث القاسية وأخرى غيرها ، يطلع على الأمة الاسلامية القرن الخامس عشر الهجرى الذى ترقبه الأمة منذ فترة طويلة ، وتعلق به آمالا و أحلاما ، و تتمنى أن تستقبل فيه رسولا للأمن و السلام وسفيراً [illegible] و تجد فيه قائداً إلى ساحة العز و السعادة و منطلقاً نحو الاسلام من جديد

و لا يسعنا بهذه المناسبة التاريخيـــة العظيمة أن نتناسى ما حدث فى الحرم المكى الشريف مع مطلع العام الهجرى الجديد ١٤٠٠ هـ من اعتـــداء خارق على يد شرذمة قليلة من المسلمين المنحرفين اتخذتها الجهات المتآمرة آلة لانتهاك حرمة أقدس المقدسات التى ينتمى إليها المسلمون فى العالم كله عاطفـة و إيماناً . و بمجرد انتزاع هيبة هذا الحرم العظيم وإخراج قدسيته من قلوبهم يمهد لها الطريق إلى تحقيق مآربها الخبيثة فيما زعمت ، غير أن هـذه العملية الحمقاء التى أشبهت فى النوايا السيئة بعملية « أبرهة » المخبول ، لم تصمد أمام إرادة الله إزاء بيته ومع حرمه ، وباءت بالفشل الذريع ، ولقى المجرمون مصايرهم من غير تأجيل فى القضية .

ولكن المؤامرة ضد الغيرة الدينية لم تنته باسدال الستار على المسرحية الفاشلة وتجربة الحرم الشريف بل تنوعت وتوسعت وأكب الخبراء المتخصصون فى هذا الفن على تعميق جذورها و تمديدها بحكمة بالغة و بألوان مختلفة ، و اتفقت كلمة الدول الشرقية و الغربية على هذه النقطة وتضافرت جهودها فى هذا المجال بالذات . والواقع أن ما تجدد بعد ذلك من أحـــداث الشقاق و النفاق فى صفوف المسلمين ، و ما استحدث من أساليب القمع والارهاب ، والتكتيك الجديد لضرب المسلمين على المستوى العالمى ليس مما يخفى على متابعى الأحداث و متتبعى الحقائق الراهنة .

لقد تزايد هذا النشاط الهدام لدى الغرب والشرق والتركيز على تجريد المسلمين عن ثرواتهم المادية و المعنوية منذ أن برزوا كعنصر مهم جداً على أفق العالم الأممى ودخلت دولهم المنتجة للبترول فى سباق الاقتصاد العالمى كعضو ،له من الأهمية مالا يستهان به . فمن أهم ما أهم الغرب والشرق غير المسلم هو أن يحكم كل واحد منهما قبضته على هاتيك الدول ويضعف سلطانها على منابع ثرواتها وخيراتها ، ورغم أنه لا يملكها و لكنـه يحاول أن يتصرف فيها و يمتلك زمامها الاقتصادى فيملى عليها إرادته فى ضوء مصالحه ، مع إضعاف ثقتها بالدين وصلتها بمنبع القوة وإقصائها عن

مركزه الأصيل فى الحياة الاجتماعية والسياسية من غير أن تشعر هى بأى شئ من ذلك

و لو لا أن الغرب والشرق لقيا نجاحاً كبيراً فى مخططاتهما ضد الاسلام والمسلمين لم يوجد هناك فى العالم الاسلامى بوجه خاص تلك البلابل الفكرية والقلاقل الاجتماعية والسياسية . ولم تشغل شعوبه ثورات واشتباكات . ومعارضات على المستوى الشعبى ضد الحكام المتطرفين وتصفية العناصر الحرة من الجماهير المسلمة بأمر من هؤلاء الحكام . إلى غير ذلك من مكيات محزبات . مما يتنكس له رأس الحياء ويتندى له جبين الغيرة

هذا وهناك جوانب أخرى عديدة شغلت أفكارها و قوا

وطاقاتنا من و جهتها الصحيحة إلى ما لا يهم المسلم من أمو

نفعاً فى أى مجال حيوى . و كان ذلك خسارة لا تعوض

المريضة إلى أجزاء الجسم الصحيحة ، وأغلقت عليها أبواب الحد

و الصدق و العفاف . و النزاهة و السمو ، والفضيلة و الورع . و بالتالى أبعدت المرء المسلم عن مكانته الحقيقية ، و أوهت علاقته بالانسان . و الكون و الحياة . و حولتـه إلى كائن مادى بحت . لا يهمه إلا المعـدة و المال ، و لا يتسع نفسه الجشعة إلا غذاء مادى ، ولا يفكر إلا فى أساليب الاقتصاد والتجارة التى تدر عليه أرباحاً لا تنتهى . و تغدق عليه قناطير مقنطرة من المال و المتاع .

و لكن الاسلام حينما يشجع حماة الجد و الكفاح و يطالب المسلم بالكسب الحلال و الاشتغال بالتجارة و أمور المعاش فانه لا يبيح الاسراف فى كسب المال و لا يرضى بادخار الكنوز . وإنما يطالب بالاقتصاد فى كل ذلك . و يحث على الاتزان فى الأمور الدينيـة فضلا عن أمور الدنيـا ، إنه يذم البخل و الجشع و النهامة الزائدة فى الجانب المـادى ، و يترقب أن يرى المسلم عادلا متزناً لا فيما يتعلق بدينه و حسب ، بل فيما يتصل بحياته المادية ، و قد أشار الرسول ﷺ إلى

هذا الجانب المهم فيما روته كتب السنة فى معنى القصد و العدل و تأمين الأرواح و الأموال ، و صيانة الحقوق من كل نوع ..

ومن ثم فما أجدر بالأمة الاسلامية وهى تسعد باستقبال القرن الهجرى الجديد - وهو حدث تاريخى غير عادى لا يقاس على أحداث التاريخ العادية - وتعلق به آمالا ضخمة فيما يجدد النشاط والقوة ويعيد إلى المجتمع الانسانى الاعتبار والقيمة . أن تدرس حياة صاحب الهجرة ﷺ من جديد ، تدرسها من زاوية الحياة الجديدة و فى ضوء ما يمر به العالم المعاصر و يواجهه من قضايا ، و أحداث و تحديات وفلسفات ، عسى أن تجد فيها ضالتها ، فتسعف الأجيال و الشعوب التى تعانى من صراع نفسى شديد ، وتسعى باحثة عن علاج لأدوائها التى استعصى عليها دواؤها .

إن هذا العالم الحديث لا يختلف فى التيه و الحيرة عن العالم القديم الذى سبق الاسلام و عاش فى ظلام و جهل و فوضى ، فاذا كانت الديانات و أصحابها لم يتمكنوا من إخراجه من ذلك الظلام قديماً فان الأيدلوجيات الجديدة والفلسفات العلمية الحديثة لم تتمكن من تحويل العالم الحديث أمناً وهدوءاً ، و من توجيه سعادة و طمأنينة إليه ، أما العلم الحديث و الصناعات العملاقة والابداعات الواسعة المدى فأى شئ من ذلك لم يوفر له راحة نفسية ، و إن كان فيها توفير للوقت و لكن ذلك لا يغنى عن الخواء الروحى والشقاء اللازم للانسان الغربى ، و لمن على شاكلته من أهل الشرق الاسلامى .

و مثل هذا الوضع الخطير الذى يعيشه عالمنا المعاصر يحتم على دعاتنا و على المعنيين بالعمل الاسلامى أن يركزوا تركيزاً قوياً على دراسة هذه السيرة العظيمة ونشر ظلالها الوارفة على المجتمعات الانسانية الضاحية تحت شمس الحضارات الرائفة والمدنيات الضائعة ، ففى تعاليم الرسول ﷺ وتجارب حياته غنى عن التعاليم الوضعية والنظريات

الكاذبة . و فيها حل شامل لجميع ما يتعرض له العالم من المشكلات و الأزمات الخلقية والمادية التى تهدده بالفناء والدمار إن لم يتخلص منها فى أسرع فرصة ممكنة .

فى حياته الطيبة الكريمة أسوة حسنة للسلم قبل كل واحد ، فيها نموذج مثالى عظيم للحياة الانسانية السعيدة للانسان الناجح السعيد . وبها مثال كريم خالد للذين يتمنون السعادة و الهدوء ، و يتوحون لذة الحب و الايمان . و يبحثون عن نعمة العز والعافية . فيها أسوة لكل نوع من الانسان ، وقدوة كاملة للانسان الكامل من جميع النواحى ، للانسان العبد الذى يتمتع بالحب الخالص لله . و للانسان الأب و الأخ و الزوج و المحب و المربى . و المجاهد و الجندى . و القائد

والسيد ، والصديق والرفيق . والهادى وحدث عن البحر و
فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله و اليوم الآخر

حاجة المسلم اليوم إلى حياة النبى ﷺ والتأسى بأسوته ـــــ

غيره إليها ، فان ما قـــد ألم بالمسلمين من الضعف و الخذلان و التأخر و التفرق مرده هو ابتعادهم عن سيرة الرسول ﷺ و تناسيهم نعمة الله التى أتمها عليهم عن طريقه عليه الصلاة و السلام ، و امتن بها عليهم باعلانه الصارخ الدائم فقال « اليوم أكملت لكم دينكم ، و أتممت عليكم نعمتى ، و رضيت لكم الاسلام ديناً » و اقترنت بها نعمة الأخوة الاسلامية و الوحدة و الألفة التى ذكرهم بها و طلب منهم أن لا ينسوها فى زحمة المسئوليات و صراع الحيـاة . فقال « و اذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءاً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً و كنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها » .

و كلما أغفل المسلمون نعمة الله هذه الكبرى وطووها فى ذيل الغفلة والنسيان عادوا إلى سيرتهم الأولى من التنـاحر و التصارع و تفرق الكلمة و تمزق الوحـدة و تشتت الشمل ، و ارتموا إلى أحضان الجاهلية فبدرت منهم أفاعيل ، و صدرت

منهم أمور تعجز عن تأويلها العقول ، وحتى اتخذوا أعداء الله أولياءهم ، ولم يروا أى عار فيها إذا باعوا ضمائرهم و دينهم بثمن بخس دراهم معدودة ، و ارتضوا بأن يتخذهم الناس وصلة لتحقيق مآرب خسيسة ، أو التآمر على سلامة بلد مسلم أو على صيانة عقيدة دينية .

هنا العبرة للمسلم قبل كل شخص فى هذه الحياة العطرة ، سيما و هو يستقبل القرن الهجرى الجديد ، و يذكر حدث الهجرة وما والاها من انتصارات وما اتصل بها من مجهودات كفاحية فى سبيل دعم المبادىء الخلقية ، فقد كان الرجل المسلم قد خطا حينذاك نحو التمكن و الاستقرار و القوة و الايمان بخطى حثيثة واسعة ، و خرج من مرحلة المراهقة الفكرية إلى مراحل النضج و القوة و الاكتمال . و آذن الله باكمال الدين و إتمام النعمة و الارتضاء بالاسلام للأمة الاسلامية وبشر النبى ﷺ بذلك أصحابه وأمته و قرأ عليهم قول الله تعالى « اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام ديناً » فلما سمع به اليهود قالوا يا معشر المسلمين لقد نزلت عليكم آية لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً .

و كلما أعيدت قصة الهجرة النبوية الكريمة و جعلت أحداثها و أخبارها و آثارها موضوع الحديث و مبنى المناسبات تجلت أمام الأعين تلك الحياة النبوية و تمثلت ذكرياتها بجميع ما فيها من عبر و دروس ، و توجيهات و تعليمات لبناء الحياة السعيدة ، والمجتمع المثالى ، ونشر معانى المودة و الاخوة و الحب والسلام ، و القضاء على جوانب الشقاق و الفرقة والانقسام . وتغيير عوامل الفساد والعداوة و الخصام بعوامل الصلاح و الحب و الوئام .

و ما أحوج عالمنا المعاصر إلى مواصفات الحياة الكريمة السعيدة و خصائص الانسان الكامل العظيم ﷺ ، ففى سيرته كفاية للانسان فى كل حال و فى كل زمان و مكان ، و فيها حلول ناجعة لجميع ما يجتازه من مشكلات و ويلات .

فهلا انتهزنا فرصة افتتاح القرن الهجرى الجديد لدراسة سيرة صاحب الهجرة و هلا جعلناه قرن الاسلام من جديد ؟

سعيد الأعظمى

التوجيه الإسلامي

الايمان بالغيب أهم أساس لحياة المسلم

فضيلة الشيخ عبد السلام القدوائى الندوى

« معرب »

هناك نقطة مهمة يجب أن لا تفوتنا فى أى حال ، و هى أن الايمان بالغيب فى الحقية أساس الايمان بالرسول ، لأننا إذا كنا قد آمنا بالغيب بمشاهدة من عالم الغيب لكان ذلك إيماناً بالرؤية و المشاهدة و لم يكن إيماناً بصدق الرسول ﷺ ، و قد طالب كفار قريش مرات و كرات بتمثيل عالم الغيب لهم لكى يقروا بما يقال لهم عنه ، و لكن قيل لهم أن يؤمنوا بالغيب برؤية ما أمامهم من عالم المشاهده ، و أن حياتهم نفسها و تجاربها توفر لهم يقيناً و إيماناً بالغيب بشرط أن يتأملوا بجدية و يتفهموا الحقيقة ، و قد بعث الله إليهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آيات الله و يزكيهم ، و كشف عليه حقائق من أمور الغيب حتى يخبرهم بها و يزيل عنهم الشبهات التى تثار حولها .

يا معشر قريش لقد عاش الرسول الكريم بينكم مدة طويلة فاطلعتم على جميع أحواله و قضاياه ، و جربتم عليه الصدق والعفاف و الأمانة و الطهر ، و الاخلاص مدة أربعين سنة ، وكنتم تثقون فى فهمه و عقله و ذكائه ، وتسلمون أحكامه فى القضايا من غير تردد ، فلماذا لا تؤمنون اليوم بما يقول و يخبر به أليس من المعقول الآن أن تسلموا ما يقول . و أن تؤمنوا بمشاهداته و تجاربه إزاء مشاهداتكم و تجاربكم . و تيقنوا أن ما يقوله لكم إنما هو حقيقة واضحة لا يتطرق إليها شك .

و کلما کان الایمان بالغیب قویاً کلما کانت حیاة المؤمن هادفة قویة و سعیدة ناجحة فی هده الدنیا ، و قد تمیزت حیاة الصحابة رضی الله عنهم فی هذا الشأن إذ کانوا أکثر إیماناً و یقیناً بما أخبر به الرسول ﷺ بازاء مشاهداتهم الشخصیة فکانوا یجهرون أن عیوننا تستطیع أن تنخدع بما تشاهـــد من أحوال و أوضاع إلا أن ما یخبر به رسولنا العظیم ﷺ لیس فیه أدنی شك لأن له صـلة مباشرة بعالم الغیب ، کیف کانت دلائل الیأس و الخیبـــة بادیة فی بدء دعوة الاسلام ، فی الحیاة المکیة ، و لکن صورة الغلبة و العظمة کانت تتجلی علی أفق المستقبل رغم الأحداث القاصمـة . و الأوضاع المضادة التی رافقت النبی ﷺ

و بفضل ذلك الایمان القوی مرت ثلاث عشرة سنة فی مكة
الخاطف . وجاءت الحیاة المدنیة بوظیفة أخری مهمة ، وهی
و إکمال الدین فی جمیع نواحی الحیاة الفردیة و الاجتماعیة .
علی شأنه فی إیمان و ثقـــة . حتی کتب الله له النصر و أعلی ما کمال الدین . ثم استأثرت رحمتـــه بالنبی ﷺ ، و واجه المسلمون تحدیات من القوی المعارضـــة و استیقظت الفتن النائمـــة ، و لکنها دابت و اضمحلت أمام تلك القوة الایمانیة الصامدة التی تظاهر بها خلیفة الرسول ﷺ و أصحابه من بعده .

استعرضوا تاریخ الاســلام الماضی تروا کیف أن الایمان بالغیب یعمل فی مختلف مراحل التاریخ و تطوراته ، وانتصاراته أو غلبته ، تروا أن الذین یؤثرون بیان الرسول ﷺ و أخباره علی مشاهداتهم الذاتیة ویؤمنون بالوحی الالهی أکثر من وحی نفوسهم ، هم الذین یتمیزون بالقوة والایمان ، و أولئك هم الذین نوروا طریق الحق فی الظروف الحرجة و رفعوا لواء الایمان فی الأوضاع السیئة ، ومن أجلهم توصل التائهون إلی الغایة المنشودة ، وإن عقلهم المؤمن النیر البصیر هو الذی وفر الحلول لمشکلات الناس و هداهم إلی الصراط المستقیم .

والصحابة الكرام رضى الله عنهم هم الأمة الممتازة فى هذه القوة الايمانية ، فقد كانوا أكثر إيماناً وأقوى ثقة بعالم الغيب بفضل صحبة النبى ﷺ ، حيث إنه يستحيل لغيرهم أن يبلغوا إلى تلك الدرجة من قوة الايمان ، و لكن إذا وجد هناك من يساويهم فى الايمان ممن يأتى بعدهم فان لهم بشارة نبوية بعلو شأنهم ، فقد روى أحمد فى مسنده عن أبى محيريز ، قال قلت لأبى جمعة حدثنا حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ ، قال نعم أحدثك حديثاً جيداً : تغدينا مع رسول الله ﷺ و معنا أبو عبيدة بن الجراح ، فقال يا رسول الله هل أحد خير منا ؟ أسلمنا معك وجاهدنا معك ؟ قال « نعم قوم من بعدكم يؤمنون بى و لم يرونى » و فى رواية أخرى : حدثنا عن صالح بن جبير قال : قدم علينا أبو جمعة الأنصارى صاحب رسول الله ﷺ ببيت المقدس يصلى فيه ومعنا يومئذ رجاء بن حيوة رضى الله عنه فلما انصرف خرجنا نشيعه فلما أراد الانصراف قال : إن لكم جائزة و حقاً أحدثكم بحديث سمعته من رسول الله ﷺ قلنا : هات رحمك الله ، قال كنا مع رسول الله ﷺ ومعنا معاذ بن جبل عاشر عشرة فقلنا يا رسول الله هل من قوم أعظم منا أجراً ، آمنا بالله و اتبعناك ؟ قال « ما يمنعكم من ذلك و رسول الله بين أظهركم يأتيكم بالوحى من السماء بل قوم بعدكم يأتيهم كتاب من بين لوحين يؤمنون به ويعملون بما فيه أولئك أعظم منكم أجراً (١) .

و فى هذا الحديث بشارة للذين يؤمنون بالغيب و يعملون بالكتاب بعظم الأجر مع ما فيه من حث للصحابة الكرام رضى الله عنهم على إكثار العمل الصالح ، و يؤيد ذلك ما جاء فى الحديث من أن النبى ﷺ شبه هذه الأمة بالغيث الذى لا يدرى أوله خير أم آخره ، و القرآن نفسه يشير إلى هذا المعنى فى قوله تعالى « ثلة من الأولين و قليل من الآخرين » .

(١) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٧٤ .

[و يقيمون الصلاة] و اتبع الايمان صفات المؤمن العملية ، و ذكر أن الصلاة أولى هذه الصفات ، لأنها العماد الذى يقوم عليه صرح الدين . و لم يقل إنهم يصلون الصلاة ، بل ذكرهم باقامة الصلاة ، يعنى أنهم يحافظون على الصلاة بخشوع و أدب كامل ، و الصلاة من أهم العبادات فى الاسلام لأنها تجدد ما ينشأ فى القلب من كيفيات الايمان، وتسرى بها روح العودية والشعور بالمسئولية فى الأحشاء .

خمس صلوات فى النهار و الليل بحيث إن الحياة اليومية إنما تبتدىء بالصلاة فبعد النهوض من نوم الليل يهرع المؤمن إلى الصلاة ، و يبدأ نهاره بتجديد صلة العودية الخالصة التى تتجلى فى جميع ما ينجزه من ركوع و و قراءة و دعاء ، و تتوثق صلته بربه ، فلا يرضى أن لحظات العمل و النشاط أو يتناساه فى زحمة الأشغال والـ بوظائفه حتى يزول النهار و يطل وقت الظهر ، ويتوقف عن صلاة الظهر و يتغدى و يستريح لمدة ، و يشتغل بما أراد من عمل و تتخلل عمله ذلك صلاة العصر ثم صلاة المغرب . و قبل أن يأوى إلى فراشه يقوم أمام ربه و يناجيه فى صلاة العشاء و يستغفره من ذنوبه و أخطائه ، و يجدد عهده بأن يعيش فى صلاح و ورع ، ثم ينام باسم الله .

فمن أدى صلاته بمثل هذا الخشوع و بهذه العواطف الخالصة لا يبقى عليه درن الذنوب ، كما أشار الله تعالى إلى ذلك فى قوله : « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء و المنكر » و لذلك فقد جعل النبى ﷺ الصلاة كفارة الذنوب و شبه المصلى بالرجل الذى يغتسل خمس مرات فى كل يوم فلا يبقى عليه درن ، كذلك الذى يصلى بالخشوع و الايمان يتطهر قلبه ، و تتزكى نفسه ، كما أن الصلاة إنما تملأ صاحبها بالقوة و النشاط فلا يتعب فى أداء واجب الحياة و إسعاد الحياة الانسانية و نشر الفضائل و محو الرذائل .

[و مما رزقناهم ينفقون] إذا كانت الصلاة حق الله تعالى وبالصلاة يتجدد الايمان و يرسخ فى القلب ، فان الزكاة حق العباد . و هى رمز للانفاق الذى يقتضيه الايمان ، و فيه دليل على أن ما يملكه العبد من مال إنما هو لله تعالى فى الواقع و هو لا يكتسبه إلا بتوفيق من الله وحده . وإن الايمان بالله يتولى زوال الكبر و الانانية من العبد المؤمن ، و يؤكد له أن الله سبحانه هو المالك الحقيق لكل كائن فى هذا الكون ، و أنه ليس إلا عبداً فوض إليه أشياء كأمانة فهو أمين وليس مالكا ، فكيف يمكنه أن ينفق ذلك فيما لا يرضى المالك الحقيق ، بل يجب عليه أن يضعه فيما يخدم عباده و يقوى دينه

[و الذين يؤمنون بما أنزل إليك و ما أنزل من قبلك] هذه الآية تتناول بيان صفة من صفات المؤمنين لا توجد فى أى أمة من أمم الأرض ، و هى أن المؤمنين لايؤمنون بكتابهم وشريعتهم وحدهم ، بل يؤمنون بالأنبياء كلهم ويعتقدون أن شرائعهم سماوية و أن كتبهم كتب الله ، و قد شدد الله سبحانه فى هذه الصفة إلى حد أن مسلماً إذا شك فى نبوة الأنبياء السابقين خرج عن دائرة الاسلام ، ولاشك فان هذه الصفة قد منحت المسلمين مكانة مركزية لا تتمتع بها أمة غيرهم ، ومعلوم أن نظام هذا الكون يستقيم بأيدى أولئك الرجال الذين ينادون بالتوحيد و يدعون إلى الوحدة ، و يحترمون جميع عباد الله ، ويقدرون الصدق والصلاح ، ولايبتغون فى هذا العالم حكما لأهوائهم ، بل يحرصون كل الحرص على إقامة منهج الله تعالى للحياة الذى لا تتدخل فيه المصالح الشخصية و لا الأثرة و الانتهازية ، إنه يتسم بدافع الخدمة المخلصة ، و إسعاد النوع البشرى بصفة دائمة ، و توفير الهدوء و الطمأنينة للحياة الانسانية .

[و بالآخرة هم يوقنون] المتقون الذين اهتدوا بالقرآن و توصلوا إلى

الغاية المنشودة سبقت لهم صفات متعددة تتصدر من بينها صفة الايمان بالغيب ، و تنتهى بصفة الايمان بالآخرة ، والغرض من ذلك هو إبراز أوصافهم الممتازة من حيث المبدأ و المنتهى ، فاذا كانوا لا يكتفون بما يشاهدونه من أحوال هذه الدنيا الظاهرة ، بل ويتأكدون أن وراء هذا العالم المادى قوة خارقة تعمل فيه . وكل ما وجد فيه حالا أو يوجد فيه مستقبلا ليس مما يتعلق بالصدف ، ولكنه عكس لذات الله العليم الخبير ، كما أنهم يؤمنون كامل الايمان أن رحلة الحياة هذه لاتنتهى بالموت بل إنها تبدأ فى الواقع بعد الموت ، ويواجه الانسان منزله الأصيل بعده . ولذلك فان الحياة الدنيا زائلة و هى مقدمة لحياة الآخرة الدائمة الخالدة

الفانية قنطرة نحو الآخرة الباقية .

إن الايمان بالآخرة يحمل للحياة معنى ، و الانسان يحب و يكره الزوال و الفناء ، و يحب أن يعيش بصفة دائمة و تتحقق ، غير أنه لا يكاد ينجح فيما يريد لنفسه من سعادة دائمة وحياة باقية ، ولذلك فان يشعر بقلق وحيرة ما دام على قيد الحياة فى هذه الدنيا ويغادرها بمزيج من الألم و الندامة ، إلا أن المؤمن الصالح يعيش ما يعيش فى هذه الدنيا بهدوء و طمأنينة ، ويودع الدنيا بسرور وراحة ، و المؤمن بايمانه بالآخرة يتجنب دائماً ما يسخط الله و يعكر صفوه بعد الموت ، و يهتم بتحلية حياته بالأعمال الصالحة .

إن الايمان بالآخرة هو الذى يتكفل صلاح الانسان أفراداً و جماعات . أما قوة القانون فانها لا تستطيع أكثر من تغيير الظاهر ، ولكن تزكية الباطن وبراهة النية لاتتمان بدون الايمان الكامل برقابة الله العليم الخبير والاعتقاد فى جزاء الأعمال ، و إن التاريخ لخير شاهد على هذه الدعوى ، فان عقيدة الآخرة هى التى كانت تسهل على المجرمين الاعتراف بجريمة الزنا أمام الحكام ، و تعثهم على تحمل أكبر عقاب برضا النفس و هى التى كانت تجعل السارق أن يلح على قطع يده ، و الزانى

على رجمه ، « سوف لا ينسى التاريخ حادث المرأة الغامدية التى صدر منها الزنا ، و لم يكن هناك من يطلع على هذه الجريمة سواها وكانت تستطيع أن تخفى ما قد وقع . و لا تمسها يد العقاب ، و لكن إيمانها القوى ألجأها إلى الاعتراف بالجريمة و مواجهة حد من حدود الله فى دنياها تفادياً من عذاب الآخرة ، وكانت تعرف أنها سوف ترجم حتى تهلك ، و لا تقتل بالسيف ، و لا تشنق بالمشنقة ، بل إنها تتعرض لجماعة من المسلمين فى العراء فى حفرة من الأرض ، و يرميها المسلمون بالحجارة حتى الموت ، ولكنها رضيت بكل ذلك و آثرت عقاب الدنيا على عذاب الآخرة ، فقد روى مسلم « عن بريدة رضى الله عنه قال : جاءت الغامدية فقالت يا رسول الله ﷺ إنى قد زنيت فطهرنى ، وإنه ردها ، فلما كان من الغد قالت يا رسول الله لم تردنى ؟ لعلك إن تردنى كما رددت ماعزاً ، فوالله إنى لحبلى ، قال إما لا فاذهبى حتى تلدى . قال فلما ولدت أتته بالصبى فى خرقة ، قالت هذا قد ولدته ، قال اذهبى فارضعيه حتى تفطميه ، فلما فطمته أتته بالصبى فى يده كسرة خبز ، فقالت هذا يا رسول الله قد فطمته وقد أكل الطعام ، فدفع الصبى إلى رجل من المسلمين ، ثم أمر بها فحفر لها إلى صدرها و أمر الناس فرجموها (١) » .

هذه صحابية قد بعثت نظرة الرسول ﷺ هذا الايمان العظيم فى قلبها ، ولكن تاريخنا الحاضر لا يخلو من أمثلة هذا الايمان العجيب ، و أضرب مثلا لما ظهر من الملك الشاه السلجوقى ، عندما ساق بعض جنوده بقرة لعجوز إلى مقرهم ، و هى لم تكن تستطيع أن تتعرض لهم ، و علمت ذات يوم أن الملك سيمره بقنطرة فى طريق فوقفت العجوز على القنطرة و لما اقترب الملك إلى العجوز تقدمت إليه قائلا أنظر أيها الملك ، أين تحب أن تنصفنى أعلى هذه القنطرة أم على قنطرة « الصراط » ونزل الملك من ساعته و قال : هنا يتم العدل ، فأخبرته بالحادث ، و طلب الملك أولئك الذين كانوا قد أخذوا البقرة و عاقبهم أشد العقاب ، و اعتذر إلى العجوز و رد إليها بقرتها .

(١) كتاب الحدود .

بمناسبة القرن الهجرى الجديد :

محنة عظيمة و توبة كريمة

و بهما يبدأ عهد جديد فى حياة الانسان

سماحة الشيخ السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى

« لقـــد تاب الله على النبى و المهاجرين و الأنصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ، ثم تاب عل
رحيم ، وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأ
عليهم أنفسهم و ظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ، ثم
الله هو التواب الرحيم (١) » .

كانت غزوة تبوك التى غزاها رسول الله - ﷺ - فى سنة تسع من الهجرة غزوة شديدة غزاها رسول الله - ﷺ - كما يقول كعب بن مالك رضى الله عنه : « فى حر شديد واستقبل سفراً بعيداً ومفازاً وعدواً كثيراً » قوياً ، يعنى المملكة الرومية العظيمة التى كانت تحكم نصف الأرض المعمورة تقريباً . و كان ذلك فى عسرة فى الناس و جدب فى البلاد ، و لذلك سميت غزوة العسرة ، و قد طابت الثمار والظلال فى المدينة وقويت الرغبة فى البقاء فى الوطن و الأهل ، وانصرفت الطباع و زهدت النفوس فى الخروج و الغزو ، و قد اجتمعت الأسباب المثبطة العائقة و حلا البقاء فى المدينة و شق الخروج و المجازفة بالحياة أمام عدو قد دمر الامبراطورية الفارسية و هزمها هزيمة منكرة بالأمس القريب .

(١) سورة التوبة / ١١٧ — ١١٨ .

و لكن كان من معجزات التربية السوية و من معجزات الايمان و العقيدة أن لم يتخلف عن هذه الغزوة الشاقة العسيرة إلا ثلاثة أشخاص من المؤمنين ؟ والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير لا يجمعهم كتاب حافظ ولا ديوان ، فما من رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أنه سيخفى له ما لم ينزل فيه وحى الله » ، فليس عليهم رقيب إلا الايمان وليس لهم حسيب إلا ضميرهم و عقيدتهم ولم يتخلف هذه الثلاثة إلا طبيعة التسويف أو الكسل الذى قد يعترى الرجل النشيط ، و قد كان فيما لقوا من تأنيب الضمير و لائمة النفس و الشعور بالعزلة و التخلف عن الرفاق و عن الانسان الذى آثروه على نفوسهم وأولادهم ومهجهم و أرواحهم ، لقد كان فى كل ذلك عقاب شديد و عذاب أليم .

و قد ذكر ذلك أحد الثلاثة و هو كعب بن مالك فى بلاغته العربية و بيانه المشرق فقال « فكنت إذا خرجت فى الناس بعد خروج رسول الله ﷺ . فطفت فيهم أحزننى أنى لا أرى إلا رجلا مغموصاً عليه النفاق أورجلا ممن عذر الله من الضعفاء »

و لما رجع رسول الله ﷺ سألهم عن سبب التخلف فصدقوا و اعترفوا . وكان لابد من تأديب . وكان لابد من درس . و كان لا بد من امتحان الاخلاص و الولاء و الحب والوفاء . وكان ذلك . فقد نهى رسول ﷺ المسلمين عن كلامهم من بين من تخلف عنهم .

فاذا كان بعد ذلك ، ظهرت معجزة مثبتة للايمان والتربية وسلطان العقيدة ، كانوا أبناء المدينــــة عاشوا فيها ، و لهم فيها إخوة و أقارب . و أهل و ولد ، و أصدقاء و أحباب ، و لكن خضع المجتمع كله لكلمة تصدر من شفــــة رسول الله ﷺ فلا عاصى ، و لا ثائر ، و ندع القول لكعب بن مالك الراوى الأديب البليغ « فاجتنبنا الناس . و تغيروا لنا حتى تنكرت فى نفسى الأرض فــــا هى التى

أعرف » حتى قد أتى ابن عم له وأحب الناس إليه ، فسلم عليه فلم يرد السلام فشده بالله هل تعلمى أحب الله ورسوله ، فيجيب بعد ماناشده ثلاث مرات : الله ورسوله أعلم ، فتفيض عيناكعب بن مالك .

ويأمره رسول الله ﷺ بأن يعتزل امرأته . ويفعل ويلحقها بأهلها . ويخطب وده ملك غسان الكبير ويدعوه ليواسيه ويكرمه وكان أشد محنه امتحن بها محب ، يجفو الحبيب القريب ، ويسده المجتمع وتقصيه البيئة ، وفى هذه الضائقة والجفوة يطلبه ملك ويرسل إليه كتاباً بإظهار بره ورفده وعطاياه الواسعة فيرفض ذلك فى إباء وكراهية وحقارة ، إنها معجزة ثالثة للايمان وا...

و لما تم كل ذلك و بلغ الضيق غايته و المحنة

الله تعالى : «حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت

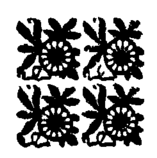
المخلصين المؤمنين الصادقين الذين ظهرت قوة إيمانهم فى هذه ...

معركة حربية أو غزوة عملية ، و ثبتوا فى هذا الجفاء و الاقصاء أشد مما يثبت البطل على حر السيوف و الأسنة .

تاب الله عليهم توبة كريمة شرف فيها قدرهم و غسل عنهم عارهم و خلد ذكرهم وبيض وجوههم ، و بدأ بالنبى و المهاجرين والأنصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة ، و هكذا ألحقهم بأصحابهم الذين سبقوهم و وضعوهم فى هذا المكان المشرف الكريم ، و ما بدأ بذكر النبى ﷺ الذى غفر الله له ما تقدم من ذنبه و ماتأخر و لا بذكر الذين ساهموا فى هذه الغزوة إلا لاعادة الثقة إلى نفوس هؤلاء الثلاثة و رد اعتبارهم و مكانتهم فى المجتمع و لإزالة ما يسميه علماء النفس اليوم ، « بمركب النقص » و هى مصلحة عظيمة من مصالح التوبة ، و لذلك جاء فى الحديث الشريف « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » و أن التائب يصبح كيوم

ولدته أمه » و ليست هنالك طريق أو أسلوب أقوى و أعمق تأثيراً من الأسلوب الذى اختاره القرآن ، و هو أنه قدم ذكر السابقين الراسخين الذين سبقت لهم الحسنى و لم يسقطوا هذه السقطة ، يشرفهم ويتقدم عليهم رسول الله ﷺ ، وبدأه بقوله : « لقد تاب الله على النبى والمهاجرين إلخ » ليعرف الناس أن التوبة مكرمة وفضيلة ، ويحتاج إليها الأنبياء والمرسلون والسابقون الأولون ، والمؤمنون الراسخون ، و المجاهدون المغامرون ، لئلا يشعر هؤلاء الثلاثة أنهم منحطون فى القدر نازلون فى الشرف ، و لئلا يلصق بهم هذا العار ، ولئلا يشعر المجتمع الاسلامى ، أنهم غرباء متميزون و الشامة فى الناس يشار إليهم بالبنان ، فقال :

« لقد تاب الله على النبى و المهاجرين والأنصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ، ثم تاب عليهم إنه بهم رؤف رحيم ، و على الثلاثة الذين خلفوا ، حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت و ضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ، ثم تاب عليهم ليتوبوا ، إن الله هو التواب الرحيم » .



موقف الاسلام من العلم

و أثر الرسالة الاسلامية فى الحضارة الانسانية

الدكتور محمد معروف الدواليبي

تقدم العلوم و المفاهيم الحديدة للحياة و مشكلاتها .

و مما لا شك فيه أن حضارة عصرنا الحاضر . قد

العصور الحديثة . فضلا عما سبقها من الحضارات القديمة

القوانين العلميــة الكونية القطعيــة التى لم تعرف من قبل

بعض الحالات على الأقل .

و كان من نتيجة هـذا التقدم أن اتسعت آفاق العلوم و أن اكتشفت قوانين الذرة العجيبة ، و أن تطورت التكنولوجيا تطوراً سمح للانسان أن يطير فى الفضاء ، و أن ينزل على القمر ، و أن يفتح الطريق لما هو أبعد من القمر بآلاف السنين ، مما قد تصاغرت معه رقعتنا الأرضية ، وزالت به الحدود ، وامتزجت بحكم ذلك الشعوب بعضها ، وتشابكت مصالحها ، من غير فرق بين أقصى الشرق و أقصى الغرب فى الأرض .

و كان من لوازم هذا التقدم فى العلوم والتكنولوجيا ، و زوال الحدود فيما بين الشعوب البشرية وتشابك مصالحها أن ظهرت مفاهيم جديدة فى الحياة الانسانية العالمية ، و إن عجزت الأنظمة السياسية و الاقتصادية السائدة فى العالم أن يحتفظ كل منها لنفسه و وفقاً لأنظمته القومية المحلية بما كان قد استأثر به من مصالح ممتازة

على حساب الأمم و الشعوب الأخرى دون أن يعرض سلامه و سلام الآخرين إلى الخطر .

و هكذا ظهر الصراع اليوم و اشتد بين الأقوياء أنفسهم من أجل حماية كل منهما لمصالحه الممتازة الخاصة ، مما قد عرض سلام الأرض قاطبة إلى الزوال ، و أفقد الانسانية كلها الشعور بالأمن و الاستقرار ، ولذلك أصبحت « الدعوة إلى السلام » أنشودة للجميع لا فرق بين شرق وغرب ، و لا بين قوى و ضعيف ، وخاصة فى ظل وسائل التدمير الرهيبة الجماعية الحديثة التى يملكها كل من المتصارعين الأقوياء .

موقف الأمم المتحدة من هذه المشكلات

و هكذا فقد تداعت الأمم المتحدة إلى جلسة استثنائية عام ١٩٧٤ أملا بالوصول إلى حلول نهائية للمشكلات الانسانية العالمية ، و ذلك من أجل صيانة « السلام العالمى » المهدد بالخطر ، و قد اعتبر هذا التهديد اليوم من أعظم . . . مشكلات الانسانية الأساسية غير أن تضارب المصالح فيما بينهم ، قد حال دون الوصول إلى حلول ما وهذا ما حملهم جميعاً . من شرق وغرب ، على الاعتراف بأنه لا أمل بالوصول إلى حلول صحيحة فى ظل الأنظمة المتضاربة السائدة فى العالم اليوم .

و بأن العالم قد تقدم اليوم فكرياً ، و علمياً ، و تكنولوجياً ، و زالت فيه الحدود ، و وجب أن يزول معها كل تمييز أنانى ما بين الشعوب ، و الأفراد ، و المصالح

وبأنه يجب وضع نظام اقتصادى عالمى حديث ، تراعى فيه جميع هذه المعطيات الجديدة ، و وفقاً لقواعد جديدة عالمية للمجتمع البشرى الجديد .

و بعد هذه الاعترافات انفض هذا الاجتماع الاستثنائی الأول فی موضوعه على موعد مع اجتماع استثنائی آخر فی عام ١٩٧٥م لتتقـــدم كل دولة من دول الأمم المتحدة باقتراحاتها الصالحة لاقامة النظام العالمی الجـــديد من أجل معالجة المشكلات الانسانية و « صيانة السلام العالمی » من الخطر وفقاً لمبادیء هـذا النظام و قواعده الجديدة .

حبراء الأمم المتحده و الدعوة لنظام جديد

غير أنهم فی اجتماعهم الاستثنائی الثانی فی عام ١٩٧٥م قد ...

الموضوع و ما قد ورد حوله من اقتراحات إلى الجهاز ال...

و هو منظمة « اليونسكو » لتضع مبادیء هذا النظام و قوا...

و قد صدرت أخيراً توصيات « اليونسكو » فی ذلك بعد ...

الهادفة و التعمق فيها وهی متوجة بتواقيع خبراء العالمين الاشتراكی و الراسمالی . و تتلخص بالمبادیء و القواعد التالية

أولا ـ وجوب مراعاة وحدة الأسرة البشرية من غير تمييز فيها فی الحق بالحياة الكريمة .

ثانياً ـ وجوب مراعاة وحدة مصالحها من غير تمييز فيها .

ثالثاً ـ وجوب وحدة التخطيط لاقتصادها من غير تمييز لفريق على حساب فريق آخر

رابعاً ـ وجوب العدل فيها على أساس من الحق و القانون .

و هكذا فقد وضع لنا خبراء الأمم المتحدة و أجهزتها العليـــة اليوم تلك المبادیء و القواعد الجـــديدة للأسرة البشرية المتطورة المتقدمة . و اتخذوا منها تلك المقاييس الواضحة للنظام العالمی الجـديد ، ذلك النظام الذی ظل العالم ينشده ،

على عجز، على ألسنة فلاسفته ومحبي الاصلاح منذ أقدم العصور حتى اليوم ، وخاصة فى عهد فلاسفة اليونان ، و مدنية أفلاطون الفاضلة . .

فما هو موقف الاسلام من الدعوة إلى نظام عالمى إنسانى جديد ؟

و ما هو موقف الاسلام من هذه المبادىء و القواعد التقدمية التى وصلت إليها الأمم المتحدة أخيراً عن طريق أجهزتها العلمية ؟

و هل يصلح الاسلام أن يكون بمبادئه و بقواعده التى قامت عليها رسالته منذ ظهورها هو التطبيق العملى لهذا النظام البديل للأنظمة السائدة اليوم .

و ماذا كان لرسالة الاسلام من أثر فى الحضارة الانسانية و مفاهيمها ؟

موقف الاسلام من الدعوة إلى نظام جديد :

و للاجابة على ذلك نرى أن نظام الاسلام الذى فوجئت به الأمم والشعوب قبل أربعة عشر قرناً كنظام جديد أيضاً « للحياة البشرية عامة » لا تستبين أبعاده كنظام بديل للأنظمة العالمية السائدة اليوم . إلا بالعودة قليلا وبايجاز ، إلى استعراض ما قد كانت عليه حياة تلك الأمم و الشعوب من مساوى قبل الاسلام واستعراض أوجه الشبه بينها و بين حياة عالمنا الحاضر ، و ماذا كان موقف الاسلام منها ؟ .

و ما هى المبادىء و القواعد الدائمة التى أعلنها الاسلام علاجاً لتلك المساوى من أجل حياة جديدة كريمة للجميع ، و من أجل صيانة السلام فيها ؟ .

و إن نظرة سريعة على حياة تلك الأمم و الشعوب قبل الاسلام حتى العصر الذى ظهرت فيه دعوة الاسلام ، تقودنا فوراً إلى القول المشهور فى مثل هذا المقام ، و هو : ما أشبه الليلة بالبارحة .

و بالجملة فان حياة تلك الأمم و الشعوب لم تكن قائمة إلا على مصالح الجماعات المحدودة فى العشيرة و القومية . و لهذا لم يكن من الممكن أن ينظر

من خلال ذلك إلا إلى المصالح الضيقة لتلك العشيرة أو القومية ، تلك المصالح المتنافرة ، و القائمة على الأنانية و الاستئثار و الامتياز فى الحياة لدى كل من الشعوب على حساب الآخرين ، و هذا ما قد وضع العالم القديم فى حروب بربرية دائميـــة ، وخاصة الحروب الدولية الأخيرة التى أدركها الاسلام حين ظهوره ، وكانت أيضاً فيما بين الشرق القديم الفارسى و الغرب القديم اليونانى أو البيزنطى ، متسلسلة منذ عهد الاسكندر اليونانى مع الفرس قبل بضعة قرون من المسيح ، إلى عهد هرقل مع الفرس أيضاً فى القرن السابع بعد المسيح ، حين ظهر محمد عليه الصلاة و السلام بدعوته إلى الاسلام ، منادياً فى قومــه أولا ، ثم فى العالم أ...

الكريم ضد تناحر الشعوب .

قائلا . « يا أيها الناس . . ادخلوا فى السلم كافة » .

ومعلنا على العالم أجمع قول الله رب العالمين « يا أيها الـ...

وأنثى وجعلناكم شعوباً و قبائل لتعارفوا . إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ، و منادياً بأعلى صوته أيضاً بقوله عليه الصلاة و السلام « الخلق كلهم عيال الله ، وأحبهم إليه أنفعهم لعياله » .

و داعياً الجميع على اختلاف أجناسهم و أعراقهم و أديانهـــم إلى التعاون الواجب من أجل خير الانسان عملا بقول الله سبحانه و تعالى : « و تعاونوا على البر و التقوى و لا تعاونوا على الأثم و العدوان » .

وضامنا فى كل ذلك « حرية العقيدة » عملا بقوله سبحانه وتعالى « لا إكراه فى الدين » .

و قضى بذلك وفقاً لعقيدة الاسلام على كل تعصب و اضطهاد فيما بين العقائد و الأديان و الشعوب .

و لقد جاءت هذه الدعوة الاسلامية العالمية تهز أركان نظام العالم القـــديم البالى ، فى تعاليمه و شرائعه وتقاليده غير الانسانية التى قضت على جميع معانى وحدة الأسرة الانسانية ، و التى قضت على كرامة الانسان و على حقه فى الحياة ما لم يكن من فئة معينة ، و من طبقة معينة .

وقد سجلت هذه الدعوة الجديدة سبقاً فعلياً على جميع دعوات عالمنا الحديث فى هذه المعانى : حيث دعت العالم قبل أربعة عشر قرناً إلى نظام مجتمع إنسانى حديث متقدم بكل ما فى الحداثة و التقدمية من جدة و سمو ، و ذلك بالدعوة صراحة إلى نوع جديد من الحياة حيث تتساوى فيها جميع الأعراق والأجناس والشعوب فى الحياة الكريمة و فى المصالح البشرية عملا بنص القرآن نفسه كما سوف نرى ، معتبرة أن ذلك النوع من الحياة المعهودة غير الانسانية ، مما قد تعارف عليه الناس من قبل ، غير جدير باسم الحياة .

و ضماناً لهذا النظام الجديد للحياة الانسانية ، فقد أقامت الدعوة الاسلامية لذلك شريعة تمتاز على جميع ما عرفته الشرائع القديمة ، بل و الحديثة أيضاً . من ضوابط ، و تتلخص بالمبادىء العالمية التالية .

أولا - بأنها شريعة عالميـــة تنظر إلى شعوب البشرية على أنها أسرة بشرية واحدة ،

ثانياً - بأنها شريعة إنسانية ، لا تمايز فيها مابين إنسان و إنسان فى الكرامة الانسانية .

ثالثاً - بأنها شريعة ترعى مصالح الحياة الانسانية المتجددة من غير جمود فيها على زمن أومكان ، وإنه لا فضل فيها لانسان على إنسان ، ولا لشعب على شعب فى حقهم جميعاً فى الحياة الكريمة .

رابعاً - بأنها قد شددت على إقامة العدل و جعلته أساس الملك تبعاً للحق ، من غير امتياز فيـــه للشريف على الوضيع ، و لا للغنى على الفقير ، و لا للقوى على الضعيف .

و رضى الله على أبى بكر الخليفة الأول فى الاسلام الذى قال حين بويع بالخلافة :

أيها الناس ! إن القوى عندى ضعيف حتى آخذ منه الحق للضعيف ، و إن الضعيف عندى قوى حتى آخذ له الحق من القوى .

و بذلك نقف فى دعوة محمـــد الالهية أمام خصائصها ومميزاتها ، وأمام [illegible]
لنظام العالم القديم البالى فى مفاهيمه وفى تناحره ، وفى امتياز
على بعض ، تلك الاصلاحات التى قال فى بعضها « أدوار [illegible]
فى جامعة جنيف فى مقدمة كتاب لترجمة القرآن « إن
تقدمات ذات أبعاد غير متناهية ، و ذلك لدرجة تجعل محمداً فى عداد أكبر العظماء الخادمين للانسانية » .

و هكذا فان الاسلام بقواعده هذه قد أقام النظام الجديد للحياة الجديدة ، و ذلك لتلتقى عليه جميع الأمم و الشعوب تحت شعار الدعوة إلى الخير ، والتعاون على البر و التقوى ، من غير عصبية و لا أنانية و لا امتياز لانسان على إنسان
و فتح الاسلام فى كل ذلك باب الحوار السلمى مع أبعد الناس عن عقيدته قائلا تارة : « وقولوا للناس حسناً » وتارة : « ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن » و تارة « وادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » وتارة . « المومن آلف مألوف و لا خير فيمن لا يألف و لا يؤلف »

ترحيبنا بتلاقى الأمم المتحدة مع مبادىء الاسلام العالمية :

وأنه ليسرنا أن تلتقى جهود الأمم المتحدة وخبراؤها أخيراً مع نفس المبادىء والقواعد

شرعتها الاسلام ، وحرص على سيادتها لدى جميع شعوب الانسانية منذ أربعة عشر قرناً ، بل ما أعظم بهجتنا وحاجتنا اليوم إلى مجموعة عالمية جديدة كالأمم المتحدة لتتبنى هذه المبادىء والقواعد كما تبناها العرب فى العهد السوى وعهد الخلفاء الراشدين ، ولتقود العالم الانسانى صوب نظام عالمى تقـدمى يعالج وقائع الصراع العالمى و مفاسده من أجل سلام إنسانى كما عالجها الاسلام على أسسه الواضحة أدناه .

على أساس الدعوة إلى خير الناس من غير تمايز .

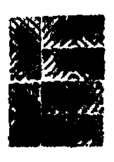
و على أساس الدعوة إلى نوع جديد من الحياة تتساوى فيها مصالح الناس المتحددة من غير تفاضل .

و على أساس تشديد قبضة العدل بالحق و بالقانون .

و على أساس « الأمر المعروف » الذى تعارف عقلاء الناس فيه على أنه لا بد لهم منه لصلاح حياتهم .

و على أساس « النهى عن المنكر » الذى رأى فيه العلماء و الحكماء و أهل الفكر أنه شر لا تستقيم معه الحياة الانسانية لأحد .

وبذلك فقد نستطيع أن نضع حداً للأثرة وحب الذات ، وللتمايز فيما بين الأفراد و الطبقات و الشعوب فى حقهم جميعاً بالحياة الكريمة على نحو ما قد نادى به محمد رسول الله ﷺ و الاسلام ، و ذلك لاعـلانه إعلاناً جازماً : بطلان التمايز فيما بين البشر بجميع أجناسه و شعوبه ، و بوضعه لهم جميع الأحكام القانونية لضمان تلك المبادىء و القواعد الانسانية الحيوية العالمية .		« يتبع »



[illegible]

الدعوة الإسلامية

رسـالة السـلام فى دين الاسـلام

العلامة الدكتور السيد سليمان الندوى

« معرب »

الاسلام آخر الأديان السماوية فى هدا العالم جاء لاكمال الدين ، وهو الحجر الأخير لصرح الدين الأخير . وهو الفطرة التى فطر الناس عليها ، إنه جاء إلى هدا العالم يحمل راية السلام و الأمن فى وقت كان النوع البشرى متلطخاً فيه بالدماء ، إنه نداء الرب تبارك و تعالى الذى هو رحمة كله وعدل كله و خير و أمن و سلام بأجمعه . و لذلك فانه لا يهدى الباحثين عن الملجأ من الظلم و الخوف والاضطراب و الشبهات إلا إلى وزر واحد ومفر واحد ، و هو الله « ففروا إلى الله إنى لكم منه نذير مبين » .

إيرادات المعارضين : و رغم هذه الحقيقة فمن المؤسف جداً ، أن يوجـه المبشرون و المستشرقون من أوربا طعناً إلى الاسلام فى حملة ما يوجهون إليه من طعنات ، أن تصور الاله الذى قدمه الاسلام لأتباعه هو أنه امبراطور جبار قهار ذو غضب و جلال و جبروت يجب أن يرتعد منه العباد دائماً ، و يتجلى أثر ذلك فى جميع أحكامه ، بالعكس من الديانة المسيحية التى يصور الاله فى شكل الرحمـة والرأفة و الحب ، و لذلك فانه يدعى فيها باسم « الأب » الذى يغلب على نصائحه لون الرأفة و الرحمة و الكرم ،

ويتصدى المستشرقون فيصورون هذا الاعتراض فى أن الاسلام دين الحروب و يتجلى فى فكرته جبروت الاله و قهره وغيظه وغضبه أكثر من أى شي آخر . ذلك النقص الذى سده المتصوفون ، و اعتبروا حب الاله أساساً لطاعة الله بدلا من مخافة الله و خشيته ،كما فعل الفقهاء المسلمون .

فليعلم الذين لا يعلمون أن الاسلام ليس دين التخييل والقياس ، إنما هو دين عملى لعالم العمل هذا ، فى العالم ملايين الملايين من البشر و وراء الانسان أنواع متنوعة من الأعمال و كل شخص يرتبط بأخيه ، فلا بد من أن تكون هناك ... الواحد مع الآخر ، و تخضع بعضاً لبعض ، و تصل و يشتق هذه العلاقة ، و هذه الرابطة و هذه الصلة ، إنما هو الذى يعبر عنه بكلمة أخرى : الرغبة إلى النفع و الكراهية

و من هنا كان أساس جميع تحركات الانسان الحب و الخوف و الرغبة إلى النفع و الكراهية من الضرر ، و من ذلك تنبع فكرة الانسان و تصوراته عن الاله و صفاته ، و إن نظرة واحدة على الأفكار الدينية للأمم الوحشية تؤشر إلى أنها لا تخضع للمناظر الكونية وكائنات الطبيعة ولا تمدها إلا خضوعاً لهذا الأصل . لأنها لما خافت من بعضها عبدتها تفادياً من خطرها ، كما أنها تعبد البعض الآخر رجاء لطفه و كرمه و أملا فى التمتع بمنافعه ،

ولنتأمل الآن فى المعاملات الانسانية العامة ، هل يمكن أن يسير نظام الكون هذا بمجرد دوافع الحب و الرغبة ؟ و إنى أعتقد أن الانسان إذا عمل بهذا المبدء يوماً واحداً فقط فى أسواقه و إدارات الحكومات ، و جماعات الأمم و مجالسها و مجتمعاتها لاضطرب حبل النظام العالمى ، و قضى على دافع الطاعة و الخضوع الذى يتوقف عليه التدبير والنظام ، كما أن الكراهية والعداوة والخوف إذا تدخلت

إذا تدخلت فى معاملات الناس لتحول العالم إلى جحيم ، وانتهى السرور والنشاط الذى فيه حياة القلوب ، من هـذا العالم ، و لذلك فان نظام العالم لا يمكن أن يدوم بدون هـذين النوعين من دوافع الانسان الذى هو فى افتقار نهائى إليهما فى كل أعماله و نشاطاته .

إن الديانات التى وجدت قبل مجئ الاسلام وقعت فريسة الافراط والتفريط وحادت عن سواء الطريق فى معنى الكلمة ، فقـد كانت الديانة اليهودية تبتنى على الخوف و الشدة ، و كان إلهها قائد القوات و ينوب عن الأب فى انتقامـه من أولاده إلى أجيال عديدة . ولذلك فان الصحف اليهودية تخلو فى معظم الأحوال من ذكر رحمة الله و بيان عطفه و كرمه وحبه ، بالعكس من الديانة المسيحية التى تقوم بدعاية رحمة الاله و حبه و عطفه و كرمه ، و إن أب ابنها الوحيد أب لجميـع الناس ، ذلك الذى لا يغضب و لا يثور على أولاده إذا أخطأوا أو اجترموا ، بل أنه يتأسف على ذلك و يندم .

ونتيجة لهذا الافراط والتفريط أصبحت اليهودية ديانة جافة خشنية ، وتجاوزت الديانة المسيحية حدود التسامح أيضاً حتى إن الاثم لم يعد عدها عيباً ، فبينما نرى أن اليهودية تفرض الرجم على امرأة مدنبة إذا بالمسيحية تقول . لايرجم هذه المرأة إلا من كان بريئاً من كل ذنب وهى تترك المرأة رجاء أن لا تعود إلى ذنبها الأول - و لكن الاسلام يأتى بالقول الفصل فى هذه المناسبة فيقول : لا ينفذ حد الرجم فى المجنون والمعتوه والسكران و يجلد الرجل المحصن و المرأة المحصنة ، و أما المرأة المتزوجة والرجل المتزوج فيرجمان عنده ، و كذلك اليهودية تسمح الرجل بالطلاق على كل حال من غير مؤاخذة عليه ، و لكن المسيحية لا تصدر فتوى الطـلاق للرجل فى أى حال ، بالعكس من الاسلام فان له رأياً واضحاً صريحاً فى هذه المسألة

و كذلك حال الاسلام فى المسائل الأخرى غيرها ، و له المـــذهب الوسط بين إفراط اليهودية و تفريط المسيحية .

و نفس هذا الوضع فى الاعتقادات لدى الاسلام ، فانه لا يعتقد أن الله هو الجبار القهـــار رب القوات و إله بنى إسرائيل أو بنى إسمـــاعيل و لا يعتبره مجسداً فى شكل الانسان و لا رب البشر أو رب محمد ﷺ ، و لا يصفه بصفات الرحمة و العطف و الحب والشفقة وحدها ، بل يؤمن أنه قاهر و كريم ، ورحمن و رحيم ، و هو منتقم شديد العقاب و غفور ذو المودة ، إنه يعاقب عبـــاده و يتناولهم بالحب ، يعطيهم و يمنع عنهم ، بيده الضر و النفع منه و يحب فى وقت واحد .

إذا تساءلنا المحبين عن الجميل المحبوب : ما هو أعجبوا به فيه ، فلا شك أن الأجوبة تختلف . و قد الجمال فيه نعبر مايشير إليه الآخر ، كذلك الأنبياء الذين جاؤا إلى هذا العالم إنما كانوا ذوى ألوان و أنواع ، فمنهم من كان يرى فى الله موضع الجلال و الكبرياء فقط ، فكان يعلم أتباعه الخوف من الله و خشيته ، كمثل نوح و موسى عليهما و منهم من كانوا يولعون بحب الله و كانوا يدعون أتباعهم إلى حبه والهيمان به كيحيي و عيسى عليهما السلام .

و لكن الله سبحانه بعث فى آخر الزمان رسولا من بين هؤلاء الرسل جمع فيه من صفات الجمال و الكمال و الحب و النزاهة ما يفوق عن الوصف ، و هو محمـد صلى الله عليه وسلم ، ذلك النبي العظيم الذى كان يبـــكى خوفاً من الله فى جانب ، ويحظى بحب الله تعالى و رحمته فى جانب آخر ، ويعيش فى سرور ليس بعده سرور ، و قد يتجلى فيه الجانبان كلاهما فى وقت واحـد ، فقد روى أصحاب الحديث أنه ﷺ عندما يقوم بالليل وتطفح كأس الحب و الاتصال بالله سبحانه و يقرأ القرآن فيطيل القراءة فكلما مرت عليه آيات العذاب و الخوف عاد

بالله منه ، و إذا قرأ آيات الرحمة و النعمة و الجنة استبشر بها و دعا الله أن يرزقه إياها .

و من ثم فان الاسلام يستهدف إقامة الانسان بين طريق الخوف والحب ، و الخشية و الرحمة ، فقد قيل : الايمان بين الخوف و الرجاء ، ذلك لأن الخوف وحده يبعث اليأس من رحمة الله فى النفس ، و الحب و الرحمة وحدهما يمهدان الطريق نحو الكبر و التمرد ، الأمر الذى نشاهده دائماً فى شئون هذا العالم المادى و كما نشاهد نتائج ذلك عملياً بين اليهود و النصارى ، فالأول يأس كله وتشاؤم ، و الثانى رجاء كله و تفاؤل .

إن النصارى نسبوا أنفسهم إلى الله تعالى و سموهم أبناء الله ، كما أن بعض الطوائف اليهودية زعموا أن بنى إسرائيل من أسر الله تعالى المحبوبة ، وقالوا عزير بن الله بازاء عيسى عليه السلام ، أما الاسلام فانه لايمنح هذا الشرف لأى أسرة خاصة أو أمة بعينها ، و لكنه يقيم البشر كلهم على مستوى واحد لعبودية الله تعالى و طاعته ، و قد كان كل من اليهود و النصارى يزعمون أنهم أبناء الله و أحباؤه ، فرد عليهم القرآن قائلا : « قل فلم يعذبكم بذنوبكم ، بل أنتم بشر ممن خلق » (المائدة الآية ١٨) و رد القرآن الكريم فى موضع آخر على اليهود وحدهم فقال : « قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين » (سورة الجمعة الآية ٦) .

لا يحد الاسلام نطاق الرحمة فى أسرة أو قوم ، و لكنه يغطى الأسر الانسانية كلها بهذه الرحمة ، جاء أعرابى إلى المسجد النبوى ودعا فقال : اللهم ارحمنى و محمداً و لا ترحم معنا أحداً فلما سلم النبى ﷺ قال للأعرابى لقد حجرت واسعاً ، يريد رحمة الله (صحيح البخارى) ج ٢ ص ٨٨٩ .

يقوم النصارى بالدعاية ضد الاسلام والاساءة إليه فيقولون : إن رب الاسلام مجرد عن صفات الرحمة و الحب والعطف على عباده ، ذلك لأن الاسلام يرفض ما تزعمه النصرانية من الصلة بين الله وعباده كما بين الأب و أبنائه ، و هذا لاشك من الضلال المبين الذى لا يخص النصارى وحــــدهم ، بل يتجاوزهم إلى المسلمين البسطاء فى بعض الأحيان .

الواقع أن هذه الديانات تحاول إبراز دوافع الحب و الرحمة بين الله تعالى وعباده بأسلوبها الخاص ، وهذه الدوافع إنما تبرز فيما بين الناس بتبادل قراباتهم ، و لذلك فإن بعض الفرق المتزمتة تبنت هذا الأسلوب ا[illegible]
و تصدى البعض فبين أن الخالق و المخلوق بينهما رابطة
البعض فظن أن محبة الأم لها القيمة الكبيرة ، فعبر
و ولدها ، و حلت الالاهات محل الأمهات ، وفى الهند تعتبر [illegible]
ميزة خاصة بهما ، لها من القدسية و الطهر ما لايوجد فى غيرها . و ليست هناك فى الدنيا صلة للحب تحمل من التأثير و القوة ما تملكه الصلة بين الروحين . فيما يعتقدون ، فلا غرابة فيما إذا وجدت فرق فى هذه البلاد تعبر عن الحب المتبادل بين الخالق و المخلوق بالحب بين الروحين .

ترون أن هذه الفرق و المذاهب التى حاولت أن تعبر عن العلاقة بين الله و العبد بالعلاقات المادية و الجسدية كيف أنها ضلت الطريق وانحرف بها السبل ، وضل عامة هذه المذاهب وخاصتها نظرهم إلى ظاهر اللفظ ، وقد أردتهم مغالطات « الجسمانية الظاهرة » وانصرافهم عن روح الكلمة الأصيلة ، وذلك هو السبب الوحيد لمعارضة الاسلام الشديدة هذه المصطلحات الجسمانية و التعبيرات المادية ، لأنه هو الدين السماوى العظيم الذى حمل راية التوحيد ، و اعتبر استعمال هــــذه الكلمات

والتعبيرات لله تعالى من أعظم الضلالات ، وإن كان الاسلام لا يأبى معانى هذه الكلمات ، و ما يختفى فيها من حقائق ، إلا أنه يراها ناقصة للتعبير عما بين الخالق و المخلوق و بين العبد والمعبود من علاقة ، ويطالب بأكثر وأشد منها ، يقول الله سبحانه « فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكراً » (البقرة /٢٠٠) .

و على كل فلا يلزم بمعارضة الاسلام هذا الأسلوب المادى للتعبير عن الحب و الرحمة أنه يخلو تماماً عن عواطف الحب و الرحمة بين الخالق و المخلوق . وبين العبد و المعبود ، فمن لا يدرى أن تعاليم الدين أنزلها الله سبحانه بلغات البشر ، و إن بيئاتهم المادية و الجسمانية هى التى تعكس أفكارهم و تصوراتهم ، و لذلك فان أفكاراً غير مادية لاتكاد تحدث فى أذهانهم من غير واسطة مادية ، ولا توجد كلمة فى لغتهم تعبر عن الأفكار غير المادية بأسلوب رفيع لا يشوبه شئ من المادية مطلقاً . ومعلوم أن الانسان يتصور الأشياء غير المرئية بالتشبيهات المادية ، وينعكس لها شبه فى ذهنه .

وكل دين يحمل تصوراً عن صفات الله تعالى و ذاته ، و إذا تأملنا فى هذا التصور تبين لنا أن البيئة وما يحيط بها من الأشياء تعكس ذلك إلا أن ديناً خالداً وكاملا مسئول عن فصل هذا التصور عن المادية وتنزيهه من الجسمانية والشوائب الانسانية ، إلى حد ممكن للنوع البشرى ، أ ليس تعبير الاله عن الأم و الأب و الزوج تصوراً مادياً . جسمانياً بحيث يصعب على أهله أن يكونوا بمعزل عن الشرك ويبقوا متمسكين بعقيدة التوحيد ، ومن ثم نهى الاسلام كلياً عن تشديه العلاقة بين الخالق و المخلوق بالعلاقات المادية الجسمانية و اعتبر ذلك شركاً ، إلا أنه كان لابد من التعبير عن الحقائق الروحانية بلغات البشر المادية ، فاستعار دوافع العلاقات

المادية و عواطف الروابط الجسمانية للتعبير عن العلاقة بين الخالق والمخلوق ، التى حاولت الديانات الأخرى أن تعبر عنها باقامة هذه العلاقات المادية . ولكن الاسلام استطاع أن يعبر عنها بدون ذلك ، ويصون أتباعه عن الوقوع فى مثل هذه الضلالات

و كل لغة تحتوى على تعبيرات مختلفة عن ذات الله تعالى اختارها شعوب مختلفة على أساس خاص بأفكارها و وجهات نظرها . وهى وإن كانت قد تحولت إلى علم فقط و لكنها لم تستعمل بادىء ذى بدء إلا عن وصف مقصود بذاته ، وكل أمة اختارت ـ لكى تعبر عن ذلك الاسم والعلم ـ الصفة التى هى أقرب الى التعبير عن ذات الله أجدر بعظمته و جلاله .

شريعة لن يشقى من عمل بها

لقد اختتم الله بالاسلام رسالاته للعالم ، فليس لنا أن ننتظر اتصالا جديداً من السماء بالأرض يطهرها مما كاد يعمها من شرك و ضلال و فساد ، و لا نبياً آخر بعد رسول الاسلام ، يخرج العالم برسالة جـديدة من الظلمات إلى النور ، و لا قرآناً جديداً يهدى الانسانية الحائرة إلى سبيل الرشد و السعادة ، و لكن الله الرحمن الرحيم ترك فينا بعد هذا ، أو بسبب هذا ، كتاباً لن يضل من اتبعه ، و شريعة لن يشقى من عمل بها .

الدكتور محمد يوسف موسى

رزايا الانسان فى المجتمع المعاصر

— ٢ —

سماحة الشيخ السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى

طغيان المادية و المعدة :

رووا أن شاعرة جاهلية هى « كبشة بنت معديكرب » عاتبت أخاها عمرو ابن معديكرب ، و عيرته بميله إلى قبول دية أخيه المقتول فقالت :

ودع عنك عمرواً إن عمرواً مسالم و هل بطن عمرو غير شبر لمطعم .

ما تتصور المرأة الجاهلية البسيطة أن بطن إنسان يتجاوز مقدار شبر فكيف لو رأت معدة الانسان الحاضر ابن القرن العشرين ، تضخمت وكبرت حتى وسعت الأرض و تجاوزت حتى أصبحت لا يملؤها إلا التراب !

نعم تضخمت معدة الحرص فى الانسان حتى صارت لا يشبعها مقدار من المال ، و تولد فى الناس غليل لا يروى و أوار لا يشفى ، و أصبح كل واحد يحمل فى قلبه جهنم لا تزال تبتلع و تستزيد ، و لا تزال تنادى هل من مزيد ؟ هل من مزيد ؟ تسلط على الناس - أفراداً و أمماً - شيطان الجشع و الحرص فكأن بهم مساً من الجنون ، و أصبح الانسان نهماً يلتهم الدنيا التهاماً ، ويستنزف موارده حلالا و حراماً ، ثم لا يرى أنه قضى لبانته و شفى نفسه ، و العهدة فى ذلك على وضع الحياة الحاضرة و طبيعتها و كونها مادية صرفة لا تؤمن بالآخرة و خليق بمن لا يعتد إلا بحياته الدنيا و لا يرى وراءها عالماً آخر و حياة ثانية

أن تكون هذه الحياة بضاعته و رأس ماله و أكبر همه و غاية رغبتـــه و مبلغ علمــــه ، و أن لا يؤخر من حظوظها و طيباتها و لذائذها شيئاً و أن لا يضيع فرصة من فرصها ، و لأى عالم يدخر وهو لا يؤمن بعالم وراء هذا العالم ، و لا بحياة بعد هذه الحياة ؟

و قد عبر عن هذه النفسية الجاهلية الشاعر الجاهلى الشاب طرفة بن العبد فى صراحة و بساطة فقال :

فان كنت لا تستطيع دفع منيتى ودعى أبادرها بما ملكت يدى

كريم يروى نفسه فى حياته ستعلم إن متنا غداً

وكل إنسان متمدن اليوم ـ إلا من عصمه الله بالايمان

هذا المذهب فى الحياة ، إلا أنه قد يجرؤ على أن يصرح

اللسان البليغ الذى يعبر عن ضميره .

و السبب الثانى ـ هو الأدب العصرى ـ بمعناه الواسع ـ الذى لا يتحدث إلا عن المادة و أصحابها ، و يخضع لأهل الثراء وأصحاب الاحتكار وأصحاب الانتاج الخنوع الذى لا يليق بالأدب الشريف العالى ، فيكتب دقائق حياتهم فى تفصيل ، و ينشر ألقابهم و أسماؤهم بقلم عريض ، و كل نفس من أنفاس مدحه و تقريظه و كل فصل من فصول روايته ينتهى إلى نتيجة مادية أو إلى بطل من أبطال المادة و يزين للقارىء المذهب الأبيقورى تارة بالتلميح وتارة بالتصريح ، و يحث الشباب على التهام الحياة و انتهاب المسرات نثراً و شعراً و فلسفـــة و رواية و تحليلا و تصويراً ، فلا ينتهون منه إلا بالروح المادى و التقديس لرجال المادة .

و كذلك المجتمع الذى لا يقـدر إلا الغنى الظريف متناسياً كل ما فيـــه من رذيلة و لؤم أصل و سوء خلق ، و يتجنى على الانسان الذى لا يترجح فى

ميزانه مهما كثرت مواهبه و طاب عنصره و سما جوهره ، و يلمح و قد يصرح بأن الفقير لا يستحق بالحياة ، و يعامله معاملة الدواب و الحمير و الكلاب فيرغم الانسان ـ إذا لم يكن ثائراً على المجتمع ـ على أن يخضع لشريعة مجتمعه و أن يتجمل و يتطرف لمجتمعه ، فلا يلبس إلا لغيره و لا يتأنق إلا لغيره .

و هذا المجتمع لا تزال مقاييسه للشرف و الطرافة تتغير ومعاييره للانسانية تتبدل و تتحور و مطالبه تتنوع و تتكثر ، حتى يضيق الانسان بها ذرعاً و يلجأ إلى طرق غير شريفة لتحصيل المال و إلى كدح و كد فى الحياة ، و هناك هموم تتوالى و لا تنتهى و متاعب تتسلسل و لا تنقطع .

و زاد الطين بلة تنافس المصانع و المنتجين و الصناع ، ففى كل صباح يتدفق على المدينة سيل جديد من أحدث المنتجات وطراز من السيارات والسجاير والأزياء والقبعات و الأحذية و الأدهان و الأطلية و أسباب الزينة و الزخارف والأجهزة ولا يجلب منها شئ قياماً بالواجب وسداً للثغور ، بل كلــه فى سبيل الاستغلال الصناعى و الاحتكار التجارى ، ولا تلبث هذه المنتجات التى هى من فضول الحياة أن تدخل فى أصول المعاش و لوازم المدنية والذى لايتحلى بها لا يعد من الأحياء .

و لهذه الاسباب ولغيرها ارتفعت قيمة المال فى عيون الناس ارتفاعاً لم تبلغه فى الزمن السابق ، و بلغ من الأهمية و المكانة مبلغاً لم يبلغــه ـ على ما نعرف فى دور من أدوار التاريخ المـدون ـ و أصبح المال هو الروح السارى فى جسم المجتمع البشرى و الحافز الأكبر للناس على أعمالهم و نشاطهم المدنى ، و قد يدفع المخترع إلى الاختراع و الصانع إلى صناعته و السياسى إلى مقالته و المرشح إلى انتخابه و العالم إلى تأليــفه ، حتى القــادة إلى الحرب ، فهو القطب الذى تدور حوله رحى الحياة العصرية كما يقول الأستاذ « جود » معلم الفلسفــة و علم النفس

فى جامعة لندن: « إن النظرية المهيمنة السائدة على هدا العصر هى النظرية الاقتصادية و أصبح البطن أو الجيب ميزاناً لكل مسألة فبمقدار اتصالها بالجيب و تأثيرها فيه يقبل الناس عليها و يعنون بها ».

إذا حكمت على عصرك وطبائعه و أذواقه و أنت بمعزل عن الحياة، وبنيت حكمك على مؤلفات و مقالات إنما تكتب فى زاوية من زوايا المكتب فإنك تغالط نفسك، و قد تقرأ فى هذه الكتب الفلسفية أو المقالات العلمية التحليلية كأنك فى عصر متمدن راق تتحكم فيه معايير الأخلاق و تسود فيه المثا ... سحاب الفضيلة و النبل، و تحلق عليه روح الديانة،

ذلك فإن هذه الكتب إنما ألفت فى عالم الخيال الذى - أهواءهم و أذواقهم هى التى خلقت لهم عالماً حـ... كتبهم، حتى يخيل إلى القارى أنه هو العالم المحيط به ... و للأهواء عجائب و خوارق.

و لكنك إذا اتصلت بالحياة عن كثب لا عن كتب، و خالطت الناس ودرست أحوالهم و أصغيت إلى حديثهم فى البيت و فى القطار و البستان و على المائدة و فى السمر، رأيت (الذهب) حديث النوادى و شغل الألسنة و هوى القلوب، و البداية و النهاية فى كل موضوع، و القطب الذى تدور حوله رحى الحياة،

إن شاعراً عربياً يلعن الصعلوك الذى لا يتعدى نظره و لا يسمو فكره عن لباس و طعام و يقول:

لحا الله صعلوكاً مناه وهمه من العيش أن يلقى لبوساً ومطعما

فكيف إذا أشرف هذا الشاعر على هذه المدنية وهى تجرى بفلاسفتها وساستها

و نوابغها و علمائها و أشرافها و أغنيائها و فقرائها وراء غاية لا تتعـــدى لبوساً و مطعماً مهما تنوعت أشكالها و تضخمت ألقابها ؟ ! فالحياة كلها جهاد فى سبيل اللباس و الطعام .

التدهور فى الأخلاق و المجتمع :

احتل الأجانب الشرق الاسلامى وقد أصاب المجتمع الشرقى الاسلامى انحطاط فى الأخلاق و الاجتماع ، و سبقت إليه أدواء خلقية و اجتماعية كانت أهم أسباب انهيار الدول الاسلامية و انهزام الأمم الشرقية .

و لكن مع ذلك لم يزل المجتمع الشرقى الاسلامى - على علاته - محتفظاً ببعض المبادىء الخلقية السامية والخصائص الاجتماعية الفاضلة التى لا يوجد لها مثيل فى الأمم ، و قد نضج و اكتمل فن الأخلاق عند الشرقيين ووصل من الدقـــة و التفصيل و اللطافة و رقة الحواشى ذروة لا يصل إليهـــا ذهن العصر ، و لا يتصورها الغربى إلا فى الشعر و الأدب .

و يقرأ الانسان أو يسمع روايات عن استحكام الروابط و الأواصر بين أعضاء المجتمع العام و أفراد الأسرة ، وتغلغلها فى الأحشاء واستمرارها إلى الأحقاب و الأجيال و خلوها من كل مصلحة و منفعة مادية ، ما لا يتصوره أبناء هذا العصر و كـــذلك من حنو الآباء على الأبناء و بر الأبناء بالآباء و توقير الصغير للكبير و حدب الكبير على الصغير ، و عن عفاف النساء و وفاء الحلائل و أمانة الخدم و وفائهم و استقامة الشبان و ثباتهم على الأخلاق ومعاملة الأشراف بعضهم لبعض و المحافظة على الرواتب و العادات و الاطراد فى مسألة اللباس و الشعائر والعشرة والايثار فى شأن الأصدقاء و النصح لهم ، يسمع منها غرائب لا يكاد يصدق :

كان بر الأبناء للآباء و طاعتهم إلى حد التفانى فى سبيلهم و الاضمحلال

وجودهم منتزعاً من قول النبى ﷺ : « أنت و مالك لوالدك (١) » .

وكان حب الأبناء لآبائهم وبرهم وحرصهم على أداء حقوقهم غير مقتصر على حياة الأبوين ، بل كان يستمر إلى ما بعد وفاتهما بصلة أصدقائهما و أهل أنسهما والاهداء إليهم و التحبب إلى أولادهم وعشيرتهم ، و كان ذلك عملا بقوله ﷺ « إن من أبر البر صلة الرجل بأهل ود أبيه بعد أن يولى (٢) » .

و كان الأبوان مثلا للنصح و الاخلاص فى حبهما للأولاد و كانا يضحيان بجميع أهوائهما و ميولهما و راحتهما و بلذة الأمومة و الأبوة
و تربيتهم و تعليمهم ، و يتحملان فى ذلك - حتى الرجـ
إجحاف المعلمين و أسمهم و إضرارهم ى بعض الأحيان
المرائر و يصبران على الغصص فى سبيل الأولاد و سوعهم ، ترو
أهل البيوتات والشرف حتى أهل الطبقات الوضيعة ، ويعدون من خالف ذلك رجلا نذلا لئيماً ، و الذى روى عن هارون الرشيد فى تنبيهه لولديه الأمين و المأمون و وصيته لهما بخدمة الكسائى معروف فى التاريخ ، ومن غرائب ما يروى فى هذا الباب و يمثل الطبيعة الشرقية أن « تاج الدين ألدز » أمير الأفغان بعد السلطان شهاب الدين الغورى أسلم ولده إلى معلم و ضرب المعلم الولد حتى مات ، فلما علم بذلك . « تاج الدين » أشار على المعلم بأن يهرب وقال : « لا آمن عليك من أم الولد فعسى أن ينالك منها مكروه » .

كانت الرابطة بين الصغير و الكبير فى المجتمع الاسلامى مؤسسة على تعاليم

(١) رواه أبو داود عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعاً.

(٢) رواه مسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما .

الشرع « من لم يرحم صغيرنا و يعرف حق كبيرنا فليس منا » (١) .

ومن خصائص الحضارة الشرقية الاطراد فى الحياة و المحافظة على لون واحد و التظاهر بمظهر واحـــد ، فكان الرجل إذا شرع فى أمر و تظـــاهر بمظهر ، واصله إلى غايته ، و إذا اتخذ عادة أو شارة فى اللبـاس أو عامل أحـــداً نوع معاملة واظب عليـــه إلى آخر أنفاسه ، و لا تؤثر فى ذلك الحوادث و لا تغيره الفصول و لا انحراف الصحة و لا الكسل و لا المصالح .

و لم يكن العمـــدة فى حياة الأسرة و القبائل و لم يكن الميزان فى التوقير و الشرف هو كثرة المال فيختلف المستوى المالى فى أسرة اختلافاً كبيراً ، ويتفاوت الرجال فى قبيلة أو قوم تفاوتاً عظيماً فى المال و الجاه ، فهذا سرى مثر و ذلك فقير معدم ، ولم يكن يستطيع أحد أن يفرق بينهم ويرفع بعضهم فوق بعض لأجل التفاوت الاقتصادى فى مجتمعات الأسر والبيوتات و المآتم (بمعناها اللغوى) فاذا شم أحد رائحة الفرق أو نظرة الازدراء ثار كالليث ، أو إذا بدرت بادرة من المضيف تنم عن هذا الفصل انسحبت الأسرة كلها من الضيافة وقاطعوا أهل الضيافة و كانوا يداً واحدة مع أخيهم المهضوم .

و كان الفقير الصعلوك فى قبيلة يواجه الأغنياء و الملوك من تلك القبيـــلة بجرأة و هو معتز بنفسه معتد بشرفه لا يرى فى نفسه نقيصـة لأجل فقر ، و كان الغنى أو الملك يكرمه ، ويحله محل اللائق بشرفه و نسبه و فضيلته الذاتية ، بصرف النظر عن رثاثة هيئته و تبذله ، و الأزمة الاقتصادية الطارئة على كرم عنصره ، و صفاء معدنه و طيب منبته و متانة دينه و وفور عقله.

و كان الفقير فى ذلك يبالغ كثيراً فى إخفاء عسرته و ضنك معيشته ويتحمل

(١) رواه أبو داود عن عبد الله بن عمر .

و يتجلد ، و يسوؤه أن يفطن أحد إلى فاقته و رقة حاله .

و كان ضمير الحر عزيزاً محترماً كدينه و عرضه ، لا يساوم عليه ولا يباع بأى ثمن ، و كان الواحد يفضل الموت الأحمر على كذبة أو خيانة يخلص بها نفسه من الموت

و قد روى لنا التاريخ الهندى طرائف فى هذا الباب لابد أن تكون أمثالها متوافرة فى تاريخ جميع البلاد الاسلامية : منها أن الشيخ رضى الله الدايونى اتهم بالاشتراك فى الثورة على الانجليز عام ١٨٥٧ و حوكم أمام حاكم تلاميذه ، فأوعز إليه الحاكم على لسان بعض الأصدقاء أ و لكن الشيخ أبى و قال : قد اشتركت فى الخروج على و اضطر الحاكم فحكم عليه بالاعدام ، و لما قدم للشنق بكى فى هذه الساعة لو قلت مرة : إن القضية مكذوبة على ، و إنى بريئ لاجتهدت فى تخليصك ، فغضب الأستاذ و قال : أتريد أن أحبط عملى بالكذب على نفسى ؟ لقد خسرت إذاً و ضل عملى ، بل قـــد اشتركت فى الثورة فافعلوا ما بدا لكم ، و شنق الرجل ! !

و لم يكن صدقهم و اعترافهم بما يعملون و يعتقدون مقتصراً على ما يتصل بأنفسهم ، بل كانوا صادقين فيما يتصل بالأمة والشعب ، فلم يكونوا يعرفون العصبية الجنسية و الوطنية ، والحب القومى الذى أصبح اليوم من واجبات الجنسية الوطنية و كانوا يعدون الكذب و شهادة الزور لأجل الأمة و الوطن و الملة رذيلة وإثماً كبيراً ، و كانوا يعتقدون أن أحكام الشرع تعم الفرد و الأمة و الأمور الشخصية و الاجتماعية و كانوا متمسكين بقوله ، تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين

بالقسط شهداء لله و لو على أنفسكم أو الوالدين و الأقربين » (١) الآية ، وقوله « و لا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعـــدلوا هو أقرب للتقوى و اتقوا الله » (٢) و قوله : « و إذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » (٣) وقوله « و إذا قلتم فاعـدلوا و لو كان ذا قربى » (٤) .

و مما يروى لنا الشيوخ من ذلك أنه وقع نزاع الهنادك و المسلمين فى قرية كاندهلة من مديرية « مظفر نكر » فى الولايات المتحدة الهندية على أرض ؟ فادعى الهنادك أنها معبد لهم ، و المسلمون أنها لهم مسجد ، و تحاكموا إلى حاكم البلد الانجليزى ، فسمع الحاكم القضية و دلائل الفريقين ولم يطمئن إلى نتيجة ، فسأل الهادك : هل يوجد فى القرية مسلم تثقون بصدقه وأمانته أحكم على رأيه ؟ قالوا نعم ، فلان : و سموا شيخاً من علمـاء المسلمين و صالحيهم ، وأرسل إليـه الحاكم و طلبه إلى المحكمة ، فلما جاءه الرسول قال : قد حلفت أن لا أرى وجه أفرنجى و رجع الرسول فقال الحاكم . لا بأس ، ولـكن أحضر و أدل برأيك فى القضية فحضر الشيخ و ولى دبره إلى الحاكم و قال . الحق مع الهادك فى هذه القضية ، و الأرض لهم ، بذلك قضى الحاكم و خسر المسلمون القضيـــة ، و لـكن كسوا قلوب الهنادك و أسلم منهم جماعة .

و كذلك كان الناس يعدون العلم عارية مقدسة و وديعة من الله لا يبيعونه كسلعة فى السوق ، و لا يتعاونون به على إثم آثم و عدوان معتـــد ، و كانوا

(١) سورة النساء : ١٣٥

(٢) سورة المائدة : ٨ .

(٣) سورة النساء : ٥٨ .

(٤) سورة الأنعام : ١٥٢ .

لا يرضون أن يستعين به نظام جائر أو حكومة غير إسلامية .

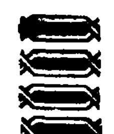
و مما حكى لنا الثقات و قرأناه فى التاريخ أن الشيخ عبد الرحيم الرامفورى (م ١٢٣٤هـ) كان يعلم فى بلدة رامفور براتب زهيــــد يتقاضاه كل شهر من الامارة الاسلامية لا يزيد على عشر روبيات (أقل من جنيه مصرى) فقـــدم إليه حاكم الولايات الانجليزى المستر هاكس وظيفة عالية فى كلية بريلى راتبها مائتان و خمسون روبية (تسعة عشر جنيهاً مصرياً) و ذلك يساوى خمسين جنيهاً فى هذا العهد ، و وعد بالزيادة فى الراتب بعد قليل ، فاعتذر الشيخ ع ة ا ''

إلى أتقاضى عشر روبيات و إنها ستقطع إذا تحولت إل

الانجليزى وقال . . ما رأيت كاليوم . أنا أقدم راتباً يزيد

أضعاف ، و تترك الأضعاف المضاعفة و تقنع بالنزر اليسـ

بيته شجرة سدر و هو مغرم بثمرها و أنه سيحرمها إذا أقام فى بريلى ، و لم يفطن الانجليزى بعد إلى مقصود الشيخ ، فقال أنا زعيم بأن هذا الثمر يصل إليك من رامفور إلى بريلى ، فتشبث بثالثة بأن حوله طلبة و تلاميذ يقرأون عليه فى بلده فلو انتقل إلى هذه الوظيفــة انقطعت دروسهم . و لم ييأس الانجليزى المناقش من إقناعه فقال : أنا أجرى لهم جرايات فى بريلى و يواصلون دروسهم هناك ، وهنا أطلق الشيخ آخر سهامه الذى أصمى رميته فقال . و ماذا يكون جوابى غداً إذا سألنى ربى . كيف أخذت الأجرة على العلم ؟ وهنا بهت الانجليزى وسقط فى يديه و عرف نفسية العالم المسلم ، و قضى الشيخ حياته على أقل من جنيـــه يأخذه كل شهر ، « يتبع »



عاهة الشيوعــية

بقلم المرحوم الأستاذ محمد الحسنى

إن عداء الشيوعية للدين و حقدها الشديد الدفين للاسلام قضية معروفة لدى
الجميع، أما ذهابها بأمن الحياة ورخائها وسعادتها، و تحسها على موارد البلاد وغناه
و زرعها و ثمارها و على تجارة البلاد و إنتاجها، و كبتها حرية العمل، وحر
الكفاح، و حرية التصدير و التوريد، و حرية الحياة العائلية و المنزلية وحيا
المجتمع، و إنكارهم للمعانى النبيلة مثل حب الأطفال و صــلة الرحم و معاشر
الاخوان، و فى اختصار العيش على هده الكرة الأرضية كاسان، فان هذه القض
أو هذا الفصل الأسود الحالك من قصــة التنازع الطبقى، و الصراع الحيوانى
و الاستبداد الحزبى، وصل لم تعرفه البلاد « الفرة » . . « الساذجة » « الآم
المطمئنة » التى لم تكتو بنارها، و لم تجرب حظها فى هدا « اليانصيب » ولا أسر
هذا اللفظ عمواً وجزافاً، فان كثيراً من الناس فى هده البلاد يتسابقون ويتزاحمو
على شراء هذه الآفة و العاهة، كأنه خير كثير حرموا إياه بينما سعد به الآخرو
فهل هو خير كثير، أم شر مستطير ! »
إن لنا جارة فى شرق البـــلاد يقال لها « بورما » و هو اسم معروف
وعندكم جارات تبنت الشيوعية وافتخرت بها، ولا أسميها، أما « بورما » المنك
المنكوبة بالماركسيين هؤلاء ــ الذين يستعملون أحياناً تعبير التقدميـــة و الا
و التحررية و العلمانية تقنعاً و تستراً، و تفادياً من الصدام المكشوف و

مالشباب الفج ـ فأحكى لكم قصتها ، و معـــذرة إلى الثوريين الماركسيين فى درة الخليج التى يحلمون بها ويسيل عليها لعابهم ، و إلى الشيوعيين المستترين فى مراكز الاسلام و حصونه و معاقله (و هم فيها أكثر تستراً و تحفظاً و مراوغة ونفاقاً بحكم الوضع و المنطق والطبيعة) فانها تفضحهم قليلا فى قارعة الطريق ، لقد كانت هناك تجارة زاهرة للمسلمين فى « بورما » و إسهام كبير فى صناعـــة البلاد و بناء الوطن إلى جانب خدمتهم للدين ، فتلاشى كل هذا مع انهيار اقتصاد البلاد كنتيجة طبيعية دائمة للثورة الشيوعية و أصبح البلد سجناً كبيراً يعيش فيه الجمهور . الذى كان يهتف لهؤلاء . عالة على فتات الحكم العسكرى الشيوعى و -

مما نقلته « الديلى التلغراف اللندنية » .

« كانت « رنجون » عاصمة « بورما » تعتبر من من الأيام ، و لكنها فقدت اليوم كل جمالها و بهائها ، - -

و أصبحت البنايات الشامخة نموذجاً للقدامة و البلى ، أما النظافة فهى كلمة لامدلول لها ، الأسواق و المحلات التجارية تغلق و تقفر من المساء الباكر و تخلو الشوارع من الناس إلا الشرذمة القليـلة التى تراها مصطفة أمام دور السينما لمشاهدة الأفلام الأجنبية ، كما يوجد بعض المشاة فى الطرقات عابسين وجوههم و قد كانت هـــذه الوجوه يرتسم عليها الابتسام فى ماضى الأيام ، إنها صورة « بورما » اليوم بعد انتهاء عهد الجمهورية و احتلال عهد الاشتراكية محله » .

و يصف المعلق السياسى الحالة الاقتصادية فى البلاد فيقول .

« قد أنتجت هذه السياسة قلة المواد الاستهلاكية بشكل فظيع ، وتوزيـــع الحوائج الهامة فى محلات تجارية شعبية عن طريق شركة تجارية حكومية ، والأسعار مرتفعة جـــدا ، كما يحتاج فى شراء حوائج عادية إلى إنجاز إجراءات رسميـــة ،

و الذين يضطرون إلى شراء هذه الحوائج من غير هذا الطريق ، توفيراً للوقت ، و تخلصاً من المآزق الرسمية ، يلجأون إلى السوق السوداء » .

و بما أن الشيوعية فى « بورما » قد قضت على الأحزاب المعارضة ، وأممت الصحافة التى تملكتها الحكومة الآن ، لايمكن رفع صوت الاحتجاج على جميع هذه الويلات التى يعيش فيها الشعب البورمى ، وقد واجه تصدير الرز تأثيراً سيئاً للغاية من قبل الاشتراكية الحديثة فى « بورما » اليوم . و ذلك ما تتركز عليـــه حل اقتصادية هذه البلاد ، و قد كانت « بورما » قبل الحرب العالمية الأخيرة فى رأس قائمة البلدان التى تقوم بتصدير الرز ، و لكن نسبة التصدير نقصت فيها حتى بلغت اليوم إلى نصف ما كان عليه من قبل » (١) .

هذا ما حدث بجارتنا ، أما ما حدث بجاراتكم فى هذه الناحيـــة بالذات فأرجو أن تتولوا الرد عنها ، و أخاف أن يكون نصيبها أكثر فى الحرمان والحرية المقيـدة ، و الحرمات المنتهكة ، و الدم المهراق ، فضلا عن الانهيار الاقتصادى و التدهور الخلق .

أنظروا إلى بعض البلاد العربية الجميلة المؤمنة الآمنة ، ثم تأملوا ماذا كانت و ماذا صـارت . اسألوا مروجها الخضراء و حـــدائقها الغناء ، اسألوا أمطارها و أنهارها و ثمراتها و غلاتها ، و نخيلها و أعنابها ، لا تسألوا سوق العلم الذى كسدت و دنيا القلب الذى خمدت ، لا تسألوا الوجوه المشرقـــة بنور الايمان ،

(١) إن مسلمى الهند متصلون ثقافياً و دينياً بمسلمى بورما ، و بينهم صـــلات وأواصر ، ولهم معلومات عنها بمصادرهم الخاصة ، فجاء هذا التقرير الأجنبى مطابقاً تمام المطابقة بما كانوا يعرفونه ، بل إنه لم يصور فظاعة الموقف ، و إخفاق الاشتراكية فى هذه البلاد كل التصوير .

والشباب المؤمن ، الغض الطرىء فى الميدان ، فقد شوهتم هذا الوجه الحقيقى الجميل لبلادكم باسم البطون الخاوية و الأجسام الضامرة ، باسم الفلاحين والعمال والطبقة الكادحة ، و لكن اسألوا التاجر ، و المعلم و الطالب ، و الموظف ، و الفلاح والحارث ، هل هو يعرف لذة الحياة ؟ ومعنى الكرامة ؟ ويذوق طعم الحرية والأمن العاطفى ؟ هل لا تزال الثمار والحبوب ، والغلات و المحصولات ، تزخر ، وتفيض و تتوفر ، كما كانت تتوفر قبل إعصار الشيوعية و لفحاتها ، فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت » (١) وهل هذه النار شئ آخر غير الجحود و الكفران . والكفر بعد الايمان ، و هل ينعم ابن البلد بخيرات بلده ، و ثمـ
و بركات أرضه و سمائه ، كما كان ينعم بها قبل دخول
لكثير فى عصور العلم و الايمان ، و الدعوة و الجهاد . .
و يقر بها عيناً ؟ ؟ .

هل هو يأوى إلى فراشه ناعم البال قرير العين ، راضياً مرتاحاً ، آمناً مطمئناً بين زوجته الوفية و أولاده البارين ، لا يخاف على نفسه من طارق يطلب بطاقة الجنسية و الهوية ، أو شبح يطارده فى المنام فى صورة مخابرات وبوليس و حكام ، أو رايات حمراء ترفرف - لا قدر الله - على بلاد الاسلام .

إن وطأة الشيوعية أشد و أنكى و أثقل على الذين يطلبون الرخاء و الأمن والاستقرار لبلادهم ، و هم فيه مخلصون ، من الذين يحرصون على دينهم و إيمانهم و هم به راضون مرتاحون ، فان نار الشيوعية لاتمس هذه القلوب المؤمنة السليمة الصادقة ، ولكنها تحرق ظاهر الأرض ، إنها تحرق فقط أموالا يكسبونها و مساكن يرضونها ، وتجارة يخشون كسادها ، فاحذروا منها بدافع الاقتصاد و مصلحة المعيشة و الرزق إذا لم يرق فى عيونكم دافع الدين ، و لم يهمكم أمر الاسلام والمسلمين .

(١) سورة البقرة : ٢٦٦ .

دراسات وأبحاث

بحث قيم في التوحيد و مفهومه و انواعه

للعلامة عبد الحي الحسني ، مدير ندوة العلماء السابق

[هذا البحث في الواقع جزء من شرح الكاتب العلام لكتابه الذي
ألفه في الحديث الشريف و صدر باسم « تهذيب الأخلاق » و قد
ظهرت الآن طبعته الثالثة . و الكتاب
كلية الشريعة بدار العلوم ندوة العلماء
نشر البحث لما يحتوي عليه من
التوحيد و من إشارات مهمة حول هذا الموضوع التحرير]

التوحيد : مصدر وحد يوحد .

و معنى وحدته اعتقدته متفرداً بذاته وصفاته لا نظير له ولا شبيه ، وقيل معنى وحدته علمته واحداً ، و قيل سلبت عنه الكيفية و الكمية فهو واحد في ذاته لاانقسام له ، و في صفاته لا شبيه له ، و في إلهيته وملكه و تدبيره لاشريك له ، و لا رب سواه و لا خالق غيره .

و التوحيد نوعان : توحيد في المعرفة و الاثبات و هو توحيد الربوبية و الأسماء و الصفات .

و توحيد في الطلب و القصد ، و هو توحيد الالهية و العبادة ، وسمى دين الاسلام توحيداً لأن مبناه على أن الله تعالى واحد في ملكه و أفعاله لا شريك له وو احد في ذاته لا ند له . و واحد في ألوهيته و عبادته ، و إلى هذه الأنواع

الثلاثة ينقسم توحيد الأنبياء و الرسل الذين جاءوا به من عند الله و هى متلازمة لكل نوع منه لا ينفك عن الآخر ، فمن أتى بنوع منها و لم يأت بالآخر فما ذلك إلا لأنه لم يأت به على وجه الكمال المطلوب .

قال ابن القيم : الأول يعنى توحيد المعرفة هو إثبات حقيقة الرب تعالى و صفاته و أفعاله و أسمائه و تكليمه بكتبه و تكليمه بمن شاء من عباده و إثبات عموم قضائه و قدره و حكمته . و قد أفصح القرآن عن هذا النوع حد الافصاح كما فى أول الحديد و طه و آخر الحشر و أول ألم تنزيل السجدة و أول آل عمران و سورة الاخلاص و غير ذلك .

الثانى : يعنى توحيد الطلب والقصد هو ما تضمنته سورة « قل يا أيها الكافرون » و قوله « قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله و لا نشرك به شيئاً » (١) . و أول سورة تنزيل الكتاب و آخرها و أول سورة المؤمن ووسطها وآخرها ، وأول سورة الأعراف وآخرها و ، جملة سورة الأنعام وغالب سور القرآن بل كل سورة فيه متضمنة لنوعي التوحيد شاهدة به داعية إليه فان القرآن إما خبر عن الله تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله و أقواله فهو التوحيد العلمى الخبرى و إما دعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له و خلع ما يعبد دونه فهو التوحيد الارادى الطلبى ، وإما أمر ونهى وإلزام بطاعته فى كل ما يؤتى و يذر فهو من حقوق التوحيد و مكملاته ، وإما خبر عن إكرام أهل التوحيد و ما فعل بهم فى الدنيا و يكرمهم به فى الآخرة ، فهو جزاء التوحيد ، وإما خبر عن أهل الشرك و ما فعل بهم فى الدنيا من النكال و ما يحل لهم فى العقبى من العذاب والوبال فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد ، فالقرآن كله فى التوحيد وحقوقه

(١) سورة آل عمران الآية ٦٤ .

و أجزائه و فى شأن الشرك و حزائهم (انتهى) .

و قال ابن تيمية التوحيد الذى جاءت به الرسل إنما جاء يتضمن إثبات الالهية لله و حده بأن يشهد أن لا إله إلا هو و لا يعبد إلا إياه و لا يتوكل إلا عليه و لا يوالى الا له و لا يعادى إلا فيه و لا يعمل إلا لأجله و ذلك يتضمن إثبات ما أثبته لنفسه من الأسماء و الصفات . قال تعالى . « و أسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا لهم من دون الرحمن آلهة يعبدون » (١) ، و أخبر كل نبي من الأنبياء أنهم دعوا الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له و قال تعالى : « قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم و٠٠ إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله » (٢) و قال . إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون و يقولون أ٠ مجنون (٣) و هذا فى القرآن كثير .

و ليس المراد بالتوحيد مجرد توحيد الربوبية و هو اعتقاد أن الله تعالى وحده خلق العالم ، فان الرجل لو أقر بما يستحقه الرب من الصفات و نزهه عن كل ما تنزه عنه و أقر بأنه وحده خالق كل شئ لم يكن موحداً حتى يشهد أن لا إله إلا الله . ويقر بأن الله وحده هو الاله المستحق للعبادة و لا يستحقها غيره و يلتزم بعبادته وحده لا شريك له .

و الاله هو المألوه المعبود الذي يستحق العبادة وليس هو الاله بمعنى القادر على الخلق ، فاذا فسر المفسر الاله بمعنى القادر على الاختراع واعتقد أن هذا أخص وصف الاله و جعل إثبات هذا هو الغاية فى التوحيد ، لم يعرف بأن الله وحده

(١) زخرف الآية ٤٥
(٢) زخرف الآية ٣٦
(٣) الصافات الآية ٣٥

خالق کل شئ و کان مع هذا مشرکـاً ، قال تعالی : « و ما یؤمن أکثرهم بالله إلا و هم مشرکون » (١) قال طائفـة من السلف تسألهم من خلق السماوات والأرض ویقولون الله وهم مع هذا یعبدون غیره ، قال تعالی : « قل لمن الأرض ومن فیها إن کنتم تعلمون سیقولون لله قل أفلا تذکرون » إلی قوله فانی تسحرون (٢) فلیس کل من أقر بأن الله رب کل شئ و خالقـه یکون عابداً له دون ما سواه داعیاً له دون ما سواه راجیاً له خائفاً منه دون ما سواه، یوالی له ویعادی فیه و یطیع رسله و یأمر بما أمر به و ینهی عما نهی عنه .

وعامة المشرکین أقروا بأن الله خالق کل شئ وأثبتوا الشفعاء الذین یشرکونهم به و جعلوا له أنداداً ، و فی القرآن الکریم آیات فی ذلك الباب کثیره ، و لهذا کان من أتباع هؤلاء من یسجد للشمس و القمر و الکوکب و یدعوها و یصوم وینسك لها ویتقرب إلیها ثم یقول إن هذا لیس بشرك . إنما الشرك إذا اعتقدت أنها المدبرة لی فاذا جعلتها سبباً و واسطة لم أکن مشرکاً و من المعلوم بالاطراد فی دین الاسلام أن هذا شرك ، انتهی ملخصاً .

قال أحمد بن علی المقریزی (٣) فی تجرید التوحید : إن الله سبحانه هو رب کل شئ ومالکه وإلهه فالرب مصدر رب یرب رباً فهو راب ، فمعنی قوله رب العالمین أن رابهم و هو الرب الخالق الموحد لعباده القائم بتربیتهم و إصلاحهم المتکفل لهم من خلق و رزق و عافیة وإصلاح دین و دنیا ، و الالهیة کون العباد یتخذونه مألوها معبوداً محبوباً یفردونه بالحب و الخوف و الرجاء و الاخبات و التوبة و النذر و الطاعة و الطلب و التوکل و نحو هذه الأشیاء ، فان التوحید حقیقته أن تری

(١) یوسف الآیة ١٠٦　　(٢) المومنون من الآیة ٨٥٤ إلی ٨٩

(٣) المتوفی ٨٥٤

الأمور كلها من الله تعالى رؤية تقطع الالتفات عن الأسباب و الوسائط فلا ترى الخير والشر إلا منه ، وهذا المقام يثمر التوكل وترك شكاية الخلق و ترك لومهم و الرضا عن الله تعالى و التسليم لحكمه ، وإذا عرفت ذلك علمت أن الربوبية منه تعالى للعباد و التأله من عباده له سبحانه كما أن الرحمة هي الوصلة بينه عز وجل و بينهم ، وإن أنفس الأعمال و أجلها قدراً توحيد الله تعالى غير أن التوحيد له :

الأول : أن تقول بلسانك لا إله إلا الله ويسمى هذا القول توحيداً و هو مناقض التثليث الذى يعتقده النصارى ، وهذا التوحيد يصدر أيضاً من المنافق الذى يخالف سره جهره .

و الثانى : أن لا يكون فى القلب مخالفة و لا يشتمل القلب على اعتقاد ذلك و التصديق به و هذا ه

ولباب التوحيد أن يرى الأمور كلها لله تعالى و منه سبحانه ، يقطع ـ نظره عن الوسائط و أن يعبده سبحانه عبادة يفرده بها و لا يعبد غيره و يخرج عن هذا التوحيد اتباع الهوى . فكل من اتبع هواه فقد اتخذ هواه معبوده ، قال تعالى «أفرأيت من اتخذ إلهه هواه» وإذا تأملت عرفت أن عابد الصنم لم يعبد الصنم إنما عبد هواه ، وهو ميل نفسه إلى دين آبائه فيتبع ذلك الميل ، و ميل النفس إلى المألوفات أحد المعانى يعبر عنها بالهوى ، ويخرج عن هذا التوحيد السخط على الخلق و الالتفات إليهم ، فان ما يرى الكل من الله كيف يسخط على غيره أو يأمل سواه و هذا التوحيد مقام الصديقين .

و لا ريب أن توحيد الربوبية لا ينكره المشركون بل أقروا بأنه سبحانه وحده خالقهم و خالق السماوات و الأرض و القائم بمصالح العالم كله ، و إنما أنكروا توحيد الالهية و المحبة كما حكى الله تعالى عنهم فى قوله «و من الناس من

يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله و الذين آمنوا أشد حباً لله » (١) فلما سووا غيره به فى هذا التوحيد كانوا مشركين كما قال تعالى « ثم الذين كفروا بربهم يعدلون (٢) » أى ليسوون غيره به، وقال تعالى : « و هم بربهم يعدلون » وقد علم الله عباده كيفية مباينة الشرك فى توحيد الالهية بافراده ولياً و حكماً و رباً فقال تعالى : « قل أغير الله اتخذ ولياً » (٣) قال « أغير الله أبغى رباً (٤) » فلا ولى و لا حكم و لا رب إلا الله الذى من عدل به غيره فقد أشرك فى ألوهيته و لو وحد ربوبيته.

فتوحيد الربوبية هو الذى اجتمعت فيه الخلائق مؤمنها وكافرها وتوحيد الألوهية مفرق الطرق بين المؤمنين والمشركين ، و لهذا كانت كلمة الاسلام لاإله إلا الله ، فلو قال لارب إلا الله لما أجزأه عند المحققين ، فتوحيد الألوهية هو المطلوب من العباد ، ولهذا كان أصله الاله كما هو قول سيبويه ، وهو الصحيح وهو قول جمهور أصحابه إلا من شذ منهم ، و بهذا الاعتبار الذى قررنا به الاله ، وإنه المحبوب لاجتماع صفات الكمال فيه ، كان « الله » هو الاسم الجامع لجميع معانى الأسماء الحسنى و الصفات العليا و هو الذى ينكره المشركون و يحتج الرب سبحانه عليهم بتوحيد ربوبيته على توحيد ألوهيته ، كما قال تعالى ، « آلله خير أم ما يشركون أم من خلق السماوات و الأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ، ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أ إله مع الله بل هم قوم يعدلون » (٥) أى يسوون غير الله تعالى بالله تعالى ، وكل ما ذكر الله تعالى من آياته جملة من الجمل قال عقبها أ إله

(١) البقرة الآية ١٦٥ (٢) الأنعام الآية ١
(٣) الأنعام الآية ١٤
(٤) سورة الأنعام الآية ١٦٤ (٥) النمل الآية ٦٠

مع الله ، فأبان سبحانه بذلك أن المشركين إنما كانوا يتوقفون فى إثبات توحيد الألوهية لا الربوبية على أن منهم من أشرك أيضاً فى الربوبية كما سيأتى بعد ذلك (١) .
قال المقريزى : ومشرك الأمم كله نوعان ، شرك فى الألوهية ، وشرك فى الربوبية .

فالشرك فى الألوهية و العبادة هو الغالب على أهل الاشراك و هو شرك عباد الأصنام و عباد الملائكة و عباد الجن و عباد المشايخ و الصالحين الأحياء منهم والأموات الذين قالوا « ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى » (٢) و هم يشفعون لنا عنده لسبب قربهم من الله و كرامته لهم ، ورب كرامة كما هو المعهود فى الدنيا من حصول الكرامة و الزلفى لمن يخدم أعوان الملك و أقا
الالهية كلها من أولها إلى آخرها تبطل هذه المذاهب و
على أنهم أعداء الله تعالى و جميع الرسل صلوات الله
أولهم إلى آخرهم . و ما أهلك الله من الأمم إلا لسبب هذا
وأصله الشرك فى محبة الله تعالى قال تعالى : « ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله » (٣) فأخبر أن من أحب مع الله تعالى شيئاً غيره كما يحبه فقد اتخذ نداً من دونه ، و هذا على أصح القولين فى الآية الشريفة ، أنهم يحبونهم كما يحبون الله ، وهذا هو العدل المذكور فى قوله سبحانه « ثم الذين كفروا بربهم يعدلون » (٤) و المعنى أنهم يعدلون به غيره فى العبادة فيسوون بينه و بين غيره فى الحب و العبادة .

و كذلك قول المشركين فى النار لأصنامهم « تالله إن كنا لفى ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين » (٥) و معلوم قطعاً أن هذه التسوية لم تكن بينهم وبين

(١) تجريد التوحيد ص ٣ ـ ٦ طبع لاهور
(٢) الزمر الآية ٣ (٣) البقرة الآية ١٦٥
(٤) الأنعام الآية ٣٣ (٥) الشعراء الآية ٩٨

الله فى كونه ربهم و خالقهم ، فانهم كانوا كما أخبر الله عنهم مقرين بأن الله تعالى وحده هو ربهم و خالقهم ، و إن الأرض و من فيها لله تعالى وحده و إنه رب السماوات السبع و رب العرش العظيم ، و إنه سبحانه هو الذى بيده ملكوت كل شئ و هو يجير و لا يجار عليه ، و إنما كانت هذه التسوية بينهم و بين الله فى المحبة و العبادة فمن أحب غير الله و خافه و رجاه و ذل له و خضع كما يحب الله و يخافه و يرجوه ويخضع له فهو المشرك ، وهذا هو الشرك الذى لا يغفره الله.

قال و النوع الثانى : الشرك به تعالى فى الربوبية كشرك من جعل معه خلقاً آخر كالمجوس و غيرهم الذين يقولون بأن للعالم ربين أحدهما خالق الخير و الآخر خالق الشر ، و كالفلاسفة و من تبعهم الذين يقولون بأنه لم يصدر عنه إلا واحد بسيط ، و إن مصدر هذا العالم عن العقل الفعالى فهو رب كل ما تحته و مدبره و هذا أشر من عباد الأصنام و المجوس و النصارى و هو أخبث شرك فى العالم إذ يتضمن من التعطيل و جحد الالهية و الربوبية و إسناد الخلق إلى غيره سبحانه ما لم يتضمنه أمة من الأمم ، وشرك القدرية مختصر من هذا المطول ، وباب يدخل منه إليه و لهذا شبههم الصحابة رضى الله عنهم بالمجوس كما ثبت عن ابن عمر وابن عباس رضى الله عنهما وقد روى أهل السنن فيهم ذلك مرفوعاً أنهم مجوس هذه الأمة.

و كثيراً ما يجتمع الشركان فى العبد و قد ينفرد أحدهما عن الآخر ، و القرآن الكريم بل الكتب المنزلة من عند الله تعالى كلها مصرحة بالرد على أهل هذا الاشراك كقوله إياك نعبد فانه ينفى شرك المحبة و الالهية و قوله إياك نستعين فانه ينفى شرك الخلق و الربوبية فتضمنت هذه الآية تجريد التوحيد لرب العالمين فى العبادة و الاستعانة و إنه لا يجوز إشراك غيره معه لا فى الأعمال و لا فى الألفاظ و لا فى الارادات ، انتهى كلام المقريزى (١) .

(١) « تجريد التوحيد » ص ٩ - ١٣ .

ردود على شبهات حول شئون اجتماعية

(٢)

الدكتور عبد الكريم زيدان

ثانياً موقف النبي ﷺ من بني قريظة

١ـ لما قدم النبي ﷺ إلى المدينة مهاجراً وادعته يهود كلها وكتب ﷺ بينه وبينهم كتاباً و جعل بينه و بينهم أماناً و شرط عليهم شروطاً . عدواً و في رواية أن النبي ﷺ عاهدهم على أن ينصروه

٢ـ وكان يهود المدينة ثلاث طوائف هم بنو قريظة أما بنو قينقاع فقد أجلاهم ﷺ من المدينة إلى مدينة بأطراف الشام . وأما بنو النضير فقد أجلاهم النبي ﷺ من المدينة بعد سبعة و ثلاثين شهراً من الهجرة بسبب خيانتهم و نقضهم العهد ، و قد نزل بعضهم في خيبر و ذهب البعض الآخر إلى الشام (٢) .

٣ـ إلا أن هؤلاء اليهود بالرغم من إجلائهم عن المدينة لم يكفوا عن عداوتهم للنبي ﷺ و الكيد له ، و من كيدهم أن نفراً منهم ذهبوا إلى قريش مع بعض رؤسائهم من بني النضير مثل حيي بن أخطب يحرضون قريشاً على مهاجمة المدينة ومقاتلة المسلمين و يعدونهم النصر و الاعانة فأجابوهم إلى ذلك ، ثم ذهب هؤلاء اليهود إلى قبيلة غطفان وهيجوهم على قتال المسلمين وأعلموهم بعزيمة قريش على مهاجمة المسلمين

(١) إمتاع الأسماع للمقريزي ص ١٤ ، ٢٥ ، ٢٢٦ .

(٢) « « « ص ١٨١ .

فأجابوهم إلى طلبهم و هكذا تجمع المشركون و توجهوا إلى المدينة يريدون قتال النبي ﷺ و المسلمين ، وعلم النبي ﷺ بمقدمهم ، فأمر أصحابه بحفر خندق حول المدينة لصد المشركين و منعهم من دخول المدينة .

٤- و لم يكتف اليهود حيي بن أخطب بما فعل بل قدم على بنى قريظة فى حصونهم وما زال يحرضهم على نقض عهدهم مع النبي ﷺ ذلك العهد الذى يلزمهم بنصرة المسلمين ضد من يريد مهاجمة المدينة ، أو وقوفهم على الحياد فى الأقل حتى استجاب يهود بنى قريظة إلى تحريضـــه فأعلنوا الخيانة و نقض العهد والتعاون مع الأحزاب و هم المشركون المحاصرون للمدينة ، مما جعل الأمر شديداً جداً على المسلمين وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك ، قال تعالى « إذ جاؤكم من فوقكم و من أسفل منكم و إذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر و تظنون بالله الظنونا » و يقول الامام ابن كثير فى تفسيره إن الذين جاؤا من أسفل من المؤمنين هم بنو قريظـة لما نقضوا العهد (١) .

٥- وأخذت بنو قريظة ترسل جماعات منها للاغارة على المدينة ، فأرسل النبي ﷺ قسماً من جند المسلمين إلى المدينة لمقابلة اليهود المغيرين عليها وردهم عنها حفاظاً على الذرارى والنساء فيها إذ كان خوف المسلمين على هؤلاء من هجمات اليهود أشد من خوفهم من هجمات قريش و غطفان من خلف الخندق (٢) .

٦- و بعد أن رد الله تعالى الأحزاب عن المدينـــة و زال عن المسلمين توجه النبي ﷺ والمسلمون معه إلى بنى قريظة ليضعوا حداً لخيانتهم ، فحاصرهم النبي ﷺ و المسلمون خمساً و عشرين ليلة ، فلما اشتد عليهم الحصار و أبوا أن ينزلوا

(١) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٤٧ .

(٢) امتاع الأسماع للمقريزى ص ٢٢٨ .

على حكم رسول الله ﷺ ، قالوا ننزل على حكم سعد بن معاد و كانوا يطمعون فى ميله إليهم باعتباره سيد الأوس كانوا حلفاءهم فى الجاهلية .

٧ــ و قد رضى رسول الله ﷺ أن يكون الحكم بينه و بين بنى قريظة سعد بن معاد ، فقال سعد : فانى أحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم و تسبى نساؤهم وذراريهم و تقسم أموالهم ، فقال له النبى ﷺ : لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سماوات (١) ، و قد نفذ النبى ﷺ فيهم حكم سعد بن معاد فقتل مقاتلتهم وكان عددهم أربعمائة و قيل ستمائة أو سبعمائة (٢)

تقدير هذه المعاملة :

٧ــ زعم بعض أعداء الاسلام أن معاملة النبى ﷺ
عن العدل ، و كان يسعه أن يجليهم عن المدينة كما أجلى ،

الرد على هذا الادعاء :

٩ــ و الواقع أن هذا الادعاء باطل وبعيد عن الموضوعية و عن العدل الذى يطالبون به ، و ذلك للأسباب التالية :

أولاــ إن العقوبة تكون عادلة إذا كانت بقدر الجريمة ، فهل كانت عقوبة بنى قريظة بقدر جريمتهم .

و الجواب أن هذه المساواة لا يمكن أن تتضح إلا بعد أن نكشف الغطاء عن جسامة جريمة بنى قريظة ، و هذا يستلزم بيان ما يأتى :

أ ــ جاء المشركون بجيش كثيف وحاصروا المدينة يريدون استئصال المسلمين .

ب ــ إن موقف المسلمين كان دقيقاً و خطيراً جداً فهم فى موقف الدفاع وراء

(١) السيرة النبوية للامام ابن كثير ج ٣ ص ٢٣٣ و ما بعدها .

(٢) 　»　　»　　»　ج ٣ ص ٢٣٩ .

الخندق و عددهم أقل من عدد المشركين .

ج ـ كان بين صفوف المسلمين مرجفون و منافقون .

د ـ إن أية جماعة تعاون المشركين فى حربهم مع المسلمين ، تكون تلك الجماعة فى حالة حرب مع المسلمين ، ومن باب أولى تكون فى حرب مع المسلمين إذا قاتلتهم فعلا

هـ ـ كان المأمول من يهود قريظة معاونة المسلمين فى قتالهم للمشركين كما تنص معاهدتهم مع النبى ﷺ على إحدى الروايات ، أو وقوفهم على الحياد كما جاء فى رواية أخرى لطبيعة عهدهم مع النبى ﷺ .

و ـ يهود بنى قرظة لم تقف على الحياد كما تنص المعاهدة بينهم و بين النبى ﷺ بل نقضوها وأعلنوا معاونتهم للمشركين والمهاجمين وأرسلوا ﷺ جماعات منهم لقتال المسلمين فى المدينة و الاغارة على من فيها من النساء والذرارى .

ز ـ نشط المنافقون فأخذوا يرجفون و يثبطون عزائم المسلمين و يشيعون فيهم الوهن بحجة أن بنى قريظة دخلت الحرب مع المشركين ضد المسلمين ، وإن هزيمة المسلمين لا شك فيها .

ح ـ اضطر المسلمين إلى المحاربة فى جبهتين . جبهة اليهود وجبهة الأحزاب مما جعل قوة المسلمين موزعة على هاتين الجبهتين .

ثانياً ـ تكييف جريمة بنى قريظة :

١٠ ـ فى ضوء ما بيناه يمكن القول أن أقل ماتوصف به جريمة بنى قريظة هو وصف الخيانة العظمى ضد الدولة ، و فى الوقت الذى كان يحاصرها فيه عدو قوى (١) مع نقض العهد فى أحرج الظروف ومع مقاتلة المسلمين فعلا و معاونة

(١) روح الاسلام للأستاذ أمير على ص ٩٤ .

الأحزاب المحاصرين للدينة .

ثالثاً ـ إصرارهم على عداوتهم للنبي ﷺ :

١١ ــ و مع حسامة جريمتهم هده فقد أصروا على عداوتهم و على إظهار هده العداوة للنبي ﷺ ، ولم يفكروا ى إظهار الندم على خياناتهم ولم يطلبوا العفو من النبي ﷺ و لم يقدموا أى عذر ، يدل على دلك أن طلائع المسلمين نقيادة على بن أنى طالب التى وصلت إلى حصون بى قريظة قبل أن يصل النبي ﷺ ومن معه إلى هذه الحصون ، قابل يهود بى قريظة هده الطلائع الاسلامية بالسباب و الشتائم و النيل من النبي ﷺ (١)

رابعا ـ قبول من اختاروه حكما بينهم و بين النبي ﷺ

١٢ ــ ومع حسامة جريمتهم و إصرارهم على عد
للمسلمين ورفضهم الاعتذار أو التماس العفو ، فقد رفضوا النزو[illegible]
الله ﷺ و اختاروا سعد بن معاد ليكون هو الحكم ، و قد رضى رسول الله ﷺ بذلك فحكم عليهم سعد بما حكم .

عدالة العقوبة :

١٣ ـ و بناء على ما قدمناه تبدو العقوبة عادلة كل العدل لأنها نقدر الجريمة بل أقل مما تستحق هذه الجريمة . أما أنها عقوبة قاسية ، فالعقوبة ليست مكافأة على فعل جميل وإنما هى عقاب على فعل قبيح و ليس من شرط العدالة ى العقوبة أن تكون لينة هينة ، فالقسوة لا تنافى العدالة .

هل كان هناك بديل عن عقوبة القتل ؟ .

١٤ــ و يزعم أنصار يهود بنى قريظة أنه كان من الممكن الاكتفاء باجلائهم

(١) حياة محمد ﷺ للأستاذ حسين هيكل ص ٣٣٠ .

عن المدينة كما أجلى النبي ﷺ بنى قينقاع و بنى النضير و هذا الاجلاء عقوبة تكفى للتخلص من شرهم

الرد على البديل المقترح :

١٥ــ و هذا البديل المقترح مردود من وجوه كثيرة ، منها .

أولا ــ إنه ينظر إلى مصلحة اليهود و دفع ما يستحقون من عقاب عنهم ، و لا ينظر مصلحة المسلمين المشروعة فى أخذ الحيطة لأمنهم فى المستقبل من غدر اليهود المحتمل جداً .

ثانياً ــ إن جلاء يهود بنى قينقاع و بنى النضير كان عقاباً فيه تسامح كبير فهو أقل من جرمهم ، و لكن لا يجوز الحاكم العادل بالتسامح دائماً مع المجرمين و إنما يطالب دائماً بالعدل ، و ما دفع بنى قريظة هو محض العدل كما بينا .

ثالثاً ــ إن التسامح مع بنى قريظة بالاكتفاء باجلائهم عن المدينة يعرض المسلمين إلى الخطر مرة أخرى ، لأن عداوة اليهود للمسلمين لا يزيلها عفو عنهم أو تسامح معهم ، فمن المحتمل جداً أن يعيدوا دور حيي بن أخطب فى تحريضه المشركين لمقاتلة المسلمين لأن عداوة هؤلاء اليهود بلغت حداً منعتهم من طلب الرأفة من المسلمين وجعلتهم يعلنوها و هم يساقون إلى الموت ، فقد قال حيي بن أخطب و هو يساق إلى القتل و قد وقعت عيناه على النبى ﷺ « أما والله ما لمت نفسى فى عداوتك و لكن من يخذل الله يخذل » .

الخلاصة :

١٦ــ و الخلاصة فان عقوبة بنى قريظة كانت عادلة لأنها أقل من جريمتهم أو بقدرها و لا يحق لمجرم مصر على جريمته ، وهى الخيانة العظمى و نقض العهد ، أن ينتظر الرأفة و هو لم يطلبها و لم يعتذر لجريمته ، كما يحق للغير أن يطلب لهذا المجرم المصر الرأفة والتسامح ، وإنما له أن يطلب العدل فى عقابه ، والعدل موفور فى عقاب بنى قريظة يبصره كل منصف . « يتبع »

(١) السيرة النبوية للامام ابن كثير ج ٣ ص ٢٣٩ .

الفقه الإسلامي

شبهات حول الفقه الاسلامى

(٣)

محمد صدر الحسن الندوى

٢- قالوا . أدخل المسلمون القوانين الرومانية فى القوانين الاسلامية بوضع الأحاديث التى نسبت إلى النبى ﷺ بعد .

وهذه حملة منكرة على الحديث النبوى الشريف ليس الغرض منها إلا إثارة الغبار فى صحة الحديث و حجيتها . ونقول فى الرد عليها إن السنة لم تدون فى عهد رسول الله ﷺ فى المعنى الذى هو مألوف لدينا اليوم إلا عصر النبى ﷺ لم يخل من جمع الأحاديث فى صحف مختلفة . فلا يسع أحداً أن يقول : إن الحديث لم يكتب فى زمنه بتاتاً . فقد ثبت أن النبى ﷺ أمر بكتابة الحديث لأبى شاه اليمنى و ما إلى ذلك من الصحف التى نقرأ أسماءها اليوم .

تدوين الحديث و حجيته .

أول من فكر فى تدوين الحديث رسمياً هو الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه و أرسل إلى أبى بكر بن حزم الذى كان عاملا على المدينـــة كتاباً جاء فيه « انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه فانى خفت دروس العلم و ذهاب العلماء » .

فجمع الامام محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى أحاديث النبى ﷺ لكنه لم يميز فى التدوين بين الأحاديث النبوية وأقوال الصحابة وفتاوى التابعين ، ثم قام الجيل الذى

جاء بعده بجمع الأحاديث النبوية نذكر أسماءهم فى السطور التالية .

كان أول من جمعه بمكة ابن جريج (١٥٠هـ) وابن إسحاق (١٥١هـ) وبالمدينة سعيد بن أبي عروبة (ـ ١٥٦هـ) و الربيع بن صبح (ـ ١٦٠هـ) و الامام مالك (ـ ١٧٩هـ) وبالبصرة حماد بن أبى سلمة (ـ ١٦٧هـ) وبالكوفة سفيان الثورى (ـ ١٦١هـ) و بالشام أبو عمرو الأوزاعى (ـ ١٥٧هـ) و بواسط هيثم (ـ ١٧٣هـ) و بخراسان عبد الله بن المبارك (ـ ١٨١هـ) وباليمن معمر (ـ ١٥٤هـ) وبالرى جرير بن عبد الحميد (ـ ١٨٨هـ)

بن عيينة (ـ ١٩٨هـ) و الليث بن سعـــد (ـ ٧٥

(ـ١٦٠هـ)

ثم جاء القرن الثالث فألف محمد بن إسماعيل البخارى .

الامام مسلم بن الحجاج القشيرى (ـ ٢٦١هـ) و بعد ذلك ألفت سنن أبى داود (ـ ٢٧٥هـ) و النسائى (ـ ٣٠٣هـ) و جامع الترمذى (ـ ٢٧٩هـ) وسنن ابن ماجة (ـ ٢٧٣) .

و بعد ذلك ركز العلماء جهودهم على تدوين القواعد التى يمكن بها التمييز بين الأحاديث الموضوعة و الأحاديث الصحيحة ، كما أوجدوا « فن أسماء الرجال » التى تحتوى على تراجم خمسمائة ألف شخص ، و هذا الفن يمتاز به الاسلام عن سائر الأديان ، والعالم لا يستطيع أن يقدم نظيره ، فنسبت هذه المحاولات كلها إلى أن صارت الأحاديث كلها منقحة مميزة و لم يبق أى حديث و لا راو إلا و يعلم مدى صحته و عدالته و ضبطه ، و أى رجل له إلمام بعلم الحـــديث يستطيع أن يستعرض الأحاديث و يحكم عليها بالصحة و عكسها ، ولذلك كان الناقدون من أصحاب الحديث يقولون لوضاع الحديث « إن الأمة فى مأمن من أحاديثكم الموضوعة »

فهل يجوز لأحد أن يقول إن المسلمين وضعوا الأحاديث ونسبوها إلى رسول الله ﷺ ، وهى باقية حتى الآن والمسلمون يصححونها لكى يثبتوا أن الفقه الاسلامى هو غنى فى مجاله و لم تمس حاجة إلى الاستفادة من القانون الرومانى بل الحقيقة أن الأحاديث التى يصححها المسلمون هى منقحة مميزة عن الأحاديث الموضوعة التى وضعها المتملقون والمتجددون للملوك لاشباع أهوائهم وقضاء حاجاتهم التافهة الحقيرة . وقد ألفت كتب عديدة جمع فيها مؤلفوها الأحاديث الموضوعة كلها جهد الطاقة لكى لا تختلط الأحاديث الصحيحة مع الأحاديث الموضوعة .

يقول المؤرخ العبقرى الشهير عبد الرحمن بن محمد بن خلدون فى مقدمته فى هذا الصدد :

« اعلم أن الأحاديث قد تميزت مراتبها لهذا العهد بين صحيح و حسن وضعيف ومعلول وغيرها ، تنزلها أئمة الحديث وجهابذته وعرفوها ، ولم يبق طريق فى تصحيح ما يصح من قبل ، ولقد كان الأئمة فى الحديث يعرفون الأحاديث بطرقها و أسانيدها بحيث لو روى حديث بغير سنده و طريقه يفطنون إلى أنه قد قلب عن وضعه (١) .

وقد أمر الله باتباع النبي ﷺ فقال : و ما آتاكم الرسول فخذوه و ما نهاكم عنه فانتهوا (٢) ، و قال أطيعوا الله و أطيعوا الرسول (٣) و قال : « لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم *الكتاب و الحكمة ، و إن كانوا من قبل لفى ضلال مبين* (٤) .

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٣٧٠ .

(٢) الحشر الآية : ٧ (٣) النساء الآية : ٥٩

(٤) آل عمران الآية : ١٦٤

قال الامام الشافعى رحمه الله . فذكر الكتاب و هو القرآن و ذكر الحكمة فسمعت من أرضى من أهل العلم بالقرآن يقول . الحكمة سنة رسول الله . وهذا يشبه ما قال . والله أعلم . لأن القرآن ذكر و اتبعته الحكمة وذكر الله منه على خلقه بتعليم الكتاب و الحكمة ، فلم يجز - و الله أعلم - أن يقال الحكمة هنا إلا سنة رسول الله . وذلك لأنها مقرونة مع الكتاب وإن الله افترض طاعة رسوله وحتم على الناس اتباع أمره ، فلا يجوز أن يقال لقول فرض إلا لكتاب و سنة رسوله لما وصفناه من أن الله جعل الايمان برسوله مقروناً بالايمان به (١)

وقد أثر عن النبي ﷺ و هو يشير إلى هذه الحقيقة

ﷺ ألا إنى أوتيت القرآن و مثله معه ألا يوشك

يقول عليكم بهذا القرآن . فما وجدتم فيه من حلال أحلوه

حرام حرموه ، ألا لا يحل لكم الحمار الأهلى و لا أكل ذى ناب من السباع (٢)

٣- قالوا　إن ترتيب مواد الفقه يحاكى ترتيب « المشنا » وهى أصل التلمود اليهودى .

و من الشبهات التى أثارها المستشرقون حول الفقه الاسلامى . هى أنه يحاكى ترتيب « المشنا » الذى هو أصل التلمود اليهودى ، فى ترتيبه فى الأبواب والفصول وعلينا أن نقارن بين ترتيب الفقه الاسلامى وترتيب التلمود اليهودى . لكنهم لم يكتفوا على ذلك بل قالوا إن التلمود اليهودى (٣) هى نسخة للقوانين الرومانية فى ترتيبه .

---

(١) الرسالة　ص ٧٨ .

(٢) مشكاة المصابيح ص ٢٩ .

(٣) التلمود هو من وضع حاخامات اليهود القدامى ، و هم يعتبرونه كتابهم المقدس الواجب على كل يهودى اتباع تعاليمه والتقيد بها و هم يفضلونه على ★

فيقولون فى لفظ آخر إن الفقه الاسلامى يحاكى ترتيب القوانين الرومانية فى ترتيبه لذلك نرى من الضرورى ، أن نقارن بين ترتيب الفقه الاسلامى وترتيب القوانين الرومانية ، لكى لا تبقى شبهة بعد ذلك لأى دارس ، ننقل أولا ترتيب القوانين الرومانية و بعد ذلك ننقل ترتيب الفقه الاسلامى من كتب المتقدمين الذين دونوا الفقه أولا من الامام مالك وأبى حنيفة والشافعى و غيرهم ، و بعد ذلك نستعرض حقيقة الافتراءات التى أثارها المستشرقون من غير دليل و لا برهان .

ترتيب القوانين الرومانية

الفصل الأول : القوانين التى تتعلق بالأشخاص .

باب العتاق ـ باب المدنية ـ باب الأمور العائلية ـ باب الولاية .

الفصل الثانى : القوانين التى تتعلق بالأشياء .

باب توزيع الأشياء ـ باب حصول الملكية أو نقلها إلى غيره ـ باب الخلافة من حيث المجموع .

باب البيع والشراء ـ باب الشركة ـ باب الوكالة ـ باب السرقة ـ باب الجناية

الفصل الثالث : القوانين التى تتعلق بالمرافعة .

باب الدعوى ـ باب الحلف ـ باب تقسيم المرافعة ـ باب دفع الاجور ـ باب المرافقة التى تتعلق بالاتفاقية ـ باب الأعذار ـ باب أمور توقيف الاحرام ـ

★ التوراة و كلمة تلمود معناها كتاب تعليم ديانة و آداب اليهود و لقد كتبه حاخامات صهيون منذ القرن الخامس الميلادى وهو ليس من كتب الشرائع الدينية كما يزعمون و لكنه وثيقة سياسية خطيرة تكشف القناع عن الخطة السرية الرهيبة التى وضعها بعض الحاخامات اليهود منذ آلاف السنين للسيطرة على العالم و تهويده و القضاء على الاجناس الاخرى غير اليهودية .

ماب طرق الامتثال باب طرق سد المرافعات التى تتعلق بايذاء غيره - باب الضمانات - باب التعزيرات (١)

تدوين الفقه الاســـلامى

الفقه فى اللغة هوالوقوف و الاطلاع .

و فى الشرع يطلق على الوقوف الخاص و هو الوقوف على معانى النصوص و إشاراتها و دلالتها و مصمراتها و مقتصياتها (٢)

يبتدىء عصر تدوين الفقه من العصر العباسى وإن كانت وضعت نواة التدوين

فى العصر الأموى ، فقد كان فقهاء المدينة يجمعون فتاو

و ابن عباس وكان العراقيون يجمعون فتاوى عبد الله بن

فقد برز فى العصر العباسى الأول الفقهاء الذين دونوا

الفقه الاسلامى ، و هذا العصر هو العصر الذهبى فى تاريخ الفقه الاسلامى

الامام أبوحيفة و مدرسته .

هو أبوحيفة النعمان بن ثابت بن زوطى ولد بالكوفة فى سنة ٦٣هـ أو ٧٠هـ أو ٨٠هـ و المشهور هو الثالث ورجح ابن حبان الرواية الثانية ورجح ابن خلكان الرواية الثالثة (٣) و توفى ببغداد سنة ١٥٠هـ .

نشأ بالكوفة ودرس علم الكلام أولا حتى برع فيه ثم التحق بحلقة حماد الشيخ فقهاء كوفة واستمر على ذلك حتى توفى شيخه حماد سنة ١٢٠هـ فاستخلف أبوحيفة مكان شيخه وأصبح إمام فقهاء العراق غير منازع وانتهت إليه رئاسة مدرسة الكوفة التى عرفت بمدرسة الرأى .

(١) القوانين الخاصة للروم آردبلوليح ، مطبعة جامعة عثمانية حيدر آباد دكن.

(٢) بحرالرائق ج ١ ص ٦ . (٣) و فيات الاعيان ج ٢ ص ١٦٦ .

اجتمع مع أشهر علماء عصره بالبصرة و مكة و المدينة و بغداد و ناقشهم واستفاد منهم و استفادوا منه ، حتى سارت بذكره الركبان وصارت حلقته مجموعة كبار المحدثين كعبد الله بن المبارك و حفص بن غياث مع كبار الفقهاء و كأبى يوسف و محمد وزفر و الحسن بن زياد مع كبار الزاهدين كداود الطائى و الفضيل ابن عياض .

منحاه فى الاجتهاد

أخرج البيهقى عن يحيى بن حريس قال . شهدت سفيان و أتاه رجل فقال ما تنقم على أبى حنيفة ، قال و ماله ، قال قد سمعته يقول : آخذ بكتاب الله ، فان لم أجد فبسنة رسول الله ﷺ ، فان لم أجد فى كتاب الله و لا سنة رسوله أخذت بقول أصحابه من شئت منهم و أدع قول من شئت و لا أخرج من قولهم إلى قول غيرهم . أما إذا انتهى الأمر إلى إبراهيم و الشعبى و ابن سيرين والحسن وعطاء وابن المسيب ـ وعد رجالا ـ فقوم اجتهدوا فاجتهد كما اجتهدوا » و فى رواية فيما لم أجده فيه أخذت بسنة رسول الله والآثار الصحاح عنه التى فشت فى أيدى الثقات (١) .

ترتيب الفقه الحنفى :

كتاب الصلاة ـ كتاب السجدات ـ كتاب نوادر الزكاة ـ كتاب الصوم ـ كتاب نوادر الصوم ـ كتاب الحيض ـ كتاب المناسك ـ كتاب النكاح ـ كتاب الطلاق كتاب العتق ـ كتاب المكاتب ـ كتاب الولاء ـ كتاب الايمان ـ كتاب السرقة ـ كتاب السير ـ

(١) مفتاح الجنة ص ٣٤ تاريخ التشريع الاسلامى للخضرى ص ٢٣١ (الطبعة الخامسة) ضحى الاسلام الجزء الثانى ص ١٨٥ (الطبعة العاشرة) تاريخ المذاهب الاسلامية الجزء الثانى ص ١٦١ (دار الفكر العربى) .

كتاب الاستحسان ـ كتاب التحرى ـ كتاب اللقيط ـ كتاب اللقيطة ـ كتاب الاباق ـ
كتاب المفقود ـ كتاب الغصب ـ كتاب الوديعة ـ كتاب العارية ـ كتاب الشركة ـ
كتاب الصيد ـ كتاب الذبائح ـ كتاب الوقف ـ كتاب الميتة ـ كتاب البيوع ـ
كتاب الصرف ـ كتاب الشفعة ـ كتاب القسمة ـ كتاب الاجارات ـ كتاب آداب القاضى ـ
كتاب الشهادات ـ كتاب الرجوع فى الشهادة ـ كتاب الدعوى كتاب الاقرار ـ
كتاب الوكالة ـ كتاب الكفالة ـ كتاب الصلح ـ كتاب المضاربة ـ كتاب المزارعة ـ
كتاب الشرب ـ كتاب الأشربة ـ كتاب الاكراه ـ كتاب الحجر
كتاب الديات ـ كتاب الجنايات ـ كتاب المعاقل ـ كتاب
كتاب الدور ـ كتاب الفرائض ـ كتاب فرائض الخنثى
الوصايا ـ كتاب الشروط ـ كتاب الحيل ـ كتاب الكسب

الامام مالك و مدرسته

هو مالك بن أنس بن مالك بن أبى عامر ينتهى نسبه إلى ذى أصبح من اليمن قدم أحد أجداده إلى اليمن وسكنها و جده أبو عامر من أصحاب رسول الله ﷺ شهد معه المغازى خلا بدراً ، ولد بالمدينة سنة ٩٣ه أو ٩٥ه أو٩٧ه والأرجح أنه ولد سنة ٩٣ه و توفى سنة ١٧٩ه ، و عاش حياته بالمدينة ، و لم يرحل عنها إلا إلى مكة حاجاً .

تلقى العلم عن علماء عصره فى المدينة و تلمذ على ربيع الرأى وأخذ عن كبار الفقهاء من التابعين وسمع كثيراً من الزهرى كما سمع من نافع مولى ابن عمر وأجمع الناس أنه إمام فى الحديث .

و قد أخذ عنه الحديث كثير من أجلة المحدثين و روى عنه من شيوخه

(١) نقلا عن الكتاب المبسوط للامام السرخسى .

ربيعة و يحي بن سعيد و موسى بن عقبة . و من أقرانه سفيان الثورى و الليث بن سعد ، و الأوزاعى ، و سفيان بن عيينة و أبو يوسف كما روى عنه محمد بن إدريس الشافعى و عبد الله بن المبارك و محمد بن حسن الشيبانى .

منحاه فى الاجتهاد :

كانت أصول مذهبه هى الأصول المعتبرة لدى الأئمة ، الكتاب والسنة والاجماع و القياس و زاد عليه شيئين ، عمل أهل المدينة ، و الاستصلاح ، أما الاستصلاح فقال به أكثر الأئمة ، و أما عمل أهل المدينة فكان يدل به و يرى أنهم أدرى بالسنة و بالناسخ والمنسوخ ، يقول فى كتابه لليث بن سعد « إن الناس تبع لأهل المدينة التى إليها كانت الهجرة و بها نزل القرآن » إنه يقدم عمل أهل المدينة على القياس بل ويقدم على الحديث الصحيح إذا لم يكن عملا إجماعياً بل عمله أكثرهم ، وهذا العمل أيضاً حجة يقدم على الخبر الواحد لأن العمل بمنزلة الرواية (١)

ترتيب الفقة المالكى :

وقوت الصلاة ـ جامع الوقوت ـ العمل فى الوضوء ـ جامع الوضوء العمل فى غسل الجنابة ، التيمم ـ جامع الحيضة ـ العمل فى القراءة ـ العمل فى جامع الصلاة ـ جامع الصلوات ـ كتاب الجنائز ـ كتاب الصيام ـ كتاب الاعتكاف ـ كتاب الزكاة ـ كتاب الحج ـ كتاب الجهاد ـ كتاب النذور ـ كتاب اركاة ـ ـ كتاب الصيد ـ كتاب العقيقة ـ كتاب النكاح ـ كتاب الطلاق ـ كتاب الايلاء ـ كتا ـ الرضاع ـ كتاب العتق و الولاء ـ كتاب المكاتب ـ كتاب المدبر ـ ـ كتاب البيوع ـ كتاب القراض ـ كتاب المساقاة ـ كتاب كراء الأرض

(١) راجعوا تاريخ المذاهب الاسلامية ج ٢ ص ٢١٤ ، و تاريخ التشريع الاسلامى ص ٢٤٠ و ضحى الاسلام ج ٢ ص ٢١١ .

ـ كتاب الشفعة ـ كتاب الأقضية ـ كتاب الفرائض ـ كتـــاب العقول ـ
ـ كتاب القسامة ـ كتاب الحدود ـ كتاب السرقة كتاب الأشربة (١)

الامام الشافعى و مدرسته :

هو عبد الله محمد بن إدريس الشافعى ولد بغزة من أعمال الشام سنة ١٥٠هـ و قد ولد فى السنة التى توفى فيها أبو حنيفـــة شيخ فقهاء العراق ، و كتب بعض الكتاب « أنه ولد فى الليلة التى توفى فيها أبو حنيفة ليقال قد ولد إمام وتوفى إمام لكيلا يخلو وجه الأرض من إمام فى باب من أبواب الفقه ، نشأ وقد ... نفسه « كنت يتيماً فى حجر أمى و لم يكن لها مال » .

نشأ و قرأ القرآن و أقام فى هذيل نحواً من عشر سنين حتى صار من أوثق الناس بأشعار الهذليين . إنه يقول :

ولزمت هذيلا بالبادية أتعلم كلامها و آخذ اللغة ، و كانت أفصح العرب (٢) .

ثم اتجه إلى الحديث و الفقه وأخذ فى مكة عن سفيان بن عيينـــة و مسلم ابن خالد ، وحفظ الموطا ، ثم رحل إلى مالك و سمع منه الموطا وأخذ عنه فقهه و لازمه إلى أن مات مالك سنة ١٧٩هـ ثم تولى الامام الشافعى العمل فى إحدى ولايات اليمن ، ثم اتهم بالتشيع وامتحن فتدخل الامام محمد بن الشيبانى عند الرشيد حتى اقتنع ببراءته . و فى هذا قال الامام الشافعى :

لو كان رفض حب آل محمد فليشهد الثقلان أنى رافض

فالك تم له الاتصال بالامام محمد وأخذ عنه كتب أصحابه حتى قال خرجت من بغداد ، و قد حملت من علم محمد بن الحسن وقر بعير » ثم عاد إلى مكة بعد

---

(١) هذا الترتيب مأخوذ من كتاب الموطا للامام مالك .

(٢) الأم ج ١ ص ١٧٤ .

ما اطلع على كتب فقهاء العراق ، ثم ذهب إلى العراق مرة ثانية سنة ١٩٥هـ ، ثم عاد إلى الحجاز فى سنة ١٩٨هـ قدم إلى العراق قدمته الثالثة حتى أقام فى مصر سنة ١٩٩هـ و بها دون مذهبه الجديد إلى أن توفى عام ٢٠٤هـ .

قال يحيى بن معين فى خلق الشافعى « لو كان الكذب مباحاً لكانت مروءته تمنعه من أن يكذب »

منهاجه فى الاجتهاد :

يقول الامام الشافعى رحمه الله و هو يذكر أصول مذهبه . الأصل قرآن و سنة فان لم يكن فقياس عليهما ، إذا اتصل الحديث عن رسول الله ﷺ و صح الاسناد فهو سنة و الاجماع أكبر من الخبر المفرد و الحديث على ظاهره ، و إذا احتمل معانى فما أشبه منها ظاهره أولاها به ، وإذا تكافأت الأحاديث فأصحها إسناداً أولاها ، و ليس المنقطع بشئ ما عدا منقطع ابن المسيب و لا يقاس أصل على أصل ، و لا يقال للاصل لم و كيف و إنما يقال للفرع لم . فاذا صح قياسه على الأصل صح و قامت به الحجة (١) .

ترتيب الفقه الشافعى .

- باب الطهارة - كتاب صلاة الخوف - كتاب صلاة العيدين - كتاب صلاة الكسوف - كتاب الاستسقاء - كتاب الجنائز - كتاب الزكاة - كتاب الصيام - كتاب الاعتكاف - كتاب الحج - كتاب الضحايا - كتاب الصيد والذبائح - كتاب البيوع - كتاب الفرائض - كتاب الوصايا - كتاب الجزية - كتاب قتال أهل البغى - كتاب السبق والنضال - كتاب الحكم فى قتال المشركين - كتاب النكاح

(١) ضحى الاسلام ج ٢ ص ٢٢٣ ، و تاريخ التشريع الاسلامى ص ٢٥٤ و تاريخ المذاهب الاسلامية ج ٢ ص ٢٥٣ .

ـ كتاب الصداق ـ كتاب الشفاء ـ كتاب العدد ـ كتاب اللعان ـ كتاب جراح العمد ـ كتاب ديات الخطأ ـ كتب الحدود ـ كتاب الأقضية ـ كتاب الدعوى و البينات ـ كتاب العتق ـ كتاب جماع العلم ـ كتاب القرعة (٢)

بين يديكم ترتيب القوانين الرماونية و ترتيب الفقه الاسلامى فقارنوا بينهما ، هل تجد أى مماثلة بينهما ، فاذا لم يكن كذلك فكيف تصح دعوى المستشرقين أن الفقه الاسلامى يحاكى فى ترتيبه ترتيب القوانين الرومانيـــة ، عجباً على المستشرقين كيف يجاهرون بالكذب ، و كيف يقومون بتشويه الحقائق و كيف يحقون الفطرة التى لا تخضع لأى دجل وكذب ، وكيف لا يستحيون عند
المرورة . فهل بالغنا إذا قلنا بأنهم يحرفون بل يسودون
عمداً .

و الحقيقة أن المستشرقين يستهدفون إلى الأشياء المعينه و ـــــــ ر
و ينتحلون الدلائل ثانياً ، و يأتون بأمور فى إثبـــات تلك الدعاوى ، التى إذا سمعها أى دارس لابد من أن يضحك ، لكن من المضحكات المبكيات أن المستشرقين لا يبالون بهذه الأشياء كلها ، ولقد صدق من قال إن لم تستحى فاصنع ماشئت .

« يتبع »

(١) كتاب الأم طبعة مصورة عن طبعة لوده ١٣٢١ ـ الدار العربيـة للتأليف و الترجمة .

حكم المصافحة و السلام على الإمام بعد الصلاة

الأخ محمد منير قمر

المكرم رئيس التحرير لمجلة البعث الاسلامى سلمه الله .

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته : و بعد .

لقد جرت عادة بين الناس فى المساجد و هى المصافحة بين الامام و من يليه فى الصف على اليمين و الشمال ، و لقد خطر على بالى أن أسأل عن هذه العادة هل هى سنة أم بدعة ، والبدعة دائماً تكون عادة فى صورة جميلة و فى زى إسلامى جميل ، لا تخطر على البال بأنها بدعة

و لقد أرسلت سؤالا إلى سماحة مفتى الديار السعودية و أعضاء لجنة الافتاء هناك فأجابوا بأنها بدعة لم ترد عن الرسول ﷺ .

و إليكم الفتوى مرفقة بهذه الرسالة المتواضعة ، رغبـــــة فى نشرها لتعم الفـائدة لكونها منتشرة بين الناس جمعاً متعلماً أو جاهلا .

نص الفتوى

الحمد لله و الصلاة و السلام على رسوله و آله و صحبه . . و بعد .

فقد اطلعت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية و الافتاء على السؤال المقدم من محمد منير قمر سيالكوتى إلى سماحة رئيس العام و المحال إليها برقم ١١١٢ فى ١ - ٨ - ١٤٠٠هـ ونصه :

« ما الحكم فى المواظبة على السلام و مصافحة الامام و صاحب اليمين والشمال

دبر كل الصلوات الخمس . توضحوا بالأدلة الشرعية و توجروا من الله .

و أجابت بما يلى :

المواظبة على السلام على الامام و مصافحته و التزام المصلى السلام على من عن يمينه و من عن يساره عقب الصلوات الخمس بدعة ، لأنه لم يثبت ذلك عن النبى ﷺ و لا عن خلفائه الراشدين و سائر الصحابة رضى الله عنهم ، و لو كان لنقل إلينا ، لتكرر الصلاة كل يوم خمس مرات ، و ذلك لا يخفى على المسلمين ، لكونه فى مشاهد عامة ، و قد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال « من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » وقال : « من عمل عملا ليس

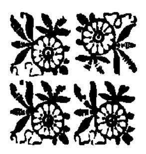
و صلى الله على نبينا محمد و آله و صحبه وسلم .

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية و الافتاء

عضو	عضو	نائب رئيس
عبد الله بن قعود	عبد الله بن غديان	عبد الرزاق عفيفى

الرئيس

عبد العزيز بن عبد الله بن باز



المرأة قبل الاسلام و بعده

(٩).

الأستاد سعيد بن عبد الله سيف الحاتمى

لا يجب على أحد الزوجين أن يفقد توازنه و وعيه أو أن يغضب و أن لا تكون هناك مضايقة أو تهكم أو استهزاء بينهما. يلزم كل واحد منهما أن يكلم الآخر أمام الأجانب و لا يذكر أحدهما للآخر من أخطائه الماضية، لأنها تكون عادة قد مر عليها دور النسيان و أصبحت نسياً منسياً، ويجب على كل واحد منهما أن يتذكر أن الله معهما و يعرف ما يعلن و ما يخفى.

يخاطب الاسلام الرجل أولا بكونه هو الذى يستعمل عقله أكثر من عواطفه ويقول له أن يكلم زوجته بهدوء و يشرح لها أن ما تعمله يغضب المولى عز وجل و لا أحد يتحمل إذا غضب الله عليه، يجب عليه أن يبحث نحو سبب أوأسباب نفورها و عليه أن يعالج المسألة قدر الامكان.

يجب عليه أن يستمر فى نصائحه معها مدة من الزمن مستعملا فى ذلك الحيطة و الحذر لئــلا يعكر شيئاً، يلزمه التريث و أن لا يغضب عند ما يعالج مثل هذه المشاكل، و إن لم يجد هذا العلاج فتيلا فعليه أن يوقف العلاقـــة الزوجية و لا يباشرها مباشرة الزوج لزوجه ـ لا ينام معها على فراش واحـد. قـد ينام معها فى نفس الحجرة أو المكان بيد أنه لا ينام معها على فراش واحـد ولا مانع إن لم يفد هذا العلاج أن ينام فى غرفة أو مكان بعيد عنها.

إن هذا النوع من العلاج إذا أحسن استعماله يكون باذن الله دواء ناجعاً لأنه يشعر المرأة بنوع من الاهانة ، قد أهين أقوى سلاح لها ألا و هو أنوثتها . تعتبر المرأة أن أنوثتها هى أقوى سلاح للحصول على مآربها ، ويتصرف الرجل مثل هذا التصرف فقد ضرب صلب الموضوع ، لأنه قد احتقر سلاحها أو أنوثتها .

و عليه كثيراً ما نراها تتراجع تدريجياً لكى لا تفقد المعركة إنها تتراجع لتتخذ موقفاً آخر و ربما تذعن لأوامره فى النهاية ، إن مثل هذا التصرف من قبل الرجل يخرق إلى وسط محراب أنوثتها و لذا يكون آخر حصن من حصونها المحصنة قد استطاع إسقاطه أمام هذا الطعن ، فهى تحب أن ت
من سيطرتها عليه ، إن لم يؤت هذا النوع من العلاج الثمرات
الخطوات التاليـــة . ألا و هى الضرب و أن لا يكو
ضربات بسيطة ، تلك الضربات التأديبية لتعود إلى رشدها ، وعندما يقوم بضربها يجب عليه أن يتذكر دائماً أنه يضرب زوجته ولا يضرب عدوه اللدود و لا يضربها و هو فى ثورة الغضب مهما كانت أسباب غضبه إذ نهانا الرسول ﷺ عن الضرب و نحن نغلى من الغضب ولا يترك الضرب أى أثر على بدنها لأن مثل هذا الضرب يجب أن يكون خفيفاً غير موجع .

إن المثل الأوربى القائل : أترك العصا جانباً ليفسد الولد ما زال قائماً إلى يومنا هذا و لو أنه أتى حين من الدهر وطغى عليه الغبار لحاجة فى نفس يعقوب إذ أن أعداء الانسانية انتهزوا فرصة الفراغ فى أذهان الناس عند ما بدأوا يتلقون ويتلقفون كل ما يقال عن علم النفس وخاصة بعد أن انفصل ذلك العلم عن الفلسفة وتفرع علم النفس إلى فروع عدة منها علم النفس التربوى وعلم النفس الاجتماعى وعلم النفس العلمى و غيرها من الفروع و لمعت أسماء ماك دوغال و فرويد و وليام جيمس و يونغ

و آدلار وغيرهم كثيرون ، ففى هذه الأثناء قام أناس ذوو مصالح خاصة وروجوا فكراً مغايراً للمثل المقتبسة كل المغايرة و قد كانوا مركز القوة بحيث استطاعوا أن يؤثروا فى قوانين بعض الدول وأجبروا هذه الدول على تغيير كثير من لوائحها التى قالوا عنها أنها غير إنسانية .

نعود فنقول إن علماء النفس والتربية والاجتماع لهم آراء مختلفة بعضها متضاربة حول مسألة الضرب إلا أنهم متفقون على عدم التشجيع على الضرب وبدأوا هذا العمل أو هذا النداء قبل خمسين سنة مضت تقريباً .

فلننظر ما هى نتائجها ؟ نرى أنه كثرت فى الآونة الأخيرة افتتاح العيادات النفسية والحالات العصبية التى بحاجة إلى جهود مجددة لعلماء النفس و علماء العلاج النفسى و الباحثين الاجتماعيين ، نرى أناساً يعالجون بالتدليك وبالتنويم المغناطيسى أو تقدم لهم النصائح التى لن يقوم الناصحون أنفسهم بها ونرى الضحايا المساكين يعترفون تحت ضغط الارهاق أو الايحاء بأمور لم يكونوا قد قاموا بها البتة ، و الأدهى من ذلك أن نجد آخرين مدمنين فى تعاطى المخدرات و المسكرات و الفجور والفواحش من الأمور و الخيانة و السرقة و قطع الطرق و الخنفسة و العلاقات الزوجية المثلى (الرجل بالرجل و المرأة بالمرأة) و مئات من المآسى المنتشرة فى هذه الجاهلية الحديثة ، تلك المآسى التى تكلف الدول والحكومات الملايين من أموالها للتقليل منها و ليس لعلاجها ، و لا يعنى هذا أن مثل هذه الأمور لم تكن موجودة سابقاً ، و إذا قلنا ذلك ، فاننا نكون قد ظلمنا التاريخ و إنما قصدنا إلى التنبيه على أنها قد انتشرت بشكل يهدد المجتمعات بالانهيار ، و قد صدق كاريل فى كتابه « الانسان ذلك المجهول » .

إن حياتنا اليومية مليئة بالجزاء و العقاب لنضرب على ذلك مثلا : شخص

ما أساء استعمال صحته فانه يعرض نفسه للعقاب ألا و هو المرض فلماذا إذاً نحن نمنع استعمال الضرب للولد فى المدارس أو ضرب الزوجة و فى نفس الوقت نضربهما إذا أساء استعمال شئ ما فى الحياة اليومية ؟

هل لى أن أهمس فى أذهان إخوانى من المربين المسلمين إن ديننا الحنيف يأمرنا أن نعلم أولادنا لسبع و أن نضربهم لعشر . وذلك عند ما يكونون لا يتبعون الأوامر و أمرنا الحق تبارك و تعالى فى محكم كتابه العزيز أن نضرب أزواجنا

« الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله

فعظوهن و اهجروهن فى المضاجع و اضربوهن فان أطعنكم

إن الله كان علياً كبيراً (الآية ٣٤ من سورة النساء ،

و إن طبائع الناس ليست كلها سواسية فى النساء من لا يصلح معهن إلا الضرب ، فالضرب علاج قد يستغنى عنه فى بعض الحالات . وعنه ﷺ يقول للذين يحبون إيذاء أزواجهم بالضرب . أ يضرب أحدكم امرأته كما يضرب العبد ، ثم يضاجعها آخر اليوم ؟ »

طولنا فى موضوع الضرب و لنعد الآن إلى النقطة الرابعة و الأخيرة فنقول و بالله التوفيق :

إن لم تكن كل الوسائل السابقة مفيدة فهنا يجب أن يشكل مجلس عائلى لفض النزاع الناشب بين الزوجين .

يقول الله تبارك و تعالى :

« و إن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله و حكما من أهلها ، إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما إن الله كان عليماً خبيراً (الآية ٣٥ من سوره النساء) .

على الحكمين أن يتحريا الحقيقـــة و إذا كان الجميع (الحكمان و الزوجان) مخلصين فان الله سوف يعينهم إلى حل مرضى للخصام الذى نشب بين الزوجين ، وسوف يكون هذا دون إعلان الفضائح العائلية أمام الملأ مثلما يعمله بعض النحل اليوم أو اللجوء إلى المحاكم حيث يكثر فيها تجار الاثارة دون أن يتحرك فيهم الحياء أو الغيرة أو النخوة أو الرجولة رغبتهم الوحيدة هى بث هذه السموم .

و مما هو جدير بالذكر أن كثيرين من العلماء ينظرون إلى قوله تعـالى : إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما » من زاوية روحية نفسانية ، و يقولون : إن الله علق التوفيق بين الزوجين على ما ينطوى عليه حكم كل من الحكمين من نية صالحـــة و رغبة صادقة فى التوفيق : قال الامام الزمخشرى : إن قصد الحكمان إصلاح ذات البين ، وكانت نيتهما صحيحة وقلوبهما ناصحة لوجه الله بورك فى وساطتهما و أوقع الله بطيب أنفسهما وحسن سعيهما بين الزوجين الوفاق والألفة و ألقى فى نفوسهما المودة والرحمة (١) .

و مما نسوقه فى هذا المقام عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه بعث حكمين للتوفيق بين زوجين ، فعادا و قالا إنهما عجزا عن الوفاق ، فغضب عمر و قال كذبتم ، بل لم تكن لكما إرادة صادقة فى الاصلاح ، و لو كانت لكما تلك الارادة لبارك الله سعيكما فان الله سبحانه و تعالى يقول : إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما » و كان الأمر كما قال عمر ، فخجل الرجلان وأعادا سعيهما بعاطفة جديدة و روح جديدة فألقى الله سبحانه ما شاء من الوفاق بين الزوجين (٢) .

نشوز الزوج

كنا قد ذكرنا آنفاً أن الرجل أكثر رزانة من المرأة ، و أن العلاقة بين

(١) (٢) البهى الخولى : المرأة بين البيت المجتمع .

الزوجين هى علاقة عاطفية أكثر من غيرها من العلاقات التى قد تنشأ بين أناس مختلفين و على هذا الأساس ، لم يتطرق الاسلام إلى كيفية علاج المرأة زوجها الناشز ، أن الاسلام قد ترك لها الحرية فى حل مثل هذا الموقف. لأنها بطبيعتها التى خلقها الخالق تعرف أسباب نشور زوجها لها أو تصرفه غير الطبيعى و مما لا شك فيه أن الله تبارك و تعالى قد خلق لها تلك الأسلحة الفتاكة التى تعالج بها الزوج الناشز ، لنوضح ما نقول بضرب مثال واحد عن معرفة الزوج التصرف غير الطبيعى أو النشوز من زوجها فنقول . لاحظت أم المؤمنين سودة بنت زمعة رضى الله عنها إحدى زوجات النبى ﷺ أن زوجها الرسول عليه صلوات ربى و سلامه أبدا لم متشجعاً كثيراً ، و لم يكن ينشط إليها كما كان ينشط لقد...
سودة فى المسألة و أخيراً وصلت إلى النتيجة الآتية
تقدمها فى السن ، و أنه قد يسرحها لأنه لا يطلبها حقها
ما معناه . يا رسول الله إنك ترى ما صرت إليه من الشيء و
بالرجال من حاجة ، و إنى أتنازل عن ليلتى لعائشة و لا أطلب شيئاً بعد إلا أن أبعث يوم القيامة كاحدى أزواجك : فما كان منه ﷺ إلا أن قبل منها ذلك وأثنى الله عليها بقرآن يتلى إلى يوم يبعثون :

« وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً و الصلح خير و أحضرت الأنفس الشح و إن تحسنوا و تتقوا فان الله كان بما تعملون خبيراً (الآية ١٢٨ من سورة النساء) .

ويروى عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت عن نص الآية. هى المرأة تكون عند الرجل لا يستكثر منها فيريد طلاقها و زواج غيرها فتقول له . أمسكنى و لا تطلقنى ثم تزوج غيرى فأنت فى حل من النفقة و القسمة فذلك قوله تعالى . « فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً والصلح خير (رواه البخارى) وكانت عند رافع بن خديج بنت محمد بن مسلمة فكره منها أمراً إما كبراً أو غيره فأراد طلاقها فقالت لا تطلقنى و أمسكنى و أقسم لى ما بدا لك فانزل الله الآية .

صور و أوضاع

مصانع حربية لانتاج معدات المخابز الآلية

واضح رشيد الندوى

خبر طريف لفت انتباهى أثناء تصفحى للصحف العربية ، و الصحف العربية تحمل طرائف ، و تحمل نكتاً و نوادر أحياناً ، و خاصة صحف الثورة العربية ، الخبر الطريف الذى لفت انتباهى ليس نكتة وليس كذلك عنوان صورة كاريكاتورية ، و إن كان يفيـــد تلك الفائدة أدبياً ، و إنما هو خبر جـــدى ، مأة فى المأة ، ترجع روايتـه إلى مصـــدر موثوق به . مصدر مسئول - و المصـــدر ليس برتبة وزير عادى ، كوزير المواصلات ، أو وزير الثقافـــة أو الفن ، أو وزير الاسكان ، أو وزير تنظيم الأسرة ، و إنما هو وزير الانتاج الحربى فى بلد عربى عريق فى الحضارة و متقدم فى التعليم و الثقافة .

« قال الدكتور المهندس السيد جمال الدين السيد إبراهيم وزير الدولة للانتاج الحربى ، فى جمهورية مصر العربية أنه الآن يقوم بدراسة مع زميله وزير التموين والتجارة الداخلية عن كيفية تعاون المصانع الحربية ، لانتاج معدات المخابز الآلية حتى تتمكن إدارة التموين من تعميم تجربة الخبز الآلى الأبيض ، دون الاعتماد على استيراد هذه المخابز »

مصانع حربية تنتج معدات المخابز الآلية . . .

لقد كشف وزير الانتاج الحربى عن حقيقة الوضع القائم فى بلاده ، فان المصانع الحربية التى فتحت فى البلاد فى ظروف خاصة كانت تتطلبها ، صارت عاطلة عن العمل منذ التسوية السلمية مع إسرائيل بتغير الوضع ، فاذا كان لا بد من إنتاج فانها ستقوم بانتاج معدات المخابز الآلية و أدوات أخرى تحتاج إليها البلاد فى السلام لتساهم فى

مرحلة تطوير البلاد ، والاكتفاء الذاتى ،وهو أيضاً إكمال للسيرة السلمية وخطوة فى سبيل تقدم البلاد ، أما ما تحتاج إليه البلاد من معدات للدفاع عن النفس فان هذه المعدات ستنقل إليها كهدية أو معونة من الولايات المتحدة .

ولكن هل كانت المصانع الحربية فى أى بلد عربى تقوم فعلا بانتاج المعدات الحربيـــة ؟ و هل أحرز أى بلد عربى أى قدر من الاكتفاء الذاتى فى الانتاج الحربى ؟

لقد كانت المصانع الحربية هتافاً من الهتافات المألوفة التى تر

مثل هتافات الوحدة ، و الاشتراكية ، و حقوق الانسان

هذه الهتافات قبل أكثر من ثلاثين سنة منذ الثورة العر

بشرية وثروات مادية هائلة ، ولكن رغم مضى هذه الفترة

من ثلاثين سنة لم يتقدم أى بلد من هذه البلدان خطوة واحدة إلى تحقيق هدف من الأهداف المرفوعة غير المنشودة

كانت المصانع الحربية هدفاً مثل الأهداف الأخرى المعلن عنها . التى لم تكن منشودة فى أى وقت من الأوقات ، بل كانت سائر الجهود مبـــذولة فى جهات معكوسة أدت إلى الفرقة ، والاستغلال ، و الارهاب و الاضطهاد و قمع الحريات محل الوحدة و الاشتراكية و الحرية و احترام حقوق الانسان ، فلم تحرز هـــذه الدول أى تقدم فى صناعة الأسلحة كما لم تحرز تقدماً ما فى تحقيق الوحدة والحرية و رفاهية الشعب ،

ولو بحثنا عن قائمة الانتاج لوجدنا فيها ـ كما يشير إليه الخبر السابق الذكر ـ إنتاج أجهزة التلفزيون ، وأدوات الكماليات ، وكل نوع من المعدات التى تصرف الذهن عن الحرب فضلا عن الجهاد وتزيد الاقبال على حياة الترهل ، والترفيه والاستمتاع

بملذات الحياة باسم الثقافة و التقدم ، و مسايرة ركب الحياة.

إن نمط الحياة التى تعود عليه المجتمع العربى نمط يشغل البال عن تصور حرب ، و على العكس إنه حافل بالملهيات عن الحرب ، و تحمل المكروه فى سبيل المثل ، و الشرف القومى ، و الشخصية الدينية ، و قد كانت مصر الدولة الوحيدة التى تجشمت مكاره الحرب أكثر من ثلاث مرات ، ولكن هـذه الحروب كلها كانت مفروضة عليها ، ولم تكن البادرة فى يدها إلا حرب رمضان وحسرت الحروب الدفاعية التى فرضت عليها . وانتصرت فى حرب البادرة ، ولكن مصر رغم الانتصار عادت إلى المسالمة و التصالح مع العدو بحجة صيانة الدم المصرى ، وآثرت القيادة السياسية أن لا يتعزز عنصر التضحيـة و الجهاد ، فيعوق مسايرة ركب الحيـاة و التقدم الحضارى .

وقد يتساءل الانسان ، والحرب أنكر شئ عند العرب والمسلمين ، لماذا تكدس الأسلحة ويوجد سباق إلى التسلح ، إذا كانت نية الزعماء السياسيين لاتتجه إلى الحرب ، أو الجهاد ، ولماذا تنفق ملايين الملايين من العملة الصعبة ، فى جلب الأسلحة و تنشأ مستودعات و مخازن مضاعفة للأسلحة ؟

ثمة عوامل متنوعة لهذا السباق ، منها عامل نفسى و عامل سياسى ، و عامل عسكرى ، و هو آخر العوامل .

العامل النفسى ، هو الشعور بالخطر الداخلى و الحرص على التحصن والتدرع للدفاع عن النفس . وهو غريزة طبيعية.

العامل السياسى. توجد فى العالم أسواق ومصانع حربية لها نفوذ على سياسة هذه البلدان وصداقة وهى فى حاجة إلى بيع مصنوعاتها الحربية فتستغل حاجات الدول الاسلامية .

و العـامل العسكرى التظاهر للشعب ، بأن البلاد مستعدة للحرب ، إذا دعت

إليها الضرورة و أنها قادرة على ردع كل معتد و على حماية ثغورها .

ومما يدل على أن هذه الأسلحة ليست للاستعمال فى مواضع الأسلحة المحترمة وإنما هى مجلوبة لأغراض أخرى ، إحجام هذه الدول عن كل فرصة للممارسة العملية للخطة العسكرية واستخدام هذه الأسلحة فى وجه العدو الحقيقى مهما تفاقم الاستفزاز و تضخمت الدواعى إليه .

لقد كان استخدام هذه الأسلحة خلال العقود الثلاثة الماضية و التاريخ يكفى دليلا عليه ، فى جبهة واحدة ، و هى الجبهة الداخلية أو الحروب بين الأشقاء ، فقد استخدمت فيها الأسلحة المستوردة بحرية تامة ، أقسى صرامة و جلادة

و إن تسلسل التزام استخدام هذه الأسلحة داخليا العدو الحقيقى يثير تساؤلات ما إذا كانت صناعة هذه الأسلحة بطريق لا تلائم حرب الأعداء ، وإنما يلائم قتال الأشقاء ، أو هناك تخصيص وتقييد من المنتجين لهذه الأسلحة بأن لا يستخدم ضد العدو الحقيقى للعرب و المسلمين و الذى يتمتع بصداقة الدول المنتجة للاسلحة فتتضمن الصفقات التى تبرم بين الفريقين البائع و المشترى تصريحات سرية ، بأنها هدية أو بيع ، و لكن غير مخصصة للحرب ، ضد إسرائيل مثلا ، و إنما يتحدد استخدامها لقمع الشعب أو لقتل المسلمين .

ولنأخذ أمثلة من التاريخ الأخير و هناك استثناءات ، و فى كل كلية استثناءات ، الأسلحة التى اشتراها عبد الناصر من مختلف الجهات ، استخدمها فى اليمن لحرب الأشقاء ، و فى حرب ١٩٦٧ مع إسرائيل لم تستخدمها مصر ضد إسرائيل .

الأسلحة التى اشتراها حكام الثورة فى سوريا ، تعطلت فى حرب ١٩٦٧ ، ولم تطلق منها رصاصة واحدة . لكنها تستخدم بحرية للهجوم والغارة على الاسلاميين

فى البلاد ، و قصف منازلهم ، و تعذيبهم و تستخدم فيها سائر أنواع الأسلحة ،

الأسلحة التى اشترتها إيران والعراق استخدمت ضد الشعبين ، وتستخدم الآن فى الحرب بين البلدين .

الأسلحة التى حصلت عليها الجزائر والمغرب، استخدمت فى حرب الصحراء ، و كان ضحاياها المسلمون ، و العرب وحدهم .

الأسلحة التى حصلت عليها اليمن الجنوبية ، استخدمت ضد الشعب اليمنى ، ثم تستخدم ضد اليمن الشمالية .

الأسلحة التى حصلت عليها سوريا استخدمت فى لبنان ، وكان ضحاياها الفلسطينيون المسلمون و تستخدم الآن لقمع الشعب ، و لم تستخدم هذه الأسلحة فى الجولان .

الأسلحة الأردنية استخدمت لقتل الفلسطينيين

الأسلحة التى كدسها القذافى من الاتحاد السوفيتى لا تستخدم إلا لمحاربة أعداء « الثورة » ، ومحاربة الجيش المصرى ، وإثارة الفتن والثورات فى البلاد الاسلامية .

هذه بعض أمثلة ، و لا يمكن أن يقال إنها صدفـــة . بل هناك التزامات لاستخدام هذه الأسلحة فى جهة تخصصها الجهات المنتجة لها .

ولو بحثنا عن مثال واحد لقتال العدو لكان هناك مثال واحد ، و هو حرب رمضان ، و ذلك إذا سلمنا أن حرب رمضان كانت مبادرة مصرية و لم تكن بايعاز الولايات المتحدة . لأنها كانت فاتحة لعهد التوغل الأمريكى فى مصر ، وممهدة للمبادرة السلمية .

ولو كانت هذه الدول قد حصلت على الخبز و المخابز الآلية من الدول الغربية لكانت وفرت هذه الدماء التى أريقت بالأسلحة المستوردة ، فان الخبز و الرغيف خير من الأسلحة المخصصة لقتل الأشقاء بدلا من الأعداء .

وفكرة إنتاج معدات المخابز الآلية إذاً فكرة فى الاتجاه السليم فى هذه الحلمية .

مؤتمر الاعلام الاسلامى الأول بجاكرتا

من مقررات المؤتمر

فى جاكرتا انعقد مؤتمر الاعلام الاسلامى الأول بدعوة من رابطة العالم الاسلامى يوم الاثنين ٢١ شوال ١٤٠٠هـ الموافق أول أيلول ١٩٨٠م .

افتتح المؤتمر بحضور الرئيس سوهارتو فى قاعة المؤتمرات "الـ
تلى القرآن الكريم ، ثم ألقيت كلمة سكرتارية المؤتمر ، و
الأمين العام التمهيـــدى للمؤتمر ، وكلمة معالى الشيخ محمد
لرابطة العالم الاسلامى . وكلمـــة وزير الأديان الاندونيسى
سوهارتو كلمته الترحيبية

افتتح المؤتمر رسمياً بأن قرع الرئيس سوهارتو ناقوساً نحاسياً كبيراً ، ثم انسحب مع الضيوف و كبار الرسميين و أعضاء السلك الدبلوماسى من القاعة ليبدأ المؤتمر أعماله .

و انبثقت عن المؤتمر أربع لجان فرعية لدراسة البحوث و أوراق العمل المقدمة للمؤتمر و ذلك على النحو التالى

(ألف) لجنة التحديات الفكرية و القضايا الاسلامية

(ب) لجنة إعداد الميثاق و البطاقة الصحفية الاسلامية .

(ج) لجنة مشروعات الاعلام الاسلامى .

(د) لجنة تطوير وسائل الاعلام .

وبعد مناقشة وتدارس ما أتخذته مختلف اللجان من توصيات ، توصل المجتمعون إلى مقررات ، هذه أهمها :

أولا إعادة إقرار و تأكيد أبرز التوصيات السابقة التى أقرها المؤتمر التحضيرى السابق فى قبرص (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م) والمتعلقة بشئون الاعلام الاسلامى .

ثانياً — ميثاق جاكرتا للاعلام الاسلامى :

إيماناً بالله و برسوله و استلهاماً لكتاب الله عز وجل وسنة رسول الله ﷺ ، وعملا بالاسلام وعطائه الموصول ، و وعياً بما يحدق بهذه الأمة من أخطار ، و بدور الاسلام فى حمايتها وانبعاثها ، وتقديراً لأهمية الدور الذى تقوم به وسائل الاعلام على اختلاف أصنافها . وحفاظاً على الواجب الاعلامى وسمو أهدافه وشرف المهنة وتقاليدها . وانطلاقاً من الأهداف التى تمثل آمال الأمة الاسلامية وطموحاتها يقر الاعلاميون المسلمون ميثاق الشرف الاعلامى الاسلامى الذى يلتزمون به ويجعلونه نبراس أعمالهم و مصدر التقنين لواجباتهم و حقوقهم

ثالثاً — أمانة عامة دائمة للاعلام الاسلامى مقرها مكة المكرمــــة تنظم و تنسق شؤون الاعلام الاسلامى و الاعلاميين المسلمين فى العالم من حيث عقـد المؤتمرات واللقاءات التى تستهدف الارتقاء بالاعلام الاسلامى ككل ، وسيلة وغاية .

رابعاً — يقرر المؤتمر إصدار بطاقة إعلاميـة يحملها كل منتسب من رجال الاعلام المسلمين للأمانة العامة للاعلام الاسلامى .

خامساً - إنشاء المجلس الأعلى العالمى للاعلام الاسلامى ، ويتكون هذا المجلس من أربعة و عشرين عضواً من رجال الفكر و الاختصاص يمثلون مختلف العــالم ، و تكون مهمة هذا المجلس وضع السياسة العامة للاعلام الاسلامى فى العالم ويجتمع أعضاؤه و يديرون الأعمال وفقاً لنظام معين يضعونه بعد أول اجتماع يعقدونه ،

و تكون مكة المكرمة مقراً دائماً لاجتماعات هذا المجلس ، و تتولى الأمانة العامة لمؤتمر الاعلام الاسلامى العالمى مهمة إدارة أعماله بشكل مؤقت لحين وضع النظام و ذلك باشراف رابطة العالم الاسلامى .

سادساً ـ تطوير الوسائل الاعلامية فى ظل النهضة الاسلامية الشاملة يقدم المسلمون يومياً إضافات جديدة إلى فهمهم الاسلامى لعصرهم . إلا أن العالم الاسلامى لا يزال بعيداً عن تحقيق تقدم فعلى فى مجال العمل الاسلامى المنشود و خاصة فى مجال الاعلام ، و لذا فان على الاعلام الاسلامى أن يواجه النمو الهائل الذى حققه " " وسائل الاعلام و الاتصال .

سابعاً ـ التحديات الفكرية و القضايا الاسلامية .

ألف . التحديات التى تواجه الانسان .

ب . التحديات التى تواجه الاسلام

ج . موقف الاسلام من الحضارة الغربية .

د . تحديات التبشير الغربى .

هـ . التحديات التى تواجه اللغة العربية .

وقد اختتم المؤتمر أعماله و أذاع توصياته فى جلسة عظيمة علنية عقدها مساء الأربعاء .

لقد كان المؤتمر مناسبة لتلاقى ما يقارب الأربعمائة عامل فى مختلف حقول الاعلام والتوجيه الاسلامى . كذلك كان مظاهرة إسلامية فى قطر نكب فيه الاسلام والمسلمون بمختلف المؤثرات التى بعدت بهم عن ممارسة الحياة الاسلاميه الصحيحة .

يا شعبنا المؤمن الأبي

الأستاذ عصام العطار

يا شعبنا المؤمن الأبي :

إن أجيالك المتلاحقة لتعلم حق العلم بأننا على مدار سنوات حياتنا و جهادنا الطويل فى سورية و خارجها لم نطلب لأنفسنا نفعاً ، و لم نخش فى القيام بواجبنا ضرراً و لا خطراً . و لم نسكت على باطل و لا ظلم ، و لم تنم أعيننا قط عن مأساتك الأليمة المديدة فى ظل الحكم الدكتاتورى الطائفى الغاشم الآثم . . و إننا نناضل الآن فى الحاضر ـ كما ناضلنا فى الماضى ـ لرفع الظلم و العبودية عن أبنائك جميعاً دون تمييز ، و توفير العدالة و الحرية والكرامة لأبنائك جميعاً دون تمييز ، و إطلاق إرادتك المقيدة و طاقاتك المهدرة لتحقيق أهدافك و آمالك الكبرى .

يا شعبنا المؤمن الأبى !

إننى أطلب إليك فى هذه الظروف المصيرية الخطيرة أن تقف معنا ـ كما عودتنا ـ وقفة حاسمة تنقذ البلاد والعباد من الحكم الدكتاتورى الطائفى العميل ، ومن إجرامه المستمر الذى تجاوز كل حد من الحدود ، و من مخططاته الآثمة التى تربطنا دون إرادتنا بالشرق أو الغرب ، و تسير بنا يوماً بعد يوم إلى مزيد من العبودية و الانهيار و الدمار

إننى أطلب إليك كخطوة مدنية أولى فى سلسلة خطواتنا المتتابعة إلى النصر و الخلاص إن شاء الله :

★ عزل الحكم الدكتاتورى الطائفى و من يواليه من الشيوعيين و الانتهازيين داخلياً و خارجياً إلى أبعد حد ، وعدم التعاون معه بتاتاً فى المجال السياسى

و القمعی مهما كانت الظروف .

★ الاستعـداد المادی و النفسی لمواجهـــه شاملة علی الصعید الشعبی بالاضرابات و المظاهرات والعصيان المدنی وغير ذلك مما تدعو إليه الضرورة و المصلحة عندما تصدر بذلك التعليمات .

★ تكوين لجان وطنية فی مختلف المدن والقرى و الأحياء لتنظيم نضال الشعب ، وتوفير أسباب تصاعده واستمراره ، و حماية المواطنين ، و تأمين حاجاتهم الأساسية ، و رعاية مصالحهم فی مختلف المراحل و الظروف

★ إيصال كلماتی هـــذه و غيرها إلى كل مواطن شريف فی مختلف أنحاء البلاد .

كما أطلب بشكل خاص إلى مواطنينا العلويين أن ينا من الحكم الدكتاتوری الطائفی القائم . و تحميهم له و لجرائمه المريعـــ ... مسئوليتها أمام الشعب والتاريخ وأمام الله عز وجل ، وأن يعلنوا بشجاعة وصراحة و وضوح موقفهم النهائی الكامل مع الشعب فی نضاله المشروع ضد الدكتـاتورية او الطغيان و الفساد و الخيانة و الاجرام . حتى لا يستمر التباس الأمور ، ولا يستقر فی الأذهان ـ حسب الظواهر والوقائع ـ التطابق الكامل بين الطائفة العلوية والحكم الدكتاتوری الطائفی . مما يمكن أن يكون له فی الحاضر والمستقبل أوخم العواقب

ويجب أن يكون واضحاً كل الوضوح لكل من يتعاونون مع الحكم الدكتاتوری الطائفی الاجرامی العميل فی التنكيل بالشعب ، وانتهاك حرمة عقائده وقيمه ،و وأد حرياته و كرامتـــه و قتل خيرة رجاله و أبنائه . يجب أن يكون واضحاً لهؤلاء ـ مهما كان شأنهم ـ كل الوضوح ـ إن لم يثوبوا عاجلا لرشدهم ،واجبهم ـ أنهم سيحاسبون أدق حساب علی خياناتهم لله و رسوله والمؤمنين ، وعلی جرائمهم النكراء بحق الأمة و البلاد .

إلى رحمة الله

الدكتور أحمد الشرباصي في ذمة الله

توفي في الأسبوع الأول من شوال المنصرم الدكتور أحمد الشرباصي . الكاتب الاسلامي المعروف الذي وافاه الأجل أثناء أدائه صلاة العصر في منزله بالقاهرة ، فانا لله و إنا إليه راجعون .

كان الدكتور الشرباصي قد أصيب بشلل في جسمه منذ فترة من الوقت ، أثر ذلك في نشاطاته وأعماله التي كان يباشرها في جامعة الأزهر ومكتب الشبان المسلمين بالقاهرة ، ولكنه لم يتوقف عن النشاط العلمي و الأدبي رغم ذلك ، و كان يقضي جل وقته بمنزله مشغولا بأعماله التحقيقية و دراساته العلمية ، وكان طلاب الأزهر وأصدقاؤه يزورونه في منزله ويستفيدون منه في مشكلاتهم العلمية والأدبية ، فانه كان يتمتع بنظرة واسعة و عميقــة في العلوم الدينية ، و كان من أدباء مصر و كتابها و خطبائها البارزين ، و ظل متصلا بحركة الشبان المسلمين في مصر إلى آخر أيام حياته . و كان يلقي أيام شبابه و صحته بمركز الشبان المسلمين محاضرات في كل يوم الثلاثاء من كل أسبوع و نشرت في كتاب مستقل باسم « محاضرات الثلاثاء » .

و لما حضر سماحة مولانا الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي إلى مصر في عام ١٩٥١م لقي الدكتور الشرباصي في مركز الشبــان المسلمين لأول مرة . وتكرر الاجتماع بينهما طوال مدة إقامته هناك و توطدت الصلة الأخوية و توثقت ، حتى إنه كتب صورة عن ترجمــــة حياة سماحــة الشيخ الندوي ، و نشرت كمقدمة في كتاب « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » ضمن المقدمات الأخرى للكتاب ، وخلف في المكتبة الاسلامية مؤلفات و كتباً قيمة في موضوعات تاريخية و أدبية ودينية .

لم يأل جهداً فی علاجه و حصل له بعض التخفيف فی المرض حتی تمكن من متابعة وظيفته فی جامعة الأزهر ، و لكنه فوجئ بحملة أخرى للمرض . و سافر إلى لندن على حساب الحكومة للعلاج وعاد منها مصحوبا بالصحة ، و لكن فاجأه الأجل و فوجئ العالم الاسلامی بنبأ وفاته .

كان مصابه خسارة كبيرة فی كل مجال من مجالات العلم و الدعوة و الأدب و الدين . ندعو الله سبحانه و تعالى أن يقدر فی خلفه من يملأ هذا الفراغ

رحمه الله رحمة واسعة وألهم أهله وذويه وأولاده وتلاميذه الصبر والسلوان

فضيلة الشيخ فخر الحسن فی ذمة الله

فقدت الأوساط الدينية والعلمية فی الهند عالماً دينياً كبيراً في الشهر المنصرم ، و هو فضيلة الشيخ فخر الحسن رئيس الهيئة التدريسية بدار العلوم ديوبند و شيخ الحديث فيها ، فانا لله و إنا إليه راجعون

كان الشيخ قد تقدمت به السن وأصيب بانحراف و ضعف فی صحته . ولكنه رغم ذلك لم ينفصل عن عمله و لا فتر نشاطه فی شئ . بل كان يتناول طلبة العلم بالتدريس و الافادة واشتغل بالافادة العلمية فی دار العلوم ديوبند إلى مدة طويلة و شغل فی الأخير منصب رئاسة الهيئة التدريسية .

و الواقع أن وفاته ليست إلا خسارة للعلم و العلماء ، و قد حدث بوفاته فراغ كبير فی أوساط العلم و الدين فی الهند كلها ، وخاصة جامعة ديوبند الاسلامية تأثرت بهذا الفراغ ، ونرجو الله سبحانه وتعالى أن يقدر بفضله من يكون أهلا لسده ، وقد خلف الفقيد رحمه الله وراءه جماعة من تلاميذه البارعين ، أغدق الله عليه شآبيب الرحمة و المغفرة و أدخله فسيح جنانه ، وألهم أصحابه وتلاميذه الصبر و السلوان .

المحامى ظفر أحمد الصديقى فى ذمة الله

استأثرت رحمه الله تعالى بالمحامى المسلم ظفر أحمد الصديق فى ٢٣ ذى القعدة ١٤٠٠هـ بعد أن ظل رهين الفراش من أجل الشلل الذى أصابه منذ نحو ستين فانا لله وإنا إليه راجعون. وكان المحامى ظفر أحمد السكرتير العام لهيئة التعليم الدينى بولاية أترابراديش وكرس جهوده الطيبة فى ترقية أعمال وبرامج هذه الهيئة، تاركاً مهنته التى كانت تدر عليه رزقاً واسعاً، ولكنه نذر حياته للعمل الاسلامى احتساباً ورجاء ثواب من عند الله واقتنع بمرتب يسير متواضع. ورضى بحياة ضنك وشظف وتحمل فى سبيل ذلك مشاق كثيرة، وظل مكباً على خدمة التعليم الدينى ونشره بين النشء الاسلامى والجيل المسلم الجديد بغاية من الصموت والخفاء.

ولما أقعده الشلل عن ممارسة نشاطاته التعليمية بالقيام بالرحلات والاتصالات الخاصة، أدى وظيفته بما استطاع من طريق الكتابة والمراسلات ووضع المناهج التعليمية للصغار، ولم ينقطع عن عمله حتى آخر لحظة من حياته، تقبل الله جهوده مشكورة وجزاه أحسن ما يجزى عباده العاملين

إعلان : تفسير الدوسرى رحمه الله

بدأنا طباعة أجزاء تفسير المرحوم وصيلة الشيخ الجليل عبد الرحمن محمد الدوسرى (رحمه الله) الذى نشر جزء كبير منه فى مجلة « البعث الاسلامى » وأذيع قسم منه من إذاعة القرآن الكريم بالرياض

فمن يرغب الاشتراك فيه بشراء نسخة أو أكثر فعليه الاتصال بالعنوان التالى.

و سوف تصل الأجزاء تباعاً ـ بإذن الله تعالى ـ فور صدورها من المطبعة،

العنوان . إبراهيم عبد الرحمن الدوسرى

ص . ب ١٦٠ الرياض الهاتف ٤٠١٢٨٠٩ ٤٠٤٠٦٥٧

عنوان المراجعة . مدرسة الرياض الثانوية ـ الرياض

قيمة الاشتراك : ٢٥٠ ريالا سعودياً أو ما يعادلها، مقابل نسخة واحدة .

Regd. No. LW/NP 59
AL-BAAS EL-ISLAMI
Nadwat-ul-Ulama LUCKNOW (India)




البعث الإسلامية
شعارنا الوحيد
إلى الإسلام من جديد
تصدر في ندوة العلماء - لكهنؤ - الهند

البعث الاسلامي

شهرية اسلامية جامعة

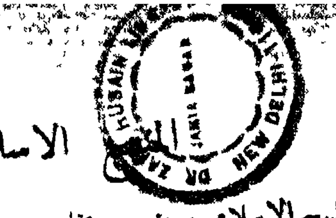
انشأها فقيد الدعوة الاسلامية
الاستاذ محمد الحسني (رحمه الله)
في عام ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م

رئاسة التحرير :

سعيد الاعظمي الندوي
واضح رشيد الندوي

المراسلات :

البعث الاسلامي
ندوة العلماء ص ب ٩٣
لكهنؤ — الهند



المنهج الاسلامي

المنهج الاسلامي، منهج مستقل، منهج مختلف، منهج أصيل ليس بينه وبين المناهج الوضعية وجه شبه أو سبب، فبينما المناهج الأخرى أو الديانات السائدة الأخرى تختلط مع الشعوب البشرية العامة في سوق المادة والمعدة، وتجتمع معها على مائدة واحدة، . تتمتع معها بملذات الحياة المحرمة بحرية تامة، نرى الاسلام ينفصل عن هذه الشعوب المادية من أول الطريق . احتفاظاً بسا
على دين الله واستمساكا
الباطلة و الدعوات الم
بما جاء في الحديث الشر
و التشديد على النهي عن متابعتهم ولو في ذمور العادية البسيطة « و تحسبونه هينا و هو عنـد الله عظيم » .

محمد الحسني (رحمه الله)

المجلد الخامس والعشرون ٢٥

العدد الخامس

● صفر ١٤٠١هـ

● ديسمبر ١٩٨٠م

Nadwat-ul-Ulama

Po. Box 93

Lucknow (India)

في هذا العدد

أخي القارئ	س. الأعظمي	٣
الافتتاحية		
الرابع و الخامس في محهودات الوحدة	واضح رشيد الندوي	٤
التوجيه الاسلامي		
المؤمنون والمنافقون في مرحلة الدعوة	فضيلة الشيخ عبد السلام القدوائي الندوي	١٠
الله نور السماوات و الأرض	سماحة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي	١٧
موقف الاسلام من العلم	الدكتور محمد معروف الدواليبي	٢
الدعوة الاسلامية		
رسالة السلام في دين الاسلام	العلامة الدكتور السيد سليمان الندوي	٣٣
ورايا الانسان في المجتمع المعاصر	سماحة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي	٤٠
دراسات و أبحاث		
مع الدكتور عبد الله عباس الندوي في كتابه «تعلم لغة القرآن»	الدكتور عبد الرحمن إسماعيل	٤٨
اللغات السامية القديمة	الدكتور محمد اسماعيل الندوي	٥٤
حول الحروب و الغزوات في الاسلام	الدكتور عبد الكريم زيدان	٦٢
الفقه الاسلامي		
حكم إثبات الأهلة بالحساب	سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز	٦٨
شبهات حول فقه الاسلامي	محمد صدر الحسن الندوي	٧١
ألمرأة قبل الاسلام و بعده	الأستاذ سعيد بن عبد الله سيف الحاتمي	٨١
العالم الاسلامي		
صور و أوضاع : مسيرة هدم الاسلام ، من يقودها ؟	سعد الأعظمي الندوي	٨٨
رسالة من سوريا	ابن من قرية « سرمدا الذبيحة »	٩٤
المفتي محمود في ذمة الله	قلم التحرير	١٠٠

أخي القارئ

بسم الله الرحمن الرحيم

أليس من شأن المسلم أن يغار ، سيما إذا كانت غارة العدو تشمل وطنه و دينه و حرماته و بني جلدته .

ألا يعلمنا الاسلام أن نغار على الدين ، وأن نغار على الوطن الاسلامي وعلى حرمة المسلم إذا انتهكت ، وعلى دمه إذا أريق . وعلى ماله إذا نهب .

لقد كانت القبائل الجاهلية قبل الاسلام تتمتع بالغيرة والحمية وتبالغ فيها إلى حد الاسراف ولاتكاد تصبر على قبول الضيم إذا أصيب فرد ، أ ، ا ، بشئ من الاعتداء ، سواء كان من شخص أو جماعة ، وكا، مهما كلف ذلك من ثمن و جر إلى حرب واسعة طويلة

و جاء الاسلام فوضع حداً على الحمية الجاهلية ، ونا، وبين حدودها و أبعادها ، وطلب من المسلم أن يكون غيورا على ظلم ولا يرضى باعتداء عليه وعلى عقائده ، وحرماته ، وطلب منه أن يستنكر الاعتداء و يحارب المعتدى ، و يذيقه جزاء عمله « وجزاء سيئة سيئة مثلها» و « فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » .

أما أن يرضى بالدنيئـــة في العرض و المال و في الحرمات و العقائد فلا تسمح به الغيرة ، وأما أن يساعد الظالم بتوفير أسباب الظلم له لا يمنعه عن الظلم ، فذلك ما لم نسمع به في أي دين أو عقيدة و فلسفة أو فكر .

و تتقطع القلوب أسفاً وأسى عند ما نرى المسلمين أفراداً و جماعات و شعوباً و حكومات أنهم تجردوا عن الغيرة الاسلامية و استعاضوا الظالم بالمظلوم ، فأيدوه و ساعدوه و أحازوه بجوائز ذات قيمة غاليـــة ، و كلما زاد عدواناً و ظلماً ، كلما استحق منهم دعماً و تشجيعاً .

فقليلاً من الغيرة يا رجال !

سعيـد الأعظمي

الرابح و الخاسر فى مجهودات الوحدة

تفيد الأنباء أن الوحدة الاندماجية بين ليبيا و سوريا تعانى مشاكل بدائية ، و أن العقارب بدأت تتراجع ، و ظهرت شكوك وريب ، و بدأ سؤال وجواب و مطالب ، و تهم ، تعوق التقدم فى تنفيذ برنامج الوحدة .

كان مصير هذه الوحدة التى لم تنل من عناية الصحف و الأوساط السياسية إلا ما تناله دعابة أو نكتة ، معلوماً ، فقد جرب العالم الاسلامى محاولات كثيرة للوحدة بين مختلف أنحاء الوطن الاسلامى ، و شهد عاقبة هذه المحاولات ، فقـــد عاشت وحدات مدة قصيرة من الزمن ، شهوراً ، و سنوات ، ثم باءت بالفشل ، و أسفرت عن خصام أشد ، و شقاق أوسع و عداء لا ينقطع .

من طبيعة بعض الأعمال والتصرفات أنها تترك نحساً بل لعنة على المقترفين ، فيحرمون تلك السعادة ، وتسلب منهم صلاحيات وكفاءات للتوصل إليها حتى بعد مضى فترة من الزمن ، وخاصة إذا كان ذلك التصرف نابعاً من الكفر بنعمة من نعم الله ، و هو من الأعمال التى تتحرك لها غيرة الله تعالى ، و قد وصف القرآن الكريم عاقبة الكفر بنعمة الله بقوله :

« وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع و الخوف بما كانوا يصنعون » .

و من سنة الله أنه يأخذ النعمـــة التى تكفر بها أمـــة أو مجتمع إنسانى ، أو فرد من الأفراد ، سواء كانت نعمة المال أو كانت نعمة الهدوء و الأمن ، أم كانت نعمة الوحـــدة و الاخاء ، لقد كفر المسلمون فى التاريخ الأخير فى الظروف الحاسمة من القرن العشرين بنعمـــة الوحدة عند ما كان مصير العالم المعاصر ترسم

خطوطه العريضة . و كانت تبرز قوى حديدة للاستيلاء على العالم . كفروا بنعمة الوحدة التى كانت تشكل قوة عالمية كبيرة تقدر على التوسط و فرض الارادة بين الفريقين المتحاربين . وكان يحسب لها حساب رغم الأسقام التى لحقت بها ومواطن الضعف التى وجـــــدت فيها ، لقد كفر العرب بنعمة الوحدة ، و قـــد حان الوقت لهذه الصراحة أن الثورة العربيـــة ضد الخلافة العثمانيـــة كانت كفراً بنعمة الله ، فأذاق الله ، لباس الجوع والخوف ، وكل من درس التاريخ يعرف الظروف التى تلت انفكاك الخلافة العثمانية ، و ما تعرضت له الجزيرة العربيه من حالة الجوع المــدقع و الخوف ، حيث كان الحجاج يختطفون . و كانت قوافـــل تباد فى الطريق لوعورة الطرق ، ولغارات رجال القبائل ، وكان
و أريقت الدماء فى البلد الآمن ، وانتهكت الحرمات ، أما
فانتقلت إلى أبشع نوع من الاستبداد ، و الاضطهاد ، و
و انتقلت المقدسات الاسلامية إلى الصليبيين الحاقدين .

رفع الله بفضله بؤس الفقر و الخوف قدراً ما ، ببركة الوحـــ ـــ ــن
أجزاء الجزيرة باسم الدعوة إلى التوحيد و بتطهير المجتمع من الخرافات والبدع ، فكان من بركات هذه الوحدة المحـــدودة التى تمت تحت راية الدعوة و تصحيح العقيدة ، و الاعتصام بحبل الاسلام أن أزال الله بعد مدة قصيرة من الزمن ، فى حياة مؤسسى ذلك الحــكم ، الجوع و الخوف ، و فتحت أبواب الخير ، و عاد الأمن و الهدوء ، وصارت المنطقة المقدسة أكثر بلاد العالم أمناً و رفاهية وسعادة حقيقية يشهد بها الأعداء ، و سيستمر هـذا الوضع ما لم يكفر سكان المنطقة بنعم الله ، فلاتبديل لسنة الله « ولن تجد لسنة الله تبديلا » فان أخوف ما يجب أن يخاف منه هو الكفر بنعمة الله ، وقـــد شوهدت أخيراً بوادر الاستخفاف بنعم الله ، بتوسيع نطاق الحرية الفكرية ، و التراخى فى تحكيم شريعـــة الله ، و فرض خلق المسلم ، و تضاؤل عاطفة الشكر فى طبقـــة المتنعمين ، فظهرت بوادر عواقبهـــا ، و وقعت حوادث متشتتة تكفى للانذار

كانت هذه الوحدة ، قد قامت بروح الدعوة و تصحيح العقيدة ، و تمسك الحكام إلى حد كبير بمثلها . فأزالت نقمة الله على سكان المنطقة الخاصة ، و أعادت إليهم السعادة والرفاهية ، ولكن البلاد الأخرى التى حارت فى السبيل ،و لجأت إلى مذاهب و نظريات حاقدة تنافى مع الاسلام ، و اختارت مناهج تفرق وتوزع و توهن الأيدى المعتصمة بحبل الله ، و هو الحبل الوحيد الذى ألف المسلمين ، و هو الحبل الوحيد الذى يؤلف بين المسلمين ، فحارت و دارت ، و انقلب الأمر ، فكل وحدة حاولتها هذه الدول تحقيقها على أساس أيديولوجية أو نظرية سياسية ، أو أهمية جغرافية ، أو مصلحة ذاتيـــة ، أدت إلى مزيد من التوزع ، و مزيد من العداء و مزيد من التفرقع و التشردم .

كان ذلك مصير سائر جهود الوحدة التى قامت فى الوطن الاسلامى ، و قد نجحت محاولة واحدة خلال هذه الفترة مدة من الزمن ، و هى الوحـدة بين شرقى باكستان و غربها التى عاشت أكثر من أى و حـــــدة أخرى لأنها قامت باسم الاسلام و الاخاء الاسلامى ، لكنها زالت بزوال العاطفة الاسلامية وتغلب عناصر القومية ، واللغة والثقافة على الاخاء الاسلامى ، وضعف العمل بالأخلاق الاسلامية فتشتت تلك القوة الاسلامية التى كان لها وزن فى القوة العسكرية و المعنوية فى المنطقة .

أما المحاولات التى قامت للوحدة على أساس مذهب اقتصادى ، أو سياسى أو قومى ، فلم توفق ، وإن تحققت الوحدة ، فلم تعش إلا أياماً وليـالى ، وخلقت عداءاً أكبر ، و إذا درسنا النوايا الكامنة وراء معظم محاولات الوحدة التى قامت خلال العهد الأخير ، عرفنا أن التوسعية ، والمصلحة الذاتية كانت محركة ، وهى التى دفعت إلى الوحدة ، وهى التى دفعت إلى التفرق إذا لم تتحقق لفريق من الفرق ، وكانت

هذه النوايا هى التى وحـــدت بين مصر و سوريا ، ثم فرقت بينهما ، و هى التى وجدت بين سوريا والعراق ثم فرقت بينهما ، وهى التى وجدت بين ليبيا وسوريا ، و الله يعلم مصيرها ، فانها وحدة بين رجلين طموحين ، يتغلب عليهما الجشع للغلبة و الحكم ، ولم تكن هده الوحدة إلا لجعلها وسيلة لتوسيع الا نتماع والاستغلال .

وأتدكر فى هدا السياق قصة دكرها الجاحظ فى صدد المؤاكلة وهى وحدة على مائدة الطعام ، فقد يكون الحرص على المؤاكلة ، الاستفادة من طبق الآخر . ولا يكون على وجـه البركة كما يدعى بعض الناس ، إلا إذا كان على أساس التربيـــة الاسلامية الصافية . و نذكر القصة ، و فيها ترويه ، ودكرى

نقط على حروف .

لأن معظم محاولات الوحدة لم تكن تختلف عن محاو

الجاحظ على سبيل الدعابة .

« قال رجل لصاحبه وكانا متزامليين ، لم لانتطاعم ، و فى الاجتماع بركة .
فقال له صاحبه لولا أنى أعلم أنك آكل منى لأدخلت هدا الكلام فى باب النصيحة.
فلما كان الغد و أعاد عليه ، قال يا عبد الله ، معك رغيف و معى رغيف ولو لا أنك تريد أن تأكل أكثر ، ما كان حرصك على موا كلتى »

إن الوحدات التى تقام فى هـــدا العصر و لا تعيش ترجع إلى تلك الروح التى كانت تحمل دلك البخيل على المؤاكلة ، و إن تفرق تلك الوحدات يرجـــع كدلك إلى الروح التى كانت حملت البخيل الثـانى على الاقتناع بالمؤاكلة لأنه خاف أن يكون هو الخاسر .

إن الايثار و الاخلاص فى النية و العمل ، و صدق القول و روح التفانى و التضحية بالمصلحة الداتية و الارتفاع عن مصالح الحزب ، و الطبقة ، و الأسرة و المجتمع لمصلحة الاسلام والمسلمين و الوطن الاسلامى ، و الانتماء إلى كيان أكبر

يشكل مقومات الوحدة ،على كل مستوى ، محلياً و دولياً .

لقد جربت تركيا الطرق التى تجربها الآن بعض البلدان الاسلامية و سارت فى ذلك الطريق إلى غاية بعيدة، وهى الانسلاخ من الشخصية الاسلامية انتقاماً من العرب ، والنزوح من الانتماء إلى الاسلام والمسلمين ، فهجرت الخط العربى ، والزى الاسلامى ، و حرمت الأذان و الصلاة بالعربية ، وأصبح الدين الشجرة الممنوعة ، لكنها تستطيع أن تحاسب نفسها الآن وهى خير موقف للمحاسبة ، و فى خير موقف لتقدم مثالا لمن يريد أن يقتدى بها . لقد كانت قوة عالمية ترتعش باسمها وترتعد أوربا ،كان حكمها يمتد إلى أصقاع بعيدة مترامية فى آسيا وأوربا عندما كانت تحمل لواء الاسلام و تمثل العرب و العجم من المسلمين . و كانت شارة للاسلام والمسلمين ، فلما خرجت من الصبغة الاسلامية و صبغت نفسها بالصبغة الأوربية ، انكمشت وتضاءلت ، و هى اليوم بعد مرور أكثر من نصف قرن من مسايرة أوربا لا تزال قلقة مضطربة تتصارع فيها المذاهب و تراق فيها الدماء ، و هى موزعة مفككة سياسياً و نظرياً ليس لها دستور دائم ، ولا نظام حكم دائم ، تهددها الحرب الأهلية بعد كل حين فلا تهدأ إلا تحت حكم ديكتاتورى مستبد .

هذا هو مصير محاولات المغتربين ، و أتباعهم ، فلا يؤدى أى طريق غير الانتماء الحقيقى إلى الاسلام و الاخاء الاسلامى ، و تسخير كل طاقة و مصلحة فى سبيله إلا إلى هذا المصير الذى يواجهه البلدان الاسلامية بعد أن كفرت نعمة الله ، نعمة الاسلام بصفة خاصة ، و نعمه المادية الأخرى بصفة عامة ، ذلك حكم التاريخ فليسمع الطغاة و من تسول نفسه أن يكفر بنعمة الله حكم التاريخ

فلا طريق إلا طريق الاسلام ، و لا حبل إلا حبل الله ، و لا حزب إلا حزب الله ، « واعتصموا بحبل الله جميعاً و لا تفرقوا » و« أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون » .

واضح رشيد الندوى

التوجيه الإسلامي

على مائدة القرآن الكريم :

المؤمنون و المنافقون فى مرحلة الدعوة

فضيلة الشيخ عبد السلام القدوانى الندوى

« معرب »

[أولئك على هدى من ربهم و أولئك هم المفلحون] .

ذكر الله تعالى فى مبدء السورة أن هـذا الكتاب هدى للمتقين ثم تحدث عن صفاتهم و ختمها بقوله « أولئك على هدى من ربهم و أولئك هم المفلحون » و إن تكرار « أولئك » فى الآية يشير إلى حقيقة أن الاهتداء و الفلاح يتطلبان هذه الصفات المذكورة ، فمن وجدت فيه هذه الصفات استقبله النجاح ، و فى هذه الآية من قوة المعنى و فخامة الاسلوب ما لا يخفى على من يتذوق اللغة العربيـة و يستسيغها ، إذ أن فيها من التقـديم و التأخير و التكرار و التعريف و التنكير و الزيادة ما يستطيع أن يعرفه كل من يدرس القرآن و يجيد اللغة العربية إجادة تامة ، أليس تنكير « هدى » و تقديمها على « من ربهم » سبباً للجامعية و الفخامـة و دقة المعنى ، و كذلك نسبة الرب إلى الهداة و نسبة الهداية إلى الرب دليلا على الفخامة والاعجاز . فان المعنى أنهم يكرمون بالهداية التى تصلح بشأن ربهم . وكما أن الرب يعتنى بتربيتهم كذلك يهتم بهدايتهم بالغ الاهتمام .

أما تقديم « على » على « هدى » يؤكد أن هؤلاء الهداة يتمكنون من هدايتهم فيستفيدون منها ما شاؤا ، و لا يخفى مدى النجاح العظيم الذى يتحقق بعد هـذه الهداية . و لذلك كرر كلمـــة « أولئك » و زاد كلمـة « هم » إلى « أولئك »

الثانية ، ثم قال هم المفلحون لكى لا يراود شك فى فلاح المتقين هؤلاء ، ويثبت أن من يستحق الصــلاح و النجاح هم أصحاب هذه الهداية .

[إن الذين كفروا سواء عليهم أ أنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون . ختم الله على قلوبهم و على سمعهم و على أبصارهم غشاوة و لهم عذاب عظيم] .

كل دعوة صادقة تواجه فى مبدء أمرها ثلاثة أنواع من الناس .

١- مخلصين صالحين يقبلونها ويقتنعون بها و يضعون فى سبيلها كل إمكانياتهم .

٢- منكرين لها يرفضونها بشدة ويعارضونها بكل ما يستطيعون من معارضة ، لايخضعون لأى دليل ولأى شرح مهما كانا واضحين قويين ، ذلك لأ
الأعمى يسدان عليهم جميع منافذ التفكير وأبواب التأثير والـ
فى هدايتهم وتوجيه النصح إليهم كلما شددوا فى الانكار و الـ
العبث أن يرجى منهم خير فى سبيل الدعوة ، و ينبغى للدعا
فى الاهتمام بهم بل يجب أن يعرضوا عنهم إلى الآخرين ممن يتمتعون بالصلاح وحسن الاستماع . و يتجهوا إلى تربية النوع الأول من المخلصين المهتدين .

٣- والنوع الثالث هم المذبذبون بين الأول والثانى ولا يستطيعون أن يعارضوا الدعوة و لايرغبون فى قبولها ، ويخافون من الجهر بالمعارضة . ولكنهم يتظاهرون بالقبول مع رفضهم من القلب . أولئك هم المنافقون ، الذين يمارسون هذه العملية لجلب المنافع فى كل حال ، حيث إن أنصارالحق إذا تغلبوا يقولون لهم إنا معكم ، و إذا انتصر معارضو الحق ، أبدوا أنهم معهم . و يستحقون نصيبهم من غنائمهم ، إلا أن هـــذا الأسلوب الشنع يضرهم و لا ينفعهم و يسقطون فى أعين الجميع و يفقدون مكانتهم و ثقتهم .

لقد كان الناس أثناء نزول القرآن موزعين بين هذه الأنواع الثلاثة . و وجدت

جماعـــة قبلت دعوة الاسلام بصـــدق و إخلاص و رضيت بها من غير تردد ، و عاشت فی ظلها فاجتمع لها عز الدنيا و الآخرة ، و تمتعت بالسعادة فی الدنيا ، و الكرامة فی الآخرة ، و سرعان ما وصلت إلى قمـــة العز و الشرف حيث لم يوجد لها نظير فی تاريخ النوع البشرى ، و اندهش المؤرخون و تحير الباحثون عن العلل و الأسباب بماذا يفسرون هذا الانقلاب العظيم ، و كيف أن أمة كانت ترعى الابل و الغنم و كانت متجردة عن الأسباب المادية بتاتاً تحولت إلى أمة ذات حكم و سياسة ، وامتلكت زمام العالم بيدها ، و ما أدرك المورخون لهذا الرقى الازدهار سبباً غير أن الله تعالى بعث فيهم نبياً أمياً ، ذلك الذى لم يرسلهـــم إلى أى معسكر حربى للتدريب ، أو إلى أى مؤسسة سياسية ، وما كان قد طلب منهم أن يهتموا لثورة أو انقلاب ، و لكنــــه حثهم على طاعة الله تبارك و تعالى و الخضوع أمامه و العيش وفق هدايته الصالحة ، وأحدثت تلك التعاليم الربانية ثورة عظيمة فی نفوسهم حولت حياتهم ظهراً لبطن و جعلتهم يعبدون الله تبارك و تعالى ويطيعون محمداً ﷺ ، الأمر الذى جعلهم سادة الدنيا و قادة الأمم ،

إن المؤرخين قد تحيروا بماذا يفسرون ذلك الانقلاب العظيم ، و لكن أهل الايمان يعرفون معرفة جيدة أن تعاليم النبى الأمى ﷺ قد غيرت قلوبهم و نفخت فيهم روحاً جديدة ، و فتحت لهم أبواب رحمة الله تعالى و نصرته ، حتى إن الدنيا خضعت لهم و استولوا على خزائن الروم و الفرس ،

وبالعكس من هؤلاء المؤمنين الصادقين وجدت جماعة معارضة للاسلام ومعاندة للنبى ﷺ ، لفيف من أبى جهل و أبى لهب و أمية بن خلف و وليد بن المغيرة ، و عتبة بن ربيعة و شيبة و عبد الله بن أبى ، و من إليهم ، كانت حياة النبى ﷺ ماثلة أمامهم من الطفولة إلى البعثة ، مع ما جربوا عليه من الصـــدق و العفاف ،

و الزهد فى حطام الدنيا و الورع و الوفاء و الأمانة و الاخلاص و حسن المعاملة و الأخلاق ، فقد عاش أربعين سنة قبل البعثة بين ظهرانيهم ، وكان يقضى بينهم بعد البعثة أيضاً . و لذلك فانهم كانوا يعرفون بمحاسن أخلاقه معرفة جيدة . و لقد كان القرآن الكريم ينزل بلسانهم حتى حرست ألسنة بلغاء العرب و فصحائها أمام فصاحة القرآن الكريم . و ما استطاعوا أن يأتوا بآية مثل آية القرآن . و كانوا يعرفون عن الشريعة الاسلامية أنها تعلم الصدق و العفاف والأمانة و الورع (١) و فضلا عن ذلك فان مئات المعجزات كانت قد ظهرت أمامهم ومرت عليهم آيات كثيرة من القدرة الالهية . ولكنهم مع ذلك كله ما كانوا يؤمنون بالله تعصباً وعناداً بل كلما تحقق صدق الاسلام وتوفرت دلائل على نبوة الرسول ﷺ و تعصبهم الأعمى . وكانوا يبذلون قصارى جهودهم فى المعاداة بأنه حق . وذكر الله سبحانه وتعالى هؤلاء المعاندين فى قوله و أخبر بذلك نبيه ﷺ .

بالتأمل فى معنى الكفر فى هذه الآية تتجلى حالتهم العقلية بوضوح . و تتبين العلة فى عدم إيمانهم ويتحقق السبب فيما إذا كان الله سبحانه قد ختم على قلوبهم وعلى سمعهم ، و جعل على أبصارهم غشاوة . و معلوم أن الكفر معناه فى اللغة الستر و التغطية . ولذلك يسمى الفلاح بالكافر لأنه يغطى الحبوب فى الأرض . و قد عبر الله تعالى عن هذا المعنى فى آية من القرآن فقال « كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً » فالمراد بالكفار هنا الفلاحون . وإن هذا المعنى للكفر يبين حالة الكافر العقلية الذى لا ينكر الحق وحده وإنما يسعى لاخفاء الحق و وضع الغطاء على وجه الحق . و من هنا يتحقق أن كلام النصح و الهداية لا يستطيع أن يؤثر فيهم . و مهما بذلت فيهم جهود زاد عنادهم ، ذلك أن

(١) اقرأوا الحوار الذى جرى بين هرقل و أبى سفيان فى صحيح البخارى

عقولهم فقدت كل قوة لقبول الحق و سدت عليهم منافذ النور ، و قد عبر الله تعالى عن ذلك بقوله : « ختم الله على قلوبهم و على سمعهم ، و على أبصارهم غشاوة » ويؤيد ذلك آيات متعددة من القرآن الكريم مثلا ، « فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم » و فى آية أخرى . « و نقلب أفئدتهم و أبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة و نذرهم فى طغيانهم يعمهون» و ما أشبه ذلك من الآيات الدالة على أن الله تعالى ختم على قلوبهم . و حال دونهم ودون الهدى

ومعنى ذلك أنهم بعصيانهم المتتابع و تمردهم المستمر أبعدوا أنفسهم عن طريق الحق و لم يعد عندهم ما يبعثهم على قبول الحق . ومن هنا فقد ختم الله على قلوبهم جزاءاً وفاقاً على تماديهم فى الباطل و تركهم الحق ، و يؤيد ذلك ما رواه حذيفة رضى الله عنه فى الصحيح عن رسول الله ﷺ قال تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً . فأى قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء . وأى قلب أنكرها نكت فيه نقطة بيضاء حتى تصير على قلبين أبيض مثل الصفاء فلا تضره فتنة ، ما دامت السماوات والأرض . والآخر أسود مرباد كالكوز مجخياً لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً » وفى حديث آخر عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ إن المؤمن إذا أذنب ذنباً كانت نكتة سوداء فى قلبه فإن تاب و نزع و استعتب صقل قلبه وإن زاد زادت حتى تعلو قلبه . فذلك الران الذى قال تعالى (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) .

قال ابن جرير فأخبر رسول الله أن الذنوب إذا تتابعت على القلوب أغلقتها و إذا أغلقتها أتاها حينئذ الختم من قبل الله تعالى و الطبع فلا يكون للايمان إليها مسلك و لا للكفر عنها مخلص ، فذلك هو الختم والطبع الذى ذكر فى قوله تعالى « ختم الله على قلوبهم و على سمعهم » نظير الختم و الطبع على

ما تدركه الأبصار من الأوعية والظروف التي لا يوصل إلى ما فيها إلا بفض ذلك عنها ثم حلها فكذلك لا يصل الايمان إلى قلوب من وصف الله أنه ختم على قلوبهم و على سمعهم إلا بعد فض خاتمه، و حل رباطه عنها (١).

و يتبع الله سبحانه بعد ما تحدث عن (النوع الأول) المؤمنين الصادقين و(النوع الثاني) المنكرين المعاندين، ذكر (النوع الثالث) المنافقين الذين لم يقبلوا الاسلام بصدق و لا أظهروا المعارضة باعلان، و كان طريقهم أنهم كانوا يأتون إلى المسلمين ويصفون إليهم، و يأتون إلى الكفار ويؤكدون لهم أنهم.

هؤلاء المنافقين و إن كانوا من أكبر معارضي الاسلام و

دائماً، و لكنهم لم يكونوا يجدون عندهم من الجراءة

أمنيتهم هذه إلا أنهم كانوا يصرحون بموقفهم من الاسلام

الالتقاء مع الكفار أو اليهود ويؤكدون لهم أنهم معهم و لا يتظاهرون بالاسلام إلا نظراً لبعض المصالح.

إن حالهم عجيبة، كانوا يكرهون الاسلام من قلوبهم. ولكنهم كانوا يتكلفون أداء العبادات بظاهر العمل، مع عداوتهم للاسلام و لنبي الاسلام. والمسلمون كان لهم عهد بالكفار المجاهرين في مكة المكرمة إلا أنهم واجهوا نوعاً جديداً في المدينة المنورة أولئك هم المنافقون الذين كان يرأسهم عبد الله بن أبي بن سلول الذي احتل مكانة مرموقة بين الأوس و الخزرج قبل تشريف النبي ﷺ المدينة المنورة، و قد كان عزم هؤلاء على تمليكه عليهم. و صنعوا له تاجاً ملكياً، و قبل أن تتم عملية التتويج حضر عدد من الأنصار الموسم، ولقوا هنالك النبي ﷺ وتشرفوا بنعمة الاسلام، و ما أن أكرمهم الله بالاسلام إلا و قد تغيرت وجهة أنظارهم

(١) تفسير ابن كثير (سورة البقرة) ص ٨٢.

نحو عبد الله بن أبی و حاولوا أن یقنعوه بهدایة الاسلام، ولکنه أبی و غلبت علیه نفسه حرصاً علی حطام الدنیا الذی کان یرجوه، و أبدی کراهیته للاسلام، وکلما عامله رسول الله ﷺ معاملة اللطف و الکرم، ازداد عداوة له و للاسلام، ومات فی حالة الکفر و النفاق. وخلف وراءه جماعة من أتباعه ممن لم یقصروا فی إیذاء المسلمین و استمروا علی ذلك حتی آخر لحظة من حیاتهم.

و من الله تعالی علی المسلمین ووقاهم من فتنـة المنافقین، و أحبط مساعیهم و مؤامراتهم ضد الاسلام و المسلمین، و کتب لهم و لرسوله العظیم ﷺ النجاح والانتصار، حتی إن فرداً واحداً من المسلمین لم یقع فی فتنتهم بل إن أقرب أقاربهم لم ینخدع بهم. وحتی إنهم لم یتمکنوا من التأثیر علی زوجاتهم و أولادهم،

و من الذی لا یدری أن عبـد الله بن أبی بن سلول بذل أقصی جهوده للتأثیر علی المسلمین و صرفهم عن الاسلام و لکنـه لم یتمکن من ذلك. حتی إنه لم یستطع أن یؤثر علی ابنه أبی حذیفة رضی الله عنـه و یصرفه عن إسلامـه، و إن عبد الله بن أبی و إن کان أباه و لکنه لم یکن یقیم له وزناً ما بازاء رسول الله ﷺ، و یتحـدث التاریخ قصة عن قوة إیمانه حینما تناول عبد الله بن أبی رسول ﷺ بالأذی الشدید، فاهتم به المسلمون، فلما علم بذلك أبو حذیفة أسرع إلی النبی ﷺ واستأذنه فیما إذا قطع رأس أبیه و أحضره إلی النبی ﷺ، و لکنه لم یقبل منه ذلك، و قال إنا لا نرید هذا و سنعامل معه معاملة حسنة، و قد أوفی بوعده إلی أنه لما مات شهد رسول الله ﷺ دفنه، و منح قمیصه لیکفن فیـه و صلی علیه، وعاتبه عمر بن الخطاب رضی الله عنه فی ذلك فقال « إنی أکره أن تتحـدث العرب أن محمـداً (ﷺ) یقتل أصحابه » و فی روایة: « إنی خیرت فاخترت »

الله نور السماوات و الارض

سماحة الشيخ السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى

« الله نور السماوات و الأرض ، مثل نوره كمشكاة فيها مصـ
فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقـــد من شجرة م
ولا غربية يكاد زيتها يضئ و لو لم تمسسه نار ، نور على ن
من يشاء ، و يضرب الله الأمثال للناس ، و الله بكل شئ
الله أن ترفع و يذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو و الآصال ، رجال لا تلهيهم
تجارة و لا بيع عن ذكر الله و إقام الصلاة و إيتاء الزكاة . يخافون يوماً تتقلب فيه
القلوب و الأبصار ، ليجزيهم الله أحسن ما عملوا و يزيدهم من فضـــله ، و الله
يرزق من يشاء بغير حساب (سورة النور ٣٥ ـ ٣٨) .

إن الآيات الجميلة الرائعة التى قرأتموها تحدثنا عن هذا الكون الذى نعيش فيه ونهيم به حباً وغراماً ، فى أسلوب جديد ، أسلوب الوحى الالهى ، أسلوب الأنبياء المرسلين ، الذين انكشفت عليهم الحقائق ، و اهتدوا من الكون إلى فاطر الكون و سعدوا بالمشاهدة واليقين ، و لقد قال قائلهم و قد رأى الشمس تغيب فى الأفق « إنى برئ مما تشركون ، إنى وجهت وجهى للذى فطر السماوات و الأرض حنيفاً و ما أنا من المشركين » وقد قيل عنه : « وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السماوات و الأرض و ليكون من الموقنين » .

حدثتنا هده الآيات عن سر الحياة ، عن سر القوة و الحركة و النشاط عن سر البهجة و الأنس ، عن سر الجمال الفاتن ، عن سر كل ما فى هدا العالم من حسن و جميل و حى نام .

« الله نور السماوات و الأرض » هدا هو النور الدى فاض على هدا العالم فأضاء الكون و أشرقت الأرض بنور ربها .

و لكنه نور لا كالنور « ليس كمثله شئ » و لكنه لا يفهم إلا بالأمثلة الحكيمة البليغة « مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح فى زجاجة ، . الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة » و لكن هـدا النور لا يختص بجهة دون جهة ، و باقليم دون إقليم ، و بجنس دون جنس و بوطن دون وطن . إنه فوق الحـدود و الجهات ، و فوق الأرض و السماوات ، و فوق الشعوب و الأمم ، و الأجناس ، و الأوطـان . والأنساب و الألوان « رب السماوات و الأرض و ما بينهما ، و رب المشارق » .

وهكدا رد على من خصص الله رب العالمين بشعب خاص . أو بوطن خاص و ضيق رحمة الله الواسعـة و جوده العام فقال ـ و هو يضرب المثل لنوره ـ « زيتونة لا شرقية و لا غربية » ، ثم إنه فى إفاضة نوره و بث خيراته وجوده لا يفتقر إلى الأسباب و لا يستعين بالوسائط « يضئ و لو لم تمسسه نار » .

إن هدا النور عام قد عم الكون ، و عم الشرق و الغرب ، و أشرق على البر و البحر ، و السهل و الجبل ، و الحيوان و الجماد . و لكن لا يهتدى إليه إلا من فتح الله بصيرته وشرح صدره للاسلام فعرف الله معرفة صحيحة ، وتوصل من الكون إلى فاطر الكون « أفمن شرح الله صدره للايمان فهو على نور من ربه» وفكر فى هدا العالم بنور من ربه فوصل إلى النتائج الصحيحة وطرب بها « يتفكرون

فى خلق السماوات والأرض ، ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار» فالاهتداء إلى هـذا النور سعادة لا ينالها إلا من أدركته العناية الالهية و الهـداية الربانية « يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شئ عليم.

هذه الهداية عن طريق الأنبياء و الرسل الذين أكرمهم الله برسالاته وكتبه فقال « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام و يخرجهم من الظلمات إلى النور باذنه و يهـديهم إلى صراط مستقيم » ، و لذلك يقول المهتدون يوم القيامة « الحمد لله الذى هدانا لهذا و ما كنا لنهتدى لو لا أن هدانا الله ، لقد جاءت رسل ربنا بالحق ».

و يبحث عن كل شئ فى محله و مركزه . و يبحث

هذه الهداية فى المساجد التى أسست على التقوى ، و أقيمت

« فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه » ولكن الاسلام ، ولكن ... ...

لا يدعو إلى الرهبانية . إنه يدعو إلى الاشتغال و أكل الحلال إنه يمدح من يجمع بين الدين والدنيا فى الدعاء « ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة و فى الآخرة حسنة و قنا عذاب النار » و يجمع بين التجارة و العبادة فى الحياة بحيث لا تلهيه التجارة و الصفق بالأسواق عن أداء الفرائض و الصلوات و قد سماهم « الرجال » فقال . « يسبح فيها بالغدو و الآصال ، رجال لا تلهيهم تجارة و لا بيع عن ذكر الله و إقام الصلاة وإيتاء الزكاة » و لا تشغلهم زينة الحياة الدنيا ، وصفق الأسواق عن تذكر يوم شديد عسير لابد منه « يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار ، ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله ، والله يرزق من يشاء بغير حساب »



موقف الاسلام من العلم

و أثر الرسالة الاسلامية فى الحضارة الانسانية

- ٢ - الدكتور محمد معروف الدواليبى

مميزات دعوة الاسلام فى النظام الجديد العالمى :

١٧- هذا و لابد لنا هنا من الاشارة إلى ما قد امتازت به دعوة الاسلام لمبادىء هذا النظام الجديد للحياة على دعوة خبراء الأمم المتحدة اليوم . و ما ذلك للانتقاص مما قد وصل إليه هؤلاء الخبراء المحترمون و قد انتهجا به . و لكن من أجل ضمان نجاح الدعوة لهذه المبادىء و القواعد للنظام الجديد .

فلقد أقيمت دعوة الاسلام لهذه المبادىء و القواعد الجـــديدة لنظام الحياة الانسانية على أساسين كانا هما دعامة النجاح .

أولا - إنها دعوة متفرعة عن العقيدة الدينية

ثانياً - إنها دعوة متفرعة عن فريضة العلم . كل العلم ، على كل مسلم . ذكراً كان أو أنثى . و خاصة الدعوة فيه إلى تطوير التكنولوجيا من غير حد فيها ، و ذلك للنظر الواجب على كل مسلم بنص القرآن الكريم فيما قد حوته السماوات والأرض عملا بقوله سبحانه و تعالى : « قل انظروا ماذا فى السماوات و الأرض » .

أما دعوة خبراء الأمم المتحدة اليوم إلى تلك المبادىء فهى أولا دعوة تحت ضغط المصالح المادية المتناورة ، و ثانياً إنها كانت انجراراً وراء ما قد تركه انتشار العلم و التطور التكنولوجى من أجل المصالح المادية فى تطوير مفاهيم البشرية عامة

من غير قصد إليها ، بل إن انتشار هذا العلم كان اليوم على الرغم من إرادة القابضين على مفاتيحه الحريصين على الاستئثار به و بمنافعه دون بقية الناس أجمعين .

و شتان ما بين الدعوتين . فالدعوة الاسلامية لذلك النظام الجديد الانسانى متفرعة عن إيمان المسلم أولا ، كما هى متفرعة ثانياً عن فريضة الاسلام للعلم على كل مسلم من غير استثناء ، و منذ اللحظـــة الأولى فى الدعوة إلى الاسلام . لا عن الانجرار وراء انتشار العلم من غير قصد .

و لذلك فان المسلمين المخلصين لاسلامهم يقبلون اليوم بصدق و من ... الأخذ بهذه المبادىء إذا صحت عزيمة الأمم المتحدة فى ذلك
الزوايا ، و ذلك لما للدين من سلطان على النفوس فوق سلط
كان موضوعنا هنا قاصراً على موقف الاسلام من العلـم أولاً
الاسلامية فى الحضارة الانسانية ثانياً من أجل نظام إنسانى عالمى جديد ...
هنا موضوع الناحية الايمانية بعد أن أشرنا إليها لأهميتها ، لننتقل إلى شرح موقف الاسلام من العلم أولا ، ثم إلى أثر الرسالة الاسلاميـة فى الحضارة الانسانيـــة و مفاهيمها ، و ذلك بعد أن اتضح لنا أن دعوة الاسلام من قبل و من بعد إنما هى دعوة إلى إقامة نظام عالمى من أجل حياة جديدة إنسانية تقوم على كرامة الانسان فى كل مكان ، و من غير تمييز بين الأفراد و الأقوام كما ذهب إليه خبراء الأمم المتحدة اليوم ، و كان ذلك حجر الزاوية فى موضوعنا الآن .

موقف الاسلام من العلم

وقبل الخوض فى موقف الاسلام من العلم كدين ، لابد لنا استعراض ما قد رسخ لدى علماء اليوم فى الغرب من مفهوم للدين متناقض تماماً مع مفهوم الدين فى الاسلام .

فلقد ذكر علماء الغرب تعاريف كثيرة للدين بلغت المئة ، و قد أسقطوا منها ثمانية و تسعين تعريفاً ، و احتفظوا منها بتعريفين مفصلين حيث قالت الموسوعة الفرنسية الكبرى للعلوم و الآداب و الفنون فى كلمة الدين : « إن أحسن هذه التعاريف قبولا هو التعريف الذى وضعه « كوبليت دا الفيلا » .
حيث قال .

« إن الدين هو الطريقة التى يحقق بها الانسان صلاته مع قوى الغيب العلوية »
ثم ذكرت الموسوعة التعريف الآخر للدين فقالت : « وقد وضع جامس دارميستيتر تعريفاً فقال : « إن الدين هو ما يشتمل على كل معلوم . و كل سلطة لا تتفق و العلم » ! !

(٢٢) وإننا إذا نظرنا إلى مفهوم الدين فى القرآن الكريم ، رأينا أن « الاسلام » الذى سماه القرآن « ديناً » يختلف تمام الاختلاف عن مفهوم « الدين » المنقول عن علماء الغرب أعلاه ، والمسيطر على مفاهيم أكثر الناس فى هذه الأيام من المتأثرين بثقافة الغرب .

ذلك أن « الاسلام » و إن سماه القرآن ديناً ، عملا بآخر آية نزلت منه و هى قوله تعالى « اليوم أكملت لكم دينكم ، و أتممت عليكم نعمتى ، و رضيت لكم الاسلام » هو رغم ذلك قد تجاوز فى أسس دعوته و مقاصده تلك الحدود الضيقة و غير المعقولة التى وضعها علماء الغرب للدين . أو وضعوا الدين فيها .

فلقد تجاوز الدين فى مفهوم القرآن تلك الحدود أولا من « صلات الانسان مع قوى الغيب العلوية » إلى حدود أخرى أعطاها نفس الاهتمام ، ألا وهى « صلات الانسان مع الانسان » . ثم فوق ذلك ، قد حمل المخاطبين به على « الاحتكام » فى كل تلك الصلات مع الله والانسان إلى « العلم و العقل والفكر » فقال القرآن الكريم فى ذلك تارة « و نفصل الآيات لقوم يعلمون » و تارة

« لقوم يعقلون » و تارة « لقوم يتفكرون » .

و إننا إنما لفتنا النظر إلى هذه الفوارق الأساسية ما بين مفهوم الدين فى القرآن ، و بين مفهومه لدى الغير ، لنتجنب بذلك أعظم خطيئة وقع فيها كثير من علماء الغرب فى نظرتهم إلى الاسلام و إلى شريعته ككل ، و حكموا عليه بالجمود وبعدم التمشى مع المصلحة و العلم ، و ذلك بسبب ما عرفت عندهم أعلاه من مفهوم لمعنى الدين .

و بعد فان موقف الاسلام من العلم لا تستبين عظمته إلا ..
استقر لدى علماء الدين فى غير الاسلام . فيما قبل الاسلام
مقاومة وأعداء للعلم مما عطل العقل ، وأفقد الانسان أعظم .
على الحيوان .

ولعل العقائد « الدوية » التى انتشرت فى الصين منذ القرن السابع قبل الميلاد على يد فيلسوفها « لودرة » (٦٠٤ – ٥١٧ ق ٠ م) تعطينا فكرة صحيحـــة عن مصدر العداء الذى استمر لدى الأديان حتى مطالع القرن الثامن عشر فى نهضـــة العالم الحديث حيث نحت الكنيسة مواقف علماء الطبيعة و الباحثين فيها من غير رغبة فى المناقشة على أساس العــــلم و العقل ، حتى كان ما كان من انفصال نهائى للحركة العلمية عن الدين ، و عدائها للدين ، و تسجيل تلك التعاريف لمفهوم الدين لديهم ضد العلم و العقل

و يقول « لودرة) مؤسس مذهب الدوية ، بل إله الدويين الدين عدوه فيما بعد :

« إن الطبيعة قد جعلت حياة الناس فى الأيام الحالية بسيطة آمنة ، فكان العالم كله هنيئاً سعيداً » .

ثم حصل الناس « المعرفة » فعقدوا الحياة بالمخترعات، وخسروا كل طهارتهم الذهنية و الخلقية، و انتقلوا من الحقول إلى المدن و شرعوا يؤلفون الكتب، فنشأ من ذلك كل ما أصاب الناس من شقاء، و جرت من أجل ذلك دموع الفلاسفة.

« فالعاقل إذن هو من يبتعد عن هذا التعقيد الحضرى، وهذا التيه المفسد، تيه القوانين و الحضارة - و يختفى بين أحضان الطبيعة.

وإن العلم ليس فضيلة، بل إن السفلة قد زاد عددهم من يوم أن انتشر العلم »

و هكذا نشأ هذا العداء للعلم، و تسرب إلى معظم العقائد و الأديان عبر العصور و التاريخ، حتى كان منه ما كان فى أوربة و فى عصور النهضة الحديثة، من موقف الكنيسة تجاه العلم والعلماء، حتى أصبح الدين و العلم ضدين لايجتمعان.

و لما بعث الله محمداً ﷺ برسالته، و فاجأه العرب بالدعوة إلى الاسلام و إلى الخروج من حياة الجاهلية البغيضة، وإلى تكوين المجتمع الانسانى العالمى على أساس السلم و الوحدة و التعاون على الخير من غير تمايز بين القبائل و الشعوب والأجناس، لم يكن العرب عندئذ بعقائدهم الدينية الوثنية بخير من غيرهم فى التمسك بالعقائد و التقاليد الجاهلية غير المعقولة، و الحكم بالموت على من يدعوهم لتصحيح عقائدهم الوثنية، و نبذ أنماط حياتهم المألوفة. و كذلك فعلوا، و حكموا على محمد بالموت، و هم الذين حكموا له من قبل و دعوه بالرجل الأمين.

و هكذا نشأت المعركة بين الخير و الشر. و دامت المعركة نحواً من خمسة عشر عاماً انتصرت فيها دعوة الخير، و ظهر الحق، و زهق الباطل، و لم تلبث الجزيرة العربية التى لم تعرف وحدة من قبل، أن اتحدث كلمتها، وقويت شكيمتها و انتقل فيها العرب بعد قليل جداً من الزمن من رعاية الغنم إلى قيادة الأمم،

وكانوا فى قيادتهم الجديدة بعد جاهليتهم الأولى خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف و تنهى عن المنكر و تؤمن بالله

فأين هو السر فى هذا البعث الجديد الذى لم يسبق له مثيل من قبل لدى أمة من الأمم فى التاريخ .

و الجواب على ذلك إن السر يكمن فى أمرين

أولا فى شخص محمد ﷺ الذى اختاره الله سبحانه وتعالى لدعوة الناس أجمعين إلى الاسلام ، و أعده بفضل منه لهذا الاختيار

و ثانياً — فى إقامة الله سبحانه و تعالى دعوة الاس...

على كل مسلم » و« مخاطبة العقل و الفكر » فى جميع نواحى

أما من حيث شخص محمـــــد عليه الصلاة و السلا...

الاسلام كردود فعل فى نفسه على وضع خاص به لدى قومه ...

من أهله ، وقد منحه قومه قبل دعوته لقب الأمين ، ولم يكن إذن ثائراً أو ساكياً منهم لشخصه ، وكذلك كان شأنه بعد إعلان دعوته فقد عرض عليه قومه بعد إعلان دعوته الاسلامية الاصلاحية أن يتخذوه ملكا عليهم إن هو تنازل عن دعوته ، و ذلك لما رأوا فيه من رجاحة العقل وكرم الأخلاق . وأجابهم بكلمته العظيمة المشهورة من خلال عمه أبى طالب وسيد قريش حينذاك والله يا عم ، لو وضعوا الشمس فى يمينى ، والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يقضى الله أمراً كان مفعولا » فدعوته إذن الاصلاحية للمجتمع الانسانى فى جميع نواحى الحياة لم تكن استجابة لدوافع شخصيـة أو لعوامل نفسية ، و إنما استجابة لدعوة إلهية عالمية من أجل خير البشرية .

و أما من حيث إقامة دعوة الاسلام على « إيجاب العلم على كل مسلم » .. و مخاطبة العقل و الفكر فى جميع نواحى دعوة الاسلام ففيها تكمن عظمة الاسلام

لأنه وحده الذى قد انفرد من بين سائر الأنظمة و الأديان بايجاب العلم على الانسان ، و ذلك لتحريره من مذلة الجهل و الهوان ، و لينشئ الاسلام مجتمعاً بشرياً جديداً متقدماً وكريماً يليق بالمستوى الذى يجب أن يكون عليه الانسان من غير تمييز ما بين إنسان وإنسان . و ذلك على نحو ما قد أخذ خبراء الأمم المتحدة يشعرون به فى هذه الأيام .

و لذلك كان أول ما نزل من القرآن الكريم على رسوله العظيم هو قوله « اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ و ربك الأكرم . الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم »

و هكذا بدأ الاسلام إصلاحاته مبكراً بمعالجة الأمية فى أول ما بدأه من معالجة شؤون المسلمين ، و قد اعتبر « الأمية » منكراً كما سوف نقوله قريباً ، و نادى بايجاب العلم ، حيث قال عليه الصلاة و السلام « طلب العلم فريضة على كل مسلم » إذ من المعلوم أن العرب حين فاجأتهم دعوة الاسلام كانوا فى كثرتهم الكاثرة أميين لا يقرؤون و لا يكتبون

و لما وقع فى أيدى المسلمين بعض الأسرى من رجال قريش فى غزوة بدر جعل رسول الله ﷺ فدية الكثيرين منهم تعليم الأميين من المسلمين . و فرض على كل أسير تعليم عشرة من المسلمين . وكان ذلك فكاكا له من الأسر . وضرب لنا عليه الصلاة و السلام بذلك مثلا لم يسبقه أحد لا من قبل و لا من بعد فى العناية بنشر العلم على مثل ما جاء به الاسلام من فريضة العلم لاصلاح مجتمعه الجديد ، و ذلك من أجل إعداد الانسان عن طريق العلم أولا ليكون نواة لمجتمع إنسانى جديد مبدع ومتقدم كريم ، و لا ننسى أن الأمم المتحدة فى ميثاق حقوق الانسان قد عمدت إلى الاعتراف بحق كل إنسان فى الثقافة و التعليم ، و لكنها لم تفرضه

فطل ذلك وصية من الوصايا !

و شتان ما بين الايصاء بتعليم الانسان ، و بين إعلان وجوب العلم كما أعلنه الاسلام ، ألا و لذلك فليعمل العاملون .

و لذلك فقد شدد رسول الله ﷺ على تأكيد فريضة العلم فخطب يوماً فهدد المتعلمين الذين لا يعلمون الجاهلين كما هدد الجاهلين الذين لا يسعون لاقتباس العلم من العالمين فقد ورد فى الحديث الشريف أن رسول الله ﷺ « خطب ذات يوم فأثنى على طوائف من المسلمين خيراً ، ثم قال ما بال أقوام لا يفقهون جيرانهم و لا يعلمونهم و لا يعظونهم و لا يأمرونهم و لا ينهونهم

لا يتعلمون من جيرانهم و لا يتفقهون و لا يتعظون ؟ .

جيرانهم و يتفقهون و يعظونهم و يأمرونهم و ينهونهم ، و لـ

و يتفقهون ويتعظون ، أو لأعاجلنهم العقوبة ، ثم نزل

من ترونه عنى بهؤلاء ؟ . قال الأشعريين . هم قوم فقهاء ، و لهم جيران جفاة من أهل المياه و الأعراب فبلغ ذلك الأشعريين فأتوا رسول الله ﷺ فقالوا يا رسول الله ، ذكرت قوماً بخير ، و ذكرتنا بشر ، فما بالنا ؟ . فقال . ليعلمن قوم جيرانهم و ليعظنهم و ليأمرنهم و لينهونهم ، و ليتعلمن قوم من جيرانهم ويتعظون ويتفقهون ، أو . . . لأعاجلنهم العقوبة فى الدنيا . فقالوا يا رسول الله أنفطن غيرنا ؟ ! فأعاد قوله عليهم ، فأعادوا قولهم أنفطن غيرنا ؟ فقال ذلك أيضاً . . فقالوا أمهلنا سنة ، فأمهلهم سنة ليفقهوهم و يعلموهم و يعظوهم ، ثم قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية « لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود و عيسى ابن مريم ، ذلك بما عصوا و كانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، فلبئس ما كانوا يفعلون »

و هكذا فقد اعتبر الرسول ﷺ « الأمية منكراً » تجب إزالتـــه كما اعتبر

« احتكار العلم منكراً آخر » تجب معاقبته .

و لذلك مضى رسول الله ﷺ فى تعاليمه يدعو إلى العلم ، ويتوعد تارة كما مضى ، و يعد تارة . . و يقول أحياناً « العالم و المتعلم شريكان فى الخير ، ولا خير فى سائر الناس » أى فى بقية الناس ممن ليس بعالم و لا متعلم .

بل قال طوراً مفضلا الزيادة فى العلم على الزيادة فى العبادة كما جاء عن حذيفة ابن اليمان قال : « قال رسول الله ﷺ : فضل العلم خير من فضل العبادة » .

وفى طور آخر يدعو إلى الزائد من العلم فيقول: « ما اكتسب مكتسب مثل فضل علم يهدى صاحبه إلى هدى . أو يرده عن ردى . وما استقام دينه حتى يستقيم عمله » و فى رواية « حتى يستقيم عقله » .

و لقد كان لهذه الدعوة الاسلامية السامية إلى العلم ، و إعلان النبى عليه الصلاة والسلام . أن طلب العلم فريضة دينية على كل مسلم ، أثر فى نفوس المؤمنين عجيب ، إذ أن ذلك كون فيهم غراماً التعلم ، و بعث فيهم اندفاعاً لطلب العلم كاد يكون فريداً فى التاريخ ، ولذلك قال « كوستاف لوبون » فى كتابه « مدنية العرب » إن الاندفاع الذى أبداه العرب فى التعلم كان مدهشاً جداً ! و لئن ساواهم فى ذلك كثير من الشعوب فلم يكن منهم فيما أظن من سبقهم ، و كانوا إذا استولوا على مدينة وجهوا عنايتهم فى الدرجة الأولى إلى تأسيس جامع و إقامة مدرسة ، و إن هـــذه المدارس فى المراكز الكبرى كانت كثيرة دائماً . . و إن بنيامين الطليطلى المتوفى سنة ١١٧٧ روى لنا أنه رأى عشرين مدرسة من هذه المدارس فى مدينة الاسكـــــــــــندرية »

وكذلك نرى أن العرب لم يمض على فتحهم لمصر خمسة قرون حتى بلغ عدد مدارس الاسكندرية عشرين مدرسة ، بينما أن الرومان لم يستطيعوا أن يؤسسوا فى

فى مصر أكثر من مدرسة واحدة ضمن سبعة قرون، ثم لم يلبثوا أنفسهم أن أغلقوا تلك المدرسة بأمر من الامبراطور جوستينيان كما هو معروف فى تاريخ جوستينيان .

و قال أيضاً كوستاف لوبون « وعدا مدارس التعليم البسيطة ، فان المدن الكبرى مثل بغداد ، و القاهرة ، و طليطلة ، و قرطبة ألخ . . كان فيها جامعات علمية مجهزة بالمخابر ، و المراصد ، و المكتبات الغنيه ، و بكلمة واحدة كانت هذه الجامعات مجهزة بكل المواد الضرورية للبحوث العلمية .

و يقول كوستاف لوبون أيضاً لقد كان فى أسبانية وحدها ...... مكتبة عامة و لقد كانت مكتبة الخليفة الحكم الثانى فى قرطبة تحتوى العرب على ست مأة ألف مجلد ، كان منها أربعة و أربعون و بهذه . . . المناسبة قد لوحظ بحق أن شارل الحكيم أربعمائة سنة من هذا التاريخ أن يجتمع فى مكتبة فرانسة الملكية أكثر من تسع مأة مجلد ، و كاد أن يكون ثلثها فقط خارجا عن علم اللاهوت

ولقد وجه العرب ، أول الأمر ، هذا النشاط العلمى نحو الفقه والحقوق الاسلاميـــــــــــــــــة

غير أنهم لم يلبثوا حين اجتازوا حدود شبه جزيرة العرب أن اجتازوا أيضا باندفاعهم العلمى حدود الفقه والحقوق ، وتوجهوا بكل ما لديهم من شغف وغرام بالعلم إلى الاحاطة بقية العلوم الناظرة فى السماوات والأرض وما فيها ، عملا بقوله سبحانه و تعالى : « قل انظروا ماذا فى السماوات والأرض » وقوله « وفى الأرض آيات للموقنين ، و فى أنفسكم أفلا تبصرون »

و الجميل فى ذلك الاندفاع نحو التعرف على أسرار الخليقة أنه كان من شغف فى حب الاطلاع على الآيات الدالة على عظمة الخالق سبحانه وتعالى ، و على مبلغ

قــدرته فى خلق السماوات و الأرض و فى خلق أنفسهم و فيما على الأرض من دابة و حيوان و نبات . و هكذا فقد اندفع المسلمون فى النظر و البحث العميقين و فى ابتكار أدوات البحث فى أنفسهم و فيما يحيط بهم و كان غرضهـــم الأول الاستزادة من معرفة الآيات الدالة على عظمة الخالق ، وذلك قبل أن تشعرهم الحياة البسيطة حينذاك بالحاجة الملحة لاستكمال لوازم الحياة والمنافع المادية الخاصة المتطورة . و لذلك كتب للمسلمين بأسرع وقت السبق فى مختلف مجالات العـــلوم من فلك ، و رياضيات و طبيعيات ، و كيمياء ، و نبات ، و حيوان ، و إنسان ، وهم بعد فى مطالع عصر الرسالة الاسلامية ، و رسالة الاصلاح العالمية الانسانية و تركوا للحضارة الحديثة رصيداً هائلا من كتب و أبحاث و اكتشافات لولاها لما كان فى الامكان للحضارة الحديثة أن تنهض و تصل إلى ما وصلت إليه . سلوا أهلها اليوم و على عجل ، وفقط ، أين كان يمكن أن يكون قدر الحضارة الحديثة و تقدمها فى التكنولوجيا المتطورة و حساباتها الدقيقة المعقدة لولا اختراع الحضارة الاسلامية النظام العشرى للأرقام ، و لو لا اختراعها « الصفر الاسلامى » الذى أصبح اليوم علماً فى الحساب والرياضيات العالمية الحديثة على « الأرقام الحسابية » فى جميع اللغات الأجنبية باسم « الأرقام العربية » ترجمة لكلمتى « شيفر آراب ، و إن كلمة شيفر هى كلمة « صفر » و قد سموا الأرقام بأجمعها « الصفر » وذلك على طريقة تسمية الكل باسم أحد أجزائه .

و يقول كوستاف لوبون فى هذا الصدد من شغف العرب بالتعليم فى كتابه « حضارة العرب » لقد بلغ شغف العرب بالتعلم مبلغاً عظيماً جداً ، حتى إن خلفاء بغداد كانوا يستعملون كل الوسائل لجذب العلماء وأشهر الفنانين فى العالم إلى قصورهم وإن أحد هؤلاء الخلفاء بلغ الأمر معه حد إعلان الحرب على قيصر القسطنطينيـــة ،

و ذلك ليجبره على السماح لأحد الرياضيين المشهورين بالمجئ إلى بغداد و التعليم فيها ' و لقد ازدحم فى هذه المدينة الكبرى الفنانون و العلماء ، و الأدباء ، من كل الأديان و كل البلاد و من فرس و من يونان ، و إقباط و كلدان ، وجعلوا من بغداد فى العالم المركز العلى الحقيقى . و لقد كان الخليفة المأمون بن الرشيد ينظر إلى العلماء ، كما قال أبو الفرج ، كأنهم مخلوقات اختارهم الله لاكمال العقل ، فهم مشاعل العلم وهداة الحس البشرى . وبدونهم تعود الأرض إلى البربرية الأولية

هذا . و لقد إعجب كوستاف لوبون أيما إعجاب من هذا الشغف " " "

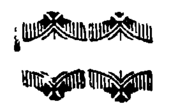
افتتن به العرب . و لقـد كان أعجابه أعظم أن رأى أن هـ

عن الدين نفسه ، و لذلك قال « إن العلم الذى استخفت

قد رفع المسلمون من شأنه عالياً . و إليهم ث الحقيقة ترجع د

إنما النـاس هم الذين يتعلمون و الذين يعلمون . و أما عن عداهم فمصر اولا خير فيه » . و لا أظنه يعنى إلا ما جاء فى الحديث الذى نقلنـاه سابقاً من قوله عليـه الصلاه و السلام « العالم و المتعلم شريكان فى الخير و لا خير فى سائر الناس أى لا خير فى بقية الناس ممن ليس بعالم و لا متعلم .

و بعد فاننا لو أردنا أن نستمر فى شرح اهتمام الاسلام بالعلم و بيان موقفه الفريد من تنوير العقل البشرى بالثقافة والبحث ، وما كان للحضارة الاسلامية من فضل على الحضاره الانسانية اليوم ، لما اتسع الوقت لمثل هذا البحث الكبير الجليل و لكن ما لم يدرك كله ، لا يترك كله ، و ستكون لنا عودة إلى العلم ثانية » . فى الفقرات التالية المخصصة لبيـان « أثر الرسالة الاسلامية فى الحضارة الانسانية »



الدّعوة الإسلاميّة

رسالة السلام فى دين الاسلام

العلامة الدكتور السيد سليمان الندوى

« معرب »

احتار الاسلام للتعبير عن ذات الخالق كلمة « الله » . '

يختلفون فى المادة التى اشتقت منها هذه الكلمة ، ولكن -

مشتقة من « ولاه » و معنى « الولاه و الوله » بالعربية

تكنها الأم لولدها . ثم عمت الكلمة بمعنى الحب و العشق

« الله » يعنى المحبوب المألوف الذى توله و تهيم فى حبه قلوب الخلق ، و قد فسر

بعض العلماء معنى الله بمحبوب القلوب .

أول ما تقر به عين المؤمن من افتتاحه القرآن الكريم هو صفتا « الرحمن

و الرحيم » كلتا اللفظتين تدلان على مفهوم واحد تقريباً . ثم إن هذه الصفات

تتكرر فى مبدء السور كلها و يكررها المصلى فى صلاته ، فهل بعد هذا نحتاج إلى

دليل لايضاح فكرة الاسلام عن الله تبارك و تعالى . و الكلمة الثانية بعد كلمة الله

كلمة الرحمن فى لغة الاسلام التى هى مبالغة فى معنى الرحمة والكرم واللطف والمودة .

و القرآن يحتوى على عشرات من الأسماء الصفاتية لله تعالى و تناولت السنة

بيان ٩٩ اسماً لله تبارك و تعالى شملت كل وصف من أوصاف الجلال والجمال ،

و لكننا إذا تأملنا فيها وجدنا أن معظم الأسماء الحسنى تشتمل على معانى اللطف

و الكرم والعطف والمحبة ، و من بين هذه الأسماء « الودود » بمعنى المودة الكاملة و المحبة الشاملة كما أن اسمه « الولى » بمعنى الصديق و الحبيب ، أما اسمه الرؤف فهو من الرأفة ، و الرأفة تطلق بمعنى الحب الذى يكون بين الولد و والده .

و كذلك اسمه « الحنان » مشتق من الحن و الحنين التى تعبر عن المحبة وشفقة الأم لأولادها . وهذه الأسماء كلها تعبر عن تلك المعانى التى استعارها الاسلام للتعبير عن العلاقة الوثيقة التى تكون بين الخالق و المخلوق أو بين العبد والمعبود .

و لا ينبغى أن يفوتنا فى هذه المناسبة تلك الأسماء و الصفات التى تحللت الكتاب و السنة ، مثلا الغفار ، السلام ، المؤمن ، العدل ، العفو ، الوهاب ، الحليم ، الصبور ، التواب ، البر ، المقسط ، كلها تشير إلى معنى العفو و الرحمة و الصبر و العدل .

ابحثوا فى أسفار التوراة و صحائف الانجيل عن مثل هذه الأسماء و الصفات لله تبارك و تعالى ، ذات الرحمة والعطف و الحب ، و رغم أن الاسلام لا يبيح التعبير عن الله تعالى بالأب و الأم كشأن اليهود و النصارى و الهنود ، و لكنه لا يغفل عواطف الحب و الرحمة و دوافع اللطف والكرم فى ذات الله تعالى تلك التى تعتبرها هذه الديانات ميزتها الخاصة بها . والواقع أن الاسلام مع الاعتقاد بهذه الدوافع والعواطف يصون المرء من ضلالات الشرك والكفر التى تؤدى بالانسان إلى اعتبار المجاز حقيقة و إلباس المعانى الروحية لباس الجسمانية و المادية ، و من ثم فانه ينحط عن سماء التوحيد العليا إلى حضيض الشرك و الضلال .

إن الاسلام رسالة الله الأزلية فكان لا بد من أن تكون منزهة عن مثل هذه الزلات و الضلالات . و معلوم أن التعبير عن الحقائق الروحانية لا يتم إلا بالاستعارات والمجازات المادية الجسمانية ، إلا أن ديناً خالداً كالاسلام يجب أن يحفظ

تعاليمه عن مثل هذه الأخطاء التعبيرية . و لذلك فانه بالغ فى الحيطة باستعمال هذه الاستعارات و المجازات ، و لم يتغافل مع ذكر حب الله و لطفـــه و مودته عن آداب الخطاب و الاتصال به ، إن الكتاب والسنة يزخران بقصص الحب والهيام الرائعة ولكنهما رغماً من ذلك لا يعتبران الله أبا والانسان ابناً له ، بل إنه للتعبير عن العلاقة بين الله والانسان ينادى الله بالرب لا بالأب بل ويسميه رب العالمين .

قاربوا بين كلمتى الأب و الرب تعلموا أن فكرة اليهود و النصارى أضعف بكثير من فطرة الاسلام ، فان علاقة الأب بابنه تدوم إلى مده ...
خاص و نمط معلوم ، إنه يشعر بميل إليه و إلى وجوده ،
فى بقائه ، و مرافقه وحاجياته . و فى نموه و تقدمه ، إلا
الولد يستقل بوجوده و يصبح فى غنى عنه ، أما علاقة العبد
فصلا عن أن تنقطع فى أى وقت . أفهل يستطيع العبد أن يستغنى عن ربه للحظة واحدة فقط ؟ و هل هذه العلاقة محدودة كعلاقة الأب مع ابنه ؟

إن الربوبية اسم للعلاقة بين العبد و المعبود التى تستمر من أول الأمر إلى الأخير و لن تنقطع للحظة واحدة ، و عليهـا يتوقف وجود هذا الكون و الخلق و هى تأخذ بيد الكائنات منذ وجودها إلى فنائها ، سواء كانت ذرة ، أو صخرة ، قطرة ماء أو قطرة دم ، مضغة لحم أو قطعة عظم ، و سواء كانت فى رحم الأم أو على منصة الوجود ، صبياً كان أو شاباً ، كهلا كان أو شيخاً ، أيا كان لا يسعه أن يستغنى عن لطف الرب و عطفه ، و حبه و مودته ، للحظة واحدة .

ثم إن فكرة المساواة والمادية و الجسمانية و المجانسة التى تتجلى فى كلمة الأب و الابن تتنزه منها كلمة الرب تمام التنزه ، ولا تشوبها تلك الضلالات و الانحرافات التى أنتجتها اليهودية و النصرانية و أضلت بها عالماً بأسره .

و نورد الآن نصوصاً عن الكتاب و السنة تؤكد أن تعاليم الاسلام زاخرة بثروة الحب الدائمـــة ، و نوره الأزلى الزاهر ، و كيف أنها تذكر التائهين بنشوة الاعتقـاد بالرب تبارك و تعالى وقتما قال . «ألست بربكم» ومن هنا فان الاسلام يأمر قبل كل شئ بالايمان بالله تعالى الذى يورث حب الله ، وقد تمتع بنعمة هذا الحب الكبرى أولئك الذين سبقوا بالايمان عملا و قولا ، وقد شهد لهم بذلك الله تعالى و قال « و الذين آمنوا أشد حباً لله » ذلكم الحب الذى يتضاءل أمامه ، كل شئ من الأهل ، و الأولاد ، و الوالدين ، و الاخوان ، و العشيرة ، والأقربين والأموال ، و المساكن ، يقول الله تعالى « قل إن كان آباؤكم و أبناؤكم و إخوانكم و أزواجكم و عشيرتكم و أموال اقترفتموها و تجارة تخشون كسادهـــا و مساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله و جهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره (سورة التوبة الآية ٢٤) .

وإن كان هناك من لم يحظ بحب الله تعالى بعد الايمان به فذلك ابتعاد عن جادة الحق ، ولذلك نودى الذين كانوا يرتدون عن دين الله ، وقيل لهم « يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم و يحبونه » (سورة المائدة الآية ٥٤)

من أقوال المسيح عليـــه الصلاة و السلام « الشجر يعرف بثمره » كذلك الحقائق المعنوية و الروحية تعرف بالعلامات الظاهرة و الآثار المادية ، إنكم تدعون بالحب ، ولكن قلوبكم لاتضطرب لرؤية الحبيب ، وإن صدوركم لا تحترق بلوعة الفراق ولا تبكى عيونكم على مغادرة الحبيب وهجره . فمن الذى يصدق دعواكم هذه؟ هناك كثير من الناس يدعون بمحبة الله ، ولكنهم لا يعرفون أن علامات الحب الظاهرة إنما هى فى الاتباع و طاعة الله و رسوله . وقد أشار الله تعالى إلى هذه الحقيقة ،

فیما یقول « قل إن کنتم تحبون الله فاتبعونی یحببکم الله » (آل عمران الآیة ٣١)

فی الناس طبقات عدیدة حظیت بنعمة الحب لله کالمحسنین « إن الله یحب المحسنین » والتوابین » إن الله یحب التوابین » والمتوکلین « إن الله یحب المتوکلین » والمقسطین « إن الله یحب المقسطین » و المتقین « إن الله یحب المتقین » و المقاتلین فی سبیل الله « إن الله یحب الذین یقاتلون فی سبیله » و الصابرین « والله یحب الصابرین » و المتطهرین « و الله یحب المتطهرین » .

إن الشئ الکبیر الذی ینغص علی الانسان حیاته فی هذه الدنیا . و یکدر علیه سروره ، ویحول نعیمه إلی حسک السعدان فی هذه الدنیا ، هو أ[illegible] و الحرمان فی ماضیه و حاضره ، و یتصور مخاوف و أخط[illegible] هو الحزن و الخوف . و کل واحد منهما بمثابة شوکتین یشد[illegible] دائمة ، و لکن الذین یبحثون عن الحبیب الأصیل و یفـــدونه بالمهج و ا[illegible]رواح تتقدم إلیـــه بشارة الله بحیاة السرور و الطمأنینة حیث لا خوف علیهم و لا هم یحزنون ، إقرأ قول الله « ألا إن أولیاء الله ، لاخوف علیهم ، ولا هم یحزنون » (سورة یونس الآیة ٦٢) .

إن دافع الحب الذی یبعث الکبیرعلی الاحسان إلی الصغیر ، وعلی الشفقة و اللطف هو مع الذی ندعوه بالرحم و الرحمة . و إن إله الاسلام رحمة کله ، ترتوی من معین رحمته کل ذرة من هذا الکون ، إنه الرحمن الرحیم . فکل ما فی الکون مظهر لرحمته ، ومن أجله فقط وجد هذا الکون ، أما قطع الأمل عن رحمته والیأس منها فذنب ، لأننا نری أنه یترقب کل حین أن یعفو عن المجرمین والمذنبین ، أنظر کیف یخاطبهم فی رحمة و رأفة .

« قل یا عبادی الذین أسرفوا علی أنفسهم ، لا تقنطوا من رحمة الله إن الله

يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم » (سورة الزمر الآية ٥٣) و يبشر إبراهيم عليه السلام ويقول « و لا تكن من القانتين » و لم يكن خليل الله يجهل حقيقة الخلة بأنها فوق منزلة الحب فأجابه قائلا : « و من يقنط من رحمة ربه إلا الضالون » (الحجر الآية ٥٦) .

إن عباد الله تعالى لم يفرضوا على الله أمراً ، ولكنه هو الذى فرض على نفسه أموراً . و منها الرحمة ، ورغم أنه يقدر على عقاب المجرمين ، و تعذيب المذنبين و الانتقام من المسيئين ، فانه الغالب و القاهر و الجبار والمنتقم ، و لكنه يعامل الجميع معاملة الرحمـــة و المغفرة ، و فوق هذا كله أنه كتب على نفسه الرحمة كما صرح بذلك فى كتابه

يأمر رسوله بابلاغ رسالة السلام إلى المذنبين فى عباده ، و تبشيرهم بأن باب الرحمة مفتوح على مصراعيه يقول « إذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده و أصلح فأنه غفور رحيم (سورة الأنعام الآية ٥٤) و لم تك ذرة من هـــذا الكون الواسع بمعزل وحرمان من ظلال رحمته الوارفة « ورحمتى وسعت كل شئ » (سورة الأعراف الآية ١٥٦)

و تحدثت كتب الحديث الصحاح أن الله سبحانه وتعالى لما خلق هذا الكون كتب على نفسه الرحمة بيده ، كما جاء فيما رواه أبو هريره رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع فى الجنة أحد و لو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من الجنة أحد » (١) وهذا أصح تعبير لفكره الاسلام .

(١) جامع الترمذى ج ٢ ص ١٩٥ .

ويبشر رسول الله ﷺ برواية من ربه تبارك وتعالى ويقول كما رواه أنس بن مالك رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول قال الله تبارك تعالى يا ابن آدم إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك و لا أبالى يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك ولا أبالى يا ابن آدم أنت لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لاتشرك بى شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة» (١)

أفهل قرع آذان المسلمين بشرى الرحمة والعفو العام من لسان أى رسول آخر ؛

و حينما حضرت الوفاة الصحابى الجليل أبا أيوب الأنصارى نادى : الناس كما رواه الترمذى عن أبى أيوب الأنصارى رضى الله عنه قال قد كتمت عنكم شيئاً سمعته من رسول الله ﷺ سمعت رسول الله ﷺ يقول لولا أنكم تذنبون لخلق الله خلقا يذنبون ويغفر لهم » (٢) .



(١) جامع الترمذى ج ص ١٩٥ .
(٢) » » » ص ١٩٤ .

رزايا الانسان فى المجتمع المعاصر

(٣)

سماحة الشيخ السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى

قارن هذه الروح السامية والنفس الكبيرة التى ترأ بالعلم أن يباع بيع السلع ، و تغار على العقيدة و الكرامة أن تشترى بمال أو منفعة ، بهذا التبدل والاسفاف الذى وصل إليه أهل العلم و العقل و الصناعة فى هذا الزمان ، وقد عرض كثير منهم علمهم وعقلهم وما يحسبونه كالسلع فى الأسواق ، يبيعونها بالمناداة (المزاد العلنى) ليشتريها من يزيد فى الثمن كائناً من كان ، فليس الشأن عندهم فى العقيدة و لا فى الغرض و النتيجة و لا فى الملاءمة و الذوق ، إنما الشأن عندهم فى الثمن الذى يدفعه المشترى .

و كل يوم نطلع على مضحكات مبكيات فى هذا الباب ، فهذا الأستاذ كان أمس فى معهد إسلامى يدرس العلوم الاسلامية و التاريخ الاسلامى ، و قدمت إليه الكلية الكاثوليكية الفلانية وظيفة تدريس براتب يزيد على راتبه السابق بخمسة جنيهات فانتقل إليها . و هذا السيد فلان كان فى وزارة المعارف سابقاً ، وكان شاباً مثقفاً و عالماً له هوى فى التحقيق و الدراسة ، تقرأ له مقالات علمية فى المجلات الراقية ، فاذا به ينتقل فجأة إلى مصلحة الطيران أو الاذاعة ، وسألناه ماذا حدث له حتى غير طريقه و قلب تيار حياته ؟ فأخبرنا أن ذلك لأجل ذلك أنه يربح فى مركزه الجديد عشرة جنيهات ، و هذا البحاثة الفلانى كتب مقالة عن التصوف الاسلامى

و نال بها ثناء أهل العلم قد تحول إلى وزارة الخارجية أو أصبح ترجمـــان دولة أوربية . وما هو إلا لأجل زيادة بمقدار بضعة جنيهات . أو ليس هذا لأن الربح المالى قد أصبح كل شئ ، و لأن الذهب اللاع أصبح المتصرف الوحيد فى مساهج الحياة و المسيطر الوحيد على الأرواح و العقليات ؟ !

قرأنا فى التاريخ الاسلامى أن المنصور الخليفة العباسى المشهور طلب من ابن طاؤس فى مجلس أن يناوله الدواة ليكتب شيئاً فامتنع . وسأله الخليفة عن سبب امتناعه وعدم امتثاله أمر خليفة المسلمين . فقال أخاف أن تكتب بها معصية وأكون شريكك فيها ومتعاوناً على الاثم والعدوان ، الى هذا الحد

تعالى « و تعاونوا على البر و التقوى و لا تعاونوا على ا

أما امتناعهم عن قبول منصب القضاء فى نظام لا يرضونه ،

وتفاصيله ورواياته بلغت حد التواتر ، واطردت فى أدوار الحياة الاسلا ...

قارن هذا الاحتراس من التعاون على الاثم و العدوان ، و هذا التعفف عن المشاركة فى نظام غير صحيح ، والامتناع عن أدنى مساعدة لهدف لا يتفق و مصالح الأمة الاسلامية أو يعود عليها بالضرر أو فيه غش و خديعة للأمة ، قارن كل ذلك بهذه المساعدة و التعضيد الذى تتمتع به الحكومات الأوربيـــة من المسلمين ، و هذا الذكاء و اللباقة و القلم البليغ و اللسان الزلق الذى يتمتع به الأجانب منهم فى مصالحهم و إداراتهم .

فهناك شبان مسلمون وكتاب بارعون يتولون تحرير الصحف و المجلات التى تصدرها الحكومات الأجنبيـــة لنشر دعايتها فى بلاد المسلمين و التأثير فى عقليتهم و نفسيتهم و تمويه الحقائق بمقدرة المأجورين من المسلمين أنفسهم

(١) سورة المائدة : ٢ .

وهنالك جماعة من « الأفاضل » ينحدرون من أصول عربية صميمة ، وينتمون إلى بيوتات عريقة فى المجد والاخلاص و الاسلام ، قد جاهد آباؤهم فى سبيل الحق و محق الباطل و بقيت نسبتهم فى أسمائهم تروى لنا تاريخاً مجيداً عن آبائهم حافلا بجلائل الأعمال ، و جرى دمهم فى عروقهم ، و ظهر فى ملامح وجوههم و تقاطيعها و يشتغلون اليوم فى الحكومات الأجنبية ، و يستعملون تلك اللغة المصرية الفصحى التى نزل بها القرآن الكريم ، والتى تكلم بها رسل المسلمين فى مجالس ملوك فارس و الروم ، وأدوا بها رسالة الاسلام ، و ألقوا المهابة فى قلوبهم ، و التى ألقى بها القواد المسلمين خطب الجهاد ، بهذه اللغة الكريمة التى لاتليق إلا للبطولة الاسلامية و بتلك الكلمات الفصيحة الرائعـــة التى لا تجمل إلا فى مواضع الحق و الجهاد ، و ينشر هؤلاء دعاية الحكومات الأجنبية التى تعبث بالمسلمين عبث اللاعب بالكرة ، أو عبث الوليد بجانب القرطاس . و قد رزأتهم فى سياستهم و استقلالهم و إيمانهم و عقلهم و اقتصادهم ، و لهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون .

قد سمعنا منهم أن هذه الحكومات تقوم بجهود نبيلة لخير العروبة و الاسلام ورفع شأنهما ، وأنها « نور الحرية الوضاء فى عالم ساده الظلام الدامس » و قد سمعناهم يشيدون « بالخدمات الجلى و المساعدات العظيمـــة التى تقدمها الاذاعة البريطانية فى سبيل نهضة الأقطار العربية و توحيد تفكيرها وثقافتها وتوثيق الروابط بينها ، و ما تقوم به من نشر الثقافة العربية الاسلامية ، وتعريف المسلمين بتاريخهم المجيـــد و مدنيتهم الزاهرة . و إطلاع العالم العربى على حقائق الأمور ، و سير الحوادث فى نزاهة و تجرد و صدق » (١) ولطالما سمعناهم وقرأنا لهم إشادة بإيمان هذه الحكومات بالديمقراطية الصحيحة و جهادها لتوطيد الأمن العام و سلام العالم

(١) الكلمات التى بين القوسين منقولة لفظاً .

و حرية الأمم المستضعفة و البلاد المهضومة ، و رفعها لراية العــدل و المساواة ، و الأخذ للمظلوم من الظالم ، و قيامها للحق . . إلخ .

فاذا كان هؤلاء المتحدثون لا يرضى ضميرهم بما يقولون ، ويعرفون أن هذه الكلمات فى غير محلها ، هو وإنما كله لمصالحهم المالية ، ويا لانحطاط النفس الشريفة ، و بالرخص السلعة الغالية ، و ياضيعة الكلمات العامرة بالمعانى ، و يا شقاء اللغة العربية بأهلها ، وإذا كان ذلك عن اعتقاد و ثقة و فهم للمعنى ، ويا جهلا بالحقائق و يا إنكاراً للمحسوس ، و يا مسخاً للقلوب !

وهذا عصر التناقض ويكتب أديب أو صحافى اليوم كتابا

من أبطال الجهاد الاسلامى ، أومجدد من مجددى الاسلام .

أو كتابه ذلك حتى يكتب بقلمه تقريظاً أوثناء على خائن من -

من صنائع الأجانب لمصلحة سياسية و منفعة مالية ، و لا يرى فى ذلك تناقضا

طلب ملك من ملوك العرب من شاعر عربى فرسه ، فاعتذر أن يعطيها بأى ثمن كان و قال

أبيت اللعن إن سكاب علق   نفيس لا تعار و لا تباع

و لكن كأن الضمير عند هؤلاء الذين يشتغلون فى الحكومات الأجنبية ، أو حكومات وطنية جائرة مذلة لرقاب المسلمين ومسودة وجوههم ، أو يذيعون من محطاتها ما لا يرضى به ضميرهم و لا يصدقه علمهم ، أو يصدرون صحفاً أو يؤلفون كتباً على جعالة أو راتب شهرى ، أذل وأرخص من جواد الجاهلى فهو يعار ويباع و ذلك لم يكن ليعار و لا ليباع .

و كانت الروابط و الأواصر فى الشرق - فى الغالب - قائمة على أساس غير مادى إما عقلى و إما روحى و وجدانى ، و كان للأثرة و الأنانيــة فيها نصيب

ضئيل ، و كان نتيجة ذلك وجود روابط و أواصر لا يمكن تعليلها بالمادة و جر النفع إلى أصحابها . و كانت هذه الروابط متغلغلة فى الأحشاء ، فمن ذلك أن علاقة التلميذ بأستاذه و إخلاصه له فى العهد السابق ، يزرى بعلاقة الولد بوالده وحبه له فى هذا العصر .

اشتهر نبأ وفاة الأستاذ الشهير العلامة نظام الدين اللكهنوى (م ١١٦١ هجرية) صاحب منهاج الدرس النظامى الجارى تطبيقه فى الهند و خراسان . فلما أتى النعى تلميذه السيد كمال الدين العظيمابادى ، مات من شدة الحزن . و عمى تلميذه الآخر « غريب العظيمابادى » من كثرة البكاء . و تحقق بعـد ذلك أن الاشاعة كانت غير صحيحة (١) و لعل ذهن هـذا العصر لا يسيغ هذه الرواية . و لكن الذى عرف طبيعة الشرق . و مدى اتصال التلميذ هنالك بأستاذه و حبه له لم يستغرب هذه الرواية و لم يكذبها .

يعلم المطلع على تاريخ الأخلاق و فلسفتها أنه قـد ظهرت مدرسة فى أوربا قبل المسيح بأربعة قرون ، و كان لها أنصار من كبار الفلاسفة و الأخلاقيين إلى القرن التاسع عشر المسيحى ، تدين باللذة البدنية وتعتقد أنها ميزان للأخلاق ومعيار الأعمال . وتشير على أتباعها بأن يحتلوا فرص التمتع بالحياة الدنيا و يغتنموا فلتات الدهر .

وافترق أصحاب هذه المدرسة فرقتين . فمنهم « أولو الأثرة » الذين يقولون : ينبغى أن لا يحول بين الانسان و شهواته حائل حتى لا يدع حاجة فى نفسه إلا قضاها ، وينال بذلك النصيب الأكبر من اللذة و المتعة وقالوا . السعادة هى إرضاء الشهوة و قضاء مآرب النفس و اقتطاف قطوف المسرة و اللذة باليدين .

---

(١) نزهة الخواطر للشيخ عبد الحى الحسنى (المجلد السادس) .

و الفرقة الثانية هم « النفعيون » و يرى أهل هذا المذهب أن الواجب هو تحصيل المنفعة التى ينال بها أكبر عدد من أفراد البشر أوفر قسط من اللذة والهناء ولا وزن للأفعال الخلقيـــة فى نظرهم إلا بمـــا تأتى به المسرة لعالمى بنى النوع و يرى هؤلاء أن السعـادة هى أن تتوافر للناس أعمالهم اللذات و تبعـــد عنهم الآلام .

و يرى القارىء و يلمس الروح المادى المتعشق للذة و الهناء فى آراء هذا المذهب و برعاته من أحطها وأكثرها إسفافاً إلى أرقاها و أكثرها تحا-
يختلف عن طبائع الشرق و شرائع السماء اختلافاً بيناً . و »
المادية فى فلسفة الغرب و أخلاقه و أدبه و حضـــارته تأثير
مهيمنة على الحياة الغربية و آدابها حتى اليوم .

ثم نزعوا دائماً فى تشخيص المنفعة و نزعها إلى المادية لأنهم احتكموا فيها إلى أذهانهم و عقولهم ، و قد أصبحت مادية بحتة . لأنها بحقيقـة لا تأتى تحت الحس أو المساحة أو العد أو الوزن . و لا تؤمن بمنفعـــة لا تجلب لذة و هناء ، حتى مؤسس هذا المذهب « أبيقور م٢٧١ ق مْ » صرح بأن مناط الحكم على الأعمال هى المنفعة ، و أن المنفعة لا قيمة لها إلا إذا احتلبت لذة واغتباطاً فكيف وقد تدرجت العقول و الطبائع الغربية ومردت على النزوع المادى على تعاقب الأجيال والعصور؟

فكان نتيجة ذلك أن الذهن الغربى و المنطق العصرى أصبحا عاجزين عن الاهتداء إلى منفعة غير محسوسة لا تجلب لذة واغتباطاً ، و أصبح العقل الأوربى محامياً عن المادية لا يحكم على الأخلاق بالحسن والصحة إلا بمقدار جلبها للمنافع المادية ، و بحسب ما تكتسب المجتمع بواسطتها من اللـذة والهناء ، و الأفراد من الاغتباط والرخاء ، فأصبح الربح المادى هو ميزان للأخلاق والفارق بين الشر والخير وأصبحت

الأخلاق التى لا وزن لها فى ميزان المادة ليس لها قيمة إلا القيمة الدينية أوالخلقية فى المصطلح القديم ينتقص كل يوم سلطانها على القلوب و العقول ، و تعدم أنصاراً و تصبح من شعائر القديم وذكريات العهد الماضى كحنان الأبوين وحبهما للأولاد و وفاء الأزواج و حفظهن للغيب ، و تحل محل هذه الأخلاق المقدرة الصناعيـة و الاختراع والانتاج و الوطنية والجنسية و لا تزال ترتفع قيمتها و يرجح وزنها

و لا يزال المجتمع العصرى يستغنى عن الروابط المنزلية و الأرحام الدموية و الشرائع الخلقيـة بتنظيمات اجتماعية شعبية على الخطوط السياسيـــة و الصناعية والاقتصادية ، ولا يهم المجتمع الآن كيف يعامل الولد والده أو الزوجة زوجها إذا كان هؤلاء الأفراد لا يزالون فى الدائرة المدنية التى اختطها المجتمع حول أفراده ، و ما دام لا يحدث عملهم هذا اضطراباً فى المجتمع و ثورة على النظام و لا يعرقل سير المدنية فلا بأس إذا كان هنالك عقوق من ولد أو فرك من قرينـة أو جفاء من زوج أو دعارة من امرأة أو فسق من رجل أو خيانة من زوجة



دراسات وأبحاث

مع الدكتور عبد الله عباس الندوى
فى كتابه « تعلم لغة القرآن الكريم » .

بقلم : الدكتور عبد الرحمن إسماعيل
أستاذ اللغة العربية بجامعة الملك عبد العزيز (جدة)

كانت المملكة العربية السعودية ـ و لا تزال ـ موطن أم اللغات التى شرفها رب العالمين ، وأنزل بها وحيه ، واختارها لساناً لأكمل رسالاته إلى الانسانية جمعاء و ما انفكت الأم الرؤوم لكافة المسلمين فى بقاع المعمورة حيث انبثقت منها أنوار الحق و انطلقت صيحات الرشاد ، و انسابت ينابيع الخير هدياً و نصحا و عدلا و ضياءاً ، ولغتها أم اللغات ، و سلطانهـا فى خير الرسالات ، و هى قبل كانت دوحة البيان تشدو و تغنى ، و تصدح و تغرد هنا و هناك بفنون القول ومحاسن الكلام .

و تراها اليوم تخطو خطوات سريعة نحو استعادة الماضى المجيد ، و تواكب المد الحضارى المتنوع ، و هى تشهد نهضة علمية رائعة ، تترامى أطرافها ، وتتدانى قطوفها ، و قد آتت أكلها ، و أخذت تعطى ثمارها ، مما يبشر بالتقدم و الرفاهية فى الحاضر و المستقبل ، و تتنشق شذاها ربوع الأرض شرقاً و غرباً .

و من ثمرات هاته النهضة كتاب (تعلم لغة القرآن الكريم) للدكتور عبدالله عباس الندوى أحد علماء هذه المملكة الأصيلة ومفكريها . هذا الكتاب أراد مؤلفه أن يكون تقويماً للفكر الغربى عن العربية ، وتصحيحاً لمفاهيم كاذبة خاطئة عن لغة

القرآن الكريم ، و حائلا قوياً لعواصف أهوائهم و عبثهم ، و فى الوقت نفسه يجمع بين اللغتين العربية و الانجليزية ويؤتى فائدته مرتين ، يعرض فيه الدكتور قواعد اللغة العربية ممتصا رحيقها من النص القرآنى العذب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه ، و الحق أن مؤلف (تعلم لغة القرآن الكريم) يجيد أكثر من ثلاث لغات بآدابها ، و من خيرة العلماء المتواضعين المخلصين لدينهم و لغتهم و أمتهم ، و هو بمؤلفه ذلك يمتد فى النواحى الآتية

أولا : يعلم العربى و العجمى لسانى العربية و الانجليزية معاً ؟ ؟ سلس ، و عرض بديع مشرق يحفل بمختارات من نصوص ؟ لها بتفسيرات للمفردات و التراكيب و الأساليب ثم يتبع ذلك مردفا إياها بالتدريبات الوافية الشافية ، متخيراً أوصل الطرق الحديثة فى تعليم العربية لغير الناطقين بها

ثانياً : إن كتاب (تعلم لغة القرآن الكريم) يعتبر نادرة طيبة لا تقل شأناً عن سوالفها ، و توحى باهتمام المسلمين باللغة العربية ونشرها فى الحاضر كما كان ذلك فى الماضى ، و هو يقطع على بعض القوم طريق التعى بما كتب المستشرقون عن العربية و التباهى به ، وما تذكروا أن العدو هو العدو مهما حلى لسانه وألان لنا بيانه فسبق فى قلبه مرض ، و لن يخلو الذى كتبوا من تضليل و تدليس ، و تشويه و تلبيس ، ذلك أنهم يخضعون العربية الثرية بمعجمها و قواعدها ومخارجها إلى لغاتهم البائسة الفقيرة ! ! ويريدون للعربية القوية التى أطاحت بعشرات اللغات و أتت عليها فى بيئاتها و حلت محلها أن تكون دخيلة لدى لغات لم تبرح مكانها وليس لها تراث أو دين و لم ينزل بها وحى سماوى ، و يحاولون أن يجعلوا من العربية الثابتة الراسخة التى قامت على التوثيق و الثقات أداة طيعة للغاتهم التى لا تعرف

الوضوح و لا الحدود ، و لا تلتزم بقوانين الضبط و الاعراب ، و إنما ديدنها اللبس و الخفاء ، و منهجها المكر و الخداع . أولئك الذين يبتغون لأنفسهم سلطاناً على المؤمنين ، و يجعلون للغاتهم سلطاناً على لغة القرآن الكريم !

أ فبعد هـذا الذى قدمت تطمئن نفوسنا إلى المستشرقين ؟ و هل يجوز أن أن نأخذ لغتنا عن قوم لا يؤمنون ، و ماهم بالثقة جديرون ؟ وقد حذرنا ربنا منهم فى كل شأن بقوله و لا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم .

ثالثاً : إن تعلم العربية معجماً و بلاغة ، ولهجات وأصوات، ونحواً وصرفاً من خلال النص القرآنى المحكم أمل ينشده جل العاملين فى حقل تعليم العربية حيث تتعدد فوائده ، و تستطيل موائده ، ثم تراه ينأى بالمدرس و الدارس عن مشقة الخلافات الجدلية ، وعناء الصراعات النحوية ، و يكفيهما مئونة البحث والنظر ويوفر الجهد و الزمن ، ولاسيما فى مراحل التعليم الأولى ، كما ينمى الذوق الرفيع لدى الدارسين بالتدريب و كثرة المران .

و هأنذا أقدم للقارىء نماذج من وجوه الاعراب فى القرآن الكريم ليلمس بنفسه سرعة الفائدة ، و يتحقق له صدق ما أقول و ها هى ذى .

الفرق بين عطف حرف الجر على نظيره و حذفه فى الأسلوب . قال تعالى « جاءوا بالبينات و الزبر والكتاب المنير » آل عمران ١٨٤ ، هذه قراءة الجمهور ، و قرأ ابن عامر « جاؤا بالبينات و بالزبر . . . » بزيادة الباء ، و كـذلك فى مصاحف أهل الشام .

لكن يا ترى هل من فرق بين القراءتين ؟ أكثر النحويين أن لا فرق بين ذكر الباء و حذفها فى المعنى ، و قد أدرك الخليل الفرق و ضرب لنا مثالا بقوله مررت بزيد و عمرو ، ومررت بزيد و بعمرو ، فالأول يقتضى مروراً واحـداً

بهما معاً ، و كذلك قوله : « جاؤا بالبينات و الزبر » و الثانى قتضى مرورين فى وقتين مختلفين ، وكذلك قوله : « جاؤا بالبينات وبالزبر » أى أنهم جاؤا بالمعجزات ثم جاؤا بعد ذلك بالكتب . (الحجة فى القراءات لأبى زرعة ١٨٥ بتصرف) .

جواز العطف على أقرب مذكور وأبعده فى قوله : يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا الذين اتخـــذوا دينكم هزواً و لعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم و الكفار أولياء . المائدة ٥٧ فقد قرأ الجمهور (الكفار) بالنصب عطفاً على أبعد مذكور (الذين اتخذوا) و المعنى و لا تتخذوا الكفار أولياء . . . » , ة أ ا ك ا

وأبو عمرو بالخفض عطفاً على أقرب مذكور (من الذين أو

من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الكفار أولياء . » (

و من المشكلات اللغوية العويصة صعوبة تحديد مفسر

تقديماً و تأخيراً أفراداً و تثنية وجمعا ، تذكيراً و تأنيثاً ، مما يقتضينا بحوثا عديدة تأتى عليه و تنبيه للناس ، حيث يضل فيـــه الكثيرون . و لا يسلم من عثراته المتخصصون ، و هو ضرورى للمفسر و الفقيه و الأديب إذ يترتب عليـــه إبراز المعانى واستنباط الأحكام ، ومعرفة ألوان من الاعجاز البيانى للقرآن الكريم . وإذا تتبعنا ذلك فى الأسلوب القرآنى قصرت بنا الشقة . وسربلت علينا المشقة و أمكننا أن نعلم الناشئة طرق فهم المعانى منذ بداءة تعليمهم ، و حينئذ يتيسر لهم القيـاس على ما درسوا ، و تنطلق ألسنتهم دون تردد أو تلعثم .

فهذا مثال أقدمه بياناً لما أشرت إليه كما فى قوله « و من يؤمن بالله ويعمل صالحاً يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً قد أحسن الله له رزقا»

فى هذا الأسلوب القرآنى نعرف أنواع الضمير العائد على (من ، أو ما) فاذا قصد لفظهما عاد الضمير مفرداً مذكراً ، و إذا أريد معناهما عاد جمعاً مؤنثاً

أو مفرداً مؤنثاً ، من هذه الآية نجد ثلاث طرائق فى عود الضمير على (من)
إذ يعود على اللفظ ، ثم المعنى ، ثم يعود على اللفظ مرة أخرى ، فقد جاء الضمير
مفرداً مذكراً فى (يؤمن و يعمل ، و يدخله) ، قصداً إلى لفظ (من) ثم
جاء الحال جمعاً فى (خالدين) باعتبار معنى (من) ثم عاد مفرداً مذكراً فى
(له) عوداً على اللفظ مرة أخرى .

و مثل الآية السابقة قوله : « و من يقنت منكن لله و رسوله وتعمل صالحاً
نؤتها أجرها مرتين و اعتدنا لها رزقاً كريماً » (الأحزاب ٣١) .

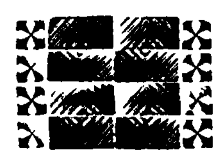
و مما يثير انتباه الباحثين ، وتجدر به عناية الدارسين قصة المصدر مع عامله
فتارة يأتى على قياس النحويين ، وتارة يأتى على خلافه ، من ذلك قوله « و لو لا
دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض . . » (البقرة ٢٥١) . فإذا جاء
المصدر على حروف « فعله » فلا مجال للقول . و لا خلاف بين النحاة كما فى قراءة
الجمهور (و لو لا دفع الله . . » أما إذا جاء بزيادة أو نقص على حروف فعله
قامت قيامتهم وصال كل فريق و جال ، يلتمسون الحكمة . و يطلبون سر ذلك
كما فى قراءة نافع « و لولا دفاع الله الناس . . » و هنـــا يمكن القول بأن دفاع
مصدر (دفع) سماعاً مثل (كتاب) من كتب ، فهو من السماع الذى كان له
الغلب على القياس .

و هناك أسرار أخرى تحتــاج إلى تأملات و وقفات حول إعجاز لغـــة
القرآن الكريم إذ لنا أن نقول إن (دفاع) مصـــدر دافع بمعنى دفع كقولهم
دافع الله عنك الشئ يدافع مدافعـــة و دفاعاً ، و العرب تقول أحسن الله عنك
دفاع ، و نحو عافاك الله ، و قاتلهم الله .

أو أن ذلك من باب الاستغناء ، حيث استغنى بمصدر الرباعى عن مصـــدر

الثلاثى كما حدث العكس فى قوله « و الله أنبتكم من الأرض نباتا » و القياس إنباتاً .
أو أنه استغنى فى الآية الأخيرة باسم المصدر عن المصدر كما فى قوله « و تبتل
إليه تبتيلا » و القياس تبتلا ، فاستغنى بنت و تبتل عن مصدرى أنبت و تبتل
و هكذا من الأسلوب القرآنى فى نشف عذب البيان . و به يحلو الكلام .
و تتجلى أسرار العربية ، العربية الفتية التى صمدت لهجمات الأعجميين . و صولات
الجاهلين . و ستبقى الدهر حيـــة خالدة و صرحاً شامخاً و طوداً شامخاً و لو كره
المبطلون .

هذا - و إنى أهيب بالعلماء المخلصين ممن عرفوا اللغا
أن ينحوا نحو الدكتور عبد الله عباس الندوى فى نشر العربية
فى شتى أنحاء المعمورة ، و يتسابقوا فى هذا المضمار الخصيب ووعد
الاستشراق ، و كبحا لجماح المضللين ، و علينا - نحن - المتخصصين أن نزيد من
صرح العربية ، و أن نعلى البناء كما كانت أوائلنا تبنى ، فمهما تجددت البحوث حيناً
بعد حين فستبقى العربية فى كل زمان و مكان عروباً ولوداً ودوداً .



اللغات السامية القديمة

الدكتور محمد إسماعيل الندوى

اللغة العربية أخت من أخوات اللغات السامية هى الأكدية والبابلية والأشورية و الفينقية و الكنعانية و الآرامية و العبرية و النبطية و الحبشية

كان المشرق الألمانى شلوزر (Schloezer) أول من أطلق اسم اللغات السامية على لغات الجنس السامى فى ١٧٨١ ، وذلك لأن التوراة نسبت شعوب هذه المنطقة إلى سام بن نوح . و اعترض « نولدكه » (Noeldeka) على هذه التسمية ، لأن تقسيم التوراة لشعوب العالم إلى أولاد نوح عليه السلام لا يعتمد على ظواهر لغوية أو تاريخية ، كما نسبت التوراة شعوباً إلى هذا الجنس ، و هم لا ينتمون إليه أبداً مثل الليديين و العلانيين و هم من سكان إيران القديمة ، و نسبت شعوباً سامية إلى غير الساميين مثل الفينقيين ، حيث نسبتهم إلى الشعوب الحامية و على هذا فالتسمية التى اقترحها « شلوزر » ليست دقيقة من ناحيـــة توزيع الأجناس ، و خصائص اللغات و مع ذلك كله فما زال علماء اللغات يأخذون فى الاعتبار بهذه التسميـــة التى أصبحت - إن صح القول - من الأخطاء الشائعة .

لقد اختلف علماء اللغات فى الموطن الأصلى للغات السامية . يرى فون كريمر (Von Cremer) و جويدى (Guidi) و هومل (Hommel) أنه جنوب العراق . عند فريق آخر هو بلاد كنعان (أى بلاد الشام) ، ولكن عند أغلب المؤرخين

القسم الغربى من شبه الجزيرة العربية هو المهد الأصلى للساميين ، فهذه القبائل هى التى نزحت إلى منطقة الهلال الخصيب فى العراق و الشام و مصر . و أقامت فيها حضارات سامية كبرى منذ فجر التاريخ .

لقد كان عرب شبه الجزيرة العربية موطن اللغة السامية الأم التى تفرعت منها كل اللغات السامية ، و بما أن العربية ظلت فى نفس المنطقة ، احتفظت بكثير من سمات هذه اللغة السامية الأم و أصولها وقواعدها و مفرداتها ،

قلنا إن العربيـــة الفصحى هى صورة متطورة لتلك اللغة الس

لقد كان سرجون أول ملك سامى أسس الدولة الأكـ

(العراق) فى حـدود سنة ٢٣٥٠ ق م ، و ذلك على أنقاض

و هى غير سامية التى نشرت أول حضارة إنسانية فى هذه المنطقة كانت « أكد » عاصمة سرجون ، و باسمها عرفت المملكة بالأكدية .

لقد ترك الأكديون نقوشاً كثيرة كتبت بالخط المسمارى الذى اخترعه السومريون من قبل ، و كتبوا به لغتهم ، و من خلال هذه النقوش الأكدية عرف اللغويون المحدثون أول لغة سامية ، لأننا نجهل اللغة الساميـة الأم ، التى نشأت فى الجزيرة العربية ، و ظلت بدوية ، ولم تكتب فى أى عصر من العصور ، و لذلك لم تترك تلك اللغة نقوشاً نفهم من خلالها طبيعتها فى حين أن الأكدية لغة مكتوبة واضحة ، و عن طريقها تدرس أول لغة سامية حضارية من خلال الخط دون الصوت

و من الجـــدير بالذكر أن الكتابة أداة حضارية ، لا يعرفها إلا الشعوب الحضارية ، و تاريخ الكتابة فى أرض الرافدين قديم يرجع إلى عشرة آلاف سنة قبل الميلاد ، يقول الباحث بيروسوس (Berosos) إن الكتابة قد بدأت قبل نوح

و قد دفن نوح كتابات مقدسة قبل الطوفان عثر عليها علماء الأحجار . وكان يكتب على اللوحات الطينية آنذاك

كان إدريس عليه السلام أول من اخترع الكتابة عن العرب القدماء، جاء فى حديث أبى ذر الغفارى عن النبى ﷺ : أول من خط القلم إدريس عليه السلام (القصد و الأمم للحافظ ابن عبد البر ص ٢٢) و إدريس هو أخنوخ عند بنى إسرائيل ولكنهم لا ينسبون إليه الكتابة ، لقد عثر شيمد (Schmd) فى منطقة « فارا » (Fara) بالعراق على نقوش ترجع إلى ما قبل الطوفان ، وعثر الدكتور وولى (WOOLLY) أختاما يرجع تاريخها هى الأخرى إلى عصر ما قبل الطوفان و ذلك فى منطقة « أور » بالعراق

لقد كانت الكتابة السماوية عبارة عن إشارات تطبع على اللوحات الطينية ، وكان ما يقرب من ٥٠٠ إشارة مختلفة ، وما يقرب من ٣٠٠٠٠ تركيبا ، كانت توضع هذه اللوحات الطينية فى الشمس للتجفيف ، و قد بلغ طول كل لوحة من تلك اللوحات ٢٠ بوصة ، وعرضها ثلثى الطول ، و فى سنة ١٥٠٠ (ق م) انتشرت هذه الكتابة فى فارس و البلاد التى تحيط بالعراق فى البحر الأبيض المتوسط ماعدا مصر . و بهذا الخط كتبت اللغة الفينقية الأولى الآرامية .

و كانت هذه الكتابة فى غاية التعقيد ، لأن علاماتها استنبطت من صور الأشياء ، و هذا النوع من الكتابة كذلك استعمله المصريون القدماء ، و هى كذلك تسمى تصويرياً لأن أى شئ فيها يعرف برسم صورة له أو جزء مميز من أجزائه فلكتابة « سمكة » مثلا ترسم صورة لها و لكتابة « ثور » ترسم صورة لرأسه و قرنيه ، و لكتابة قمح ترسم سنبلة ، و كان يدل على الأفعال بضروب من الأساليب البارعة فصورة القدم تعنى الذهاب ، و صورة فم الرجل مع إضافة

العلامة الدالة على الخبز أو الماء تعنى « الأكل » أو الشرب و هكذا . و لم يكن من الميسور رسم صورة دقيقة أو خطوط مقوسة على الصلصال الأملس . تحولت الرسوم المختلفة إلى مجموعات من الخطوط على نمط خاص تمثل الفكرة التى كانت تدل على أصولها فقط . و من ثم سميت رموزاً (Ideograms) لقد استخدمت لغات سامية أخرى هذا الخط فيما بعد و هى .

١- البابلية التى نشأت بعد انقراض الأكدية ، ثم الأشورية ٢ ـ
وهى لغة فلسطين وجزء من سوريا ٣- والآرامية وهى طائفة
أولا فى سوريا ، توغلت بعيداً فى المناطق التى تحيط بها

لقد صارت المسمارية الكتابة الدولية حينـــذاك ، ومما يدل ـ
نقوشها حفرت عنها فى تل العمارية بجنوب مصر ، وهى عبارة عن ألواح مكتوبة بالخط المسمارى ، وباللغة البابلية يرجع تاريخها إلى الألف الثانى قبل الميلاد . وهى تكشف لنا عن العلاقات الوثيقة بين حضارتى وادى النيل و أرض الرافدين من ناحية ، و صيرورة البابلية لغة الدبلوماسية آنذاك من ناحية أخرى

و كان الخط المسمارى يكتب من الشمال إلى اليمين ، و الاشارة المسمارية إما أن تكون عمودية أو أفقية بحسب ما يقتضيه المعنى و هذا الخط كذلك يسمى بالقلم المثلث أوالأسفيى ، فالأصوات تتميز فى هذا الخط بالأشكال التىتكون على هيئة المسامير و هذا الخط لم يكن يمثل كل الأصوات السامية و خصائصها ، لأن اللغة البابلية التى كتبت بهذا الخط قد خلت من أصوات مهمة نعرفها فى اللغات الساميـة كأصوات التضخيم و التفخيم المعروفة فى العربيـــة مثلا كالطاء و الطاء و الضاد ، و الأصوات الحلقية كالحاء والعين و الغين والهاء ، و لعل استخدامهم للخط المسمارى

السومرى هو الذى أفقدهم هذه الأصوات السامية ، و من الطبيعى أن تتأثر أصوات أى لغة إذا اتصلت بلغة أخرى . و من الطبيعى أيضاً أن تطبع اللغـــة الحضارية القوية اللغة الضعيفة بطابع واضح مميز ، و على هذا الأساس تأثرت البابلية بكثير من سمات السومرية ، ومع ذلك احتفظت البابلية بالمعالم البارزة فى اللغات السامية وهى كانت تتضمن الأبجدية الآتية ا ، ب ، ب ، (P) ت ، ح ، ح ، د ، ر ، ز ، س ، ش ، ص ، ط ، ق ، ك ، ل ، م ، ن .

و من الجدير بالملاحظة أن مجموعة الشعوب السامية تتميز عن غيرها بصفات معينة مشتركة بينها .

إذ نستشف بين لغاتها تشابهاً كبيراً فى الأصوات والصيغ والتراكيب والمفردات ، الأمر الذى يدل على وجود أصل مشترك بينها جميعاً .

فإن الجانب الصوتى فى اللغات السامية تتميز بعناء ملحوظ فى طائفـــة من الحروف الصامتة (Gorsonants) ففيهـــا حروف كثيرة مخرجها من الحنجرة و الحلقوم و اللهاه . و فيها ما نسميـــه بالحروف المنطقية التى يصحب نطقها قبض للحنجرة ، فهذه الحروف التى تتميز بها اللغات السامية و التى لا نكاد نجـــد لها نظيراً فى اللغات الأوربية ، يمكن أن تندرج تحت صفة عامة . هى أن اللغات السامية أكثر من غيرها رجوعاً إلى الوراء مما يمكن أن نسميه مركز الجاذبية فى نظام النطق ويغلب على هذه اللغات الأصل الثلاثى . وهذا الأصل الثلاثى المادة الأولى التى تشتق منها الألفاظ الكثيرة بزيادة حرف أو أكثر أو بتغيير بناء الكلمة تغييراً ينشأ منه أبنية و لعل هذه القابلية فى تشقيق اللفظة الواحدة مما تتفرد به اللغات السامية عن غيرها من العائلات اللغوية .

و إذا قلنا إن الأصل الثلاثى هى المادة الأولى ، فلا يعنى هذا من الناحية

التاريخية أنه بداية الكلمة ، إذ أن الاستقراء يدل على أن الكلمة الثلاثية قد تطورت عن ثنائى قديم جداً ، و ربما كانت المرحلة الثنائية قد سبقت الأعصر التاريخية و لكننا نستدل عليها بالبقية الباقية منها فى هذه اللغات .

تشترك هذه اللغات بالمكانة التى يبرز فيها الفعل بروزاً واضحاً . فالجملة السامية هى فعلية و يقوم الفعل فيها طرفاً مهماً كما يتضح ذلك فى العربية مثلا .

و من اهتمام هذه اللغات بالفعل أنها تأخذ الفعل و تصوغه .

و المواد اللغوية فقد يبنى الفعل فى العربية مثلا من الألفاظ

تفلسف يتفلسف من الفلسفة ، و هذه الطواعية فى صوغ الفعـ

قدرة للتوصل إلى دقائق الأفكار

و من أوجه الشبه بينها بالاضافة إلى ما ذكرت .

١ ـ لقد دل البحث و الاستقراء على أصل الفعل فى هذه اللغات هو صيغة تشبه الأمر ، ثم زيد على هذه الصيغة أحرف المضارعة فى أوله فتولد الفعل المستقبل

و يرى الباحثون أنه كانت صيغة أخرى تدل على اسم الفاعل تارة أخرى ، و كانت مستعملة فى الفترة بين ظهور المضارع و الماضى .

٢ ـ اتصاف هذه اللغات بطابع يشعر بأصلها الصحراوى و البدوى كما يستدل على ذلك من أجهزة الألفاظ التى حملت بها هذه اللغات و التى عرست أصولها فى البيئة الصحراوية .

٣ ـ ليس فى اللغات السامية إلا جنسان هما المذكر و المؤنث .

٤ ـ اشتمال هذه اللغات على ظاهرة تتصل بموضوع العدد وهو أن يكون العدد على عكس المعدود من ناحية التذكير والتأنيث ، و يفسر بعضهم هذه الظاهرة بمبدأ

الاستقطاب الجنسى ، أى تكميل المذكر بالمؤنث و بالعكس.

٥- تشابه هـــذه اللغات فى نظامها النحوى و فى نظامها الصرفى و ألفاظها الكثيرة المشتركة .

و تنتمى اللغة المصرية القديمة وهى من فصيلة اللغات الحامية إلى اللغات السامية من هذه الناحية . و لذا يعد بعض الباحثين . عائلة اللغات الحامية و عائلة اللغات السامية إلى أسرة واحدة وهم يطلقون اسم الحامية السامية على مجموعة من اللغات منها المصرية و الحبشية .

و قد أشارت خصائص اللغات السامية إلى الشبه الأكيد بين مجموعـة هذه اللغات . وعناصر الشبه هذه تشير إلى أنها أتت من أصل واحد ، هو اللغة السامية الأولى أو الأم .

إن اللغة العربية احتفظت أكثر من أخواتها السامية بكثير من الصور الصادقة لعناصر اللغة الأم مثل الكمية الأصلية تقريباً من الأصوات الساكنة ، و كذلك الحركات القصيرة فى المقاطع المفتوحـــة ولاسيما فى وسط الكلمات وأيضاً مثل الفروق النحوية الكثيرة التى أفسدت ـ إن قليلا أو إن كثيراً ـ فى اللغات السامية الأخرى إلا أن العربية من جانب آخر . قـد نمت بطريقة القياس البسيط عدداً كبيراً من الصيغ التى تبدو لاول وهلة كأنها صيغ قديمة الأصل لشدة بساطتها ولكنها ليست فى الواقع إلا تحويراً للأصل ربما قابله تحوير آخر فى اللغات السامية الأخرى ، و أنه ليوجد فى العربية دائماً اطراد معين ما كان ليوجد فيها هكذا منذ البداية .

لقد قسم اللغويون المحدثون فصيلة اللغات السامية كالآتى :

١ـ اللغات السامية الغربية ، و أصلها الكنعانية : و تفرعت منها :

لغة رأس الشمرة فى لبنان ، و الفينقية و هى الأخرى لبنانية ، والعبرية .

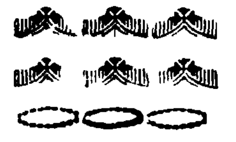
٢ـ السامية الشرقية و هو الأكدية و البابلية و الأشورية و الكلدانية .

٣ـ السامية الشمالية . أصلها الآرامية ثم تفرعت منها (١) الزنجيرلية (٢) الآرامية الامبراطورية (٣) الآرامية الفيلية (٤) الآرامية الانجيلية (٥) اليهودية الآرامية (٦) النابطية (٧) النبطية (٨) الفلسطينية المسيحية (٩) لغة أديسا أو السريانية (١٠) الآرمية التلمودية البابلية (١١) المندائية (١٢) الآرامية الحديثة .

٤ـ اللغة العربية و هى تنقسم (١) إلى العربية الفصحى العربية منها (١) اللهجات المغربية (٢) و اللهجات الشرقية الجزيرة العربية .

٥ـ اللغات اليمنية القديمة و هى تنقسم (١) إلى القديمة منها السبئية والمعينية (٢) و الحديثة ، منها مجموعة هدار و لغة سقطرة .

(٦) اللغات الحبشية منها القديمة وهى الجعزية والحديثة منها . التجرية و تجرايا ، الأمهارية ، الهررية ، الأرجها ، الجمل ، الجوراجة .



حول الحروب و الغزوات فى الاسلام

الدكتور عبد الكريم زيدان

١- لما استقر النبى ﷺ بالمدينة و تعهد الأنصار رضى الله عنهم بنصره و رد الأذى عنه رمتهم العرب و اليهود قاطبة عن قوس واحدة و تعرضوا لهم من كل جانب ، والله سبحانه و تعالى يأمرهم بالصبر و العفو و الصفح حتى قويت الشوكة فأذن لهم حينئذ فى القتال ولم يفرض عليهم . قال تعالى « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير » . ثم فرض الله عليهم القتال بعد ذلك لمن قاتلهم دون من لم يقاتلهم ، قال تعالى · « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم » ثم فرض الله عليهم قتال المشركين كافة ، و هكذا كان القتال محرما على المسلمين أول الأمر ، ثم صار مأذوناً به لمن بدأهم بالقتال ، ثم مأموراً به لجميع المشركين (١) .

هذه هى الخلاصة القيمة التى ذكرها ابن القيم رحمه الله تعالى فى مسألة الحرب و القتال فى الاسلام خلافاً لما يذهب إليه بعض الكتاب المحدثين من أن القتال فى الاسلام ممنوع على المسلمين إلا فى حالة واحدة فقط هى رد اعتداء الغير إذا بدأوا المسلمين بالقتال (٢) .

---

(١) زاد المعاد فى هدى العباد لابن القيم الجوزى ج ٣ ص ٥٨ .

(٢) من هذا الرأى الشيخ رشيد رضا صاحب تفسير المنار فى تفسيره و فى كتابه الوحى المحمدى ، و أستاذنا الشيخ محمد أبو زهرة فى كتابه العلاقات الدولية فى الاسلام، وزميلنا الدكتور وهبة الزحيلى فى كتابه آثار الحرب فى الفقه الاسلامى .

وحجة هؤلاء أن حروب النبى ﷺ كانت كلها من هذا القبيل أى لرد اعتداء وقع أو يوشك أن يقع .

٢- و الواقع أن حروب النبى ﷺ التى خاضها بنفسه و معه المسلمون . أو السرايا التى كان يبعثها ﷺ للقتال . يمكن تقسيمها إلى قسمين (الأول) حروب المسلمين مع قريش (و الثانى) حروب المسلمين مع غير قريش

أولا - حروب المسلمين مع قريش

٣- وكان فى هذه الحروب يسمح ﷺ للمسلمين بالتعرض
كان فى حالة حرب معهم و أخرجوا المسلمين من ديارهم و ا.
و من هذه الحروب التى كان فيها النبى ﷺ . و تسمى العز.
فقد خرج ﷺ فى جمادى الآخرة على رأس ستة عشر شهرا من هجرته ليعترض عيراً لقريش كانت قد خرجت من مكة تريد الشام ، فبلغ ﷺ مكان ذى العشيرة و أقام فيها أياماً وصالح بنى مدلج و حلفاءهم و لم يلق عدواً (١) وعند رجوع هذه القافلة من الشام خرج النبى ﷺ و المسلمون ليعترضوا هذه القافلة فبلغ ذلك أبا سفيان قائد القافلة ، فأرسل إلى قريش من يخبرهم بذلك و يطلب منهم النجدة فخرجت قريش بمقاتليها و أفلت أبو سفيان من أيدى المسلمين . فأرسل إلى قريش يخبرهم بذلك و يطلب منهم الرجوع إلا أنهم أبوا و قالوا لابد من السير فالتقوا مع النبي و المسلمين قرب بدر و وقعت المعركة المعروفة بمعركة أو بغزوة بدر و نصر الله المسلمين على المشركين

و غزوة أحد كان سببها مجيء قريش بجيشها لقتال المسلمين و أخذ الثأر منهم و معركة الخندق كان سببها تحريض اليهود لقريش على قتال المسلمين ، و فتح مكة

---

(١) إمتاع الأسماع للمقريزى ص ٥٤ ، ٥٥ .

كان سببه نقض قريش لمعاهداتها مع ﷺ و هى معاهدة الحديبية كما هو معروف فى التاريخ .

ثانياً - حروب المسلمين مع غير قريش :

٤- وقد خاض هذه الحروب النبى ﷺ و معه المسلمون ، أوخاضها المسلمون دون أن يكون معهم النبى ﷺ . و إن كان هو عليه الصلاة السلام أرسلهم للقتال وكان سبب هذه الحروب ابتــداء المشركين للسلمين بالقتال وتوجههم واستعدادهم للقتال . ومن هـذه الغزوات و الحروب غزوة (سفوان) و غزوة (ذى أمر نجد) و غزوة (بنى المصطلق) و غزوة (ذات الرقاع) و غزوة (دومــة الجندل) (١) و غزوة (تبوك) .

دلالة هــــــــــذه الحروب

٥ـــ و لكن لا يمكن الاستدلال بتلك الحروب و الغزوات عــــلى أنها الصورة الوحيدة للقتال فى الاسلام ، إذ أن هناك حالات أوصوراً أخرى للقتال أشار اليها ابن القيم رحمه الله فى قوله (ثم فرض الله عليهم قتال المشركين كافة) أى سواء بدأوهم بقتال أو لم يبدأوهم ، و يؤيد ما قوله الآية الكريمة . (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله و لا باليوم الآخر و لا يحرمون ما حرم الله و رســوله و لا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد و هم صاغرون) فهذه الآية الكريمة صريحة فى حق المسلمين بل من واجبهم ابتــداء الكفرة بالقتال إذا رفضوا إعطاء الجزية و جريان أحكام القانون الاسلامى عليهـــــم ، قال الامام

---

(١) انظر تفصيل هذه الغزوات و غيرها فى كتاب امتاع الأسماع للقريزى ، كتب الســيرة النبوية للامام ابن كثير ، و فى سيرة ابن هشــام ، و فى زاد المعاد لابن القيم

الشافعى رحمه الله ، و الصغار أن توخذ منهم الجزية و تجرى عليهم أحكام الاسلام (١) .

و فى السنة النبوية ما يؤيد حق المسلمين أى حق دولتهم الاسلامية بالتعرض لغيرهم و إخضاعهم لسلطانهم و تطبيق القانون الاسلامى عليهم ، فان رفضوا ذلك قاتلوهم ، فقد وردت أحاديث نبوية شريفة يأمر فيها النبى ﷺ أمراء الجند عند توجيههم إلى المشركين من أهل دارالحرب أن يدعوهم إلى الاسلام عليهم أن يدفعوا الجزية ـ و هى عنوان الخضوع لسلطان الدولة أبوا قاتلهم المسلمون حتى يخضعوا لسلطان الدولة الاسلامية (٢) هذا موقوف على قدرة المسلمين ابتداء الكفرة بالقتال ، أما مع ضعف المسـ دفع اعتداء الكفرة عنهم .

٦ـ و لا يجوز الظن بأن ابتداء المسلمين للمشركين بالقتال إذا رفضوا الاسلام أو إعطاء الجزية ، إن هذا القتال و تسويغه للمسلمين هو نوع من الظلم و الاعتداء على غير المسلمين أو إكراههم على اعتناق الاسلام ، لا نظن ذلك لأن تسويغ ما قلناه ما جاءت به الشريعة الاسلامية ، و تبريره أنه من قبيل إزالة المنكر من الأرض ، لأن بقاء الكيانات الباطلة التى تقوم على غير شرع الله هو بقاء لباطل ضخم فى الأرض يجب أن يزول ، و إزالته إما بالحسنى و قبول الاسلام ، و إما بالقوة و القوه تملكها الدولة الاسلامية ، فاذا ملكتها كان واجباً عليها إزالة هذه الكيانات الباطلة بالقوة عند الاقتضاء ، أو بالخضوع لسلطان الدولة الاسلامية وجريان أحكام القانون الاسلامى عليهم و عنوان ذلك قبولهم دفع الجزية ، و ليس ذلك

---

(١) مختصر المزنى ج ٨ ص ٢٧٧ .

(٢) الخراج لأبى يوسف ص ١٩٠ . صحيح مسلم ج ٧ ص ٣١٠

إكراه لهم على الاسلام لأن دخولهم فى الاسلام متروك لاختيارهم فاذا اختاروه زالت الكيانات الباطلة ، و إذا دعوا الحرية صار الحكم للسلمين و طبقوا شرع الله و تركوا الناس أحراراً فمن شاء منهم دخل الاسلام ومن شاء بقى على دينه و دفع الجزية ولا إكراه فى الدين.

٦ـ و الخلاصة ، فان من واجب الدولة الاسلامية إذا كانت بقوة كافية أن تزيل كل حكم باطل فى الأرض و إخضاعه لسلطان المسلمين إذا رفض الاسلام أو الخضوع لسلطانه لأن ذلك من قبيل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . قال تعالى « الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة و آتوا الزكاة و أمروا بالمعروف و نهوا عن المنكر و لله عاقبة الأمور » و ما قلناه تؤيده الفتوحات الاسلامية فى عهد الصحابة و التابعين لهم باحسان (١) .



---

(١) انظر تفصيل هذه المسألة فى بحثنا بعنوان (الشريعة الاسلامية و القانون الدولى العام) ص ٥٧ و ما بعدها .

الفقه الإسلامي

حكم إثبات الأهلة بالحساب

[هذا المقال رد على ما نشرته صحيفة « الجزيرة » الصادرة من المملكة العربيـة السعودية تحت عنوان « رمضان الماضى ٣٠ يوماً و ليس ٢٩ » بقلم الأخ أحمد المسعرى بتاريخ ٢/ ١٢/ ١٤٠٠هـ .

ونظراً لأهمية الموضوع ولتعلقه بصيام المسلمين وفطرهم نشر هذا المقال بقلم سماحة الرئيس العام لادارات البحوث العلمية و الافتاء و الدعوة والارشاد] « التحرير »

اطلعت على ما نشرته صحيفة الجزيرة فى عددها الصادر يوم السبت ٢/ ١٢/ ١٤٠٠هـ تحت عنوان « رمضان الماضى ٣٠ يوماً وليس ٢٩ » ، بقلم الأخ أحمد المسعرى واحتج على ذلك بأن المراصد العالمية بما فيها مرصد جامعة الرياض أكدت حسابات أم القرى بأن شهر رمضان الماضى كان ٣٠ يوماً ، و لم يكن ٢٩ ، وزعم أن الهلال فى مساء يوم الأحد الموافق ٢٩ رمضان قد غرب قبل الشمس بمـــدة لا تقل عن عشر دقائق فى جميع أنحاء المملكة إلخ .

و تعلق أيضاً بأن مؤتمر اسطنبول قد وضع قواعد للرؤية الحكيمة لحل هذه المشكلة .

ولما كان هذا الموضوع له أهمية كبيرة لتعلقه بصوم المسلمين و فطرهم وحجهم رأيت أن أكتب فى ذلك كلمة موجزة تتضمن إيضاح الحق و إبطال ضده فأقول :

إن الأحاديث الصحيحة قد استفاضت عن رسول الله ﷺ بالأمر باعتماد الرؤية وإكمال العدة وعدم الالتفات إلى الحساب ، فوجب على المسلمين جميعاً أينما كانوا أن يأخذوا بذلك و يعتمدوه و لا يجوز لهم أن يكذبوا الثقات فى رؤية الهلال بأن المرصد الفلانى زعم كذا أو بأن المراصد الأخرى زعمت كذا أو بأن مؤتمر اسطنبول وضع كذا ، و قد سبق الجميع المعلم الذى « لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى » ووضع للمسلمين قواعد واضحة يعرفها العالم و الجاهل والحضرى والبدوى والحاسب وغيره فقال عليه الصلاة والسلام « صو
لرؤيته فإن غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين » و فى لفظ « فـ
لفظ آخر « فاقدروا له ثلاثين » و فى حديث آخر « و
ثلاثين » و قال عليه السلام « لا تصوموا حتى تروا الهلال أو تكـ
تفطروا حتى تروا الهلال أو تكملوا العدة » و عن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب أنه خطب فى اليوم الذى يشك فيه فقال « ألا إنى جالست أصحاب رسول الله ﷺ وساءلتهم و أنهم حدثونى أن رسول الله ﷺ قال صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته و انسكوا لها فإن غم عليكم فأتموا ثلاثين فإن شهد شاهدان مسلمان فصوموا وأفطروا » و عن أمير مكة الحارث بن حاطب قال عهد إلينا رسول الله ﷺ أن ننسك للرؤية ، فإن لم نره و شهد شاهدا عدل نسكنا بشهادتهما » وهما حديثان صحيحان .

و فى الصحيحين عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ إنا أمة أمية لا نكتب و لا نحسب الشهر هكذا و هكذا وهكذا وأشار بأصابعه العشر ثلاث مرات وقال الشهر هكذا وهكذا وهكذا وخنس إبهامه فى الثالثة والمعنى أنه يكون تارة ثلاثين ويكون تارة تسعا وعشرين والاحاديث فى هذا المعنى كثيرة ، ولم يحلهم النبى ﷺ فى إثبات الشهور إلى الحساب بل أحالهم إلى أمر مشاهد يراه الناس فى السماء و عند عدم الرؤية أمرهم بإكمال العدة ، و قد أجمع سلف الأمة من

الصحابة رضى الله عنهم واتباعهم باحسان من أهل العلم المعتبرين على ذلك فلا يجوز لأحد أن يحتج على إبطال الرؤية بمجرد دعوى أصحاب المراصد أوبعضهم مخالفة لرؤية لحسابهم كما لا يجوز لأحد أن يشترط لصحة الرؤية أن توافق ما يقوله أصحاب المراصد لأن ذلك تشريع فى الدين لم يأذن به الله و لأن ذلك تقييد لما أطلقه الله و رسوله و اعتراض على صاحب الشريعة الذى لا ينطق عن الهوى و تكليف للناس بما لا يعرفه إلا نفر قليل فيضيقون بذلك ما وسعه الله ، و من المعلوم أنه لا أحسن ولا أكمل من حكم الله و رسوله فى كل شيء كما قال الله سبحانه « أفحكم الجاهلية يبغون ، ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون » فنصيحتى لجميع المسلمين و لجميع الحاسبين بوجه أخص أن يتقوا الله و أن يحذروا مخالفة رسوله صلى الله عليه و سلم و التشريع للناس مالم يأذن به الله ، وقال الله عز وجل « أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله » و قال سبحانه « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » و قال تعالى « قل أطيعوا الله و أطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليه ما حمل و عليكم ما حملتم و إن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين »

وقال تعالى « وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون » والآيات فى هذا المعنى كثيرة ، وفى الصحيحين عنه ﷺ أنه قال « من أطاعنى فقد أطاع الله و من عصانى فقد عصى الله » و فى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال « كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى » قيل يا رسول الله و من يأبى قال من أطاعنى دخل الجنة و من عصانى فقد أبى » .

و الأدلة على إبطال التعلق بالحساب فى إثبات الهلال كثيرة جداً و أرجو أن يكون فيما ذكرناه كفاية و مقنع لطالب الحق ، و أسأل الله أن يهدينا وسائر المسلمين صراطه المستقيم وأن يمن علينا جميعاً بالفقه فى دينه و الثبات عليه إنه سميع قريب . . و ﷺ على نبينا محمد وآله وصحبه .

شبهات حول الفقه الاسلامى

(٤)

محمد صدر الحسن الندوى

٤ـ قالوا كان فى الشام مدارس للقانون الرومانى عند الم
يريدون بهذا الادعاء أن يثبتوا أن المسلمين عند الفتح الا
اتصلوا بمعاهد الحقوق المسيحية الموجودة فى تلك البلاد ومنها تحقق
فى الحقوق الاسلاميه . لكن هذا الادعاء يتنافى مع الوقائع التاريخية الصريحة . ذلك
لأن فتح العرب للعراق وسوريا إنما وقع حول سنة ٦٣٥ للميلاد . و قبل ذلك
بأكثر من عصر . لم يكن فى العالم الرومانى كله غير ثلاثة معاهد للحقوق . فى رومة
و القسطنطينية وبيروت . أما مدرسة بيروت فقد قضى عليها فى ١٦ يوليو من ٥٥١
الميلادى . وذلك إثر هزة أرضية هدمت مدينة بيروت و ذهب ضحيتها ألف شخص
وبهم عدد كبير من الطلاب الأجانب ، وذلك قبل ميلاد الرسول عليه الصلاة والسلام
بعشرين سنة .

يقول المستشرق الشهير الأستاذ كولينة فى هذا الصدد .

« إن مدينة بيروت حتى عام ٦٠٠م كانت خراباً و قد سقطت بين أيدى العرب بسهولة سنة ٦٣٥ دون أن تكون مدرسة بيروت قد عادت إلى الحياة (١)

٥ـ قالوا : كان هناك محاكم تسير فى نظامها وأحكامها حسب القانون الرومانى

(١) مجلة القبس ربيع الثانى ١٣٨٧ - يوليو ١٩٦٨م .

و استمرت هذه المحاكم فى البلاد بعد الاسلام زمناً .

هذا أيضاً تشويه للحقائق ، والجدير بالذكر أن الفقه الرومانى حديث لم يعمل به إلا فى القرن الثانى عشر بعد الميلاد . أما قبل القرن الحادى عشر فانه لم يكن معروفاً حتى عند الرومان أنفسهم .

يقول البروفيسور ولسن (Wilson) إن القوانين الرومانية لم تكن رائجة رأساً فى الشرق فى بداية العهد الاسلامى بل كانت المحاكم تسير تحت التقاليد الشرقية و كان المشرفون عليها الأساقف ، أما القوانين الرومانية فقد راحت بعد النهضة الأوربية ، و إليكم ترجمة نص ما قال الأستاذ ولسن (Wilson) :

« إن هذا الأمر لمشتبه جداً أن كان الرعايا لجستيان (justinian) قد استفادوا من مجموعة قوانينه فائدة كبيرة ، لأن معظم الأجزاء من هذه المجموعة قد كان باللاطينية ، و اللغة التى تتكلم بها رعاياه كانت يونانية . و بعضهم كانوا يتكلمون بالسريانية أو العبرية ، ثم إن هذا الواضع لهذه القوانين ظل يغير فيها و يبدلها فى حين و آخر زهاء مدة ثلاثين سنة فى الأيام الأخيرة من حكومته ، و هناك أمور و أسباب أخرى ، قد تؤكد هذا الأمر أن القانون الرومانى لم يكن له أثر ظاهر فى عامة المدن و الأمصار عدا المراكز الكبيرة للحكومة و المعسكرات . و الناس فى مقاطعات الشرق و خاصة ما كان نائياً من الولايات فيها ، لم يكونوا يتحاكمون إلى المحاكم المخصوصة المنصوبة كما كانوا يرجعون إلى الأساقف . و يتحاكمون إليهم وإلى قسيسهم و قصاتهم المخصوصين من الرهبان ، ومعلوم أن هؤلاء الأساقف و الحكم من الرهبان لم تكن معرفتهم بمآخذ القانون إلا بواسطتين أو ثلاث ، وأن هذه المآخذ للقانون الرومانى نفسها كانت ممروجة بعناصر أخرى مختلفة » (١) .

(1) Wilson, Anglo Mohanmoan Law Ed . 1894' P . 6

فقد ثبت بالوثيقة التاريخيـة التى قدم عصارتها الأستاذ « ولس » فى العبارات المذكورة أعلاه ، أن الحقوق الرومانية الأصيلة لم تطبق فى مقاطعات الشرق و فى الولايات التى كانت نائية و كذلك ثبت أن الحاجة لم تمس إلى التحاكم إلى المحاكم المخصوصة المنصوبة من قبل الحكومـة ، لأن هناك كان الأساقف و القسيسون موجودين و كان الناس يرجعون إليهم فى قضاياهم .

و يعضد ما قال الأستاذ ولس قول الدكتور معروف فى هـذا الصـدد :

« إن الحقوق الرومانية الأصلية كانت مقصورة على سكان رومة ثم على جميع اللاتينيين من سكان إيطاليا دون غير الأجانب ، وأن الحقوق الرومانية اللاحقة لم تطبق فى البلاد ذات التقاليد الحقوقية الراجحة ، و إن سوريا و العراق و مصر كانت تحت أحكام و تقاليد حقوقيـة شرقية راقية كلدانية و مصرية ، وأن الحقوق الرومانية اللاحقة هى حقوق ذات طابع شرقى تأثرت بتقاليد الشرق دون أن يؤثر فيها (١) .

٦ـ قالوا : طبيعى أن قوماً لم يأخذوا من المدنية بحظ وافر إذا فتحوا بلاداً مدينة نظروا ماذا يفعلون و بم يحكمون ثم اقتبسوا من أحكامهم .

هذه هى حملة شعواء على الاسلام والحقيقة أن المسلمين كانوا متمتعين بالقوانين التى كانت عندهم موجودة فى صورة القرآن الكريم و سنة النبى ﷺ وعدا ذلك أن المسلمين لما فتحوا البلدان لم يخضعوا أهلها لاعتناق قوانين الاسلام ، بل تركوا وشأنهم ، يقول الأستاذ أنور الجندى فى هذا الموضوع :

« لما فتح العرب الأمصار فى صدر الاسلام كان فى وسعهم أن يخضعوا أهلها

(١) مجلة القبس ربيع الثانى ١٣٨٧هـ - يوليو ١٩٦٨م

جميعاً فی أقضيتهم لأحكام الشريعة الاسلاميـــة ، سواء فی ذلك من اعتنق منهم دين الاسلام ومن بقی علی دينه ، لأن حق الغالب أن يخضع المغلوب لحكمه و من حق كل دولة أن تجعل قوانينها سارية علی جميع رعاياها ، ولكن دين الاسلام يأبی التحكم فی عقائد الناس و يأمر بتركهم و ما يدينون . يحتكمون فی أقضيتهم لقاضی دينهـم ، ليحكم بينهم بحكم دينهم «أوأعرض عنهم وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئاً وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين » و قال . وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله ، هذه هی السياسية التی تجری عليها الاسلام فی حكم البلاد التی خضعت لسلطانه و قد كانت هذه السياسة الحكيمة التی سار عليها العرب فی فتوحاتهم المصدر الفقهی لاحدی القواعـــد الأساسية للقانون الدولی الخاص . و هی قاعدة «شخصية قوانين الأحوال الشخصية » التی تقررت فی بلاد الغرب لأول مرة فی مجمع كسفورد سنة ١٨٨٢م و فی مؤتمر لاهای سنة ١٩٠٤م . وأخيراً فی اتفاقية مونترو سنه ١٩٣١م (٢)

و الشئ الثانی الذی لا بد أن نری نصب أعيننا عنـــد البحث أن أی كتب قانونية لم تترجم فی عصر تدوين الفقه الاسلامی ، وكيف يمكن الاقتباس من القوانين الرومانية ، نری أن العصر الأموی لم يترجم فيه إلا بعض كتب النجوم و الطب والكيمياء ، ذلك لأن الأمويين لم يشجعوا الحركة الدينية ، يقول الأستاذ أحمد أمين فی هذا

« و الذی يظهر أن الأمويين لم يشجعوا من هذه الحركات الثلاث (الحركة الدينية والحركة الفلسفية ، والحركة الأدبية) إلا الحركة الأدبية و القصص الرسمی ففتحوا أبوابهم للشعراء والخطباء و بذلوا لهم الأموال و عينوا القصاص فی المساجد و لم يفعلوا شيئاً من ذلك للعلماء و الفلاسفة و لعل السبب فی ذلك أمران

(٢) نفس المصدر .

الأول . « إن حكم الأمويين بنى على الضغط و القهر ، فكانت حاجتهم إلى الشعراء والقصاص أشد ، لأنهم هم الذين يبشرون بهم ويشيدون بذكرهم ، ويقومون فى ذلك مقام الصحافة لأحزابها ، من ذلك هذا . لم يكن ينال الحظوة عند خلفاء بنى أمية إلا من كان مادحاً لهم .

الثانى أن نزعة الأمويين نزعة عربية جاهلية لا تتلذذ من فلسفة و لا من بحث دينى عميق إنما يلذ لها الشعر الجيد و الخطبة البليغة و الخبر »

و لم يترجم فى ذلك العهد إلا بعض كتب النجوم

يقول الجاحظ

« وكان خالد بن يزيد بن معاوية خطيباً شاعراً و فصيحاً كثير الأدب ، و كان أول من ترجم كتب النجوم و الطب و الكيمياء » (٢).

و كذلك نرى العصر العباسى الأول (٢٣٢ - ١٣٢) لم يترجم فيه أى كتاب فى القانون ، يقول الأستاذ جرجى زيدان فى هذا المعنى

« أما الكتب التى نقلت فى ذلك العصر ، العصر العباسى الأول ، فعددها بضع مآت أكثرها من اليونانية منها ٨ فى الفلسفة و الأدب لأفلاطون و ١٩ كتاباً فى الفلسفة و المنطق و الأدب لأرسطو و عشرة فى الطب لابقراط و ٤٨ فى الطب لجالينوس و بضعة و عشرون كتاباً فى الرياضيات و النجوم لأوقليدس و أرخميدس و أبلونيوس و منا لاوس و بطليموس و أبرخس و ديو فنطس وغيرهم . و أما

---

(١) فجر الاسلام لأحمد أمين الطبعة الثامنة عشرة ١٩٧٨ م ص ١٦٤ .

(٢) البيان والتبيين للجاحظ ص ٣١٤ الجزء الأول الطبعة الثامنة مطبعة الاستقامة بالقاهرة ، وكتاب الأوائل لأبى هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكرى ص ٣٠٤ .



منقولات اللغات الأخرى فمنها نحو عشرين كتاباً نقلت عن الفارســـية فى التاريخ و الأدب و نحو ٣٠ كتابا من اللغة السنسكرتية وأكثرها فى الرياضيات و الطب و النجوم و الأدب و نحو عشرين كتابا عن من اللغة السريانية أو النبطية أكثرها فى السحر و الطلسمات إلا كتاب الفلاحة النبطية فى الزراعة » (١) .

و فى موضع آخر يقول بعنوان الخلاصة :

« و جملة القول إن المسلمين نقلوا إلى لسانهم معظم ما كان معروفاً من العلم والفلسفة و الطب النجوم والرياضيات و الأدبيات عند سائر الأمم المتمدنة فى ذلك العهد ، ولم يغادروا لساناً من ألسن الأمم المعروفة إذ ذاك . لم ينقلوا شيئاً و إن كان أكثر نقلهم عن اليونانية و الفارسية و الهندية ، فأخذوا من كل أمـــة أحسن ما عندها فكان اعتمادهم فى الفلسفة والطب و الهندسة و الموسيقى و المنطق والنجوم على اليونان . و فى النجوم و السير و الاداب و الحـــكم و التاريخ و الموسيقى على الفرس ، و فى الطب (الهندى) و العقاقير والحساب والنجوم والموسيقى والأقاصيص على الهنود . و فى الفلاحة و الزراعة و التنجيم و السحر و الطلاسم على الأنباط و الكلدان . و فى الكيمياء و التشريح على المصريين (٢) .

فى ضوء هـــذه الوثائق التاريخيـــة كيف يصح أن يقال إن المسلمين اقتبسوا القوانين من القوانين الرومانية و قد ثبت أنه لم يترجم أى كتـــاب فى القانون فى ذلك العهد ، لأية بلدان راقية متمدنة .

---

(١) تاريخ آداب اللغـــة العربية لجرجى زيدان ص ١٤٤ الجزء الثانى مطبعـــة الهلال ١٩١٢ م .

(٢) تاريخ آداب اللغة العربية لجرجى زيدان الجزء الثانى ص ٣٤ .

و من الفرية الكبيرة على الاسلام قولهم . إن نظام النكاح والطلاق والوراثة و القصاص و الديات و القسامة و ما إلى ذلك من القوانين أحدث من القوانين الرومانية ، و الحق أن هذه كلها كانت موجودة فى الجزيرة العربيـــة حين ظهر الاسلام .

يقول شيخ الاسلام ولى الله الدهلوى فى كتابه المقطع النظير :

« كانت لهم سنن متأكدة يتلاومون على تركها فى مآكلهم و مشربهم و لباسهم و ولائمهم و أعيادهم و دفن موتاهم و نكاحهم و طلاقهم و - و بيوعهم و معاملاتهم و مازالوا يحرمون المحارم كالبنات و الأ. و غيرها و كانت لهم مزاجر فى مظالمهم كالقصاص و الديات و عقوبات على الزنا و السرقة (١) .

و يجمل بنا أن ننقل نبذة من التقاليـد الجاهلية يكون القارئ على بصيرة من هـــــــذا الأمر .

نبذة من التقاليد الجاهلية

كانوا يحجون البيت ، ويعتمرون ، و يطوفون و يسعون و يقفون المواقف كلها و يرمون الجمار و يغتسلون من الجنابة ، ويداومون على المضمضة والاستنشاق و فرق الرأس و السواك و الاستنجاء ، و تقليم الأظافر و نتف الأبط و حلق العانة و الختان .

وكان من عادتهم أيضاً قطع يد السارق اليمنى ، وكانوا يقتلون أسراء الحرب إلا إذا أكل الأسير أو شرب من مال من أسره فانه يأمن القتل ، فاذا أمنوا .

---

(١) حجة الله البالغة ج ١ ص ١٢٧ ، وراجعوا للتفصيل بلوغ الأرب فى تاريخ العرب للسيد محمود شكرى .

أطلقوه و جزوا ناصيته ، و كان الشريف إذا أسر فدى بمأتين من الابل ·

إن حكم العرب فى القصاص كان مختلفاً ، فتارة يوجبون القتل و تارة أخذوا الدية ، وإذا اختلف فى شأن قتيل بأن وجد فى محلة ولم يعلم قاتله رجعوا للقسامة ·

كانوا لا يورثون النساء و الأطفال ، و يقولون لا يرث إلا من طاعن بالرماح و ذاد عن الحوزة و حاز الغنيمة

و كانت الأنكحة فى الجاهلية مختلفة ، منها

(ألف) أن يتفق ولى الزوج و الزوجة على مهر ويتم النكاح بايجاب و قبول ·

(ب) نكاح السفاح و هو أن تصاحب المرأة رجلا ثم إذا أعجبته و أعجبها عقد عليها ·

(ج) نكاح البغايا ، وهو أن يطأ البغى جماعة متفرقون واحداً بعد واحد ، فاذا حملت و ولدت ألحقت الولد من غلب عليه شبهه منهم ·

(د) نكاح الاستبضاع وذلك أن المرأة إذا طهرت من حيضها يقول لها زوجها أرسلى إلى فلان استبضعى منه و يعتزلها زوجها و لا يمسها حتى يتبين حملها فاذا حملت أصابها زوجها إذا أحب ·

(ه) نكاح الجمع و هو أن تجتمع جماعة دون العشرة و يدخلون على امرأة من البغايا و كلهم يطؤها فاذا حملت و وضعت و مرت عليها ليال بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم ، فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها ، فتقول لهم قد عرفتم ما كان من أمركم ، و قد ولدت فهو ابنك يافلان و تسمى من أحبت منهم فيلحق به ·

(و) كان الرجل يتزوج بكثيرات و ربما كان فى عشرته عشر نساء ·

(ز) و نكاح المقت وهو إذا مات الرجل و ترك زوجته قام ولده الأكبر والتى

ثوبه عليها فان لم يكن له بها حاجة زوجها لبعض أحدته بمهر جديد . فكان هذا الزواج زواج امرأة الأب عند القليل من العرب ، و كان أكثرهم يستقبحه

وكانوا لا ينكحون الامهات لا البنات ولا يجمعون بين الأختين .

كان من عوائدهم فى الزواج الذى بايجاب وقبول أن تعرض الآباء على بناتهم أمر الزواج قبل العقد عليهن و بعد قبولهن يمــدبده إلى الخاطب أو إلى أبيه أو لمن يكون وكيلا عنه فى الطلب ويجيب سؤاله بعد أن يتفقا على مهر معلوم فى الزوجة ثم يتواعدان على يوم معين للزفاف بحضرة شهود عدول

كانوا ينثرون على الحاضرين فى النكاح النثار ، ونثار العرس

أما الصداق للمرأة فكان لا بد منه فى الجاهليــة و ربمـ

و لا يمكن للرجل أن يتزوج بدون إصداق الزوجة شيئاً بعض عليها و بعضه يبقى ديناً عليه تستوفيه منه متى طلقها أو من تركته بعد موته .

أما الطلاق فكان إذا لم تحسن المعاشرة بين الزوجين .

كانوا يعتبرون أربعة محرمة ويسمونها الأشهر الحرم لاعتقادهم حرمة القتال فيها و هى رجب و ذو القعدة ، و ذو الحجة ، و محرم (١)

و فى البيوع كانت عندهم المقايضة و الصرف و السلم و المزابنة و المحاقــلة و المنابذة و البيوع المحصنة وما إلى ذلك (٢) .

التقاليد الجاهلية التى سردناها فى الصفحات الماضية لم تكن مستقاة من أية بلاد راقية بل هى كانت بقايا الملة الابراهيمية السمحة ، ولها أسباب ، يقول أحمد أمين فى هذا

---

(١) تاريخ دول العرب و الاسلام طلعت حرب مطبعة أنوار أحمدى إله آباد والتراتيب الادارية للعلامة عبد الحى الكتانى المجلد الثانى دار إحياء التراث العربى بيروت لبنان .

(٢) راجعوا كتب الصحاح الستة و نظرة الاسلام الاقتصادية لمؤلفــه سيف الدين ، المجلد الأول حيدر آباد (١٩٥٠ - ١٣٦٩هـ) .

« فلم يكن العرب يأخذون من حولهم علماً منظماً كما نأخذ نحن من المدنية الغربية لأن هناك عوائق كانت تحول دون ذلك ، منها :

الحوائل الطبيعية بين العرب وغيرهم من بحار وجبال وصحراوات ، ومنها ·

البعد الكبير بين العرب (١) و الفرس و الروم من حيث الحالة الاجتماعية و الدرجة العقلية وأكثر ما يكون اقتباس الحضارة و المدنية إذا تقاربت العقليتان ، و منها ·

انتشار الأمية بين العرب إذ ذاك حتى ندر أن تجد فيهم القارىء الكاتب إنما كان المخالطون للفرس و الروم ينقلون حكماً أو قصصاً أو أمثالا ، أو حوادث تاريخية مما يخف حمله على الناقل ومما يستطيع البدوى و من فى حكمه أن يهضمه (٢)

نظرة الاسلام إلى التقاليد الجاهلية

حينما طلعت شمس الاسلام لم يهدم التقاليد الجاهلية بتاتاً ، بل هدم بعضها و أصلح بعضها ، يقول شيخ الاسلام ولى الله الدهلوى .

بعث الله سيدنا محمداً ﷺ مقيماً لعوجهم ومصلحاً لفسادهم فنظر رسول ﷺ فى شريعتهم فما كان منها موافقاً لمنهاج إسماعيل عليه السلام ومن شعائر الله أبقاه و ما كان منها تحريفاً و إفساداً أو من شعائر الشرك و الكفر أبطله و سجل على إبطاله و ما كان من باب العادات و غيرها فبين آدابها و مكروهاتها مما يحترز به عن غوائل الرسوم ، و نهى عن الرسوم الفاسدة و أمر بالصالحة ، و ما كان من مسألة أصلية أوعملية تركت فى الفترة ، أعادها غضة طرية كما كانت ، فتمت بذلك نعمة الله و استقام دينه (٣) . « يتبع »

---

(١) الجزيرة العربية هى إقليم فى الجنوب الغربى من آسيا يحد من الشمال ببادية الشام و من الشرق بالخليج الفارسى و بحر عمان و من الجنوب بالمحيط الهندى و من الغرب بالبحر الأحمر

(٢) فجر الاسلام لأحمد أمين ص ٢٩ .

(٣) حجة الله البالغة الجزء الأول ص ١٢٥ شركة أمين دهلى .

المرأة قبل الاسلام و بعده

(١٠)

الأستاذ سعيد بن عبد الله سيف الحاتمي

الفصل الخامس . أمور عامة .

آيات كثيرة في القرآن الكريم تأمرنا بطاعة الوالدين

ﷺ ويجب علينا أن لا نشركهما بالله مهما كانت الظروف ، و

« و اعبدوا الله و لا تشركوا به شيئاً و بالوالدين إحساناً و بذي القربى و اليتامى و المساكين و الجار ذي القربى و الجار الجنب و الصاحب بالجنب وابن السبيل . وما ملكت أيمانكم ، إن الله لا يحب من كان مختالا فخوراً » (الآية ٣٦ من سورة النساء) .

« و الله جعل من أنفسكم أزواجاً ، و جعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة و رزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون و بنعمة الله هم يكفرون » (الآية ٧٢ من سورة النحل)

« وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف و لا تنهرهما و قل لهما قولا كريماً واخفض لهما جناح الذل من الرحمة . و قل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً » (الآيتان ٢٣ ، ٢٤ من سورة الاسراء) .

بهذه العبارات الندية و الصور الموحية يستجيش القرآن الكريم وجدان البر

و الرحمة فى قلوب الأبناء، ذلك أن الحياة . و هى مندفعة فى طريقها بالأحياء توجه اهتمامهم القوى إلى الأمام، إلى الذرية ، ولا غرو فى ذلك لأن الوالدين جبلا على التضحية لأجل ذريتهما .

والكبر له جلاله وضعف الكبر له إيحاؤه «فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما» و هى أول مرتبة من مراتب الرعاية و الأدب ألا يصدر من الولد ما يدل على الضجر و الضيق (١) .

لماذا هذه التوصية الربانية و بهذا التشكل ؟ و إن هذه التوصية موجهة إلى الأبناء دون الآباء لأن الآباء لا يحتاجون إلى مثل هذه التوصية . لأنهم يعرفون حق المعرفة واجبهم نحو أفلاذ أكبادهم أما الأولاد فكثيراً مانراهم ينسون ذلك ويتناسونه . اقرأ التوجيه الالهى « و قل رب ارحمهما كما ربيانى صغيراً » هذا مما لاشك فيه أنه يشجع الأم بأن تضحى بكل غال و رخيص كلما تذكرت ذلك النداء الذى يذكر الولد بالدعاء لوالديه اللذين بلغا من الكبر عتياً .

« و وصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن و فصاله فى عامين أن أشكر لى ولوالديك إلى المصير . و إن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما ، و صاحبهما فى الدنيا معروفاً ، و اتبع سبيل من أناب إلى . ثم إلى مرجعكم بما كنتم تعملون » (الآيتان ١٣ و ١٤ من سورة لقمان)

تتعب الأم أكثر من الأب فى تربية الولد . و خاصة فى الأيام الأولى من حياة الطفل يبقى الجنين تسعة أشهر فى بطن أمه و فى هذه الأثناء تمر الأم فى عدة تغيرات جسمانية و نفسية إذ يجد بعض الأمهات يفقدن الدم أو يتقيأن لأتفه الأسباب ، و البعض الأخرى تفقد توازنها و تصاب بعض النساء الحوامل بأعراض

---

(١) سيد قطب فى ظلال القرآن .

أخرى من هذه الأمور كلها ، تحدث للمرأة و حدها دون الرجل و لا أحد يعينها فى التغلب عليها أوتحملها ، اللهم إلا إذا ذهبت إلى الطبيب الذى بدوره يعطيها بعض العقاقير كمسكن ليس إلا ، و قد ثبت أن أكثر المواد الكيماوية ضررها أكثر من نفعها ، و الأم تتحمل كل هذا و أكثر لأجل ما فى بطنها . و هكذا خلقها الخالق سبحانه و تعالى ، وبعد كل هذا العناء لمدة تسعة أشهر قمرية تنجب الأم الرضيع وهنا وبعد الانجاب تبدأ الأم الحصول على نوع من المساعدة فى التربية وهذا ال... المربية أو تلك المئات من الكلمات و المسميات الحديثة الت... الحديثة ، الشخص الوحيد والمؤهل لتربية الطفل هو الأم ، أما غير مرغوبين . وخاصة عندما يصل الأمر بالأم إلى الامتناع عن رشاقتها وجمالها ، يالك من جاهلية ؟ هل نسيت أن السبب الرئيسى لمرضى سرطان الثدى هو عدم إرضاع الطفل من ثدى أمه ؟ وينتج عن مثل هذا التصرف أن يلجأ الناس إلى استعمال زجاجة الرضاعة (١) والبزازة ، إن زجاجة (٢) الرضاعة أكثر حملا لكثير من الأمراض التى تهجم على الأطفال الصغار و تسبب ارتفاع عـــدد الوفيات و خاصة فى المجتمعات النامية غير المتطورة ، و أدهى من ذلك و أمر أن وسيلة زجاجة الرضاعة تفقد شعور الأمومة السماوى ذلك الشعور الذى يحدث عندما يرضع الطفل ثدى أمه ، و على هذا نجد أن بعض علمائنا يحثون على الوالد الذى لم يتم ابنه مدة الرضاع و هى ٢٤ شهراً أن يعوضه بشئ من ماله كأن يكتب له

---

(١) اقرأ المقال لقروية الشيخ : الرضاع من الثدى و خطورته الاجتماعيـــة و الاقتصادية المنشور فى كل من تأمر عمان ومجلة العالم الاسلامى الانجليزى

(٢) وقامت إذاعة لندن المرئية بحملة واسعة ضد « نستله » فى الأعوام الأخيرة يفهم الناس ضرر هذا النوع من الحليب .

شيئاً من ماله بعد وفاته أو هكذا .

و إن الدين الاسلامى دين الفطرة فقد راعى كل المتاعب و المشاكل التى تعانيها المرأة بالنسبة لتربية الأطفال و عليه يقول لنا الحق تبارك و تعالى فى محكم كتابه العزيز (الآية السالفة الذكر) .

و يروى عن النبى ﷺ أنه قال الجنة تحت أقدام الأمهات (رواه النسائى) .

خياركم خياركم لنسائهم . و يقول فى حديث آخر . خيركم خيركم لأهله . وأنا خيركم لأهلى ، يروى أن شخصاً أتى رسول الله ﷺ و سأله من أحق الناس بحسن صحابتى ؟ قال أمك قال ثم من قال : أمك قال ثم من ؟ قال . أمك قال ثم من ؟ قال . أبوك . وفى رواية قال أمك ثم أمك ثم أبوك ثم أدناك فأدناك (رواه الشيخان) .

نتعلم من الحديث السالف الذكر كيف يحترم الاسلام المرأة . و يرفعها من الحضيض إلى تلك المراتب العليا حيث نرى اليوم الجاهلية الحديثة تبكى و تندب حظها لأنها تحاول الوصول إلى أول درج لها و لا تستطيع ، و قد وصل إليها الاسلام لما كانت الدنيا كلها تعيش فى ظلام دامس .

حسن العشرة

« يا أيها الذين آمنوا لايحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً ولاتعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً و يجعل الله فيه خيراً كثيراً » (الآية ١٩ من سورة النساء) .

أنظر إلى التعاليم السماوية « فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً و يجعل الله فيه خيراً كثيراً » سبحان الله علام الغيوب ،نعم قد يجعل الله فى هذه المرأة التى يكرهها الرجل الخير الكثير .

أتی رجل إلى عمر رضی الله عنه فقال : إنی أرید أن أطلق زوجتی لأنی لا أحبها
ا كان من عمر إلا أن قال له : ويحك ألم تبن البيوت على الحب ، فأين الرعاية
. أين التـــذمم ؟ » فعلى الرجل الصبر و التحمل و المحاولة و الرجاء لئلا تتحطم
لمؤسسة الأسرية و ألا يتم الانفصال قدر الامكان . هل فكرت فی معنی كلمـــة
اشروهن . أن المعاشرة هی المشاركة والمساواة يعنی هذا بدوره الاعراض عن الهفوات
لبسيطة لسبب جلب السرور و التفـــاهم بين الزوجين . استسمح
. أعيد ذكر الأحاديث الثلاثة السالفة الذكر

« خياركم خياركم لنسائهم و فی حديث آخر خيركم خ
لأهلی » عن أياس أن النبی ﷺ قال لاتضربوا أماء الله فجـ
لی رسول الله ﷺ فقال ذئرن النساء علی أزواجهن فرخص فی ضربهن فأطاف
آل رسول الله ﷺ نساء كثير يشكون أزواجهن فقال النبی ﷺ لقد طاف بآل محمد نساء
كثير يشكون أزواجهن يعنی يشتكين أزواجهن ليس أولئك بخياركم (رواه أبو داود) .

لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضی منها آخر (رواه مسلم)

يقال للرجل أن يكون أكثر صبراً و تحملا من المرأة . و أن لا يغضب
منها بسهولة لأنها أكثر عاطفية منه وعليه أن يكون أكثر تعقلا منها . إن المؤمنين
حقاً بأخيارهم عند نسائهم

و لا يحق للرجل أن يتجسس علی زوجه فلا يحق له مثلا أن يقول لها
ن أعود الليلة لأنی ذاهب إلى المكان الفلانی ثم نراه يعود فی منتصف الليل ويطرق
عليها الباب متجسساً عليها و هذا لم يسمح به الاسلام .

يجب علی الرجل أن يعول أسرته فی معناها الواسع و الضيق لهذه الكلمة ،
فيجب عليه أن يوفر لزوجه كل وسائل الراحة حسب قدرته و لا يكلف الله نفساً

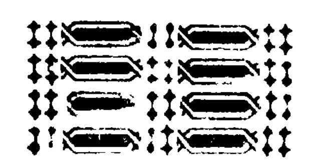
إلا وسعها ، و يجب عليه أن يتعامل معها بالمعروف و يحترم شعورها فمثلا عندما ما تقوم بعمل غير لائق لا يوبخها أمام الزوار أو أمام أى شخص آخر و خاصة أمام أولادها .

يجب الرجل على المحافظة على ممتلكات زوجه الخاصة و لا يحق له أن يصرف درهما واحداً من مالها دون أذنها .

يجب على كل واحد من الزوجين أن يحفظ أسرار الآخر و لا يبوح بها وسيما تلك الأسرار المتعلقة بالأمور الزوجية الخاصة (١) .

يجب عليــه أن يسمح لها بزيارة أهلها و يرتب لها تلك الزيارات و من المستحسن لويذهب معها فى هذه الزيارات بين آونة وأخرى ، قال رسول الله ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص الذى كان يصوم و يقوم الليل تعمداً قال له الرسول عليه الصلاة و السلام : يا عبــد الله ألم أخبر أنك تصوم النهار و تقوم الليل ؟ قلت : بلى يا رسول الله قال : فلا تفعل ، صم وأفطر ، و قم و نم ، فان لجسدك عليك حقاً ، وإن لعينك عليك حقاً ، وإن لزوجك عليك حقاً · رواه البخارى .

« يتبع »



(١) بهى الخولى . المرأة بين البيت و المجتمع بتصرف .

العالم الإسلامي

صور وأوضاع

مسيرة هدم الاسلام ، من يقودها ؟

سعيد الأعظمي الندوي

من أي شئ يخافون في الاسلام . حتى يبذلون طاقاتهم بجميع أنواعها في إضعافه و إسقاطه ، و في إخراج هيبته من قلوب الناس . ثم طرده من بيوت المسلمين و مجتمعاتهم ودولهم ؟ ألأنهم يرونه معارضاً لعقائدهم و فلسفتهم نحو الحياة و الكون والانسان ، أم لأنه يقف حاجزاً دون شهواتهم و أهوائهم ، وتصرفاتهم الصبيانة . أم أنهم يعادونه لمجرد عقد نفسيه يعانون منها و يعيشون تحت وطأتها ،

أظن أن عداوتهم للاسلام شئ في طبيعتهم ، وهو يضطرهم إلى أن يهيئوا الدوائر و يتربصوها بالمسلمين و دولهم . و من جملة ما يقومون به في هذا المجال بالذات من نشاط و يبذلونه من جهود . إعداد وسائل سريعة التأثير لتدمير الشباب المسلم و ذلك على نطاق واسع و عن طريق أجهزة الاعلام و التربية مرة ، و باسم الثقافة و إتاحة فرص الدراسة و رصد منح تعليمية ذات قيمة عالية بالاضافة إلى شهادات علمية عالية مرة أخرى . ويختارون لهذا الغرض شباناً من الدول الاسلامية و يبعثونهم إلى جامعاتهم و يحتفون بهم و يتظاهرون معهم بكل ما يؤثر فيهم و ينال إعجابهم ، و يقيم هؤلاء الشباب الفج تحت إشرافهم و تربيتهم و ينالون منهم كل تشجيع على الاسهام في البرامج الفنية والثقافية المختلطة باسم الفن والأدب .

ينشأ الشباب على العادات و الأخلاق التي لا علاقة لها بالعادات و الأخلاق الاسلامية ، و تجد المغريات و الشهوات سبيلا إليهم بكل حرية ، و بعد مضى

وقت يسير على هؤلآء الشباب فى المجتمعات والجامعات المادية. يسوء طهم قبل كل شئ ندينهم، وتضعف صلتهم بمعتقداتهم. وتصبح الحياة الغربية هى النموذج العالى والمثل الكامل فى أعينهم. ويقتربون نحوها وتتوثق بها علاقتهم تدريجياً، حتى يتم ما أريد فيهم من زعزعة العقيدة و رفض القيم الخلقية و التمادى إلى أبعد حد فى التحرر و الانطلاق.

فى عامة الأحوال يكون هذا الشباب المسلم من عائلات أهمية للحكام أورجال السلطات الكبيرة، و معنى ذلك أن المناصب العالية فى جهاز الحكم و الادارة يتم إيجادها لهم قبل أن يعود فى الواقع تترقبهم بفارغ الصبر، ويعود الشباب حاملين ثقافة غربية ... مادية بحتة ويتسلمون زمام الأمور فى البلاد. ويؤثرون فى جميع الشئون ووجهات الأنظار، من غير أن يكون للشريعـــة حكم أو تصرف فى سياسة البلاد. ذلك أن الشريعة يجب أن تعمل فى حدود المساجد و المناسبات الدينية فيما يرون.

ليس هذا العمل جديداً فقد وجدت له أمثـــلة فى التاريخ سابقاً، و ظهر تلاميذ الغرب فى الدول الاسلامية الذين أرادوا أن يصهروا المجتمع الاسلامى كله فى بوتقة المادية الغربية و يفصلوا بين الدين و الدولة باقامة أسوار حديدية دونهما لكيلا يلتقيا مدى الدهر على مصلحة الانسان المسلم، وينحصر الدين فى نطاق المناسبات و العبادات الدينية و يكون له رجال يقومون بنشاطهم فى دائرة الدين، ويرعون أن لايتجاوز جدران المساجد ومحاريب الصلوات إلى دوائر الحكم وبرلمان النواب و الشيوخ، وهكذا يتم فصله عن نشاطات الحياة وحصره فى دائرة ضيقة محدودة، و يكون ذلك شهادة على أنه لم يخلق إلا لهـــذا الغرض، ولا شأن له بالاجتماع و السياسة و مصالح الشعب و نظام الحكم. بل و كل قيمته فى الكتب الدينية

و المواعظ التى تلقى من على منابر الجوامع و فى خطب الجمع و ما أشبه ذلك .

ظهر فى التاريخ الماضى القريب رجال مثلوا عداءاً شديداً للاسلام و المسلمين و لم يقصروا فى سلخ الأمة الاسلامية من خصائصها الاسلامية ، وشعارها الدينى حتى إنهم لم يتحملوا كلمة الأذان بالعربية ، و حرموا دراسة اللغة العربية والكتابة بخطها ، ذلك لأن العربية تتصل بصميم الدين . فلعلها تثير العاطفة الدينية فى القلوب ، و تكون سبباً لحب الاسلام وأهله ، و قد تحرك الرغبة فى دراسته و الاطلاع على تعاليمه ، و من هنالك تبدأ الكارثة . وربما تنشأ جماعة ممن تفهموا الاسلام و قاموا بدعوته فى منطقـــة تنتشر منها إلى النواحى البعيدة ، و يعود الناس إلى دينهم ، و يرفضون ما دعى إليه القائد البطل من حياة غربية و حضارة مادية .

هذه النتيجة كانوا يتوقعونها فتشددوا وحددوا و هددوا وأوعدوا . وحظروا على الشعب المسلم أن ينطق بكلمة فيها دعوة إلى الدين . و أن يتظاهر بزى يرمز إلى زى المسلم ، فرضوا عليـــه أن يتحول إلى شعب غربى غير مسلم . و يتخلق بأخلاقه و يتحضر بحضارته ، و يتزيأ بزيه . وقد كان ذلك أيسر أسلوب و أسهل طريق إلى إذابة الأمة عقائدياً و خلقياً .

لقد تم ذلك فى تركيا على أيدى تلاميذ الغرب وعلى رأسهم كمال أتاتورك الذى فعل بهذه الأمة أفاعيل ، حملتها على مضض وأخفت كراهيتها خوفاً من الزعيم المأجور الذى كان مخيراً من قبل سادته فى إنزال أكبر عقـــاب على من يعـــارض أفكاره وأنظاره . ويلح على إسلاميته ، وقد تبين ذلك واضحاً جلياً يوم سمح بالأذان العربى ، و العودة إلى الاسلام ، حيث قرب الشعب المسلم فى تركيا قرابين فى سبيل الله ، و أوفت بنذورها يومها ، شكراً لله سبحانه الذى أعاد إليه فرصة دينه و أكرمـــه بأذان رسوله ﷺ ، و أتاح له قراءة القرآن فى خطه .

و فى الخمسينات جاء عبد الناصر فى مصر عبداً مطيعاً لسادته فى الشرق و الغرب ، و نفذ برامجهم فى المجتمع الاسلامى المصرى و المجتمعات العربية الاسلامية الأخرى فى الدول العربية مرة باسم القومية العربية ، وأخرى باسم الاشتراكية العلمية ، و ثالثة باسم الحضارة الفرعونية قام بمهمته التى كانت تستهدف الضرب على أساس العقيدة ، و إحلال الفلسفات المادية محل الدين . و كملت هذه المهمة إهلاك الحرث و النسل ، و إبادة خيار الأمة وعيون الشعب ... الطير . و لا يخفى على الخبير ما قد ذاقه العالم العربى و الا... تحمله من الخسائر من كل نوع بواسطة هذا الزعيم المزعوم صدر الأمة العربية الاسلامية لمدة طويلة ، و تنفست الأ... بموته ، وهنالك ظهر الاستنكار والسخط فى جميع الجهات المعنية على ما قام به الزعيم الراحل من إنجازات هائلة فى جميع القطاعات . ومساومات بعزة العرب والمسلمين مع أعدائهم .

و فى الآونة الأخيرة ظهر أحد تلاميذه النجباء فى ليبيا و أراد أن يجرى ما فات أستاذه من إنجازات مهمة فى هذا المجال و حاول أول الأمر أن يلتزم الحكمة العملية فى هذه المهمة فأعلن تحكيم الشريعة الاسلامية ، و تنفيذ الدستور الاسلامى فى بلده ، و فعلا حرم الخمر و فرض أداء الزكاة و ما إلى ذلك ، و لما رأى أنه قد استتب أمره فى البلاد ، و منحه الشعب المسلم ثقته ، و رأى فيه قدوة للحكام المسلمين نشر ظلاله الموبوءة على المجتمع الليبى المسلم وبدأ برفض السنة وأحاديث النبى ﷺ ، وتبع ذلك إنكاره على القرآن ، و تلاه رفض الفقه الاسلامى ، واستنكار الكتب التى ألفت فى هذا الموضوع ، ثم تطاول على أئمة الاسلام و فقهاء الأمة المعترف بعظمة مكانتهم و المتفق على علو شأنهم فى فهم الاسلام ، و أمر باحراق

هذه الكتب ، وحتى لم يترك شخصيات القرون الأول من المسلمين إلا و قد تناولها باللعنة و الشتم ،

وادعى أخيراً أنه القدوة والمثل الأعلى لجميع الدول الاسلامية ويجب على أهلها أن يقتدوها ويثوروا على القائمين بالحكم فيها . وأمر بتصفية العناصر الاسلامية التى أنكرت فيه هذا التطرف ، سواء كانت فى داخل البلاد أوخارجها ، ومن ثم ذهب ضحية هذا العدوان خيرة الشباب و الدعاة و العلماء .

و فى الأخير أقام وحـــدة بين بلده و بلد صديقه أسد الحافظ و عادى جيرانه و هاجمهم بأبشع أسلوب ، و هددهم و أوعدهم ، و هاجم المملكة السعودية أشنع هجوم . و اتهمها بالعمالة ، و لم يكتف بذلك بل إنه اتهم فريضـــة الحج . و انتقص من شأنها ، و شأن الأماكن المقدسة التى تؤدى فيها هذه الفريضة ، حتى تطاول على شعائر الاسلام و قال بالحرف الواحد . « إن الذى يذهب ليؤدى شعائر الحج التقليدية إنما يمارس عادة ساذجة ليست التى أرادها الله » و قال « لتوجـــه للسلاح و القتال أما أن تطاطئ رأسك فى جبل عرفات و فى بقية الشعائر وتدعو الله بأن يدخلك الجنة ، فهذه سذاجـــة مرفوضة من المسلم الحقيقى » و قال « إن الذى يريد الخلود و الجنة لا يذهب ليطلبها بكلمات ضعيفة فوق جبل عرفات تحت ظل الطائرات الأمريكية » .

هذه بعض شطحاته عن الحج ، و قد مر استحماره بشأن الشعائر الاسلامية و وجهة نظره نحو الاسلام و عقائده الثابتـة . و هو الآن يرزح تحت نير عبودية الاتحاد السوفياتى . يطأطئ رأسه أمام رؤوس الزندقة و الكفر والاباحيـــــــة ، و يستحى من أن يطأطئ رأسه أمام الله يدعوه و يطلب منه الجنة ، و ليس لنـا بعد هذا كله تعليق عليه و على أمثاله من تلاميـذ الشرق و الغرب و عبيد الأبيض

و الأحمر ، ممن يتبوؤن مناصب عالية فى دولهم . و يشتغلون بغاية من الاخلاص والنجابة بما فوض إليهم سادتهم من تقويض أركان الاسلام وهدم شعائره وعقائده .

أليست أجهزة الاعلام فى كل بلد من غير استثناء تقريباً . بيد هؤلاء التلاميذ النجباء للغرب ، الذين يستخدمونها لأداء واجبهم بكل إخلاص . وكذلك الشئون التربوية فى الجامعات و المراكز التعليمية يسيطر عليها رجال مشبوهون عائدون من الغرب أو الشرق . ممن تربوا فى أحضان سادتهم الذين لا يهمهم إلا معانى الأ- فى نفوس شبابنا و أبناء أمتنا . و كذلك سنجد المناصب الح- رجال لا علاقة لهم بخير أمتهم و مصلحة بلادهم ،

هذه نقطة مهمـــة يجب أن نركز عليها . و نفكر فيها . الخطر الداهم . ومقاومة هذه الفتنة العمياء . لكان له تأثير كبير فى الجهود الدعوية و التربوية وفى استراتيجية العمل الاسلامى بدون شك ، و نحن نعرف أن قادة الهدم والفساد هؤلاء يريدون أن يحبطوا مساعينا ومجهوداتنا فى مجال الدعوة والعمل ، ويعطلوا تأثير أعمال ضخمة بمعول هدم واحد .

هناك مؤسسات إسلامية و جمعيات إصلاحية و جماعات دينية على الصعيدين الدولى و المحلى ، فهل هى تتجه إلى هذه الناحية الحساسة و تعير شيئاً من اهتماماتها لصد هــــذا الخطر الذى يكاد يأتى على جميـــــع منجزاتنا فى مجال العمل الاسلامى و الدعوة الاسلامية .

يجب أن نفضح الهدامين المندسين فى صفوفنا و نكشف القناع عن المتقنعين المتسترين فى جماعاتنا و نشهر أمرهم ، و نسمع بكيدهم و نفاقهم . و أعوذ بالله من كل دجل و خداع و من كل نفاق و رياء ، و لا حول و لا قوة إلا بالله

لتتجمد على الألسنة المعقودة من الرعب و الفزع

و مرت الدقائق دهوراً ، ورأينا أشعة الشمس تنير جنبات البيت فيفر منها الأطفال . . يخشون أن تحمل معها هدية من ملاك الموت . . و شيئاً فشيئاً بدأ الرصاص يخفت صوته و بعد فترة وجيزة سكن كل شئ ، ثم علا صوت مكبرات الصوت من جديد يأمر الناس التجمع فى ساحة المدرسة . ما السبب ؟ لا أحد يعرف ، وتحطم الأبواب بحذر ، الجنود المدججون بالسلاح ، يملأون الأزقة و الطرقات ، ويعتلون الأسطحة والشرفات ، جثث تنقل على الحمالات إلى سيارات الاسعاف ، و أخرى على الشاحنات ! الجنود يركلون الناس و يدفعونهم بأعقاب البنادق . . صراخ و عويل فى كل مكان . . عجوز بين جيراننا تولول وتصيح ويزداد صراخها . يأتى نقيب علوى و يسأله عن الخبر . . بنتى قتلوها . . قتلوها أم خمسة أطفال . يا حسرتاه . . يا . وبكل وقاحة ونذالة يدفعها الضابط داخل البيت و هو يقول (كلبة . راحت مع الكلاب ! !) وعلمت بعدها أن المرأة المسكينة زوجة جارنا (محمد سليم) كانت قد خرجت مسرعة إلى ساحة الدار لالتقاط وليدها الصغير ، فرماها أحد الجنود المجرمين من سطح المنزل و أرداها فوق وليدها قتيلة . وكان جواب النقيب النصيرى الحاقد . (كلبة ، راحت مع الكلاب !) .

و وصلنا المدرسة أفواجاً . كان فى استقبالنا الجنود المدججون بالسلاح من كل نوع ، رشاشات و قنابل وقاذفات (آر ، ب . ج) وراحوا يدفعوننا بعنف و شدة داخل الساحة . . كانت الأفكار تصطرع فى أعماقنا والتساؤلات تشلها صورة الرشاشات الموجهة إلى الرؤوس والصدور ، ترى من قتل أهالينا ؟ من أقاربنا . . من اعتقل ؟ . . ماذا سيفعل بنا ؟ . و انتبهنا على صوت أحد الضباط العلويين يصرخ

فمنا (من كان من بيت الشيخ « . . كذا » فليخرج إلى هنا) و بيت الشيخ كما يعلم كل أهالى القرية أكبر أسر قريتنا و طرق أذهاننا جميعاً صورة الشيخ « أمين الشيخ » إمام المسجد و خطيبه . . أتراه على علاقة بما حدث ؟ ذلك الشاب الذى يلتف حوله فى المسجد ، الرجال والأطفال معاً ، كما سمعنا أنه من الاحوال . وأنه يعيش متوارياً فى الجبال منذ شهور وفجأة بدأت الصفعات والكلمات . والسياط تهوى على المجتمعين . . أنى تخرجون يا أبناء الـ ويهال الضابط ...
بعقب بندقيته و يتبعه بركلة من بنطاره الغليظ و يتبدد
و من رجل آخر و آخر . و تبـدأ اللطمات (و
علينا من كل حدب و صوب . يمسك أحد الجنود المجرمين
الحاج عبد الباسط يسحبه منها و يطرحه على التراب و الرجل يصيح و يستغيث .
و اللحية البيضاء الوقور تتطاير و تنزع بشكل وحشية كريش الدجاج بين يدى الجزار ،
ويهوى على ظهرى لحظتها أحد (الدمة) ببنطاره الغليظ وأهوى على الأرض وكانت فقراتى انفصلت عن ظهرى . . تركنى المجرم ليبدأ بآخر . وآخر . وتعلو قهقهات المجرمين ويرتفع صراخ المعذبين . . و تدوى فجأة ـ وبين هذا الصراخ والعويل ـ أصوات انفجارات جديدة ، وتشرئب الأعناق لتستطلع الخبر وإذا بيوت عديدة تتهاوى فتصبح كالعهن المنفوش . . بعدها علمنا أنها بيوت الشهداء وأهليهم . عددها عشرة بيوت ، فجرها المجرمون بما فيها . . و بقى أطفالها و نساؤها فى العراء و هم صائمون ، لا موئل لهم . . ولا مأوى ـ و لا رحال

بعد حفلة التعذيب ، أجلستنا الجنود القرفصاء ـ لتمر من أمامنا ـ ويا لهول المنظر ـ سيارة مكشوفة كومت فيها جثث عدة معفرة بالتراب ، مضرجة بالدماء ، مقطعة الأوصال .. لم أعرف منها وقت ذاك إلا جثة الشهيد أمين الشيخ (إمام المسجد و خطيبه) .. كانت جثته مشطورة شطرين .. بعد هذا بدأت قوات البغى المجرمة

تتجمع منسحبة من القرية بالتدريج . و كانت آخر جملة علقت فى ذهنى من كلام المجرمين ما قاله أحد النصيريين (وحق الامام على لسه ما شفتم شئ .. بدنا نحرق دينكم واحد . واحد ..) و ابتعـــد المجرمون عن القرية .. انسحبت الدبابات و المصفحات وطائرات الهليوكوبتر .. وسارع الناس إلى بعضهم يتساءلون مستفسرين ثم علمنا القصة الرهيبة و هى ما يلى :

فى ليلة الجمعة كانت ستة من الاخوان المسلمين قد لجأوا إلى منزل أحد أبناء القرية يبيتون عنده لكن المجرم المخبر « عمر قسب » وأولاده العملاء سارعوا ووشوا بهم و هذا المجرم و أولاده معروفون فى القرية بفسادهم منذ زمن بعيد . بالاضافة إلى عمـالتهم للدولة الباغية و قد أقسم أحد رجال القرية أنه شاهد أحدهم . يركب طائرة الهيلوكبتر مع النصيريين ليدلهم على بيوت الشهداء ليقصفوها وهكذا حدث ما حدث .. و كان ما كان .. .

فما أن أشرقت شمس اليوم حتى كانت القرية محاطة و مطوقـــة بالوحدات الارهابية المجرمة ، وعادت الاهانات مرة أخرى . و كان البحث مركزاً على آل الشيخ بصورة مكثفة . و قد عثر المجرمون على الحاج « شريف محمد حسن الشهيد عم الشهيد « أمين » وعلى والد زوجته « عبد الرزاق درويش » وكما حدث بالامس جمعونا مرة أخرى فى باحة المدرسة ، وخرج بضعة ضباط علويين فعقدوا ما أسموه محكمة ميدانية ، و لم يفقه معظم الموجودين الأمر منذ البداية فتوقعوا أنهم سيعدمون كما حدث بالأمس . وبعد دقائق لم تطل وبشكل هزلى ومسرحى كانت التهمة الموجهة إلى الرجلين ـ رحمهما الله ـ قرابتهما إلى الشهيد أمين .. و أما جزاء هـــذه التهمة الكبرى فكان الاعدام ، أو بكل بساطة أعلن ضابط علوى الحكم باعدامهما و لكى تكتمل المهزلة . صدر الحكم باسم الشعب السورى الحر .. و الشهود أهل الرجلين و أقاربهما و أبناء قريتهما ، و أما التنفيـــذ ففورى .. و عاجل ، و كأن المجرمين مصاصى الدماء استمتعوا بتدفق دمائنا واشتاقوا إلى ضحايا جدد .. فراحوا يركلون الرجلين و يضعفونهما . و سيق الاثنان إلى جدار مقـــابل للمدرسة .. و عصب

المجرمون أعينهما ، و بكل صفاقة و دناءة سألهما النصيرى ماذا تريدان قبل الموت ؟

عندها أحسسنا أن الأمر جد و صحيح .. تجمدت الكلمات و الأنفاس فى حلوقنا و تشابكت بعض أيادينا و ازدادت خفقات قلوبنا نظراتنا إلى السماء متلهفة دامية .. ربناه . ! .. ربناه .. ! ، و يجيب الرجلان بكل رباطة جأش نحن صائمان و لا نريد إلا أن نلقى ربنا و نحن على هذه الحال .

و فى لمح البصر ينطلق الرصاص مخترقـاً الرجلين و ينتهى الأمر . و تهوى الجثتان اللتان كانتا قبل قليل رجلين يمشيان تهويان عـلى الأرض محتاجان الحاجات الأخيرة ، ويعلو الصراخ والعويل . ويدفع المجرمون الجثتين إلينا

و يملأ السفاحون القتلة مخازن رشاشاتهم كلما أفرغوها بكل هذا

وأخيراً فهذه أسماء الشهداء الستة مع تعريف موجز بهم كلماتى الجريحة . طريقها إلى العالم الحر والرأى النزيه عبر صفحات دخراً للضعفاء و المعذبين .

١ـ الشهيـــــد الأستاذ « أمين الشيخ » ٢٢ سنة . خريج مدرسة الشعبانيــة الشرعية فى حلب ، وإمام مسجد سرمدا وخطيبه ، منع من التسجيل فى جامعة الأزهر لعدم ولائه للسلطة الباغية ، متزوج منذ أقل من عام .

٢ـ الشهيد « محمود بكرو » ٢٠ سنة أستاذ ابتدائى ، متزوج وله ولد واحد .

٣ـ الشهيد « مصطفى الشيخ » ٢٠ سنة طالب جامعة سنة أولى . أعزب .

٤ـ الشهيد « أحمد عيسى »

٥ـ الشهيد « محمد خضر شما » من الدانا ٢٢ سنة

٦ـ الشهيد « محمد حاج حميدى » ٢٢ سنة ، طالب سنة ثانية كلية الجغراوية ، أعزب .

بالاضافة إلى الشهيدين الحاج شريف الشيخ ، و عـــبد الرزاق درويش ، و إلى المرأة الشهيدة زوجة محمد ، وإلى الراعى أبو حسين ، الذى قتله جنود البغى أثناء بداية الحصار ، ظناً منهم أنه من الاخوان المسلمين .

المفتى محمود فى ذمة الله

توفى فى كراتشى فى ١٥/ أكتوبر ١٩٨٠م المفتى محمود أحد كبار علماء شبه القارة الهندية ، ورئيس الجبهة المتحدة للأحزاب المعارضة فى باكستان ، ولد المفتى محمود رحمه الله فى ١٣٣٧ ﻫ فى باكستان ، ودرس فى مراداباد ، و نال التربية الدينية و أكمل الدراسة فى ديوبند تحت إشراف الشيخ حسين أحمد المدنى رحمه الله .

كان المفتى محمود من العلماء الأفذاذ الذين جمعوا بين العلم و التفقه فى الدين و التورع و الزهد فى الحياة ، و بين الفراسة و الحنكة السياسية ، فكان عالماً و فقيهاً متورعاً و قائداً سياسياً ، و زعيماً اجتماعياً ، خاض حركة تحرير الهند فى زعامة أستاذه و مربيه الشيخ حسين أحمد المدنى ، و انتقل إلى باكستان بعد إنشائها ، و أنشأ فى البلاد شبكة من المدارس الدينية ، و أسس اتحاداً للمدارس الاسلامية ، و كان يسعى لتطويرالمناهج الدراسية المتبعة فى المدارس .

و تولى الافتاء فى ولاية الثغور الغربية ثم اشترك فى نشاط جمعية علماء إسلام و تولى قيادة الحزب . و قد انتخب فى انتخابات المجلس التشريعى لولايته وعين كبير وزراء « سرحد » فقام باصلاحات جوهرية فى الولاية ، واتخذ إجراءات لتطبيق الشريعة ، و فرض الحجاب و تحريم الخمر ، و الربا .

كانت للمفتى محمود رحمه الله مشاركة فى سائر أعمال بناء الوطن ، وتوجيه البلاد إلى حكم إسلامى ، و إعادة الحقوق الديمقراطية فى البلاد ، و قد سجن عدة مرات و كانت مواقفه ضد حكم الاستبداد الذى كان يرأسه بوتو قد كسبته تقدير الشعب الباكستانى و قد لعب دوراً حاسماً فى إرغام حكومة بوتو على إعلان القاديانية أقلية غير إسلامية .

و قد زار الهند للاشتراك فى الاحتفال المئوى لدار العلوم و إثرها زار ندوة العلماء ، فى لكهنؤ ، و رحب به سماحة الشيخ أبى الحسن الندوى فى حفلة ترحيبية أقيمت على شرفه ، رحمه الله رحمة واسعة .



Phones . 49747 . 42948 Regd. No. LW/N

ALBAAS-EL-ISLAM

Nadwat-ul-Ulama LUCKNOW (India)

البعث الإسلامي

شهرية إسلامية جامعة

رياسة التحرير : سعيد الأعظمي
واضح رشيد الندوي

الاشتراكات السنوية

في الهند	٣ روبية، ثمن النسخة ٣ روبيات
في العالم العربي	١ دولارات امريكية او ما يعادلها بالبريد العادي ١٥ دولاراً بالبريد الجوي
في افريقيا الجنوبية والشمالية وامريكا واوربا	٢ دولاراً بالبريد الجوي ٨ دولارات بالبريد العادي
في باكستان	٥٥ روبية بالبريد العادي مع اجرة البريد

المراسلات

NADWA LUCKNOW


البعث الإسلامي
شعارنا الوحيد
إلى الإسلام من جديد
تصدر في ندوة العلماء - لكهنؤ - الهند

البعث الاسلامي
شهرية اسلامية جامعة
انشأها نعيد الدعوة الاسلامية
الاستاذ محمد الحسني (رحمه الله)
فى عام ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م

المراسلات :
البعث الاسلامي
ندوة العلماء، ص ب ٩٣
لكهنؤ ـــــ الهند

المنهج الاسلامي

المنهج الاسلامي، منهج مستقل، منهج مختلف، منهج أصيل ليس بينه وبين المناهج الوضعية وجه شبه أونسب، فبينما المناهج الأخرى أوالديانات السائدة الأخرى، تختلط مع الشعوب البشرية العامة فى سوق المادة والمعدة، وتجتمع معها على مائدة واحدة، وتتمتع معها بملذات الحياة المحرمة بحرية تامة، نرى الاسلام ينفصل عن هذه الشعوب المادية من أول الطريق، احتفا[illegible]
على دين الله واستمساك[illegible]
الباطلة و الدعوات المر[illegible]
بما جاء فى الحديث الشريف من [illegible]
و التشديد على النهى عن متابعتهم ولو فى الأمور المادية البسيطة « و تحسبونه هينا و هو عند الله عظيم »

محمد الحسني (رحمه الله)

(٢٥)
المجلد الخامس والعشرون
(٦)
العدد السادس
● ربيع الأول ١٤٠١هـ
● يناير ١٩٨١م

Nadwat-ul-Ulama
P.O. Box 93
Lucknow (India)

في هذا العدد

حضارة الجهل والأمية وحضارة العلم والثقافة — سعيد الأعظمي — ٣

التوجيه الإسلامي

العاق والناقص هدم هام في شقاء الأمة — فضيلة الشيخ عبد السلام القدوائي الندوي — ١٠
حكمة لقمان وموعظة الايمان — سماحة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي — ١٢
أثر الرسالة الاسلامية في الحضارة الانسانية — الدكتور محمد معروف الدواليبي — ٢٠

الدعوة الاسلامية

تعليم المسلمين وتربيتهم العامة — سماحة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي — ٣١
رسالة سلام في دين الاسلام — الدكتور العلامة السيد سليمان الندوي — ٣٦

دراسات وأبحاث

البحث الاسلامي أهدافه ومناهجه — الأستاذ محمود أحمد غازي — ٤٤
بحث قيم في التوحيد ومفهومه وأنواعه — العلامة عبد الحي الحسني الندوي — ٥٢

الفقه الاسلامي

شبهات حول الحدود في الاسلام — الدكتور عبد الكريم زيدان — ٦٠
شبهات حول الفقه الاسلامي — محمد صدر الحسن — ٦٥
روائع من أدب الدعوة في القرآن والسيرة — الأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي — ٧٤

المرأة

المرأة قبل الاسلام وبعده — الأستاذ سعود عبد الله سيف الحاتمي — ٧٧

في رياض الشعر والأدب

يا أمة الله آن لا تتردى (شعر) — الشاعر المسلم وليد الأعظمي — ٨٥
مرحباً بالقرن الخامس عشر الهجري — بقلم الدكتور (ي) موسى الكليري — ٨٨

العالم الاسلامي

قيمة العقيدة في تقرير المصير — واضح رشيد الندوي — ٩١
صورة من الأندلس اليوم — ٩٣
رابطة الأدب الاسلامي — ٩٥
أحداث ثقافية واجتماعية — قلم التحرير — ٩٧

الافتتاحية

بسم الله الرحمن الرحيم

حضارة الجهل و الأمية و حضارة العلم و التقنية

دراسة تاريخ حضارى إنسانى سبق مجئ الاسلام بمدة قصيرة تلفت أنظارنا
إلى الدور الحاسم البناء الذى مثلتــه رسالة الاسلام على الـ
ذلك الدور العظيم الذى نستطيع أن نعبره عن دور « سفينـ
ـن المصيرالمحتوم إلى شاطئ السلامة ،كانت الانسانية تئن تحـ
من الاضطهاد و الرق و السخرة و الظلم ، حفنة من بشر تتحكم الحـر
و الأسر البشرية الواسعـة ، و تسخرها لاشباع شهواتها و إنجاز مآربها الحقيرة ،
ثم تعاملها معاملة الحمير و الكلاب ، و ليس ثمة من يرفع صوت إنكار على هذه
القسوة منقطعـــة النظير ، ليس هناك شئ اسمه الضمير الحى ، ذلك أن الانسان
لم يكن يعرف لنفسه قيمة أكثر من هذا ، الطبقة الارستقراطية الصغيرة تزعم أن
قيمتها فى السباق المجنون بين بنى قومه فى المدنية المزورة التى كانت قد فرضت على
نفسها ، والطبقة الكادحة الواسعة تعتقد أن وظيفتها هى توفير الراحة واللذة والسعادة من
كل نوع لسادتها الارستقراطين ولو كلف ذلك نزوله إلى أسفل درك من الحيوانية والشقاء.

يصور هذه المدنية المزروة الشقية شيخ الاسلام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوى
فى كتابه العظيم « حجة الله البالغة » تصويراً واضحاً دقيقاً ، فيقول : « اعلم أن العجم
و الروم لما توارثوا الخلافـــة قروناً كثيرة و خاضوا فى لذة الدنيا و نسوا الدار
الآخرة و استحوذ عليهم الشيطـــان ، و تعمقوا فى مرافق المعيشة و تباهوا بها ،

و ورد عليهم حكماء الآفاق يستنبطون لهم دقائق المعيشة ومرافقها ، فما زالوا يعملون بها و يزيد بعضهـم على بعض و يتباهون بها حتى قيل إنهم كانوا يعيرون من كان يلبس من صـــاديدهم منطقة أو تاجاً قيمتها دون مائة ألف درهم ، أو لا يكون له قصر شامخ و آبزن و حمام و بساتين ، و لا يكون له دواب فارهـــــة و غلمان حسان ، و لا يكون له توسع فى المطاعم و تجمل فى الملابس ، و ذكر ذلك يطول ، وما تراه من ملوك بلادك يغنيك عن حكايتهم . فـــدخل كل ذلك فى أصول معاشهم ، و صار لا يخرج من قلوبهم إلا أن تمزع ، و تولد من ذلك داء عضال دخل فى جميع أعضاء المدينة ، و آفة عظمية . و لم يبق منهم أحد من أسواقهم و رستاقهم و غنيهم و فقيرهم ، إلا قد استولت عليه و أخذت بتلابيبه و أعجزته فى نفسه و أهاجت عليه غموماً و هموماً لا أرجاء لها ، و ذلك أن تلك الأشياء لم تكن لتحصل إلا ببذل أموال خطيرة ، و لا يحصل تلك الأموال إلا بتضعيف الضرائب على الفلاحين و التجار وأشباههم و التضييق عليهم ، فان امتنعوا قاتلوهم و عذبوهم . و إن أطاعوا جعلوهم بمنزلة الحمير و البقر تستعمل فى النضح و الدياس و الحصاد ، و لا تقتنى إلا ليستعـــــان فى الحاجات ، ثم لا تترك ساعـــة من العنـــاء ، حتى صاروا لا يرفعون رؤسهم إلى السعادة الأخروية أصلا و لا يستطيعون ذلك ، وربما كان إقليم واسع ليس فيه أحد يهمه دينه (١) » .

أطيلوا أنظاركم فى صورة الحيـاة التى عرض عليكم شيخ الاسلام الدهلوى و تعمقوا فيها ، هل كانت الحالة الاجتماعيـــة يوم ذاك تسمح بأن يحلم الانسان فى تحطيم هذا الحصارالضيق الذى أغلق عليه جميع منافذ الفكر وفرض عليه هذا الشقاء المزدوج الذى لايكاد ينتهى ، شقاء الترف الفاحش والطمع والنهامة لدى طبقة صغيرة

(١) حجة الله البالغة جزء ١ ص ١٠٥ باب إقامة الارتفاقات وإصلاح الرسوم)

من الأمراء و الملوك ، و شقاء الجماهير ، لتكون أداة مهانة لتوفير اللذات وزيادة الراحات والثروات ، ويتوزع جنس الانسان بين أمراء و أغنياء معدودين يسبحون فى بحر لجى من الترف و البذخ و النعمة و اللذة ، و رعية فى عدد هائل تعانى من الذلة و الفقر و الجوع و الارهاق ما الله به عليم .

و لكى نعرف مدى هذه الشقة البعيدة التى أقامت هاتين الطبقتين كلتيهما على طرفى النقيض يحسن بنا أن نتدبر فيما أورده سماحة العلامة الندوى :

« ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » حول الشقاء الذى -

و الفارسية فى تلك الفترة من التاريخ ، يقول :

« و هكذا أصبح أهل البلاد فى كلتا المملكتين (الرومية

متميزتين تمام التميز : طبقة الملوك و الأمراء و رجال البلاط الملكى و أسرهم و عشائرهم و المتصلين بهم و الأغنياء ، فكانوا يعيشون بين الأزهار و الرياحين و يتقلبون فى أعطاف النعيم و يفعلون أفراسهم عسجداً ، و يكسون بيوتهم حريراً و سندساً .

و طبقة الفلاحين و الصناع و التجار و الصغار و أهل الحرف و الأشغال كانوا فى جهد من العيش ، يرزحون تحت أثقال الحيـاة و الضرائب و الاتاوات و يرسفون فى القيود و الأغلال و يعيشون عيش البهائم لاحظ لهم فى الحياة إلا العمل لغيرهم و الشقاء لنعيمهم و لا هم لهم إلا الأكل و العلف . فاذا سئموا هذا العيش المر تعللوا بالمسكرات و الملهيات ، و إذا تنفسوا من هـذا العناء رتعوا فى المحرمات ، ورغم هذا الجهد فى المعيشة يجهدون أنفسهم فى تقليد رجال الطبقة العليا فى كثير من أساليب حياتهم ، فكان ذلك أشد من الجهـد فى سبيل الكفاف من الرزق و البلغة من العيش ، فتنغص حياتهم ، و يتكدر صفوهم و يشتغل بالهم .

و هكذا ضاعت رسالة الأنبياء ، و الأخلاق الفاضلة و المبادىء السامية فى العالم المتمدن المعمور بين غنى مطغ وفقر منس ، وأصبح الغنى فى شغل عن الدين و الاهتمام بالآخرة و التفكير فى الموت و ما بعده لنعيمه وترفه ، و أصبح الفلاح أو العامل فى شغل عن الدين كذلك لهمومه و أحزانه وتكاليف حياته ، و أصبحت الحياة و مطالبها هم الغنى و الفقير و شغلهما الشاغل ، و كانت رحى الحياة تدور حول الناس فى قوة لا يرفعون فيهــا إلى الدين و الآخرة رأساً ، و لا يتفرغون لما يتصل بالروح و القلب و المعانى السامية ساعة » (١) .

لا أدرى إلى أى مدى يستطيع التاريخ أن يصور واقع الحياة الشنع تصويراً واقعياً و يمثل الحالة الحقيقية التى عاشها الانسان فى ذلك العصر . و ليس بينه وبين عصر الاسلام مسافة طويلة ، و لو لا أن رحمة الله أرادت أن تمد فى عمر هـذا العالم ، و تملى للانسان الشقى أن ينتقل مما فيه إلى سعادة البشرية بخطوات واسعة ، لكان ذلك عهده الأخيرة وكانت العودة منه أمراً مستحيلا ، ولـكنه عاد إلى سلامة الفطرة و صحامة المسئولية و تولى أمانة الخلافة التى أشفق منها السماوات والأرض والجبال وأبين أن يحملنها ، والتى أعلن عنها القرآن مدوياً مجلجلا فقال : « إنا عرضنا الأمانة على السماوات و الأرض و الجبال فأبين أن يحملنها و أشفقن منها و حملهـا الانسان إنه كان ظلوماً جهولا » .

ورغم أن المدنية العجمية فرقت الانسان بين طبقات عالية و سافلة ، وغنية و فقيرة ، و قوية و ضعيفة إنها ملأت النفوس بأحقاد و عــداوات ، و أثارت العصبيات القبلية و الحسبية ، و الدموية و اللونية ، و أفقدت منه الشعور بكرامـة الدم الانسانى و قيمة العرض والمال حتى أريقت الدماء الانسانية بسخاء و انتهكت

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين : للعلامة الندوى ص ٨٧ - ٨٨ .

المحرمات فى حرية زائدة ، و امتلأت الدنيا كلها بالجور والبهيمية بمعناهما الواسع ، و جاء الاسلام ، و ركز على رفع قيمة الانسان و تأكيد المساواة بين بنى البشر كلهم ، و أن الناس كلهم سواسية كأسنان المشط و دوى صوت الحق و النبوة : « لافضل لعربى على عجمى ، ولا لعجمى على عربى ولا لأبيض على أسود ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى ، كلكم من آدم و آدم خلق من تراب » و أعلن القرآن « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر و أنثى ، و جعلناكم شعوباً ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم (١) » فزيف جميع مقاييس و المال ، و القوة والضعف ، و طلب من الناس جميعاً أن يتفرقوا ، و امتن بنعمة الألفة و الأخوة و المساواة التى المصطهد ، و أفاض عليه بما هو أحوج إليه من معرفة أهمية الدم والعرض والمال ، وكيف أن الجهل الذى عاشه أوقفه على شفا حفرة من النار فأنقذه منها بفضل منه ، يقول : « و اعتصموا بحبل الله جميعاً و لا تفرقوا ، و اذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءاً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً و كنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون » (٢) .

ثم إذا تأملنا فى المتاعب النفسية و المادية التى تغطى المجتمعات الانسانية اليوم وجدنا أن لها جولة وصولة فى كل مكان ، وجدنا أن الانسان المعاصر يشقى كمثل ما شقى أخوه فى أيام الجاهلية الأولى ، غير أن الأشكال تبدلت و الأسماء تغيرت بغيرها . و لكن الشقاء و العذاب و الظلم و الجور ، و العسف و الطغيان وكل شئ مما وجد فى ذلك الوقت يوجد الآن ، سواء باسم الحضارة والتقدم أو باسم

---

(١) سورة الحجرات ، الآية : ١٣ .

(٢) آل عمران الآية : ٣٠ .

الرفاهيــة و رفع مستوى المعيشة أو بغيرها من الأسماء و اللافتات ، أليس القتال قائماً بين الملونين و البيض ، أليس التفاوت الطبقى نشيطاً ذا اعتبــار كبير ؟ أليست طبقــات المترفين و المتنعمين و طبقات الارستقراطيين و أهل المناصب العليا تتأله و تتكبر ، و طبقات اللون والدم و النسب و بازائها طبقات المنبوذين و الأشقياء ممن لاحق لهم فى الحياة إلا كعبيد مرهقين ، و طبقات العمال و الكادحين الذين لا يجدون لقمة عيش إلا بالشقاء و التعب من أجل الأغنياء و المترفين ، أليس كل شئ بل أكثر مما وجد فى الحضارات الرومية والفارسية موجوداً فى حضارات العلم و الصناعة ، و حضارات العقل و الفلسفات ؟ ألا يسلب من الانسان الضعيف حق العيش ؟ ألا يعذب بالحديد والنار ، ألا يسلخ كالشاة و البعير ، ألا يداس بالأقدام و يرصع بالتيارات الكهربائية ، ألا يذبح الولد أمام الأم ، و الزوج أمام الزوجة و الأولاد ؟ و هلم جرآ

بل الحق أن العصر الحضارى الذى سبق الاسلام لم يشهد من أنواع التعذيب و الاهانة و السخرة ، و أنواع الجرائم البشعة و لم يشهد من أنواع الظلم والجور و الطمع و الجشع ، و الكــذب و الخداع ما شهــده عصرنا الحضارى الراقى ، و مجتمعاتنا المتنورة المثقفة ، و لم يواجه ذاك الانسان الجاهلى أوضاعاً شاذة كمثل ما واجهه الانسان المتحضر اليوم باسم الحضارة و الفن ، فقــد أصبح المنكر هنــا و الظلم و التعذيب و الاستبعاد ، و الاحتلال و غمط الحقوق و انتهاك الحرمات من العرض والدم والمال فناً من الفنون الساحرة والساخرة ، حتى إن التزيى بالزى الدينى و الخلق و الاصطياد من ورائه قد أصبح فنا يتخرج فيه ناس و يحرزون فيه شهادات .

و الغرض الوحيد من خلال هذه الأوضاع الشاذة والانحرافات الجارفة للقيم

« البقية على ص ١٦ »

التوجيه الإسلامي

النفاق و التناقض عنصر هدام في شقاء الأمة

فضيلة الشيخ عبد السلام القدوائي الندوي
تعريب : محمد سرفراز عالم الندوي

[و من الناس من يقول آمنا بالله و باليوم الآخر و ما هم بمؤمنين
إلى قوله : « و ما كانوا مهتدين »]

سبق أن الله جل و علا تحدث عن المؤمنين المخلصين و الكفار الجاحدين الأشداء . و الآن يتناول بالذكر أولئك المنافقين الذين لا يظهرون كفرهم و لا يعلنونه ، و لا يؤمنون بالله من قلوبهم ، لأن الايمان لما يدخل في قلوبهم ولكنهم لما جاؤا إلى رسول الله و إلى المسلمين أعلنوا إسلامهم ، و أكدوا لهم بظواهر أعمالهم و بطلاقة ألسنتهم بأنهم قد آمنوا ، وأما قلوبهم فهي تتذمر وتعرض إعراضاً شديداً عن الله ورسوله ، فكانوا يكرهون تقدم الاسلام وازدهاره كراهية شديدة ، وكانوا أعداء ألداء للمسلمين وأحباء للكفار ، يوادون المشركين بأعماق قلوبهم ويميلون إليهم ، ثم يؤكدون لهم في أنديتهم و خلواتهم أنهم مع المسلمين بظاهر العمل ، ويقولون إن هناك بعض الأسباب والمصالح تحول دون إبداء موافقتكم علناً ، وإلا فنحن معكم ، نتمنى لكم الخير ، و كانوا يستحسنون هذا الموقف و هذا الأسلوب لأنفسهم ، و يزعمون أن فيه نفعاً لهم ، و يعدون هذه الانتهازية ذكاءاً و عقلا و دهاءاً ، و يزعمون أن هذه المخادعة توجه إلى المسلمين أضراراً بالغة ، فنبههم الله أن هذه المخادعة ، وأن موقفهم هذا الخادع لا يلحق ضرراً بالمسلمين ولا بالمؤمنين بل إن أضرار ذلك تلتصق بهم ، و أنهم مخدوعون بفعلهم هذا ، و قد بلغوا من

الانخداع إلى أنهم لا يشعرون به و إن نفاقهم هذا يقلل قيمتهم فى عين كل إنسان حتى إن الكفار أيضاً ينظرون إليهم بنظر الازدراء، ويستنكرونهم، فلا هم يتمتعون بأهمية كبيرة و حظ وافر من القبول فى مجمع المشركين، و لا ينالون أيضاً بعد استيلاء الاسلام و سيطرته فى المستقبل درجة عالية و مكاناً مرموقاً بين المسلمين، هذا فى الحياة الدنيا، و أما فى الآخرة فخزى و هلاك و ويل و ثبور

قدم هنا لفظ «يخادعون» على «يخدعون» و ذلك أن ال...
الله و عباده المسلمين حرباً فيخادعونهم، نظراً إلى إبراز
«يخادعون» على «يخدعون» و بما أنه ليست هناك مك
و إنما الغرض كل الغرض هو الاظهار بأنهم لا يخدعون إ
«يخدعون».

[فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً] المرض هنا هو الشك و النفاق كما جاء عن ابن عباس رضى الله عنه، و معنى الآية أن قلوبهم كان يملؤها النفاق، و كلما أظهر الله الاسلام و رسوله زادت كيفية نفاقهم، و ذهب بعض المفسرين إلى أنهم يتألمون و يتفجعون بتقدم الاسلام و بازدهاره، و لما كان الله يكسب للاسلام مكاسب ويظهره كل يوم، كان يزداد همهم وغمهم (١)، و سوف يعانون عذاباً وشقاء فى الآخرة مع ما يعانون منه من المشكلات و الشقاء فى الدنيا.

ومن العجيب أنهم لا يشعرون كلياً بطريقتهم و موقفهم السيء الخاطئ، وكلما لفت أنظارهم إلى هذا، و قيل لهم إن هذا الاختلاف بين الظاهر و الباطن أمر ليس من شأنكم، و إن هذه النميمة و السعاية يسببان فساداً فى الأرض كبيراً، أجابوا بوقاحة: إنا لا نفسد فى الأرض و إنما نحن مصلحون.

---

(١) و لطالب التفصيل أن يراجع تفسير ابن كثير.

فرد الله هذا الادعاء الكاذب الخاطئ و قال : إن النفاق ، و عواطف الحسد و البغض و الشحناء عائق كبير فى سبيل الدعوة إلى الحق و صد للانسانية فى خفاء عن التخطى إلى الفلاح والسعادة ، و أن التفريق و بذر العداوة فيما بينهم بنشر الأكاذيب وبث الشائعات ، وبذل الجهود فى عدم تطبيق الأصول والمبادىء الانسانية و المنع عن الأعمال الحسنة ، كل ذلك يرادف حرمان الكتلة البشرية من الرشد و الهدى ، و ليس شئ أكبر و أعظم فساداً منه ، و من الأسف أنهم لم يفهموا هذا الأمر البسيط الساذج من أجل عنادهم و عدائهم ، و من الطريف أنهم رغم هذه السفاهة يحسبون أنهم يعقلون ، وأن الناس المحبين للحق المؤمنين بالله و برسوله الذين يعيشون فى صلاح و تقى يزعمونهم السفهاء و السطاء ، فسه الوحى الالهى ، أنكم لا تعقلون ، ولا ترى عيونكم القاصرة ما أمامكم ، وإن عقلكم القاصر لا يقيس المستقبل بتجارب الماضى و الحال . بل العامل العاقل من ينظر من نوافذ الحال إلى المستقبل الباهر الطاهر ببصيرته الايمانية ، ويرى صورة انقلاب لامع فى المستقبل ، إن المنافقين الذين لا يتراءى لهم المستقبل اليوم سيتأسفون على قصر عقولهم عند ما ينزاح الستار عن المستقبل اللامع غداً .

ومن أجل ذلك قال هاهنا « لا يعلمون » و لم يقل « لا يشعرون » و ذلك أن المخادعة و الكذب و الافساد نتيجة لعدم شعورهم ، و سبب كفرهم إنما هو عدم العلم ، فلو علموا هذا الانقلاب العظيم والثورة الكبرى على الوثنية ، ذلك الانقلاب الذى ظهر بعد عدة أعوام فقط ، و لو علموا أن هذه العصابة الصغيرة الحقيرة التى لا يكترث بها أحد ، ستملك فى مدة قصيرة البحر والبر كله ، لم يتأخروا فى الايمان ولم يترددوا فيه ، غير أن نظرهم القاصر لم ينظر إلى جمال النبوة ولا أن بصرهم الأعمى شهد جلال الحق ، ولا أن فكرهم القصير قدر قوة الايمان الثورية ، لأجل

ذلك حرموا قبول الاسلام و شغلوا باستهزاء المسلمين .

[الله يستهزىء بهم] ليس معنى ذلك أن الله يستهزىء بهم ، حاشا أن يكون ذلك ، بل الغرض منه أن الله يعذبهم على استهزائهم ، و يعاقبهم على تهكمهم ، إن أصحاب اللغة إذا أرادوا أن يجيبوا أحداً جواباً كاملا و يردوه رداً تاماً يكررون لفظه عليه ، إن هذه الألفاظ ترد عليهم رداً كاوياً شافياً وتسمهم بالعقاب والعذاب .

و تصور حالتهم المضحكة و نكالهم ، و فى آية « و يمـدهم »

إظهار لحالهم المؤسفة ، التى ابتلوا بها بسبب نفاقهم و عـ

الله جل و علا بصرامة و صراحة أنهم لا يهتدون ، و أ

الحق بموقفهم المعارض ابتعاداً لا يرجى لهم الوصول به إلى ...

المنزل ، و قد قدر الله لهم أن يتيهوا فى الأرض

[أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين]

لما كان المنافقون لا يملكون إلا عقلية مادية بحتة ، و يزعمون أن نفاقهم يفيدهم . لفتهم الله إلى أعمالهم السيئة القبيحـــة فى المصطلح التجارى ، و كانت التجارة لها رواج كبير فى العرب فكانوا يسافرون إلى أنحاء بعيدة لكسب الربح ، ولا يكترثون فى ذلك بالأخطار والمشكلات ، فوجه الله نداءه إلى مشاعرهم هذه التجارية ، ولفت أنظارهم إلى ما يهتمون به من كسب الأرباح فى صفقاتهم ، ويهتمون بكسب ربح كبير مقـــابل شئ حقير ، لكن العجب كل العجب أنهم هنا يشترون الأسوأ بالأفضل ويستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير ، فيقبلون الخسارة بدلا من الربح والنفع وأنهم فى حياتهم اليومية لا يبالون فى تحمل المشاق وتجشم المصائب لنفع قليل ، وأنهم دائماً فى حل وترحال ، يسافرون إلى أنحاء بعيدة ذات شقة واسعة ، ولكن موقفهم من دعوة الله عجيب ، إنهم يعلمون جيـداً أن دعوة الاسلام تصلح أن تأخـذ فى

قلوب الانسانية كل مأخذ ، لما فيها من حقيقة و صدق و حرارة ، إنها تصلح أن تأخذ بمجامع القلوب ، إن حياة رسول الاسلام عليه الصلاة والسلام النقية الطاهرة الخالصة لا تزال تصير مركزاً كل يوم لحب الناس و إيمانهم ، ثم إذا كانت هذه الحال فى تأثير دعوة الحق و جذب الداعى فليس ببعيد أن تحدث ثورة ، بل إنها تناديكم ، أفليس مما يدهش العقل أنكم لا تلتفتون إلى حقائق واضحة جلية قطعية سائغة وتعرضون عن هذه الدعوة التى تكاد تحدث إنقلاباً خطيراً نظراً إلى أخطار عادية فيما تزعمون و تغلقون عليكم أبواب الخير و اليمن فى المستقبل و تعدون لأنفسكم أسباب الشقاء و الخزى فى كل مكان

[مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون] بين فى هذه الآية حالة المنافقين بمثال بليغ مؤثر ، و ذلك أنه كان أناس فى غابة فيها ظلام حالك لا يتجلى لهم الطريق ، فاستوقدوا ناراً فأضاءت ما حولهم وتجلى لهم الطريق وأبصروا بها ماعن يمينهم وشمالهم ، وسنحت لهم فرصة لكى يتقدموا إلى الامام بدون خطر ، و من سوء حظهم أن نارهم انطفأت و ذهب الله بنورهم و تركهم فى ظلمات فطفقوا يتخبطون فى الظلام الحالك خبط عشواء أوكحاطب ليل ، و هم مع هذا أصم و أبكم و أعمى فلا يسمعون أحداً و لا يقدرون أن يتكلموا و لا يبصرون ، ثم هم لا يرجعون إلى صراط مستقيم ، هكذا حال هؤلاء المنافقين ، إنهم باظهار إيمانهم أمام المسلمين جعلوا أنفسهم فى النور لبرهة من الزمن ، فلما لقوا الكفار ردوا هذا و آثروا ظلاماً و كفراً و ضلالا بمقابل نور الهداية ، و هذا المثال يوضح حالهم « و إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا و إذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم » و بعض ما قاله عبد الله بن عباس رضى الله عنهما يشير إلى هذا : « أما النور فهو إيمانهم ، الذى كانوا يتكلمون به

و أما الظلمة فهى ضلالتهم و كفرهم الذى كانوا ينطقون به « فتمتعوا قليلا بالحياة الدنيا بهذه الصورة ، و لكن لهم فى الحياة الدنيا ذلا و خزيا و فى الآخرة عذاباً شديداً . و قد أعلن الوحى الالهى : « إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار »

ولما كان فى المثال المذكور أعلاه تقدم ذكر « استيقاد النار » « على » اطفاء نورهم و ذهاب الله بنورهم » و أريد « بالنور » « الايمان » و « بالظلمات » « الكفر » على بعض المفسرين أن المنافقين آمنوا ثم كفروا ، و يؤيدون رأيهم بهذه الآية « ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم

كانت هناك معضلات تاريخية سلبا هذا ، ولا يظهر فى أى

و لو ليوم فقط أنهم آمنوا بالله بصدق قلوبهم و بعكس ذلك

و كيدهم من أول يوم ، ولم يقترف أحد من أصحاب رسول الله الحمر وبرده

و كانت هذه الحقيقة ظاهرة باهرة حتى إن الأعداء اللدود أيضاً لجأوا إلى الاعتراف بذلك و مثال ذلك أنه لما سأل قيصر الروم أبا سفيان رضى الله عنه عن ذلك فى عام ٦ للهجرة فقال : هل يرتد أحد بعد قبول الاسلام ، فلم يجترىء أحد لا أبو سفيان ولا أصحابه . أن يقولوا عن أحد من المسلمين إنهم ارتدوا عن الاسلام . بل إنه أجابه بصراحة وقال : إنه لم يرتد أحد .

و قد صرح بذلك القرآن ، لاحظوا فى بداية السورة ، كيف يوضح حقيقة المنافقين و يصرح « و ما هم بمؤمنين » و يظهر من هذا التفسير أن المنافقين لم يؤمنوا أبداً ، و يذهب ابن جرير إلى هذا و يؤكد بأن المنافقين لم يؤمنوا فى وقت من الأوقات ، واحتج بهذه الآية المذكورة ، و أما الآية التى فيها أن المنافقين آمنوا ثم كفروا ، فمعنى ذلك أنهم أقروا الايمان بلسانهم فظن بعضهم أنهم مؤمنون و ما كان هذا الاقرار إلا رياءاً ، و يقول قتادة : إنهم آثروا الغى على الرشد و استحبوا العمى على الهدى .

« بقية الافتتاحية المنشورة على ص ٨ »

الخلقية و الدينية و الانسانية ، إنما هو إشباع الشهوات و إرضاء نزوات النفس والشيطان و قد اتخذت هذه الظاهرة التى تطغى على الحياة المعاصرة أشكالا فلسفية و نظرات علمية دقيقة يبحث فيها الباحثون و يبتكرون آراء و أفكاراً حديثة تنال حظوة لدى طبقات من الماديين ، و ليست المادية ، و الأبيقورية و الاباحية إلا نتيجة لهذه الأفكار و النظريات الحديثة .

هذا الفساد الواسع الشامل لا يتوقف بمجرد الأمانى والأحلام ، ولا بعرض فلسفة الاسلام و ذكر محاسنه بالقلم و اللسان . و لكن ذلك يتطلب تبليغ دعوة الاسلام النقية تطبيقاً وعملا إلى المجتمعات الحائرة والمريضة ، ويتطلب السيرة الاسلامية متمثله فى الحياة والواقع ، والسلوك الانسانى الجميل ماثلا أمام الأعين فى العمل والتطبيق لا فى العرض والتمثيل فقط ، بذلك وحده يزول ذلك التناقض فى القول و العمل الذى أصبح شعارنا اليوم ، ويسود الاسلام فى كل جزء من أجزاء الحياة والمجتمع .

ذلك هو العمل الاسلامى الكبير ، العمل الاسلامى المطلوب ، وهو يتحدانا اليوم أكثر من كل وقت ، وخاصة فى مطلع القرن الهجرى الجديد الذى طلع علينا بتحديات كثيرة و كبيرة ، و قد آن لنا أن نقوم و نعمل و ندعو إلى الله على بصيرة ، والله سبحانه وتعالى يوصى رسوله العظيم ﷺ بأن يؤكد للناس قيمة العمل فيقول : « و قل اعملوا فسيرى الله عملكم و رسوله و المؤمنون » ؟

و صدق الله العظيم .

سعيد الأعظمي الندوي

حكمة لقمان و موعظة الايمان

سماحة الشيخ السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى

« وإد قال لقمان لابنه و هو يعظه ، يا بنى لا تشرك بالله

عظيم ، و وصينا الانسان بوالديه ، حملته أمه وهناً

عامين أن أشكر لى و لوالديك ، إلى المصير ، و إن حا

ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفاً ، و

ثم إلى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون . يا بنى إنها إن تك مثقال حبة من خردل

فتكن فى صخرة أو فى السماوات أو فى الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير

يا بنى أقم الصلاة و أمر بالمعروف و أنه عن المنكر و اصبر على ما أصابك ،

إن ذلك من عزم الأمور ، و لا تصعر خدك للناس و لا تمش فى الأرض مرحاً

إن الله لا يحب كل مختال فخور ، و اقصد فى مشيك و اغضض من صوتك ، إن

أنكر الأصوات لصوت الحمير ، ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السماوات و ما فى

الأرض و أسبغ عليكم نعمه ظاهرة و باطنة ، ومن الناس من يجادل فى الله بغير

علم و لا هدى و لا كتاب منير » . (سورة لقمان ١٣ - ٢٠)

سجلت الصحف السماوية و سجل الأدب الدينى مواعظ دينية كثيرة منها هذه الموعظة اللقمانية التى هى من أبلغ هذه المواعظ و أجمعها ، و قد تجلت فيها حكمة الأنبياء و دعوتهم فى أجمل مظاهرها و أروعها ، إذن لا غرابة إذا ضرب المثل بحكمة لقمان .

وجه هذه الموعظة والد أكرمه الله بالعقل الحصيف ، و الحكمة البالغة التى لا يؤتاها إلا الأفذاذ الراسخون فى العلم ، و قد قال الله تعالى : « و لقد آتينا لقمان الحكمة » وجهها إلى ولده وفلذة كبده ، فجمعت بين شفقة الآباء وهداية الأنبياء وقد انتقى الوالد الكريم العظيم لولده الحبيب الأثير ، أصول الحكم وجوامع الكلم . فضائل الأعمال ، و مكارم الأخلاق ، فجاءت موعظة فريدة يعمل بها العقلاء فى كل عصر و مصر فينالون سعادة الدنيا و الآخرة .

بدأ لقمان فى وعظ ابنه بالنهى عن الشرك وقال فى إيجاز وإعجاز « يا بنى لا تشرك بالله ، إن الشرك لظلم عظيم » و لا أبلغ فى تصوير الشرك و تهجينه من أن يقال إنه ظلم عظيم . إنه وضع العبادة فى غير محلها وتفريط فى حق الله ، وأى تفريط فى حق الله و إفراط فى حق المخلوق ، فهو مجموع جنايات و جرائم تجمعها كلمة « الظلم » ومن أظلم ممن أعطى حق الله عبيده ، وترك ملك الملوك ، وخضع للذليل المملوك ، فكان كتشبث الغريق بالغريق ، و استغاثة الرقيق بالرقيق . و حاجة الفقير إلى الفقير ، و لجوء المريض إلى المريض .

و قرن الدعوة إلى التوحيد بالدعوة إلى البر بالأبوين ، و معرفة حقوقهما ، و لاسيما الأم التى كان جهادها أعظم فى حضانته و نشأته « حملته أمه وهناً على وهن و فصاله فى عامين » ، و قد حث الله على معرفة فضلهما و شكرهما لأن منتهما أعظم فى المخلوق « أن أشكر لى و لوالديك إلى المصير » .

و لكن إذا زاحما حق الله و ألحا على الشرك ، فلا طاعة لهما و لا كرامة إذ « لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق » و « إن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما » و لكن لا إهانة و لا إيذاء « و صاحبهما فى الدنيا معروفاً » فلا بأس بالبر و المؤاساة ، و صلة الرحم ، أما الاتباع فلا يجوز إلا لذوى الهداية و المعرفة و الانابة إلى الله « و اتبع سبيل من أناب إلى » .

و لما كان الجمع بين البر بالأبوين و بكل من له حق وفضل و بين مفارقتهما ومخالفتهما في العقيدة وحقوق الله . فبر بالأبوين من غير إطاعة في الكفر والاثم ، و ثبات على التوحيـــد و عبادة الله من غير هضم لحقوق الوالدين . لما كان ذلك مهمة عسيرة دقيقة لا يطلع على زلاتها إلا العليم الخبير قال إلى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون »

ثم ذكر في هذه المناسبة اللطيفة أن الله هو الجدير بالعبادة واللجوء والسؤال و الدعاء إذ لابد لمن يلجأ إليه ، ويعتمد عليه في قضاء الحو...
أن يحيط علمه بالدقيق و الجليل و يطلع على الضمائر و ...
انها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في ...
يأت بها الله إن الله لطيف خبير » .

ثم دعا ابنه إلى أمور أساسية في الدين والأخلاق

و أحد بها كان عبداً صالحاً وعضواً كريماً في الأسرة الانسانية منها إقامة الصلاة و الأمر بالمعروف ، و النهي عن المنكر و الصبر على المصائب . و منها التواضع للناس و السداد و الاقتصاد في السيرة و السلوك ، و كل مجتمع ساد فيه الصلاة التي هي حق الله على العبـاد و التي تنهى عن الفحشاء و المنكر و الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر و الصبر ، وكان أعضاؤه بعيدين عن التكبر والاختيال والاسراف والخيلاء ، كان مجتمعاً مثالياً و مجتمعاً فاضلا كريماً يسعد به العالم وتسعد به الحياة

و ختم هذه الموعظة بذكر آلاء الله ونعمه السابغة الظاهرة الباطنة التي توجب الشكر و العبادة و التوحيد و تنشط للعمل بهذه الموعظة المخلصة الرقيقة التي ألقاها عبد مخلص حكيم على ولده العزيز و عن طريقــه على « الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه » فقال « ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السماوات وما في الأرض و أسبغ عليكم نعمه ظاهرة و باطنة ، و من الناس من يجادل في الله بغير علم و لا هدى و لا كتاب منير » .

حول موقف الاسلام من العلم :

أثر الرسالة الاسلامية فى الحضارة الانسانية

الدكتور محمد معروف الدواليبى

لقد اتضح لنا فيما تقدم أن الدعوة الاسلامية جمعت بين خاصتين أساسيتين اثنتين لم تسبقها إليهما دعوة من الدعوات من قبل ، ولا استطاعت أن تلحق بها فيهما أية دعوة أخرى حتى اليوم ، ألا و هما :

أولا - إنها دعوة لنوع جديد من الحياة يتناسب مع تقدم العقل البشرى ، و يقوم على وحدة الشعوب البشرية فى الحق فى الكرامة و فى المصالح الحيوية من غير تمييز بينها . كما يقوم على أساس اعتماد « السلام و العدل » بالحق فيما بين هذه الشعوب .

ثانياً - إنها دعوة إيمانية قامت على « فريضة العلم » ، و ذلك للنظر فيما فى السماوات والأرض وفى الأنفس من دلائل علمية على الخالق الواحد القادر الحكيم .

و إن هاتين الخاصتين قد جعلتا من الاسلام وحده حتى اليوم « أول حركة علمية حيوية تقدمية » - لا يحد من تقدمها الدائم شئ من تطور الزمن - للقضاء على جميع الأنظمة البالية ، التى كانت و لا تزال تقلق الحياة البشرية من قبل ومن بعد حتى اليوم ، و قد اعتمد الاسلام فى ذلك على ما قد أقام عليه . . دعوته من مبادىء علمية عالمية إنسانية التقت معها أخيراً اليوم بحمد الله آراء خبراء الأمم المتحدة كما أشرنا إليها من قبل .

والسؤال الذى يرد علينا الآن هو: «هل تركت هذه الدعوة العظيمة التقدمية أثراً عملياً فى الحضارة الانسانية الحديثة و فى مفاهيمها ؟» و ما هى تلك الآثار؟

و للجواب على ذلك بوضوح لابد لنا من أن نعود قليلا إلى قاعدة «فريضة العلم» التى انفرد بها الاسلام وحده حتى اليوم كما تقدم معنا، و أن نتعقب الآن بايجاز الآثار المادية الملموسة التى لا شك فيها بأنها أثر لقاعدة «فريضة العلم» فى الاسلام، و ما قد تركته هذه الفريضة على المسلمين من رصيد هام فى ميادين الثقافة و خاصة فى الميادين العامة التالية

أولا - من الناحية العلمية بصورة عامة.

ثانياً - من الناحية الانسانية.

ثالثاً - من الناحية الاجتماعية

رابعاً - من الناحية الاقتصادية

خامساً - من الناحية السياسية.

سادساً - و أخيراً من الناحية التشريعيه فى كل ما تقدم.

غير أن التكلم عن أثر الرسالة الاسلامية فى هذه النواحى الحضارية كلها يتطلب مجلدات، و لذلك فاننا سوف نقتصر هنا على الكليات من هذه الآثار بمنتهى الايجاز، مع إعطاء حظ أوفر للناحية العلمية التى هى منطلق الحضارات الانسانية و أساسها و موجهها

أما أثر الرسالة الاسلامية فى الحضارة اليوم من الناحية «العلمية» فسوف نعتمد فيها أيضاً فقط على قليل من كثير مما قال به المحققون من علماء الغرب و فلاسفته أنفسهم وخاصة الفيلسوف الاجتماعى «كوستاف لوبون» فى كتابة «مدنية العرب» الذى توسع فى ذلك و أتى بكل شئ عجيب.

وكما تقدم معنا عن « كوستاف لوبون » وإنه أعجب كل الاعجاب بالشغف بالعلم الذى افتتن به العرب ، و إن إعجابه كان أعظم « أن رأى أن هذا الشغف منهم بالعلم الذى استحمت به أديان أخرى كان مسعثاً عن الدين نفسه » ، فانه قد أخذ بعد ذلك يشرح « الطريقة العلمية » عند العرب ، و إعجابه بها و عما قد تركته من آثار أساسية فى تقدم العلم ، فقال :

« إن المكتبات ، و المخابر ، والأدوات ، هى مواد لابد منها فى التعليم و فى البحوث ، و لكن هذه الأشياء ليست فى النهاية إلا مواد وعناصر ، و إن قيمتها تتوقف فقط على الطريقة التى تستخدم فيها ، و إن الانسان قد يستطيع أن يمتلىء من علوم الآخرين ويبقى مع ذلك غير أهل لأن يفكر بواسطة نفسه ، أو أن يوجد شيئاً ما ، وقد يستطيع أن يكون تلميذاً من غير أن يقدر على أن يكون أستاذاً »

ثم قال « كوستاف لوبون » : و إن الاكتشافات المشروحة فى الفصول الآتية سوف تريها الفائدة التى عرف العرب أن يستخلصوها من مواد الدراسة و عناصرها المجموعـــة بواسطتهم . و سوف نقتصر الآن على ذكر المبادىء العامة التى وجهت بحوثهم ، فبعد أن جعلوا من أنفسهم تلامذة فقط ، متخذين من مؤلفات اليونان أساتذة لهم ، عرفوا بعد قليل أن « الاختبار والملاحظة » هما أثمن من خيار الكتب و إن هذه الحقيقة التى أصبحت اليوم من البديهيات ، لم تكن دائماً كـذلك : فإن علماء القرون الوسطى قد عملوا مدة ألف عام قبل أن يفهموها »

ثم تابع « كوستاف لوبون » يقول . « إن الاختبار والملاحظة ، هما أسس الطرق العلمية الحديثة ، ولقد أسند إلى « باكون » بصورة عامة فكرة وضع الاختبار مكان سلطة الأستاذ ، غيرأنه يجب اليوم أن نعترف بأن هاتين القاعدتين إنما تعودان بصورة كاملة إلى العرب .

« و إن هــذا الرأى قد صارح به مع ذلك جميــع العلماء الذين درسوا مخلفات العرب و بصورة خاصة « هامبولد » بعد أن برهن هــذا الرجل الفذ من رجال الملاحظة وأثبت أن أعلى درجة فى العلم إنما تكون عندما نولد بنفسها وحسب إرادتها حقائق علمية وذلك بواسطة الاختبار ، أضاف قائلا إن العرب قد سموا إلى هذه الدرجة غير المعروفة تقريباً عند القدماء

ثم أضاف « كوستاف لوبون » قائلا وقال « سيد يو »

خاصة بمدرسة بغداد فى أول نشأتها إنما هو الفكرة العلمـ

دراستها . و إن القواعد التى كانت تدرس من قبل الأ

ـ الانتقال من المعلوم إلى المجهول ـ و الفهم الدقيق للحـ ـ ى ـ بعد ذلك من المسببات إلى الأسباب ، وأن لا يقبل إلا ما برهن عليه الاختبار .

و إن العرب فى القرن التاسع من الميلاد كانت لديهم هذه الطريقة الخصبة وهى التى انتقلت بعد زمن طويل جداً إلى أيدى المحدثين لتكون الواسطة لأجمل ما كان منهم من اكتشافات . اختبر و لاحظ تلك كانت طريقة العرب واقرأ فى الكتب و اقتصر على ترديد رأى الأستاذ تلك كانت طريقة أوروبة فى القرون الوسطى . و الفارق بين الطريقتين هو أمر أساسى جداً ، و لن يستطاع تقــدير قيمة العرب العلمية بصورة كاملة إلا بعد التثبت منها بالنفس . . فالعرب إذن قد اختبروا . و كانوا أول الناس فى العالم ووحدهم زمناً طويلا ، الذين عرفوا الشأن الهام لهذه الطريقة

ثم قال « كوستاف لوبون » . « ولقد كتب « دى لامبر » فى كتابه تاريخ الفلك فقال : إذا عددنا بجهــد اثنين أو ثلاثة من الملاحظين فيما بين اليونان ، فانه يرى على العكس من ذلك عــدد كبير منهم عند العرب ، أما فى الكيمياء فانه لا يستطاع

ذكر أحد ما من الملاحظين عند اليونان، بينما هم عند العرب يعدون بالمئات . وإن اعتياد العرب على الاختبار قد أسبغ على دراساتهم هذه الدقة وهذا الابداع اللذين لايمكن أبداً أن نتوقع وجودهما عند الرجل الذى ما درس الحقائق إلا فى الكتب، ولم يخطئهم الابداع إلا فى علم واحد هوالفلسفة، حيث كان الاختبار فيها عندئذ مستحيلا .

ثم قال « كوستاف لوبون » . إن الطريقة الاختبارية التى جاء بها العرب داشنة - أى لم يستعملها أحد قبلهم - توجب ضرورة إيصالهم إلى اكتشافات هامة ، وإن التحليل الذى سنقوم به لدراساتهم العلمية سيثبت لنا فى الواقع أنهم قد حققوا من من الاكتشافات فى ثلاثة أو أربعة عصور أكثر مما حققه اليونان فى زمن أطول جداً ، و إن هذا المستودع من العلوم الماضية ، الذى استلمه البيزنطيون قبل العرب و لكن دون أن يستفيدوا منه شيئاً مدد زمن بعيد . قد نقله العرب إلى من جاء بعدهم فى ثوب مجدد كامل التجديد .

ثم أضاف « كوستاف لوبون » قائلا : « إن دور العرب لم يقتصر فقط على ترقية العلوم باكتشافاتهم ، بل عملوا على نشرها بواسطة جامعاتهم و بواسطة مؤلفاتهم و إن التأثير الذى أحدثوه فى أوروبة من هذه الناحية الأخيرة قد كان عظيماً جداً و سوف نرى فى الفصل الخاص المعقود لدراسة هذا التأثير أن العرب قد كانوا فى مدة عصور عديدة هم وحدهم الأساتذة الذين عرفتهم الأمم النصرانية ، و إننا إليهم وحدهم مدينون فى معرفة القديم اليونانى اللاتينى ، و إن التعليم فى جامعاتنا لم يتوقف عن الاعتماد على ترجمة الكتب العربية إلا فى الأيام الأخيرة .

و قال « ليبرى » فى هذا الصدد من تأثير الحضارة الاسلامية فى الحضارة الأوروبية : « ارفعوا العرب من التاريخ تتأخر النهضة فى أوربة قروناً عدة » .

و قال « ولوريان » أيضاً . « كان للعرب عصر مجيد عرفوا فيه بانكبابهم على الدرس ، و سعيهم فى ترقيـــة العلم و الفن . و لا نبالغ إذا قلنا إن أوروبة مدينة لهم بخدمتهم العلمية ، تلك الخدمة التى كانت العامل الأول و الأكبر فى نهضة القرنين الثالث عشر و الرابع عشر للميلاد » .

و قال « ويلر » أيضاً فى هذا الصدد كانت طريق العرب أن يسدد الحقيقة بكل استقامة و بساطة . و إن يجلوها بكل وضوح و تدقيق فى ظل الابهام ، و إن هذه الخاصـــة التى حاجتنا نحن الان تسدان النور ، إنما جاءتنا عن طريق العرب ، و لم تهبط عن طريق اللاتين » .

وكذلك يعترف « البارون دى وو » قائلا « إن الرومان لم يحسنوا القيام بالميراث الذى تركه اليونان ، و إن العرب كانوا على خلاف ذلك فقد حفظوه و أتقنوه ، و لم يقفوا فيه عند هذا الحد ، بل تعدوه إلى ترقيتـــه وطفقوه باذلين الجهد فى تحسينه و إنمائه ، حتى سلموه للعصور الحديثة .

و قال سيديو « إن إنتاج أفكار العرب الغزيرة ، و مخترعاتهم النفسية تشهد بأنهم أساتذة أهل أوروبة فى جميع الأشياء » .

و قال الدكتور سارطون من علماء الأمريكان و بحاثيهم إن بعض الغربيين الذين يجربون أن يستخفوا بما أسداه الشرق إلى الحضـــارة يصرحون بأن العرب و المسلمين نقلوا العلوم القديمة و لم يضيفوا إليها شيئاً ما . . هذا خطأ . . بل إن العرب والمسلمين كانوا أعظم معلمين فى العالم فى القرون الثلاثة : الثامن و الحادى و الثانى عشر للميلاد » .

هذا و لا ندرى ماذا سيكون نصيب المدنية الحاضرة بأجمعها اليوم و كلها قائمة

على الحسابات السريعة و الرياضيات الدقيقــة ، لو ظلت أوروبة و أمريكة ترقم أعدادها بالأحرف اللاتينية السبعة : و لم تأخذ الأرقام العربية العشرة التى تحمــل اسمها حتى اليوم فى قواميسهم ، حيث يعبرون عنها بكلمة : « شيفر آراب » و إن كلمة « شيفر » كما تقدم معنا سابقاً مأخوذ من كلمة «صفر» العربية ،ومنها دخلت على الغربيين فى لغاتهم و كان من ذلك « سيفر » بالانكليزية ، و « شيفر » بالفرنسية و « تسيفر » بالألمانية ، و شيفرا بالايطالية ، ثم تقلصت عن طريق الاختصار فأصبحت « زيرو » كما يقول علماء الغرب أنفسهم .

لقد كانت الأرقام غير معروفة عند الرومان، وكانوا يرمزون إليها بالأحرف السبعة التى أشرنا إليها و هى :

أى حرف : أى ، و يساوى واحداً .

أى حرف : ف ، ويساوى خمسة تشبيهات بالكف ويحتوى على خمسة أصابع .

أى حرف : إيكس ، وهو مركب من ضعف الحرف ، و يساوى عشرة .

أى حرف : ال ، و يساوى خمسين .

أى حرف : ث ، و يساوى مأة .

أى حرف : ده ، و يساوى خمس مأة .

أى حرف : أم ، و يساوى ألفاً .

و كان لا بد من استعمال هذه الحروف و مضاعفاتها ، و ملاحظة عمليات الجمع و الطرح فى تقديم حرف أو تأخيره ، بمفرده أو بمضاعفاته ، ليحيط الحاسب بالرقم المطلوب ، وقد كانت اللحظة الخاطفة التى تكتب فيها الرقم ٨ بالأرقام العربية يستلزم منك أضعافها لكتابة نفس الرقم المطلوب بالأحرف اللاتينية فى الزمن و فى المكان كما ترى : ٨ .

و كذلك لا ندرى ماذا سيكون نصيب الحضارة الحديثة بأجمعها اليوم لو لم يتمكن المسلمون من إضافة « الصفر » إلى الأرقام ؟ و بذلك قد أتموا الأرقام فى عشرة أرقام « بسيطة » بعد أن كانت الأرقام سبعة أحرف عند الرومان وتكتب حتى فى أصغر الأرقام بعد الواحد بأحرف « مكررة مضاعفــة » على نحو المثل السابق فى رقم « ٨ » العربى حيث كان يكتب أولا بحرف ثم يضاف إليه عن اليمين الحرف «مكررا» ثلاث مرات ليصبح هكذا .

و بذلك ختم المسلمون بؤرة الأرقام لتضيفوا إليها

و لم يستطع أحد بعدهم حتى اليوم و يظن أنه لم يستطيع أن يضيف عليها رقماً جديداً ، أو يشعر بالحاجة إلى إضافة ... أضافه المسلمون ، بل إن اللغة الفرنسية التى دخلت عليها الأرقام العربية العشرة فى القرن العاشر للميلاد ليتحلوا بها عن الأحرف الرومانيــة ، قد سموها جميعها باسم « الصفر » كما تقدم معناه ، و نفس لفظ الصفر « شيفر » العربى تسميــة للكل باسم البعض ، إعجاباً بهذا الاختراع الأخير وقالوا فيها « شيفر » بتحريف «الصاد» العربية إلى « الشين » الفرنسية

ويعود الفضل فى تداول الأرقام العربية و شيوعها إلى الامام محمد بن موسى الخوارزمى من رجال عصر المأمون ، و هو أول من ألف من المسلمين فى الحساب و الجبر من رياضى العرب ، وقد كان كتابه فى الحساب هو الأول بنوعه من حيث الترتيب و التبويب و المادة ، و نقل قديماً إلى اللاتينية تحت اسم « الغورتمى .. » وهو أول كتاب دخل أوروبة وبقى زماً طويلا مرجع علمائها بل ومن العجب أن يظل علم الحساب عدة قرون معروفاً فى أوروبة باسم «الغورتمى» نسبة إلى الخوارزمى.

أما كتاب الخوارزمى فى علم الجبر فقد قال فيه كاجورى من علماء الغرب :

« إن العقل ليدهش عند ما يرى ما عمله العرب فى الجبر »

و ليت شعرى ماذا سيكون شأن المدنية الحاضرة لو جردت علومها الرياضية من علم الجبر العربى الاسلامى الذى لم يكن إلا أثراً من آثار الواجب الاسلامى فى التأمل و التفكير والملاحظة فى كل شئى من خلق السماوات و الأرض والأنفس عملا بقوله سبحانه و تعالى . « قل انظروا ماذا فى السماوات و الأرض . وقوله « الشمس والقمر بحسبان » وقوله فى الأرض « وأنبتنا فيها من كل شئى موزون » .

و بعد ، لو لا ضيق المقام لاستطعنا أن نذكر للحضارة الاسلاميـــة آثاراً أعظم و أبدع فى سائر العلوم و الفنون و الصناعـــة مما يكاد يدخل فى عداد . . المعجزات العلمية حينذاك ، لأنه لم يكن للمسلمين يومئذ من الأدوات والآلات الفنية المعروفة اليوم ليسهل عليهم هذه المهمـــة كتلك التى هى للعلماء المحـــدثين اليوم ، و لكننا نهى كلمتنا عن المسلمين فى الحضارة الانسانيـــة بتعداد القليل من الكثير من أولياتهم .

فالمسلمون هم أول من استخرج طريقة علميـــــة طول درجة من خط نصف النهار ليعرفوا منه مقدار محيط الأرض . و كانوا بذلك أول من قام بقياس حقيقى لمحيط الأرض بطريق علمى صحيح . و قد قال فيه نلليو : « إن أول قياس حقيق أجرى مباشرة ، و إنه من أعمال العرب العلمية المجيدة المأثورة » و قـــد كانت أقيستهم فى ذلك كله ، على قلة ما بأيديهم من الوسائل ، دقيقة صحيحة ، أو قريبـــة جداً من الصحيح ، وإن ثابت بن قرة الحرانى استخرج حركة الشمس وحسب ، أول السنة النجمية ، فكان ٣٦٥ يوماً وست ساعات و تسع دقائق و عشر ثوان ، و كان ما وصل إليه يزيد على أول السنة الحقيقى بمقدار هو أقل من نصف ثانية .

و كذلك كان للمسلمين أمثال هذه المعجزات العلمية فيما يتعلق . . بالرياضيـات

على اختلافها : فى الحساب والجبر والمثلثات و الفلك ، حتى قال سخاو ، فى أحد رياضى العرب محمد البيرونى : « إن البيرونى أعظم عقليـــة عرفها التاريخ » و قال لاند فى محمد البتانى : « إنه من العشرين فلـكيا المشهورين فى العالم »

و كذلك كان لهم أمثال ذلك فى كل من العلوم الطبيعية من : حيوان ، ونبات و جماد ، و ما يتبعها من نظريات فى مباحث الضوء ، قال فى ذلك الدكتور ماكس ما يرهوف : إن العرب قد أسدوا جزيل الخدمات إلى هذا العلم [illegible] عظمة الابتكار الاسلامى . و كذلك فيما وصلوا إليه لا[illegible] النوعى » تحديداً فيا دقيقاً لكثير من الأجسام الجامـــد ما بين السوائل نفسها من فروق فى ثقلها النوعى إذا كانت -

و كذلك كان لهم أمثالهم فى ذلك الابداع فى علم الكيمياء [illegible] فيه من استحضار الكثير من المركبات و الحوامض التى تقوم عليها الصناعة الحديثة كالمركبات التى تستعمل حتى الآن فى صبغ الورق ، و الحرير و المفرقعـــات . و الأصبغة و السماد الصناعى . . و أما الطب فان كتاب القانون لابن سينا كان حتى أواسط القرن السابع عشر المرجع الوحيد لمعاهد الطب و جامعات أوروبة . و أعظم بذلك كله من فضل : فيه آيات العقل ، و الفكر . و دلائل الاعجاز .

و بعد فهذه نبذة من أثر الرسالة الاسلامية فى الحضارة الانسانية الحديثة من « الناحية العلمية » ، و قد وقفنا فيها كما ترون عند الكلمات بما يتناسب مع المقام من أجل محاضرة وجيزة ، و أعطيناها حظاً أوفر مما سنعطيه فيما يلى لبقية النواحى الحضارية الانسانية ، و الاجتماعيـــة ، و الاقتصادية و السياسية ، و التشريعيـة ، و ذلك لأن « الناحية العلمية » هى المنطلق لكل حضارة إنسانية أولا ، و نرجو أن يجد فيها القارى مثلا مرشداً إلى عظمة أثر الرسالة الاسلامية فى بقيـــة النواحى الحضارية التى سنقتصر فيها جداً ، و نقف فيها عند معنى واحد كلى هو إسلامى و جديد فى كل ناحية من النواحى الحضارية الانسانية الباقية

الدّعوة الإسلاميّة

تعليم المسلمين و تربيتهم العامـــة

سماحة الشيخ السيد أبي الحسن على الحسني الندوي
(تعريب : الأستاذ شمس الحق الندوي)

ملاك الأمر على الطالبين .

إن شئون التعليم والتربية قد حدث فيها تغيير
و هو أن نطاق التعلم قد تحدد في الطلاب و العصر
العلم و التربية يتلقون تربية النفس و التزكيـــة مع التعليم في
الآن فقد انصرفت العناية عمن زال فيهـــم الشعور بالمرض و حرموا دافع الطلب
و التعلم تلقائياً إلى غيرهم مع أنهم كانوا بأمس حاجة كذلك إلى إثارة دوافع الطلب
و إيقاظ الشعور فيهم .

و عند ما يقترب موعد بعثة الأنبياء يعيش العالم آنذاك في تهور عظيم و لا يبالي بالنفع و الضرر ، و هنالك يبعث الأنبياء عليهم السلام ، فينفخون في الناس روح الطلب و يصنعون من هؤلاء رجالا عاملين ، و ذلك هو العمل الذي يسمى بالتبليغ و التربية .

وقد تناول الامام الغزالي هذا المعنى بالايضاح والشرح في كتابه « إحياء علوم الدين » يقول : « و إن كان لا يدرى أن ما يرتكبه ذنب فعلى العالم أن يعرف ذلك ، وذلك بأن يتكفل كل عالم باقليم أو بلدة أو محلة أو مسجد أو مشهد فيعلم أهله دينهم و يميز ما يضرهم عما ينفعهم وما يشقيهم عما يسعدهم ، ولا ينبغي أن يصبر إلى أن

يسأل عنه بل ينبغى أن يتصدى لدعوة الناس إلى نفسه فانهم ورثة الأنبياء ، والأنبياء ما تركوا الناس على جهلهم . بل كانوا ينادونهم فى مجامعهم و يدورون على أبواب دورهم فى الابتداء ، و يطلبون واحداً واحداً فيرشدونهم فان مرضى القلوب لا يعرفون مرضهم ، كما أن الذى ظهر على وجهه برص و لا مرآة معه لا يعرف برصه ما لم يعرفه غيره ، و هذا فرض عين على العلماء كافة و على السلاطين كافة أن يرتبوا فى كل قرية و فى كل محلة فقيهاً متديناً يعلم الناس دينهم ، فان الخلق لا يولدون إلا جهالا فلا بد من تبليغ الدعوة إليهم فى الأصل و الفرع ، و الدنيا دار المرض إذ ليس فى بطن الأرض إلا ميت و لا على ظهرها إلا سقيم ، و مرضى القلوب أكثر من مرضى الأبدان » (١) .

إيقاظ دافع الطلب و الشعور به :

و نحن الآن فى أمس حاجة إلى إيقاظ شعور المسلمين باسلاميتهم و إلى أن يؤكد لهم أن الدين لا يتحقق بدون الطلب و الشعور به وأن الحاجة إلى تعلم الدين أشد من حاجة المرء إلى تعلم الصناعات و المهن ، فاذا نشأت فيهم عاطفة الطلب والشعور به تيسرت المراحل القادمة بنفسها ، والمرض الشائع العام فى المسلمين اليوم هو فقدان الحس و الطلب ، و قد ظن الناس - من خطأ - أن الايمان موجود فى القلوب فاشتغلوا بأمور تتبع الايمان و تأتى فى المنزلة الثانية بعده ، والحقيقة أننا بحاجة إلى تجديد الايمان قبل كل شئ

و كل ما وجد من مظاهر ازدهار الاسلام وتقدمه و جماله فى القرون الماضية إن هو إلا ثمرة للشعور الصحيح بالدين والطلب ، والجهود السامية ورجال الدعوة فى القرون الأولى ، و ليس ما نجده اليوم من البقية الباقية لشعار الاسلام

(١) الربع الرابع من كتاب الاحياء ، باب دواعى التوبة

و التدين و المعاهد الدينية إلا نتيجة لهذا الطلب و الشعور الذى كان قد تولد فى المسلمين بجهود أصحاب النبي ﷺ و السلف الصالح و بتضحيتهم و تبليغهم ، و لا نزال نستفيد من هذه الذخيرة منذ قرون من غير إضافة و زيادة فيها ، فالخطر كل الخطر أن تنفد هذه الذخيرة فى يوم من الأيام و لا يبقى منها شئ و يبقى المسلمون كجسم لا روح فيه .

إن وجود طلاب العلم فى المدارس الاسلامية و المتـ
يتوقف على هذا الشعور الباقى فى المسلمين ، وعلى هذا
البقية الباقية من الطلب و الشعور تقمر المدارس من
و المساجـــــد من أصحاب الذكر و العبادة ، و نحن
و الشعور فى كل مكان ، و الخطر لا يزال يتزايد كل يوم .

فالمهم أن نسعى لصيانة هذه الذخيرة و الزيادة فيها ، فلا يطمئن أهل المدارس و الأوساط الدينية إلى أنهم يجدون الرجال العاملين ، لأن الذخيرة التى تنفق من غير زيادة منها ستنفد يوماً من الأيام و لو كان مثل البحر ، إن الغرض من تبليغ كلمة « لا إله إلا الله » و تفهيم معناها و شرحها ، و تذكير مفاهيمها و مقتضياتها هو أن يشعر المسلمون بإسلامهم و تنبعث فيهم عاطفة الطلب ، و لا سبيل لإيقاظ الشعور و الطلب فى الشعوب الاسلامية الواسعـــة ، إلا أن يطالبوا بتصحيح كلمة الاسلام وشرح معانيها ، لكى يفهم المسلمون ما يطلب منهم من الاقرار بعبودية الله و اتباع الرسول ﷺ ، و لا سبيل لذلك إلا أن نسعى لهـذا الغرض فى المسلمين جميعاً لا فى طبقة خاصة دون طبقات أخرى ، فلو لم يقم للملايين من الناس آلاف منهم لن يمكن الاصلاح والتربية ، فان عـدد المربين أقل بكثير من عـــدد من هم بحاجة إلى التربية و الاصلاح .

العناية بالطبقة المتخلفة :

فى عهد الانحطاط الماضى وقعت طبقة كبيرة من أمة محمد ﷺ فريسة الاهمال و عدم الاعتداد بها ، بسبب فقرها و بؤسها و ازدراها النـاس و عومل السكان فى الأكواخ والعائشون فى بؤس وفقر معاملة غريبة ، شأن البهائم ، رغم أن كثيراً من خصائص الاسلام التى وحدت فى القرون الأولى مدينـــة بهؤلآء الفقراء وهى لا تتجلى إلا فيهم .

يبين الشيخ محمد إلياس رحمه الله هذا الوضع المؤسف المؤلم ، بأسلوب لطيف جداً يقول :

« الذين نراهم من الطبقة المتخلفة و فى ملابس صفيقة . إنما هم يمثلون فى الواقع بساطة السنة وإن كان الناس لا يبالون بهم ، وإلى هذه الحقيقة يشير ماقاله النبى ﷺ بدأ الاسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء » ومن هؤلآء المسلمين من هم يسكنون فى البوادى و القرى و يعيشون خارج دائرة التعليم و الاصلاح من مدة طويلة ، و كثير من هؤلآء الأقوام و الأسر ابتعـدوا عن الاسلام و اقتربوا إلى الالحـاد بسبب غفلة المتحضرين و كثير منهم قد ارتدوا ـ رغم أن هؤلآء المسلمين هم من أهم عناصر الأسرة الاسلامية (١) ، و من جمـلة ما أوصى به سيــدنا عمر بن الخطـاب رضى الله عنه ، خليفتــه بعده « و أوصيه بالأعراب خيراً فانهم أصل العرب ومادة الاسلام » (٢) .

فلا بد لرجال الدعوة و التبليغ أن يعتنوا بهؤلآء المسلمين و يجب أن يقلق كل مسلم من الوضع الذى يعيشه هؤلآء المسلمون ،

(١) من كتاب للشيخ محمد إلياس رحمه الله .
(٢) رواه البخارى .

يقول الشيخ محمد إلياس رحمه الله : « لو فكر المسلمون بأعماق قلوبهم عرفوا أن كل مكلف للدعوة و التبليغ رجلا كان أو امرأة ، إنما يستوجب لعنة الله و غضبه بترك فرائضه ، و إنه سيحاسب بعد موته على ما كان يقدر عليه من العمل ولم يعمل ، فليتألم كل مسلم خوفاً من هذا العذاب العظيم ، وعليه أن يفكر فى الخطر الذى سيواجهه فيما إذا فاجأه أجله فى هذه الحالة » (١)

إن الامام الغزالى يتذكر غفلة وجهل هذا المجتمع من سكان القرى والأرياف التى تجاور دار الاسلام ثم يلفت أنظار العلماء وسكان المدن إلى أداء هذه الفريضة من الدعوة و التبليغ ، يقول :

« و أكثر الناس جاهلون بالشرع فى شروط الصلاة

و البوادى ومنهم الأعراب و الأكراد و التركمانية ، و

أن الانسان لا يولد عالماً بالشرع ، و إنما يجب التبليغ على

تعلم مسألة واحدة فهو من أهل العلم بها ، و هذا شغل شاغل لمن يهمه أمر دينه يشغله عن تجزئة الأوقات فى التفريعات النادرة ، و التعمق فى دقائق العلوم التى هى من فروض الكفايات ، و لا يتقدم على هذا إلا فرض عين أو فرض كفاية هو أهم منه (١) .

---

(١) من كتاب للشيخ محمد إلياس

(٢) الربع الثانى من كتاب « إحياء علوم الدين » باب الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر واجبان .

رسالة السلام فى دين الاسلام

(٣) الدكتور العلامة السيد سليمان الندوى

« معرب »

إن عناصر التعاطف و التراحم التى ترتبط بها ، أعضاء المجتمع الانسانى . و التى تصل الأحباء و الأقرباء ، و الأولاد و الآباء بعضهم ببعض ، و تصور مناظر الحب و الشوق بين الناس فى هذا العالم ، إنما هى جزء حقير جداً من رحمة الله تعالى ، أكرم به الخلق ، فقد جاء فيما رواه البخارى : قال رسول الله ﷺ : جعل الله الرحمة فى مأة جزء فأمسك عنده تسعة و تسعين جزءاً ، و أنزل فى الأرض جزءاً واحداً فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق » (١) .

أى ديانة من ديانات البشر وجهت بشائر الرحمة و المودة و العطف و المحبة إلى أمتها مثل ما فعله الاسلام ، وأى نبى من الأنبياء عزى قلوب الحيارى المضطربين ، والمذنبين الآثمين ، بمثل ما به عزى نبى الرحمة ﷺ أمته ، ففى صحيح البخارى عن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه أن رجلا على عهد النبى ﷺ كان اسمه عبد الله و كان يلقب حماراً ، و كان يضحك رسول الله ﷺ و كان رسول الله ﷺ قد جلده فى الشراب فأتى به يوماً فأمر به فجلد ، فقال رجل من القوم اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى به ، فقال النبى ﷺ لاتلعنوه فوالله ما علمت أنه يحب الله ورسوله » (٢) .

---

(١) صحيح البخارى : باب رحمة الولد ، ص ٨٨٧ .

(٢) أيضاً كتاب الحدود ، باب ما يكره من لعن شارب الخمر ص ١٠٠٢ .

توفى رجل فقير فى المدينة فحزن عليه رسول الله ﷺ حتى رؤى عليه أثره فسأله بعض الصحابة عما إذا كان قـد حزن عليه فقال أجل إنه كان يحب الله و رسوله ، روى ذلك ابن ماجة عن الأدرع السلمى قال جئت ليلة أحرس النبى ﷺ فاذا رجل قراءته عالية فخرج النبى ﷺ فقلت يا رسول الله هذا مراء ، قال فمات بالمدينـة ففرغوا من جهازه فحملوا نعشه فقال النبى ﷺ . ارفقوا به رفق الله به ، إنه كان يحب الله ورسوله ، قال و حضر حفرته ، فقال وسعوا له أوسع الله عليه ، فقال بعض أصحابه يا رسول الله لقد حزنت عليه؟ فقال أجل إنه كان يحب الله ورسوله » (١) كان الرجل يجهر قراءة القرآن لـ

و فى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها أن رسـ

على سرية ، وكان يقرأ لأصحابه فى صلواتهم ، ويختم بقل

ذكروا ذلك رسول الله ﷺ فقـال · سلوه لأى شئ كان يصنع ذلك فسألوه ، فقال لأنها صفة الرحمن ، فأنا أحب أن أقرأ بها ، فقال رسول الله ﷺ أخبروه أن الله يحبه » (٢) فهل من إنسان بشر أحـداً بمثل ما بشر به رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته

ويشبه هذا الحديث ما رواه البخارى عن أنس رضى الله عنه ، كان رجل من الأنصار يؤمهم فى مسجد قباء ، وكان كلما افتتح سورة يقرأ بها لهم فى الصلاة مما يقرأ به افتتح بقل هوالله أحد حتى يفرغ منها ، ثم يقرأ بسورة أخرى معها ، وكان يصنع ذلك فى كل ركعة ، فكلمه أصحابه وقالوا : إنك تفتتح بهذه السورة ثم لا ترى أنها تجزئك حتى تقرأ بأخرى ، فإما أن تقرأ بها وإما أن تدعها و تقرأ بأخرى فقال : ما أنا

---

(١) ابن ماجة باب ما جاء فى حفر القبر

(٢) صحيح مسلم باب فضل قراءة قل هو الله أحد .

بتاركها ، إن أحببتم أن أؤمكم بذلك فعلت و إن كرهتم تركتكم ، و كانوا يرون أنه من أفضلهم ، و كرهوا أن يؤمهم غيره ، فلما أتاهم النبى ﷺ أخبروه الخبر ، فقال : يا فلان ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابك ، و ما يحملك على لزوم هذه السورة فى كل ركعة ، فقال : إنى أحبها ، قال : حبك إياها أدخلك الجنة »(١)

المرء مع من أحب : روى البخارى و مسلم بطرق متعددة عن أنس بن مالك رضى الله عنه ، قال بينما أنا و رسول الله ﷺ خارجين من المسجـــد ، فلقينا رجلا عند سدة المسجد ، فقال يا رسول الله متى الساعة ؟ قال رسول الله ما أعددت لها ؟ فكأن الرجل استكان ثم قال يا رسول الله ما أعددت لها كثير صلاة و لا صيام و لا صدقة ، و لكنى أحب الله ورسوله ، قال فأنت مع من أحببت ، قال أنس فما فرحنا بعد الاسلام فرحاً أشد من قول النبى ﷺ · فانك مع من أحببت » (٢) و فى رواية المرء مع من أحب و أنت مع من أحببت ، فما رأيت فرح المسلمون فرحاً بها ، و فى رواية مسلم قال رسول الله ﷺ إن الله إذا أحب عبداً دعا جبرئيل عليه السلام فقال إنى أحب فلاناً فأحبه ، قال فيحبه جبرئيل ثم ينادى فى السماء فيقول : إن الله يحب فلاناً فأحبوه . فيحبه أهل السماء ، قال : ثم يوضع له القبول فى الأرض » (٣) .

و فى رواية أخرى : عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ إن الله تعالى قال : من عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب ، و ما تقرب إلى عبدى بشئ أحب إلى مما افترضته عليه ، و لا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به و بصره الذى يبصر به و يده التى يبطش

(١) صحيح البخارى ، كتاب الأذان الجمع بين السورتين فى ركعة .
(٢) صحيح البخارى و مسلم .
(٣) صحيح مسلم : باب إذا أحب الله عبداً .

بها ، و رجله التى يمشى بها ، ولئن سألنى لأعطينه ، ولئن استعاذ بى لأعيذنه» (١) .

و فى سنن أبى داؤد عن عمر رضى الله عنه أن من عباد الله أناسا ما هم بأنبياء و لا شهداء يغبطهم الأنبياء و الشهداء بمكانهم من الله تعالى ، قالوا يا رسول الله من هم ، قال : هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم و لا أموال يتعاطونها ، فوالله إن وجوههم لنور ، و إنهم على منابر من نور ، و لا يخافون إذا خاف الناس ، و لا يحزنون إذا حزن الناس ، ثم تلا هذه الآية « ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم و لا هم يحزنون » .

و عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول

يغذوكم من نعمه ، و أحبونى بحب الله ، و أحبوا أهل

إن تعاليم الاسلام فى الواقع جمعتها حياة النبى ﷺ العمليه

المسلمين يلقبون الرسول ﷺ بحبيب الاله ، و معلوم ما بين الحبيب و المحب من أسرار و دقائق و إشارات ، و ما الذى كان يسأله ﷺ ربه فى أدعية الخشوع و الخضوع ، و فيم كان يطمع فى خلوات اللقاء و يبحث عنه فى مناجيه مع ربه ، فقد روى أصحاب الحديث ، الامام أحمد و البزار فى مسنديهما ، و الترمذى فى جامعه ، و الحاكم فى مستدركه ، و الطبرانى فى معجمه عن عدة من الصحابة رضى الله عنهم أن النبى ﷺ إنما كان يطلب ربه فى لحظات خشوعه و دعواته نعمة الحب ، و حينما نرى أن أحب شئ لدى الانسان فى هذه الدنيا هو سلامة أرواح أهله وأولاده ، كان جل غايته ومنتهى همه ﷺ هو الحصول على حب الله سبحانه

---

(١) صحيح مسلم : باب إذا أحب الله عبداً .

(٢) جامع الترمذى ، باب ما جاء فى مناقب أهل البيت ج ٢/ ٢٢٠ .

كان يدعو فيقول : « اللهم أسأل حبك و حب من يحبك و حب عمل يقرب إلى حبك » (رواه الترمذى و الحاكم) و يقول : « اللهم اجعل حبك أحب إلى من نفسى و أهلى ، و من الماء البارد » (رواه الترمذى و الحاكم) .

كان الماء البارد يعتبر أعظم نعمة فى الجزيرة العربية آنذاك لا تساويها نعمة أخرى ، و لكنكم ترون أن الرسول ﷺ لا يروى غلته هذا الماء البارد المادى ، إنما كانت تهدأ هذه الغلة الروحانية بزلال الحب الالهى و حسب ، إذا كان الانسان العادى يعيش بالخبز و الطعام ، فان نبى الله المسيح بن مريم يقول : إن الانسان لايعيش بالخبز وحـــده ، فأى غداء يشبع الانسان بحيث لا يجوع أبداً ، أنظروا إلى الرسول عليه الصلاة والسلام أى رزق يطلبه ، يقول اللهم ارزقنى حبك وحب من ينفعنى من حبك » ، و لا شك أن الايمان بالله و الرسول هو أول مرحـــلة لاسلام المرء ، و لكن المرحلة الأخيرة هى أن يكون الله و رسوله أحب إليـــه مما سواهما .

هناك بعض الديانات تفتخر بتعاليمها التى تعلم أتباعها أن يعتبروا الله بمثابة الوالدين و يحبوه مثل حبهما ، و لكن الاسلام نهى عن هـــذا التعبير ، لأنه يؤدى إلى الشرك ، فاتجهت التهمـــة إلى الاسلام بأنه يخلو تماماً عن عواطف الحب الالهى ، الواقع أن مستوى الحب الخالص لله سبحانه فى الاسلام ارفــــع إلى درجات لا يستطيعون التفكير فيها له التوصل إليها ، و تؤيد هذه الدعوى آية من القرآن أسلفنا ذكرها وهى « واذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكراً » كما تؤيدها أحاديث الرسول ﷺ وتؤكدها ، فبينما ساحة القتال والناس فى اشتباكات مع العدو ، يحاول كل إنسان أن يلجأ إلى مأمن ، كل أخ بعيد عن أخيه حتى الأم عن ولدها ، و فى خلال ذلك يرى النبى ﷺ امرأة فقدت ولدها وهى تبحث عنه بلهفة وشوق ، فكلما

فكلما تجد صبياً تأخذه و تلصقه بطنها و ترضعه ، فقال النبي ﷺ للصحابة رضى الله عنهم أترون هذه المرأة طارحة ولدها فى النار ، قلنا لا . وهى تقدر على ألا تطرحه فقال لله أرحم بعباده من هذه بولدها (١) .

و يروى ابن عمر رضى الله عنهما قال كنا مع رسول الله ﷺ فى بعض غزواته ، فمر بقوم فقال من القوم ؟ فقالوا نحن المسلمون ، وامرأة تحصب تنوراً لها ومعها ابن لها ، فاذا ارتفع وهج التنور تنحت به ، فأتى النبى ﷺ ، فقالت أنت رسول الله ؟ قال نعم ، قالت بأبى أنت و أمى ، أا...

قال بلى ، قالت : أو ليس الله أرحم بعباده من الأم بو

الأم لا تلقى ولدها فى النار ، فأكب رسول الله ﷺ

فقال . إن الله لا يعذب من عباده إلا المارد المتمرد الذى ...

أن يقول لا إله إلا الله » (٢) .

و يروى أن أحد الصحابة حضر إلى النبى ﷺ وهو يحمل فى كسائه له طيراً مع أفراخها .

عن عامر الرام ، قال : بينا نحن عنده ، يعنى عند النبى ﷺ ، إذ أقبل رجل عليه كساء و فى يده شئ قد التف عليه ، فقال : يا رسول الله ! مررت بغيضة شجر ، فسمعت فيها أصوات فراخ طائر ، فأخذتهن ، فوضعتهن فى كسائى ، فجاءت أمهن ، فاستدارت على رأسى ، فكشفت لها عنهن ، فوقعت عليهن فلففتهن بكسائى فهن أولاء معى ، قال : ضعهن ، فوضعتهن وأبت أمهن إلا لزومهن . فقال رسول الله ﷺ . « أتعجبون لرحم أم الأفراخ فراخهـا ؟ فو الذى بعثنى بالحق : لله

---

(١) اقرأ الحديث بطوله فى كتب الصحاح .

(٢) ابن ماجة ، باب ما يرجى من الرحمة ٣٢٧ ـ و الترمذى ج ٢/ ٢٣ .

أرحم بعباده من أم الأفراخ بفراخها ، ارجع بهن حتى تضعهن من حيث أخذتهن و أمهن معهن ، فرجع بهن » (رواه أبو داؤد)

إن رسول الله ﷺ حبيب رب العالمين وصفيه ونبيه ، فى آخر لحظات الحياة يتحرق الجسم بشدة الحمى لا يستطيع أن يقوم من فراشه و يمشى ، و فجأة يجد فى نفسه قوة و يخرج إلى المسجد و الناس أذن لسماع كلمة تصدر من لسان النبوة فإذا به ينطلق و يقول « أيها الناس إنى أبرأ إلى الله أن يكون لى منكم خليل ، فإن الله تعالى قد اتخذنى خليلا ، كما اتخذ إبراهيم خليلا » (١) .

هذا ما قاله قبل الوفاة بقليل و لكن الكلام الذى جرى على لسانه فى حالة الاحتضار ، هو أن قال : « اللهم الرفيق الأعلى » .

أرجو أن لا يفوت تلاميذ « بكاسون » قراءة هذه الصفحات لكى يتبينوا ما فى الاسلام من رحمة عادلة و سلام متزن ، و أن رحمة الله سبقت غضبه ، كما جاء فى الحديث القدسى الذى رواه البخارى « رحمتى سبقت غضبى » .

فيا باحثى الحب الالهى إذا كنتم تطمعون فى حب أبدى ، معرضين عن المحبة الفانية ، و كنتم تبحثون عن المحبوب الحقيقى ، وتريدون أن تزودوا أرواحكم و أنفسكم بزاد الحب الحقيقى وحده فارجعوا إلى الاسلام الذى يوزع هذه النعمة الباقية الخالدة فيمن يتطلعون إليها بإخلاص .

و قد دل على الطريق الذى يتكفل لكم هذه النعمة و السعادة ، فقال :

« إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا » (سورة مريم)

و ليس وراء الايمان و العمل الصالح شئ يضمن لكم الحصول على نعمة الحب و الولاء ، و الود و السلام .

---

(١) صحيح مسلم ج ١/ ص ٣٧٧ .

دراسات وأبحاث

البحث الاسـلامى أهـدافه و مناهجـه

— ١ —

الأستاذ محمود أحمد غازى
إسـلام آباد باكستان

ما هو البحث الاسلامى

يرى الناس عادة يستعملون كلمة البحث الاسلامى فى معنيين :

١ـ معنى البحث الاسلامى عند كثير من الناس بما فيهم عدد غير قليل من المثقفين هو مجرد تأليف الكتب وإعداد البحوث وكتابة المقالات وطبعها و نشرها بغض النظر عما فيها من المضمون و المحتوى وما بين يديها من الهدف والمقصود .

٢ـ و معنى البحث الاسلامى عند طائفة من الناس البحث فى الاسـلام أو البحث عن الاسلام وقد ينتقد رجال هذه الطائفة الأخيرة على القائمين بالبحث الاسلامى و يوجهون إليهم عديداً من الاعتراضات و الأسئلة ، فيقولون مثلا . هل هناك أية حاجة إلى البحث فى الاسلام أوالبحث عن الاسلام بعد أن مضت عليـه أربعة عشر قرناً وثبتت خلالها صلاحيتـه لكل زمان ومكان ؟ و إذا كان الاسلام نظاماً شاملا للحياة ، متكامل الأجزاء ومرتبط الأعضاء، فلماذا هذا البحث الجديد ؟ و هل الاسلام و تعاليمه و نظمه أشياء مجهولة تحتاج إلى البحث عنها ؟

ولاشك أن مثل هذه الأسئلة إنما تنشأ بسبب التفسير الخاطئ لمصطلح البحث الاسلامى بالبحث فى الاسلام أوالبحث عن الاسلام ، فما هو البحث الاسلامى إذن ؟

البحث الاسلامى مركب توصيفى ، يطلق على كل بحث علمى و مجهود فكرى فى ضوء تعاليم الاسلام و أحكام الكتاب و السنة النبوية الشريفة ووفق مبادىء وقواعد البحث العلمى التى قررها القرآن الكريم و السنة النبوية وتعامل عليها العلماء المسلمون و الأئمة المجتهدون ، و يكون هدفه القيام بمتطلبات الدولة الاسلامية و المجتمع الاسلامى ، الثقافية والفكرية و الاجتماعية والحضارية ، و وفاء حاجاتها فى هذه الميادين على المستوى العلمى و الفكرى

فبموجب هذا التعريف تخرج من نطاق البحث الاسلا

و التأليف و الكتابات الاسلامية لتحقيق هدف غير هذا

و يخرج من نطاقه أيضاً كل ما يبحثه المستشرقون ؤ

الشرق و من تلا تلوهم من أبناء العالم الاسلامى ، فإن هذه

بعضها يدخل فى حد البحث العلمى و لكنها خارجة عن حد البحث الاسلامى ، لأنها ليست فى ضوء الاسلام و ليست متبعة لقواعد الشريعة الاسلامية و تعاليمها فى النقد العلمى هذه البحوث يمكن أن نسميها البحث فى الاسلام ، أوالبحث عن الاسلام و لكنها ليست بحوثاً إسلامية خالصة بمعنى أن يكون منطلقها التاريخ الاسلامى المجيد والتقاليد الاسلامية الرائعة الفاخرة فى مجال البحث العلمى و خاصة فى مجال العلوم الاسلامية .

فوظيفة البحث الاسلامى هى النفى و الاثبات . و نعنى بالنفى إعلان الحرب على العصر الحاضر بابطال الفلسفات الباطلة والأفكار الهدامة و النظريات الالحادية التى تؤثر فى عقول المسلمين و أذهانهم تأثيرا باطلا و تضلل و تشوه الفكر الاسلامى و تلوث منهل الفكر الاسلامى الصافى العذب ، و لا يمكن إعلان الحرب على العصر المعاصر الابعد أن نحدث ثورة فى تفكير المسلمين و عقليتهم ، ثورة

الحضارى وكان الدافع الرئيسى للمستشرقين بجانب هذه المصالح الاستعمارية، روحهم الصليبية التى لا تزال تدفعهم و تحركهم فى أغلبية حطواتهم ضد الاسلام و العالم الاسلامى

و تتجلى مظاهر هده الروح الصليبية الحاقدة التى احتمعت بعمالتهم للاستعمار الغربى السياسى و العسكرى و الاقتصادى فى هـذه الجهود الاستشراقية التى تدور حولها كتاباتهم و تعمل من أجل تحقيقها دراساتهم و بحوثهم :

١ـ إضعاف القيم الاسلامية الدينية و إضعاف ثقة المسلمين بدينهم و تعاليمه و مبادىء شريعة الاسلام .

٢ـ تمجيد القيم الغربية المسيحيـــة و الالحادية و إرساء قواعدها فى أذهان الشباب المسلم الناشئ و عقولهم .

٣ـ الاستهزاء بالثقافة الاسلامية و مظاهر الحضارة الاسلامية .

٤ـ القول بأن كل ما يوجد فى الثقافة الاسلامية من عناصر جيدة ومقبولة أخذها المسلمون من الثقافات والحضارات القديمة و كذلك العلوم الاسلامية كلهـا ، التى لا يوجد لكثير منها نظير فى تاريخ البشرية كلها فى كمالها وجامعيتها و شمولها ، مستمدة و مستعارة من هده الحضارة أو تلك الفلسفة .

٥ـ إثارة أسباب الفصل و عدم الاتحاد و الالتئام بين الشعوب الاسلامية و تأكيد الاهتمام و العناية بالحضارات القديمة والثقافات المحلية و على اللهجات المحلية و رفع منزلة كل من شذ من جماعات المسلمين فى آرائه و أفكاره أو نادى بقطع الصلة مع الأمة الاسلامية فى شكل من الأشكال .

ولا تزال الحركة الاستشراقية تنتقل من طور إلى طور ومن مرحلة إلى أخرى وفق المقتضيات و المتطلبات السياسيـــة للقوى الاستعمارية ، فكلما تغيرت متطلبات

الاستعمار بتغير زى المستشرقين أو على الأقل زى أغلبيتهم .

و يبدو أن الحركة الاستشراقية فى ثوبها الجديد بدأت على نطاق واسع بعد الحرب العالمية الثانية ، أى بعد استقلال أغلبية البلاد الاسلامية استقلالا سياسياً و تركز كتاباتهم وبحوثهم على نقاط مخصوصة ، أهمها تدعيم حركة التغريب والتسكك و التفرنس و التمركس ، و يحاول المستشرقون من خلال كتاباتهم أن يقنعوا الشباب المسلم أن مستقبل العالم الاسلامى ليس فى الرجوع إلى الاسلام ، بل فى الانغماس فى الحضارة والثقافة الأوربيتين وأن هذه الثقافة وهذه الحضارة اللتين يعتبرهما علماء أوربا الأفاضل على وشك الانهيار ، هما الهدف الأسمى ال...

لتاريخ المسلمين ، ونأخذ مثال أحد المستشرقين الذ...

عن التجمع السياسى » ويدعى المؤلف أنه قام بـ...

و الفكرى ، وأسس المؤلف بحثه على افتراض واقع ...

بالحضارة الأوربية فى الأمم الشرقية نتيجة إجبارية منطقية لتطور التاريخ ، ويقول إن كل ما صد سبيل هذا التطور بما فيه تعاليم الاسلام والثقافة الاسلامية فهو غير منطق ومصطنع ، ويقول : إن الاسلام مزيج غير مستقيم من العناصر اليهودية و النازطية والفارسية و النسطورية و العربية الجاهلية و هو مجموعة من الخرافات و الطقوس و الأوهام ، وأحب شخصية عربية إليه هو أحمد لطفى السيد الذى رفع لواء الوطنية المصرية و القومية المصرية و العلمانية و التصبغ بالصبغة الغربية (١)

و كذلك الحال عند جميع المستشرقين ، فنراهم يجلون و يبجلون من بين أبناء العالم الاسلامى كل من حاول قطع صلة المسلمين من ماضيهم المجيد الفاخر أو عمل فى اتجـاه يسير بالمسلمين إلى مستقبل منعزل عن حاضر المسلمين أو غابرهم ، فنراهم

---

(١) نقلا عن مجلة « فكر و نظر » العدد الخاص لذكرى يوم التأسيس ١٩٧٦م .

يجلون ويحترمون السير سيد أحمد خان وطه حسين و من حذا حذوهما ويعتبرونهم شخصية محبوبة إليهم ، و إلى جانب آخر نراهم يحاولون الحط من مكانة السيد جمال الدين الأفغانى و السيد أحمد بن عرفان و أمثالهما ، و هذه الشخصيات غير مرغوب فيها (Persona non Grata) لدى أغلبية المستشرقين

فأهداف البحث الاستشراقى إما تبشيرية إو استعمارية ، وكانت الأغلبية الساحقة من المستشرقين فى بداية الأمر من المبشرين ورجال الدين المسيحيين و الرهبان ، ونرى بين أجلاء المستشرقين أسماء « رويمر » و« مارثيليمى » و « جولدان ريبرا » و« لاماس » الذين كانوا من رجال الدين المسيحى و المبشرين الاستعماريين ، ثم أصبحوا أيضاً يعملون لتحقيق الأهداف الاستعمارية كما مرت الاشارة إلى ذلك

و يجدر بنا أن نلفت نظر القارىء الكريم إلى ما كتبه الأستاذ محمد أسد (ليوبولد وائس سابقاً) عن البحث الاستشراقى وطريقته ومنهجه فانه أجدر بابداء الرأى فى مثل هذه القضايا ، و لا ينبئك مثل خبير .

« إن طريقة الاستقراء والاستنتاج التى يتبعها أكثر المستشرقين تذكرنا بوقائع دواوين التفتيش ، تلك الدواوين التى أنشأتها الكنيسة الكاثوليكية لخصومها فى العصور الوسطى ، أى أن تلك الطريقة لم يتفق لها أبداً أن تنظر فى القرائن التاريخية بتجريد ، و لكنها كانت فى كل دعوى تبدأ باستنتاج متفق عليه من قبل ، قد أملاه عليها تعصبها لرأيها ، و يختار المستشرقون شهودهم حسب الاستنتاج الذى يقصدون أن يصلوا إليه مبدئياً ، و إذا تعذر عليهم الاختيار العرفى للشهود عمدوا إلى اقتطاع أقسام من الحقيقة التى شهد بها الشهود الحاضرون ثم فصلوها من المتن أو تأولوا الشهادات بروح غير علمى من سوء القصد من غير أن ينسبوا قيمة ما

إلى عرض القضية من وجهة نظر الجانب الآخر أى من قبل المسلمين أنفسهم (١) .

و يروى الأستاذ محمد أسد أيضاً عن أحد أئمة الحركة الاستعمارية وروادها ما يكشف نواياهم الاستعمارية فى جهودهم الفكرية ومساعيهم، وهو «غلاد ستون» رئيس و زراء بريطانيا الأسبق و أحد كبار زعمائها السياسيين و موطـدى أركان امبراطوريتها فى الشرق الاسلامى ، يقول غلاد ستون

مادام هذا القرآن موجوداً فلن تستطيع أوربا السيطرة على الشرق و لا أن تكون هى نفسها فى أمان » (٢) و هل كان هدف المستشرقين إلا إثارة الشكوك حول القرآن الكريم و تعاليمـــه و النظام الذى جاء به [illegible]
الشخصية الحميدة التى أتت به ﷺ و الجيل الصالح
رايته جيل تلاميذ الرسول ﷺ و صحابته .

ومما لاشك فيه أن الفكر الكلى العام الذى
تأثر بكتاباتهم هو ما سماه الدكتور محمد البهى بالفكر المثالى [illegible]
بالفكر الثائر على الاستعمار و على الجاهلية و على كل نظرية باطلة و فلسفة ضالة ونظام تعسفى ، فان الفكر الاسلامى الصحيح هو فكر ثورى خالص وانقلابى بحت يثور قبل كل شئ على كافة أنواع الباطل والجاهليـة و الطاغوت لأن الثورة على الباطل ومكافحة الجاهلية والكفر بالطاغوت ، كل ذلك يمثل مرحلة النفى . ومرحلة النفى كما قلنا تسبق مرحــلة الاثبات ، فان وظيفة المسلم الحر الصادق هى الكفر بالطاغوت أولا ثم الايمان بالله ثانياً ، كما قال الله تعالى . « و من يكفر بالطاغوت و يؤمن بالله فقــد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها » .

(١) محمد أسد . الاسلام على مفترق الطرق ، ترجمـــة الدكتور عمر فروخ ، طبع بيروت ص ٥١ ـ ٥٦ .

(٢) نفس المصدر ص ٣٩

بحث قيم فى التوحيد و مفهومه و أنواعه

— ٢ —

للعلامة عبد الحى الحسنى الندوى

مدير ندوة العلماء السابق

و قال شيخ الاسلام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوى (١) فى كتابه « حجة الله البالغة » أصل أصول البر وعمدة أنواعه هو التوحيد، وذلك لأنه يتوقف عليه الاخبات لرب العالمين الذى هو أعظم الأخلاق الكاسبة للسعادة ، و هو أصل التدبير العلمى الذى هو أفيد التدبيرين و به يحصل للانسان التوجه التام تلقاء الغيب ويستعد نفسه للحقوق به بالوجه المقدس ، وقد نبه النبى ﷺ على عظم أمره و كونه من أنواع البر بمنزلة القلب إذا صلح صلح الجميع ، وإذا فسد فسد الجميع ، حيث أطلق القول فمن مات لا يشرك بالله شيئاً أنه دخل الجنة أو حرمه الله على النار أولا يحجب من الجنة و نحو ذلك من العبارات وحكى عن ربه تبارك و تعالى من لقينى بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بالله شيئاً لقيته بمثلها مغفرة .

وقال إن للتوحيد أربع مراتب إحداها حصر وجوب الوجود فيه تعالى فلا يكون غيره واجباً ، و الثانية حصر خلق العرش و السماوات و الأرض و سائر الجواهر فيه تعالى ، و هاتان المرتبتان لم تبحث الكتب الالهية عنهما ، و لم يخالف فيهما مشركو العرب و لا اليهود و لا النصارى بل القرآن العظيم ناص على أنهما من المقدسات المسلمة عندهم ، و الثالثة حصر تدبير السماوات والأرض و ما بينهما

(١) المتوفى ١١٧٦هـ .

فيه تعالى، و الرابعة أنه لا يستحق غيره العبادة، و هما متشاكلتان متلازمتان لربط طبيعى بينهما ، و قد اختلف فيهما طوائف من الناس معظمهم ثلاث فرق ، النجاميون ذهبوا إلى أن النجوم تستحق العبادة و أن عبادتها تنفع فى الدنيا و رفع الحاجات إليها حق ، قالوا و قد تحققنا أن لها أثراً عظيماً فى الحوادث اليومية و سعادة المرء و شقاوته و صحته و سقمه ؛ و إن لها نفوساً مجردة عاقلة تعتنها على الحركة ، و لا تغفل عن عابدها فسوا هيا كل على أسمائها و عبدوها و المشركون وافقوا المسلمين فى تدبير الأمور العظام و فيما أبرم و حزم و لم يترك لغيره خيرة ، و لم يوافقوهم فى سائر الأمور . ذهبوا إلى أن الصالحين من قبلهم ع

وأعطاهم الله الألوهية فاستحقوا العبادة من سائر خلق

عبده فيحسن خدمته ويعطيه خلقه الملك ويفوض إليه

السمع والطاعة من أهل ذلك البلد ، وقالوا لا تقبل عبادة

بل الحق فى غاية التعالى لا تفيد عبادته تقرباً منه بل لابد من عبادة هؤلاء ليقربوا إلى الله زلفى ، وقالوا هؤلاء يسمعون و يبصرون و يشفعون لعبادهم ويدبرون أمورهم وينصرونهم فنحتوا على أسمائهم أحجاراً وجعلوها قبلة عند توجههم إلى هؤلاء فخلف من بعدهم خلف فلم يفطنوا للفرق بين الأصنام وبين من هى على صورته ، وظنوها معبودات بأعيانها ، و لذلك رد الله تعالى عليهم تارة بالتنبيه على أن الحكم و الملك لى خاصة و تارة ببيان أنها جمادات « ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها » و النصارى ذهبوا إلى أن للمسيح عليه السلام قربا من الله و علواً على الخلق فلا ينبغى أن يسمى عبدا فيسوى بغيره ، لأن هذا سوء أدب معه ، و إهمال لقربه من الله ، ثم مال بعضهم عند التعبير عن تلك الخصوصية إلى تسمية ابن الله نظراً إلى أن الأب يرحم الابن و يربيه على

عينيه و هو فوق العبيد فهذا الاسم أولى به ، و بعضهم إلى تسميته بالله نظراً إلى أن الواجب حل فيه وصار داخله ، و لهـذا يصدر منه آثار لم تعهد من البشر مثل إحياء الأموات و خلق الطير ، فكلامه كلام الله و عبادته هى عبادة الله لخلف من بعدهم خلف لم يفطنوا بوجه تسميته ، وكادوا يجعلون النبوة حقيقة أو يزعمون أنه واجب من جميع الوجوه ولذلك رد الله عليهم تارة بأنه لا صاحبة له ، و تارة بأنه بديع السماوات والأرض أنى يكون له ولد و لم تكن لى صاحبة ، إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون .

هذه الفرق الثلاث لهم دعاوى عريضة وخرافات كثيرة لا تخفى على المتتبع ، و عن هاتين المرتبتين بحث القرآن العظيم و رد على الكافرين شبههـم رداً مشبعاً . انتهى (١) قال الشيخ أحمد بن عبد الرحيم فى الفوز الكبير أما المشركون (المراد بهم مشركو العرب) و كانوا يسمون أنفسهم حنفاء و كانوا يدعون تديناً بالملـة الابراهيميـة ، و إنما يقال الحنيف لمن تدين بالملة الابراهيمية و التزم شعارها ، و شعارها حج البيت الحرام واستقباله فى الصلاة ، و الغسل من الجنابة والاختتان و سائر خصال الفطرة ، و تحريم الأشهر الحرم و تعظيم المسجد الحرام و تحريم المحرمات النسبية والرضاعية والذبح فى الحلق و النحر فى اللبـة ، و التقرب بالذبح و النحر خصوصاً فى أيام الحج ، و قد كان فى أصل الملة الوضوء والصلاة والصوم من طلوع الفجر إلى غروب الشمس و الصدقة على اليتامى و المساكين و الاعانة فى نوائب الحق وصلة الأرحام مشروعة ، وكان التمدح بهذه الأفعال شائعاً فيما بينهم ، ولكن جمهور المشركين كانوا يتركونها حتى صارت هذه الأفعال كأن لم تكن شيئاً ، و قـد كان تحريم القتل و السرقة و الزنا و الربا و الغصب أيضاً ثابتاً فى أصل

---

(١) حجة الله البالغة ص ٥٩ - ٦٠ ، ج ١ .

الملة ، و كان إنكار هذه الأشياء جارياً فى الجملة ، وأما جمهور المشركين فيرتكبونها و يتبعون النفس الأمارة فيها .

و قد كانت عقيدة إثبات الصانع سبحانه و تعالى و أنه هو خالق السماوات و الأرض و مدبر الحوادث العظام و أنه قادر على إرسال الرسل و جزاء العباد بما يعملون وأنه مقدر للحوادث قبل وقوعها ، وعقيدة أن الملائكة عباده المقربون المستحقون للتعظيم أيضاً ثابتة فيما بينهم ، و يدل على ذلك أشعارهم . وكان قد وقع لجمهور المشركين فى هذه العقائد شبهات كثيرة ناشئة من استبعاد هذه الأمور وعدم ألفتها ، وكان ضلالهم الشرك و التشبيه والتحريف و إنكار ...
صلى الله عليه و آله وسلم ، و شيوع الأعمال القبيحة و
الرسوم الفاسدة و اندراس العبادات ، و الشرك أن يثبت
شيئاً من صفاته المختصة به كالتصرف فى العالم بالارادة الذى ...
أو العلم الذاتى من غير اكتساب بالحواس و دليل العقل و المقام و الالهام و نحو ذلك ، أو إيجاد شفاء المريض أو اللعن لشخص و السخط عليه حتى يقدر عليه الرزق أو يمرض أو يشقى لذلك السخط ، أو الرحمة لشخص حتى يبسط له الرزق ويصح بدنه و يسعد ، و لم يكن المشركون أحداً فى خلق الجواهر و تدبير الأمور العظام و لا يثبتون لأحد قدرة على الممانعة إذا أبرم الله سبحانه و تعالى أمراً ، إنما كان إشراكهم فى الأمور الخاصة ببعض العباد ، وكانوا يظنون أن الملك على الاطلاق جل مجده شرف بعض العباد بخلعة الألوهية و يؤثر رضاهم و سخطهم فى سائر العباد كما أن ملكاً من الملوك عظيم القدر يرسل عبيده المخصوصة إلى نواحى الملك و يجعلهم متصرفين فى الأمور الجزئية إلى أن يصدر عن الملك حكم صريح فلايتوجه إلى تدبير الأمور الجزئية ويفوض إليهم أمور سائر العباد ويقبل

شفاعتهم فى أمور من يخدمهم ويتوسل بهم فيقولون بوجوب التقرب بعباد الله سبحانه المخصوصين المذكورين ليتيسر لهم قبول الملك المطلق وتقبل شفاعتهم للتقربين بهم فى مجارى الأمور ، و كانوا يجوزون بملاحظة هذه الأمور أن يسجد لهم و يذبح لهم و يحلف بهم و يستعان بهم فى الأمور الضرورية بقدرة « كن فيكون »

و كانوا ينحتون من الحجر و الصفر ، و غير ذلك صوراً يتخذونها قبلة التوجه إلى تلك الأرواح حتى يعتقد الجهال شيئاً فشيئاً تلك الصور معبودة بذواتها ويتطرق بذلك خلط عظيم . و التشبيه عبارة عن إثبات الصفات البشرية لله تبارك وتعالى فكانوا يقولون إن الملائكة بنات الله و إنه يقبل شفاعة عباده ، وإن لم يرض بها ، كما أن الملوك يفعلون مثل ذلك بالنسبة إلى الأمراء الكبار . وكانوا يقيسون علمه تعالى وسمعه و بصره الذى يليق بجناب الألوهية على علمهم و سمعهم وأبصارهم لقصور أذهانهم فيقعون فى القول و بالتجسيم و التحيز

وبيان التحريف أن أولاد إسماعيل عليه السلام كانوا على شريعة جدهم الكريم حتى جاء عمرو بن لحى فوضع لهم أصناماً وشرع لهم عبادتهم واخترع لهم من بحيرة وسائبة وحام ، واستقسام بالأزلام وما أشبه ذلك ، وقد وقعت هذه الحادثة قبل بعثة النبى ﷺ بثلاث مأة سنة تقريباً ، وكان الجهلة يتمسكون فى هذا الباب بآثار آبائهم ، وكانوا يعدون ذلك من الحجج القاطعة ، و قد بين الأنبياء السابقة الحشر والنشر لكن ليس ذلك البيان بشرح وبسط مثلما تضمنه القرآن العظيم ، ولذلك كان جمهور المشركين مطلعين عليه و كانوا يستبعدونه ، وهؤلاء الجماعة وإن اعترفوا بنبوة سيدنا إبراهيم و سيدنا إسماعيل عليهما الصلاة و السلام ، بل بنبوة سيدنا موسى عليه الصلاة و السلام أيضاً ، لكن كانت الصفات البشرية التى هى حجاب لجمال

الأنبياء الكامل تشوشهم تشويشاً ، و لم يعرفوا حقيقة تدبير الله عز وجل الذى هو مقتضى بعثة الأنبياء فكانوا يستبعدون ذلك لما ألفوا المماثلة بين الرسول و المرسل فكانوا يوردون شبهات واهية غير مسموعة ، كما قالوا فيم كيف يحتاجون إلى الشراب و الطعام و هم الأنبياء و هلا يرسل الله سبحانه و تعالى الملائكة و لم ينزل الوحى على كل إنسان على حدته و على هذا الأسلوب

و إن كنت متوقفاً فى تصوير حال المشركين و عقائدهم و أعمالهم ، فانظر إلى حال العوام و الجهلة من أهل الزما ... من سكن ... م باطراف دار الاسلام كيف يظنون الولاية ، و ماذا يخيل إليهم ...

يعترفون بولاية الأولياء المتقدمين يعدون وجود الأوليا

المحال و يذهبون إلى القبور و الآثار ويرتكبون أنواعاً .

إليهم التشبه والتحريف ، ففى الحديث الصحيح» لتتبعن ...

بالنعل » وما من آفة من هذه الآفات إلا و قوم من أهل هذا الزمان واقعون فى ارتكابها معتقدون مثلها ، عافانا الله سبحانه من ذلك ، وانتهى (١) .

و الحاصل أن رسل الله و أنبياءه من أولهم إلى آخرهم بعثوا لدعاء العباد إلى توحيد الله تعالى بتوحيد العبادة وإخلاص العمل له فكل واحد من الرسل أول ما يقرع به أسماع قومه قوله « يا قوم اعبدوا الله مالكم من الله غيره ، وأن لا تعبدوا إلا إياه ، وأن اعبدوا الله واتقوه» ونحو ذلك من الآيات ، وهذا هو الذى تضمنه قول لا إله إلا الله فانما دعت الرسل قومها إلى قول هذه الكلمة واعتقاد معناها لا مجرد قولها باللسان ومعناها هو إفراده تعالى بالالهية و العبادة و النفى كما يعبد من دونه و البراءة منه وهذا الأصل لا مرية فيما تضمنه و لا شك فيه ، و أنه لا يتم إيمان

---

(١) الفوز الكبير فى أصول التفسير ص ٤ - ٥ .

حتى يعلمه و يعتقده و يعمل بمقتضاه .

فتحصل من هذا أن التوحيد قسمان ، توحيد الربوبية و معناه أن الله تعالى وحده هو الخالق للعالم و هو الرب لهم و الرزاق لهم و هذا لا ينكره المشركون و لا يجعلون لله فيه شريكا بل هم مقرون به ، قال الله تعالى « ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله » و قال « قل من يرزقكم من السماء و الأرض أم يملك السمع والأبصار ، إلى قوله : فسيقولون الله » وقال « قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله » و قال « قل من بيده ملكوت كل شئ وهو يجير ولايجار عليه إن كنتم تعلمون سيقولون لله » إلى غيرذلك من الآيات ، وتوحيد الالهية ، ومعناه إفراد الله سبحانه وحده بجميع أنواع العبادات فهذا هو الذى جعلوا لله فيه الشركاء و لفظ الشريك يشعر باقرار بالله تعالى فالرسل عليهم السلام بعثوا لتقرير الأول ودعاء المشركين إلى الثانى بمثل قولهم فى خطاب المشركين « قل أتنبئون الله بما لا يعلم فى السماوات و لا فى الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون » فجعل اتخاذهم الشفعاء شركاء فيه و نزه نفسه المقدسة عنه لأنه لا يشفع أحد عنده إلا باذنه ، وأما تقسيم التوحيد إلى المراتب الأربع كما فعله شيخ مشايخنا أحمد بن عبد الرحيم الدهلوى فى حجة الله البالغة ، فاذا تأملت فيها وجدتها ترجع إلى القسمين اللذين ذكرنا هنا . والله أعلم .

الفقه الإسلامي

شبهات حول الحدود فى الاسلام

الدكتور عبد الكريم زيدان

تمهيـــــــد :

١ـ فى الشريعة الاسلامية عقوبات على ما يعتبر جرائم فى حكم الشريعـــة الاسلامية ، و هذه العقوبات ثلاثة أنواع، (الأول) ويسمى الحدود (والثانى) القصاص و الديات (و الثالث) التعزير .

و الحدود هى العقوبات المقدرة من قبل الشارع لبعض الجرائم وجبت حقاً لله (١) وهذه العقوبات هى عقوبة جريمة الزنا ومقدارها الجلد والتعزير أوالرجم . و عقوبة شرب الخمر و مقدارها الجلد بعدد محدود ، و عقوبة السرقة وهى قطع اليد ، و عقوبة الحرابة ـ أى قطع الطريق ـ وهى قطع اليد و الرجل من خلاف أو القتل و الصلب و النفى .

و عقوبات القذف و هى الجلد بعدد محدود ، و معنى القذف اتهام المقذوف بجريمة الزنا

وعقوبة البغى و هى قتل البغاة ، وعقوبة الردة وهى قتل المرتد بعد استتابته ثلاثة أيام .

٢ـ و هذه العقوبات عليها أدلة شرعية معتبرة مع إجماع الفقهاء ولا يختلفون

---

(١) الأحكام السلطانية للماوردى ص ١٠٢ .

فى هذه العقوبات و إنمـا يختلفون فى شروط وجوبها ، و تفصيل ذلك فى كتب الفقه المختلفة .

اعتراضات :

٣ـ و قد أثار البعض شبهات حول هذه العقوبات معترضين عليها صراحة حيناً و مخفين هـذا الاعتراض حيناً آخر ، فمن شبهاتهم و اعتراضاتهم على هـذه العقوبات ما يأتى :

ألف ـ إن هذه العقوبات جميعاً تعتبر قاسية جداً ومن ثم بعيدة ع [illegible]

ب ـ إن فى بعضها إهداراً لآدمية الانسان كما و

ج ـ فى بعضها تدخل فى حرية الانسان الشخصية [illegible]

تم عن رضا بلا إكراه فلا يجوز العقاب عليه لأنه من ،

و مثله عقوبة شارب الخمر .

د ـ و عقوبة المرتد فيها معنى الاكراه على الدين و التدخل بحرية الانسان فى الاعتقاد .

هـ و بعضها فيه بتر الأعضاء و الأرجل ، و هذا أسلوب قديم فى العقاب يجب أن يزول فضلا عما فيه أن تعطيل المعاقبين عن الكسب وصيرورتهم عالة على المجتمع .

تلك هى مجمل اعتراضاتهم التى يثيرونها على العقوبات المسماة بالحدود ، وهذه الاعتراضات هزيلة لا تثبت أمام المناقشة الموضوعيـــة و نرد عليها بايجاز فيما يلى بنفس تسلسل فقراتها ، فنقول (١) .

٤ـ أ ـ بالنسبة لقسوتها و بعدها عن العدل كما يزعمون نقول :

---

(١) أنظر كتابنا المدخل لدراسة الشريعة الاسلامية ص ٥٢ ـ ٥٤ ، و كتابنا مجموعة بحوث فقهية ص ٤١٠ ـ ٤١٦ .

فى كل عقوبة يجب أن يتوفر مقدار كاف من الايلام ليردع من تسول له نفسه الاقدام على الجريمة، وهذا الايلام يتناسب طردياً مع جسامة الجريمة، والايلام شئ قاس بطبيعته، فاذا ما كان بالقـــدر المناسب للجريمة كان كافياً للردع و محققاً للعدالة. و هذا موفور فى عقوبات الحدود و فى العقوبات الشرعية الأخرى قال تعالى «و جزاء سيئة سيئة مثلها» كما أن هذه العقوبات حققت الردع بالقدر الممكن يوم كانت هى المطبقة، و لكنها عند ما عطلت كثرت هـــذه الجرائم، و الاحصائيات تدل على ذلك

٥ـ ب ـ ادعاء إهدار الآدمية فى الجلد، مردود بأن الزانى هو الذى أهدر آدميته عند ما أباح لنفسه أن يلغ فى إناء غيره وأباح لنفسه أن ينزل إلى مستوى الحيوان فى الاتصال الجنسى، و مثل هذا الشخص يحتاج إلى الجلد بعد انحداره إلى هـذا المستوى.

وأما جلد شارب الخمر، فمرده حرص الشريعة على عقل الانسان من التعطل أوالزوال وما يترتب على ذلك من إقدام على الاجرام، و أما جلده فى جريمة القذف فلأن القاذف يريد تلويث سمعة و عرض المقذوف و إشاعة الفاحشة فى المجتمع مع أن الاسلام يريده مجتمعاً طاهراً عفيفاً نظيفاً حتى من كلمات الفحش فضلا عن عمل الفاحشة.

و قد يقال هنا، إن جريمة الكفر و الردة أكبر من جريمة الزنا، و لو قال إنسان لآخر مسلم «يا كافر» فمعنى ذلك أنه اتهمه بالردة عن الاسلام و مع هذا لا يعاقب القاذف بالجلد ثمانين جلدة بينما لو قال شخص لامرأة (يا زانية) و عجز عن الاثبات فانه يجلد ثمانين جلدة، أو ليس فى هـــذا تفاوت و بعد عن العدالة فيه؟ والجواب على ذلك أن المقذوف بالكفر و الردة يستطيع أن يكذب القاذف بأن يتلفظ الشهادتين فيقول أشهد أن لا إله إلا الله و أشهد أن محمـــداً

رسول الله ، و لكن ماذا تفعل المرأة المقذوفة بالزنا لتكذيب القاذف ؟ و من طبائع الناس تلقف قالة السوء حتى لو كانت المقذوفة من الطاهرات . ولنا فى قصة الافك و رمى السيدة أم المؤمنين عائشة الصديق رضى الله عنها خير دليل ، من أجل هذا غلظت الشريعة الاسلامية عقوبة القاذف حفظاً لأعراض المسلمين والمسلمات و صيانة المجتمع من قول الفحش والتعود عليها والاستهانة به لأن يجر إلى الاستهانة بفعل الفاحشة .

٦ ـ ج ـ الزعم بأن فى بعضها تدخلا فى حرية الشخص فى عقوبة الزنا و شرب الخمر ، وليس الأمر كما زعموا ، لأن حرية الشخص تقف

وإفساد فى المجتمع . و الزنا وإفساد وتخريب بيوت فى

فى الزنا لا يغير من جريمة الزنا شيئاً لأن العرض مما لا

إن الاسلام يريد سلامة الأسرة و حفظ الانسان و عدم ضياع [illegible] هذا يحصل بمنع الزنا ، و منعه يكون بتحريمه و العقاب عليه ، فلا يجوز لرجل شريف غيور أن يصيح معترضاً على عقوبة الزنا ، و إنما يمكن أن يصدر هذا الصياح ممن لا يهتم بعرض و لا شرف و لا كثرة الأخطاء فى المجتمع .

أما عقوبة شرب الخمر وإنها تدخل فى حرية الانسان ، فالرد على هذا القول أن شرب الخمر يؤدى إلى الجريمة ومن حق المجتمع أن يمنع الجريمة ويسد منافذها و على الانسان أن يخضع لقيود المجتمع النافعة له و للفرد نفسه .

٧ـ د ـ أما عقوبة المرتد و إنها تعنى الاكراه على الاعتقاد و أنها تدخل فى حرية العقيـــدة ، فالجواب أن المرتد رجل كان مسلماً وارتد ، أى إنه ارتكب جريمة تسمى (الردة) فيعاقب على هذه الجريمة ، وسبب كونها جريمة أن المسلم باسلامه التزم أحكام الاسلام ، وبردته يكون قد نقض هذا الالتزام ، و من المعلوم

أن هناك عقاباً لمن يخل بالتزامه أو بنقضه ، و قد يكون العقاب إعدام الشخص كالذى يخون وطنه و يتجسس على بلاده لمصلحة العدو ، فهذا الفعل نقض لالتزام كل مواطن بأن لا يتجسس على بلاده ، و عقوبة هذا المواطن الخائن الاعدام ، فلا غرابة فى قتل المرتد و مع هذا يمهل ثلاثة أيام فان تاب و رجع عن ردته سقط عنه العقاب ، فعقوبة المرتد لا علاقة لها بحرية العقيدة و لا بالاكراه على الدين و إنما هى عقوبة لجريمة الردة إذا ارتكبها المسلم .

٨ـ هـ ـ ادعاؤهم أن بتر الأعضاء فى العقاب أسلوب قديم يؤدى إلى صيرورة المعاقب عالة على المجتمع ، ادعاء مردود ، بأن العبرة ليست بكل جديد ، فما كل جديد مقبول و لا كل قديم مرفوض ، و إنما ميزان القبول و الرفض هو الصلاحية . و لا شك أن قطع اليد عقاب صالح لأنه رادع بالقدر الكافى ، وقد أدى مهمته فى الماضى فمنع الاجرام و أمن الناس على أموالهم ، أما عقوبة الحبس للسارق فى الوقت الحاضر فما ردعت السراق و قللت جرائم السرقة بل هى فى تزايد مستمر وأصبح السجن منتدى يتجمع فيه السراق فيتبادلون خبراتهم فى عالم السرقة و الاحتيال .

وأما صيرورة المعاقب والمقطوع يده عالة على المجتمع ، فهذا غير صحيح لأن مقطوع اليد يستطيع أن يعمل بعض الأعمال ، و حتى لو صار عالة ، فهذا خير من أن يكون أداة رعب وتخريب و فزع فى المجتمع ، و اليد على كل حال أهون من الرأس ، و الرأس يقطع فى بعض الجرائم التى يستحق مرتكبوها قطع الرأس ، فكذا اليد يجب أن تقطع ـ وهى أقل شأناً من الرأس ـ فى الجرائم التى يستحق مرتكبوها قطع يده .

وصلى الله على سيدنا محمد و على آله وصحبه وسلم و الحمد لله رب العالمين .

شبهات حول الفقه الاسلامى

(٥)

محمد صدر الحسن الندوى

إن هناك قواعد نقلت من القانون الرومانى بنصها ، مثل « البينة على من ادعى و اليمين على من أنكر » .

هذا أيضاً من الفرية الكبيرة على الاسلام ، والحقيقة
فى القانون الرومانى مطلقاً ، بل نجد عكس ذلك ، و هو
و المدعى عليه) يصح لكل واحد منهما أن يأتى بالشهادة
هذه القاعدة أن البينة على من ادعى و اليمين على من أنكر . و هنا ننقل صورة المرافعة التى توجد فى كتب القوانين الرومانية .

يكتب آر ، دبليو ، ليح ، صورة المرافعة فى كتـــابه « القوانين الرومانية الخاصة » يقول :

صورة المرافعة .

« أدعى أن هذا العبد أملكه أنا ، وفقاً للحق الذى منحنى قانون البلاد وكما بينته فى الدعوى ، أنظروا ، أمسه بعكاظى ، و بعد ذلك كان يمسه حسب بيانه ، و كان هذا رمزاً للملكية ، » بعد ذلك كان المدعى عليه ينهج نفس ذلك المسلك و يؤدى تلك الألفاظ بلسانه وبعد ذلك كان يأمر القاضى أن يترك ذلك العبد و يقول لهما أن تتركا ذلك العبد و كان يترك فعلا ، و بعد ذلك كان المدعى يسأل المدعى عليه

كيف تستحق ذلك العبد ، أسألك عنه أنا ، لم تدعى هـــذه الملكية ، و بعد ذلك كان المدعى عليه يبين حق ملكيته باجمال ، و يقول قد أحسست بأن ألقيت عصاى عليه و بعد ذلك كان المدعى ينكر على حقه و يقول للمدعى عليه أن يشترط لهذه القضية ويقول : إذ أنك قمت بالدعوى من غير حق لذلك اشترط منك خمسمائة روبية فى هذه القضية ، وكذلك كان المدعى عليه يقول للمدعى أن يشترط ، ويقول أقول لك أنا أن تشترط فى هذه القضية وبعد ذلك كان القاضى يقوم بالاجراءات التالية

(الف) كان يعطى العبد فى ملكية أحد الفريقين إلى أن تتم عملية القضاء .

(ب) و كان يأمر القاضى ، الفريق الذى أعطاه العبد ، أن يضمن للفريق الثانى بأنه سيعيد الشئ بعوائده فى صورة الفشل فى القضية .

(ج) و كان يأمر الفريقين

و كان مقدار الشرط خمسمائة روبية . و إن كان ثمن الشئ الذى ادعاه أقل من ألف (Asses) روبية ، أو إن كانت الدعوى لاثبات الحرية أو الرق فى شخص . وكانت تشترط فيها خمسون روبية

و بعد ذلك كانت القضية ترفع إلى القاضى فى محكمته وكانت هذه الاجراءات المعقدة تهدف إلى نقص الشئ ، و كانت المحكمة تعين القاضى بعد مدة ثلاثين يوماً حسب القانون ، و بعد تعيين القاضى كان الفريقـــان (و لا فرق بين أن تكون الدعوى للعين أو الدين) يصدران الاعلام بأن تجرى الاجراءات للقضية فى اليوم التالى . وبعد ذلك كان الفريقان يبينان النواحى المهمة لقضيتهما باجمال أثناء اجراء النظر فى القضية (أجوبة الفريقين و حوارها (Cause Conjunctio) وبعد ذلك كانت توخذ الشهادات و كان القاضى يقضى بالملكية لأحد منهما .

كانت الشهادة توخذ بالحلف ، و كان كل فريق يجوز له أن يطـــالب فريقاً آخر

أن يحلف موضع الشهادة أو كان القاضى يقدم هذا المقترح بنفسه (١) .

أ رأيتم تشويهاً للحقائق من المستشرقين ، وقد وقع فريسة هذا الخداع الدكتور أحمد أمين، حيث يقول فى « فجر الاسلام » وهو يرد على افتراءات المستشرقين .

« ولسنا نرى أن الأدلة أتوا بها مقنعة ، وتشابه بعض أحكام فى قانونين لايجعلنا نقطع بأخذ أحدهما عن الآخر سيما إذا روعى أن القوانين إلهيـــة أو وضعيـة ، تراعى العدالة فى التقنين ، وهناك أمور واضحة العدالة يتفق فيها المشرعون كقاعدة البينة على من ادعى و اليمين على من أنكر » (٢)

وقد أثبتت صورة المرافعة التى قدمت نصها بعد الترجمة الإنكليزية

أن هذه القاعدة التى يقول المستشرقون فيها كذا و كذا ،

الرومانية ، و هذه ، هى قصة جميع الافتراءات فى القانون

٨ــ قالوا : إن كلمة Juris و هى تدل على الفهم و المعرفة

يشبه هذا .

إنهم يريدون بهذا الادعاء أن لفظ « الفقه » الذى استخدمه الفقهاء كمصطلح لم يكن له أى سند فى الاسلام بل استوردوه من الغرب و هذا المعنى مقتبس من كلمة Juris التى معناها الفهم و المعرفة و الحكمة ، و الحقيقة أن كلمة الفقه استعملها القرآن قبل امتزاج العرب بالرومان ، فقال : فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين (٣) .

« و كلمة الفقه فى أصل اللغة العربية العلم بالشئ و الفهم له ثم غلبت على معنى

(١) القوانين الرومانية الخاصة ص ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٩٧ (آر ، دبليو ، ليج)

(٢) فجر الاسلام ص ٢٤٧ الطبعة الثانية عشرة ١٩٧٨

(٣) سورة التوبة الآية ١٢٢

العلم بالدين و الفهم له ، ثم غلبت على هذا النمط من العلم علم التشريع لأنه يتطلب فقها فى الدين و المعرفة بالكتاب و السنة ، ولم نعثر على أحد من الأئمة المشرعين أشار أية إشارة إلى القانون الرومانى على سبيل النقد أو التأييد أو القياس » (١)

و كذلك استعملها الحديث النبوى الشريف فى نفس المعنى الذى استعملها القرآن فيه ، جاء فى صحيح البخارى :

قال حميد بن عبد الرحمن سمعت معاوية خطيباً يقول سمعت النبى ﷺ يقول . « من يرد الله به خيراً ، يفقهه فى الدين و إنما أنا قاسم و الله يعطى ، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله » (٢)

و جاء فى حديث آخر أخرجه البخارى :

عن أبى موسى عن النبى ﷺ قال مثل ما بعثنى الله به من الهدى و العلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلاء و العشب الكثير و كانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا و سقوا و زرعوا و أصاب منها طائفة أخرى إنما هى قيعان لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأً فذلك مثل من فقه فى دين الله ونفعه بما بعثنى الله فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأساً و لم يقبل هدى الله الذى أرسلت به (٣)

و قال رسول الله ﷺ . خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام إذا فقهوا (٤) .

و قال النبى ﷺ خياركم فى الجاهلية خياركم فى الاسلام (٥) .

---

(١) فجر الاسلام ص ٢٤٧ (٢) صحيح البخارى ص ١٦

(٣) البخارى ص ١٨ (٤) صحيح البخارى ص ٤٧٩

(٥) صحيح البخارى ص ٤٧٨

٩ـ قالوا : إن مذهب الأوزاعى اندثر ولو عثرنا عليه لوجدنا فيه أثراً كبيراً للقانون الرومانى

هذا أيضاً كذب واختلاق ، و قولهم «لو عثرنا عليه لوجدنا فيه أثراً كبيراً للقانون الرومانى» ليس بصحيح . فان جزءاً كبيراً من مذهبه يوجد فى كتاب الأم للامام الشافعى والتحقيق العلمى الرصين الجدى لمذهبه يدل على أنه كان من «مدرسة الحديث» لا من «مدرسة الرأى» .

يقول الشيخ محمد الخضرى فى كتابه ، «تاريخ التشريع الاسلامى»

«كان الأوزاعى من رجال الحديث الذين يكرهون القياس و كان أهل الشام يعملون بمذهبه ، و قاضى الشام أوزاعى» (١)

و إلى هذه الحقيقة الناصعة تشير العبارة التالية .

«وقد كان أولى الناس بالتأثر القانونى الأوزاعى فهو

أكبر مدرسة رومانية فى الشام و كان أكبر فقيه فيها

صالحة من مذهبه فى الجزء السابع من الأم ، ودلنى على أن من الانصاف أن يعد الأوزاعى من مدرسة الحديث لا من مدرسة الرأى عكس ما يقول «جولد زيهر» و مدرسة الحديث أبعد منطقة من التأثر بالقانون الرومانى (٢)

اعترافات المستشرقين بأصالة الفقه الاسلامى .

أثبتت الدلائل المقنعة فى الصفحات السالفة أن الفقه الاسلامى لم يتأثر بالقانون الرومانى فى قليل ولا كثير بل له ذاتيته المستقلة و هو زاخر بالقوانين التى تحتاج إليها البشرية ، وهو لم يمد يد الاستفادة و الاقتباس إلى أية مدنية راقية فى قوانينها

---

(١) تاريخ التشريع الاسلامى ص ٢٦٧ - ٢٦٦ للشيخ محمد الخضرى الطبعة الخامسة ١٩٣٩ - ١٣٥٨ .

(٢) فجر الاسلام ص ٢٤٨

الموضوعة فى عهد تدوينه ، وقد اعترف بها المستشرقون الذين يهدفون إلى التحقيق العلمى والبحث ولا يريدون التشويه للحقائق ، وننقل هنا بعض الاعترافات لهم .

كتب جى . ايچ . بوسكى (G . H Bousquet) مقالا فى المجلة الجزائرية للقانون تحت عنوان « تدوين الفقه و أحجية بدئه » و هو يبحث عن تأثير القوانين الرومانية على الفقه الاسلامى ، و أسهب فى هـذا ، و بعد ذلك يقول مستنتجاً من البحث « إن الفقه الاسلامى له ذاتيته المستقلة ولم يؤثر عليه أى قانون أجنبى (١) .

قال الأستاذ شبول عميد كلية حقوق جامعة فيينا فى مؤتمر الحقوقيين سنة ١٩٢٧ « إن البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمد (ﷺ) إذ أنه رغم أميته استطاع قبل بضعة عشر قرناً أن يأتى بتشريع سنكون نحن الأوربيين أسعد ما نكون لو وصلنا إلى قمته بعد ألفى سنة (٢)

يقول جرجى زيدان فى كتابه « تاريخ آداب اللغة العربية » وهو يعترف بفضل الفقـه الاسلامى . « فترى مما تقدم أن المسلمين دونوا فقههم و أقروه و استنبطوا الأحكام و الشرائع قبل انقضاء القرن الثانى من تأسيس دولتهـم ، و لم يتفق ذلك لدولة من الدول » (٣) .

كتب الدكتور سى ، ايـه ، نال لينو الايطالى مقالا ضافياً حول الفقـــه الاسلامى و أثبت فيه ، « أن الفقه الاسلامى لم يتأثر بالقانون الرومانى ، فى قليل و لا كثير » (٤)

---

(١) مجلة معارف الشهرية الأردية ص ١٦٥ - ١٤٨ مارس ١٩٥٨ م الصادرة من أعظم جراه الهند .

(٢) مجلة القبس ص ١٤ .

(٣) تاريخ آداب اللغة العربية ص ١٤٤ الجزء الثانى .

(٤) جراغ راه مجلة أردية باكستانية عدد خاص للقانون المجلد الأول ١٩٥٨م

لا نريد بإيراد اعترافات المستشرقين أن الفقه الاسلامى ، لم يتأثر بالقانون الرومانى لأنهم اعترفوا بها ، بل قد أثبتنا بالدلائل المحكمة أن الفقه الاسلامى لم يتأثر بأى قانون من القوانين الرومانية ، لو لم يعترف بها أحد من المستشرقين ، لكننا أوردنا أسماءهم ، لأنهم تحروا الحق والصواب فى البحث عن حقيقة الفقه الاسلامى فوصلوا إلى تلك النتيجة التى وصلنا إليها بعد البحث و التحقيق ، فلله الحمد ، وأرجو أن من يبحث عن تدوين الفقه الاسلامى فى طوره البدائى بحثاً حراً من غير أن يخضع النصوص و الدلائل لأهواء النفس و رغباتها ، و من غير أن يكون مطية للجمعيات . و الهيئات التى تغذى هـذه الفكرة الخاطئة و تشجع السكراء ، سوف يصل إلى هذه النتيجة ، وكيف لا ؟ !

كيف استطاعوا أن يصلوا إلى هذه القمة فى تدوين الفقه

و لم يغفلوا شيئاً إلا أحاطوا به ، فأقول لهم ، إن الأشي

تبعث على الاستغراب ، فهل يريدون إن يصفوا المآثر الاسلامية كلها على العرب ، لكنه لا يمكن لهم أن يصلوا إلى تلك القمة .

هيهات لا يأتى الزمان بمثله إن الزمان بمثله لبخيل

فهل أغفلوا انتشار الاسلام ، فإن شمسه طلعت من أفق تهامـة و أضاءت بأنوارها سهل الأرض و جبلها و امتدت أشعتهـا إلى ما وراء بلاد العرب شرقاً و غرباً وجنوباً و شمالا ، وكل ذلك فى أقل من ربع قرن ، بحيث لايزال مورخو العالم يعضون بنان الكف من عجب وحيرة ، و كـذلك جاء المسلمون باختراعات واكتشافات فى ميدان العلوم و الفنون . فهل اقتبسوا فن أسماء الرجال وفن الجرح والتعديل وفن أصول الفقه وعلم الجبر والكيمياء والمثلثات ، وعلم الرياضيات من الغرب لا ، وألف مرة لا ، فإذا كان من الميسر لهم أن يأتوا بهذه العلوم حيث صاروا مخترعين

لهذه الفنون فهل لايستطيعون أن يأتوا بعجائب فی فن الفقه و له صلة وثيقة مباشرة لحياة المسلم اليومية .

و الحقيقة أن المسلمين بفضل الاسلام استطاعوا أن يقوموا بجلائل الأعمال فی مدة قصيرة ، لا يمكن أحداً أن يأتی بها فی قرون ، هذا لأن الاسلام أشعل فی قلوبهم الحرة الايمانية وحثهم علی تعلم العلوم والفنون بل أمر بها المسلمين فی صور شتی وأساليب مختلفة . و أول وحی أتی النبی ﷺ يبتدیء بالقراءة و القلم قال الله تعالی : « اقرأ باسم ربك الذی خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذی علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم » (١) و قال النبی ﷺ " بعثت معلماً (٢) . و قال " أطلبوا العلم ولو بالصين (٣) و لذلك تحملوا المشاق فی تلقی العلوم بحيث لا يمكن الغرب أن تقيسها فضلا عن أن يخوض غمارها .

و ننقل هنا مقتطفاً من مقدمة كتاب « المدخل الفقهی العام إلی الحقوق المدنية فی البلاد السورية » للأستاذ مصطفی أحمد الزرقاء ، يشير إلی أهمية الفقه الاسلامی لدی المستشرقين ، يقول

« عقدت شعبة الحقوق الشرعية من المجمع الدولی للحقوق المقارنة مؤتمراً للبحث فی الفقه الاسلامی فی كلية الحقوق من جامعـــة باريس تحت اسم « أسبوع الفقه الاسلامی » برئاسة المسيو (Milliot) أستاذ التشريع الاسلامی فی كلية الحقوق بجامعة باريس و دعت إليه عدداً كبيراً من أساتذه كليات الحقوق العربيـة و غير العربيـة و كليات الأزهر ، و من المحامين الفرنسيين و العرب و غيرهما ، و من

---

(١) سورة العلق الآية ١ ـ ٥ .

(٢) ابن عبد البر جامع بيان العلم ج ١ .

(٣) جامع بيان العلم لابن عبد البر باب طلب العلم فريضة علی كل مسلم

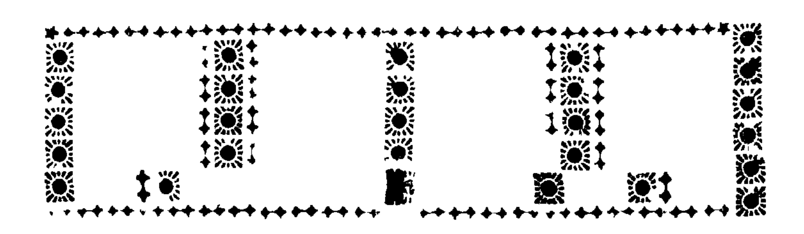
ستشرقين و اشترك فيه من مصر أربعة أعضاء : اثنان من جامعة فؤاد ، و عميد
، الحقوق فى جامعة إبراهيم وأحد أعضاء هيئة كبار العلماء عن الأزهر و اشتركت
، أنا مع الأستاذ الدكتور معروف الدواليبى عن كلية الحقوق السورية و فى ختام
ـتمر وضع المؤتمرون بالاجماع هـذا التقرير الذى نترجمة فيما يلى .

بناءاً على الفائدة المتحققة من المباحث التى عرضت أثناء « أسبوع الفقـــــــه
ٍسلامى » و ما جرى حولها من المناقشات التى تخلص منها بوضوح

(أ) إن مبادىء الفقه الاسلامى لها قيمة (حقوقية تشريعية) لايمارى فيها .

(ب) و إن اختلاف المذاهب الفقهية فى هذه المجموعة الفقهية العظمى ينطوى
ى ثروة من المفاهيم و المعلومات ، و من الأصول الحقوقية
بها يتمكن الفقه الاسلامى أن يستجيب لجميع مطالب الـ
احاتها » (١) .

هذا آخر ما أردت تسويده ابتغاءاً لوجه الله و دفاعـ
ال اهتمام الباحثين ويشق لهم طريقاً جديداً نحو التأمل والتفكير حول الفقه الاسلامى .
و آخر دعوانا عن الحمد لله رب العالمين .



(١) المدخل الفقهى العام للأستاذ مصطفى أحمد الزرقاء الجزء الأول ص ج د هـ

مع سماحة الشيخ الندوى فى كتابه الجديد

روائع من أدب الدعوة فى القرآن و السنة

الأستاذ محمد الرابع الحسنى الندوى
رئيس كلية اللغة العربية بجامعة ندوة العلماء

الحمد لله رب العالمين ، المنزل للصحف و المفجر لمنابع الحكم ، و الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ الذى أوتى جوامع الكلم ، وعلى آله و أصحابه القادة إلى السبيل الأقوم ، و من تبعهم باحسان و دعا بدعوتهم من الشعوب و الأمم .

أما بعد ! فقد كان عام ١٤٠٠ الهجرى سنة افتتاح الدراسة فى المعهد العالى للدعوة و الفكر الاسلامى لدار العلوم بدوة العلماء ، و كان من نجاح هـذه السنة أنها ازدادت بسلسلتين قيمتين من المحاضرات . إحداهما لسماحة أستاذنا أبى الحسن على الحسنى الندوى ، و قد تركزت على موضوعات أسلوب الدعوة فى القرآن . و أخراهما لفضيلة الدكتور يوسف القروضاى ، وقد أحاطت بموضوعات مهمة للفكر الاسلامى

أما موضوعات أسلوب الدعوة فى القرآن فلم تكن من أهم المواد الدراسية فى منهج المعهد العالى للدعوة و الفكر الاسلامى وحده ، بل إنما هى من أهم المواد الدراسية التربوية لدار العلوم بدوة العلماء كلها . ولقد كان من أهم أهداف دارالعلوم ندوة العلماء منذ تأسيسها ، هى خدمة الدعوة الاسلامية و تربية أبنائها لها ، و قد جعلت الاعتماد فى ذلك بصورة خاصة على كتاب الله وسنة رسوله ، فعندما نستعرض المواد الدراسية فى منهج دار العلوم ندوة العلماء نجد أنها تدور حول هـذه النقطة مباشرة أو بوجه غير مباشر .

و اعتنت دار العلوم ندوة العلماء بتعليم اللغة العربية أيضاً كلغة حيـــة عملية كتابة و خطابة و حواراً ، و كان ذلك مما سبقت به ندوة العلماء شقيقاتها فى شبه القارة الهندية ، و هى أداة مهمة لخدمـــة الدعوة الاسلامية ، و لاستقاء الروح و الهداية من المنابع الأصيلة ، تؤيد هذه الفكرة آية : « و ما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومــــــــه ليبين لهم » و من أهم ما اعتنت به ندوة العلماء قبل كل مؤسسة تعليميـــة أخرى هو تدريس القرآن الكريم بصورة مباشرة ، كان ذلك بالاستناد إلى كتب التفسير المعتبرة و لكنــه لم يكن من خلالها . و هاتان مادتان مهمتان جداً يجب المهارة فيهما لكل مشتغل بالدعوة و التربيـــة و لا يمكن استقاء الهداية و الارشاد الصحيح إلا بالاعتماد على هـــذين العنصرين الأدبية و الفكرية للدعوة ، و هما معرفة اللغة معرفة عملية نصوص القرآن الكريم .

و خير النماذج للداعية الاسلامى هى ما قصه علينا الدعوة و التبشير والانذار ، وما صوره من نماذج نفسية واجتماعية وادبية مختلفة ، و ما ذكره من حوار الأنبياء السابقين مع أممهم و مواجهتهم لردها عليهم ، وكيف عرضوا عليها الدعوة الفاضلة . و ما هو الأسلوب البليغ الذى اتبعوه فى ذلك .

إن كل ذلك من أهم الدعائم التى تقوم الدعوة الاسلامية عليها ، و لا يمكن الاستغناء عنه للداعية الاسلامى فى أى عصر و مصر

و كان من سعادة المعهد العالى للدعوة و الفكر الاسلامى أن تدريس هـــذه المادة المهمة للدعوة الاسلامية قد حظى باعتناء الداعية الاسلامى و المفكر الاسلامى سماحة أستاذنا السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى بصورة خاصة و هو الذى حاز السبق بفتح المعهد العالى للدعوة والفكر الاسلامى فى دار العلوم ندوة العلماء . وذلك تحقيقاً للحلم العظيم الذى ساور نفوس بناة ندوة العلماء منذ تأسيسها .

و كان سماحة أستاذنا من أليق الناس بتدريس هذا الموضوع ، ذلك أولا

لأنه درس اللغة العربية دراسة عملية دقيقة و تفهم روحها البلاغيــــة ، و مارس الكتابة و الكلام فيها بأسلوب بليغ حاز من أهل هذه اللغة التقدير و الاعجاب ، و ثانياً أنه تخصص فى علوم القرآن و تفسيره و درسهما بصورة عميقة أيضاً ، ثم اشتغل بتدريسه مدة من الزمن ، ومن اطلع على كتاباته ومؤلفاته عرف أنها تعتمد على القرآن الكريم قبل أن تعتمد على غيره ، و تستمـــــــــد منه الروح و القوة والايمان ، وذلك سر قوتها و تأثيرها ، فكان خير من يدخل فى موضوع قرآنى مهم و يبحث فيه عن حذارة و كفاءة

و لقد كان أول ما بدأ به الأستاذ الجليل فى مجال خدمة الدعوة الاسلامية ، هو إلقاء الخطب العامة و المحاضرات التوجيهيــة فى عامة المسلمين ، و إلقاء دروس مستقاة من نصوص القرآن الكريم أمام الطبقة المثقفة من المسلمين ، و قـــد حاز العملان التقدير و الاعجاب من السامعين ، و عرف سماحته بمهارة العرض والشرح و بلاغة القول فى ذلك ، كما خدم القرآن الكريم بمقالات علمية و أدبيــة أيضاً ، و كانت تبين جوانب البلاغة و الحكمة من كتاب الله تعالى ، فقد ألف فى هـذا المجال كتاب « مبادىء دراسة القرآن و أصولها » باللغــة الأردية ، و « الأدعية النبوية و بلاغتها » باللغة الأردية أيضاً ، و « تأملات فى التنزيل » باللغـة العربية و « بين الايمان والمادية » تفسير سورة الكهف باللغة العربية أيضاً ، و له مقالات و بحوث أخرى فى هذا المجال

وهذا كتاب جديد من سلسلته القرآنية ، يجمع محاضراته التى ألقاها أمام طلبة المعهد العالى فى مادة أسلوب الدعوة فى القرآن الكريم فى قاعة المعهد العالى للدعوة و الفكر الاسلامى ابتداءاً من ذى القعـــدة الحرام ١٣٩٩هـ (الموافق ١٦ أكتوبر ١٩٧٩م) و نقدم هذا الكتاب للراغبين فى الدراسات القرآنية رجاء أن يعم النفع ويمكن الاعتماد عليه عند تدريس هذه المادة ، والله ولى التوفيق و به الثقة .

المرأة قبل الاسلام و بعـده

(١١)

الأستاذ سعيد بن عبد الله سيف الحاتمى

« حق التملك »

يعترف الاسلام بالملكيات الخاصة للمرأة سواء كانت تلك الملـ

أو أى شئ آخر اعترافاً كاملا ولا يطرأ أى تغيير أو تعـ

بكراً أو ثيباً أو أرمـلة ، أو وضعت يدها على تلك الحـ

بيع أو شراء أوهبة أو غير ذلك دون تدخل أى شخص ر

أو أماً و غيرهم

إن الاسلام قد منحها هذا الحق ضمن الحقوق العديدة التى منحها قبل أربعة عشر قرناً من الزمن فى حين كانت الحضارات السائدة آنذاك قد جعلت المرأة سلعة من السلع تباع و تشترى و يرثها الرجل و يعمل بها كما يشاء ، و قد استمرت هـذه الحالة فى العالم على مستويات مختلفة إلى القرن الثالث عشر الهجرى (التاسع عشر الميلادى) و من ضمن الحقوق التى أعطاها الاسلام حق الارث أنها ترث نسبة معينة من الميراث ، و تكون عادة نسـبـة الذكر مثل حظ الأنثيين و لها مطلق الحرية فى التصرف بهذا الميراث ، لأنه أصبح ملكا لها ، و لا يحق لوالديها أوزوجها أو أى شخص آخر أن يطالبها بشئ من هذا الميراث ، أود أن أعيد القارىء الكريم إلى الوراء قليلا . ليتذكر ماذا جرى بين كاتب المقال ، و بين زمرة من النصارى

حول نفس الموضوع يقول الحق تبارك و تعالى فى محكم كتابه العزيز : « للرجال نصيب مما ترك الوالدان و الأقربون و للنساء نصيب مما ترك الوالدان و الأقربون مما قل منه أو كثر ، نصيباً مفروضاً » (الآية ٧ من سورة النساء) .

و هذا النصيب المعين من الميراث يترتب على أمور فقهية : هل هى الوحيدة فى الارث أو هل البنت الوحيدة من بين إخوة لا رجالا أو . أو . . .

يجب علينا أن نتذكر أن المرأة فى بعض الحضارات تباع بعد وفاة بعلها مباشرة واستمرت هذه الحالة إلى ما بعد القرن الثانى عشر ، يقول الشيخ البهى الخولى فى كتابه المرأة بين البيت والمجتمع « الزوجة كانت تباع فى انجلترا إلى القرن الحادى عشر أى إلى ما بعد الاسلام بستمأة سنة و فى سنة ١٥٦٧ أى بعد ظهورالاسلام بألف عام صدر قرار من البرلمان الايرلندى يحظر على المرأة ، أن يكون لها سلطة على شئ من الأشياء ، و لم يكن حظ المرأة فى البلاد العربية ما قبل الاسلام بأحسن من حظ أختها فى بقية الحضارات التى كانت سائدة فى تلك الآونة ، إنها لم تكن ترث شيئاً لا من والديها و لا من زوجها .

تحافظ المرأة على لقب العائلة (١)

تحتفظ المرأة المسلمة بشخصيتها كاملة و أقصد بهذه الشخصية اسمها الأصلى أو بالأحرى لقب العائلة . لنضرب لذلك مثلا : امرأة اسمها فاطمة بنت محمد الريامى (الريامية) تزوجت برجل اسمه خلفان موسى النعمانى ، فانها لا تغير لقبها الريامى إلى المسز النعمانى ، كما يعمله النصارى والمتفرنجون من المسلمين ، كلا لايحق لها ذلك أبداً ، إن مجرد قيامها بمثل ذلك العمل ، و هو تغيير لقبها إلى لقب زوجها يعتبره بعض الفقهاء

---

(١) نزلت آية ميراث البنت فى بنتى سعد بن ربيع الذى قتل فى أحد و أخذ عمهما ماله ، و لم يدع لهما شيئاً ، وذهب أم سعد إلى النبى ﷺ تشتكى .

من الأمور الداخلية على الاسلام قد أدخلها قادة الجاهلية الحديثة ، إنها من الأمور المنافية للاسلام و يذهب البعض الآخر ، و يقولون : من يفعل ذلك يأثم

تحافظ المرأة على ذاتيتها فى كل الظروف بنتاً مزوجة فأماً لجدة ، أو حتى عندما تتزوج برجل آخر بعد الطلاق أو وفاة الزوج السابق . لا توجد مثل تلك المهزلة التى توجد عنـــد بعض النحل فى تغيير لقب عائلتها كلما تزوجت من شخص جديد أو بقائها على اسم زوجها حتى بعد الطلاق و لو بعد مائة سنة . لأن المرأة المسلمة لا تغير لقبها على الاطلاق مدى الحياة متزوجة كانت أو بكراً

و بعد مراجعتنا للتاريخ وجدنا أن كل امرأة نصرانية ...

تفقد هويتها ، وذلك بعد الزواج مباشرة و خاصة بعد ...

لقب عائلتها فى سجل الكنيسة الخاص بالزواج ، فإنها تدور

بهذا اللقب الجديد لقب عائلة بعلها ، ولم أجد بعد بحث ...

من جميع النساء النصرانيات اللائى تزوجن ، حافظ على لقب العائلة هذا الاسم هو اسم « لوسى ستون » إحدى زعيمات حركة تحرير المرأة الأوربية و الأمريكية ، و تعتبر لوسى من أحسن و أبرع المتكلمات و المدافعات عن حقوق المرأة فقــد حافظت لوسى على لقب عائلتها احتجاجاً على القوانين التى لا تحترم المساواة . والتى كانت تطبق على النساء المتزوجات ، و كان الناس يعرفونهــا باسم المسز ستون و ليس بالمسز / بلا كويل (١) .

و يقال إن بعض القبائل السلافية كانت تعطى المرأة الخيار فى الحفاظ على لقب عائلتها أو تغييره إلى لقب عائلة الزوج لتشعر بالفرق بين العروبة و الزواج .

لا نقول شيئاً فى مثل هذا التصرف لدى النصارى و خاصــة إذا تذكرنا أن

---

(١) موسوعة المعارف البريطانية بتصرف .

علماءهم يقولون : لا تتزوجوا و كونو مثلنا ، و الذى يتزوج لا يطلق زوجة لأن هذا الزواج شئ مقدس من السماء والذى يطلق يأثم ، أما إذا أتينا إلى المتفرنجين من المسلمين فلا نجد لهم عذراً فى ذلك .

الحقوق السياسية

نجد عبر التاريخ الاسلامى أن المرأة أعطيت الحقوق السياسية وحقوق التعبير كاملتين ، فقد اشتركت النساء المسلمات فى مناقشات حادة و مصيرية و كن يناقشن حتى رسول الله ﷺ ، اقرأ معى قول الحق تبارك وتعالى . « قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها و تشتكى إلى الله و الله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير » (الآية الأولى من سورة المجادلة) .

أنظر كيف أن الله أقرب إلى العبد من حبل الوريد ، و كيف يعطف على عباده ويرعاهم ، إنه تقرير سماوى لحق أسرة صغيرة فقيرة قال الرجل الكبير فى السن لزوجة أنت على كظهر أمى ثم يطلبها بعد ساعة فتمتنع و تذهب إلى المربى الكبير الرسول عليـــه الصلاة و السلام و تشتكى إليه و تجادله فى زوجها فينزل القرار الربانى باعطاء هــذه المرأة وكل نساء المسلمين اللاتى فى مثل حالتها حقهن بأن يعتق الرجل رقبة أو يصوم شهرين متتابعين أو يطعم ستين مسكيناً جزاءاً وفاقاً له على ما فرط منه ، « يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بايمانهن ، فان علمتوهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار لاهن حل لهم ولا هم يحلون لهن ، و آتوهم ما أنفقوا و لا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهن و لا تمسكوا بعصـــم الكوافر و اسألوا ما أنفقتم و ليسألوا ما أنفقوا ذلكم حكم الله يحكم بينكم و الله عليم حكيم » (الآية ١٠ من سورة الممتحنة) .

تلكم يا سادة أحكام سماوية تفوق الأحكام الدولية تمتحن المرأة المسلمة المهاجرة لتحرى سبب الهجرة « لاهن حل لكم و لا هم يحلون لهن » نعم هـذا هو عين الحقيقة إذا اختلف الروحان فى العقيدة الأساسية فان وشيجة الزواج تكون واهنة ضعيفة لأن القلب المفعم بالايمان لا يستريح إلا مع قلب مفعم بالايمان مثله، والمهم أن المرأة المسلمة لا ترد إلى الكفـار مهما كلف المسلمون فى تطبيق ذلك الأمر، لكى تقام الحياة كلها على العقيدة الاسلامية

يروى أن خليفة المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال وكنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا على الأنصار إذا قوم تغلبهم نساؤهم

أدب نساء الأنصار فصخبت على امرأتى فراجعتنى فأنكرت

تنكر أن أراجعك ؟ فو الله إن أزواج النبى ﷺ ليراجعنه

اليوم حتى الليل . وأفزعنى ذلك و قلت لها لقد خاب من

جمعت على ثيابى فنزلت فدخلت على حفصة فقلت لها أى حفصة أتغاضب إحداكن النبى ﷺ حتى الليل ؟ قالت . نعم . قلت . قد خبت وخسرت ، أفتأمنين أن يغضب الله لغضب رسول الله ﷺ فتهلكى ؟ لا تستكثرى النبى و لا تراجعيـه فى شئ و لا تهجريه و سليى ما بدا لك ولا يغرنك أن كانت جارتك أوضأ منك وأحب إلى النبي ﷺ يريد عائشة ـ رواه ابن عباس و البخارى من حديث طويل

كان خليفة المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه مرة فى المسجد (ويجدر بنا أن نتذكر أن المسجد لم يكن للرعيل الأول من المسلمين مجرد مكان للعبادة أى الصلوات الخمس إنه كان بلغتنا العصرية البرلمان ومجلس الوزراء والمحكمة و الثكنات و القيادة العسكرية والحكومة الاسلامية ككل) ومعه بعض الصحابة فوقف على المنبر و حدد الصداق أن لا يزيد على أربع مأة درهم ، و إليكم الحديث :

عن عمر رضى الله عنه أنه نهى و هو على المنبر أن يراد فى الصـداق على أربعمائة درهم ثم نزل فاعترضته امرأة من قريش فقالت أما سمعت الله يقول : « وإن آتيتم إحداهن قنطاراً » فقال اللهم عفواً كل الناس أفقه من عمر ثم رجع وركب المنبر فقال : إنى كنت نهيتكم أن تزيدوا فى صداقهن على أربعمائة درهم فمن شاء أن يعطى من ماله ما أحب ـ وفى رواية . أصابت امرأة وأخطأ عمر ، رواه سعيد بن منصور و أبو يعلى

قد يقول قائل : هناك حديث نبوى شريف فيما معناه : « لا أفلح قوم و لوا أمورهم امرأة » إن هذا الحديث لا علاقة له بكرامـة المرأة و لا يعرقل شيئاً من حقوقها إنما هو عبارة عن الخلافات الطبيعيـة بين الجنسين ، جسدية كانت تلك الخلافات أو نفسية ، لأن كرامة المرأة تتمثل بكل قوة فى وضعها فى موضعها الصحيح .

إنه حسب التـعاليم الاسلامية السمحة لا يكون رئيس الدولة مجرد رئيس فخرى أو صورى يجب عليه أن يكون محور كل الحركات ، إنه الرئيس الأعلى فى الأمور الشرعية يجب أن يؤم الناس فى الصلاة و خاصة صلاة الجمعة و صلوات أخرى فى مناسبات إسلامية أخرى مثل صلاة العيدين و غيرها من الصلوات و هو القـائد الأعلى الفعلى إذ يجب عليه أن يقود المعارك الاسلامية فى الجهاد الاسلامى ويخوض فى معامعها لصالح الاسلام و المسلمين و لاعلاء كلمة الله و ليس لاعـداء كلمة عبد وعبيد الله ، هذا هو الجهاد الاسلامى و من يموت فى سبيل الله هو الشهيد حقاً

وقد خلق الخالق بحكمته المرأة بطريقة بحيث يحدث لها تغيرات نفسية وبدنية فى الحالات التالية كما رأينا سابقاً أثناء الحمل و الحيض (قالها القرآن) و غيرها من التغيرات التى تطرأ عليها منها تلك الهرمونات التى تفرز الغدد مرتين فى الشهر تفرز المرأة هرمونات الأمومة و تبقى فاعليتها لمدة أربعة عشر يوماً أو خمسة عشر

يوماً وتصل إلى دروتها فى الأيام الأخيرة حيث براها تعامل الجميع كأنهم أولادها الصغار و يكون كلهم تحت حنانها ثم بعد ذلك تنقلب و تمرر هرمونات الأنوثة لفترة شبيهة لفترة هرمونات الأمومة ، وعند ما تصل هرمونات الأمومه دروتها ينقلب البيت جحيما لا يطاق إذ غيرتها النسائية تعمل عملها و يعكر الجو العائلى .

لقد بالغت فى وصف تغييرات حالات المرأة ليكون واضحاً جلياً لدى الجميع ، و يرجى متابعة أية امرأة بالغة لمدة معينة بغض النظر عن كونها شابة أو كبيرة فى العمر . تصرفهن لا يخرج عن هذا الاطار تغير مفاجئ فى الحالة و فى المعاملة بسبب مختلفة بين امرأة و أخرى .

و قد أثبتت بحوث العلم و تحقيقاته أن المرأة تختلف

فى الصورة و السمت و الأعضاء الخارجية إلى درات الجـ

للخلايا النسيجية و مع بلوغها سن الشباب يعتريها الحيض الذى ...ر

وجوارحها و تدل شاهدات أساطين علمى الأحياء والتشريح على أن المرأة تطرأ عليها فى مدة حيضها التغيرات الآتية :

(١) تقل فى جسمها قوة إمساك الحرارة فتنخفض حرارتها

(٢) يبطؤ النبض و ينقص ضغط الدم و يقل عدد خلاياه .

(٣) تصاب الغدد الصماء و اللوزتان و الغدد اللمفاوية بالتغير .

(٤) يختل الهضم و تضعف قوة التنفس

(٥) يتبلد الحس ، و تتكاسل الأعضاء و الفطنة و قوة تركيز الفكر . (١)

أما ما يعهد فى الحوائض عامة من الأعراض هو : الصداع و التعب و وجع

---

(١) أبو الأعلى المودودى « الحجاب »

العظم وضعف الأعصاب و تخلف المزاج و اضطراب المثانة وسوء الهضم والغثيان فى بعض الحالات .

و أشد على المرأة من مـدة الحيض زمن الحمل لا نستطيع قوى المرأة إبان حملها أن تتحمل من مشقة الجهد البدنى و العقلى ما تتحمله فى عامة الأحوال وإن عوارض الحامل إن عرضت على رجل أو امرأة لحكم عليها أو حكمت عليها بالمرض دون شك ، وفى هذه المدة يبقى مجموعها العصبى مختلا عدة أشهر متعددة ويضطرب فيها الاتزان الذهنى و تعود جميع عناصرها الروحية فى حالة فوضى دائمة ، أما عقب وضع الحمل فتكون المرأة عرضة لأمراض متعددة إذ تكون جروح نفاسها مستعدة أبدا للتسمم ، وتصبح أعصابها الحسية فى حركة لتنقلها إلى حالتها الطبيعية قبل الحمل مما يختل به نظام جسمها كله و يستغرق بضعة أسابيع فى عودته إلى نصابه ـ وبذلك تبقى المرأة مريضة أو شبه مريضة مدة سنة كاملة بعد قرار الحمل وتعود قوة عملها نصف ما تكون فى عامة الأحوال أو أقل منه (١) .

هذا غيض من الفيض الذى بقى سراً من الأسرار الربانية « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » .

وهل تسلم زمام أمور الدولة إلى من يتعير مثل هذا التغير ؟ لا ذنب لها فى هذه التغيرات ، خلقت هكذا لوظيفة معينة .

---

(١) أبو الأعلى المودودى : الحجاب

في رياض الشعر والأدب

يا أمة القرآن لا تترددي

الشاعر المسلم وليد الأعظمي

فوق المنابر يا بلابل غردي ... في مولد الذكرى و ذكرى المولد
و ترنمي بين الرياض بنغمة ... تنسي تلاحين (الغريض) و (معبد)
يا ليلة الذكرى بهاؤك ساطع ... و أريجك الفواح
يحيي النفوس و يبعث استئناسها ... و يحيلها
من مولد المختار أشرقت المنى ... و تقشعت -
و اهتزت الدنيا سروراً و انتشت ... بالمرشد اله
ماذا أقول و أنت ملء جوارحي ... و مشاعري امل و

يا هذه الدنيا أصيخي و أشهدي ... أنا بغير محمـد لا نقتدي
لا نستعيض عن الشريعة منهجاً ... وضعته فكرة مستغل ملحد
أبكل يوم فكرة و عقيدة ... تغزو الحمى من تاجر مستورد ؟
يغري بها البسطاء من أبنائنا ... بالموبقات و بالحسان الخرد
و يصدهم عن دينهم بخديعة ... ما شابهتها حيلة المتصيد
سي و يهدم غيرنا بدسيسة ... شتان بين مهدم و مشيد
لا رأسمال الغرب ينفعنا و لا ... فوضى شيوعي سخيف أبلد
وسطاً نعيش كما يريد إلهنا ... لا نستعير مبادئاً لا نجتدي
قرآن ربك يا محمـد عزنا ... و نظامنا الداعي لعيش أرغد
الناس فيه على السواء جميعهم ... لا فضل فيه لأبيض أو أسود

إلا بتقوى الله و هى كرامة — للناس لم تحصر و لم تتحدد
ما حيلة الأنوار شع سناؤها — إن لم تر الأنوار عين الأرمد

++++++

الله أكرمنا بنور محمد — فعن البصائر يا ظلام تبدد
و النصح يحلو أن أتى من راشد — و ألذ منه إذا أتى من أرشد
يا ناصحاً وصح السبيل بهديه — أفكاره ترمى لأسمى مقصد
الثائرون و أنت أول ثائر — حققت مد الأمس أحلام الغد
يتطلعون إلى هداك بلهفة — يا خير مبعوث و أعظم مرشد
يا قاصماً طهر البلاد بدعوة — الله أنزلها لضرب المفسد
قاومت طغيان الطغاة بهمة — كالسيل يهدم كل موبوء ردى
و حزرت كف العابثين عن الأذى — حيث الحياة مع الأذى لم تحمد
و ضربت أمثلة تحضنا بها — صرف الزمان لنستقيم و نهتدى
و امرتنا أن لا نكون مع الورى — إن اصلحوا نصلح . و إلا نفسد !
و تركت بعدك فى البرية أمة — تاريخها الوضاح يلمس باليد
أعمى عيون الحاقدين سناؤها — و أطار لب الشانىء المتعند
خلت العصور و أنت سر كامن — فى مهجة التاريخ لم يتبدد
فى كل أفق من جنودك جحفل — راياته خفاقة كالفرقد
يحمى حمى الاسلام من أعدائه — و يرد كيد الظالم المستعبد
و يرن فى أذن الزمان شعاره — (الله أكبر فوق كيد المعتدى)

++++++

أما فلسطين فسيل دمائها — لم ينقطع و عيونها لم ترقد
اللاجئون و هذه أكواخهم — كالعار عن أنظارنا لم يبعد
فى كل كوخ لوعة و مناحة — من طفلة تبكى و شيخ مقعد
و يتيمة تلوى إليك بجيدها — تشكو الهوان بحسرة و تنهد
و كريمة لعب اليهود بطهرها — و بها تمتع رائح أو مغتدى
و عمان كالأعصار زمجر ثائراً — يدوى و حدوة نارها لم تخمد
صوت القنابل يستثير حماسها — فتهب همة متهم أو منجد
صبراً عمان ، فللجهاد نتائج — تبتت ... ة
لا يستحق كرامة من لم يقم — يحمى حماه

++++++

يا أمة القرآن لا تترددى — هى مثلك
وافتك أعراس النهوض بسيمة — كالطل يلمع فى الغصون الميد
كالياسمين يفوح منه عبيرة — كالسلسبيل العذب للظامى الصدى
بيديك مفتاح الحياة و سرها — خذى الأمور بحكمة و تأكدى
ردى الشباب إلى الفضيلة والهدى — و سبيل حقك فى الحياة تشددى
و خذى بأيدى الناهضين إلى العلى — و لعزمهم عهد الرسالة جددى
إسلامنا لا يستقيم عموده — بقصائد تتلى لمدح محمد
إسلامنا نور يضئ طريقنا — إسلامنا نار على من يعتدى
يا سيدى هدى خواطر شاعر — حر بغير الحق لم يتقيد
علمت نفسى أن أقول حقائقاً — و الحق يعلو رغم أنف الحسد
و بهذه الذكرى أقول مردداً — (ته يا ربيع بزهرك العطر الندى)

مرحباً بالقرن الخامس عشر الهجرى

(بقلم الباقوى ب ك موسى الكلفرى ، الأستاذ بكلية دارالعلوم اللطيفية بويلور)

مالى أراك بأنة و عناء ؟ ... قرنى كأنك لم تنل بهناء
أوما علمت بأن أمتنا لفى ... فرح و ترحاب و طول مساء
كم من نشاط من سرور قدومهم ... قرن جديد فيه ألف رجاء ؟
كم من بقاع بالمحافل تزدهى ... أهلا بطالع سعدهم و علاء !
أهلا ببشرى حل ألف مشاكل ... من أمة الاسلام و النكباء
القدس فيها من دموع هاطل ... من لوثة التهويد و المأساء
اللات و العزى و هل تعبد ... من مادة أو آلة و ثراء
تركوا علوم الوحى ثم و لم يعوا ... إلا لوحى الآلة العمياء
قصدوا القضاء على عقائد ديننا ... بمعاول هدامة سوداء
نقضوا قوانين الاله و عهده ... مما يهوا من مقتضى الأهواء
فتدهوروا فى وهدة لهوان ... من أوج مجد من سما العلياء
هاموا هواء الهر و ارتعشوا به ... قد هابهم من قبل أسد فلاء
صرتم عبيد دراهم معدودة ... يا أمة الاسلام يا قرنائى
قد لوثت أفكاركم و قلوبكم ... و خلوص ودكم كلاب عداء
أين القرآن و أين عهد نبيا ... أين الأمانة أين ود إخاء
أين الصداقة مثل جسد واحد ... أين الاخوة مثل شد بناء
تالله قد حقدوا جراثيم العدى ... فيها تكالبتم بشر عواء

و الله قد دهوا بهيبة عزكم ... و بريح نصرتكم على الأعـداء

هـلا تنبهتم أيا أهلى النهى ... أو ليس فيكـم راشد الآراء

أو ليس فيكـم من غيور مسلم ؟ ... هلا تعوا قولى و هول ندائى

ويلى ! ألم يأن القلوب بأسرها ... للبعث من طول الرقاد ندائى

يا ردة طالت لفقدى فى الورى ... صـديقها ياليت فى القرناء !

ويلى لعقمى فى لخائع أمى ... فاروقها هل لى من السدلاء ؟

لهفى لفقدى من صلاح الدين فى ... تلويث قدس من كلاب عـداء

لهفى لفقدان الرحال رشيدهم ... ويلى لما أ

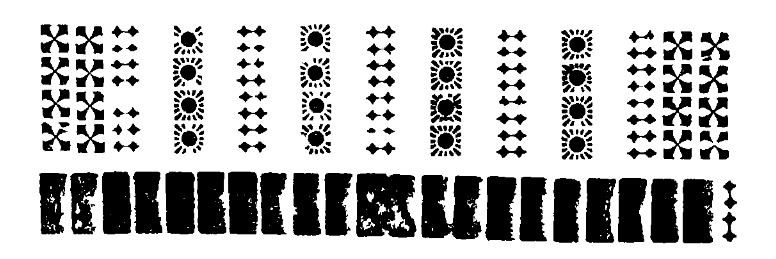
لو لم تعوا قولى و شكوى عمتى ... أشكـو إلى

لو لم تعوا قولى لقد أبكى به ... ذرات تلك

لو لم تؤثر فى القلوب لخائعى ... إن الحال ــــ

آه متى يأت الاله بوعـده ... آه وهل من ندى لظمائى

لـكنما الرحمن سامع شكوتى ... و هو المجيد لدعوتى و ندائى



العالم الإسلامي

صور وأوضاع

قيمة العقيدة فى تقرير المصير

واضح رشيد الندوى

إن الجماهير فى كل بلد إسلامى تحب أن يسود الدين كل مرفق من مرافق
الحياة ، وأن يصطبغ كل جزء من أجزاء العالم الاسلامى به
الجماهير إيمان راسخ ، و عقيدتها وثيقة لا تتزحزح ، ونو
عديدة ، أن رجلا عادياً مجهول الهوية قليل العلم . و الثقافة
و تحمل سخرية الساخرين و هجوم الملحدين ، و لكنه ظل ثابت العقيدة ، متمسكا
بمزاياه لا يصرفه عن اتجاهه زخرف الحياة ، و لا لمعان الحضارة الزائف ، ومثل
هذه الأمثلة لليقين الراسخ ، والعقيدة الثابتة ، تتوفر فى كل مجتمع ، و كل منطقة ،
و حتى فى عالمنا اليوم

إن العقيدة مهما كانت ، إذا كانت راسخة فى القلب ، فانها تكون مصير الانسان
و تصرف اتجاهه ، و تهون عليه المتاعب و الصعوبات التى تعترض فى سبيله ،
فكانت هذه العقيدة رائدة المسلم فى القرن الأول من التاريخ الاسلامى ، التى نقلته
من قارة إلى قارة ، يعبر البحار ، و يجتاز الغابات و يقهر الجبال و يحطم
الأغلال والسلاسل و يضحى بكل ما يملك من متعة الحياة ورخائها و رغد العيش
و بهائه فى سبيل رفع صوت الحق ، و إعلاء كلمة العدل ، فأصبحت هذه العقيده

أساس الحياة ، و صار كل ما كان يبذله فى سبيلها ، رخيصاً فى عينه ، و كل ما يواجهه من تعذيب و شقاء و قساوة حلاوة فى قلبه .

يشترك فى الحرص على إعادة الاسلام إلى الحكم، وفرض سيادته على المجتمع، و قبوله سياسياً و اقتصادياً ، و اجتماعياً ، كل مسلم سواء كان ينتمى إلى الطبقة العامة التى لا مسؤلية لها ، أو الطبقة التى تتحمل مسؤليات الادارات والبلديات ، إلى الوزارات ، و تريد الجماهير فعلا أن يسود الاسلام ، و أن تكون له الكلمة العليا ديناً و دولة ، فلماذا نجد الاسلام مبعداً عن الحكم و التطبيق اجتماعياً فى كثير من البلدان الاسلامية ، ومطبقاً جزئياً وهامشياً فى معظم الدول الاسلامية ؟

إن أى لقاء مع الزعماء المسؤلين الذين يتولون الحكم يقنع بدون ريبة أنهم يريدون الحكم للاسلام و الشريعة السمحة . و لكن رغم هذا الحرص على منح الاسلام السيادة الرئيسية على الحياة . يجد المسلمون فى بلادهم أن الحياة خاضعة لمن لم يشرح الله صدره للاسلام . فتقف هذه العناصر المتسربة إلى الحكم بمختلف الحيل و الوسائل أو بسبب تربيتها الغربية ، فى سبيل تنفيذ طموح الجماهير المسلمة ، و نوايا الحكام المسلمين .

لقد أصبح من عادتنا أن نوجه اللوم إلى الغرب و الاستعمار ، بينما نتجاهل دائماً الواقع ، أن الطابور الخامس أخطر و أدهى من العدو السافر ، إن الذين يتولون مناصب الأمر و النهى فى التعليم ، و الارشاد و الاذاعة و الاعلام ، والبلديات ، والمرافق الأخرى ، وهم موالون للافكار المعادية للاسلام أو يضمرون شكوكا عن صلاحية الشريعة الاسلامية لتكون الدين الوحيد للبلاد ، يتحملون المسئولية الكبرى عن الشرود الفكرى الذى يعم فى معظم الدول الاسلامية ،

إننا نرى الدول الاشتراكية مثلا أنها لا تتسامح مع أديب أو كاتب لا يقبل نظرية الدولة أو يساوره شك فيها فيقضى هـــذا الأديب أو الكاتب عن مواقع النفوذ ، فكم من أديب أو قصصى أو شاعر أبعد عن الاتحاد السوفياتى ، و عن الدول العربية الاشتراكية ، أو عذب لبعض كتاباته المائلة ضد فكر الدولة

يمر العالم الاسلامى بمرحلة انتقالية خطيرة . إن عهد الاستعمار السيـاسى قد ولى بلا رجعة و لكن العناصر التى لم يشرح الله صدرها للاسلام متوغلة فى كثير من الدول الاسلامية لتصـــد عن عودة الاسلام إلى طبيعته ، إنها لا تجهر عداءها و لكنها تقف فى سبيل تطبيق المبادىء الاسلامية أو تهمل فيها على الأقل . ولا بد من التفرس لهذه العناصر و تحديد نفوذها .

صورة من الأندلس !!

فى الأندلس حركة نشيطة ، تطالب بالعودة إلى « الجذور » . . إلى التاريخ الاسلامى الأصيل لهذه المنطقة .

ذلك أن حركة الاستقلال الذاتى التى أخذت أبعادها أثر انتهاء الحكم الفردى (للجنرال فرانكو) . . حركت فى الشعوب المكونة لأسبانية ، الرغبة فى البحث عن الماضى العريق و الانتساب إليه بفخر و اعتزاز .

و لم يجـــد الاندلسيون الذين يشكلون قسماً كبيراً من الشعب الأسبانى إلا التاريخ الاسلامى و الأصل الاسلامى لهم .

فهم يفاخرون بانتسابهم إليه . . و بانتمائهم لحضارة فى القمة . . حضـــارة عالمية كانت قاعدتها و عاصمتها قرطبة و اشبيلية و غرناطة و طليطلة .

و لا عجب إذا رأينا الآن من يفاخر بذلك بجرأة . يفاخر بانتسابه للاسلام ويعتز بأصله العربى . وبأن اسم أسرته ما زال هو نفسه، يدل على ذلك .

لقد هضم حق الأندلسيين ، ووصفوا بأشنع الصفات ، بالكسل وعدم المسؤلية ، و بالسطحية و السذاجة ، و المكر ، و عدم حفظهم للود . . لذا قام المنصفون بالدفاع عنهم ، و هم من أبناء هذا الشعب المظلوم .

و نذكر منهم رامون خيمينيث ، الحائز على جائزة نوبل للآداب ، و بابلو بيكاسو و فديريكو غارثيا لوركا ، و أنطونيو ما تشادو

هؤلاء الذين حازوا على مكانة عالمية ، و أصروا على انتسابهم العضوى و التاريخى للاندلس و حضارته

ولا نستغرب حين نجد من أبناء الأندلس طائفة ، تطالب بالانفصال الكامل عن باقى أسبانيا ، ويحتجون بذلك أن الملوك القشتاليين قد احتلوا هذه الأرض احتلالا ، و فرضوا عليهم فرضاً تقاليد و نظما و حضارة تختلف عن تقاليد و نظم وحضارة الأندلس

و يذكرون بألم وحسرة بأنهم أجبروا على اعتناق النصرانية ، بالحديد والنار ، تحت التعذيب والتشريد والقتل ، الذى كانت تمارسه السلطة من خلال محاكم التفتيش .

وقد كثرت فى الآونة الأخيرة المطالبة الجادة بالتنقيب عن الحضارة الاسلامية و آثارها . لانصافها و إحقاق الحق بخصوصها لذا امتلأت صفحات الجرائد بلفت النظر لذلك . و عدم الاكتفاء بالكشف عن مظالم الحكم الفائت بل بالسعى الحثيث للكشف عن الظلم و القهر الذى مورس خلال القرون الفائتة ضد حقبة طويلة من تاريخ الاندلس و ضد الاسلام و حضارته .

لقد أثبت الأندلسيون بأنهم يعرفون ما يريدون . . و أنهم حريصون على

الدفاع عن تاريخهم المجيد لذا فقــد طالبوا باطلاق اسم (الأندلس) على مقاطعتهم ، هذا الاسم العربى ، الذى يصلهم بماضيهم و يذكرهم بالانتساب إليه . . و لم يكتفوا بذلك بل جعلوا لون علمهم اللون الأخضر و هو مكون من شريطين خضراوين يتوسطهما شريط أبيض . و جعلوه علما للمقاطعة الأندلسية .

إن هـذا الشعب الذى يبحث عن جذوره . لجدير بأن ينال من المسلمين ، العناية ، و النجدة ، و المساعدة وجدير بأن يلبى فى مطالبه فى كافة المستويات . السياسية و الاجتماعية و الثقافية و الاقتصادية .

مع الشكر لصحيفة « »

رابطة الأدب الاسلامى

إن غربة الأدب الاسلامى و سيطرة الأدب المزور المنحرف على العــالمين العربى و الاسلامى و واجب الدعوة إلى الله عن طريق الكلمة الأصيلة الملتزمة . كل ذلك يدعو الأدباء الاسلاميين إلى إنشاء رابطة تجمع صفوفهم و تشد كل واحد منهم بعضد أخيه و ترفع صوتهم وتفهمهم على واجبهم أمام تجمعات الأدباء المنحرفين . وتتيح لهم أن يتعاونوا لتأصيل نظرية الأدب الاسلامى كى تواجه نظريات الماركسيين و الليبراليين والوجوديين فى الأدب وغير ذلك من المذاهب الأدبية غير الاسلامية فى العــالم .

و تهدف الرابطة إلى تحقيق الغايات التالية :

- تعريف الأدباء الاسلاميين - على اختلاف لغاتهم وأجناسهم - بعضهم ببعض
- العمل على تأصيل نظرية الأدب الاسلامى

- تحقيق مبدأ « عالمية الأدب الاسلامى »
- العمل على تأصيل نظرية النقد الاسلامى .
رسم منهج إسلامى مفصل للفنون الأدبية الحديثة .
- دراسة الأدب الاسلامى المعاصر فى البلاد الاسلامية .
- تشجيع الأدب الذى يهتم بقضايا المرأة المسلمة .
- رسم منهج إسلامى لأدب الأطفال و اليافعين و الشباب

و قد شكلت للرابطة لجنة تحضيرية مؤقتة . فعلى كل أديب يرى فى نفسه القدرة على خدمة هذا الهدف الجليل أن يسارع و يتصل بعنوان اللجنة :
(الرياض - ص ب ١٠٨٤٥) . مع شكر للنشره الأخبارية الكويتية

الشعب السورى يساند المجاهدين

- البيطار . تعاطف الشعب مع المجاهدين تجسيد للرفض الشعبى الكبير للنظام .
- الحورانى : مئات المثقفين و الأطباء و المهندسين قضوا دفاعا عن سوريا .
- الشوفى . الشعب إمام خيار واحد فقط .. هو حمل السلاح بوجه الطغاة .
- مجلة الحقيقة : أى شعب يقبل الخضوع للاعتقال الكيفى و التعذيب الوحشى ؟
- النظام يرتكب جرائمه تحت مظلة « وحدة الصف العربى » وبالسلاح المشترى من المال العربى .

أخبار ثقافية و اجتماعيـــة

- أهلا بالرميلة « الأمة » الغراء
- رائع من أدب الدعوة فى القرآن و السيرة
- العلاقة السياسية و الثقافية، بين الهند والخلافة العباسية
- القرن الخامس عشر الهجرى بين الماضى و الحال
- افتتاح معهد تربية المعلمين فى جامعة ندوة العلماء
- الدكتور مصطفى حسن علوى فى ذمة الله

- طلعت علينا الرميلة العزيزة مجلة « الأمة » العـ

عاشها الأمة الاسلامية ، منذ أن أعلن صدورها مع إطلالة

و إن ظهورها مع ابتسامة فجر القرن لدليل على سمو الهد..

النزاهة الصحفية التى تتجلى فى كل صفحة ، وأملنا قوى أن « الأمة » ستحمل نبراس الهداية و القيادة و الوصاية على العالم الذى فقدته الأمة الاسلامية من زمن طويل و تذكرها بدورها الذى تناسته من بين ما تناسته من مسئوليات و واجبات

و قد تحدث عن الغاية التى توخاها القائمون عليها رئيس تحرير المجلة الأستاذ عبد الرحمن بن عبد الله المحمود وكيل رئاسة المحاكم الشرعية بدولة قطر ، فى كلمته الافتتاحية للعدد الأول فقال :

« الأمة » هى مجلة جميع المسلمين فى جميع بلاد العالم لأننا نرى أن الأمـــة بعقيدتها و مقوماتها الفكرية ، و ليست بعروقها و ألوانها و حدودها الجغرافيـة ، فالأمة بأفكارها و دينها و ليست بأشيائها وطينتها ، من هنا يتحدد واجب المجـلة بالعمل على جمع كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم ، ذلك أن التفرقة و التنازع والتناحر

و اختلاف الكلمة من أخطر الأمراض التى تعصف بكيان المسلمين و تنهك قواهم و تسام بفشلهم . . و لعل هذه المجـلة ، التى تأتى على رأس القرن الخامس عشر الهجرى فى غرة المحرم ويوافق صدورها ذكرى هجرة الرسول ﷺ ، حيث التحول الكبير فى التاريخ البشرى ، تستطيع المساهمة بأن تجدد للمسلمين أمر دينهم ، وتعيدهم إلى الحياة الاسلامية و هجر ما نهى الله عنه .

ونرجو للزميلة العزيزة التقدم و الاتساع و الازدهار المطرد ، والقيام بتحقيق الهدف الذى تبنته باذن الله تعالى .

● صدر حديثاً من مطبعة ندوة العلماء كتاب جديد لسماحة العلامة مولانا أبى الحسن على الحسنى الندوى باسم « روائع من أدب الدعوة فى القرآن والسيرة » و هو مجموعة ثمانى محاضرات ألقاها سماحته فى المعهد العالى للدعوة والفكر الاسلامى بجامعة ندوة العلماء حول مناهج الدعوة وآدابها ، يحتوى الكتاب على بيان حكمة الدعوة ومرونتها ومجاراتها لكل بيئة وعصر ، وعلى نماذج الدعوة وأمثلتها فى حياة إبراهيم عليه السلام وفى حياة سيدنا يوسف عليه السلام ، وسيدنا موسى عليه السلام و فى حياة مؤمن من آل فرعون ، ثم على نموذجين من دعوة رسولنا العظيم محمد ﷺ ، وعلى تمثيل سيـدنا جعفر بن أبى طالب فى مجلس النجاشى للاسلام و المسلمين ، و كل هذه المحاضرات ارتجلها سماحته ، و نقل من الشريط ، ثم تناولها بالتنقيح . .

و الكتاب فى الواقع أكرم هدية للدعاة و العاملين فى حقل الدعوة والفكر الاسلامى ، يثير جوانب جـديدة للعمل و الدعوة و الفكر الاسلامى .

● تكرم الدكتور محمد يوسف النجرامى فأهدى إلينا كتابه القيم العلاقـة السياسية و الثقافية بين الهند و الخلافة العباسية » و الكتاب يتحدث عن العلاقات التجارية و السياسية و الثقافية بين الهند و العالم العربى ، قبل الاسلام و فى صـدر

الاسلام، فى ضوء الوثائق التاريخية ، ويبين بوضوح تلك الصلات التى ربطت الهند بالعالم العربى ، لما تمتعت به الهند من مركز تاريخى و قيمة كبيرة فى الفكر الثقافى و من مكانة عالية فى مجالات من التجارة و السياسة و الثقافه ، خاصة و قد كانت موضع اهتمام المسلمين العرب مند فجر التاريخ الاسلامى و لا تزال

نرجو أن ينال الكتاب كل تقدير فى الأوساط الثقافية والعلمية و يعتبر وثيقة تاريخية مهمة للباحثين و الكتاب ، قام بنشره دار الفكر فى بيروت .

◐ ألقى سماحة الشيخ الندوى خطاباً باللغة الأردية بمناسبة أسبوع مطالع القرن الخامس عشر الهجرى الجديد ، نظمها « المنظمة الاسلامية للطلاب » (S. I. M.) ،

و افتتح سماحة الشيخ الندوى هده المناسبة الأسبو
بوجى من المناسبة المباركة ، و أفاض فى بيان الحقائق الت
وقائع القرن المنصرم و أحداثه و رسالة القرن الجديد .

من الشريط فأصبحت رسالة مهمة حول القرن الخامس عشر الهجرى و وثيقة تاريخية لها قيمتها الكبيرة ،وقام المجمع الاسلامى العلمى بندوة العلماء بنشرها وتوزيعها، و هى تنقل الآن إلى اللغة العربية و سننشرها فى العدد القادم للمجلة باذن الله تعالى .

◐ كان افتتاح معهد تربية المعلمين فى ندوة العلماء فى غرة المحرم ١٤٠١ هـ مع مطالع القرن الخامس عشر الهجرى من المصادفات التاريخية المباركة ، فقد افتتح هذا المعهد سماحة مولانا الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى فى اليوم الأول من هذا القرن الجديد ، بكلمة صافية حول إخلاص النية و العمل لله تعالى ، و كان هذا المعهد فى الواقع هدية القرن الخامس عشر الهجرى للمسلمين فى هـذه البلاد ، وزيادة مهمة كبيرة فى برامج ندوة العلماء الدعوية و العلمية ، و هى بذلك قد وفقت باذن الله تعالى إلى الاهتمام بتخريج مـدرسين أكفاء للعمل التعليمى و التربوى فى مدارسنا و جامعاتنا الاسلامية فى هـذه البلاد بوجه خاص ، و تعتبر هذه الزيادة

المهمة بعد افتتاح المعهد العالى للدعوة والفكر الاسلامى فى العام الماضى ، من نتائج الاهتمام الكبير بتوسعة نطاق ندوة العلماء ضمن أهدافها التى قامت من أجلها ، الاهتمام الكبير الذى يبذله سماحة مولانا الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى فى مجال الجهود الدعوية و التربوية و الفكرية عن طريق ندوة العلماء فى الهند .

والفضل الـ فى إنشاء هذا المعهد يرجع إلى فضيلة الدكتور عبد الله عباس الندوى أستاذ فقه اللغة بجامعة الملك عبد العزيز بجدة ، الذى اقترح على سماحة العلامة الندوى إنشاء معهد لتربية المعلمين ، و وضع للمعهد منهجاً و عين له أساتذة محاضرين يلقون محاضرات فى هذا المعهد فى ضوء المواضيع المقررة فى المنهج ، وفعلا قام المعهد بنشاطه التربوى مع طلابه المتخرجين من الدراسات العليا بجامعة ندوة العلماء ، نرجو أن يكتب له النجاح و الازدهار بإذن الله تعالى .

◐ استأثرت رحمة الله تعالى بفضيلة الدكتور مصطفى حسن علوى فى الشهر المنصرم ، فى منزله بمدينة لكهنؤ ، وذلك فى حالة سجوده فى الصلاة ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، و لقد كان الدكتور علوى من كبار علماء هذه البلاد جمع بين الثقافتين الاسلامية و العصرية ، أكمل دراسته الدينية . فى جامعة ديوبند الاسلامية منذ نحو سبعين سنة ، وكان من تلاميذ شيخ الهند مولانا محمود حسن رحمه الله تعالى ، و كان قد أربى على ٨٥ سنة من عمره

إنه قضى حياته كلها فى شئون التعليم و التربية و وفق إلى إحراز الشهادات العليا فى الأدب و الدين و اللغات و الشعر وتخرج على يديه فوج من طلاب العلم ممن تعلموا عليه العلوم الدينية واللغة العربية ، ومنحته الحكومة الهندية وسام الشرف تقديراً لخدماته العلمية فى اللغة العربية ، و قد ظل عضواً فى مجلس الشورى بجامعة ديوبند ، وعميق العلاقة بندوة العلماء وبسماحة الشيخ مولانا أبى الحسن على الندوى .

رحمه الله تعالى رحمة واسعة ، وألهم ذويه الصبر و السلوان ، وأدخله فسيح جنانه .

Phones. 49747 42948 Regd. No. LW/NP 59

ALBAAS-EL-ISLAMI

Nadwat-ul-Ulama LUCKNOW (India)

البعث الإسلامي

شهرية إسلامية جامعة

رئاسة التحرير : سعيد الأعظمي
واضح رشيد الندوي

الاشتراكات السنوية

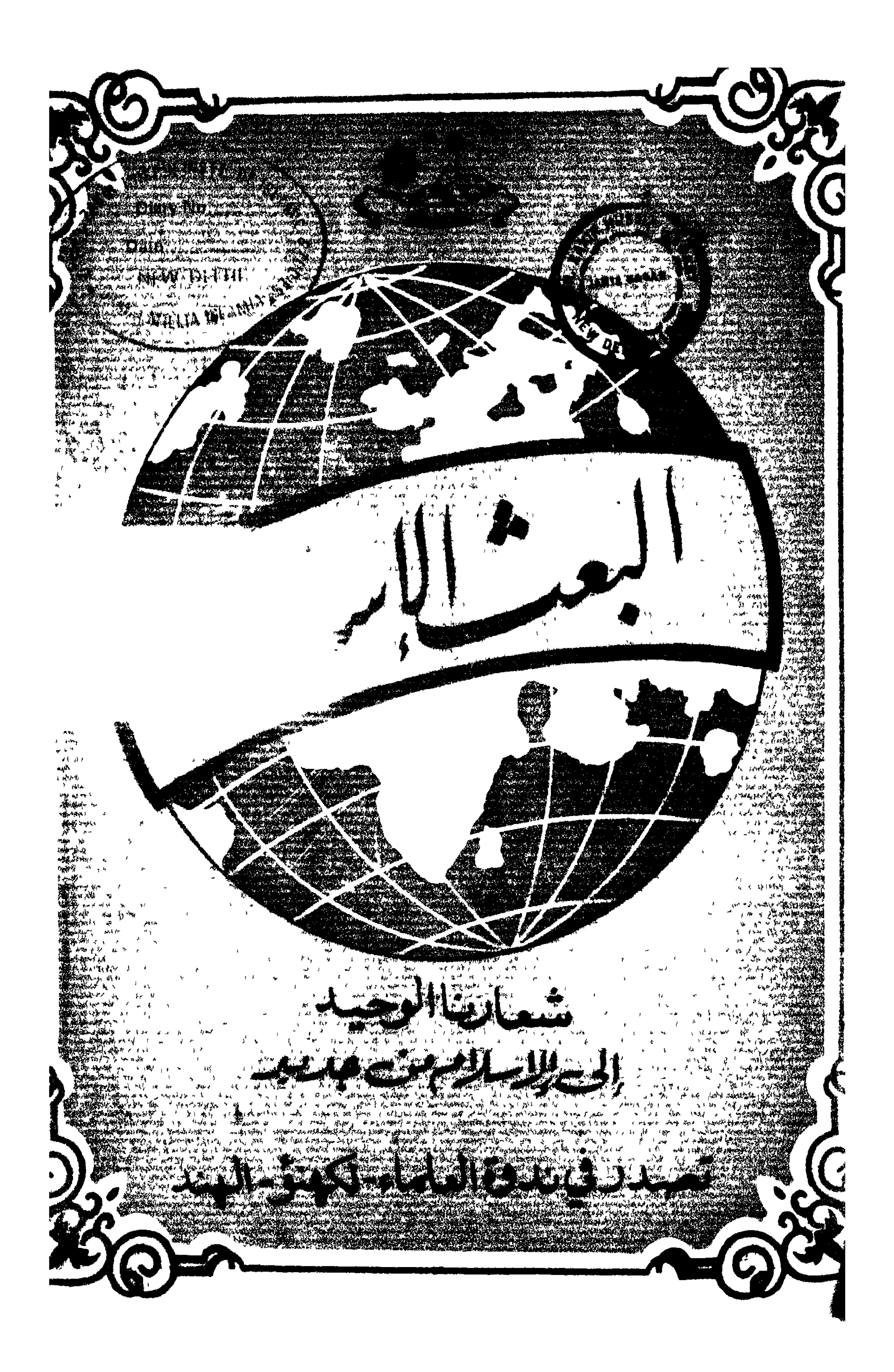
في الهند	٣ روبية ، ثمن النسخة ٣ روبيات
في العالم العربي	٦ دولارات امريكية او ما يعادلها بالبريد العادي ١٥ دولاراً بالبريد الجوي
في افريقيا الجنوبية والشمالية وامريكا واوربا	٢ دولاراً بالبريد الجوي ٨ دولارات بالبريد العادي
في باكستان	٥٥ روبية بالبريد العادي مع اجرة البريد

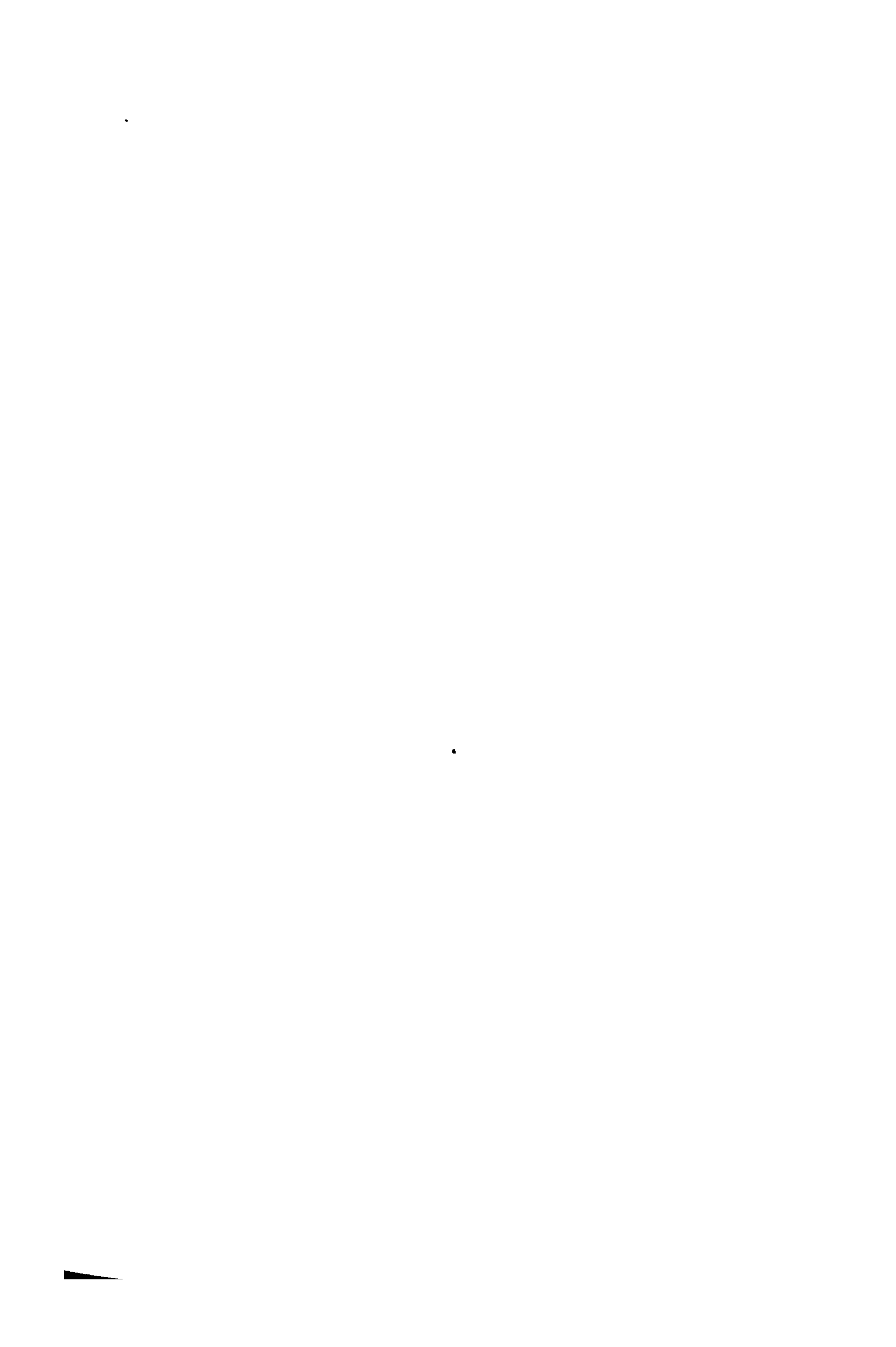
[illegible] في باكستان [illegible] كراتشي رقم ١٤

المراسلات

NADWA LUCKNOW

[illegible]


البعث الإسلامي
شعارنا الوحيد
إلى الإسلام من جديد
تصدر في ندوة العلماء - لكهنؤ - الهند



البعث الاسلامى
شهرية اسلامية جامعة
انشأها فقيد الدعوة الاسلامية
الاستاذ محمد الحسنى (رحمه الله)
فى عام ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م

رئيسا التحرير
سعيد الأعظمى الندوى
واضح رشيد الندوى

المراسلات :
البعث الاسلامى
ندوة العلماء ص ب ٩٣
لكهنو ـــــ الهند

المنهج الاسلامى

المنهج الاسلامى ، منهج مستقل ، منهج مختلف ، منهج أصيل ، ليس بينه وبين المناهج الوضعية وجه شبه أو نسب ، فبينما المناهج الأخرى أو الديانات السائدة الأخرى ، تختلط مع الشعوب البشرية العامة فى سوق المادة والمعدة ، و تجتمع معها على مائدة واحدة ، وتتمتع معها بملذات الحياة المحرمة بحرية تامة ، نرى الاسلام ينفصل عن هذه الشعوب المادية من أول الطريق ، احتفاظاً بسماته و خصائصه ، وغيرته على دين الله واستمساكا

الباطلة و الدعوات

بما جاء فى الحديث

و التشديد على النهى

البسيطة « وتحسبونه هينا و هو عند الله عظيم »

محمد الحسنى (رحمه الله)

العدد السابع

● ربيع الثانى ١٤٠١هـ

● فبراير و مارس ١٩٨١م

NADWAT_UL_ULAMA

Po. Box 93

Lucknow (India)

في هذا العدد

تراث ديني قديم ، أم

رسالة إنسانية و هداية ربانية ؟ سعيد الأعظمي ٣

التوجيه الاسلامي

حالة المنافق و صفات المؤمن فضيلة الشيخ عبدالسلام القدوائي الندوي ١٠

القرن الخامس عشر الهجري الجديد سماحة الشيخ السيد أبي الحسن علي الندوي ١٧

آثار الرسالة الاسلامية في الحضارة الانسانية الدكتور محمد معروف الدواليبي ٥٠

الدعوة الاسلامية

الفكرة الاسلامية السنية والحاجة إليها فضيلة الشيخ محمد إسحاق الندوي ٥٦

طبيعة هذا الدين الأستاذ المرحوم محمد الحسني ٦٤

دراسات و أبحاث

دراسة عن الحضارة الاسلامية ومنحها العالمية محمد صدر الحسن الندوي ٧٥

البحث الاسلامي أهدافه و مناهجه الأستاذ محمود أحمد غازي ٨٤

الفقه الاسلامي

حكمة التقيد بالنص الأستاذ محمد إبراهيم شقرة ٨٨

العالم الاسلامي

عبقرية السوط ـ سياسة الشماليين واضح رشيد الندوي ٩٢

الطلائع الاسلامية مجلة الرائد الألمانية ٩٨

مطبوعات جديدة قلم التحرير ٩٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية :

تراث دينى قديم ، أم
رسالة إنسانية و هداية ربانية ؟

من المفارقات الغريبة فى عصرنا هذا أن نجد الرجل المسلم

فى مجال الاسلام ، و ربما يمثل حركة إسلامية أو جماعة

الانسياق مع التيار المضاد ، و لا يشعر فى نفسه بحر

تعاليم الاسلام ، أو صدر منه ما يعارض روح الدين

أخطائه وانحرافاته ، بله أن يعترف بها و يخجل منها ، و فضلا عن ان يحاول

تمثيل نموذج عال لسيرة الرجل المسلم .

هذه ظاهرة غريبة يستطيع أن يلمسها المتلمسون فى جماعاتنا و فى صفوف العاملين للاسلام ، وقد تتحول هذه الظاهرة إلى عادة راسخة ، و قد تضرب جذورها إلى الأعماق فتتخذ أشكالا و ألوانا ، و تتكشف الحقيقة فى بعض الأحيان عن أمور مدهشة لايكاد يتصورها العقل ، حتى فى الانسان العادى و رجل الشارع .

إنى لا أرى الكلام على عواهنه و لا أجازف فيه ، و لكن له شواهد يستطيع أن يطلع عليها كل شخص يعيش فى وسط العاملين للاسلام وبين دعاة إليه ، فقد سجل التاريخ أمثلة فى العصور المتأخرة لهذا النوع من الرجال

الذين انضموا إلى صفوف المخلصين من العلماء و الدعاة ، و تضررت بهم الدعوة الاسلاميـــة ، لأنهم لم يمثلوا الاسلام الصحيح و لم يستطيعوا أن يقوموا بدور الداعى المخلص الأمين ، و لا بدور المؤمن الواعى الذى يجمع بين الايمان القوى و الورع الكامل ، و بين السيرة المثالية و النموذج العملى .

لا أقول إن جانب الضعف هذا فى أفراد من جماعاتنا و رجال من دعوتنا قد تعمده أصحابه . وتمسكوا به عن قصد ، إذ أن ذلك قد يكون نتيجــة الاهمال و الغفــلة و عدم الشعور بالمسئولية نحو العمل الذى تنتمى إليــه ، و لكن الذى لا شك فيه أن هــذا التناقض منشأه هو الرؤية التى تنطوى فى خبايا النفس نحو الفكرة التى يلتزمها المرء ، و تفسير هذا أن كثيراً من المسلمين ممن يتفرغون للعمل فى مجال الاسلام يراودهم الشك فيما إذا كان الاسلام صالحاً للغلبــة و السيادة فى العالم المعاصر . إنهم لايصرحون بذلك أبداً ولا يتحدثون عنه إطلاقاً إلا أن سوء ظن بتعاليم الاسلام يتمكن من نفوسهم فذلك ما يحدث هذه المفـارقات . و ذلك الاهمال و اللامبالاة ، و قلة الاهتمام بشأن الاسلام .

والواقع الذى يعيشه الانسان المعـــاصر من انطلاق غير مسئول إلى الأهواء و الشهوات ، والحماة التى يغرق فيها العالم اليوم إلى الآذان ، لهما تأثيرهما فى إنشاء أجيال مسلـــة ترى الاسلام تراثاً دينياً فحسب ، ورثته من آبائها ، و لا تراه رسالة إنسانية خالدة ، و هداية ربانية أنزلها الله لصالح الحياة الانسانية بجميع مناحيها فى كل زمان ومكان ، وكان ذلك كفيلا بأن ينظر المسلم إلى دينـه نظرة رثاء وعطف و ترحم ، و يعتبره ديناً ولى عهده و لم يعد جديراً بالمسايرة مع الحياة الجـديدة و الفلسفات الحديثة ، والنظرات العلمية ، والافتراضات الطبيعيـــة ، غير أنه يحترمه لمجرد أنه دين آبائه ، و لأنه يعتنق به المسلمون فى أنحاء العالم المختلفة .

من هنالك نشأ فى المسلمين أنفسهم أفراد تبنوا أسلوباً اعتذارياً فى الدعوة إلى الاسلام، و آخرون اخترعوا طريقة سلبية إزاء الديانات الأخرى، فقالوا : إن الأديان كلها مصدرها واحـد، و لا فرق بين الاسلام و المسيحية و اليهودية و الوثنية وما إليها من ديانات، فلا حرج فيما يختاره المرء لنفسه منها، و وجد نوع ثالث فقسر الاسلام كما شاء، و أراد أن يطبق عليها النظريات الحديثة كلها و يثبت أن الاسلام أكثر مرونة و تسامحاً من غيره، و لم يبال بما إذا كان هـذا التفكير معارضاً لروح الاسلام و رسالته الأصيلة و عقيدته الصافية

لقد كان هؤلاء الناس وأمثالهم فريسة سهلة، بل لقمة سائغة لأعداء الاسلام استغلوهم لتحقيق مآربهم الحقيرة ضـد الاسلام و هيأوا لـ ليقوموا فيه بنشاطاتهم و بث أفكارهم و آرائهـم حول تعـ مستمدين فى ذلك من أفكار الزائغين و الملحدين و المتحدد تصـدى بعض هؤلاء فألف كتباً فيما يتعلق بفلسفة الاسلام و دسها بسموم الضلال و الانحراف، و تولى نشرها و توزيعها كبرى مكتبات العالم و جمعيـات التبشير و الاستشراق التى تتولى كـذلك شراء كميات هائلة من كتب الاسلاميين و الدعاة الكبار و إتلافهـا بالرمى فى البحار، مخافـة أن تصل إلى أيدى الناس فيقرأوهـا و يقتنعوا بالاسلام

هذا مع العلم بما يجرى فى العالمين اليهودى و المسيحى من تحريفات فى نسخ القرآن الكريم، وتشويهات فى كتب التاريخ الاسلامى و توزيعها فى دول المسلمين و بلدانهم عن طريق الوسائل الاعلامية و المكتبات الاسلامية، و ما قامت به إسرائيل و لا تزال تقوم به من نشاط وافر فى مجال التحريف و التشويه لم يعد خافياً على العالم الاسلامى، فقد أصدرت طبعات محرفة للقرآن و تولت توزيعها

فى بلدان المسلمين بحكمة و خفاء و سرية ، و لكن الله سبحانه قد كشف عن هذه النوايا الشريرة و تولى صيانة كتــــابه العظيم من كل مؤامرة خبيثــــة ، تحقيقاً لوعده الكريم الذى أكده فى قوله « إنا نحن نزلنا الذكر ، وإنا له لحافظون » .

و لم ينته الأمر على هذا الحد ولكن بلغ بهم الحقد الشديد على الاسلام إلى أنهم بدأوا يبتكرون طرقاً بكراً لشفاء غيظهم ، ذلك كطباعة آيات التنزيل على الستائر و الملابس الداخلية وعلى الأقمشة التى تغلف بها البضائع وتشحن إلى جهات أخرى ، كل ذلك تحطيماً لقدسية القرآن الكريم وجرحاً للمشاعر الاسلامية وإثارة لعواطف النقمة و العداء ضدهم ، توقعاً أن يستغلوها فى صالح الدعاية ضد المسلمين و تشويه سمعتهم أمام العالم ، ذلك عدا ما يقومون به من إعدادات هائلة لهدم معنوية المسلمين و تجريدهم عن الفضائل كلها ، بأساليب مغرية و خداعة لا يكاد ينتبه إلى حقيقتها السذج من الناس ، و يسهل عليهم الوقوع فى شرك هؤلاء القناصين .

و هناك كثير و كثير من النشاطات السرية والعلنية التى تعمل لهدم الفضائل الاسلامية و للقضاء على عظمة الاسلام و حيوته ومسايرته مع الحياة و الزمان ، إن رجالها يتربصون الشاب المسلم و يستهدفونه بوجه خاص بالتمييع و الاذابة ، و شحن نفسه بدوافع المقت و الكراهية الشديدة لديه ، الذى يصورونه له تصويراً بشعاً ، و يثبتونه ديناً قد انقضى دوره ، و لا ينطبق بحجمه القديم الضيق على هذا العصر العملاق ، و ما تواجدت فيه من ظروف جديدة و علوم وصناعات وأفكار و فلسفات ، وهم فى ذلك لا يتخذون أسلوباً هجومياً أو أسلوب النقد و الاتهام ، إنما يتظاهرون بأسلوب هادىء يقلل من قيمة الدين فى أعينهم ويباعدهم عن العقيدة دون أن يشعروا بذلك مع تأكيد الحاجة إلى استجابة الأفكار الحديثة لكى تنسجم الحياة مع التيارات الحضارية والعلمية والابداعية والصناعية الراهنة ، ذلك لأن التخلف

فى مضمار الحياة السريعة يحرمهم من الانتفاع بتسهيلات واختراعات العالم المعاصر، و بالتالى يشل نشاطهم و يفصلهم عن الركب الحضارى و يتركهم عضواً مبتوراً فى جسم المجتمع .

تفنن هؤلاء الهدامون فى مجال الهدم والافساد فنوناً ساحرة وأساليب حذابة من التربية و الاعلام ، وتوصلوا إلى مجتمعات المسلمين بشتى أنواع الاغراء والتشويق حتى تمكنوا من شحن أفكارهم بما يغاير روح الاسلام و غايته الأصيلة أولا ، و تجريد أفراد و شباب مسلم منهم عن الفكر الدينى و الروح العقيدية ثانياً ، وتم لهم فى آخر الأمر أكثر مما توقعوا ، حيث تربت جماعة من المسلمين المتنورين و تخرجت عليهم ممن أنكروا الاسلام فى صورته القديمة و طالبوا

(Modern Islam) يتفق و العصر الحديث فى الاتجاهات .

الحديثة ، بدليل أن الاسلام دين النوع البشرى فلابد من تطبيق

تناوله بالتطوير و التعديل إذا مست الحاجة إلى ذلك .

قام فى المسلمين فى كل بلد رجال حملوا لواء التطوير و التعديل فى الاسلام و زعموا للناس أنهم يمثلون الفكر الدينى الصحيح ، و يدعون إلى تطوير الاسلام لأنه دين يسر . وظنوا أنهم عندما ينادون بذلك فلا يفعلون إلا بدافع دينى مستفاد من قول النبى ﷺ الذى جاء فيه : إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه . أو كما جاء فى هذا المعنى ، و دليلهم لا ينتهى عند هـذا الحد بل يضربون أمثلة لاجتهادات الصحابة والتابعين والعلماء ، يستدلون بها على إدخال تطويرات و « تحسينات » فى الاسلام ، و يعتبرون من يعارضهم فى ذلك سفيهاً حلفاً لا يستند إلى علم . و ليس له حظ فى الثقافة و المعلومات .

لم تكن حملة التطوير هذه هينة لا تسترعى الانتباه أو لا تستحق الالتفات ،

بل إنهـا خلفت تأثيرات فى المجتمع الاسلامى انطبعت بها نفوس المسلمين فى كل مكان إلى حد لا يستهان به ، وكانت أشبه بالهجمات التى واجهها الاسلام فى قرونه الأولى من الحركات الهدامة كالزنادقة و المعتزلة و الباطنية ، و ما هذه الدعوات المضللة والنظرات المهلهلة والفلسفات الهزيلة من الاشتراكية و الشيوعية والاباحية و القاديانية و الماسونيـة و الصهيونيـة إلا من معطيات هـذه الحملات التطويرية و الأساليب الاعتدارية التى شاعت بين المجتمعات الاسلاميـة ، و لو لا جهود الدعاة المخلصين و علماء الاسلام الراسخين فى قمع هذه الأضاليل و الأباطيل ، ورد هده الهجمات العنيفة والدفاع عن عقيدة الاسلام وتعاليمه لكانت الحياة الاسلامية قد فقدت ذاتيتها ، و ذابت فى بوتقة الحضارات الغربية الجاهلية كما حدث فى بعض الأقطار الاسلامية التى حكمها زعماء التعديل والتطوير وعملاء الاستعمار والاستشراق

و رغم ما تقوم به الحركات والجماعات الاسلامية من شرح تعاليم الاسلام و تفسير منهجه الشامل فى أسلوب مقنع حكيم ، و فى ثقـة كاملة بخلوده وشموله و مسايرته مع الطبيعة البشرية فى كل زمان و مكان نجد فى جماعاتنا و فى صفوفنا أناسا لم تنشرح قلوبهم للاسلام مأة فى المأة ، بل و يناجيهم ريب و ظنون حول صلوح الاسلام و انسجامه مع الظروف المعاصرة و الأوضاع السائدة ، بل و قد وجـد ناس فى صميم المراكز الدعوية و عقر دورها لا يدعون الناس إلى الاسلام عن اقتناع وثقة وحماس و شجاعة ، ذلك أن شبهات تدور فى خلدهم إزاء الاسلام الشامل الكامل الخـالد العظيم ، و إن كانوا لا يجرؤون إبداء ما فى نفوسهم من شكوك و ريب نحوه .

دع عنك ذكر العامة من أتباع الدين الحنيف فان بعض الخاصة ممن أوتوا

« البقية على ص ٩٧ »

التوجيه الإسلامي

حالة المنافق و صفات المؤمن

فضيلة الشيخ عبد السلام القدوائى الندوى
تعريب : الأخ سرفراز عالم الندوى

[أو كصيب من السماء ، فيه ظلمات و رعد . . إلى قوله : إن الله على كل شئ قدير] .

تقدم مثال للنافقين فيما سبق من الكلام حولهم ، وهذا مثل آخر لضرب آخر من المنافقين ، كان المنافقون يختلف بعضهم بعضاً فى الأحوال و الميول ، فمنهم من كان شديداً فى كفره ، حتى ما كان يخطر باله إيمان فى وقت من الأوقات ، وهذا القسم من المنافقين قد تقدم ذكره فى المثال الأول ، و كانت منهم طائفة عدا ما مر ذكره ، كان يخطر الايمـــان على بالها بعض الأحيان ، فاذا ما رأت للاسلام غلبة و انتصاراً أقبلت عليـــه و لكنها كانت تفزع مما إذا شاهدت مشكلات فى طريق الاسلام ، و ينشأ فى نفوس أهلها إعراض عنه .

ففى هذه الآية بين الله حالهم بضرب مثال بليغ ، ذلك أنه شبه « الوحى الالهى » بالمطر الغزير الذى يهطل من السماء برعد و برق ، فكما أن الأرض الميتة تحيا بالماء ، كذلك تحيا بالوحى الالهى قلوب الانسان الميتة فالذين استجابوا هـذه الدعوة قــدر لهم فى الدنيا و الآخرة سعادة الدين و الدنيا ، و أنهم يبلغون فى الحياة الدنيا إلى أعلى مراتب العزة ومدارج الرفعة ، ولهم فى الآخرة حياة خالدة ولكن الطريق إلى السعادة ليس مفروشاً بالأزهار والأوراد بل إنه حافل بالأشواك والاقتاد كما جاء فى الحديث الشريف «حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات » فلابد

للوصول إليها من اجتياز المشاكل و تجشم المشاق ، و إن المؤمنين لا يخافون من هذه المشكلات العادية ، و أما المنافقون فيرتجفون منها فسرعان ما يزول تفكيرهم فى الاسلام .

و المراد بظلمات و رعد ، مشكلات هذا الطريق و الواحات التى تتحتم على المرء باسلامه و « البرق » هنا هو الأحوال المشجعة التى كانت تتيسر لهم بالفتوحات الاسلامية ، فكلما سنحت للنافقين فرصة الاستفادة من الخير و اليمن و البركة كانوا يقبلون على الاسلام بعض الشئ و يخطون نحوه خطوات ، فان واجهوا مشكلات وقفوا حائرين فزعين ، فكانوا أشبه بما جاء :

« و من الناس من يعبد الله على حرف ، فان أصابه خير

فتنة انقلب على وجهه » ، وقد أورد الامام أحمد بن حنبل

فى هذا المعنى : عن أبى سعيد قال : قال رسول الله ﷺ القلوب

فيه مثل السراج يزهر ، وقلب أغلف مربوط على غلافه . وقلب منكوس . وقلب مصفح . فأما القلب الأجرد فقلب المؤمن فسراجه فيه نوره ، وأما القلب الأغلف فقلب الكافر ، و أما القلب المنكوس فقلب المنافق الخالص عرف ثم أنكر . وأما القلب المصفح فقلب فيه إيمان و نفاق » إلخ .

[يا الناس اعبدوا الله ، إلى قوله : و أنتم تعلمون] .

بعد ما ذكر الله سبحانه و تعالى المؤمنين و الكافرين و المنافقين ، و قدم بيان صفاتهم و أحوالهم ، يخاطب النوع البشرى كله ، و يدعو الناس إلى عبادته و طاعته بتذكيرهم قدرته الكاملة و آلائه الجسيمة و نعمه الكثيرة عليهم ، و لقد كانت صفة الربوبية هى أول ما ذكره هنا لكى تنشأ فيهم دوافع التقدير و عواطف الاعتراف ، و يفكروا فيما إذا كان الله سبحانه و تعالى يهتم بتربيتهم هذا الاهتمام

ويخلق لمجرد توفير الراحة لهم هذا الكون الواسع و وسائله الكثيرة التي لا يأتي عليها الحصر، فأي مانع يحول دون أن يسلموا نفوسهم إليه، و يسلكوا سبيله الذي اختاره لهم وينتهجوا منهجه، وكيف لايتوقعون منه اللطف والرأفة والرحمة بعد هذا كله.

القدرات الالهية التي ذكرت ههنا لايمكن أن يخطر عنها ببال أن لها مالكا آخر غير الله تعالى، فان الأمور التي كان يزعمها المشركون و أمثالهم أنها آثار آلهتهم التي تملك من القدرة ما يملكه الله تعالى تبينت أنها ليست إلا من صنع الله فينبههم الله تعالى و يلفت أنظارهم إلى هذا الواقع، و يسائلهم عما إذا تحقق لديهم كذلك أن هذه الآثار لم يخلقها إلا الله تعالى، فكيف لا يؤمنون بالله الذي خلق هذا الكون و زينه ثم استوى على العرش فدبر أمره، و إنه نبههم على ذلك بقوله « و أنتم تعلمون » و قد سبق أن قال : « خلقكم والذين من قبلكم » فقضى بذلك على عبادة غير الله تعالى . و في هذه الآية نكتة مهمة جديرة بالوقوف عليها و التفكير فيها ذلك أن الله سبحانه يجعل التقوى نتيجة العبادة، أي اعبدوا ربكم كي تتقوا، و في لفظ آخر أن التقوى لا تتحقق إلا بالعبادة والطاعة و الخضوع له، و ما لم يؤمن الانسان بعبوديته، وبأن جميع رغباته و أهوائه و تمنياته تابعة لمرضاة ربه وسيده و أن جسمه و نفسه و روحــــه و ماله و أولاده و أبناءه بأجمعها ملكية لله، لا يستطيع أن يتوقى من همزات الشيطان و تأثيراته .

معنى العبادة لا يخلو من إظهار العبودية عملا مع الشعور بالعبودية فكراً، لأنه لا مناص لصيانة النفس من العبودية العملية، فان وساوس الشيطان والنفس، و رغبات المصالح والمنافع، ونزعات الملذات و الشهوات و ميول اللذائذ والأهواء تدعو في كل خطوة إلى الانحرافات، و إن عواصفها الهوجاء لا تترك النفس إلا و تحثها على العصيان، ومن أجل ذلك وضع الله سبحانه برامج العبادة اليومية في

حياة الانسان لكى يشعر المرء من هذا الطريق بعبوديته ، و تزول عنه وساوس الفكر وتصان الأفكار والأخيلة من مزيج الباطل، إن الرجل المؤمن عند ما قال « لا إله إلا الله » استغنى عن القوى الباطلة كلها و وسع الكون كله ، و لأجل ذلك أكد الابتعاد عن الشرك و الكفر ، و عن ابن عباس رضى الله عنه فى قول الله عز وجل : « فلا تجعلوا لله أنداداً » قال الأنداد هو الشرك أخفى من من دبيب النمل على صفاة سوداء فى ظلمة الليل و هو أن يقول و حياتك يا فلان و حياتى ، و يقول لو لا الكلب هذا لأتانا اللصوص البارحة ، و لو لا ... الدار لأتى اللصوص (١) . و كان رسول الله يأخذ ... الأمور ، فقد جاء عن ابن عباس رضى الله عنه قال ... ما شاء الله وما شئت » فقال « أجعلتنى لله نداً » ؟ قل ...

[وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا إلى قوله : أعدت للكافرين] ... الله سبحانه و تعالى مكن فى النفس قدرته و رأسه بذكر عدة آيات هامه دالة على قدرته و بين لهم أنه ليس كمثله شئ ، و كشف لهم أنه لا شريك له ، و أن خلق الأرض و السماوات و تكوين الكون و تدبيره و ترتيبه وصنعه المحير ، و تأكيد وجود العلل والأسباب ، والعواقب والنتائج كل ذلك دليل على أن وراء هذا الكون يداً جبارة ذات قدرة عظيمة ، و ما أحسن ما عبر عنه الشاعر العربى ابن المعتز :

فيا عجباً كيف يعصى الاله أم كيف يجحده الجاحد
و فى كل شئ له آية تدل على أنه واحد

و عن الامام الشافعى أنه سئل عن وجود الصانع ، فقال : هذا ورق التوت طعمه واحد ، تأكله الدود فيخرج منه الأبريسم ، و تأكله النحل فيخرج

(١) ابن كثير ج ١ ٥٧ . (٢) أيضاً .

العسل و تأكله الشاة و البقر و الأنعام فتلقيه بعراً و روثاً ، و تأكله الظباء ، فيخرج منها المسك و هو شئ واحد (١)

وعن أبي حنيفة أن بعض الزنادقة سألوه عن وجود البارى تعالى فقال لهم : دعونى فانى مفكر فى أمر قد أخبرت عنه ، ذكروا لى أن سفينة فى البحر موقرة فيها أنواع من المتاجر و ليس بها أحد يحرسها و لا يسوقها و هى مع ذلك تذهب و تجئ و تسير بنفسها و تخترق الأمواج العظام حتى تتخلص منها و تسير حيث شاءت بنفسها من غير أن يسوقها أحد ، فقالوا : هذا شئ لا يقوله عاقل ، فقال : و يحكم هذه الموجودات بما فيها من العالم العلوى و السفلى و ما اشتملت عليه من الأشياء المحكمة ليس لها صانع ، فبهت القوم ورجعوا إلى الحق و أسلموا على يديه (٢) .

و بعد إثبات وحدانية الله تعالى و وجوده يثبت نبوة محمد ﷺ و صدق القرآن فيقول وهو يخاطب الناس « و إن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله » .

لقد ضغط الله فى عدة مواضع على مطالبة المعارضين بأن يردوا هذا الكلام الالهى ، و أن يأتوا بسورة من مثله ، فلم يقدروا عليه و لم يستطيعوا ذلك وقد كان العرب يعتزون بفصاحتهم و يفتخرون بها ، و لكنهم لم يستطيعوا أن يردوا على تحدى القرآن هذا رغماً مما حاولوا و اجتهدوا كثيراً ، تصوروا كيف كان أبو جهل وأبو لهب وعتبة و شيبة و وليد و أمية بن خلف أعداء الاسلام ، إنهم لم يألوا جهداً فى معاداة الرسول ﷺ ومعارضة الاسلام ، لكنهم لم يستطيعوا أن يأتوا بآية من مثله فيبطلوا بها دعوى الاسلام الصادقة ، كم بذل أعداء الاسلام جهوداً

(١) ابن كثير ١ / ٥٨ (٢) أيضاً :

فى هذا الجانب ولكن دعوى القرآن المعجزة لا تزال باقية على عهدها رغم مرور ١٤٠٠ عام، وأن العالم بأسره عاجز عن ردها قاصر عن الاتيان بسورة من مثله، و إن وجود معارضى الاسلام ملايين الملايين فى كل عصر و مصر، إن دل على شئ فانما يدل على صدق الكلام الربانى، لم يستطع أحد أن يسطر سطراً، فيبطل هذه الدعوى، و جدير بالالتفات بصفة خاصة أن الله سبحانه و تعالى قد حفظ جزءاً كبيراً من كلام الرسول ﷺ كما حفظ القرآن، و هو فى متناول أيدى الناس فى صورة الأحاديث، وفرق بين القرآن و الحديث، رغم أن الحديث له مكان عال و مقام سامق فى الأدب العربى، و أن الكلا" "
الله ﷺ بلغ إلى أعلى ذروة الفصاحة وأسمى قمة ال
من القرآن، حتى إن الأحاديث القدسية التى يروى
باسم ربه هى أيضاً لا تضارع فصاحة القرآن و بلا
فرق جلى واضح يشعر به و يلمسه بنانه كل من له أدنى ذوق بالعربية، فلو كانت القضية هكذا، فكيف يقال ـ و العياذ بالله ـ إن القرآن صنفه محمد ﷺ وحده، و كل من عنده عقل و إلمام و شعور و حساسية لا يجترىء على هذا، و لا يتفوه به، و لو أنهم فكروا قليلا بالجد و الصرامة لم يجدوا مندوحة عن الاعتراف بالقرآن كلاماً ربانياً، و لما كانت دعوات الأنبياء الآخرين موقتة لزمن خاص محدود و كذلك كانت خاصة بمصر وعصر، أعطوا معجزات و آيات حسب ما تقتضيه الظروف و الأوضاع، و لكن النبى ﷺ بما أنه خاتم النبيين و دعوته إلى الناس كافة إلى يوم القيامة، أعطاه الله القرآن معجزة حية خالدة تهدى الناس وترشدهم وتقيم اعوجاجهم إلى يوم يبعثون، فمن فكر فى هذا الشأن اتضح له أن هذا القرآن معجز. و تبين له الحق تبيناً و توضيحاً لا يبقى معه الشك و تزول كل

ريبة ، و قد ثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة « أن رسول الله ﷺ قال : ما من نبى من الأنبياء إلا وقد أعطى من الآيات ، ما آمن على مثله البشر ، وإنما كان الذى أوتيه وحياً أوحاه الله إلى فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة (١).

[فان لم تفعلوا] بعد ذكر تأثير القرآن المعجز يقول : إن لم تستطيعوا أن تأتوا بسورة من مثله فاعترفوا بهذا الواقع ، و الحقيقة أن هذا الكلام ليس كلاماً بشرياً ، بل إنما هو كلام الله عز وجل ، فان لم تعترفوا رغماً من عجزكم وقصركم و بعد شعوركم بصراحة باعجاز القرآن و حقيقة الكلام الربانى فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة ، أعدت للكافرين ، و معنى ذلك لا ينقذكم أحد من غيظ الله و لا ينجيكم أحد من بأسه و غضبه ، و كذلك لا يساعدكم إلهكم الباطل ، بل إنهم أيضاً و أنتم كلكم حصب جهنم ، و يؤيد ذلك ما جاء فى آية أخرى يقول سبحانه عز من قائل « إنكم و ما تعبدون من دون الله حصب جهنم » ،

[و بشر الذين آمنوا و عملوا الصالحات — إلى : و هم فيها خالدون]

سبق ذكر العذاب و الجزاء الذى سوف يلاقيه الكافرون و الجاحدون ، و بمقابلهم يذكر أولئك السعداء الذين عرفوا رسول الله ﷺ وآمنوا به و بدعوته وأسلموا لرسالته ، واتحدوا سلوكهم وفقه . والآن شرع ذكر الجوائز و النعم التى يحصلون عليها وينالونها من عند الله و يتمتعون بها سعداء ، و قد ذكرت فى عدة آيات و مواضع نعم و مناظرها البهيجة الممتعة الساحرة إلا أن ما تيسر للانسان يفوق التصور ، و يفوق تقديرات الفهم الانسانى . فقال « و لكم فيها ما تشتهى أنفسكم و لكم فيها تدعون » أى ما تشتهيه النفوس و تتلذذ به العيون ، و إلى هذا الجانب أشار رسول الله ﷺ : ما لا أذن سمعت ولا عين رأت و لا خطر على قلب بشر » و فى نفس هذه الآية إشارة إلى ذلك بقوله : « أوتوا بها متشابهاً » أى أن نعم الآخرة والدنيا لا تتشابه إلا فى الأسماء مع اختلاف ماهية مسمياتها و به قال ابن عباس رضى الله عنه ، و به قال الآخرون .

---

(١) ابن كثير ج ١ ٥٩ .

القرن الخامس عشر الهجرى الجديد

و أضواء على الحقائق التاريخية

[ألقى سماحة الشيخ الندوى خطاباً باللغة الأردية بمناسبة أسبوع مطلع القرن الخامس عشر الهجرى الجديد ، نظمها « المنظمة الاسلامية للطلاب» (١٠-١-٨١)

وافتتح سماحة الشيخ الندوى هذه المناسبة الأسبوعية بكلمة مستفيضة ارتجلها بوحى من المناسبة المباركة ، و أفاض فى بيان الحقائق التاريخية و استعراض لبعض وقائع القرن المنصرم وأحداثه و رسالة القرن الجديد [illegible]

ونقلت من الشريط وأصبحت رسالة مهمة حول القرن

ووثيقة لها قيمتها الكبيرة ، ننشرها معربة ليطلع عليها القـ[illegible]

تملأ العالم اليوم تنبؤات وتطلعات حول القرن الخامس عشر الهجرى [illegible] القرن الذى يبتدىء من هجرة سيدنا محمد ﷺ إلى المدينة المنورة . و كـــذلك القرون ابتدأت بوجه عام بميلاد شخصيــة كبيرة أو وفاتها أو قيام دولة أو تحقق انتصارات عظيمة فى التاريخ (١) و كانت مصدر تقويم مستقل ، ولكن الاسلام

---

(١) مثلا التقويم المسيحى الذى يسود العالم كلـه ينتمى إلى سيدنا المسيح عليه الصلاة و السلام ، و التقويم البكرمى الذى ساد الهـــند ينتمى إلى الملك « بكرما جيت » و فى إيران و لدى الزردشت عرف تقويمـان ، وكلاهما ينتميان إلى يزدجرد الثالث ، أحدهما يبتدىء بتاريخ جلوسه على العرش ، والثانى يبتدىء بوفاته ، وكذلك التقويم الغريغورى ينتمى إلى البولس غرى غورى الثالث عشر الذى يسود فى أوربا كلها منذ عام ١٥٨٢م (باستثناء الاتحاد السوفياتى و اليونان) .

يتميز عن الديانات الأخرى فى ذلك، فلم يسم دينه باسم نبيه ، ولكن باسم رسالته إذ أن الاسلام ليس اسماً لشخصية إنما هو اسم لمنهج وحكم إلهى ، يعنى الخضوع أمام أحكام الله ، وتلك هى ميزة هذا القرن ، فانه لم يبتدىء بوجود شخصية ، حتى إنه لم يبدأ بشخصية سيدنا محمد ﷺ التى تعتبر أعظم وأحب شخصية بعد الله تعالى، ولكن هذا القرن لا علاقة لها بولادته ﷺ ولا بوفاته ، رغم أنهما حدثان كبيران فى هذا العالم و لكنه يتصل بهجرة النبى ﷺ .

و معنى ذلك أن القرن الهجرى الجـديد سيطلع علينا برسالة ودعوة ، وأنه لايجدد ذكرى شخصية أو أمة فحسب ، بل يجـدد ذكرى رسالة ، و هى أن النبى ﷺ هاجر من وطنه العزيز إلى موطن جديد وراء غاية عظيمة ، إن هذه الهجرة تذكرنا برسالة و باقـدام كبير ، لأن النبى ﷺ لم يقم بها لانقاذ نفسه أو أصحابه المعدودين ، و لكنه قام بها لصيانة رسالة الله و لاتاحة الفرصة لتبليغها إلى العالم كله ، إن هذا القرن يذكرنا بما للغاية الكريمة و الهدف العظيم من أهمية و قيمة تسهل على المرء أن يضحى فى سبلها بكل نفيس وغال. إنها رسالة حية ذات روح عالية فى تاريخ العالم كله ، تؤكد أن أمراً مهما كان نادراً وغريباً ، ومهما وضعت فى طريقه عراقيل و أثيرت ضـده العواطف ، إذا كان نابعاً من إخلاص النية ، و كان القصد من ورائه إسعاد الانسانية مع تصمم العزم يتسع نطاقـه و يشمل معناه و يتكلل بالنجاح عاقبة الأمر .

لذلك فان هذا القرن الخامس عشر الهجرى لا يبعث همة المسلمين فحسب ولكنه يوجه رسالة حياة إلى النوع البشرى كله ، وإلى جميع من يتوخون غاية صالحة من وراء أعمالهم و نشاطهم ، و يحملون راية دعوة نافعة و يبذلون مجهودات فى سبيل هدف أفضل أو غاية عظيمة .

أما أن يكون هذا القرن الجديد سعيداً للمسلمين و عن طريقهم للانسانية كلها أو يكون مشئوماً ؟ فذلك أمر لا يمكن أن نصدر حكما حوله الآن ، فمن قضاء الله تعالى و حقائق القرآن الأبدية التى لا تتغير ما قال الله تعالى : « و أن ليس للانسان إلا ما سعى » فان الانسان فى حياته الدنيا و فى آخرته لا يدرك أكثر مما يسعى ، إنما يدرك ما أنتج له سعيه كما يقول الله تعالى « وإن سعيه سوف يرى » إنها رسالة حية ، للنوع البشرى كله ولجميع أدوار التاريخ ، إن سعى الانسان لايخلو من نتائجه التى يراها « ثم يجزاه الجزاء الأوفى »

فان معانى سعى الانسان و ما ينتجه ويثمر له سعيه

الكريمة إنما هى رسالة تحمل فى طيها معانى كريمة من الحـ

و إذا كان الشاعر الاسلامى محمد إقبال خاطب الانسان

حياتك أيها الانسان إنما هى رهين عملك فاما إلى الجنة أو ...

لست من أهل النور و لا من أهل النار » فانى أنشد هـــذا البيت و أخاطب به القرن الجديد ، فان هذا القرن و ما سبقه من قرون ليس فى طبيعته سعيداً و لا مشئوماً فى الواقع ، فان السعادة والشقاء إنما يتوقفان على مساعى الانسان و اتجاه أعماله . ونحن لا نستطيع أن نحكم مسبقاً لأى قرن أو سنة أو شهر و يوم وساعة أن فيه سعادة أو شئوماً ، ليس فى الاسلام نظرية الشقاء أوالسعادة التى كانت ولا تزال توجد لدى أمم جاهلية ظلت بعيدة عن تعاليم الأنبياء عليهم السلام ، لا يسمح لنا الاسلام بأن نحكم حول قرن قادم أنه سعيد جداً ، تسعد فيه الأمة الاسلامية كل السعادة ، أو أن هذا القرن مشئوم لأمة أوللاقدار الانسانية ، إنه ليس تفكيراً إسلامياً و لا يؤيده الكتاب والسنة ، ذلك لأن التصور عن زمن خاص أنه سعيد ميمون بوجه دائم ، أو باعث على الشؤم والشقاء يضر بقوة العمل الانسانية ، إن الانسان

إذا اعتقد أن هناك ساعة مشئومة تستقبله قريباً باءت قوته العملية بالانهيار، وتعطلت قوة حكمه بتاتاً .

إن رسول الله ﷺ قضى نهائياً على التعلق بالأوهام والمغالاة فى الاعتقاد بشئ و الاعجاب بشخصية ، انكسفت الشمس ذات مرة فى عهده ﷺ و صادف ذلك وفاة سيدنا إبراهيم بن رسول الله ﷺ بقليل (١) وكان الله سبحانه قد أراد فى ذلك حكمة التربية ، لأن العرب المسلمين آنذاك كانوا قريبى العهد بالجاهلية و لم يكن العالم قد تخلص من تأثيرها تماماً ، ثم إن حادث الوفاة كان أمراً غير عادى أثار العواطف فتكلم بعض المسلمين و قالوا كيف لا تنكسف الشمس و قد توفى ابن رسول الله صلى الله عليه و سلم ، و لو كان مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه المناسبة الحزينة أى داع من الدعاة أو زعيم من الزعماء أو قائد دعوة و حركة وجماعة لسكت على هذا الكلام إذا لم يوفق إلى نفيه ، ظناً منه أن ذلك الكلام إنما هو فى مصلحة دعوته و حركته ، و ظن أنه لم يتول لفت الأنظار إلى هذه الناحية ، بل إن الناس بأنفسهم فكروا فى ذلك و قالوا إن الشمس إنما انكسفت لوفاة ابن رسول الله ﷺ ، فلاحاجة إلى نفى هذا التفكير . و ذلك هو الفرق بعينه بين النبى وغيره ، فان الأحداث التى يستغلها أصحاب الفكر السياسى ، وإن كانت حوادث طبيعية ، يرى الأنبياء الكرام عليهم السلام استغلالها على حساب الدين حراماً ، وأمراً يرادف الكفر ، ولا أدرى أن أحداً سوى محمد ﷺ يكون قد صدق فى هذا الامتحان من غير الأنبياء و من مؤسسى الجماعات و زعماء السياسة ، و هنالك قام رسول الله ﷺ خطيباً فى القوم فقال : « إن

---

(١) توفى سيدنا إبراهيم عليه السلام عام ١٠ من الهجرة ، وكان ابن سنة ونصف

الشمس و القمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد و لا لحياته » (١) .

كأن النبي ﷺ سألهم عما ذا قالوا؟ ثم رد عليهم بأن الشمس و القمر لايتغيران لموت أحد من الناس و لا لحياته ، إنما هما آيتان من آيات الله ، و متقيدان بقانون يخصهما ، لايؤثر عليهما موت ولاحياة ، و لوأن رسول الله ﷺ آثر السكوت في هذه المناسبة لم يك ذلك سبباً لفساد ، بل إن ظناً خاطئاً كان قد وجد سبيلا إلى قلوب الناس بناءاً على الحب و الاعجاب بشخصية الرسول ﷺ ، وبحكم الاضطرار. ولكن لم يتحمله رسول الله وسرعان ما نفاه وقال كلا ، إن ذلك الحادث لاعلاقة له بأسرتى أو بولدى ، فان الكون أوسع من ذلك ، و ا

عن ذلك ، و قانونه أروع من مثل هذه الأمور ، لقد

يتعلق بالأساس ، وجه إلى النوع البشرى كله بل العقل الا

أهم من النوع الانسانى و إنه يحكم النوع الانسانى كله و

ذلك انحرافاً للعقل الانسانى خطيراً ، و كان لا بد من وضع الحد عليه

كنت أتحدث وأقول : إن قرناً من القرون ليس سعيداً بذاته ولا مشئوماً ، وأضرب لكم مثالا للكأس ، إنها إذا كانت فارغة لا نحكم عليها بشئ ، إن ذلك يتوقف على مافيها من الماء البارد ، فان كانت فيها خمر - لاقدر الله - كانت الكأس كأس الخمر ، أو كان فيها سم دعيت بكأس السم ، و أما الكاس بذاتها فهى بريئة وشئ حيادى ، و الأمر إنما يتوقف على من يملأ الكاس فان ملأها بالزمزم فهى كأس الزمزم . و إن ملأهـا بالخمر فهى كاس الخمر ، و هنا نستطيع أن نقول إن سعادة أو شقاء هذا القرن إنما يتوقف على سعى الأمة التى أخرجها الله تعالى لحمل رسالته الأخيرة .

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الكسوف ج ١ ٢٩٦ .

و بالمناسبة أضرب لكم ثلاثة أمثال ، مثالان منها لقرنين ابتـدءا بأحداث هائلة مخيفة وأحوال سيئة تبعث على اليأس وتقطع الآمال ، فقد استقبلهما مورخو ذلك العهد بشئ كثير من القلق والحزن وبالجروح والدموع ، وقد شهد المؤرخان ابن أثير وابن كثير كيف أن الأوساط الاسلامية استقبلت القرن السابع الهجرى ، فقد كانت الدلائل و الموشرات كلها تشير إلى أن ذلك القرن ليس فى مصلحـــة المسلمين و لا فى مصلحة الأمة الاسلامية ، و فى مصلحة الاسلام . وسيكون أشأم قرن فى حق الانسانية كلها ، فقد كان هذا القرن استهل بحادث غير عادى كما يقول المؤرخ ابن أثير الجزرى (المتوى ٦٣٨هـ) « ولو قال قائل إن العالم منذ أن خلق الله سبحانه وتعالى آدم إلى الآن لم يبتلوا بمثلها لكان صادقاً ، فان التواريخ لم تتضمن ما يقاربها و لا مايدانيها » (١) .

و أعنى بذلك زحف التتار الذى تم فى عام ٦١٦هـ على أكبر مملكة فى ذلك الوقت و هى مملكة خوارزم شاه ، كان ذلك فى مبدأ القرن السابع الهجرى و فى القرن الثالث عشر الميلادى ، و قد نهض التتار كجراد منتشر و سيطروا على العالم الاسلامى كله ، و دمروا تركستان و إيران ، و أتوا على المدن الكبيرة بأسرهـا و أبادوها ، حتى إنهم رفعوا مناور عالية من رؤس القتلى و جثثهـا ، و تسلقوا عليها ، و تحولت المدن إلى مقابر ، و لكى نقـدر هول الحادث يحسن بنا أن نقرأ ما كتبـــه « إيدورد جبون » فى كتابة (سقوط و انحطاط الروم) ـــ (I c ll e ـAnd lfal of the Roman Empire) .

« إن أهالى السويد اطلعوا على الزحف التتارى عن طريق روسيا ، و قد بلغ الرعب والخوف فى قلوبهم مبلغاً عظيماً حيث إنهم لم يخرجوا للاقتناص كعادتهم

(١) الكامل لابن أثير ١٢ - ١٤٧ .

إلى السواحل البريطانية » (١).

تصوروا موقع السويد الجغرافى من سواحل انجلترا التى بلغ إليها التتار ، إن صيادى الأسماك فى السويد الذين كانوا يمارسون مهمة صيد السمك قد بلغ منهم الخوف إلى حد تركوا فيه مهنتهم ، ولم يتمكن مؤرخ العهد المتوسط فى كيمبردج من تصوير هول الحادث والتعبير عنه سوى أنه قال « إن السماء وقعت على الأرض فدمرت كل ما فيها » (٢)

كلا هذين التصريحين للمؤلفين الغربيين ، الذين لم يتأثروا كثيرا بهذا الحادث ولا أصابتهم الهجمات التتارية مباشرة ، ولكى نعرف مد‍... ‍اه
و نظرتهم إليه يجب أن نقرأ المثل السائر فى ذلك العهد
لك إن التتر انهزموا فلا تصدق » أولئك المسلمون الذ‍...
اليأس والقنوط ، وأمرهم القرآن فقال . « لا تقنطوا من ...
و الذين كانوا يقرأون فى القرآن « إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون » (يوسف ٨٧) و لكن المسلمين رغم ذلك أصيبوا بيأس و قنوط و اشتهر فيهم أن التتر لا ينهزمون .

هؤلاء التتار إنما خرجوا من حصارهم القديم من أجل خطأ سياسى صدر من خوارزم شاه ، يطلع عليه من درس تاريخه . و قد استهدفوا المسلمين برحمهم و خرجوا من مركزهم فدمروا تركستان و إيران ، و أتوا عليهما بجميع ما فيهما من تراث علمى وحضارى ، وقد انتهز الفرصة الأذكياء العباقرة من الناس و اتجهوا نحو الهند و التجأوا إليها ، كان ذلك فى القرن الثالث عشر الميلادى ، وقد حاول

---

(١) غبن : ص ١٦ .

(٢) من كتاب « جنكيز خان » لمؤلفه (هيرلو ليمب) .

«أرنولد» فى كتابه : الدعوة إلى الاسلام (Preching of Islam) أن يصور أوضاع المسلمين من اليأس والشعور بالهزيمة ، وكان يستطيع فى ذلك الوقت كل شخص يتمتع بالشعور و المشاهدة و قوة الاستنتاج من ترتيب المقـــدمات والأسباب ، أن يتسأ فيعتقد أن الاسلام قد ولى عهده و أوشكت شمسها على الغروب . و لا شك فان المسلمين هم الذين كانوا هـــدف الهجمات التتارية فى الواقع و قد ضاق عليهم مجال العمل و الأمل معاً ، يقول « آرنولد » وهو يتحدث عن منافسين قويين للاسلام و هما : البوذية و المسيحيـــة « كانا يحاولان إحراز قصب السبق فى ذلك المضمار و ليس هناك فى تاريخ العالم نظير لذلك المشهـــد الغريب . و تلك المعركة الحـامية التى قامت بين البوذية و المسيحيـــة و الاسلام ، كل ديانة تنافس الأخرى لتكسب قلوب أولئك الفاتحين القساة ، الذين داسوا بأقدامهم رقاب أهل تلك الديانات العظيمة ذات الدعاة و المبشرين فى جميع الأقطار و الأقاليم » (١)

كل الدلائل كانت تشير إلى أن المسيحية ستنتصر لأنها لم تكن الخصم المناهض فى هذه الحرب ، ثم إن المسيحيات والمسيحيين كانوا فى قصور أمراء جنكيز خان ، فاذا كانت هناك مسألة اعتناقهم بدين كان المسيحية فى مقدمة كل دين ، لم يكن يشك أحد فى اعتناقهم بها ، و لكن هل تعرفون ماذا وقع ؟ لقـــد اضطر آرنولد إلى الاعتراف بالواقع ، يقول : « و لكن لم يكن بد من أن ينهض الاسلام من تحت أنقاض عظمته الأولى و أطلال مجده التالد ، كما استطاع بواسطة دعاته أن يجذب أولئك الفاتحين المتبربرين و يحملهم على اعتناقه » (٢) .

و يقول : « و على الرغم من جميع المصائب أدعن هؤلاء المغول والقبائل

---

(١) الدعوة إلى الاسلام ص ٢٥٠ .

(٢) أيضاً ص ٢٤٦

المتبربرة آخر الأمر لدين هذه الشعوب التى ساموها الخسف و جعلوها فى مواطئ أقدامهم » (١) .

إن القرن الذى بدأ بالشئوم ـ إذا كان فى الاسلام مجال لكلمـة شؤم ـ القرن الذى بدأ بالظلام الشامل و اليأس العام ، إنما تحول إلى قرن « فتح مبين» للاسلام و بهت به العالم وقضى العجب مما رأى من أن التتار الذين لم تزل أيديهم مخضوبة بدماء المسلمين كيف خضعوا للاسلام ، يقول : « هورث » .

« وقد بلغ من سوء المعاملة التى لقيها هؤلاء أن رائضى الخيول من أهالى الصين كانوا إذا عرضوا أشباحاً أظهروا الشر والحور فى صلف و إعجاب بعرض صورة تمثل رجلا مسنا ذا لحية بيضاء يجره حصان قد ربط ذيله برقبته ، كان هؤلاء يفعلون ذلك ليظهروا للناس كيف يتصرف فرسان للمسلمين » (٢) .

و الواقع أن المسلمين إنما كانوا قد فقدوا كل شئ و الاعتماد على الله و الايمان بالله ، و العقيـدة ، و القوة الروحانية ، و لذلك فان المسلمين لم يلاقوا الهزيمة ، وإنما كانت الهزيمة نصيب الملوك المسلمين الأشقياء ومجتمع مريض فاسد ـ أقول ذلك بصراحة و تألم ـ أما الاسلام فقد كان ثابتاً فى مكانه من غير أن يصاب بأدنى فتور فى نشاطه و قوته ، كان المسلمون قـد ظنوا أن إخضاع التتار بالسيف مستحيل ، لأن سيف الاسلام مفلول بل مكسر ، أو عائد إلى الغمد ، و قد أثبت التتار أن لديهم قوة عسكرية أقوى من المسلمين ، و أنهم بعيدون عن أدواء الثراء و السياسة و المدنية و يملكون من قوة التحمل و الصبر

(١) أيضاً ص ٢٥٨ .

(٢) تاريخ المغول لهورث ج ١ ص ١٥٩ .

على المكاره و الشدائد ما كان ميزة العرب الأقوياء و فاتحى الاسلام فقط ، و أنهم لم يخرجوا من محيط الصحراء إلا بعد قرون حيث إن طاقتهم لاتزال كامنة عندهم لا يمكن أن تقاومها السيوف .

هل تعرفون من انتصر على التتار ، من حبب إليهم كلمة الاسلام ؟ لقد تمثل أمامهم فى ذلك الوقت العصيب و الظلام الحالك رجال من أصحاب القلوب كانوا يتمتعون بالقوة الروحية ، فتولوا من إسلام التتار كأمة فى ظرف نصف قرن ، إن التاريخ كله يزخر بقصص إسلام الناس أفراداً و جماعات و مدناً بأسرها ، و لكن أمثلة إسلام الناس كأمة لا تتجاوز ثلاثة أو أربعة أمثلة فيما أعلم ، فان العرب أسلموا كأمة ، والأفغان أسلموا كأمة ـ و هم يعانون اليوم مع الأسف من المحن ما لا يخفى ـ و كذلك الأتراك و التتار لم يسلموا أفراداً إنما دخلوا فى دين الاسلام كأمة ، مأة فى المأة ، إنه لغز من ألغاز التاريخ و قد واجهته أنا شخصياً كذلك ، و هو أن يتم هذا الواقع الذى غير مجرى التاريخ و خلف تأثيراً عميقاً على مستقبل العالم كله ـ أعنى به إسلام التتار كأمة ـ ثم لا نجد فى التاريخ أسماء من تولوا إسلام التتار و يرجع إليهم الفضل فى ذلك ؟ ! ما السر فى ذلك ؟ !

لقد تذكرت بالمناسبة قصة جندى مسلم فى فتح المدائن عثر على تاج كسرى ، فأخفاه فى ثيابه ـ شأن المال المسروق ـ وجاء به إلى قائد قوات الجيش الاسلامى سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه ، و قال أيها الأمير : يبدو كأن هذا شئ ثمين ، و أنا أسلمك إياه ، لكى تجعله فى بيت مال المسلمين ، و قبل أن يقبل التاج رأى الأمير ـ و هو من العشرة المبشرة ـ إلى الرجل بشئ من الدهشة ، وتحدث فى نفسه فقال : كيف لم تفسد نية هذا الرجل المسكين البدوى فى هذا التاج الثمين ، المرصع الغالى ؟ كيف لم يفكر فيما إذا ذهب به إلى خيمته وامتلكه دون أن

يسلمه إلينا ، فسأله الأمير عن اسم الرجل ، فتولى عنه و قال : إن الذى قمت له بهذا العمل يعرف اسمى و انصرف .

هذه قصة فرد واحد ، و أظن أن الذين تولوا إسلام التتار كانوا يتسمون بهذه الميزة ، وأنهم أخفوا أسماءهم . و قد واجهت أنا صعوبة فى تحقيق أسماء هؤلاء العظام حينما عرضت لى حاجة إليها أثناء تأليفاتى . و بعد بحث و عناء طويل عثرت على اسمين ، أحدهما لوزير صالح يدعى بالأمير توزون (١) الذى كان رئيس الوزراء لملك التتار ممن كان يحكم العراق ، كان هذا الوزير رجلا صالحاً من العباد و الزهاد و ظل يلقى إلى الملك قولا عن الاسلام و يحببه إليـــــه حتى هوحتى أهل بغداد فى يوم جمعة أن رأوا الملك التتارى السلطان قازان و وزراوه معه .

يحملون بأيديهم السبح ، يقول ابن كثير فى البداية والنهاية

على رؤس الناس يوم إسلامه و تسمى بمحمود ، و شهد ا-

كنائس كثيرة ، و ضرب عليهم الجزية و رد مظالم كثيرة ببغد

و ظهرت السبح و الهياكل مع التتار ، و الحمد لله وحده » (٢)

و المأثرة التاريخية الثانية هى للشيخ جمال الدين ، و قد انتشر الاسلام بفضل إخلاصه وورعه فى إحدى أسر التتار التى عرفت بأسرة جغطائى التى كانت فى البلاد المتوسطة و كان مركزها كاشغر ، وأسلمت الأسرة بكاملها ، و مما يحكى أن الشيخ جمال الدين كان متجهاً مع جماعة إلى جهة ، وكان التتار يكرهون الفرس ويبغضونهم وما كانوا يقيمون لهم أى وزن ، وكان الشيخ فارسياً ، وصادف ذلك يوم الصيد للأمير تغلق تيمور ولى عهد الأسرة الجغطائية ، وقد كانت مناسبة تتويجه قريبة ،

---

(١) يسميه آرنولد و غيره من المؤرخين « نوروزبيك » .

(٢) البداية و النهاية ج ١٣ - ٣٤٠ .

و معلوم أن الصيد يضم فى طيه أوهاماً ولاسيما الأمراء هؤلآء كانوا يعتقدون بأوهام وخرافات ، فلما رأى الأمير أن الشيخ جمال الدين قد توغل إلى الأرض التى كان قد خصصها للصيد لنفسه أمر بأن توثق أيديهم وأرجلهم ويمثلوا بين يديه ، لأنه تشاءم بهم وتنغص من أجلهم ، و سألهم فى غضب : كيف جرؤوا على دخول هذه الأرض ، و لما علم أنهم من الفرس قال لهم : إن الكلب أغلى من أى فارسى ، و أشار إلى كلبه ، تصوروا كيف يكون المنظر و ماذا تكون حال الشيخ جمال الدين بعد هـذا الكلام ، ولكنه لم يحدث فيه أى تغيير ولا ثورة ، بل إنه أجاب فى هدوء وقال : إنه لا يمكن أن نحكم الآن فى هـذا ، فسأله الأمير و متى يمكن ذلك ، فقال : إن ذلك يتوقف على خاتمتى ، إذا كانت على الايمـان فأنا أحسن وأغلى من الكلب . أما إذا لم أسعد بحسن الخاتمة فلا شك أن الكلب هو أغلى منى

أثر هذا الكلام الصريح فى قلب الأمير لأنه كان صادراً من القلب فوقع فى القلب ، و كم ذا من الدموع و الدعاء تكون قد تبعت هذه الكلمة ، وكأنه قـد قال بلسان حاله : اللهم إليك أشكو ضعف قوتى و قلة حيلتى ، و أنت تملك أن تمنح كلامى هذا تأثيراً فى القلب ، وتلك هى لحظـة قضاء الله فى إسلام الأمير ، لأنه إذا سعد بالاسلام سعد به حظ المسلمين (١) .

وعرض الشيخ على الأمير تغلق تيمور قواعد الاسلام فى غيرة وحماس ، انفطر لهما قلب الأمير حتى كاد يذوب كما يذوب الشمع ، وصور له الكفر بصورة مروعة اقتنع معها بضلال معتقداته وفسادها ، وقال : « لكنى إذا اعتنقت الاسلام الآن ، فلن يكون من السهل أن أهدى رعاياى إلى الصراط المستقيم فلتمهلنى قليلا ، فإذا

---

(١) ذكر « آرنولد » رد الشيخ على الأمير ضمن هذا الحادث و هو أنه قال : نعم قد كنا أخس من الكلب وأبخس ثمناً منه لو أننا لم ندن بالدين الحق » .

ما آلت إلى مملكة أجدادى ، فعد إلى » وذلك أن إمبراطورية جغطائى انقسمت فى ذلك الوقت إلى إمارات صغيرة ، وظلت على ذلك سنين طويلة حتى نجح تغلق تيمور (Tuqluq Timur) فى توحيد الامبراطورية كلها تحت سلطانه ، وجمع كلمتها كما كانت من قبل ، و فى هذه الأثناء كان الشيخ جمال الدين قد عاد إلى بلده حيث مرض مرضاً شديداً ، فلما أشرف على الوفاة قال لابنه رشيد الدين : « سيصبح تغلق تيمور يوماً ملكاً عظيماً ، فلا تنس أن تذهب إليه وتقرئه منى السلام ولا تخش أن تذكره بوعده الذى قطعه لى » ولم يلبث رشيد الدين إلا سنين قليلة حتى ذهب إلى معسكر الخان ، و كان قد استرد عرش إمبراطورية آبائه ، تنفيذاً لوصية أبيه ، و لكنه لم يستطع أن يظفر بالمثول بين يدى الخان برغم ما بذله ،

إلى هذه الحيلة الطريفة . ففى ذات يوم أخذ يؤذن فى الـ

من فسطاط الخان ، فأقلق ذلك الصوت نوم الخان و

و مثوله بين يديه . وهناك أدى رشيد الدين رسالة أبيه ، و لم ينس ... تيمور

وعده وقال : « حقاً ما زلت أذكر ذلك منذ اعتليت عرش آبائى ، ولكن الشخص الذى قطعت له ذلك الوعد لم يحضر من قبل ، والآن فأنت على الرحب والسعة ، ثم أقر بالشهادتين ، و أصبح مسلماً منذ ذلك الحين ، و أشرقت شمس الاسلام و محت بنورها ظلام الكفر .

و دعا الملك تغلق تيمور رئيس وزرائه ، و قال له : إنى أحمل فى صدرى سراً منذ زمن ، لقد وقع ما سمعته الآن مع الشيخ جمال الدين ، و لا يزال له تأثير فى قلبى ، فقد قضيت أن أسلم فما رأيك ؟ فقال له الوزير أيها الملك · إنى مسلم من زمان ، و كنت أخفى إسلامى ، و قد اهتديت إليه فى إحدى رحلاتى إلى إيران . و دعى الوزراء و الأمراء إلى الملك ، و أسلموا بعد ما علموا باسلامه .

هؤلاء التتار لم يكونوا يتمتعون بالعلم و لا بالحضارة ، و لا بدين سماوى تستسيغه عقولهم ، و قد كانوا أخذوا القوانين من المسلمين « ولله جنود السماوات و الأرض » (الفتح ٧) و كان ذلك حكمة إلهية إذ لم يكن بوسع التتار أن يقوموا بتدبير هذه المملكة الواسعة الراقية ، كان هناك مقننون من المسلمين ، ونظام الرى ، و جباته الضرائب ، و أحكام القضايا ، و كان لدى التتار قانون محدود للتعزير وضعوه على أساس تجاربهم فى حياة الصحراء المحدودة ، فكانوا فى أشد حاجة إلى المسلمين من قبل ، و كان المسلمون من العلماء و خبراء القانون قد أدوا واجبهم نحو هذه المملكة الواسعة ، إنهم ساعدوهم فى تدبير شئون المملكة . و طبعوا فى نفوسهم توجيهات الاسلام للحياة و كفاءته الواسعة فى تنظيم المجتمع و الدولة ، إنهم رأوا أن مرحلة الايمان و العقيدة التى كانت تترقب دورها قد تحققت الآن .

وما أن أسلم الملك تغلق تيمور إلا و قد أسرع التتار فى إيران نحو اعتناق الاسلام وتم إسلام الجميع فى عدة أيام ، و كانت الأسرة التتارية الحاكمة فى العراق قد سبقتهم إلى الاسلام بجهود الأمير توزون ، و كانوا يتتابعون فى قبول الاسلام ويتسابقون فى عدد جم يبلغ مئات الآلاف ، و كل ذلك قد تم بفضل مجهودات العلماء و الوعاظ والدعاة المخلصين ، وخاصة بالجهود المخلصة التى بذلها العلماء الربانيون من أهل القلوب ، و تلك حقيقة لايختلف فيها اثنان ، فان التاريخ شاهد عدل على ما قام به أصحاب القلوب المؤمنة هؤلاء من عمل جبار فى سرية و خفاء نحو تحبيب الاسلام إلى هؤلاء التتار ، و استدركوا بذالك ما لقيه المسلمون من هزائم سياسية . و ما واجهوه من إخفاق فى مجال السياسة ، و قلبوا الوضع ظهراً على بطن .

وقد أشارالبروفيسور هتى (HITTI) إلى هذه الحقيقة التاريخية وصدقها بقوله : « طالما حدث أن « الاسلام الدينى » أحرز نجاحاً كبيراً فى أحرج ساعات

« الاسلام السياسى » (١)

ويقول أحد الفضلاء الهولنديين لوكےگارد (FREDE LOKKE GOARD)

« رغم أن الاسلام أصيب بالانحطاط السياسى مرات كثيرة إلا أن الاسلام الروحانى ما زال متقدماً نحو الأمام (١)

و هـــذا المستشرق الشهير (H. A. R. GIBB) ألقى ذات مرة خطاباً أمام مجلس جامعة أوكسفورد ، فقال .

« طالما شهد تاريخ الاسلام أن الثقافة الاسلاميــة قوبلت بمنافسات شــديدة ولكنها لم تنهزم رغماً من ذلك ، ذلك لأن الأسلوب الصوفى وتفكير [illegible] أسرع إلى دعمها وتأييدها ، ومنحها قوة لم تصمد فى وجهها »

و لا شك فى أن هؤلاء التتار يسجلون فى كتاب العلم

الآلاف المؤلفة الذين غيروا مجرى التاريخ حينما يعشون يو[illegible]

فى حسابهم ، وأولئك هم الذين ينطبق عليهم قول الحطيئة .

أقلوا عليهم لا أبا لأبيكم من اللوم أو سدوا المكان الذى سدوا

ضربت لكم مثلا بالقرن الذى بدأ بأحداث هائلة كانت تهـــدد بقاء الاسلام لكن المسلمين لم يخسروا الهمة العالية إذا كانوا قد خسروا الدولة و المملكة ، وتلك حقيقة ثابتة ، فان الدولة يمكن أن يخسرها المسلمون عشر مرات ، ولكنها تستطيع أن تعود فى المرة الحادية عشرة ، أما الهمـــة إذا خسرها صاحبها مرة واحـــدة فانها لاتعود فى أغلب الأحوال .

---

(1) History of Arabs P, 475 .

(2) Islami Taxtation in the Clanic .

(3) Islamic Culture 1942 P, 265 .

ظل دعاة الاسلام مشغولين بوظيفتهم فى صمت من غير دعاية ، و لا أدرى بما إذا كان المسلمون قد أسسوا حينذاك جمعية لدعوة التتر إلى الاسلام أو نشروا إعلاناً عما إذا أسلم التتار أفاد ذلك عودة المسلمين إلى الحكم المفقود والحصول على السلطة ، لا أعلم أن شيئاً من ذلك قد وجد و لكننى أعلم أن هؤلآء الدعاة قاموا بواجب الدعوة فى هذه الأمة التتارية من غير أن يطلع عليه الناس ، وما هى إلا مدة قليلة إذ فوجئ العالم باسلام الأمة التتارية جمعاء .

إنى مثلت لكم بالقرن السابع الهجرى والثالث عشر الميلادى الذى بدأ بأحداث مروعة أفزعت قلوب المسلمين ، ولو لا أنهم كانوا يتمتعون بقوة العقيدة لهجمت عليهم ردة فكرية و حضارية إن لم تكن ردة إيمانية ، و لكن لم تحدث هناك ردة حضارية و لا فكرية فضلا عن الردة الايمانية .

وأضرب لكم مثالا آخر للقرن العاشر الهجرى (القرن السادس عشر الميلادى) ولا أتوغل بالمناسبة فى تاريخ العالم الاسلامى الواسع بل أتحدث عن الهند التى أطل عليها أواسط القرن العاشر الهجرى فى ظروف قاسية ، كانت تهـــدد حرمان الهند قيادة الاسلام و توجيهاته ، بل كادت تحرم فضل الاسلام ونعمته ، كان يبدو أن ذلك يتم فى طرف أيام ، إقرأوا تفاصيل ذلك فى كتب التاريخ (١) .

وقد وجدت آنذاك فى العالم الاسلامى مملكتان كبيرتان ، مملكة العثمانيين فى آسيا الصغرى ، و مملكة المغول فى شبه القارة الهندية ، و كانت المملكة الصفوية فى إيران على الدرجة الثالثة ، و قد حدث هنا فى الهند أن عدداً من عباقرة العلماء و المثقفين ـ يتميز من بينهم أبو الفضل و فيضى عن غيرهم ـ انضموا إلى حركة كان يقودها امبراطور عظيم ذو عزم أكيد وذكاء نادر وغزو و انتصار ، وكانت

(١) مثلا ـ رجال الفكر و الدعوة « المجلد الرابع » للمؤلف .

وكانت تهدف هذه الحركة إلى تغيير وجهة الهند من الاسلام إلى دين جديد اخترعه الامبراطور « أكبر » وسماه الدين الالهى ، و إلى وحدة الأديان التى كانت الكفة فيها راجحة إلى جانب آخر بصفة دائمة (١) .

كان ذلك مجمعاً خطيراً للقوة المادية و الذكاء النادر أو كانت مؤامرة ضد الاسلام تتولاها مملكة مطلقة ، و عقلية منحرفة يتعذر نظيرها فى التاريخ ، و كان الناس يعلنون جهاراً أن القرن العاشر أوشك على النهاية و القرن الحادى عشر على الأبواب ، وإن ألف سنة ، مدة كبيرة لأى دين من الأديان . وقد قام رجال من العلماء و المثقفين ، ممن لم يكونوا على جانب كبير من العلم و الورع ، و كانوا يحرصون على المناصب ، فوفروا لذلك دلائل فى ضوء تا
أن ديناً لم يدم أكثر من هذه المدة ، وكلما مر عليه ألف
و قيادة فكرية جديدة ، و قالوا : إن الدين العربى قد ق
نبوة محمد ﷺ ألف سنة ، فان الجيل الجديد بحاجة إلى دستور جديد ...
جديدة ، وما أكثر الفتن التى تنشأ من فلسفات تتحرر عن قيود الدين والأخلاق !

تصوروا هذا الخطر المتفاقم ، لقد كان حامل لواء هذه الحركة و رمزها ذلك الامبراطور الذى كانت الهند كلها ترتجف أمام سيفه ، الذى كان قد ذلل كل

(١) إن هذه الحركة التى أسست على التسامح والصلح الكامل لم تكن عادلة فى حق الاسلام فرجحت فيها طبعاً كفة الديانة و الفرقة التى كانت ذات تأثير فى البلاط و يميل إليها الامبراطور ، فقد اعترف مؤرخو « تاريخ الهند بايجاز» و، « مورليند » و « ا . س . » حترجى : بأن قوانين البلاط الأكبرى كانت أقرب إلى الديانة الهندوكية منها إلى دين الاسلام و أكثر حماية لها .

عقبة كاداء ، وما كان يعرف للهزيمة و الفشل معنى ، كان دم الشباب و القوة يجرى فى عروقه و شرايينه ، ويقتفى آثار آبائه و أجداده فى حل المشكلات و الطموح إلى المعالى ، فبينما هو إمبراطور إذا هو عبقرى ، خلف وراءه كتابات تشهد بعقريته و فرط ذكائه .

فـــــــــــــــــــــــاذا كان ! حلت أواخر القرن العاشر تحمل فى طيها دلائل ثورة ضد الاسلام و تنبئ أن الاسلام لم يعـد له قرار فى هذه البلاد ، ويكاد يودع أهلها ، الأمر الذى يعنى أن السلطة الدينية والروحية تكاد تنتقل من أهلها إلى طاقات و فلسفات جديدة مع انتقال السلطة السياسية إلى غير أهلها ، إن هذه الثورة كادت تقضى على تلكم المجهودات التى بذلها الغزاة المغامرون لفتح هذه البلاد منذ عدة قرون ، و فى جانب آخر كانت تضيع ثمار ذلك الجهاد الذى قام به الشيخ معين الدين الجشتى و خلفاؤه المخلصون ، أولئك الذين وجهوا من داخل زواياهم إلى أرواح سعيدة ، دروس الانسانية و الحب والمساواة والعدالة الاجتماعية ، و أشرفوا على الحكومـة الحاضرة دينياً و خلقياً من خارج زواياهم ، و هيأوا للدولة و المجتمع أفراداً صالحين أقوياء أمناء ورعين محبين للانسانية ، و نفخوا فى حركات البلاد العلمية و التربوية روحاً جديدة (١) .

ثم ماذا حدث ؟ لقد طلع نجم من زاوية الايمان والاخلاص و العلم والحكمة وحدها التى ظلت متدفقة بالحيـاة و النشاط على الدوام ، و إنه لم يطلع من أفق مادى أو سياسى ، و قد عرف باسم الشيخ أحمد السرهنـدى مجدد الألف الثانى

---

(١) للاطلاع على التفاصيل راجعوا « تاريخ مشايخ الجشت » للبروفيسور خليق أحمد نظامى ، و كتاب « نظام تعليم و تربية المسلمين فى الهنـد » للشيخ مناظر أحسن الجيلانى .

(٩٧١ - ١٠٣٤هـ) ذلك الرجل العظيم الذى تحدث عنه محمد إقبال الشاعر الاسلامى فقال ما معناه :

« ذلك الرجل الكبير الذى نهض لصيانة تراث الدين ، و أكرمه الله تعالى بالعلم والمعرفة ، ذلك الذى لم يحن رأسه أمام الملك جهانكير ، ونفح فى الأحرار روحاً وثابة من الايمان و الحنان » .

ولمقاومة تلك المؤامرة ضد الاسلام التى دبرها عباقرة ذلك العصر يقوم رجل فقير فى إحدى زوايا « سرهند » و يعتزم أن ذلك لا يكون ، إنه تساءل نفسه ، فقال لماذا يحرم المسلمون فى هذه البلاد أن يعيشوا أحراراً أعزاء متمسكين بشعائرهم الدينية و لماذا يضيق عليهم وحدهم مجال الحياة ؟ ؟ .

فماذا كانت النتيجة ؟ لما بدأ القرن الحادى عشر الهجرى
تغيرت و أن مستقبل الاسلام فى هذه البلاد أصبح مضمون
قام هذا الرجل العظيم من سرهند لدحض الأباطيل والمغالطات
عمت ضد حاجة و بقاء النبوة والرسالة المحمدية وضد مكانة الشريعة ودوام السنة ، و أعاد ثقة الناس إليها (٢) كما سد منافذ هذا الخطر الكبير و وضع عليه حداً بحكمة عملية ، من غير إعلان أو استنكار ، و لم يحاول تحطيم قوة ضد الامبراطور « أكبر » لقد تفطن بدراسته التاريخية و بصيرته القرآنية أنه يحقق أيما إخفاق إذا أبدى خصومته له ، وتمثل أمامه كخصم ، و سوف لا تنفتح له طرق العمل ، فينبغى له أن يدعو الله و يجمع حوله مخلصين أكفاء و يتناولهم بالتربية الشاملة التى تنجو بهم من مزالق المال والحكم و تجعلهم بحيث لا يطمحوا إلى الجاه والمنزلة

(٢) من أراد التفصيل فليراجع « رجال الفكر و الدعوة » للمؤلف ج ٤ الباب الخامس .

إنه فكر فيما إذا خاطب قلوب الأمراء المسلمين الذين كانوا يشغلون مناصب عالية فى بلاط جهانكير و حكومته ، و إذا كتب إليهم يذكرهم بمسئوليتهم نحو الاسلام الذى يمر بمرحلة خطيرة فى الوقت الحاضر ، حتى يقوموا بدورهم بأسلوب علمى فكرى بناء ، وبثقة من القلب و يقين منه .

إنه فكر فى ذلك و بدأ يراسل هؤلاء الأمراء الذين تطول قائمة أسمائهم ، و يجدر بالذكر منهم عبد الرحيم خان خانان ، و الأمير مرتضى خان (سيد فريد) فكانت النتيجة أن الوضع تغير فى ظرف ١٥-٢٠ عاماً ، وأضحى مسلمو الهند موضع اهتمام العالم الاسلامى كله فى الروحانية و علم الحديث و حتى فى لغة العرب ، التى كانت تختص بالبلاد العربية وحدها و إن المكانة التى حظيت بها الهند فى خدمة العلوم الاسلامية و وجود رجال العلم و الدين الكبار فيها إنما يرجع الفضل فى ذلك إلى هذه الجهود المخلصة التى بذلها الامام السرهندى ، و ظلت مصابيح العلم و التحقيق تتوقـــد فى أرجاء هذه البلاد ، و ظهر بعد مدة الامام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوى (١١١٤ - ١١٧٦هـ) الذى أسس علم كلام جديد ، وقام بشرح وإيضاح معنى نظام الخلافة وعرض مخطط الحكم الاسلامى الصحيح الذى لم يسبق له نظير فيما أظن ، مع ما بذل من محاولات لانقاذ الحكومة الاسلامية فى الهند - التى لم يكن لها بديل فى ذلك الوقت - من الوضع المنهار ، و بعث روح جديدة فى جسمها . ذلك أن سقوطها وضعفها كان يهـــدد بخطر الاضطراب الكبير خلقياً و سياسياً (١)

و قام أبناؤه الموفقون الأفاضل (وفى مقدمتهم الشيخ عبد العزيز رحمه الله) بنشر علوم الكتاب و السنة فى هذه البلاد و إنشاء ذوق لدراسة القرآن و تفهم

---

(١) لمزيد التفصيل راجع « المكاتيب السياسية » للبروفيسور خليق أحمد نظامى .

معانيه ، و خدمة جليلة للحديث الشريف و إصلاح العقائد و الأعمال و التقاليد .

كانت حركة الاصلاح و الجهاد و إحياء السنـة و الخلافة الجليلة التى قادها الامامان الشهيدان أحمد بن عرفان الشهيد (١٢٤٦هـ) و محمد إسماعيل الشهيـد (١٢٤٦هـ) فى هذه القارة الهندية ، حلقة متينة ذهبية لهـذه السلسلة الذهبية ، و قد وفقت هذه الحركة الجليلة لتقديم نماذج من السيرة الاسلامية و الحمية الدينية و تربية الانسان و صناعة الرجال ، جددت ذكرى القرون الأولى ، إن هذه الجماعة تابعت جهودها على جبهة الدعوة و الاصلاح الواسعة التى يتعذر نظيرها فى تاريخ العالم الاسلامى سابقاً (١)

ثم جاء عهد المدارس الدينية ، و تأسست مدرسة دار العـ

و مدرسة مظاهر علوم بسهارنفور ، و دار العلوم ندوة الع

من المدارس الاسلامية فى أنحاء البلاد التى قامت على أسا

تعاليمها (٢) و قد تم بجهود مؤسسى هـذه المدارس الـ

و الراسخين فى العلم إصلاح العقائد و الأعمال على أوسع نطاق ، و نشأ ذوق دينى و غيرة إسلامية فى الناس ، و أسهم منهم عـدد وجيه فى حركة تحرير البلاد و النشاطات العلمية و الأدبية . و من أجلهم أحفق مبدأ فصل الدين عن الدولة (شأنه فى بعض البلدان الاسلامية) و لم تستغن جماهير هذه البلاد و الطبقـة

---

(١) راجع للتفصيل « حركة الهند الاسلامية الأولى » للاستاذ المرحوم مسعود الندوى » وكتاب « الامام الذى يوف حقه من الانصاف و الاعتراف » بقلم المؤلف .

(٢) للاطلاع على تفاصيل هذه المدارس راجع كتـاب المؤلف « المسلمون فى الهند » وهو استعراض تاريخى »

المثقفة عن قيادة العلماء و توجيهات أهل الدين فضلا عن الثورة ضدهم .

وبفضل جهود هؤلاء العلماء العلمية تمتعت الهند بمركزية دينية حتى إذا أراد أحد فى اليمن و المراكش و غيرهما من الدول الاسلامية أن يبرع فى الحديث الشريف ويتخرج فيه ، أم الهند ، وكذلك من أراد منهم أن يكمل تربيته الدينية والتزكية النفسية و يتدرج إلى مدارج الروحانية العليا توجه إلى الهند ، ظهر الشيخ خالد الرومى فى الجزء الشمالى للعراق و الشام الذى كان ضمن تركيا ، و أتم دراسته الدينية فى « شهرزور » و « دمشق » و لكنه لما أراد أن يطفئ ظمأه الروحى و يقوى إيمانه بأوامر الله و حقائقه الغيبية مثل الايمان بالديهيات و نتائج الرياضى ، قصد الهند ، و وصل من بلده « شهرزور » إلى دهلى رأساً ، و نزل فى زاوية الشيخ غلام على (م١٢٤٠هـ) و لازمه حتى أذن له بعد تكميل دروسه الروحية بالعودة إلى بلده ، و أفاد الخلق بعلمه و أخلاقه و الحقائق الدينية فى بلدان العراق والشام و تركيا ، و نفخ فيها روحاً جديدة لا تزال لها آثارها

إن حديثى هذا و إن كان محدوداً إلى ذكر حركات الهند الاصلاحية والتجديدية إلا أنه لا بد بالمناسبة من ذكر بعض الحركات الدينية التى قامت خارج الهند ، و خاصة حركة تطهير العقائد و دعوة الدين الخالص الكبرى التى قامت فى مركز الاسلام (الجزيرة العربية) و أسسها الشيخ الامام محمد بن عبد الوهاب (١١١٥ ـ ١٢٠٦هـ) الذى عاصر شيخ الاسلام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوى فى الهند (١) ، وقد كسبت دعوته هذه ـ نظراً لأسباب تاريخية وسياسية خاصة ـ

---

(١) شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب سن شيخ الاسلام أحمد بن عبد الرحيم تقريباً ، إذ أن الشيخ الدهلوى ولد فى (١١١٤هـ) والشيخ عبد الوهاب ☼

نجاحاً لم يلقه كثير من الدعاة والمصلحين، فقد نشأ نتيجة لها جيل مستقل، ومملكة واسعة، و مدرسة فكرية بلغ تأثيرها إلى أنحاء بعيدة، وفى نفس هذا العصر ولد فى اليمن العلامة محمد بن على الشوكانى (١١٧٢ -١٢٥٠هـ) وفى «عسير» أحمد بن عبد الله بن إدريس الحسنى مؤسس السلسلة الادريسية، و فى ليبيا السيد محمد بن على السنوسى (١٢٠٦ - ١٢٧٦هـ) (١) الذين قاموا فى بلادهم بمهمة إصلاح العقائد و التقاليد، و نشر الكتاب و السنة، وتربية الجهاد و السيرة النموذجية، و يحاول مستشرق الغرب إثبات أن هؤلاء المصلحين كلهم من نتائج حركة و دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتلاميذه مباشرة أو بواسطة. ولكن لا دا[illegible]
إن العقلية الغربية عاجزة عن تفهم هذه الحقيقة، وهى أن [illegible]
الواعية أنجبت فى كل عهد شخصيات إصلاحية بارزة واجهت
و الأفكار الزائفة بشجاعة، و ستمتد هذه السلسلة إلى يوم
ذلك بقليل إلى ساحة العمل والدعوة العلامة السيد جمال الدين الأفغانى (م ١٣١٤هـ - ١٨٩٧م) فنفخ فى صور الغيرة الاسلامية و وحدة العالم الاسلامى الذى ارتج به الوطن الاسلامى من مصر و الشام و تركيا، لقد أسهم هو وتلميذه النجيب المفتى محمد عبده المصرى (م١٣٢٣هـ - ١٩٠٥م) فى إيقاظ الوعى الفكرى لدى الشباب

☀ من مواليد (١١١٥هـ) و للاطلاع على أحوال الشيخ محمد بن عبد الوهاب و ترجمة حياته راجع كتاب «محمد بن عبد الوهاب، مصلح مظلوم» للاستاذ المرحوم مسعود الندوى.

(١) المجاهد الشهير و المصلح الكبير سيدى أحمد الشريف السنوسى (الامام السنوسى) كان حفيد الشيخ محمد بن على السنوسى الذى أبلى فى حرب طرابلس و برقة ضد الطليان بلاء عظيماً، و ظل يقاوم إلى مدة ١٣ عاماً ـ

المسلم القلق الذكى إسهاماً كبيراً (١) .

أما ما يتصل بالقرن الرابع عشر الهجرى فانه من وجهة نظر المسلمين قرن الانتصارات والاخفاقات ، و الأخطاء و تداركها ، وقرن بساطة الشعوب الاسلامية و اغترارها ، و قرن الوعى و اليقظة السياسة ، و قيام دول و حكومات مسلمة كثيرة ، و قرن حركات إسلامية قوية متعددة ، فان هـذا القرن يجمع من تنوع الحوادث و الوقائع و تناقضها ما يتعذر نظيره فى القرون الماضية

لما ابتدأ القرن الرابع عشر كانت الخلافة العثمانية موجودة بسعتها و قوتها ، وكانت ظلال الخلافة الاسلامية تظل المسلمين ، وكان السلطان عبد الحميد خان الثانى (١٣٢٧ - ١٢٩١هـ-١٩٠٩ - ١٨٧٦م) متمكناً من عرش الخلافة ، الذى ظل هدفاً

— هذه القوة الكبرى بسحاح كبير و قوة صامـدة ، لقد جمع بين السلاح و السبحة و السيف و المصحف فى وقت واحد ، كان يعتبر من كبار المربين فى عصره ومن أولياء الله ، توفى بالمدينة المنورة فى عام (١٣٥١هـ ١٩٣٣م) وللاطلاع على التفاصيل راجع كتاب «حاضر العالم الاسلامى» للأمير شكيب أرسلان ج ٢ .

(١) منذ سنوات عديدة ماضية أصبحت كلتا الشخصيتين (الأستاذ والتلميذ) موضوع البحث و النقد ، و نشرت الجرائد و المجلات العربية مقالات و ألقيت محاضرات فى الندوات العلمية صدهما مما قلل عظمة الشخصيتين و لم تعد كما كانت قبل اليوم بربع قرن ، و لكن الواقع الذى لا ينكر أنهما مثلا دوراً رائعاً فى إعادة ثقة الشباب المسلم بكفاءة الاسلام وفكره ، ومن أراد التفصيل فليراجع كتاب المؤلف « الصراع بين الفكرة الاسلامية و الفكرة الغربية فى الأقطار الاسلامية » .

للنقد والطعن إلى أواسط القرن العشرين ، و إن المؤلفين الغربيين ركزوا أقلامهم على تشويه وجهه ، و لكن البحوث والدراسات التاريخية التي نشرتها بعض المجلات العربية و التركية الموقرة ، أثبتت في ضوء مذكراته أنه كان خليفة ذا حمية وغيرة إسلامية كبيرة — رغماً من بعض خصائصه الطبعية ومواضع الضعف التي قد تكون حصيصة للملكة الموروثة و رد فعل للحالفات الداخلية و الخارجية و المؤمرات التي دبرت ضده من كل جانب — لم تكن تستطيع القوى الغربية في عهده أن تنجح في توزيع تركيا واحتلال اليهود في أي جزء من فلسطين ، و هو الذي رفض بازدراء كل ما تقدم به الوفد اليهودي الممتاز إليه من مساومات و رشى . و قال لهم ، و قد حمل حفنة من تراب الأرض . أنتم تريدون مني بيت المقدس أرضى باعطائكم مثل هذه الحفنة من تراب فلسطين (١) ، وهو الخلافة الاسلامية روحاً جديدة و في العالم الاسلامي حماساً جديد و « الجامعة الاسلامية » .

إن الدولة العثمانيـــة التي كانت تتشرف بتولي الحرمين الشريفين و تشرف الخلافة الاسلامية كانت حصاراً حديدياً للمقدسات الاسلامية والدول العربية ومنبع قوة وعزة للأمة الاسلامية ، أينما تكون . رغم ضعفها والفتن الداخلية والخارجية و المؤامرات المروعة التي كانت تحيط بها ، فلم تكن هذه المقدسات و الدول العربية - التي كان يتعلق بها حظ المسلمين وعزتهم - لكي توزع كمال اليتيم ، إن الدولة العثمانية كانت تمتد و تتسع في بداية هـــذا القرن إلى اليمن وعسير شرقاً ، و في أوربا إلى أدرنة و ألبانيـــا ، و في إفريقيا إلى طرابلس و تونس و فزان غرباً ، و إلى

(١) حدثني بذلك سماحة المفتي المرحوم محمد أمين الحسيني عدة مرات ، و هو من أوثق رواة هذا الموضوع .

أسوان و مصر ، و برقة جنوباً ، و إلى بلغاريا و دويلات بلقـــان ، طرابزون و أدريانوبل شمالا ، و كانت الدولة العثمانية تتضمن معظم أجزاء آسيا الصغرى كالشام (و ضمنها كانت فلسطين الحالية و لبنان و الأردن) و مصر ، والجزيرة العربية و العراق والقبرص ، و لم تكن أوربا كذلك بمعزل عن سلطة هذا « الرجل المريض » (١) .

و لكن المسلمين لم يقدروا هذه النعمة ، التى كان الله سبحانه قد أنعم بها عليهم فى صورة الخلافة وإمبراطورية مسلمة واسعة ، إن عزل السلطان عبد الحميد خان فى عام ١٩٠٩م لم يكن حادثاً ذا شأن يغير مجرى التاريخ ، و يمكن أن يكون ذلك نتيجـــــــة الأوضاع السياسية فى ذلك الوقت أو نتيجة المؤامرات و الدسائس ضد السلطان ، و قد تتابع على عرش الخلافة بعده السلطان رشاد و السلطان وحيد الدين خان والسلطان عبد المجيد ولكن الحادث المؤلم الذى نكب به العالم الاسلامى كله و أهين ، والذى حسر من أجله المسلمون بيت المقدس ، و كما يقول العلامه شبلى النعمانى تطلع المستعمر نتيجة له إلى الحرم أيضاً » هو احتلال الاستعمار الغربى فى الدول الغربية كمصر والشام العظيمة الواسعة و العراق ، و الجزء الشمالى لافريقيا إما مباشرة أو بواسطة ، و يبدو أن مدة هذا العقاب (خاصة فيما يتعلق بالدول العربية فى آسيا الغربية) لم تنته بعد ، لقد كان إقداماً عجيباً ضد الأتراك تولاه العرب لما وقعوا فريسة مؤامرة الأقلية المسيحية الداهية التى كانت تقطن فى الدول العربية و وثقوا بمواعيد الاتحاديين الخداعة ، وسحروا بسحر القومية العربية بمناسبة الحرب الكونية الأولى فى عام ١٩١٤م ، و كان قائده شريف حسين ، شريف مكة ، الذى

---

(١) إن المؤلفين و السياسيين الأوربيين يسمون المملكة التركية والأمة التركية بالرجل المريض (Sick Man) .

رفع السلاح ضد الأتراك فى ١٠ يونيو ١٩١٦م ، و تحررت الشام و فلسطين من سلطة الأتراك كنتيجة له فى عام ١٩١٧م و تمت السلطة البريطانيـة على مصر ، و احتل الانجليز بيت المقدس فى ٩/ ديسمبر ١٩١٧م . و فى أول أكتوبر لعـام ١٩١٨م دخل الأمير فيصل نجل شريف حسين والجنرال اللى متصرين فى دمشق ، و اتجـه الجنرال الفرنسى غورو إلى قبر فاتح بيت المقـدس و عزة الاسلام السلطان صلاح الدين الأيوبى (رحمه الله) و ضربه بحذائه قائلا . لقد انتصرنا اليوم يا صلاح الدين و دخلنا عقر دارك ، فالى متى تنام أنت ؟ و مع نهاية شهر أكتوبر ١٩١٨م كانت الجزيرة العربية و الشام و لبنان و العراق و دول العرب كلها قد خرجت من أيدى الأتراك و تم عليها تسلط الاتحاديه .

لقد كان العالم الاسلامى كله قلقاً بهذا الوضع والمسلمون مما أحسوا بهـذا القلق أكثر من الجميع و تظاهروا باضطرابهم نفس هذا الوقت قامت حركة الخلافة فى الهند (التى كانت بعنصر دينية و شبه سياسية فى هذا القرن) وهزت الهند كلها بقيادة العلماء المسلمين وقادتهم كالشيخ عبـد البارى الفرنجى محلى ، و شيخ الهند مولانا محمود حسن الديوبندى ، و مولانا أبو الكلام آزاد ، و مولانا محمد على جوهر ، و مولانا شوكت على ، و مولانا ظفر على خان و غيرهم من العلماء و القادة الذين يندر نظيرهم فى العالم الاسلامى كله فى قوة الشخصية و الغيرة الاسلامية ، و الحماس الخطابى ، و بهذه المناسبـة سالت قلوب المسلمين دماً ، و تفجر شعورهم الملى كالبركان ، إن هذه الحركة العملاقة أنشأت فى الهند كلها مسلمين وغيرهم . وعياً سياساً وكراهية شديدة للسلطة الغربية و الحضارة الغربية ، حتى الزعيم غاندى إنما أيد هذه الحركة تأييـداً كلياً ، و قام مع زعمائها بجولات واسعة على مستوى عموم الهند .

و لكن لما أعلن مصطفى كمال باشا (كمال أتاتورك) فى ٣/ مارس ١٩٢٤م نهاية الخلافة مادت بالمسلمين الأرض و أظلمت عليهم الدنيا ، و فى هذه المناسبة بالذات قال الشاعر محمد إقبال ما معناه .

« لقد شق التركى الجاهل خلعة الخلافة ، ما أشد المسلم سذاجة و عدوه دهاءاً » .

كان هذا العصر مدهشاً مؤلماً للعالم الاسلامى ، و كان مماثلا فى شئ كثير بالنصف الأول من القرن السابع الهجرى الذى قضى فيه التتار على السلطة الاسلامية بالهجوم على بلدان العالم الاسلامى المركزية المحصنة ثم باحتلالهم فيها ، و أبدلوا عزة المسلمين بالذل و العار ، ولكن ذلك لم يكن إلا غارة عسكرية لشعب شبه متوحش لم يصمد فى وجه العالم الاسلامى المتمدن المترهل ، و لم تكن ترافقه فلسفة فكرية ، و حضارة جديدة و أفكار و قيم جديدة ، و لكن غارة الأمم الغربية و بلدانها التى تمت فى الثلث الأول للقرن الرابع عشر الهجرى و أوائل القرن العشرين الميلادى اختلفت عنها كلياً فقد رافقتها فلسفات جديدة ، و نظام جديد للتعليم و التربية . و أفكار و قيم جديدة ، و جيش هائل جديد للالحاد و التشكيك و مذهب جديد للمادية

و مما زاد الطين بلة أن الثورة البلشفية حدثت فى مارس ١٩١٧م ، التى لم تكن تتناول التاريخ و الجغرافية و الخريطة السياسية بالتغيير و التحريف فقط ، و لم تكن مقصورة فى مجال الاقتصاد و السياسة فحسب إنما كانت تهدم أسس العقيدة و العمل و الأصول و المبادىء و الأخلاق و المجتمع بل أساس الحياة الانسانية و الشعور الانسانى بأسره لكى تقيم على أنقاضه بناءاً جديداً ، و كانت تهدف الاسلام والمسلمين بأضرارها و ضرباتها أكثر من أى شئ ، أولئك المسلمين

الذين كانوا من اتبـاع و دعاة دين إيجابي واضح و خاتم للاديان كلها ، و الذين كان واجب « احتساب الكون » من بين واجباتهم الدينية ، وحقائق دينهم ، ومع الأسف لم يكن هناك من يشعر بهذا الخطر الداهم فى وقته و يقاومـه إلا قليلا ، وإنهم لم يشتوا فراستهم الايمانية التى كانت تتوسم أقل الأخطار قبلها ، ولقد شعر بخطر «البلشفية» شعوراً صحيحاً فى غربى العالم الاسلامى المؤمن المجاهد الغازى المرحوم أنور باشا وزير حرب تركيا سابقاً الذى أسس جبهة قوية ضد الشيوعيين بتنظيمه سكان تركستان ، وقد وقعت عدة اشتباكات بينه و بين البلشفويين فى الفترة بين ١٩٢١م ١٩٢٢م ، و فى ٤ أغسطس ١٩٢٢ شن غارة بمقربة من قرية « ؟ » كتيبة من القوات الروسية و كان عددهم كبيراً فاستشهد (١) رحمه الله ، صادف ذلك يوم الجمعة ٧ من شهر ذى الحجة .

هذه الثورة البلشفية لم تشمل دول آسيا المتوسطة السكان المسلمين ، و تركستان الروسية و الصينية وحدها و لم تهددها باردة الفكرية والحضارية فحسب بل جعلت أجيالها الصاعدة فى مواجهة الردة الايمانية والعقائدية ، وأصبحت تعيد تاريخ الأندلس الذى حدث فى القرن التاسع ، بل الواقع أن الدول العربية و مركز الاسلام ـ عدا هذه القارة التحتانية ـ أحجرت على مواجهة هذا الخطر الكبير و على الحكم بأن تكون مناصرة حليفة لها أو معارضة ضدها ، و قد بلغ الأمر ببعض الدول العربية (٢) إلى أنها لم تكتف باستيراد السلاح والصناعات

---

(١) للاطلاع على تفاصيل دوافع أنور باشا الاسلامية و خدماته الجليلة راجع مقالة الأمير شكيب أرسلان الرائعة (الذى كان يعرفه معرفة شخصية) على حاشية كتابه « حاضر العالم الاسلامى » .

(٢) كالشام و العراق و اليمن الجنوبية .

الجديدة منها بل استوردت فلسفتها و أيدلوجيتها ، و تمست فى حمايتها والدعوة إليها ، وبالأمس القريب تم لها الغزو العسكرى فى أفغانستان التى كانت تعتبر معدن الشجاعة الاسلامية والحمية الدينية ، والتى هيأت للهند فى كل عهد إداريين أكفاءاً ، و الحكام و القادة و العلماء الربانيين ، و كانت حصنها الخارجى و حارس حريتها الأمين . و هكذا وصلت هذه الفتنة العالمية إلى أبواب شبه القارة الهندية .

ومن خلال هذا الظلام الحالك الذى عم أواسط القرن الرابع عشرالهجرى حينما لم يكن يتراءى بريق أمل فى العالم الاسلامى من أقصاه إلى أقصاه بدت تباشير يقظة جديدة كما صورها إقبال فى شعره الذى معناه :

« جرى دم الحياة فى شرايين الشرق الميتة ، إنه لسر لا يستطيع أن يدركه سينا و الفارابى ، والواقع أن موجة الغرب الهائلة بعثت فى المسلم حياة من جديد ، و من تلاطم أمواج البحر ترتوى الأصداف ذات الدرر » .

نشأ فى العالم الاسلامى وعى سياسى بشكل بارز فى جانب و رفعت أعلام الحرية و الاستقلال ضد الاستعمار الأجنبى فى البلدان المتعددة ، مما أنتج استقلال مصر و الشام (بجميع أجزائهـــا) و العراق و ليبيا ، و تونس ، و الجزائر والمغرب ، و قامت فى أفريقيا دول مسلمة جديدة ، و تحررت إندونيسيا وماليزيا وتكونت مملكة باكستان الاسلامية العظيمة ، وأسهم مسلمو الهند فى حرب التحرير و قدموا فيها تضحيات غاليــة كانت دليلا على وعيهم السياسى وحبهم للوطن ، حتى برزت على خارطة العالم السياسى أكثر من ٤٥ دولة مسلمــة مستقلة ، ٢٤ منها تتمتع بعضوية الأمم المتحـدة و تخفق أعلامها على مبنى الأمم المتحـدة الشامخ ، كما يتمتع المسلمون بوزن خاص فى الأمم المتحدة ، و فى المشكلات والمذاكرات العالمية ، و فى كفــة ميزان العالم السياسى أيضاً ، و لو أن هؤلاء المسلمين نضج

وعيهم السياسى و نشأ فيهم شعور بقوتهم السياسية و تمت لهم الوحدة، لاستطاعوا أن يكفوا ألواناً من الجور والظلم، وساعدوا كثيراً من الشعوب المضطهدة والدول الضعيفة، ولو أن الله سبحانه رزقهم قادة مخلصين متعففين، أو أكرم زعماء حكوماتهم بالتوفيق والهداية، لاستطاعوا أن يؤسسوا دولة إسلامية صحيحة فى بلدانهم الاسلامية و مناطق نفوذهم، وينفذوا النظام الشرعى ويطبقوا القوانين الشرعية، واستطاعوا أن يقيموا فى حدود دولهم و أقطارهم مجتمعاً إسلامياً نموذجياً، وبيئة فاضلة خلقية وروحانية ذات طاعة ومسئولية، لا يوجد لها أمثلة إلا فى صفحات التاريخ بمسافة قرون، و قطع منها العالم أمله بتاتاً وحتى المسلمين أنفسهم أغفلوها و استغنوا عنها، وهى تكفى اليوم أيضاً لكى تنبه الفكر الانسانى وتجبر المعسكر
على التفكير فى القضية، و أن تمهد لنشر الاسلام طريقاً

كذلك إذا عزم المسلمون على استعمال وزنهم و أ
وأحسوا بمسئولياتهم و واجباتهم إحساساً كاملا لاستطاعوا أن ينقذ

التى يمتلك مصيرها المعسكران الشرقى والغربى برغم منهما، و إنهم فى الهند كذلك لا يستطيعون أن يصونوا حقوقهم الملية بحسب بذكائهم و تضامنهم و قوتهم الخلقية بل يتمكنون من منحها قيادة خلقية و روحية مع إنقاذها من ذلك الدمار العام الذى يخطو إليها بخطوات حثيثة من أجل القلق السياسى المتزايد وأزمة الأخلاق.

هذا و قد نشأت فى العالم الاسلامى حركات ثورية فكرية و إصلاحية على نطاق أوسع و أقوى يتعذر وجود نظيرها فى سعتها و قوتها فى الأمس القريب، و من مزايا هذه الحركات الباعثة على الأمل أنها تصلح للتأثير فى طبقـــة الخاصة و الأذكياء (Intellectuals) و توفير معلومات علمية واضحة حديثة لاقناعها وإعادة ثقتها بالاسلام فى جانب، و فى جانب آخر فان نطاقها فوق الحدود الجغرافيـــة

وهى تغطى مساحة واسعة فى العالم الاسلامى ، كما أن لها جانباً لامعاً آخر يسترعى الانتباه و هو أن الشباب المثقف لأول مرة فى التاريخ لم تعجب بهـا فحسب بل إنها تحمست فى الدعوة إليها و الانتصار لها أكثر بالنسبة من سبقهم من الشباب المسلم ، و نستطيع أن نضرب لذلك مثلا بحركة « الاخوان المسلمون » فى مصر ، و الحركة النورية فى تركيا ، و حزب التحرير فى الأردن و فلسطين ، و حزب ماشومى فى إندونيسيا ، و دعوة التبليغ العالمية فى القارة الهندية والجماعة الاسلامية فيها ، و يمكن أن لا يوافقها أحـد مأة فى المأة إلا أنه لا يمكن أن ينكر ما لها من التأثير و السعة و القبول ، كما أن لشعر محمد إقبال القوى وفكره المشرق (الذى يفوق فى القوة والتأثير والشمول بين الأدب الاسلامى وشعره . فى القرون السابقة) سهماً كبيراً فى بعث الايمان و الهمة و الاباء بين الشباب المسلم و الطبقة المثقفة .

لقد أطل القرن الخامس عشر الهجرى العالم كله . و إن الأمة الاسلامية والعالم الاسلامى إن لم يكن لهما حظ فى هذا التراث العظيم وهذه الثروة الهائلة من العقيدة والفكر و العلم والسياسة و الطبيعة و الانسان ، و هذه الحركات القومية والدول المستقلة الكثيرة ، والممالك الواسعة التى أشرنا إليها بايجاز لم يكن هناك مبرر لليأس ولا داع إلى التشاؤم ، لأن لديهما صحيفة الله القرآن الكريم ، و رسالته الأخيرة الخالدة الاسلام ، اللذين ينفخان فى جسم الأمة الميت و قلبه الجامد روحاً من حياة جديدة فى كل زمان ، و يأتيان بالعجائب و المعجزات .

ثم إن المسلمين هم وحدهم موئل آمال الانسانية فى هذا العصر ، وحرسة رسالة الله الأخيرة و أمناء البشرية ، و لعل هذا القرن يكون نقطة تحول حاسمة ذات تأثير عميق فى العالم البشرى كلـه ، فلا ينبغى أن نيأس من روح الله ، فان شقاء الانسانية وذلة الانسان بالغان إلى آخر المدى ، الساعة التى تتحرك فيها رحمة الله و غيرة الرب ، و يواجه فيها العالم ثورة كبيرة .

« إن الحضارة الغربية أشرفت على الانهيار ، و آذنت بالأفول و الزوال ، إنها لا تعيش ولا تواصل سيرها بمجرد قوتها الذاتية ، و جدارتها للحياة و البقـاء

بل لأنها ليست فى هذا المجال - من تعاسة الحظ - حضارة تحل محلها وتسد فراغها،
إن جميع الحضارات المعاصرة و القيادة الحديثة اليوم لا تعـدو نوعين ، إما هى مقلدة جامدة و صورة باهتـة للحضارة الغربية ، وإما هى ضعيفة هزيلة ، مريضة سقيمة ، منسحبة منهزمة ، لا تستطيع أن تواجه هذه الحضارة أو تقف معها جنباً إلى جنب ، فإذا قامت هذه الدول الاسلاميـة ، والعالم الاسلامى بصورة عامة لسد هذا الفراغ الذى سيحدث بعد نهاية هـذه الحضارة و انسحابها عن مسرح القيـادة رد إليه منصب قيادة الجنس البشرى ، و توجيه الشعوب المعاصـرة مرة ثانيـة ، المنصب الذى لايفوض إلا إلى أمة فتية قوية أبية تحمل كل عناصر البقاء والاستمرار و التقدم و الازدهار ! سنة الله فى الأرض « و لن تجد لسنة الله تـ[illegible]

فلينظر هؤلاء القادة و الحكام ما هو أولى لهم و أ[illegible]
بأذيال الغرب و الوقوف على بابه كالشحاذين ، أم منصب قياد[illegible]
الشعوب الضالة التى لا كرامة - بعد النبوة - مثل هذه الـ[illegible]
العالى السامى الذى تتلاشى عنده جميع هـذه الألقاب و الشارات [illegible]
والهتافات والمناصب الرفيعة ، و الحياة الناعمة المريحة و الاغراءات المادية الحسية ، إنها سلعة غالية لا يخسر بها المشترى ، و لو ضحى بنفسه مأة مرة (١) » .

ويحلولى أن اختم هذا الاستعراض السريع وهذه الرسالة المخلصة بأبيات للشاعر الاسلامى محمد إقبال ، دافقة بالقوة والروح ، وقد خاطب فيها المسلم فقال مامعناه :
« قد آن لبانى البيت الحرام و حامل رسالة الاسلام أن يقوم و ينهض من غفلتـه و يصلح ما أفسده الأوربيون ، فانه أمين رسالة الاسلام و قاعدة ملوك العالم . و هو أوسع من الزمان و المكان ، فلينهض من حضيض الأوهام إلى سمو الايمان و لينفض من عينه نوم السبات و ليعد إلى بناء العالم من جديد » .

(١) « الصراع بين الفكرة الاسلامية و الفكرة الغربية فى الاقطار الاسلامية » للمؤلف .

حول موقف الاسلام من العلم :

أثر الرسالة الاسلامية فى الحضارة الانسانية

— ٢ —

الدكتور محمد معروف الدواليبى

من الناحية الانسانية

أما أثر الرسالة الاسلامية على الحضارة الانسانية و مفاهيمها من « الناحية الانسانية » فقد كانت أيضاً شيئاً عجباً ، و لا تستبين أبعاد هذا الأثر إلا بالعودة قليلا و بإيجاز إلى استعراض ما قـد كانت عليه حياة تلك الأمم و الشعوب من مساوىء قبل الاسلام ، تتنافى مع كل مبادىء حقوق الانسان الدولية اليوم . ما قد أشرنا إليه فى مطلع هذه المحاضرة عند كلامنا عن موقف الاسلام من الدعوة إلى نظام عالمى إنسانى جديد .

و بالجملة فان حياة الأمم كان ينخر فيها أولا من داخل الأمم نفسها التمايز الطبقى فى كل أمة و شعب ، ثم التناحر على المصالح الضيقة - للعشيرة أو القومية ، تلك المصالح المتنافرة ، والقائمة على الأنانية و الاستئثار و الامتياز فى حق الحياة لدى كل الشعوب على حساب الآخرين ، وهذا ما قد وضع العالم القديم فى حروب بربرية دائمة ، و خاصة الحروب الدولية الأخيرة التى أدركها الاسلام حين ظهوره فيما بين الشرق القديم الفارسى ، و الغرب القديم اليونانى أو البيزنطى إذ نادى الاسلام فيهم جميعاً مبتدئاً بقومه ، ثم بالعالم أجمع معلناً على رؤس الجميع كل حقوق الانسان ، الاجتماعية ، و الثقافية ، و الاقتصادية ، تلك الحقوق العالمية الانسانية التى

لم يكتب لأحد أن يحيط بها أو يدعو إليها جميع العالم الانسانى إلا فى هذا العصر الحاضر ، و قد أوجزها الاسلام فيما يلى :

أولا - بوحدة الأسرة البشرية من غير تمايز فى الأعراق و الأجناس .

ثانياً - بحقهم جميعاً فى الكرامة من غير تفاضل فيها أيضاً

ثالثاً - باعتبار الخلق كلهم عيال الله ، و إن أحبهم إليه أنفعهم لعياله .

رابعاً - بدعوتهم جميعاً إلى الدخول فى السلم كافة .

و قد سجلت هذه الدعوة الاسلامية بمبادئها الجديدة سبقاً علمياً على جميع دعوات عالمنا الحديث فى هذه المعانى الانسانية ، مما قد أشرنا إليه فى أوائل المحاضرة و لم تكن معروفة من قبل و لا مقبولة ، و تمكنت الدعوة

هذه المبادىء فى مجتمعها الاسلامى الحضارى قبل أربعة عشر

الحديث إلى هذه المفاهيم الانسانية إلا أخيراً ، و لم يستقر

مجتمعاته المتقدمة مثل الولايات المتحدة الأمريكيــة ، حيث لا تزال الفوارق بين الألوان و الأعراق تهيمن على حياة ذلك المجتمع العملاق ، على الرغم من وصايا الأمم المتحدة و اتفاقاتها الدولية .

وبعد فكم كنا نتمنى التوسع والافاضة فى شرح وقائع ذلك المجتمع الاسلامى و حضارته الانسانية لو لا خشيــة الاطالة ، و يكفينا فى ذلك أن المجتمع الأول الذى أوجده الاسلام منذ بداية عهــده و فى حياة رسول الله ﷺ ، كان مجتمعاً بالفعل لا فضل فيـــه لعربى على عجمى ، و لا لأبيض على أسود ، كما نادى به رسول الله ﷺ ، و دلل عليه فى حبه المتقدمين وكان فيهم سلمان الفارسى الذى قال فيه رسول الله ﷺ : سلمان منا أهل البيت ، و كان فيهــم بلال الحبشى ، و صهيب الرومى ، و غيرهم من الأرقاء المعتقين أو من أصول غير عربيــة إلى

جانب سادة قريش من أعلى قبائل العرب فى المكانة و الاعتبار .

من الناحية الاجتماعية

و أما أثر الرسالة الاسلامية على الحضارة الانسانية من « الناحية الاجتماعية » فقد كان أيضاً من أحدث الآثار الجديدة الانسانية على المجتمعات البشرية مما لم يكن معروفاً أيضاً من قبل ، و لم تنتبه الأمم الحضارية الحديثة إليه أبداً من أواخر العصر الماضى ، ألا و هو مبدأ « التكافل الاجتماعى » فى حق كل إنسان بالحياة الكريمة و التحرر من الحاجة و الفقر ، و بعبارة أوضح هو تحميل أهل الرخاء فى مجتمع ما مسؤلية حياة المحرومين و العاجزين ، بعد أن كان المحروم فى كثير من المجتمعات قبل الاسلام معرضاً لفقد حريته ، بل ولقتله أيضاً كالمدين إذا عجز عن وفاء دينه كما هو معروف فى حقوق روما القديمة ، و كما هو معروف عند بعض العرب من قتل أولادهم خشية من الأملاق و الجوع .

فجاء الاسلام فى ذلك بالعجب العجاب ، حتى إنه أوجب دية من مات جوعاً على جميع أهل قريته أو حيه الذى يعيش فيه ، تماماً كدية القاتل .

هذا و لم يجعل الاسلام هذا التكافل الاجتماعى « وصية يوصى بها فحسب » بل أوجب على المسلمين فى ذلك فريضة ماليـة اعتبرها حقاً لأصحاب الحاجة على اختلاف أنواعها . و أوجب القتال عند الاقتضاء لتحصيلها ، و أقام لهذه الفريضة المالية نظاماً مالياً لم تعرفه أمة من الأمم قبل الاسلام ، بل اتخذ له صندوقاً خاصاً بهؤلاء المحتاجين ، و جعل الجباية لهذا الصندوق من أولى واجبات الدوله الحديده .

و العجيب الذى تفرد به الاسلام فى هذا المقام أنه قد جعل من مصارف هذا الصندوق شراء الأرقاء و تحريرهم ، و الوفاء عن الغارمين العاجزين عن وفاء ديونهم بعد أن كان نصيب هؤلاء هو الاسترقاق و القتل فى عرف الأمم السابقة

مما قد حرمه الاسلام تحريماً مطلقاً ، وأغلق بذلك أعظم أبواب الاسترقاق فى العالم القديم ، و ما أعظم جريمة من يتهم الاسلام بعد ذلك بتشجيع الرق ، و خاصة و قد جعل « تحرير الرقاب من أعظم القربات إلى الله » و لم يجعل الاسترقاق قط قربة من القربات .

هذا و يستفيد فوق ذلك من صندوق هـــذا التكافل الاجتماعى الجديد فى الاسلام كل من الشيخ العاجز ، والأرملة التى لا عائل لها ، و المريض ، والعاجز عن العمل لسبب من الأسباب ، و اليتيم الذى لا مورد له

كما يستفيد من هذا الصدوق كل من المصابين بكوارث الحريق . و السيول و انهيـــار البيوت ، و أسر المرضى المحتـــاجين ، بل و أسر السجناء مهما كانت أسباب السجن .

وكذلك ينفق من هذا الصدوق على المعوقين لتأهيلهم

ذلك من الانفاق على جميع أصحاب الحاجات المعروفة منهـ

و المستغربة فى مثل تلك الأيام كما أشرنا إليـــه من تحر ر

وهكذا فان التكافل الاجتماعى فى الاسلام يعتبر من أعظم الاحـــداث الجـــديدة التقدمية فى الحياة البشرية من « أجل » نظام حياة جديدة ، ولمجتمع إنسانى جديد كريم و متكافل ، مما لم يعرف له مثيل لدى الأمم من قبل . و سوف يبقى هذا الحـــدث الاسلامى فى المفهوم الانسانى صفحة خالدة من آثار الرسالة الاسلامية فى الحضارة الانسانية و مفاهيمها .

من الناحية الاقتصادية

و أما أثر الرسالة الاسلامية فى الحضارة الانسانية من « الناحية الاقتصادية » فهو أيضاً حدث عجيب لمجتمع إنسانى عظيم ، قد أوجب الاسلام فـــه ديانة العمل لعمارة الأرض فيما أوجب ، مما لم يكن فى قدرة أحد قبل الاسلام أن ينتبه إليه من حيث .

- تكريم العمل و الحض عليه .
- و إيجاب زيادة الانتاج لخدمة المجتمع الانسانى .



- وعدالة التوزيع فيما بين أبناء البشر .

و هكذا فقد أوجب الاسلام العمل على كل إنسان ، و قال ليس للانسان إلا ما سعى ، وعى رسول الله ﷺ نفسه بالعاطلين القادرين على العمل و أوجد لهم العمل عند الاقتضاء ، و نهاهم عن السؤال ، و قال لهم : « اليد العليا خير من اليد السفلى » والمراد باليد العليا ، اليد التى تنفق وتعطى المحتاجين وباليد السفلى اليد التى تطلب الصدقات . و قبل رسول الله ﷺ يدا ورمت من العمل ، و أوجب العمل لزيادة الانتاج بصورة لم يسبق له مثيل فى تاريخ تنظيم العمل لا من قبل و لا من بعد حتى اليوم ، و قال رسول الله ﷺ فى ذلك « إذا أدركت أحدكم الساعة (أى القيامة) و فى يده فسيلة (أى نخلة صغيرة) فليزرعها وبهذا النص الاسلامى والتوجيه الربانى يتفرد الاسلام فى الحض على العمل وزيادة الانتاج من أجل الغير ، و لو كان الانسان نفسه فى حالة يأس من الحياة ، وهذا مما لم نعثر على مثيل له أيضاً حتى اليوم فى نظام من أنظمة العمل التى تفرض زيادة الانتاج كما فرضه الاسلام .

و أما عدالة التوزيع فى الانتاج ، فان الاسلام قد انفرد أيضاً بالعناية بالانسان المحتاج فى المجتمع الاسلامى ، و أوجب له على المجتمع « حق الكفاية » فى السكن و اللباس و الطعام و وسائل الانتقال من دابة و نحوها حسب تطور الظروف ، ولم يرض الاسلام قط فى حق الفرد على المجتمع أن يوصله على المجتمع إلى « حد الكفاف » أى الضرورة فقط ، معتبراً أن المحتاج يحق له فى مفهوم الحاجة أن يأخذ من مجتمعه بما يرفعه إلى ما فوق « حد الكفاف » من طعام و سكن و ذلك باعطائه الحق أيضاً فى وسيلة من وسائل الانتقال كالدابة و نحوها ، بذلك يتساوى جميع أبناء المجتمع فى مستوى الحياة الكريمة من غير وقوف عند « حد الكفاف » من ضرورات الطعام . و رحم الله الخليفة الثانى عمر بن الخطاب الذى قال فى هذا المقام : « لو عشت إلى قابل لأخذت من فضول أموال الناس و وضعتها فى فقرائهم » .

الدّعوة الإسلامية

الفكرة الاسلامية السنية و الحاجة إليهـــــا

فضيلة الشيخ محمد إسحاق النـــدوى
عضو مجلس الدعوة و التحقيق الاسلامى . كراتشى

الحمد لله الهادى المبين و الصلاة و السلام على سيد المرسلين سيدنا ومولانا محمد و على من كان معه من المؤمنات و المؤمنين .

و بعد ، فان زوال الأمة المسلمة و انحطاطها فى دينها و دنياها حقيقـــة بديهية لا بد من اعترافها ، و إن كانت مرة غاية المرارة . أما مظاهر الانحطاط الدينى فكثيرة ، ككثرة الفسق و الفجور ، و ضعف الايمان و الفساد الفكرى ، و كل ذلك ظاهر لا حاجة إلى البيان ، وأظهر مظاهر الزوال الدنيوى هو الزوال السياسى ، و كفى به خسراناً ، مع أن الأمـــة لا تخلو من الصالحين ، و العلماء الربانيين الراسخين ، و إن الكتب الدينيـــة وافرة ، و الوصول إليهـــا سهل ، و استعداد مطالعتها فى أفراد الأمة فى هذا الزمان أزيد عن سبقهم من أفرادها ، أضف إلى تلك ، أن الدعاة إلى الخير والصلاح كثيرة ، ثم إن الأمة متوفرة المال ، و تملك قناطير مقنطرة من الذهب و الفضة ، و عـــدد أفرادها كثير جداً ، فيتجه السؤال أن ما هو السبب الذى يورث زوالها وانحطاطها ، لا تعوقه عن التأثير تلك الأسباب التى ينبغى أن تكون موجبة لصلاحها و ارتقائها ؟

و كيف الخلاص من هذه الورطة المهلكة ؟

لا تسع صفحات هذه المقالة الوجيزة للبحث التفصيلى عن هذين السوالين

مع أن جوابهما إنما هو مرام هذه الوجيزة ، فأقول إن أم الأسباب لزوال الأمة هو الخطأ فى منهاج التفكير لاسيما فى الأفكار الاجتماعية ، و سبيل الخلاص ، إنما هو اختيار « الفكرة الاسلامية السمية » و اتباعها ـ و قد شرحتها فى هذه المقالة بايجاز .

قال الله عز اسمه : « إن الدين عند الله الاسلام » و الاسلام هو الانقياد الكامل ظاهراً و باطناً ، فالمسلم الكامل لله تعالى و لا يتحقق بالانقياد الكامل الظاهرى و الباطنى إلا أن ينقاد العبد لله تعالى فى عقائده و أفكاره و منهج فكره وأخلاقه و أعماله فى حياته الفردية و حياته الاجتماعية ، و بالجملة لا تبق شعبة من حياته سواء كانت فردية أو اجتماعية إلا وهى تابعـة و منقادة لأوامره و نواهيه . و قال الله تعالى

« يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافـة و لا تتبعوا

أجزاء الحياة الانسانية

الحياة الانسانية تنقسم إلى أجزاء كثيرة ، وتجزيتها إلى جميع أجزائها خارجة عن موضوعنـا ، و يكفينا أن نقسمهـا إلى جزئيها اللذين نراهما فى بادىء النظر و لا نحتاج إلى التفكير العميق لمعرفتهما ، بل يكفى لشعورهما أدنى التفكير . وهما كما ترى الحياة الفكرية أو التفكير ، والحياة العملية أوالعمل ، فالانسان يفكر ويعمل و لابد له من التفكير كما لابد له من العمل

الاسلام يطالب الانقياد فى كلا الجزئين فى حياتنا

و هذه التجربة تدلنا على أن معنى الآية المذكورة آنفاً أنه يجب أن تدخل حياتنا الفكرية فى الاسلام كما يجب أن تدخل حياتنا العملية فيـه ، وننقاد لهداية الله تعالى شأنه فى الحياة الفكرية كما ننقاد فى الحياة العملية .

« معنى الانقياد فى الحياة الفكرية »

الانقياد فى العمل واضح لا حاجة لتوضيحه ـ فان كلنا يعلم أن معناه أن نعمل كما أمرنا الله بواسطة كتابه ورسوله ﷺ فنأتى بما أمرنا به ، و نحذر عما نهى عنه ، أما الانقياد فى الحياة الفكرية فمعرفته أدق من هذا ، لأن له ثلاث شعب و إحدى شعبها معروفة عنـــد الخواص و العوام و شعبتان منها لا يعرفهما إلا أخص الخواص .

أما الشعبة الأولى : المعروفة عند الناس هو شعبة العقيدة ، و حقيقتها أن نعتقد ما أمر الله به أن نعتقده ، ونؤمن ونستيقن به ـ فنؤمن بوحدانية الله مثلا و نستيقن أن الشرك بأقسامه كلها باطل ـ وكذلك نؤمن برسالة سيدنا محمد ﷺ و بأن القرآن كلام الله و كتابه ، و قس على هذا .

و أما الشعبة الثانية : التى هى غير معروفة عند الناس هى شعبة الوجهة الفكرية

و أما الشعبة الثالثة : التى هى غير معروفة عندهم هى شعبة منهاج الفكر أى طريق التفكير .

و الاسلام يطالبنا بالانقياد فى هاتين الشعبتين أيضاً ، كما يطالبنا بانقياد فكرنا وذهننا ، فى الشعبة الأولى . ولابد لحصول الاسلام الكامل من انقياد أفكارنا لأوامر الله و نواهيه فى هاتين الشعبتين أيضاً ، و سنلقى الضوء على هاتين الشعبتين مفصلا فى السطور الآتية لدقتهما و خفائهما على أكثر الناس

« الوجهة الفكرية »

إن الله العليم الحكيم خلق الانسان و أعطاه القوة الفكرية و هذا العطاء عام للمؤمن و الكافر و التقى و الفاجر ، فانه لا فرق بينهما فى نفس القوى الذهنية و الاستعداد للتفكير والتأمل و النظر . أما ما يميز المؤمن من غير المؤمن من هذه

الناحية فأمران : الوجهة الفكرية و المنهاج الفكرى ، ونقدم تنوير الوجهة الفكرية .

الحركة الادارية لابد لها من هدف ومقصد تسكن المتحرك إذا وصل إليه ، فلابد للحركة الفكرية من هدف و مقصد تنتهى إليه و يسكن الذهن إذا وصل إليه ، فارادة مقصد و هدف هى التى نسميها بالوجهة الفكرية و ينقسم الفكر إلى قسمين باعتبار المقصد و الهدف .

الأول : ما أريد به حصول معلوم جديد فحسب .

الثانى : ما قصد به الانتفاع و الاستفادة بمعلوم جديد كما قصد به حصوله .

فالوجهة الفكرية على نوعين ـ إى الوجهة إلى العلم للعلم . . " و الانتفاع به .

مثال الأول : الوجهة الفكرية لعالم الفلكيات المولع فى مسائلها ، فانه يجتهد و يتفكر ليعلم أن الكوكب كذا مثلا . . الطبيعية ؟ هل فيها جبال ووهاد ، وما هى مسافته من الشمس إلى غير ذلك من العلوم التى لاتفيد العالم بها شيئاً إلا أنها تعد فوائد فى أنفسها . لأنها علوم جديدة لم تكن حاصلة قبل التفكر . و تتنوع باختلاف العلوم المقصودة ، فان وجهة فكر الرياضى مغائرة لوجهة فكر الطبيعى .

و مثال الثانى : تفكر الفلكى فى نفس تلك الكواكب و فى أحوالها الطبيعية و خواصها لينتفع بهذا العلم ، كتفكره مثلا فى حركات الشمس و القمر ليعلم عدد السنين و الشهور والحساب ، و يعرف زمان المد و الجزر فى البحار ، و كذلك تفكر الطبيب فى عالم النبات لاستخدامه لاصلاح البدن و إزالة الأمراض به ، فان وجهة فكره هى العلم مع الانتفاع به .

وتتنوع باختلاف المنفعة المقصودة ، فان وجهه فكر الفلكى هى الانتفاع بمعرفة

حركة الشمس مثلا فى عد السنين و الحساب ، أما الطبيب فغاية عليه بالنبات مثلا هى نفعه للجسم الانسانى من حيث دفع المرض أو تقويته ، فوجهة فكره مغايرة لوجهة فكر الفلكى .

منهاج التفكر : معناه طريق التفكر و النظر ، و يمتاز أحد المنهاجين من الآخر بامتياز المتفكر فيه ، والوجهة الفكرية ، وكيفية حركة الذهن فى الحركة الفكرية .

و ينقسم إلى قسمين كبيرين باعتبار المتفكر فيه و الوجهة الفكرية وكيفية حركة الذهن .

الأول تحريك القوة الفكرية فى أمر و كيفية لا دخل لهما فى سعادة النفس و شقائها بحسب نفس الأمر أو بحسب زعم المتفكر .

الثانى : تحريكها فى أمر و كيفية لهما أو لأحدهما دخل فى سعادة النفس وشقائها . فهما منهاجان للتفكر ، كأنهما نوعان من الفكرة ، فالفكرة الأولى نسميه « الفكرة الطبيعية » لأن هذا المنهج هو المختار فى العلوم الطبيعية كالطبيعيات و الكيمياء ، و الرياضى و أمثالهما من العلوم التى لا دخل لها فى أنفسها فى سعادة النفس و شقائها .

و الفكرة الثانية نسميها « الفكرة النفسية » لتأثير مسائلها على النفس الانسانية من حيث السعادة والشقاء ، وهى المختارة فى علوم التمدن والاجتماع غالباً كالأخلاقيات والسياسيات والمعاشيات وأمثالها من العلوم التى لها دخل فى سعادة النفس وشقائها .

« الاختلاف بين مناهج التفكر »

ثم إنا نجد اختلافاً كثيراً بين المتفكرين فى مناهج التفكر ، و اختيار طريق الفكر والنظر ، فهذا شاعر ينظر إلى الورد لمشابهة بخد حبيبته الجميلة ، وذاك طبيب يتفكر فى نفس ذلك الورد لخواصه النافعة للمرضى ، و إن الرياضى يتفكر فى القمر

فى حركته و مطالعه ومغاربه ومسافته من أجرام أخرى ، كما أن الطبيعى يمعن النظر فيه ليعرف أحواله الطبعية من حباله و وهاده و كثافتـــه و ثقله ، و أمثالها من الأمور الطبعية التى يبحث عنها فى الطبعيات ، ولا نعنى بالاختلاف فى المنهج الاختلاف المنطقى أو الاختلاف فى مادة الفكر ، و إنما نعنى الاختلاف النفسى فى الوجهة الفكرية وأمثالها من الاختلافات الناشئة من الاختلاف فى العقائد والعواطف و الميول النفسية .

مسألة مهمة

إنا إذا نظرنا إلى الاختلاف المذكور قريباً بين المناه
مهمة وهى أن ديننا الاسلام دين كامل ، فهل عنده من من
المناهج الفكرية ؟ و هل يطالبنا الدين الحق اتباعه أم جعل
أى منهاج و طريق للتفكر و النظر حسب ما نختار و نرضى ، هل يجوز لنا أن نسلك فى الفكرة الطبعية مسلك الجاهلين بالاسلام أو الضالين الذين هم أعـــداؤه أيباح لنا أن ننظر إلى العالم كما ينظر إليه كافر كمنكر لقدرة الله تعالى شأنه وعظمته أم يجوز لنا أن نختار فى الفكرة النفسيـــة منها التفكر الذى يختاره الأوربيون أو الأمريكيون الذين هم منكرون للدين المبين كافرون به ؟ كيف ، وإن الاسلام هداية كاملة ــ فلابد لنا أن يعلمنا منهاجاً خاصاً للتفكر لأن المزاج الخاص الذى تمتاز به أمة من أمة يحتاج إلى منهاج فكرى خاص بها لحصوله و بقائه .

و لا حاجة إلى التصريح بأنه لا يتصور قوام أمة بدون مزاجها المخصوص بها ، فاذا فسد مزاجها أو ضعف أصبحت تدحض عن موقفها و تبدل قوامها حتى تصير أمة أخرى أو تحرم مقام الأمة وتصبح زحام أفراد متفرقة لا يصدق عليها

اسم الأمة أو القوم ، أليس هذا أمارة واضحة و برهاناً جلياً على الأمة المسلمة ، هداها الاسلام إلى منهاج خاص للتفكر و النظر تمتاز به عن سائر الأمم و تحفظ بها مزاجها الخاص بها ؟ ، وبعد ما أوصلنا العقل السليم إلى هذه الحقيقة الضرورية لابد أن نسأل القرآن المبين والسنة الكريمة عن وجود ذلك المنهاج المتين وحقيقته ، فاستمع لما يتلى عليك من الآيات الكريمة

قال الله تعالى : « و من يؤمن بالله يهد قلبه » (التغابن) .

و معنى القلب هنا هو العقل و قوة التفكر ، و الآية تدل على أن الايمان يهدى العقل ، و اهتداؤه أن يتفكر على منهاج صحيح ، و يصل إلى هدف صحيح و يفوز بمعرفة الحق فيتبين أن الايمان يهدى العقل و الفكر إلى منهاج خاص صحيح و لا بد للمؤمن أن يتبع ذلك المنهاج .

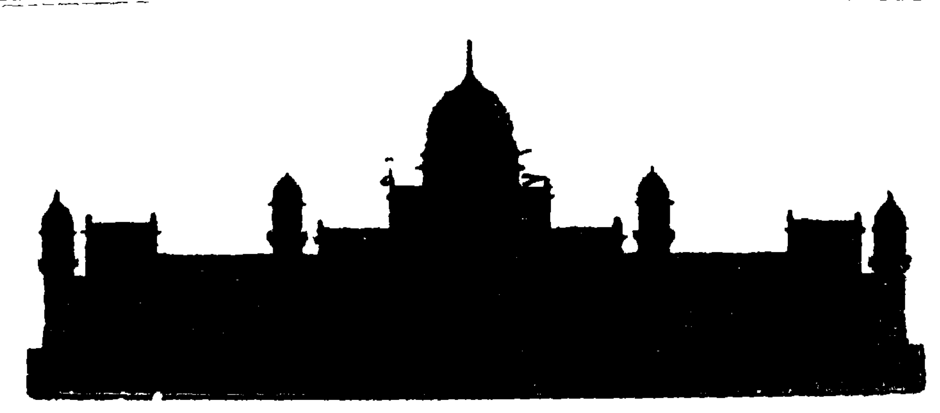
٢ـ و قال تعالى شأنه « لقد أرسلنا رسلنا بالبينات و أنزلنا معهم الكتاب و الميزان ليقوم الناس بالقسط » ما هذا الميزان ؟ واضح أنه هو منهاج التفكر الذى علمه الكتاب و السنة ، و لابد من اتباعه للوصول إلى « القسط » فى كل أمر ، لأن الميزان المعد لوزن الأشياء المادية لم ينزل مع الرسل و الأنبياء ، و ليس من فرائض النبوة وتعليمه و تعريفه ، نعم ، تعليم الميزان الفكرى يناسب شأن الأنبياء و المرسلين و حقيقة أنهم رفعوا الحجاب عن وجه هذا الميزان و أمروا متبعيهم باتباعه ، كما يتضح إن شاء الله تعالى .

و قال الله عز اسمه : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله و آمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته و يجعل لكم نوراً تمشون به و يغفر لكم ، والله غفور رحيم » (الحديد) .

إن معنى النور ما هو ظاهر بنفسه مظهر لغيره ، و المراد بالنور هاهنا هو نور الايمان .

فالآية تدل على أن المؤمن يمشى بنور الايمان و يهتدى به ، و بديهى أنه لم يرد معناه المادى بل المراد هو معناه الفكرى ، و أن المؤمن يهتدى و ينبغى له أن يهتدى بايمانه فى تفكره و يهدى به غيره ، ذلك بأن النور المذكور ينور منهاج تفكره و يعينه على التميز بين الحق و الباطل وبين الصواب و الخطأ .

إن الآيات المتلوة قريباً تدل دلالة واضحة على أن الاسلام يهدى إلى منهاج خاص للتفكر و يطالبنا اتباعه ، و معرفة هذه الحقيقة توردنا أمام السؤال المنهاج و كيفيته فلنشرع فى إجابة عن هذا السؤال هو ا المقالة المختصرة .





طبيعة هذا الدين

بقلم : الأستاذ المرحوم محمد الحسنى

هذا الدين فى أساسه ثابت لا يتغير ، كامل لا ينقص ، كل لا يتجزأ ، إنه لا يحتاج إلى تطوير و لا يقبله . و لا تؤثر فيه الأحداث الاجتماعية والتطورات الحضارية و الانقلابات الفكرية و الثورات السياسيـــة ، أيما تأثير . لأنه بنى على الوحى السماوى ، وتنور بنور كتاب الله العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه . و عاش تحت ظلال النبوة التى لا دخل فيها للآراء الانسانية التى تخطئ و تصيب . و التجارب العلميـة التى تنجح و تخفق . و الأوهام البشرية التى تختلف مداركها و مستوياتها ، و قد صور القرآن نفسية هذا الدين و طبيعتـه ، و ثباته فقال : « ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين باذن ربها ، ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار ، يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحيـــــــــــــاة الدنيا وفى الآخرة ، و يضل الله الظالمين و يفعل الله ما يشاء » (١)

و قال فى موضع آخر :

« وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم » (٢) .

إنه وصف الدين بالثبات و القرار و وصف المـــذاهب الأخرى بالزوا

(١) إبراهيم : ٢٧ .   (٢) الأنعام : ١١٦ .

و عدم الاستقرار كنقطة فاصلة بينهما ، لأن هذه المذاهب الوضعية و الصناعية و السطحية لا جذور لها فى داخل الأرض و ليس عندها إلا ما يبدو للناظر فى ظاهر الأرض من زخرف القول غروراً ، و ذلك عبر عنه القرآن فى موضع آخر فقال : « فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفاً » (١) .

إذاً كيف نقول : إن الدين يتطور مع الزمن ؟ و الجواب أنه يتطور كما تتطور الشجرة المباركة ، الحية النامية ، مع المحافظة على أصلها وجذورها ، إن الله سبحانه لم يشبه هذا الدين فى ثباته و استقراره ، بصخرة صماء لا نمو فيها و لا مرونة ، و لا حياة فيها و خصوبة ، و لا نعومة فيها و لا جمال ، بل إنه - كما وصف كتاب الله - شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها ؛ "

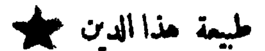
كل حين بإذن ربها ، و ذلك دليل باهر من دلائل الاعجاز

هذا الدين جميع حاجات الانسان فى كل زمان و مكان .

فما هو الأصل الثابت فى الدين الذى لا يقبل التغيير و النسخ - ... ب أى حال من الأحوال ، ثم ما هو أكله الذى يتغذى به الأصل و يسمو على أساسه و يستقى الماء و الخصب بهذا الأصل الثابت و النبع الصافى العميق ؟ و الجواب أن أصله الثابت هو التوحيد ، و العبودية الخالصة لله و الايمان بالغيب و النبوة و اليوم الآخر .

أما أكله فهى الدرجات التى ينالها المؤمنون - بفضل من الله و رحمة - فى الدين و التقوى ، و العلم و الحلم ، و الايمان و الاحتساب ، و حسن البلاء فى الدعوة و الاصلاح ، إنها النفحات الالهية ، والعلوم الربانية ، و المعارف الدينية و الجهاد و الاجتهاد لنشر رسالة الاسلام فى الآفاق ، و إجراء شرائعه على البلاد

(١) النساء . ٧٦ .



و العباد و الذب عن حوزة الشريعة الغراء ، و صيانة هـذا الدين من « تحريف الغالين و انتحال المبطلين و تأويل الجاهلين » .

إنها المحافظة على نقاء الاسلام و صفائه ، و أصالته و استقراره ، و إزالة الغبار عن جوهره و الوفاء به ، و الولاء له ، و الثبات عليه ، و الاستماتة دونه و إيثاره على كل ما عداه من مذاهب و ديانات ، و نظم و حركات ، رضى الناس أم سخطوا و أقبلت الدنيا أم أدبرت « درجات منه و مغفرة و رحمة وكان الله غفوراً رحيماً » (١) .

هذا هو الأساس المقرر الثابت فى الاسلام ، المفهوم المعلوم عند الصحابة الكرام ، و المسجل المضمون فى الحديث والقرآن ، و المطلوب من العبد المؤمن الذى لا يبتغى غير وجه الله ولا يجرى وراء أهوائه و شهواته و ميوله ونزعاته ، أن يعض على هذا الأساس بالنواجد ، فهى المحجة البيضاء التى ورد ذكرها فى الآثار على لسان رسول الله ﷺ ، و أن يعرف ـ بنور من ربه وفراسة إيمانه ـ ذلك الخط الدقيق الذى يتغير به اتجاه المرء من جهـة إلى جهة و ينحرف به ـ وهو لا يشعر ـ عن جادة الصواب ، و الصراط المستقيم الذى يسأل الله الهداية إليه كلما قرأ الفاتحة فى الصلاة .

و خط الانحراف خفى دقيق لا يطلع عليه إلا من قذف الله فى قلبه نوره وأراد به خيراً وهيأ أسبابه ، والآيات التالية تدل على بعض مواضع الزلل والنقصان التى تزل عنـدها الأقدام و هى تدور حول الاعجاب بالقول الظاهر المزخرف ، و الاعجاب بالأموال و الأولاد ، و الركون إلى الطغاة و الظـالمين ، و تلبس الايمان بالظلم أو الهوى و غير ذلك من المفاهيم و الاشارات .

(١) النساء : ٩٧ .

١- و من الناس من يعجبك قوله « فى الحياة الدنيا و يشهد الله على ما فى قلبه و هو ألد الخصام » (١) .

٢- « و إذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ، و إذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون (٢) .

٣- و من يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهـدى و يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى و نصله جهنم و ساءت مصيراً (٣)

٤- و لا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار (٤)

٥- و لا تعجبك أموالهم و أولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها فى الدنيا و تزهق أنفسهم و هم كافرون (٥) .

٦- و لعبد مؤمن خير من مشرك و لو أعجبكم (٦)

٧- قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة (٧)

٨- الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون (٨)

٩- أم أنا خير من هذا الذى هو مهين ، و لا يكاد يبين (٩) .

إنها وأمثالها من آيات كثيرة يزخر بها القرآن تدلنا على خطوط الانحراف ، على النقاط التى ينشأ منها الزيغ ، و الثغرات التى يتسلل منها الفساد ، و المواضع التى تنذر فى نفوسنا بدور الاعجاب بالجاهلية ، و معاهيمها و أقدارها ، و الركون

---

(١) البقرة : ٢٠٤ . (٢) الزمر : ٤٦ .

(٣) النساء : ١١٦ . (٤) هود : ١١٤ .

(٥) التوبة : ٨٦ (٦) البقرة : ٢٢١ .

(٧) الأعراف : ١٣٨ (٨) الأنعام : ٨٣ .

(٩) الزخرف : ٥٣ .

إلى الظالمين أو إلى الحضارة التى تقوم على الظلم ، و الانفتاح على الدنيا أكثر من الانفتاح على الآخرة ، و الاقبال على الخلق ، و الاتصال بهذا الكون أكثر من الاتصال بفاطر الكون ، و الايمان بالمشهود العاجل أكثر من الغائب الآجل ، و قلة الخوف من النار وقلة الرغبة فى الجنة ، و التفكير فى تنظيم هـذه الحياة و تحسينها و إصلاحها اكثر من التفكير فى الدار الآخرة و ثوابها و عقابها ، و الاعتناء بالمجموعة أكثر من وحداتها ، و الحرص على جمال البناية أكثر من الحرص على صحة لبناتها ، و الاهتمام الزائد بظاهر السفينـة و طلائها أكثر من الاهتمام بألواحها ، و التوجه إلى إنقاذ البشرية كلها أكثر من إنقاذ نفوسنا وأهلنا و عشيرتنا .

يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم و أهليكم ناراً (١) .

يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتـديتم إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم تعملون (٢) .

و يظل الانسان ينحرف أو يبتعد عن هذا الخط النبوى حتى ينسى نفسه و ينسى غاية أعماله فى زحمة الأحداث و الأشغال ، و يؤخـذ بالمظاهر و يتلهى بالأشكال . و تراه بعض الأحيان يخالف أبسط قواعد الدين ويخرج على أصالتـه و يخالف مبادئه و مقوماته باسم مصلحة الدين و حكمـة الدين و تحت شعار « العقل العملى » و « استراتيجية الدعوة » بعض الحين .

ثم تتغير الموازين و المقاييس بصورة تدريجية و بحركة لا إرادية ، و تفقد الأمانة والايمان ، و النزاهة و الصدق ، و الاخلاص و النية و سلطانه وحرمته فى القلوب ، حتى يقال ـ كما جاء فى الحديث ـ « ما أعقـله و ما أظرفه و ما

(١) التحريم : ٧ .　　(٢) المائدة : ١٠٦ .

أجلده و ما فى قلبه مثقال حبة من حردل من إيمان » (١) .

إنها حالة نفسية تنتاب الدعاة المثقفين و العاملين المخلصين فى بعض الحالات فيفسد عليهم إخلاصهم مع الله ، و صلتهم بالله و ولاؤهم لهذا الدين ، و اتباعهم لسنة رسول الله ﷺ ، و تعلق قلوبهم بالصلاة و الدعاء (٢) و تحرقهم ـ تحرق المفجوع فى وحيده أو فى رأس ماله ـ على مصير الانسانية الحائرة و على مستقبل هذا الدين و مصير الدعوة ، و احترامهم و حبهم و إجلالهم للصحابة و التابعين حباً و إجلالا يليق بشأنهم ، و الثقـة بفهمهم للدين و نزاهتهم و ارتقائهم عن مستوى الشبهات أو مستوى عامة الرجال تمام الثقـــــــة .

(١) متفق عليه .

(٢) وقد يبلغ الأمر ببعض هؤلاء وتطغى عليهم الشكليات إلى حد تراهم لا يتحمسون للصلاة تحمس من سمع قول رسول الله ﷺ. «جعلت قرة عينى فى الصلاة » وقوله . « أرحنا يا بلال » وقد تفوتهم الناحية التعبدية وتزكية النفس تماماً ، و قد روى والدى رحمه الله قصة طريفة تدل على هذا الواقع الاليم ، قال أنشئت هناك جمعيـة لاقامـة الصلاة قبل زمن يسير ، و كانت مؤلفة من بعض « المثقفين » و عقدت الجمعية حفلتها الأولى بعد صلاة العصر ، فلما حانت صلاة المغرب و أذن المؤذن لم يحرك ذلك ساكناً حتى لم يتمالك هو نفسه . وكان الوقت قد تأخر و سأل زعيم القوم أن يختموا الحفلة و يتوجهوا للصـلاة ، فقـال مستغرباً أو ليست هذه الحفلة فى سبيل الصلاة ؟ و اشتغل القوم بدراسة الصلاة و معانيها و الضرورة إليها وتأثيرها فى المجتمع المسلم ـ وانصرف هو وحده إلى المسجد ، يشكو بثه وحزنه إلى الله .

باقتداء آثارهم كل الاعتزاز ، و التشبع بحب سيدنا و قائدنا و معلمنا و شفيعنا محمد بن عبد الله القرشى الهاشمى ﷺ حباً يفوق على حب النفس و المال والأهل و الولد مطابقاً لما جاء فى الحديث الصحيح عن النبي ﷺ « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده و ولده و الناس أجمعين » (١) فيجب على كل عامل مخلص لهذا الدين أن يتجنب هـذه المزالق التى تعترض طريقه فى بعض مراحل الدعوة ولا تسمح له أشغاله المزاحمة ونشاطاته المتلاحقة و رحلاته المتصلة المتوالية بالتأمل فيها و الاحتراز منها ، و تمييز المفسد من المصلح ، و الضار من النافع .

إن طبيعـة هذا الدين غير طبيعة الدعوات الأخرى ، و منهجه غير منهجها و أسلوبه غير أسلوبها ، ولغته غير لغتها ، وسحنته غير سحنتها ، ونبرات صوته غير نبرات صوتها ، وأتقدم خطوة وأقول . إن قسمات وجهه غير قسمات وجهها ، وكيف لايكون ذلك ، فدعوة الدين هى الدعوة إلى الآخرة ودعوة المذاهب الوضعية هى الدعوة إلى الدنيا ، ودعوة الدين إلى تحسين الحياة الطويلة الباقية « وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون » (٢) ودعوة الحركات السياسية والمذاهب الاقتصادية والسياسية إلى تحسين الحياة القصيرة الفانية « وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون » (٣) فينبغى أن يتجلى هذا الفارق الأساسى و الخط الفاصل المميز بين الدعوتين

---

(١) كان شاعر الاسلام الدكتور محمـد إقبال موفقاً كل التوفيق فى فهم هذه النكتة و ضرورة الاتصال الوثيق بشخصية النبي إذ قال : إننا نعتقد أن الاسلام دين أوحى الله به ولكن وجود الاسلام كمجتمع أو أمة يتوقف على شخصية محمد ﷺ .

(أنظر « النبي الخاتم » لسماحة الأستاذ أبي الحسن على الحسنى الندوى)

(٢) الأنعام : ٣٢ . (٣) الشعراء ١٢٩ .

فى سائر أجهزة الدين و فروعه و أجنحته ونشاطاته و تصرفاته و فى نظرته العامة إلى الحياة والأحياء ، بل إلى جميع الأشياء ، حال من جاءه برهان من ربه وذاق حلاوة الايمان و فتح الله عليه باب المعرفة والاحسان و أوتى نعمة الفرقان بين الحق و الباطل ، فتكيف سلوكه و خلقه و نشاطاته و جهاده بهذا الايمان ، وظهر إيمانه بالغيب على إيمانه بالمشهود ، و إقباله على الدار الآخرة على إقباله على الدنيا و طمعه فى النجاة من النار على طمعه فى الرقى و الازدهار ، و الفتح والانتصار إذا كان ذلك من غير قلب سليم ، و نية صالحـــة ، و عاطفة إيمانية ، و دعوة ربانية ، و روح نبوية ، و فى حدود معلومة واضحة ، نطق بها ا
و حددتها الشريعة السمحاء الغراء ، و درج عليها الصالحون
الربانيون ، و لم تدسها شوائب الحضارة المادية ، و سموم ا
اللادينيـــــــــــــــــــة .

إن القرآن حرص دائماً على أن يبقى هذا الفرق واضحاً لكل ذى عينين وحتى فى الأشياء التى تتعلق بالادارة و البناء و التصميم (١) و الحياة المنزلية والاداب اليومية والمعيشة العامة لتظل الأمة الاسلامية شامة بين الناس لا فى الشارة واللباس و الاسم و العنوان ، و لغة الحديث و القرآن ، بل فى الذوق و الوجـــدان ، فى العقل و القلب ، فى الضمير و مكنونات الصدر ، و فى سلوك الفرد وسلوك الجماعة ، و سلوك الدولة ، و سلوك الأمة ، فى سائر مجالات الحياة وفروعها .

و هنا نقطة أخرى لا ينبغى إغفالها و هى أن فى طبيعة هذا الدين « قوة ذاتية » أو قل ـ إذا شئت ـ نوراً إلهياً و مسحة من جماله ـ جل و علا ـ و هى غنية بهذه القوة أو بهذا النور عن استيراد أى « طاقة » أو وسيلة معنوية

---

(١) اقرأ تفسير قوله تعالى فى سورة يونس : « و اجعلوا بيوتكم قبلة » الآية .

من الخارج لتقريب مفاهيمه و منهجه و سلوكه إلى أفهام البشر ، و ذلك ما شعر به و اطلع عليه مشركو مكة « وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن وألغوا فيـــه لعلكم تغلبون » (١) و كانوا يمنعون أولادهم عن حضور مجالس النبى ﷺ و أصحابه حتى لا ينجذبوا إلى هـــذا الدين ، و قصة إيمان سيدنا عمر بن الخطاب و تلاوة سيدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنهما التى كانت ترق لها القلوب القاسية الجافة ، نماذج رائعة لهذه القوة الذاتية فى المنهج الاسلامى الأصيل ، يدل على ذلك دلالة واضحة ما رواه ابن كثير فى تاريخـــه فقال : « لما قدم عمر الشام عرضت له مخاضة فنزل عن بعيره ونزع موقيه فأمسكهما بيده و خاض الماء و معه بعيره فقال أبو عبيدة قد صنعت اليوم صنيعاً عظيماً عند أهل الأرض ، صنعت كذا وكذا قال فصك فى صدره و قال لو غيرك يقولها يا أبا عبيدة ، إنكم كنتم أذل الناس و أحقر الناس فأعزكم الله بالاسلام فمهما تطلبوا العزة بغيره يذلكم الله » (٢)

وليس المراد من هذا القول ـ كما يشعر البعض ـ جاهلية سافرة أو ألوانها المكشوفة لا بل إنه يعم سائر عروقها و خطوطها و ألوانها وبصماتها فى الصدور .

هذه القوة الذاتية فى الاسلام ، ومعرفة طبيعتـه ، و الوفاء بمنهجه ، والثبات على جادته و استعمال قوته جعلت الصحابة و التابعين ، والشهداء والصالحين ، ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين ، فى غنى عن كل منهج جاهلى و مظهر جاهلى و خط جاهلى .

إن طبيعة هذا الدين وروحه تقتضى أن نستعمل قوته الذاتية بدلا من الاعتماد على وسائل القوة و التأثير الخارجية اعتماداً زائداً ، تاركين هذه القوة الكامنة فى الصدور وراء الظهور ، و أن نتقدم بحمل لواء هذا الدين و نشر دعوته باختيـار

---

(١) حم السجدة : ٢٦ .

(٢) البداية والنهاية : ٧/ ٦٠ ، ورواه الحاكم فى المستدرك وقال صحيح على شرطهما

المنهج النبوى فى الدعوة والهداية والقيادة ، وأسلوبه الممتاز فى الكفاح لدين الله والجهاد لاعلاء كلمة الله ، و المحافظة على أصالته و معرفة طبيعته ، وتذوق حلاوته وصيانة روحه المشرقة و صفحته البيضاء التى تراكم عليها الغبار بتأثير البيئة الفاسدة ، والجو الموبوء ، و وجودنا بين الجاهليات الحديثة و تياراتها العنيفة التى تلاحقنا من كل جانب .

لقد جاء فى الحديث : « يأتى على الناس زمان ، الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر (١)

و أثنى رسول الله ﷺ مرة على آخر هذه الأمة إيمانهم بالـ ...

بوعد الله حينما سأله أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجرا...

يا رسول الله أحد خير منا ، أسلمنا وجاهدنا معك ...

من بعدكم يؤمنون بي و لم يرونى (٢) .

و من ثم فان مشكلاتنا فى هذا الطريق و محافظتنا على هذا التراث النبوى العظيم من العلوم و الأعمال وحرصنا على روح هذا الدين النقى الخالص ، والعض على كل ذلك بالنواجذ هو نفسه يدلنا دلالة واضحة على صحة الهدف و الاتجاه ، و سلامة الأفكار و الأرواح ، هو كفيل بالفلاح فى الدنيا و النجاة فى الآخرة إن شاء الله .

و قد بشر لسان النبوة هذا الجيل المؤمن بكونه على الحق و سلامته عن الفتن و الأخطار ، و ثباته على الجادة إلى يوم القيامة فقال ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتى أمر الله و هم كذلك (٣) .

---

(١) رواه الترمذى عن أنس .

(٢) رواه أحمد . (٣) رواه مسلم عن ثوبان .

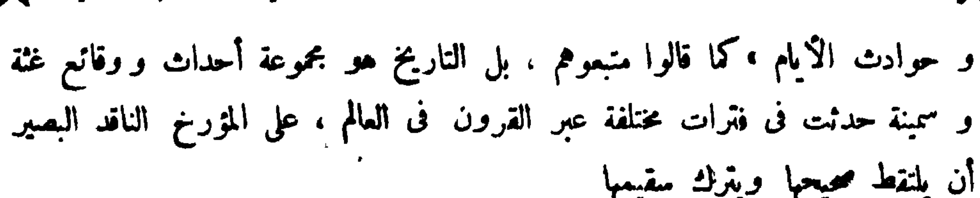
دراسات وأبحاث

دراسة عن الحضارة الاسلامية و منحها العالمية

(١)

محمد صدر الحسن الندوى

الأحداث والوقائع التى تحدث بين حين و آن ، نقلها اعتماداً على الكتب التاريخية الموثوق بها والوثائق التى تحرى المؤرخون فى نسخها ، وتبليغها إلى الأجيال القادمــة ، الحق و الصواب ، وأتوا بالأصول والمبادى و ال
الجدل والخلاف فى معظم الأحوال ، وهذه هى المبادىء التى
صرح التاريخ الشامخ الأصيل المتماسك المتراص ، فان لم تك
ما كان لنا أى سبيل إلى معرفة الأجيال الغابرة والشعوب و الامم ى
أسست فى عهدها صروح الحضارات الراقية وأتت أشياء عجيبة و اختراعات فى شتى ميادين الحياة ، من الأشوريين و البابليين و الكلدانيين و الأمم البائدة ، فالتاريخ وإن كان فيه أساطير و اشاعات ، لا يسعنا أن ننبذه نبذاً باتاً ، بل لا بد لنا أن نغربل الأحداث و الوقائع و نضعها على محك النقد « فأما الزبد فيذهب جفاءاً و أما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض » على هــذا الأساس لا يمكننا فى أى حال أن نقول : « إن التاريخ مجموعة ظنون أو علم صغير ، ســداه و لحمته من الفرضيات العــــــدة » كما قال رنان و « إن التاريخ مجموعة اشاعات » كما قال كارلائل . و « إنه مجموعــة أساطير قبلها الضعفاء » كما قال فولتير . و « إنه رواية يخترعها كل كاتب من توليد خياله و ينتحل لها الأسماء و الأعلام من سير الناس



و حوادث الأيام » كما قالوا متبعوهم ، بل التاريخ هو مجموعة أحداث و وقائع غثة و سمينة حدثت فى فترات مختلفة عبر القرون فى العالم ، على المؤرخ الناقد البصير أن يلتقط صحيحها ويترك سقيمها

قامت فى العالم حضارات قبل الاسلام وستتبعها حضارات ومدنيات ، واعترف بها المنصفون و نبذتها و حطت من شأنها مثلها أخرى مغرضة ، و هكذا حدثت فى شأن الحضارة الاسلامية و العناصر التى أفرغت كل جهودها فى تسويد صورة الحضارة الاسلامية ودورها القيادى الرائع الذى يندر وجوده فى الحضارات العالمية المختلفة على طول التاريخ ، هم : ١ـ الاستعماريون من رجال السياسة ٢ـ والمتعصبون من رجال الدين ، « إن أهل السوء من أهل الكتـــاب لا يمكون يهاجموننا نحن المسلمين بالأباطيل و يحاربوننا بالمفتريات . . . و إذا نحن شئنا أن نحصى أكاذيبهم علينا ، كانت فيها صفحة هى أسود الصفحات فى سجل التعصب ، يشترك فيه أعداء الاسلام قديمهم و حديثهم ، سواء منهم العلماء و الرواد و القساوسة ، و رجال الحكومات ، و الكتـــاب ، أمثال « بيرون » و « بلجراف » و « جلادستون » و « برجليوس » و « قيس كانتربرى » و « الأب لامنس » و الكاتب « لوى برتران سرفييه » . . و غيرهم » (١) .

والشئ الذى زاد الطين بلة أن المؤرخين الأفرنج الذين أصيبوا بمركب النقص حينما رأوا أن الجيوش الاسلامية لاتزال تزحف إلى الامام و تكسب الانتصار و الغلبة تلو الأخرى خاصة فى الحروب الصليبية التى « يقولون فى أسبابها » إن المسلمين كانوا لا يزالون يزحفون إلى الجهات الغربية والشرقية لأوربا فكانت الحاجة ماسة أن نرجع بهم القهقرى (٢) و قال مؤرخ آخر « ما أحوجنا إليها لكى نسد

---

(١) أوربا و الاسلام ص ١١٤ دكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر سابقاً .

(٢) History of Europe p. 452 By A. G. Grant

طريق الزحف إلى أوربا للاتراك فى صالح المسيحة » (١) ـ حعلوا يدسون المواد المسمومة فى كتبهم التاريخية ، ونسوها إلى المسلمين والحضارة الاسلامية ، وحاولوا جهوداً مكثفة ونالوا تشجيع الحكومات و المنظمات المسيحية حتى اضطر مستشرق سيديلو أن يسترعى انتباه المؤرخين إلى هذه العصبية المزعومة ، إنه قال : « وما زال الافرنج إلى الآن ينسبون إلى العرب جميع التحريب الذى يرون اليوم آثاره فى الأقطار التى أغاروا عليها و قــد حول الأفرنج فى شأنهم مع أنهم كانوا فى جميع الوقائع ذوى لطف عند الانتصار (٢) وأضر كتب وأفتك ألفت فى تاريخ القرون الوسطى التى حدثت فيها معارك دامية بين المسلمين والمسيحيين وحمل العرب نصب أعينه أن لا يدع شيئاً من الأمور النكر إلا ويعروها إلى الم بهم قلة الحياء إلى أن اختلقوا أحداثاً ووقائع ونسوها إلى الم التى كانت تحدب عليهم كلما مدوا يد الصلح إليهم ، و لذلك الغرب أن يعيدوا انظارهم إلى تلك الحقيقة ويخرجوا تلك المواد المسمومة المختلفة .

و مشيراً إلى هـــــــذه الحقيقة يقول الكاتب المعروف جوستاف لبون (G. LEBON) فى كتابه « حضارة العرب (La civilisation des Arabes) « رأينا فى الفصول السابقة التى تعرض للوقائع التاريخية حتى لما كان منها معروفاً ، فاقتضى للحكم عليها أن يتجرد فيها عن التأثيرات القومية الدينية والسياسية التى هى المرجع البت فى معظم الأحكام ، و لذلك جاءت التآليف التى ألفت فى مختلف البلدان حاملة تصويرات متباينة فى الحوادث الواحدة ، وللاوهام الدينية خاصة سلطان على المؤلفين ، على

---

(١) The crusade p: 449 لمؤلفه تى ، اى ، ارجر ، وسى ، ايل كنجسفورد

(٢) تاريخ العرب العام لسيديلو (Sedillot)

حين يعتقدون أنهم نجوا من تأثيراتها، لا جرم أن كثيراً من المؤرخين قد اندفعوا بسائق هذه الأوهام، فأتوا بآراء جديدة عن محجة الصواب، فى بيان فضل الحضارة الاسلامية، و لا يزال التحامل على العالم الاسلامى القديم بحاله من الشدة، ولذلك وجب أن يعاد النظر فى تاريخ القرون الوسطى بجميع اجزائه التى لها مساس بانتقال المدنية القديمة إلى العصور الحديثة (١)

و إلى العصبية المسيحيـــة التى يكنها الغربيون يشير الدكتور دريول قائلا :

« إن الغربيين ربوا فى عاطفة أن النصرانية أرق من الاسلام بكثير و أن رسالتها أن تهدى المسلمين إلى دين المسيح ، و هذا أمر عسير وكم من أناس بيننا يبسمون لما يذكر من النعيم الذى وعد به المسلمون فى الجنـــة ، و لما يرون من حركات العبادات الاسلامية يبسمون ، ونحن ندعو المسلمين بالكافرين ، فلهم الحق أن يردوا علينا هذا النعت ، وبهذا لا يرجى أن تقوم بيننا وبينهم صلات إخاء وحب (٢) .

ظهرت عبقرية الاسلام فى ثلاثة جوانب هامة ، و تفرعت منها الآلاف من النواحى و الجوانب ،

الأولى : عقيدة توحيد الله

الثانية : عقيدة المساواة و المؤاساة .

الثالثة . تشجيع للعلوم و المعارف .

١ عقيدة التوحيد . أساسه الاعتقاد بأن الله وحده هو خالق هـــذا العالم و المسيطر عليه . و واضع قوانينه التى يسير عليها ، و المشرع له ، و ليس فى الخلق من يشاركه فى خلقه و لا فى حكمه ، و لا من يعينه على تصريف أموره ،

(١) حضارة العرب لجوستاف لبون (G. Lebon)

(٢) المسألة الشرقية من سنة ١٩١٨ - ١٩٣٧ لدريول .

لأنه تعالى ليس في حاجة إلى عون أحد مهما كان من المقربين إليه ، هو الذى بيده الحكم وحده ، وهو الذى بيده النفع والضرر وحده ، لا شريك له ، فمنى لا إله إلا الله : ليس فى الوجود ذو سلطة حقيقية تسير العالم وفقاً لما وضع من قوانين إلا هو ، وليس فى الوجود من يستحق العبادة والتعظيم إلا هو ، وهذا هو محور القرآن « قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا و بينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون فان الله تولوا ، فقولوا اشهدوا بأنّا مسلمون .

ارتج صوت« لا إله إلا الله » حينما كانت الدنيا غارقة فى الوثنية الم ـ ... الديانات كلها قد اتخذت الأوثان أرباباً و إلها لها ، كانت المسـ بعد ما جاء بولس و أصبحت مليئة بالخرافات حينما اعتنق قسـ قال سيل (SALE) « أسرف المسيحيون فى عبادة القديسـ حتى فاقوا فى ذلك الكاثوليك فى هذا العصر (١) أما البوذية فقد دخل فيها عبادة الأوثان و الأصنام و شوهت صورتها الأصلية ، يقول الأستـاذ « ايشوراتوبا » أستاذ تاريخ الحضارة الهندية فى إحدى جامعات الهند : لقد قامت فى ظل البوذية دولة تعنى بمظاهر الآلهة و عبادة التماثيل و تغير محيط الرابطات الأخوية البوذية وظهرت فيها البدع (٢) أما الديانة البرهمية فقد كان عدد الآلهة فى « ويد » ثلاثة وثلاثين وقد أصبح فى هذا القرن « ٣٣٠ مليون » جاوزت الاصنام والتماثيل والالهة والالاهات الحصر ، و أربت على العد فمنها أشخاص تاريخية ، وأبطال تمثل فيهم الله ـ زعموا ـ فى عهود و حوادث معروفة ، و منها جبال تجلى عليها بعض آلهتهم ، ومنها معاون

---

(١) Sale's translation P 62 (1896)

(٢) الهند القديمة للاستاذ ايشوراتوبا

كالذهب و الفضة تجلى فيها إله ، و منحهـــــا نهر الكنج الذى خرج من رأس « مهاديو » الاله ، و منها آلات الحرب و آلات الكتابة ، و آلات التناسل ، و حيوانات ، أعظمها البقرة و الأجرام الفلكية وغير ذلك » (١) و خير تمثيل للوثنية العربية رواه البخارى عن أبى رجاء العطاردى ، قال : كنا نعبد الحجر ، فاذا وجدنا حجرا هو خير منه ألقيناه وأخذنا الآخر فاذا لم نجد حجراً جمعنا جثوة من تراب ثم جئنا بالشاة فحلبنا عليه ثم طفنا به (٢)

أثرت هذه العقيدة للتوحيد على الشرق كما نرى تأثيرها على الغرب ، فقد جاء الاسلام فى الهند بفضل الغزاة و المجاهدين الأولين ، و قد تشرفت هذه الأرض بأقدامهم الذين كانوا صورة صادقة صحيحة للاسلام وكانت الحضارة الاسلامية تتمثل فى شخصهم و كانوا حاملى الحضارة النقية التى لم يسبق لها مثيل فى التاريخ ، نرى أثر التوحيد فى الهند فى الديانة الهندية و اعترف به المؤرخون فى الهند

يقول الباحث الهنـــدى المعروف « K .M . Panikkar » من الواضح المقرر أن تأثير الاسلام فى الديانة الهندكيه كان عميقاً فى هذا العهد (الاسلامى) إن فكرة عبادة الله فى الهنادك مدينة للاسلام . إن قادة الفكر و الدين فى هذا العصر و إن سموا آلهتهم بأسماء شتى فقد دعوا إلى عبادة الله ، وصرحوا بأن الاله واحد ، وهو يستحق العبادة ، و منه نطلب النجاة والسعادة ، و قد ظهر هذا التأثير فى الديانات و الدعوات التى ظهر فى الهند فى العهـــد الاسلامى كديانة (Bhagti) ودعوة كبيرداس (٣) .

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين للشيخ الندوى ص ٥٦

(٢) الجامع الصحيح للبخارى كتاب المغازى باب وفد بنى حنيفة

(٣) A. Survey of Indian history p: 132

أما فى الغرب فظهر تأثيره فى الديانة المسيحية و تأثرت المسيحية بهذه العقيدة ، و قام من القسيس رجال رفضوا عقيدة تأله المسيح رفضاً باتاً ، وقالوا إن المسيح لايمكن أن يكون ابناً لله فى الحقيقة ، لأن هذه العقيدة مناف لعقيدة التوحيد ، التوحيد يقتضى إلهاً منزهاً من الصفات التى تحط من شأن الاله ، يقول T. W. Arnold فى كتابه الشهير :

« إن قسيس طليطلة إيلى بندوس م ٨١٠م كان يقول بتسمى المسيح معناه أن المسيح هو إنسان و هو ابن لله مجازاً لا حقيقة ، إنه أخذ هذه العقيدة من المسلمين و شاعت هذه العقيدة فى منطقة كبيرة من أسبانيا ، و قام أ
لمدينة أرجل فى ولاية قيطلونية بترويجها فى منطقة سمى قايه
جهوده إلى حد يستطاع » (١) .

و الحركة الاصلاحية الدينية (١٤٨٣ - ١٥٤٦) الـ... (Luther) ضد الكنيسة اللاتينية كانت أيضاً صدى للعقيدة الاسلامية . و للبحث عنها لابد أن نسهب فيها ، ونطيل الكلام لأجلها لكى لايبق غبار على هذه الحقيقة .

تسرب الفكر الدينى إلى المجتمع الأوربى من ناحيتين اثنتين .

١ـ كانت السبيل الأولى هى سبيل رجال الدين أنفسهم ، أولئك الذين كانوا يسافرون إلى الشرق الاسلامى فى رحلات متواصلة يجوبون فيها و يزورون بيت المقدس و كنيسة القيامة .

٢ـ أما السبيل الثانية ، فقد كانت سبيل الجامعات الأوربية الحديثة النشأ ، اتصلت هذه الجامعات بالمراكز العلمية و الثقافية التى أنشأها المسلمون فى قرطبة ، وطليطلة من بلاد الأندلس و فى بالرمو بصقلية .

---

(١) The Preaching of Islam P. 145

تسرب هـذا الفكر الاسلامى إلى رجلين اثنين و هما « حنا وكلف » و « حناهس » كان الأول طالباً فى جامعة آكسفورد ، والثانى فى جامعة براغ ، هنا طهرت القضايا فى عصر « حنا وكلف ، و فى عصر « حناهس ، كانت المشكلة الكبرى فى أيام وكلف ، هى

١ـ مشكلة : العلاقة بين السلطتين الدينية و المدنية

٢ـ و مشكلة ممتلكات الكنيسة .

كان حل هده المشكلة موجوداً أمام حنا وكلف بفضل مطالعته الرسالة الاسلامية ، فأثار ضجة وطالب فى القضية الأولى « أن الكنيسة الحقة أنما تتألف من جمهور المسلمين ، و أن التعظيم الكنسى و على رأسه البابا إنما هو من صنع البشر ، إنه كما يختار الناس حاكمهم السياسى لخدمتهم ، فكذلك ينبغى أن يكون الغرض الأساسى من رجال الكهنوت جميعاً هو خدمة الجمهور المسيحى أى تحقيق الصالح العام » (١) .

و جاء حل القضية الثانية فى هذه الصورة « لا بد للكنيسة أن تتحلى عن أملاكها إذا رغبت فى الاحتفاظ ببعض الممتلكات ، فان ذلك يجوز بشرط أن تستثمرها استثماراً طيباً ، و أن يتم تحديد هذا الجزء من الممتلكات بمعرفة الملك أو الأمير » (٢) .

بعد هذه المطالبة طرد حنا وكلف من جامعة أكسفورد حتى وافته المنية عام ١٣٨٣ م ، انتقلت آراء حنا و كلف إلى جامعة براغ (تأسست سنة ١٣٤٨م) و اعتنقها حناهس ، وكانت المشكلة الكبرى فى أيامه مسألة صكوك الغفران ، معناه أن البابا له حق أن يغفر ذنوب المسيحيين لمن شاء منهم ، فقام حناهس مقام المعارضة

(١ و ٢) آفاق عربية ، ع ١٠ (١٩٧٦م) .

و رفع صوته ضد هذه العقيدة بفضل تعاليم الاسلام ، لأن الاسلام لا يعطى هذا الحق لأحد من الناس بل الله هو الغافر للذنوب و الماحى للآثام ، يغفر لمن يشاء و يعذب من يشاء . فطالب حنا هس بإلغاء هذه العقيدة ، و قال : إن الأوامر البابوية فى مسألة صكوك الغفران تعتبر ملغاة و لا قيمة لها »

بعد هذه المعارضة طرد من جامعة براغ وزج به فى السجن و أعدم حرقاً عام ١٤١٥م ، وكانت العقيدة المسيحية أن البابا هو معصوم وقصاياه وتعليماته لا تقبل الجدل و الكلام و المعارضة ، و لا حق لأحد من المسيحيين أن ينقض عليه بديه و يعارضه ، بل لابد الاستسلام أمام أوامر البابا و نواهيه

الأمور كلها سواء كانت دينية أو دنيوية ، و اعتنقها البابا .

فى كتبهم المقدسة أشياء من العلوم و المعارف التى ما أنزل

و سموه بالجغرافية المسيحية (Christian Topography) و عدة من ... م مسيح التى لابد من الايمان بها ، وإلا يكفر جاحدها ، وكذلك عارض البابا الاكتشافات الحديثة و المعارف التجريبية و شن ضده حرباً عواناً ، و لذلك قتل آلاف من المسيحيين المكتشفين أمثال غليلو (Galilio) وبرونو (Brono) و هكذا لاقى الأبرياء من المسيحيين حتفهم ، قام لوثر (Luthur) متشبعاً بروح الاسلام فى هذه القضية ، إن العصمة ليس لأحد من البشر ، و إن الاكتشافات الحديثة التجريبية لا تعارض الدين ، فنجح فى حركته الاصلاحية و ذاعت شهرته بمؤسس الفرقة البروتستانية ، وكان هذا بفضل تعاليم الاسلام نقل الدكتور عمر فروخ قول أستاذه يوسف هل (١٨٧٥ ـ ١٩٥٠م) أن لوثر كان يضع أمامه نسخة من القرآن الكريم نقله إلى اللاتينية روبرت أوف تشتر الانكليزى ، و هو مانوس دالماتا الفرنجى .

« يتبع »

البحث الاسلامى أهدافه و منـاهجـــــــه

— ٢ —

الأستاذ محمود أحمد غازى
إســـــلام آباد باكستان

القضايا الفكرية التى تواجه العالم الاسلامى المعاصر

إن هذا العهد الذى نعيش فيه هو عهد الفلسفة الغربية والحضارة الغربية وعهد الاستيلاء الفكرى الأوربى ، ولاشك أن هذا الاستيلاء الفكرى والثقافى والحضارى هو نتيجة للاستعمار الغربى السياسى والعسكرى الذى استمر عدة قرون ، ونرى عالم اليوم بأسره متصفاً بصبغة الآراء والأفكار والفلسفات الغربية و الالحادية والعلمانية التى هى خلاصة التاريخ الفكرى والدينى الطويل فى أوروبا ، و ألقى العالم الاسلامى أو على الأقل عدد ضخم هام جدير بالاعتبار من أبنائه ، نفسه فى تيار الاستعباد الثقافى والحضارى للغرب ، وأصبحنا اليوم ننساق انسياقاً أعمى فى هذا التيار بسرعة أكثر بكثير ، و على مستوى أكبر و على نطاق أوسع من سرعة انسياقنا فى تيار الاستعباد السياسى و العسكرى .

و مكر هذا العصر هو أنه لا يدعى الكفر و إنكار الخالق ادعاء واضحاً إيجابياً ليكون الناس على حـــذر من دعاويه ، فان المؤمن قلما يتأثر بدعوة تدعى بوضوح ، إنها دعوة كفرية أو دعوة جاهلية وإنها تهدف إلى إبعاد المسلم عن دينه و تضليله فى عقيدته ، و لكنه عهد الالحاد الفكرى و الردة الثقافيـــة و الكفر الحضارى ، لأن العلوم و النظريات و الأفكار و الفلسفـــات التى هى ميزات

هذا العهد ، والحضارة التي اتخذها هذا العهد هى حضارة لا تؤدى إلا إلى الالحاد و الأفكار بالخالق البارىء و الكفر بالديانات و رفض الدين و الهداية الربانيـــة كأساس معقول لتشكيل الحضارة و تكوين الثقافـــة و تأسيس النظم الاجتماعية . و الذين تجرأوا بمصارحة القول بالالحاد و إنكار الديانات عددهم ضئيل ، وأئمتهم الذين صارحوا القول و أعلنوا بالحادهم و ادعوا كفرهم ادعاءاً واضحاً ، إنما يمكن عـــددهم بالبنان أمثال برتراندرسل و هيوم و هكسلى و غيرهم ، و أما الباقون فيظهرون غير ما فى قلوبهم ويلوون ألسنتهم بالقول ، و ما يترشح من أفواههم إنما هو غيض من فيض ، و ما فى صدورهم أكبر .

و يليق بنا فى هذا المقام أن نقوم بتحليل موجز لما تغلغلت فى الفكر الأوربى والثقافة الأوربيـــة ، لنكون على بينة من نتائج و تركته من آثار فى تفكير المسلمين فى عالم اليوم

لا يخفى على كل من له إلمام بتاريخ الفكر الأوربى و الديانات الاوربية ان بزوغ فجر أوربا الحديث ، أى فجر نهضتهم المدنية الحديثـــة بدأت بادىء ذى بدء باتصالهم بالمسلمين و تأثرهم بالحضارة الاسلاميـــة خلال الحروب الصليبية ، فكان أول اتصالهم المباشر بالاسلام اتصال العدو بالعدو والمحارب بالمحارب ، فرسخ هذا الاتصال فى قلوبهم و عقلياتهم جذور الكراهة و العداوة و البغضاء ضد الاسلام و المسلمين . ثم جاء عصر الصناعة و التكنولوجيا ، و كان له أثر بعيد المدى فى تكوين عقلية أهل الغرب و نفسيتهم ، فان النهضة الصناعية و الثورة التقنية بدأت توجه الغرب إلى اتجاه مادى بحت وأوجدت فيه فراغاً دينياً روحياً هائلا ، وكان أحد أسباب هذا الاتجاه المادى بل من أهمها هو رد فعل الانسان الغربى ضـــد كبته للرغبات الطبيعية فى الانسان ، فانهم ابتدعوا الرهبانية التى ما كتبها الله عليهم ،



فالطغيان المادى العلمانى اللاروحى و اللادينى الناتج من هذا كله هو الذى أوجد فى قلوب أهل الغرب و فى عقلهم اللاواعى عداءاً عميق الجذور ضد الديانات والوحى والالهام ، و ساعد فى إيجاد هذا العداء العنصر الرومانى الاغريقى العريق فى المدنية الغربية ، و يشير الدكتور عمر فروخ إلى هذا العنصر الهام من المدنية الغربية ، ويقول إن المدنية الغربية الأوربية قائمة فى أساسها على المدنية الرومانية الوثنية ، وهى لا تأخذ من النصرانية التى اعتنقتها لأسباب سياسية قاهرة سوى الطلاء الخارجى فحسب . ثم إن المدنية الأوربية لا تزال فى واقعها وثنية لا تؤمن بغير القوة (١) .

فالمدنية الغربية التى تطورت و نتجت من هذا الفكر و هذا التاريخ الدينى و الفكر الطويل هى مدنية إلحادية من جانب و مادية من جانب آخر و عنصرية عرقية من جانب ثالث ، فنرى أن احتقار كل ما ليس أوربيا أو شبه أوربى هو من أهم ميزات المدنية الحديثة ، فاحترام الانسان وكرامته وتقديره فى المجتمع الحديث يكون دائماً بنسبة تقربه إلى الأوربيين و تشبهه بهم ، و هذا العنصر ورثته المدنية الغربية الحديثة من آبائهم الاغريق و الرومان ، فكانوا يعتقدون أنهم هم المتمدنون و غيرهم هم البرابرة ، و حتى الآن إذا نطقوا كلمة العالم المتمدن فالمراد عندهم العالم الأوربى الأمريكى أولا ثم بالدرجة الثانية العالم الذى تشبه إلى حد كبير بالعالم الأوربى الأمريكى .

و يشهد الأستاذ محمد أسد أن كراهة الاسلام و عداوته عنصر عميق الجذور و عريق الوجود فى المدنية الغربية ، « يقوم فى الأكثر على صدود من التعصب ، و هذا الكره ليس عقلياً فحسب ، ولكنه يصطبغ أيضاً بصبغة عاطفية قوية ، قد لا تتقبل أوربا تعاليم الفلسفة البوذية أو الهندوكية ، و لكنها تحتفظ دائماً فى

(١) عمر فروخ ، فى ترجمة كتاب : الاسلام على مفترق الطرق ، ص ٣٩

ما يتعلق بهذين المذهبين بموقف عقلى متزن و مبنى على التفكير ، إلا أنها حالما تتجه إلى الاسلام يختل التوازن ويأخذ الميل العاطفى بالتسرب ، حتى إن أبرز المستشرقين الأوربيين جعلوا من أنفسهم فريسة التخريب غير العلمى فى كتاباتهم عن الاسلام ، و يظهر فى جميع بحوثهم على الأكثر ، كما لو أن الاسلام لا يمكن أن يعالج على أنه موضوع بحث فى البحث العلمى ، بل على أنه متهم يقف أمام قضاته ، إن بعض المستشرقين يمثلون دور المدعى العالم الذى يحاول إثبات الجريمة ، و بعضهم يقوم مقام المحامى فى الدفاع ، فهو مع اقتناعه شخصياً باجرام موكله لا يستطيع أكثر من أن يطالب له مع شئ من الفتور اعتبار الأسباب المخففة » (١)

و ما أحسن ما علق الأستاذ محمد أسد على الأ

المدنية الغربية ، يقول :

« إن هياكل هـــذه الديانة ديانة الغرب السائدة إنما و دور السينما و المختبرات الكيمياوية و باحات الرقص و أماكن توليد الكهرباء ، و أما كهنة هذه الديانة فهم الصيارفة و المهندسون و كواكب السينما و قادة الصناعة و أبطال الطيران » (٢) .

« يتبع »

---

(١) محمد أسد : نفس المصدر ، ص ٥٠ - ٥١ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٤٥ - ٤٦ .

حكمة التقيد بالنص

الأستاذ محمد إبراهيم شقره (الأردن)

عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « لا تخصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالى ، ولا تخصوا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام ، إلا أن يكون فى صوم يصومه أحدكم » (رواه مسلم) .

الانسان هو أعظم المخلوقات التى تسعى على الأرض ، خلقــه الله لعبادته ، و أودع فيه قدرات وطاقات يقتدر بها على القيام بأمره ، وسخر له ما فى الأرض ، من باطن فيها و ظاهر عليها ، و أقدره على التصرف فيها على الوجوه التى شرع له أن يتصرف فيها ، و وهب له ما لا يحصى من النعم « و إن تعدوا نعمة الله لا تحصوها » (إبراهيم ٣٥) .

و من أعظم النعم التى وهبها الله الانسان نعمـــة الزمن التى قدرها الله بين سواد الليل و بياض النهار ، و كل نعمة وهبها الله لهذا الانسان يجب أن تصرف فى طاعتـه و الصدق له فى العبودية . و لا يصح أن يخالف العبــد عن مراد الله سبحانه لا فى زمان و لا فى مكان ، لأن المخالفـــة عن مراد الله سبحانه هو فى حقيقته تمرد على العبودية له . و إذا تمرد العبد عن عبوديته لله فقــــد أسلم نفسه للمعاطب ، و أوقعها فى غضب الله عز وجل .

و هذا الحديث الذى رواه لنا أبو هريرة رضى الله عنه ينهى فيه الرسول

اليوم ، فيلزم نفسه بعبادة ، لم يشرعها الله سبحانه و لم يأمر بها على هذا الوجه الذى ألزم به العبد نفسه ، و من هنا تنشأ فى نفس العبد قدسية ليوم الجمعة ليست مرادة لله سبحانه و زائدة عما أراد الله قد تنتهى بهذا العبد إلى تقديم أمر نفسه و ما ألزمها به على أمر الله و ما شرع لعباده ، فيرى العبد فيما ألزم نفسه به فضلا على ما شرع الله له ولسائر عباده ، وهذه مفارقة بل ومشاقة لله سبحانه ولرسوله ﷺ يجب على العبد أن لا يضع نفسه فى موضع يفضى به إلى مثل هذا التقدير الذى قد ينتهى به إلى الافراط فى حسن الظن بفعل فعله حتى يصيب من غضب الله ، و يقع فى هلكة العذاب .

و هذا النهى عن تخصيص يوم الجمعة بصيام أو ليلتها بقيام الذى يخشى منه زيادة تعظيم هذا اليوم تعظيماً ليس مراداً لله سبحانه يشبه النهى عن الصلاة فى أوقات مخصوصة ، كالنهى عن الصلاة عند طلوع الشمس ، إذ تطلع بين قرنى الشيطان فنهى الرسول عليه الصلاة و السلام عن الصلاة فى هذا الوقت خشية أن يكون السجود فيه موافقاً للوقت الذى يعظم فيه بعض المشركين هذا الوقت و يسجدون فيه للشمس ، حتى لو لم يكن يخطر ببال المصلى فى هذا الوقت أن يوافق أولئك المشركين فى تعظيمهم له ، خشية أن تؤدى هذه الموافقة إلى تعظيم الوقت الذى يعظمه أولئك المشركون .

فالنهى إذاً عن الصلاة فى هذا الوقت ليس نهياً عن الصلاة فيه لذاتها ، وإنما هو نهى عن الصلاة فى وقت لا يريد الله أن يعبد فيه ، خشية أن تتحول إلى عبادة لغيره فذلك من باب سد الذرائع .

و تخصيص يوم الجمعة بنوع بصيام ، و إفراد ليلته بنوع قيام فيه تشبه أيضاً بفعل أقوام يعظمون أياماً معينة ، فيخشى أن يفضى هذا التخصيص ليوم الجمعة أو

ليلتها بعبادة لم يشرعها الله سبحانه إلى التشبه بأولئك الأقوام ، و لكى يدفع العبد هذا المحـذور عن نفسه فلا يقع فى التشبـه بأولئك الأقوام ، و لكى ينجو من مخالفـة أمر الله سبحانه فى مراده بأمر قضى على عباده ، جعل لصوم يوم الجمعـة سبيلا يقبله به ، و ذلك بأن يصوم العبـد يوماً قبله ، و يوماً بعده ، و قد ورد فى الحديث الذى رواه لنا أبو هريرة و أخرجـه البخارى و مسلم أن رسول الله ﷺ قال : (لا يصومن أحدكم يوم الجمعة إلا يوماً قبله أو بعده)

و دخل رسول الله ﷺ يوم الجمعة على أم المؤمنين جويرية بنت الحارث و هى صائمة فقال لها أصمت أمس ، قالت : لا ، قال تريدين أن تصومى غداً ؟ قالت : لا ، قال : فأفطرى ، « رواه البخارى »

فهذه الأحاديث وغيرها مما رواه أصحاب السنن تدل عا
بالصيام غير جائز شرعاً ، إلا أن يوافق يوم الجمعة صياماً
ما جاء مستثنى فى الحديث الذى نحن بصدده ، وذلك قوله
« إلا أن يكون فى صوم يصومه أحدكم »

أما تخصيص ليلة الجمعة بالقيام ، فان النهى يقتضى بأن لا يجعل المسلم قيامها عادة تصرفه عن قيام غيرها من الليالى ، و ذلك كما يصنع بعض المسلمين من إحياء ليلة معينة بالذكر و الصلاة على الرسول كليلة الاثنين أو ليلة الخميس ، وقد شاهدنا أن المخالفة عن أمر الرسول ﷺ باحياء ليلة بعينها قد جر إلى إحداث بدع كثيرة أدخلها أولئك على العبادة المشروعة ، حتى صارت هـذه البدع ديناً يتقرب به إلى الله ، و العامل بهـا صالحاً يلتمس بركته و يرجى دعاؤه ، و حتى صار منكرها مرمياً بالمروق من الدين و الخروج على جماعـة المسلمين .

إذاً فلا خلوص للامة مما أغرقت فيه نفسها من مخالفة عن أمر الله بأن تعود سيرة سلفها الصالح . تأخذ ما أخذوا و تترك ما تركوا و أن تجعل شعارها كلمة عبد الله بن مسعود رضى الله عنه (عليكم بالأمر العتيق) .

عبقرية السوط

واضح رشيد الندوى

كشفت محاكمة زوجة ماوتسى تنج ، قائد ثورة الصين الشيوعية ، عن أسرار خطيرة تدل على طبيعة الحكم فى عهد ماؤ الذى شهدت الصين فيه ، مسرحية دامية ، باسم الثورة الثقافية التى كان من ضحاياها ليوشاوشى نائب الرئيس الصينى ، و بعض كبار القادة فى الصين بالاضافة إلى قتل ألوف من الشباب ، و العاملين ، والمفكرين و المثقفين ، فى عملية التصفيـة التى شملت كل مجال من مجالات الحياة ، و بتصفية العناصر التى كان يخشى أن تتعارض بطريق من الطرق مع مصلحة الزعيم الصينى ، ارتفع ماؤتسى تنج بالنسبة للصين إلى مرتبة زعيم تقدس كل كلمة يتفوه بها ، وصار كتابه الأحمر كتاباً مقدساً يحمله كل صينى و شاعت عنه كرامات و خوارق عادة يتناقلها الصينيون .

و قد ثبت بعد موته أنه كان تابعاً لزوجته ، و أن زوجتـــه كانت تامره وتنهاه و هى التى كانت وراء حركة التصفية ، و قتل عدد من الزعماء ، و أسفرت المحاكمة عن جرائم وحشية واسعة النطاق ، ارتكبت ضد المثقفين و القادة والزعماء فى ذلك العهد ، ودلت بيانات أدليت أثناء المحاكمة على معرفة ماؤ بنشاطات زوجته و تأييده المطلق لها ، كما أوضحت البيانات المختلفة التى أدلى بها المدعون فى المحاكمة أن الشعب الصينى مر بمعاناة شديدة و شقاء فى عهد ماؤ نتيجة لنشاطات زوجته .

لم يعد اتهام عهد ماؤ بالاستبداد، وانتهاك حقوق الانسان، بعد موته موضوعاً منعزلا وغريباً؛ فقد ظهرت فى كثير من أنحاء بيكن ملصقات جدران تشجب سياسة ماؤ، و تعده مسئولا عن تصفية الكفاءات فى الصين، وقتل عدد من الشخصيات البارزة، و حمل المعارضون لماؤ أرملتــه كش الفداء، و لذلك محاكمتها تشكل فى الواقع محاكمة ماؤتسى تونج نفسه بعد أن ثبت تأييده لها فى حياته.

ليس انحراف الصينيين عن ماؤ، زعيمهم و قائد ثورتهم الذى جعلوا له مدة من الزمن و قدسوه، و رفعوه إلى مرتبة الاله، و إن كانوا يدعونه بالرئيس و القائد. حادثاً غريباً فى عالم الاشتراكيين، فقــد لقى ذلك المصير سائر القــادة الاشتراكيين بعد مماتهم، فى الاتحاد السوفيتى، و فى الصين. لأن من طبيعة الا...
تقــديس الزعماء الأحياء الذين يحملون السوط فى أيديهم
أو سقط السوط من يده دخل ذلك الزعيم الذى لا يسا...
جحيم الاشتراكية، و يلعن ويحمل مسئولية كل فساد...
البلد الاشتراكى «كلما دخلت أمة لعنت أختها».

لقد فعل ذلك استالين مع سلفه عند ما تولى الحكم، ثم لقى مصيره المشؤم فى عهد خروشوف، و لقى خروشوف نفسه نفس المصير فى عهد خلفه. فلما مات لم يعرفه أحد، و لم تهتم الصحف به، و لم تذكره الاذاعة الرسمية، فذهب فى مجاهل التاريخ، و أخيراً لقى نفس المصير خالفه كوسيجين الذى مات أخيراً بعــد تنحيته من رئاسة الوزراء بعذر اعتلال صحته، وقد تجاهلت وسائل الاعلام السوفيتية خبر وفاته و ذكر مناقبه.

فاذا كان ماؤ يلاقى هذا المصير و تصب عليــه الشتائم و يحمل مسؤليه تدمير الصين، فليس غريباً. فان العبقرية فى العــالم الاشتراكى هى عبقرية السوط.

تبقى مادام السوط مرفوعاً و هى الميزة الرئيسيـــة للقيادة ، و من تأثير السوط أنه يحول الشعوب إلى قطعان غنم تساق و تعود على العبودية و الخنوع فلا تجرؤ على رفـــع صوت و لا استنكار و لا تعبير عن غيرة و إباء مهما سامـه القادة ذلا و قهراً .

و قد تسلطت هذه العبقرية ، عبقرية السوط على الدول العربية التى خضعت رقابها للحكام الاشتراكيين ، فهى تعبد و تقدس زعماءها فى حياتهم و تلعنهم بعـــد موتهم أو بعد سقوط السوط من أيديهم اقتداءاً بأساتذتها فى وطن الاشتراكية .

سياسة النشـالين

يختار بعض النشالين و الشطار طريقة غريبـة لصرف الاهتمام عن أنفسهم وتحويل الانتباه إلى غيرهم للتخلص من المؤاخذة ، و القبض عليهم ، و هى طريقة تعينهم فى كثير من الأحيان فى التنصل و الانفلات من أيدى الجماهير و سخطها ، و بطشها .

و هذه الطريقة ليست غريبة و إنما هى مشاهدة ، تتكرر أحداثها فى كثير من المدن الصاخبة والشوارع المزدحمة ، والأماكن المكتظة ، من قاعات الاجتماعات و أرصفة محطات القطار . و الأسواق العامة ، حيث ترتفع فى حالة تشتـــد فيها الحركة و النشاط ، أصوات مختلطة تشير إلى جهة ، أو شخص ، وتقول « سارق » « نشال » و يتوجه الناس صوب هذه الأصوات ، و يسود الهرج و المرج و فى وسط هذا الشغب يتنصل المجرم الحقيقى ، و لا يبقى من شغل الناس المجتمعين فى مكان الحادث إلا أن يلتفوا حول الرجل الذى أصيب فى ماله ، أو الذى كان هدفاً للاعتداء ، فيعطفون عليه ، و يصبون الويلات على من اعتدى عليه ، و قد يكون من بين الذين يظهرون العطف ، من كان نفسه متورطاً فى الجريمة بغرض امتصاص

نقمة الجماهير و يساهم فى تهدئة الأعصاب ، و نقل المعتدى عليـــه إلى المستشفى إذا كان فى حاجة إلى الاسعاف الطبى ، و تقديم أى معونة خلقية

هده هى الطريقة الراقية للاجرام ، طريقة متحضرة ، أو طريقة علمية ، فان الانسان قد ارتقى فى سائر مجالات الحياة ، ارتقى فى العلم ، والحضارة ، و الفن ، و ما نسميه بالجرائم الخلقية أو الاجتماعية ، فتعتبر لدى المتحضرين فناً ، و تعبيراً عن ذكاء ، و عبقرية ، و رجولة

ليس النشالون أو الشطار ، بمنعزلين عن المجتمع و إنمـا يكتسبون عناصر أعمالهم و تفكيرهم و يستمدون التوجيهات لتصرفاتهم من الجو ا

نشأوا و تطورت فيها عقليتهم ، وتطورت طرقهم التى

من الوسائل العملية و إظهار القوة إلى الخداع ، و استخد

يسير الساسة فى العالم اليوم نفس المسير ، فى صرف الاهتمام عن

بأشخاص أو جماعات آخرين ، باحداث شغب ، وإيجاد حوادث ، و إشاعة أراجيف وحكايات وأباطيل ، وشغل الناس وتحويلهم عن جوهر القضية الوطنيـــة ، ويؤلبون شعوبهم على أشخاص لا يستطيعون أن يدافعوا عن أنفسهم ، و هم أبرياء مما يلصق بهم من تهم و اعتداءات ، أما المجرمون الحقيقيون فيتنصلون من تبعة جرائمهم فى خضم هذه الضوضاء .

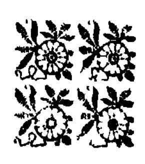
لا تختلف طبيعة الحكام فى كثير من الدول التى تدعى بالسير فى طريق الحضارة الغربية و الشرقية عن خط النشالين الأذكياء .

و تساندهم فى ذلك وسائل الاعلام التى عززها الساسة لمصلحتهم و تؤيدهم الوكالات الأجنبية للاعلام فى تحويل الرأى العام و فى إدانة من لا ذنب له وتبرئة

من كان متورطاً فى أبشع أنواع الجرائم ، فيصير الخائن أميناً ، و الأمين خائناً و المرتزق و العميل وطنياً . و المخلصون للوطن أعداءاً للوطن ، و فى وسط هذا الصراخ و العويل ، و الشعب يعيش الخونة الحقيقيون و أعداء الوطن ، و يشنق و يعذب المحبون للوطن و المخلصون له .

إن الشعوب المسلمة فى كل بلد إسلامى ، والعاملين فى سبيل الحق والكرامة يتعرضون لسلوك أسوأ من السلوك الذى يتعرض له من يعتـــدى عليه اللصوص و النشالون ، فانهم بدلا من العطف توجه إليهم التهم ، و تشوه سمعتهم و يساء إليهم ، و يعتدى عليهم بتهمة ارتكاب الجرائم و العمل لحساب العدو ، والاضرار بمصلحة الوطن ، وذلك بأيدى الذين يتآمرون هم حقيقة ضد مصالح البلاد و الذين يبيعون البلاد و يساومون شرف البلاد ، و كرامتهـــا و ينهبون ذخائرها ويهلكون الحرث و النسل .

وأى خيانة أكبر من الاستسلام للعدو ، و قتل الأحرار و المجاهدين و تسليم أعداء الوطن و الدين و الثقافة الوطنية ، مفاتيح البلاد .



« بقية الافتتاحية المنشورة على ص ٨ »

علماً بالكتاب والسنة ، وهم يفهمون الاسلام مفهومه ، وللعقائد قيمتها . ولكنهم يرتابون فى قليل أو كثير فى الحقائق الغيبيــة ، مما يتعلق بالقبر و المعاد و الشر و الحشر و الحساب والجنة ونعيمها ، و جهنم و عدابها ، لا تكاد عقولهم تستسيغ هذه الأمور فيعيشون فى شبه تردد عن هـذه الحقائق الغيبيــة و لا يتجرأون أن يتظاهروا بما يحوم فى نفوسهم من شبه حولها .

و لا أرى لهـدا التردد الخطير الذى يعيش فى حنايا النفوس سبباً سوى المحاولات العدائية و الأساليب الهدامة التى تتولى نشر الأكاذيب و الأباطيل ضد الاسلام ، و تربى أجيالها على هـدم الاسلام و تدمير معنوية عقائدهم وإضعاف إيمانهم بالغيب ، على أن الايمان بالغيب تقوم عليها حياة المؤمن ، كما تحدث عن ذلك الآيات الأولى فى أول سورة منه ، يقول الرب تعالى « ذلك الكتاب لاريب فيه ... يؤمنون بالغيب »

ما أحوجنا اليوم ـ و نحن فى ساحة العمل للاسلام ـ إلى تنقية أفكارنا عن الشبهات ، وتنزيه حياتنا عن المفارقات ، وتزكية أعمالنا عن التناقضات ، وتجديد ثقتنا بالاسلام الكامل الشامل ، وتقوية إيماننا بالعقائد الثابتة الراسخة ، و بالاسلام كرسالة إنسانية كاملة شاملة و هداية ربانية خالدة ، و « فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم و لكن أكثر الناس لا يعلمون » .

و صدق الله العظيم

سعيد الأعظمي الندوي

الطلائع الاسلامية

إن الطلائع الاسلامية ترفض بكل وضوح الوجود الاسرائيلي و الأمريكي و السوفيتي في الوطن العربي و الاسلامي ، و التبعية للغرب أو للشرق على السواء وتناهض أيضاً بكل وضوح سائر الأنظمة والحكومات المرتبطة بهذه الجهة الخارجية أو تلك ، و ترفض لمن يحملون شعار العمل الاسلامي أن يكونوا ـ شاعرين أو غير شاعرين ، مريدين أو غير مريدين ـ أداة في يد الولايات المتحدة أو الاتحاد السوفيتي أوالأنظمة أو الحكومات المرتبطـــــة بهما أو بغيرهما من قوى الباطل و الهيمنة و الاستغلال .

إننا نريد أن نجرد الوطن العربي و الاسلامي كله من كل وجود أو سلطان أجنبي ، وأن نفتح له أبواب الحياة الاسلامية الحقيقية على سائر المستويات حياة الحريه و الكرامة و العدالة و التقدم

إن الطلائع الاسلامية تنظر إلى الواقع العربي و الاسلامي نظرة شاملة نافذة عميقة واعية ضمن إطار العالم و العصر ، و تقف مواقفها الاسلامية الشاملة المتكاملة على هدى من هذه النظرة ، و من هذه الرؤية المنهجية المتطوره الواضحـــة وهي ترفض كل الرفض النظرة والمواقف الجزئية و السطحية التي لا ينتظمها تصور شامل و عمل متكامل بعضه مع بعض ، (من مجلة « الرائد » الألمانية)

مطبوعات جديدة

● وصل إلينا كتاب « الشورى وأثرها في الديمقراطية » للدكتور عبد الحميد إسماعيل الأنصاري من الدوحة ، و هو هدية طريفة في مطالع القرن الخامس عشر الهجري ويعتبر زيادة طيبة في المكتبة الاسلامية .

بحث فيه المؤلف مبدأ الشورى ، الذي كان أساس الحكم الاسلامي ، و قد

نص عليه القرآن كمبدأ عام، وترك التفاصيل الأخرى المتعلقة بهذا المبدأ للأمة، تكيفها ظروفها المختلفة والمتغيرة، وحاول بيان الجوانب التى توفق بين الشورى والديمقراطية وجوانب الاختلاف بينهما، كما تناول الحديث عن مدى إمكانيـــة الاستفادة من أساليب الديمقراطية الحديثة، وذلك للتوصل إلى وضع أسس عامة يمكن الاستفادة منها فى إقامة نظام سياسى إسلامى يجمع بين الأصالة و المعاصرة .

و الكتاب يتألف من تمهيد و بابين و فصل ختامى ، و يحتوى التمهيد على تعريف الشورى و الديمقراطيـة ، أما الباب الأول ، فيبحث عن الشورى و فيـه ثلاثة فصول ١ـ حكم الشورى ٢ـ نتيجة الشورى ٣ـ أهل الشورى

و الباب الثانى يبحث عن الديمقراطية و فيـــه فصلان

مقومات الديمقراطيـة ، و الثانى فى الانتخاب ، و خاتمة الـ

بين الشورى و الديمقراطية

لقد بذل المؤلف جهده الطيب فى تأليف هذا البحث

اللازمـــة حول الموضوع ، و نرجو أن يتلقى الكتاب قبولا و إعجاباً فى أوساط الباحثين من العلماء و الكتاب .

● ورد إلينا كتاب « ابن كثير كمؤرخ » للدكتور مسعود الرحمن خان الندوى ، و قدسبق أنه ألف كتابه حول حياة ابن كثير و مؤلفاته فى العام الماضى ، وتحدثنا عنـــه بإيجاز فى المجلة ، و هـــذا الكتاب يحتوى على دراسة تحليليـــة لكتاب « البداية والنهاية » و يصور شخصية مؤلفه تصويراً واضحاً ، مع الاشارة إلى منهجه و أسلوبه فى البحث وتاريخ الأحداث

و هذا الكتاب فى الواقع الجزء الثانى للرسالة التى قدمها الدكتور مسعود خان الندوى لاحراز درجة الدكتوراة فى قسم الدراسات الاسلامية بجامعـــة عليكره الاسلامية فى الهند . وهو محاولة قيمة فى بيان مكانة « البداية و النهاية » كمصدر

تاريخی عظيم للتاريخ الاسلامی العربی ويعتبر مساهمة كبيرة فی الدراسات التاريخية الاسلامية المعاصرة ، نهنئه على هذا العمل الأكاديمی الموفق رجاء أن ينال إعجاباً فی الأوساط العلمية

● وصل الى إدارة مجلة البعث الاسلامی العدد الممتاز لمجلة « الجامعة السلفية » التی تصدرها الجامعة السلفية فی بنارس (الهند) والعدد الممتاز هذا خاص بمداولات مؤتمر الدعوة و التعليم الذی عقدته الجامعة فی فبراير عام ١٩٨٠م ، و يضم جميع الكلمات والرسائل والخطابات التی ألقيت فی المؤتمر ،كما أنه يحتوی على توصيات وقرارت المؤتمر فی مجال الدعوة الاسلامية و التعليم الاسلامی .

وبذلك يعتبر هذا العدد الخاص وثيقة تاريخية لها أهميتها ، وقد بذل المسؤلون عن تحرير المجلة جهداً مشكوراً فی ترتيب ووضع هذا العدد الممتاز ، وهو يقع فی ٣٣٨ صفحة ٠٠ لمع الكبير - تهانينا القلبية لأسرة المجلة و المسؤلين عن الجامعة

● أصدر مجمع اللغة العربية التابع للجامعة الاسلامية فی مدينة شيتا غونغ (بنغلاديش) مجلة عربية تحمل اسم « الصبح الجديد » ورئيس تحريرها الأستاذ محمد سلطان دوق ، و ذلك مع مطلع القرن الهجری الجديد .

تلقينا العدد الأول من المجلة وهو عدد محرم ، صفر ربيع الأول ١٤٠١هـ وكان لنا بمثابة هدية القرن الجديد ، و اطلعنا فی هذا العدد على بحوث و مقالات جيدة كلها تهدف إلى غاية سامية و مقصد جليل فی مجال الدعوة الاسلامية .

كما أنه زيادة طيبة فی نطاق الصحافة الاسلامية العربية ، خاصة فی بنغلاديش حيث كان مضمار الصحافة الاسلامية يترقب من ينهض باصدار مجلة عربية إسلامية و كانت الحاجة ملحة إليها من زمان ، و نحن إذ نهنئ الرميلة العزيزة على خطوتها الجريئة نتمنى لها ازدهاراً ونجاحاً مطرداً ، وللقائمين عليها توفيقاً وسداداً .

و المجلة دورية تصدر فی كل ثلاثة أشهر .

و اشتراكاتها ٢٥ تاكاً بنغلاديشياً - وثمن النسخة ٧ تاكات ، أومايعادلها .

Phones . 49747 42948 Regd. No. LW/NP 59

ALBAAS-EL-ISLAMI

Nadwat-ul-Ulama LUCKNOW (India)

البعث الإسلامي

مجلة شهرية إسلامية جامعة

رئاسة التحرير : سعيد الأعظمي
واضح رشيد الندوي

الاشتراكات السنوية

في الهند ٣٠ روبية، ثمن النسخة ٣ روبيات

في العالم العربي ٩ دولارات امريكية او ما يعادلها بالبريد العادي
١٥ دولارًا بالبريد الجوي

في افريقيا الجنوبية ٢ دولار بالبريد الجوي
والشمالية وامريكا واوربا ٨ دولارات بالبريد العادي

في باكستان ٥٥ روبية بالبريد العادي
مع اجرة البريد

NADWA
LUCKNOW

البعث الإسلامي

... في مطبعة ندوة العلماء ... رئيس التحرير سعيد الأعظمي



شعارنا الوحيد
إلى الإسلام من جديد

البعث الاسلامي
شهرية اسلامية جامعة
أنشأها فقيد الدعوة الاسلامية
الأستاذ محمد الحسني (رحمه الله)
في عام ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م

المنهج الاسلامي

المنهج الاسلامي، منهج مستقل، منهج مختلف، منهج أصيل، ليس بينه وبين المناهج الوضعية وجه شبه أونسب، فبينما المناهج الأخرى أوالديانات السائدة الأخرى، تختلط مع الشعوب البشرية العامة فى سوق المادة والمعدة وتجتمع معها على مائدة واحدة، وتتمتع معها بملذات الحياة المحرمة بحرية تامة، نرى الاسلام ينفصل عن هذه الشعوب المادية من أول الطريق، احتفاظاً بسماته و خصائصه، وغيرته على دين الله واستمساكاً ...

الباطلة و الدعو...

بما جاء فى الحد...

و التشديد على ا...

البسيطة « وتحسبونه هينا و هو عند الله عظيم »

محمد الحسني (رحمه الله)

المجلد الخامس والعشرون

العدد الثامن

● جمادى الأولى ١٤٠١هـ

● مارس ١٩٨١م

رئاسة التحرير:
سعيد الأعظمي الندوي
واضح رشيد الندوي

المراسلات:
البعث الاسلامي
ندوة العلماء ص ب ٩٣
لكهنو — الهند

NADWAT-UL-ULAMA
Po. Box 93
Lucknow (India)

في هذا العدد

من سعادة الخلافة إلى شقاء التبعية ! سعيد الأعظمى ٣

التوجيـــه الاسلامى

دعوة مؤمن ما زال يكتم إيمانه ،

نموذج لدعوة نبى سماحة الشيخ السيد أبى الحسن على الندوى ١٠

أثر الرسالة الاسلامية فى الحضارة الانسانية الدكتور محمد معروف الدواليبى ٢١

الدعوة الاسلاميـــة

الفكرة الاسلامية السنية والحاجة إليها فضيلة الشيخ محمد إسحاق الندوى ٢٧

قيمة الانسان فى المجتمع الأمريكى الأستاذ محمد الرابع الندوى ٣٨

دراسة عن الحضارة الاسلامية ومسحها العالمية محمد صدر الحسن الندوى ٤٣

دراســـات و أبحاث

البحث الاسلامى ، أهدافه ومناهجه الأستاذ محمود أحمد غازى ٥٢

ردود على شبهات حول قضايا إسلامية دكتور عبد الكريم زيدان ٥٨

الفقـــه الاسلامى

التلقيح الصناعى فى الاسلام الدكتور يوسف القرضاوى ٦٢

كلمة إلى قضاة مسلمين فضيلة الشيخ مجاهد الاسلام ٧٠

من أعلام التاريخ الاسلامى فى الهند

الشيخ بركة الله البوفالى السيد منظور حسين سروش ٧٩

العـــالم الاسلامى

صور و أوضاع واضح رشيد الندوى ٨٦

الثورة الاسلامية فى سوريا المجاهدة الأستاذ محمد زاهد عبد الله ٩٤

أخبار اجتماعية و ثقافية قلم التحرير ٩٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحيـــة :

من سعادة الخلافة إلى شقاء التبعية

رغم أن الانسان المعاصر قام بتجارب متنوعـة فى المجالات الحيوية ، و استطاع أن يخترع أساليب من العـلم و الفكر و الحضارة ، و أيدلوجيات جديدة يستند إليها فى ترفيـه الحياة و إسعاد المجتمع ، لم يسا ... تحقيق غايته ، وظل يتيه فى متاهات من القلق والخوف و يعيش فى يأس و تشاؤم و جو خانق ، يبحث لنفسه فلا يكاد يجده ، ومن ثم التجأ إلى أساليب أخرى لتهد... المميت . ذلك كتعاطى المخدرات أو الانقطاع عن شئون الحياة ، والانزواء إلى إلى الخنفسة ، أوالانضمام إلى حركات تنسكية تعلم الرهبنة . أوالانتحار بتناول كمية كبيرة من أقراص النوم ، كل ذلك فراراً من تكاليف الحياة ومسئوليات الانسان ، و تخلصاً من عار الاخفاق فى إحراز السعادة و تحقيق أحلامه .

هـذا الانسان الذى أظلمت عليـه دورب الحياة و تفرقت به السبل عن طريق السعادة و الهناء هو الذى خرج عن ولاية ربه و رعاية دينه ، هو الذى زاغ قلبه و عميت بصيرته فلم يهتد الصراط القويم ، و أحاط به الشقـاء من كل جهة ، فلم يغن عنه علمه و حضارته و فكره و فلسفته ، وأيدلوجياته ونظرياته التى كان يتصورها انتصاراً كبيراً فى عالم الابداعات الصناعية والحضارات الراقية ، و كان يزعم أنها قمة التقدم الفكرى وليس وراءها غاية للعلم والفكر .

و أنها تهدم جميع ما سبقها من أفكار ونظرات و فلسفات ، و لكن الواقع الذى لا ينكر أن ظنه هذا قد خاب، وأن إنجازاته فى مجالات العلوم والصناعات لم توفر له الأمن و الرخاء ، و الهدوء و السرور ، بل زادته شقاءاً و تعاسة ، و عادت عليه وبالا و مشكلة ، و ما ذلك إلا نتيجة لخيلائه و كبريائه ، و لتيهه و إعجابه نفسه فيما يزعمه ثورة كبيرة فى عالم الانسانية ، واكتشافاً بكراً فى مضمار العلم والمدنية .

إن هذا الانسان المدع المتكبر لم يكد يواجه هذا المصير المشئوم إذا لم يحد عن الطريق ، و عرف منبع القوة و العز ، و لكنه أخطأ الطريق ، فانقطع عن مصدر الطاقة الحقيقية ، ورفضته نصرة الله ، فهام على وجهه ، و أغرق فى غفلته و صار مصداقاً لقوله تعالى : « فمثله كمثل الكلب ، إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ، ذلك مثل القوم الذين كـذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون » (الأعراف . ١٧٦) ذلك هو مصير كل إنسان يكذب بآيات الله و يكفر بأنعم الله ، و كم من آيات بينات يشهـدها ليل نهار ، و لكن قلبه الأعمى لا يجد فيها أى عبرة من الايمـان ، و أنى للقلب المتحجر أن يعتبر و يتعظ ، بالعكس من الانسان المؤمن بالله و برسوله و الخـاضع أمام آياته ، فانه يعيش فى كنف ربه وولايته ، و تحيط به رحمته و نعمته فى كل زمان و مكان ، فلا خوف عليه و لا حزن ، ولا سآمة من الحياة ، ولا فرار من المعترك ، ولا انسحاب عن الميدان ، إنه مؤمن شجاع وقور مطمئن ، لا يحزن على ما فات و لا يخاف مما هو آت ، و لا يزعجه هم الحياة ، ولا خوف المستقبل ، وهو من نوع المؤمنين الذين وصفهم الله فقال . « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا و أبشروا بالجنة التى كنتم توعدون ، نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا و فى الآخرة و لكم فيها ما تشتهى أنفسكم و لكم فيها ما تدعون » .

ذلك هو المؤمن الذى خلق لكى يتحمل مسئولية الخلافة الالهية ، و يؤدى رسالة الحياة إلى الناس جميعاً ، و يأخذ بيد الانسان من طريق الشقاء و الهلاك إلى ساحة العز و السعادة ، و يضع كل شئ فى محله ، و يربطه برباط الحب و العبودية و لايمان ، و يفجر ما فى نفسه من طاقة كامنة ليجعلها على طريق السماء و يضعها فى خـدمة الكون ، و يصرف وجهة الأمور كلها إلى جهة واحـدة هى جهة الاخلاص و الورع ، جهة العبودية الخالصة و الحب الصادق « و ما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ، و يقيموا الصلاة و يؤتوا الزكاة و ذلك دين القيمة » هذه الحنيفية والعبودية هما أساس ذلك الدين الق
الشرية من أسار الذل و الخنوع و الشقاء إلى خلود العز
و حول الانسان البهيمة إلى الانسان الخليفة ، يوم أعلن ال
« وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل
و يسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال إنى أعلم ما لا تعلمون » .

و لما تولى الانسان خلافة الأرض انتهى من الدنيا عهدها المظلم و ابتـدأ عهد جديد أشرقت فيه على وجه العالم شمس الهـداية و نور السعادة ، وعرف الانسان نوعاً جديداً من الحياة يأخذ مكانه من الاعتبار و الأهمية ، و يجد فيه النوع البشرى من العز و السمو ما لم يكن يخطر على بال ، فهـذا هو الذى كان يعيش بالأمس فى حومـة الصراع القبلى بين دماء مسفوكة و حرمات منتهـكة ، و أعراض محروقـة ، و حقوق مسلوبة ، ينتقل فجأة إلى رحاب الحب والاخوة و التعاون على البر والتقوى ، والطاعة و العبودية ، ويزدهر على يده العدل والمساواة و البر و الاحسان ، و الصبر و الايثار ، والتضحية و المواساة ، و بتعبير آخر ينتقل من الرذائل كلها إلى الفضائل كلها .

كان ذلك نظاماً إلهياً أسبغ الله تعالى على الانسان من طريقه نعمة الحياة بمعناها الواسع ، وجعله سيد هذا الكون بفضل هذه النعمة « وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها » و قد أملى الانسان على العالم إرادته فى جميع شئون الحياة حينذاك ، و حكم الدنيا كلها بأمر من ربه ، فشهد الناس من الخير والأمن ما لم يكن لهم به عهد ، وخضع كل شئ فى هذا العالم للانسان المؤمن ، فى سبيل إسعاد الحياة فردية و جماعية ، حتى إن التاريخ سجل أحداثاً من العز و السمو و العدل و النصفة و الأمن و الرخاء ما يحير العقل و يدهش الانسان .

إنها حقيقة تاريخية ثابتة ظلت تدهش العالم و تملأ النفس هيبة و روعة ، و قد كانت فترة من أسعد فترات الانسان يوم أدى واجبه كخليفة الله فى الأرض و مثل نموذجاً للانسان الواعى وظيفته ، و المتحلى بالايمان و الصالح من الأعمال ، المهتم بشأنه فى هذه الدنيا ، و الحريص على تقديم زاد طيب من الطاعة والعمل للآخرة ، فلم يكن من الخاسرين فى أى جانب لأنه قام بدور المؤمن الصالح و المؤمن الصابر ، و العامل بما ترضى به الحياة ، و الجاهد فيما يرضى به ربه ، و هنالك غشى العالم جو من الأمن والهدوء ، والعدل والسمو ، والعز والرفاهية ، و عاش الناس عيشة سجلها التاريخ بمداد من نور « و العصر إن الانسان لفى خسر، إلا الذين آمنوا و عملوا الصالحات و تواصوا بالحق و تواصوا بالصبر » .

ذلك لأن تربية الرسول ﷺ أثرت فى النفوس أعمق تأثير و صنعت ذلك المجتمع المثالى الجامع الذى تبدلت به الأرض غير الأرض ، و تنفست البشرية فى ظله الصعداء ، يصور هذا المجتمع تصويراً بارعاً ما جاء فى كتاب « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » للداعية الكبير سماحة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى يقول :

« و كانوا أمثلة كاملة و أقيسة تامة للدين و الدنيا و الجمع بينهما ، فكانوا

أئمة يصلون بالناس ، و قضاة يفصلون قضاياهم ، و يحكمون بينهم بالعدل والعلم ، و أمنــة لأموال المسلمين و خزنتهم ، و قواداً يقودون الجيوش و يحسنون تدبير الحروب ، و أمراء يباشرون إدارة البلاد و يشرفون على أمور المملكة و يقيمون حدود الله ، و كان الواحد منهم فى آن واحد تقياً زاهداً ، و بطلا مجاهــداً ، و قاضياً فهماً ، و فقيهاً مجتهداً ، و أميراً حازماً ، و سياسياً محنكاً ، فكان الدين و السياسة يتمثلان فى شخص واحد و هو شخص الخليفة و أمير المؤمنين ، حوله جماعة ممن تخرجوا ـ إن صح التعبير ـ فى هذه المدرسة ، المدرسة النبوية ، أو المسجد النبوى ، أفرغوا فى قالب واحد يحملون روحاً واحدة ، و تلقوا تربية واحدة ، يستشيرهم الخليفة ويستعين بهم ، فلا يقطع أمراً ذا بال حتى ...

فى المدنية ، و نظام الحكم ، و حياة الناس و اجتماعهم ، و ميولهم ورغباتهم فى المدنية وظهرت خصائصهم فيها ، فلا ...

و لا صراع بين الدين و السياسة ، و لا فصل بين الدين و الدنيا ... بين المصالح و المبادىء ، و لا تزاحم بين الأغراض و الأخلاق ، و لا تناحر بين الطبقات ، ولا تنافس فى الشهوات » (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص/١٤٤) .

كانت الحياة الاسلامية متمثلة بأكملها فى إنسان ذلك اليوم ، فاعتمرت أرض الله بالعدل و الأمن ، و تطهرت من أصنام الهوى وأوثان الشهوات ، وتوطدت علاقة الانسان بالانسان ، و علاقــة الانسان بربه ، و لكن الشيطان عدو البشر لم يعجبه أن تعم عبادة الله فى الأرض و يتركز الناس حول شريعــة الله ، فقام بالافساد بين بنى البشر على أوسع نطاق تحقيقاً للحوار الذى جرى بينـــه و بين الله تعالى يوم سجد الملائكة آدم فأبى و استكبر و كان من الكافرين ، و أمهله الله سبحانه إلى يوم القيامة للقيام بمهمته فى الدنيا وراء حكمة كبيرة .

و عاث إبليس فساداً و ضـــلالا ، و نشأت أفكار و نظرات و مذاهب و فلسفات خدعت الانسان و انحرفت به عن جادة الحق و الصدق ، و أنستـــه وظيفته التى خلق من أجلها ، فتمادى فى الغى و الضلال كثيراً ، و تمرد واستكبر كثيراً ، و انحط عن مكانته و تسفل ، و تأزر بالسيئات و تسربل ، حتى نشأت معسكرات السباق الدولية فى مجال التعرى عن لباس الانسانيـة الطبيعى ، و قامت معارض عالمية للمنجزات الابليسية فى عواصم العالم الكبرى ، وتحقق قول الله تعالى فى الانسان بنوعيه الفاسق و المؤمن ، «أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقاً لا يستوون ، أما الذين آمنو و عملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون ، وأما الذين فسقوا فمأواهم النار ، كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيـدوا فيها و قيل لهم ذوقوا عذاب النـار الذى كنتم به تكذبون ، و لنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون » .

والعذاب الأدنى ماثل أمام أعين العالم فى أشكال شتى ومظاهر مختلفة ، فهل إلى الرجوع إلى منهج الله من سبيل ؟

أليس ما يعانى منـــه الانسان اليوم من اشتراكية ، و شيوعية ، و ملشفية ، ورأسمالية ، و ديموقراطية ، و جماهيرية ، و دكتاتورية ، و أنانية ، وما إليها من لافتات و شارات ، أليس كل ذلك مثالا للعذاب الأدنى دون العذاب الأكبر .

فهل يفهم الناس و يرجعون ، أم ينخدعون و يعذبون ؟

سعيد الأعظمي الندوي

التوحيد الإلهي

دعوة مؤمن مازال يكتم ايمانه نموذج لدعوة غير نبي

سماحة الشيخ السيد أبي الحسن على الحسنى الندوى

يقول الله تبارك و تعالى حكاية عن فرعون :

« و قال فرعون ذرونى أقتل موسى و ليدع ربه أنى أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر فى الأرض الفساد ، وقال موسى إنى عذت بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب ، و قال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم ، و إن يك كاذباً فعليه كذبه وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذى يعدكم ، إن الله لايهدى من هو مسرف كذاب ، يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين فى الأرض فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا ، قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى و ما أهديكم إلا سبيل الرشاد ، و قال الذى آمن ياقوم إنى أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود ، و الذين من بعدهم ، و ما الله يريد ظلماً للعباد ، و يا قوم إنى أخاف عليكم يوم التناد ، يوم تولون مدبرين مالكم من الله من عاصم ، و من يضلل الله فما له من هاد ، و لقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم فى شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا ، كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب ، الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم ، كبر مقتاً عند الله و عند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار »

حوار فى منتهى البلاغة و الحكمة و معرفة مداخل النفس :

هذا هو الحوار الذى دار فرعون وبين مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه.
و هو حوار فى منتهى البلاغة و الحكمة و معرفة مداخل النفس ، و هو مثال
بليغ لحوار يدور بين ملك كبير و ملأ قومه ، و بين هذا الرجل الذى اهتدى
و آمن بالله و إنى كلما قرأت هذا الحوار فى هذه الآيات ملكتنى روعة بيانه
و وقفت أمام هذا الحوار خاشعاً مقدراً ، متذوقاً لهذه الحكمة البليغة ولهذا الذوق
الرفيع ، و لهذه المعرفة الدقيقة بمكامن النفس و مداخلها و العمل بقول الله تعالى
« وآتوا البيوت من أبوابها (١) » رجل لا نعرف عنه شيئاً . ما...
ثقافته ، و أين نشأ و تربى و كيف تلقى هذه الدروس
الذروة من الحكمة والبلاغة ، ولكنه الايمان الذى يصنع الع...
يجعل من الأبكم ناطقاً ، و من الأصم سامعاً ، و من المتـ...
ومن الأعرج محارباً .

« الاستراتيجية » الحاكمة الملكية :

قال فرعون : « ذرونى أقتل موسى و ليدع ربه إنى أخاف أن يبدل دينكم
أو أن يظهر فى الأرض الفساد» وهذه هى الاستراتيجية الحاكمة الملكية التى استخدم
جميع الملوك و القادة السياسيون ، لاستفزاز النخوة فى النفس الانسانية ، و قد
جمع ذلك بين النقطتين ، نقطة تتصل بالعقيدة ، والعقيدة محترمة عند كل ملة وعند
كل جيل ، كانت عقيدة فاسدة أو عقيدة صالحة ، عقيدة تستند إلى وحى و رسالة
أو عقيدة تنبع من قلة العقل و السفاهة و الطيش ، و لكنها محترمة فى كل ملة
وفى كل عصر . واعتاد الناس أن يدافعوا عنها و يثوروا لها ، فقال : إنى أخاف
أن يبدل دينكم »

(١) البقرة ١٨٩ .

ثم قال : « أو أن يظهر فى الأرض الفساد » فاذا كان أحد فى بلاطه و فى ما لا يملك قوة العقيدة ، فانه استعان بشئ آخر و هو التخويف من نشر الفوه و القلق و ارتفاع الأمن و انتشار الاضطراب فى المملكة ، و هذا الذى يخا كل من كان محباً لبلاده أو لوطنه ، فقال : « أو أن يظهر فى الأرض الفساد و قال موسى « إنى عذت بربى و ربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب هذا كلام موسى ، إنه سمع كلمة فرعون التى كانت تتدفق بالكبرياء و بالتج و بالصلف ، فقد قال فرعون فى مناسبة : « يا قوم أليس لى ملك مصر و هذ الأنهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون » (١) لما صدرت هذه الكلمة المتكبرة م فم فرعون ، قال موسى : « إنى عذت بربى و ربكم من كل متكبر لا يؤم بيوم الحساب » .

كلمة رقيقة رفيقة تثير الشرارة
الأخيرة من العدل و قوة المقارنة :

هنالك قام رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه ، قد ثار فيه الايمان و ثار فيه الشعور بالكرامة الانسانية ، والشعور باحترام حسن المرامى والمقاصد ، و قال : « أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله » هذه كلمة استعطاف و هذه كلمة تدعو إلى التأمل ، ما ذنب هذا الرجل ؟ « أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله » ليس له ذنب إلا أنه يقول : « ربى الله» فاذا قال أحد « ربى فرعون » لاتقتلونه ، وإذا قال فرعون بنفسه « أنا ربكم الأعلى » لايستحق القتل ؟ أين العدل يا جماعة ؟ ألا تعقلون ، رجل ينسب الربوبية إلى من أخرجه من العدم إلى الوجود ، نقله من طور إلى طور ، خلقه و رباه ، و أنشأه و غذاه ، و أطعمه و سقاه ،

(١) الزخرف ٥١ .

و حفظه و وقاه ، فاذا عزا هذا الرجل هده الربوبية المطلقة المحيطة إلى صاحبها ، و إلى مصدرها أنتم تريدون أن تقتلوه ، أما الذى ينسب الربوبية وإلى غير محلها ، إلى من لا يستحقها ، إلى من هو مربوب ألف مرة ، مربوب مد نشأته ، منـذ كان روحاً فى صلب أبيه و جنيناً فى بطن أمـــه . فكان موضع العناية الكريمة و الربوبية الرحيمة فما هذا الجور ، ما هذا الظلم ؟ فهذه كلمة رقيقة تثير البقيـة الباقية و الشرارة الأخيرة من العدل و من قوة المقارنة التى فطر عليها الانسان ، المقارنة بين الفاضل و المفضول ، المقارنة بين الخالص و الزائف ، المقـارنة بين المالك و المغتصب ، إنه أراد أن يحرك هده القوة الكامنـة فى نفوس كل هؤلاء الذين كانوا يشهدون هذا المشهد و قال : « أتقتلون رجلا أ

الاحتجاج بالمشهود المعهود على الهدف المطلوب المنشود

ثم دعم كلامه و احتجاجه بقوله : « و قد جاءكم بال

احتجاج بالمشهود المعاين ، لأن موسى عليه الصلاة و السلام قـد جاء بالمعجزات الباهرة « ألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين ، وأخرج يده فاذا هى بيضاء للناظرين » هده كلها مشاهدات لا يمارى فيها الانسان ، إنه يمارى فى أشياء منطقية ليس لهـا وجود إلا فى الذهن ، يمارى فى أشياء عقلية على مستوى عال من العقل ، ولكنه لا يستطيع أن يمارى فى المشاهـد المحسوس ، فقال : « و قد جاءكم بالبينات من ربكم » ثم إنه لجأ إلى طريقة نفسية رقيقـة ، يستطيع كل إنسان أن يفهمهـا ، و يستطيع أن ينصف لها و يتخير الطريق الأقوم الأسلم ، و قد خاطبهم باللغة التى يفهمونها فقال : « وإن يك كاذباً فعليه كذبه و إن يك صادقاً يصبكم بعض الذى يعدكم ، إن الله لا يهدى من هو مسرف كذاب » ، قال يا قوم لا تورطوا أنفسكم فى مشكلة لا مخرج منها ، تأملوا فى هذا الرجل الذى يدعى أنه نبى مرسل من الله

وأنه قد جاء من السماء لكم طريقان : إما أن تبطشوا وتنكلوا به و تنتقموا منه ، و فيه خطر ، إذا كان صادقاً يصبكم بعض الذى يعدكم ، أما ـ أعاذه الله تبارك وتعالى من ذلك ـ إذا كان كاذباً فلا حاجة لكم فيه ، إن كذبه هو كفيل بهلاكه ، و بانطفاء سراجه ، إن يك كاذباً فعليه كذبه و إن يك صادقاً يصبكم بعض الذى يعدكم ، إن يك كاذباً فلستم مسئولين عنه .

الاحتجاج بسنة الله التى لا تتغير :

ثم إنه استعان بشئ ثالث ، و هو الاحتجاج بسنة الله التى لا تتغير و لا تحابى أحداً فيقول « يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين فى الأرض » ، إخوانى ! لا يغرنكم هذا الملك العريض و هذا الجاه الكبير ، و هذه المملكة الواسعة الأطراف ، و هذه الوسائل الوفيرة ، و هذه الثروة الهائلة ، يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين فى الأرض ، لاشك أنكم ظاهرون ، لاشك أن لكم السلطة النهائية ، السلطة العليا ، لا شك أنكم اصحاب حول و طول ، فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا ، هنالك لفت هذا الداعى الكبير نظرهم إلى سنة الله التى لا تتغير فيقول : « من ينصرنا من بأس الله إن جاءنا » إنكم تعتقدون . أنتم الأعلون ، و لا شئ أعلى منكم ، و لا شئ فوق رؤسكم ، فأنتم المنتهى فى كل شئ ، المنتهى فى القوة المنتهى فى السلطة ، فى الأمر و النهى ، و لكن هنالك قوة أخرى ، تؤمنون بها كحقيقة ، لكنكم تشركون فى بعض صفاتها ، قال فرعون : « ما أريكم إلا ما أرى و ما أهديكم إلا سبيل الرشاد » لا حجة فى ذلك ما أريكم إلا ما أرى ، هذا استسلام فى الحقيقة ، كان فرعون يحتاج إلى دليل من الصحف السماوية ، أو إلى دليل منطقى مثلا ، ولكنه يقول و كأنه يعترف بعجزه « قال ما أريكم إلا ما أرى » هذا ليس بدليل ، هذا يقوله كل غاو ، و كل جاهل ، و ما أهديكم

إلا سبيل الرشاد » هذا مجرد الدعوى لا بينـــة معها ، « ما أريكم إلا ما أرى و ما أهديكم إلا سبيل الرشاد » .

الاعتبار بالتاريخ و مصير الأمم البائدة :

و هناك قاطعه المؤمن و ثنى على قوله ، و قال : « إنى أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب مثل دأب قوم نوح و عاد و ثمود و الذين من بعدهم ، و ما الله يريد ظلماً للعباد » (١) ، يظهر أن فرعون و ملأه كانوا يعرفون عاقبة هذه الأمم التى كانت بعد عاد و ثمود « و الذين من بعدهم و ما الله يريد ظلماً للعباد » .

التحذير من الآخرة:

ثم يقول : « يا قوم إنى أخاف عليكم يوم التناد »

إذا بقى ملك لا يحول و لا يزول ، فكان الواجب أن .

فإذا لم يبق ملك عاد وثمود فلا ضمان لملككم ، كيف تعتقد

الذى سيبقى و يدوم ، و ملك هؤلاء قد انقرض و طوى بساطه ، ما هو الفارق بين ملككم و ملكهم ؟ إذا كان هنالك الفارق الايمانى ، إذا كان هنالك فارق من الأخلاق ، إذا كان هنالك فارق من الرشاد و الهداية . فأنتم لا تتصفون به ولا تدعونه ، وحياتكم تدل على أنكم تنهجون نهجهم وأنكم تسيرون على دربهم فإذا انقرض عاد وثمود والذين من بعدهم فأنتم كذلك إلى الانقراض ، وستسيرون إلى ما ساروا إليه ، ما هو الخط الفاصل بينكم و بينه ؟ .

ثم يقول : « و يا قوم إنى أخاف عليكم يوم التناد » يوم ينادى بعضهم بعضاً و كان هذا قد ألفه ملأ فرعون كلهم ، فكانت عندهم أعياد وكانت عندهم مواكب ، و كانت عنـــد هم خرجات يخرجون فيها ، و كانت هنالك غوغاء و صخب ، كانوا

(١) المؤمن ٣٠ - ٣١ .

يعرفون ماذا يقع هنا ، فقال : « يوم التناد ، يوم تولون مدبرين » هـذا الذى يشعر فرعون بوقعه فى نفسه ، لأن أكره الشئ إليه هو الانهزام ، كان لايتصوره لأنه كانت له جيوش جرارة كثيفة ، و لم يعرف الهزيمة ، فهـذه الكلمة يعرف معناها و يعرف وقعها فى نفسه ، « يوم تولون مـدبرين مالكم من الله من عاصم و من يضلل الله فماله من هاد » .

إثارة نقطة جديدة حكيمة :

ثم إن هذا المؤمن الداعى الحكيم هو أثار نقطة جديدة ، نقطة حكيمـة ، و هو أشار على علة الطبيعة البشرية و داء من أدواء المجتمع البشرى القديم ، وهو عدم تقدير النعمة فى محلها ، و فى وقتها ، هذه علة قديمة فى الطبيعة البشرية ، إن الانسان يستهين بالمعـاصر و يستخف بقيمته و يتناساه ما دام هو يعاصره و يعيش معه ، فانه لا يقيم له وزناً ، هذه علة من علل الطبيعة البشرية التى حفظها تاريخها و أدبها وشعرها وقصصها و حكاياتها و أساطيرها ، الاستهانة بالحاضر و الاجلال للماضى ، التنكر للمعاصر و التجهم له والانكار لفضله ، والاعتراف والخضوع للماضى ، كلما مضى رجل قالوا لم يكن مثله و لن يكون مثـله ، أما ما دام حياً فهو بشر و نحن بشر ، فاذا انتقل من هذا العالم و فارق الحياة فهنالك مدائح سخية وقصائد رنانة ، و هنالك مبالغات و تهويل ، هى الطبيعـة التى حرمت الأجيال البشرية و المجتمعات الانسانية الانتفاع بأفضل ثمارها و أفضل أفرادها فى حياتهم ، و قـد حذرهم من هذا التنكد وإنكار الفضل ، فقال : « و لقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم فى شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا » (١) إن يوسف كان نسيج وحده و فريد دهره ، و من أين يأتى مثل يوسف ؟ هذا

(١) المؤمن ٣٤ .

الكريم بن الكريم بن الكريم ، الملك العادل الرحيم ، لا أبداً ، مادام حياً فكل الناس كانوا يعيبونه وينسبون إليه الأشياء ، ويقول : إياكم أن تعودوا إلى مثل هذه المحنة ، فلا تقدرون قدر موسى ، حتى إذا أذن الله له بالرحيل و انتقل من هذا العالم ، كأنى بكم تقولون : إن موسى كان منحـة من الله تبارك و تعالى و ما سبقه رسول مثله و لا يأتى بعـده مثله ، و أنا أحذركم من هذا « و لقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم فى شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا » .

سمة فرعون الرئيسية التى حالت بينه و بين الخالق :

تأملوا فى كلمة « لن يبعث الله من بعده رسولا »

نبى بعد يوسف يكون مثـله « كـذلك يضل الله من هو

يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم . كبر مقتاً عند

كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار » و فى الحقيقة أن مصد

و الكفران و مصدر هذا العناد و المكابرة هو التكبر ، يخاطبهم مثل سيدنا موسى فى مكانته و فى سموه و فى قوة دعوته التى أثرت فى سحرة فرعون فنقلتهم من معسكر فرعون إلى معسكر الدعاة إلى الله ، إلى معسكر الشهداء فى سبيل الله ، كأنهم نشأوا فى أحضان النبوة مدة طويلة ، و لكن عهدهم كان قريباً من سيدنا موسى ودعوته و لكن سيدنا موسى هو الذى شق صخور قلوبهم و أنبت فيهم الايمان ، خرجوا من هذا المعسكر الفرعونى وهم يقولون : « فاقض ما أنت قاض ، إنما تقضى هذه الحياة الدنيا » ، و إنا مستعدون لنيل هذه العقوبات كلها .

يخاطبهم ويدعوهم إلى الله ، ولكن فرعون لم يتأثر ، لماذا ؟ السمة التى يتسم بها فرعون ، و هى السمة الرئيسيـة ، هو التكبر ، فيريد القرآن أن يركز عقولنا

و تأملاتنا على نقطة هامة جداً ، و هى التكبر ، و هذه الكلمة قد تكررت فى هذه الآيات مراراً : « و قال موسى إنى عذت بربى و ربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب » .

النقطة التى يلتقى عليها سيدنا موسى فى دعوته
و مؤمن من آل فرعون فى موعظتـــــه

ثم يقول : « كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب ، الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم » ، فمفتاح القصـــة و مفتاح شخصية فرعون و مفتاح هذه القصة هو التكبر التكبر ، هو الذى حال بين فرعون وبين الانتفاع بدعوة سيدنا موسى ، و كان سيدنا موسى قوى الشعور بهذه النقطة ، النقطـــة التى يلتقى عليها سيدنا موسى فى دعوته و مؤمن من آل فرعون فى موعظته ، هى نقطة النعى على التكبر والتركيز عليها ، كل يشير إلى هذه النقطة ، هذه النقطة الفارقة التى تحول بين فرعون و ملائه و بين الانتفاع و الاهتداء بالهدى الذى جاء به سيدنا موسى .

الضرب على الوتر الحساس :

و قد جاء فى هذا الحوار التنبيه على تفاهة الدنيا وعدم ثباتها و بقاء الآخرة و دوامها « وقال الذى آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد ، يا قوم إنما هذه الحياة الدنيـــا متاع و إن الآخرة هى دار القرار (١) » إن أكبر حجـاب كان لفرعون هو الملك العريض الذى كان يتباهى و يتبجح به ، فيقول إن هذه الحياة الدنيـــا متـاع ، و إن الآخرة هى دار القرار ، فضرب على الوتر الحساس ، ثم ذكر قانون المجازاة العادل الذى لا يحابى أحداً ، فقال « من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها و من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى و هو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة

(١) المؤمن ٣٨ ، ٣٩ .

يرزقون فيها بغير حساب (١) » .

الدعوة إلى معرفة المخلص النافع من الغاش الخادع :

ثم هناك كذلك يثير نقطة خاصة ، و هى عاقبة عـــدم التمييز بين النافع و الضار ، وبين المخلص النافع والغاش الخادع ، ويقول : « يا قوم ما لى أدعوكم إلى النجاة و تدعوننى إلى النار ، تدعوننى لأكفر بالله و أشرك به ما ليس لى به علم و أنا أدعوكم إلى العزيز الغفار (٢) » و يقول قارنوا بين الدعوة التى أقوم بها و بين الدعوة التى يقوم بها فرعون ، أنا أدعوكم إلى سبيل النجاة . أنا أدعوكم إلى الله الرحيم الغفار ، و يدعوكم إلى نفسه و إلى طريق الهـــلاك » . ثم يقول « لا جرم أنما تدعوننى إليه ليس له دعوة فى الد... المسرفين هم أصحاب النار (٣) » هنالك نبــه هذا الداع... فرعون هى دعوة طفيلية ، وكل دعوات الجاهلية هى دعو... ما أنزل الله بها من سلطان ، و هى لا تستنــد إلى عقل و لا إلى علم و لا إلى دعوات الأنبيـاء ، تنبت على سطح الأرض « كالحشائش الشيطانيـــة » التى تنبت فى الحقول و المزارع « لا جرم أنما تدعوننى إليـــه ليس له دعوة فى الدنيا و لا فى الآخرة » هل عندكم من سلطان ، هل عندكم من برهان؟ ، لا ، إنما هى التى تريدها أهواؤكم و مصالحكم فقط .

الخط الذى ينتهى إليه كل داع مخلص :

ثم أخيراً جاء بكلمة فيها الرقة ، و فيها التفويض إلى الله ، و فيها الرحمة ، و فيها المجهود الأخير ، وهو القول الذى يلجأ إليه كل داع مخلص ، لا شئ وراء

---

(١) المؤمن ٤٠ (٢) أيضاً ٤١ ، ٤٢ (٣) أيضاً ٤٣

ذلك ، و هو قوله : « فستذكرون ما أقول لكم و أفوض أمرى إلى الله ، إن الله بصير بالعباد » (١) .

و هذه خير نهاية لموعظة و لدعوة إذا لم ينتفع بها ، فهذا هو الخط الذى ينتهى إليه الداعى .

هذا حوار فريد فى أسلوبه ، و هذا هو الحوار الذى حفظه القرآن و خلده فى أسلوبه الحكيم و بلاغته ، و فى ترتيبه ، و فى الانتقال من نقطة إلى نقطة ، و فى خير بداية و فى خير نهاية ، هـذا الحوار الذى يجب أن يكون نبراسنا فى توجيه الدعوات و فى القيام بأعبائها و فى الايفاء بحقوقها ، إذا واجهنا قوة جبارة .

فهذا مثل أردت أن أضمه إلى أمثلة الدعوات النبوية التى هى النقطة الأخيرة التى يصل إليها الداعى ، وهذا نموذج من دعوة رجل لم يكن نبياً ولم يكن من أخص أشخاص سيدنا موسى ، لا يدل القرآن على هذا بل يصفه بقوله : « و قال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه » فنستطيع أن نتعلم منه كثيراً ونتلقى منه دروساً ذات قيمة كبيرة فى منهج الدعوة .

---

(١) المؤمن ٤٤

أثر الرسالة الاسلامية فى الحضارة الانسانية

(٣)

الدكتور محمد معروف الدواليبى

من الناحية السياسية

و أما أثر الرسالة الاسلامية فى الحضارة الانسانية من « الناحية ال ا -
فيكفينا فيها تشريع الاسلام لمبدأ الشورى الواجبة فى الحكم
جديد على الانسانية فى حضاراتها القديمة و الحديثـة ، إذ
الفلاسفة حتى اليوم فى نظام الحكم أن أوجبت الحكم بالديمقر
الشعب بالشعب و للشعب ، و لم تكن بالديمقراطيـة فى أكثر أشكالها شيوعا إلا « حكم الأكثرية للاقلية » شاءت الأقلية أو لم تشأ ، أو حكم الأقليـة للأكثرية فى الأشكال الأخرى ، وهو ما تقوم عليه النظم الاشتراكية و تدعى أيضاً بالنظم « الاشتراكية الديمقراطية » ، و فى كلا الحالين كما ترون قد أقصى فريق صغير أو كبير من الشعب عن مقام الاعتبار فى الحكم ، و هو الأقلية فى الشكل الشائع ، أو الأكثرية فى نظام الاشتراكية .

أما إقرار مبدأ الشورى الواجبة فى الاسلام فهو إلزام بأخذ رأى الجميع أولا من غير تمييز بين أقلية أو أكثرية ، ثم العمل بالرأى الذى ظهرت أرجحيته بعد التمحيص العقلى بين الرأيين ، لا عملا بتعداد الأصابع المرفوعـة ، و نحن نعترف بأن الصعوبة فى الشورى هو وضع قواعد التمحيص المرنة ، و ليس ذلك بمستحيل

على موازين العقل والمصلحة التجريبية ، و لن يكون عندئذ فى الترجيح وفقاً لهذه القواعد شحب لفريق دون فريق ، وإنما هو الأخذ بما بدا أنه الأرجح من الآراء عقلا و مصلحة ، بعد أن وضعت آراء الجميع فى مستوى واحد من الاعتبار وأمام التمحيص من غير إهمال لرأى من الآراء .

و فى مبدأ الشورى هذا أيضاً مبدأ جديد فى سياسة الحكم يزيل كل أثر للتسلط من قبل الأكثرية على الأقلية عملا بقواعد « الديمقراطية » المطلقة ، كما يزيل كل أثر من آثار التسلط من قبل الأقلية على الأكثرية عملا بقواعد «الاشتراكية الديمقراطية » كما أن مبدأ الشورى هذا يرفع جميع أهل الرأى من أقلية أو أكثرية إلى مستوى واحد فى الاعتبار ، من غير أن يترك فى نفس أحد منهم شعوراً بالاهمال أوبعدم الاكتراث به ، كما جرى عليه العهد السوى . غير أن مبدأ الشورى هذا يستدعى كغيره بلاشك إعداداً تربوياً خاصاً ليكون للشورى أثرها المحمود ، وسيكون الاعداد التربوى لقبول مبدأ الشورى المذكور أسهل من الاعداد التربوى لقبول مبدأ تسلط الأكثرية على الاقلية ، أوقبول مبدأ تسلط الأقلية على الأكثرية خاصة . و إن هذا الأخير لم يقم حتى الآن إلا على الحديد و النار .

من الناحية التشريعية

و بعد فاننا الآن نصل فى خاتمة كلمتنا إلى أثر الرسالة الاسلامية فى الحضارة الانسانية من « الناحية التشريعية » ، و إن سلوكنا فى تقديم بقية النواحي من علمية ، و إنسانية ، و اجتماعية ، و اقتصادية ، و سياسية على الناحية التشريعية الأخيرة ، يسهل علينا اختتام كلمتنا بكثير من الايجاز . و ذلك اعتماداً أيضاً على كليات الشريعة الاسلامية و ضوابطها التى أشرنا إليها سابقاً ، عوضاً عن الغوص فى أبوابها وفروعها وجزئياتها مما يتطلب مجلدات ، ولا يتفق بحال مع مقام المحاضرة .

وقد سبق معنا بمنتهى الايجاز فى كل من النواحى المشار إليها أعلاه من أثر الرسالة الاسلامية فى مواضيعها الحضارية الحيوية ما يمكن تلخيصه فيما يلى

ـ إن الاسلام قد جاء فى كل ذلك بالجديد المطلوب غير المعروف من قبل .

ـ و إن جديد الاسلام فى ذلك قد قدم للبشرية فى مفهوم الحضارة فى كل من هذه النواحى الحيوية الأساسية ، ما لم يكن للحضارة الانسانية عهد به من قبل حتى الآن .

ـ و إن هذه الأحداثات الاسلامية فى هذه النواحى الحضارية الحيوية هى وحدها اليوم الدالة على جميع المبادىء التقدمية التى يسعى إليها حـ ليقيموا عليها نظاماً حيوياً جديداً للانسانية .

و لما كان الاسلام إنما جاء قبل أربعـــة عشر قرناً الحضارية التقدمية .

ألف ـ ليقضى بها أولا على الأنظمـــة البالية السائدة بكل أسف حتى اليوم و خاصة فى التمايز بين الشعوب و الطبقات فى حقهم فى الحياة الكريمة

ب ـ وليشئ بها ثانياً نظاماً عالمياً جديداً للحياة التقدميه الانسانية ، لذلك فان الاسلام قد أقام « شريعة » على قواعـد جديدة فى مبادئها و ضوابطها لهـــذا النظام الجديد ، و تعتبر بذلك من أعظم آثار الرسالة الاسلاميـــــة فى الحضارة الانسانية من « الناحية التشريعية » و ذلك ما لم تصل إليه بعد أية شريعة وضعية من عالم الأمس و عالم اليوم

وإن هذه المبادىء والضوابط قد سبق لنا أن أشرنا إليها من قبل أثناء كلامنا عن مميزات الدعوة الاسلامية لنظامها الجديد حيث قلنا فيها : إن الدعوة الاسلامية أقامت لها شريعة تمتاز على جميع ما عرفته الشرائع القديمة و الحديثة من ضوابط

و لما كانت هذه الضوامن لميزات الدعوة الاسلامية إنما الشريعة الاسلامية نفسها بمبادئها العامة و ضوامنها ، لذلك نعيد ذكرها فى هذا المقام أيضاً ، و هى تتلخص فى المبادىء و الضوامن التالية :

أولا ـ إنها شريعة « عالمية » تنظر إلى شعوب البشرية على أنها أسرة بشرية واحـــدة .

ثانياً ـ إنها شريعة « إنسانيـــة » لا تمايز فيها ما بين إنسان و إنسان فى الكرامة الانسانية

ثالثاً ـ إنها شريعة « ترعى مصالح الحياة الانسانية المتحـــددة » من جمود فيها على زمن أو مكان ، و إنها « لا فضل فيها لانسان على إنسان ، و لشعب على شعب » فى حقهم جميعاً فى الحياة الكريمة .

رابعاً ـ إنها قــد شددت على « إقامة العدل » و جعلته أساس الملك تبعاً للحق من غير امتياز فيه للشريف على الوضيع ، ولا للغنى على الفقير ، ولا للقوى على الضعيف ، و رضى الله عن أبى بكر الخليفـــة الأول فى الاسلام الذى نادى الناس حين بويع بالخلافـة فقال : « أيها الناس . . إن القوى ضعيف عندى حتى آخذ منه الحق للضعيف ، وإن الضعيف قوى عندى حتى آخذ له الحق من القوى »

هذا و لسنا هنا فى حاجة إلى إضافة شئ ما على ما سبق من أثر الشريعة الاسلامية فى الحضارة الانسانية ومفاهيمها غير حدث واحد هو من أعظم شواهد التاريخ فى آثارها فى المفهوم الحضارى من « الناحية التشريعية » حتى اليوم .

و يتلخص هذا الحادث فى خبر شكوى دويلة صغيرة هى دولة سمرقنـد كما ذكرها البلاذرى فى فتوح البلدان ، و كان الاسلام قد حررها فى حروبه الظافرة من الاحتلال الأجنبى لبلادها ، و لم يكره أهلها فى مقابل ذلك على الاسلام ، بل ترك لهم حق الخيار عملا بشريعة القرآن الكريم التى تقول : « لا إكراه فى الدين » و قــــد اختاروا البقاء على دينهم ، و لكنهم عقدوا صلحاً مع المسلمين على حكم

أنفسهم بأنفسهم و دفع جزية الحماية للجيش الاسلامى لقاء حمايتهم من عووة المحتل إلى بلادهم ، مع اشتراطهم على الجيش الظافر على بيزانس و فارس عدم بقائه فى بلادهم ، و كذلك فعل الجيش بعد تحريرهم و هم الضعفاء .

غير أن الجيش الاسلامى لم يلبث بعد أكثر من نصف قرن أن دخل البلاد رغماً من معاهدة الصلح ، متلمساً بعض المبررات التى لم يوافق عليها أهل البلاد المغلوبة ، و ما كان من أهل هذه البلاد إلا أن أوفدوا وفداً إلى الخليفة الأموى عمر بن عبد العزيز فى دمشق و شكوا إليه احتلال الجيش الاسلامى خلافاً لميثاق الصلح ، و لم يكن لديهم لدعم شكواهم غير صحيفة الصلح البالية منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب و قد مضى عليها عهود بضعة من الخلفاء ، و ما أ...

الشكوى ورأى ميثاق الصلح حتى أمر بتأليف محكمة ...

على الجيش الفاتح ، و كذلك كان و حكمت المحكمة الاسلا...

الجيش الاسلامى الفاتح بالجلاء عملا بنصوص ميثاق الصلح

الدولية الاسلامية فى شئون الحرب لم يستطع عالمنا الحديث بوصر...

اليوم ، على الرغم من منظمة الأمم المتحدة و مؤسساتها العالمية التى لا تزال حتى الآن عاجزة عن مجازاة الاسلام فى هذه العدالة الدولية عن طريق القضاء ، وخاصة فى الحكم على الجيش الاسلامى القاهر لمصلحة الشاكين المقهورين ، و فى ظل أعظم عهود الخلافة الاسلامية قوة و سلطاناً . . و هذا ما يبرىء الحروب الاسلامية فى عهد سلطان الاسلام على نفوس المسلمين من أن تكون حروب فتح ، واستيلاء و توسعة لرقعة الملك ، و قهر للمغلوبين ، و إنما كانت فقط حروباً لتأدية رسالة إلهية عالمية إنسانية ، و لتحرير الانسان من استغلال أخيه الانسان ، و لحماية حرية دعوة الخير التى جاء بها الاسلام مصداقاً لقوله تعالى : « و ما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » و فى ذلك يقول دوزى على لغة الفاتحين كلمته المشهورة . «ماعرف التاريخ فاتحاً أرحم من العرب » ، و الحمد لله على شهادات المنصفين .

الدّعوة الإسلاميّة

الفكرة الاسلاميه السنية و الحاجة إليها

(٢)

فضيلة الشيخ محمد إسحاق الندوى
عضو مجلس الدعوة و التحقيق الاسلامى . كراتشى

قد أسلفنا أن الفكرة على قسمين : الفكرة الطبيعية و الفكرة " ' ' ' '
منهجان مختلفان لكونهما نوعين مختلفين من التفكير ، فينبغى
واحد منهما على حدة بعد الكشف عن وجه المقسم .

« الفكرة السنية »

إن منهاج التفكير الذى نريد تعريفه و بيانه فى هذه المقالة الموجزة ليس من مخترعات العقل بل هو ثابت بالكتاب و السنة القولية و العملية و كذلك بتعامل الصحابة رضى الله عنهم ، و بلفظ آخر : هو سنة أى طريق مسلوك به و مأمور باتباعه فى الاسلام و لذلك سميناه « بالفكرة السنية » .

أضف إلى ذلك أننا إذا تصورنا السنة بمعنى أوسع و عرفناها لكل ماثبت عن النبى الكريم ﷺ ، و هو الذى علمنا الكتاب الحكيم ، فمعنى الفكرة السنية هو الطريقة التى عرفت بالسنة أى بالقرآن العظيم و حديث النبى الكريم عليه أفضل الصلوات والتسليم ، كما نسمى أنفسنا بأهل السنة والجماعة أى متبعى القرآن والحديث و جماعة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين

وتلك التوجيه بالتنبيه على أمر واقعى أن « الفكرة السنية » خاصة بأهل السنة

و الجماعة لا تختارها و لا تتبعها جماعة غیرهم ، بل لا یرید و لا یتصور اختیارها و اتباعها إلا أهل السنة .

و بناء علی الوجوه المذکورة اخترنا لفظ « الفکرة السنیة » لمنهاج التفکیر الذی هدانا إلیه دیننا الاسلام ، و یمکن أن یسمی بـ « الفکرة الاسلامیة » أو « الفکرة الایمانیة » لکننا اتخذنا لفظ « الفکرة السنیة » مصطلحاً فی هذه المقالة الوجیزة و نستعمله فی السطور الآتیة ، لأنه أحسن الألقاب من ناحیة دلالته علی حقیقة ثابتة ، إننا معاشر أهل السنة ممتازون بین سائر الملل باعتبار منهاج التفکیر کما نمتاز بینهم بالخصائص الأخری .

ماهیة الفکرة السنیة

ما ذکرنا من قبل من الآیات الحکیمة ، إنما تدل علی الدین المتین یطالبنا باتباع منهاج مخصوص فی تفکیرنا و نظرنا ، و إنه تعالی شأنه قد أخبرنا بوجوده فی معالم دینه ، أما ماهیة هذا المنهاج أی ماهیة « الفکرة السنیة » فلم یعلم بعد ، و نرید أن نلقی الضوء علیها فی السطور الآتیة :

إن الماهیة الکلیة للفکرة السنیة ، قد نورها القرآن المبین و أوضحتها سنة نبیه الکریم علیه أفضل الصلوات و التسلیم ، ودل علیه عمل الصحابة أجمعین أما القرآن الکریم فنتلو علیك منه أولا هذه الآیة المقدسة :

قال الله تعالی شأنه : « إن الذین آمنوا و عملوا الصالحات یهدیهم ربهم بإیمانهم (یونس) .

قد دلت الآیة دلالة واضحة أن المؤمن لا بد له أن یتفکر فی ضوء إیمانه و یهتدی بها إلی نتائج صحیحة فی فکره ، ومعناه أن تکون مقدمات فکره و نظره مبنیة علی إیمانه ، و معتقداته الحقة و لا تکون غیر مناسبة لها فضلا عن کونها

منافية لجزء من أجزاء الايمان و كذلك لا يجوز أن تكون غير متعلق به كلية . بل يجب أن تكون مربوطة به ـ ولو برابطة بعيدة دقيقة ـ فتكون استدلاله واستنتاجه و لو فى أمر دنيوى مبنياً على العقائد الحقة التى هى أجزاء إيمانه و دينه

هذه هى « الفكرة السدية » التى تهدى إلى علم نافع قطعاً فى الآخرة أو فيها و فى الدنيا كلتيهما لمن يتبعها ويختارها فى تفكيره كما أنه تحفظه من الهلاك فى الآخرة و الزلل فى الدنيا و بهذا فسره البيضاوى رحمه الله حيث قال « بسبب إيمانهم إلى سلوك السبيل المودى إلى الجنة و إدراك الحقائق » .

و لا شك أن لفظ « الهداية » عام فى الآية لتنوير الطريقتين ، أى طريقة التفكير طريقـة العمل بل الأولوية الأولى لأنه لابد مـ

فدلالة الآية أن المؤمن ينبغى له بل يجب عليـه أن يهـ

و أنظاره ، كما يجب عليه أن يهدى فى أعماله و أ

و ثانياً : نتلو عليك الآيات الكريمة من سوره الفـ

فى صلواتنا ، و قد علمنا الله فيها كلمات ندعو بها ونسأله ما اشتملت عليـه تلك الكلمات العظيمة فقال الله عز اسمه تعليماً لنا :

« إهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم ، غير المغضوب عليهم و لا الضالين » .

إن الله تبارك و تعالى : يأمرنا فى كلامه هذا أن نتبع الصراط المستقيم ، ولا نزال متبعين له مستقيمين عليه حتى نلقى الله عز وجل ، وظاهر أن « الصراط المستقيم » فى الآية شاملة لقسميه كليهما أى صراط الفكر و صراط العمل ، فتبين أنه يجب على المسلم أن يتبع فى تفكيره صراطاً أى منهاجاً هـداه الله إليه بالقرآن الحكيم ، و سنة نبيه الكريم عليه أفضل الصلوات و التسليم و يلزمه العلم لزوماً يقينا ، بأن الاسلام قد هدانا إلى صراط خاص من التفكير فما هو ـ و قد أجابت

الآية الثانيــة عن هذا السؤال بأنه صراط الذين أنعم الله عليهم ، فعلينا أن نتفكر كما تفكروا ، ثم صرح بأن صراط المؤمنين مغاير لصراط المغضوب عليهم ، كما أنه مغائر لصراط الضالين ، فعلى المسلم أن يحترز عن صراط كل واحد منهما فى تفكيره و عمـــله ·

بقى السؤال عن الذين أنعم الله عليهم و نجــد جوابه فى سورة النساء فقد قال الله تعالى : « ومن يطع الله و الرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين و الصديقين والشهــداء و الصالحين و حسن أولئك رفيقاً » ـ فبالنظر إلى الآيات المنقولة من سورة الفاتحة وإلى هذه الآيات التى فى سورة النساء يجب علينا أن نتبع النبى ﷺ وأصحابه الكرام فى منهاج الفكر كما يجب علينا اتباعهم فى العمل · بل الاتباع فى منهاج التفكير أشد تأكيــداً ، لأن العمل تابع للفكر ، فإن الانسان يتفكر ثم يعمل ، و لأن الخطأ فى الفكر أشد ضرراً ، و هــذه الآيات المقدسات تنور الماهية الكلية « للفكرة السنية » و تكشف عن القوانين والأصول التى هى أجزاء هــذه الماهية كما نفعلها فى السطور الآتية · فقد تبين من الآيات القرآنية المذكورة ·

(الأول) : أن تفكير المؤمن ينبغى ، بل يجب ان يكون فى ضوء إيمانه بالله تعالى و بما جاء به الرسول ﷺ قطعاً ، و معناه أن المقــدمات التى يستعين بها للوصول إلى علم جديد لابد أن تكون مناسبة للايمان ، و لا تكون مخالفة له و لا منقطعة عنه انقطاعاً كلياً بحيث لا يوجد أدنى ربط بينهما · وقــد ألقينا الضوء على هذا الأصل من قبل حين فسرنا الآية :

(الثانى) ـ إنه لابد أن تتحرك فكرتنا على الصراط المستقيم أى على منهاج وطريق اختاره الذين أنعم الله عليهم من عباده ، فيكون صراط أفكارنا هو صراط فكر النبى ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين ، أما بيان ذلك المنهاج وتعريف

الصراط الذی کانوا یختارونها فی فکرهم فسیجیٔ فی موضعه إنشاء الله .

(الثالث) إن الاحتراز عن الصراط الذی تختاره أمة غضب الله علیهم أو تختاره أمة ضالة فی تفکیرهم واجب ، وإن الیهود هم المغضوب علیهم قطعاً کما أن النصاری ضالون قطعاً ، و إن کان مفهوم اللفظین عاماً ، لا نرید حصر مصـــــــداقیهما فیهـــما ، فالاحتراز عن المنهــــاج الذی یتبعونه فی التفکیر و النظر واجب بالآیة المذکورة ! « الفکرة السنیة » هی التی تکون مستضیئة من هذه القوانین و تتحرك علی طریق منورة بالقوانین و الأصول المذکورة « فالماهیة الکلیة » للفکرة السنیـــة هی المرکبة منها وهی أجزاؤها .

ثم إن علینا بیان ماهیة کل من قسمی الفکرة الـ
من قسم آخر ، أی القوانین التی تجب مراعاتهـــا للمؤمر
قسمی الفکرة التی سبقت الاشارة إلیهما ، و هما فی ا
للفکرة السنیة التی بیناها ، و بیانها فی السطور الآتیة :

« الفکرة السنیة الطبعیة »

المراد بها المنهاج الذی یجب أن یتبعه المؤمن إذا تفکر فی المسائل التی لادخل لها بالذات فی سعادة النفس و شقائها ـ و ظاهر أنها المسائل المتعلقـة بعالم الخلق والأمور التکوینیة ، وإنما نذکر فی السطور الآتیة الأصول التی علمنا القرآن الحکیم وسنة النبی الـکریم علیه أفضل الصلوات والتسلیم ، واتبعها الصحابة رضوان الله علیهم أجمعین ، للتفکر فی عالم الخلق والأمور التکوینیة ، و اتباع تلك الأصول والضوابط فی التفکر فی الأمور المذکورة هی التی نسمیها « بالفکرة السنیة الطبعیة » و سیری القـــاریٔ أن لتلك الأصول و الضوابط شأناً تمتاز به عن غیرها فمعرفتها نفسها تغنی عن بیان الفرق بینها و بین الفکرة الخاطئة التی یتبعها الذین لا یؤمنون بالله العظیم

وبرسوله الكريم ﷺ ، فلا حاجة إلى صرف القلم إلى بيان الفرق بينهما ، فنعطف عنان القلم إلى بيان الأصول فى السطور الآتية

وأسأل القرآن الحكيم عن هذا الأمر ستجد جوابه ، فقد قال الله تعالى شأنه :

« إن خلق السماوات و الأرض و اختلاف الليل و النهار لآيات لأولى الألباب ، الذين يذكرون الله قياماً و قعوداً و على جنوبهم و يتفكرون فى خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار (آل عمران) »

إن إيماننا بالقرآن العظيم يقتضى أن نسأله عن هذه المسألة ، فسألناه فأجاب ، فان هذه الآيات المقدسة الحكيمة تدل دلالة واضحة على الأصول التى يجب اتباعها على كل مسلم يريد أن يتفكر فى عالم الخلق أى الكائنات و هى هذه :

الأصل الأول

إن نظر المؤمن إلى الكائنات يجب أن يكون نظر عبد مخلوق لله تعالى إلى إلى عبد مخلوق لله الخلاق الحكيم سواء كانت النظرة نظرة الرياضى أو نظرة الطبيعى أو غير ذلك ، فلا ينظر المؤمن إلى السماوات و الأرض والنجوم أو شئى آخر من حيث هى موجودات مع قطع النظر عن موجدها ، بل ينظر إليها من حيث إنها وجدت بعد العدم بايجاد الله البديع الحكيم و إبداعه ، والاشارة بهذا إلى أن فكرة المؤمن فى الكائنات فكرة موضوعية (Subjective) و ليست بفكرة معروضية (Objective) واضحة .

الأصل الثانى

إن الاعتقاد بأن الكائنات بأسرها مجموعة لآيات الله شأنه . و إن كل جزء منها آية من آياته الباهرة الدالة على ذاته تعالى شأنه و على صفاته العلية العظيمة ، واجب على كل مسلم ، وهذه العقيدة واليقين يجب أن يظهر فى تفكيره فيها ، وإنه

إذا تفكر فليتفكرَ فيها من حيث إنها آيات الله تعالى شأنه كما هو ظاهر من الآيات المزبورة ، و هـذا المنهج من التفكر من رعاية الحيثيـــة المذكورة يميزه عن سائر المناهج الفكرية يتبعها الذين لا يؤمنون بالله و لا باليوم الآخر .

الأصل الثالث

و ممـا يستنبط من الآيات المزبورة هو أن التفكير ينبغى أن يقومـــه ذكر الله تعالى شأنه ، ذلك بأن الله تعالى قدم الذكر على التفكير .

الأصل الرابع

تدل الآية على أن تفكير المؤمن فى عالم الخلق ينبغى أن يكون متخصصا به م

علمه ومعلومه سواء كان المقصود أن ينفع به نفسه أو ا

يعتقد ويقر بأن الرب الحكيم لم يخلق شيئاً باطلا ، فيه

و الأرض و أمثالهما من أجزاء الكائنات التى يتفكر

إليهـا ، ثم ليس من شأن المؤمن أن يقصـــد نفعاً دنيوياً فقط ، بل ينبغى له أن يقصد نفع الآخرة قصـــداً أولياً ، و النفع الدنيوى قصداً ثانوياً ، يشير إليـــه قوله تعالى : « سبحانك فقنا عـــذاب النار » كما يشير إلى قصد مطلق النفع قوله تعالى : « ربنا ما خلقت هذا باطلا »

إن الحركة الفكرية فى عالم الخلق والتكوين التى تقودها هذه الأصول الأربعة وتقطع مسافتها فى صوبها ، تسمى « بالفكرة السنية الطبعية » سواء كانت فى الطبعيات او الكيمياء و الهيئة و الرياضى أو فى غيرها من العلوم الطبعية ، و هى « سنية » لكونها مهتدية بهداية القرآن الحكيم و « طبعيـــة » لاختصاص مسافتها بعالم الخلق و التكوين ، و عدم علاقتها فى نفسها بعالم الأمر و التشريع و عـــدم تأثيرها فى نفسها فى سعادة النفس و شقائها ، كما أوضحنا من قبل .

ثم إن التفكير فى عالم الخلق يجيء إلى رب لا يختص بالمسلمين وهو ·
له قوة الفكر و النطق سو فى ال مؤمناً أو كافراً ، و إن من المخلوق
لنا كما أن منـــه ما هو شر لـــا ، وكما أنه يمكن أن ننتفع به يمكز
به ، و إذا تفكر أعـــداء الاسلام الكافرون بالدين المبين فى عالم الخـ
شرهم ومنعوناً عن خيرهم ،و لم نستطع أن ندافع عا و نقاومهم لسنة
عالم الخلق على فكرنا ، فما هو المخلص لنا من شرورهم ؟ ، و كيف نـ
و عرضنا و أنفسنا من عدوانهم و إفسادهم .

و مرجع السؤال إلى أنه كيف نتفكر فى عالم الخلق و التكوين -
جلب الخير و دفع الشر و نقدر الدفاع عن ديننـــا و ملتنا و حفظ
من الدمار والفساد بأيدى المجرمين من أوربا و أمريكية ؟ و هذه المشكـ
التى تواجهنا اليوم كما هو ظاهر لا يحتاج إلى البيان .

إن « الفكرة السنية » تدعو إلى أن نستعين بالايمان و هذا يقتضى
القرآن الكريم لحل هذه المسألة العويصة ، و ننظر هل فيه هداية خاصة
المسلمة إذا ابتليت بهذا البلاء العظيم ؟ بلى و ربنا إن القرآن الكريم قد
المشكلة و هدى إلى صورة خاصة للفكرة السنية الطبيعية التى هى أسرع
و أنجح من كل فكرة تتحرك فى عالم الخلق و التكوين فى الدنيا ، و سـ
من المصيبة التى ابتلينا بها ، ليتنا نتبع هذه الفكرة القويمة القوية السريعة

و هذه الطريقة الأقوم التى يدعو إليها الفرقان الحميد قـــد أشير
سورة « الفلق » فقد قال الله تعالى : « قل أعوذ برب الفلق من شر ما
و نقدم فى السطور الآتية مقدمات يطالبها توضيح الاشارة :

الأولى : إن الاستقراء يدل دلالة واضحةعلىأن سنة الله فى خلق شئ ه

هـذا العالم المادی هی « الفلق » إن الشجرة لا تنبت إلا بفلق الحب و النواة ، و إن ظهور الغصن مسبوق بفلق ساقها كما أن الطاقة الذرية (Atomic Energy) المدهشة لا تظهر إلا بفلق الذرة ، و إن النظام الشمسى (Solarsystem) الذی نعيش تحته قد خلقه الله الخلاق العليم بابداع الفلق العظيم فی المجرة (Galaxy) وإذا نظرت إلى الحوادث وجدت هذا القانون التكوينى أى قانون الفلق جاريا فيها ، و لا تجد مثالا ينفيه .

الثانية ـ إن الحوادث التى تبدو بعد الفلق كنتيجته ، بعضها تكون موجبا للخير كما أن بعضها تكون موجبا للشر ، فعلينا أن نحصل الخير و نستحفظ عن الشر

الثالثة ـ إن الله تعالى وحده هو رب الفلق ، والقا[illegible]

قدير على أن يلهمنا بعلم جديد وتدبير قوى نفور باستخدام

و يخلق الخير و يمن علينا بتوفيق الاستعاذة منه .

الرابعـــة ـ إنه لا بد لنا من التفكير فى عالم الخلق ، إذ واجهنا المسخة المذكورة و ابتلينا بالضراء المـذكورة ، فان الميل إلى ابتغاء السبيل إلى دفع الضرر و التحرز عن الهـلاك و الدمار و الجهد للبقاء أمور فطرية تطالب التفكير فى عالم الخلق لأن هجوم المخاوف قد أبدى قرنه من جهته ، و قد أوجبته الشريعـة كما أوجبـــــــــــــــــه العقل السليم فان التفكير فى عالم الخلق و التكوين لدفع شر أعـداء الاسلام وللدفاع عن الدين و المسلمين ، و لاعلاء كلمة الله الحق المبين ، واجب على الكفاية . لأنه لابد منه فى هذا الزمان للوصول إلى تلك المقاصد الحسنة ، و بعد هـذا التمهيـــد نقول و بالله التوفيق : إن الله الحكيم العظيم أمرنا فى هذه الآية بالاستعاذة به عز اسمه من شر مخلوق مساوق للشر ـ والأمر بالتوجه إلى شأن الربوبية المتعلقة « بالفلق » إشارة إلى أن المؤمن

إذا ابتلى بشر مخلوق حادث من الفلق و أخذه التفكير فى تدبير دفع الشر و جلب الخير لاقتضاء الفطرة و أمر الشريعة ، فليكن تفكيره ممزوجة بالاستعاذة بالله الذى هو رب الفلق وبيده الخير و لا حول و لا قوة إلا به ، وليس المراد الاستعاذة القولية بل المراد الاستعاذة الحالية و العملية أى الانابة إلى الله ، و التوجه إليه ، و التزام طاعته مع سؤال العلم الصحيح النافع و توفيق العمل ، و التهيأ للدفاع عن الاسلام ، متوكلا على العليم العظيم .

هذا لأن الاستعادة تقتضى طبعاً أن يطيع المستعيذ المستعاذ به ، و يفى ما عهده و يلجأ إليه ، و هذه هى صورة خاصة للفكرة السنية الطبيعية المشار إليها بالآية الأولى من سورة الفلق المزبورة قريباً ، ولها مع عموم حكمها و معها نوع من الخصوصية بالتفكير لاطفاء « فتنة الفلق » التى ابتلينا بها ، لأن غلبة أعداء الاسلام علينا فى الملك و الملك ، إنما هى لقدرتهم على استخدام من قوة الفلق و عدم استطاعتنا باستخدامها مثل ما يستطيعون ، فان استطاعتهم بفلق الذرة Atom والنواة Nucleus سلطتهم على الأقوام الضعيفة ولايدان لأحد من المسلمين لدفعهم ، و محصول البيان أن الفكرة السنية الطبيعية معناها اتباع الأصول التى دلت عليها الآية التى ذكرت أولا فى هذا الباب ، و أضف إلى تلك الأصول ، الأصل الذى دلت عليه هذه الآية من سورة الفلق ، و خاصة إذا كان التفكير فى الفلق و قوته و نتائجه و الأمور المتعلقة به .

و هذا الأصل مشتمل على أجزاء ، ونزيده وضوحاً بذكر الأجزاء مفصلا .

الاول ـ إن التفكير لابد أن يكون ممزوجاً بالاستعاذة بالله العزيز الحكيم من فتنة الفلق و شر المخلوق الحادث منه والاستعاذة به عز اسمه لدفعها و الغلبة عليها .

الثانى ـ أن نسأل الله تعالى الذى هو رب الفلق الاستطاعة لإستخدام قوة

الفلق لاكتساب الخير و دفع الشر و الانتفاع بها فى الآخرة و الدنيا

الثالث ـ إن التفكير لا بد أن يكون مسبوقاً بالتوبة عن الذنوب ، وتصفية القلب عن العقائد الفاسدة و تجديد تنويره بنور الايمان

الرابع ـ أن يكون مقصدنا الوحيد من التفكير هو رضاء الله تعالى شأنه باستخدام تلك القوى لاعلاء كلمة الله ، و غلبة دينه المتين ، و لاكتساب الخير للمسلمين و نفع خلق الله أجمعين

فان المتفكر إذا أراد بفكره نصرة دين الله المبين و أخلص نيته فيأتيه نصر الله القوى العظيم كما وعده ربنا الكريم بقوله فى القرآن الحكيم

« إن تنصروا الله ينصركم و يثبت أقدامكم »

و إن من النصرة إلهام العلم الصحيح و الهداية إلى

ذلك على الله بعزيز

تنبيه : ـ ظاهر أنه لا ينتفع بتلك الأصول حق الانتفاع إلا من له معرفة معتد بها بالعلوم الطبعية (Science) والرياضية فتحصيلها واجبة على الكفاية على الأمة فى زماننا . « يتبع »

قيمـــــة الانسان فى المجتمع الأمريكى

الأستاذ محمد الرابع الندوى
رئيس كلية اللغة العربية بجامعة ندوة العلماء

أجمع الباحثون عن الجوانب العلمية والنفسية و الاجتماعية ، فى المدنية الغربية على أن قيمة الانسان فيها لا تعدو آلة صماء و ماكينة فولاذية ، إنه يتجرد عن عواطف الحب و الاخلاص ، و عن جميع المشاعر الانسانية الرقيقة ، وفى أمريكا تحول المجتمع الغربى كله إلى شركة تجارية يتقيد كل فرد من أفراده بشروط تجارية ، و لا يرتبط الواحد بالآخر إلا على أساس السهام التى تجمعهما فى الحدود التجارية ، و كلما انتهت هذه العلاقه يتفرقان و لا يجتمعان أبداً ، و إن استعراض أسباب الطلاق بين الزوجين يؤكد ما نقول

اللون التجارى بين علاقات الأولاد و الوالدين : يشعر الوالدون فى هذا المجتمع بمسئوليتهم نحو تربية الأولاد الجسمية ما لم يبلغوا الحلم ، و فى خلال هذه التربية يشعرونهم حينا لآخر بما يجب على الأولاد من الاعتماد على أنفسهم فى تهيئة أسباب المعيشة ، و اكتساب الرزق ، ويحثونهم على اختيار عمل أو وظيفة مؤقتة فى أيام العطل و الاجازات الصيفيـة ، و فور أن يبلغوا سن الرشـــد و التمييز التى تعينهم على الكسب يتركونهم وحبلهـم على غاربهـم ، و يتخلون عن مسئوليتهم ، و يتجاوب الأولاد مع رغبة والديهم و ينتفعون بما يكسبون دون أن يفكروا فيما

إذا جعلوا لهم حظاً فيه ، والذين يعجزون عن العمل يتوقعون أن تتحمل الحكومة مسئوليتهم ، أو يصيروا حيث شاؤا ، إذ من العسير جداً أن يشرك أحد أى شخص فى معاشه ، لأن مكاسبه لا تتوافر عن حاجته ، ومن ثم فان الذى يتقاعد عن الوظيفة يواجه وضعاً غريباً جداً ، و رغم أن الحكومة تتكفله فى معاشه باعطاء علاوة الشيخوخة من الضريبة التى تأخذها من الموظفين بقدر ١٨ ٪ من مرتباتهم . و فيها حظهم كذلك بعد التقاعد ، إلا أن الأقارب والأصدقاء يتركونه بتاتاً ، ويحرمونه كل عطف و حب و زيارة ، فيعيش فى عزلة عن العالم و حلوة مريرة جداً .

اعتزال الأولاد عن والديهم المسنين : ليس هناك م

حياتهم سوى الزوج أو الزوجة العجوز ، وقد يحرمون هذ

شئ يقوم به الأولاد نحو والديهم المسنين أن يزوروهم يوم الأحد ب

فحسب و يأتوا لهم بطاقة زهر أو هدية رخيصة كرمز للعلاقة القريبة التى تربطهم فيما بينهم ، وقد حكى لى بعض الأخوة عن والد مسن اشتاق لرؤية ولده فوصل إلى بلده برحلة جوية و زاره فى منزله ، فتظاهر له الولد بأخلاق طيبة ، ولكنه ودعه من باب المنزلة لما أراد العودة ، و لم يقدم له سيارته التى توصله إلى المطار فضلا عن أن يرافقه إلى المطار و يودعه من هناك ، رغم أن الولد كان بحاجة إلى مساعدته ، و كذلك سمعت حكاية أم مريضة كانت فى المستشفى للعلاج ، فكان ولدها يزورها كل أسبوع يوم الأحد وقد تم لها الشفاء واستبشرت بمغادرة المستشفى إلى المنزل حيث تقر عينها برؤية أولادها و أحفادها و جاء ولدها إلى المستشفى يوم الأحد كعادته ، و علم أن أمه قد كتب لها الشفاء من المرض و ستغادر المستشفى ، و ما أن سمع هذا الخبر إذ تغير لون وجهه وبدت دلائل الهلع والحزن

عليه ، وكأنه لم يرض أن تعود الأم إلى بيته ، الحادث الذى أثر على قلب
و عاودها المرض ، حتى انقطع كل أمل عن برئها .

مساكن للعجائز : للتغلب على هذا الوضع تقوم الحكومة الآن باعداد
لهؤلاء العجائز برصيد من المال الذى يتجمع لديها من ضريبة الشيخوخة ،
ينزعج من انفراده و خلوته من المسنين يمكنه أن يلتجئ إلى هذه المساكن
يجد من يضارعه فى السن و الذوق ، و يجد فيها كل شئ من الحوائج الا
وإن هذه المساكن يتوفر فيها كل حاجة سوى الحب والعطف الذى يتبادله ا
مع أولاده و أقربائه ، و قد حدث لمرهفى الحس من هؤلاء المسنين فى
المساكن أحداث مؤلمة و مؤسفة جداً .

رد فعل لاهمال الملونين ، و عددهم فى أمريكا يوجد عدد كبير للأ
الملونين فى مدينة شيكاغو ولكن يتراوح عددهم بين ٢٠ و٣٠ مليوناً فى ال
المتحدة كلها ، و بالنسبة للولايات فأكبر عددهم فى نيويورك ، و معظم الجر
أمريكا تنسب إليهم ، خاصة مدينة شيكاغو تشتهر بكثرة جرائمهم ، هؤلاء ا
متخلفون بوجه عام ولاغرو فيها إذا كانوا كذلك نظراً إلى الاهمال الذى يو
من الحكومة بالنسبة إلى البيض ، و لذلك فانهم لا يزالون يعانون من
و الفقر بازاء الشعب الأبيض ، و لا شك فان التخلف و الفقر إذا اجتم
الانحلال الخلقى والافلاس الدينى يتسع المجال إلى ما أمكن للجرائم الخلقية ،
قضية جرائم الملونين فى شيكاغو و نيويورك فحسب سبباً لانزعاج البيض و
بل الملونون فى جميع الولايات المتحدة يشكلون خطراً على البيض ، فتتواجد
العامة بكثرة على أيدى الملونين ، وقد أصبح القتل و الانتهاك جريمة سهلة
على مبلغ زهيد أو لذة عاجلة ، ومنذ أن ألغى عقاب الاعدام فى أمريكا

من يرغب فى قتل أحد إلى تفكير طويل أو تردد كبير ، و من كان يعيش فى ضنك و فقر فهو يرحب بالسجن المؤبد حيث يجد كفالة تامة بالمجان .

سلطة البيض و تأثيرهم : و لا يقل البيض فى اقتراف الجرائم من الملونين إلا أنهم أغنياء و أصحاب سلطة و تأثير بوجه عام و يكون مستوى جرائمهم أرفع فتتحقق فى ظلال التسهيلات الحضارية ، و إن الطبقة التى تملك السلطة و الوجاهة فى الولايات المتحدة فى الواقع ، هى طبقة « انجلو سكسن » و هى التى تستولى على وسائل الدولة و الثراء الأساسية .

اليهود و تأثيرهم : و يأتى اليهود فى الدرجة الثانية بعد البيض . و هم الذين يسيطرون على السياسة و منابع الثراء فى أمريكا ، بفضل ذكائهم . . . .
العلمية و حزمهم فى الأمور ، لهم سلطة على النظام التعليمى
الاعلام ، و بسيطرتهم على هذه الوسائل يتمكنون من إ
أما شعورهم الدينى ففى غاية من التيقظ ، و النشاط فلا
أركان العالم مع أهل ملتهم اليهود إلا ويسمع له صدى كبير
و تنشط كل وسائلهم من ذكاء أذكيائهم و لقاءاتهم مع المسئولين عن الحكومة و جرائدهم و أجهزة إعلامهم للاهتمام بذلك الحدث ، و كذلك أغنياؤهم يتبرعون لاخوانهم بسخاء إذا رأوا حاجة إلى التبرع ، فمثلا إسرائيل التى هى فى الشرق الأوسط و لكنها تعتبر إحدى ولايات أمريكا فى الحقيقة ، الأمر الذى لا يتيح للعرب فرص الاستفادة من أمريكا فى هذه القضية و جلب اهتمامها بحقوقهم ، وإلا فان عدد اليهود فى أمريكا ليس مما يمنحهم سيطرة على أمريكا ، فلا يبلغ عددهم إلا ستة ملايين و زيادة ، رغم أن عددهم فى مدينة نيويورك ذو أهمية و تأثير حيث إنهم يلعبون دوراً حيوياً فى انتخابات هذه الولاية

الفرق بين اليهود و المسلمين فى استخدام مؤهلاتهم للصالح القومية ·

يستخدم اليهود فى أمريكا و سائلهم المؤثرة بذكاء و دهاء لمصالحهم القومية فى اتفاق و انسجام ، و هنالك يبدو الفرق واضحاً جلياً بينهم و بين المسلمين الذين

يفوقونهم فى العــدد أضعافاً كثيرة ، و يبلغ تمثيلهم ٢٥ ٪ بين الدول الأعضـاء للمؤسسة العالمية ، إنهم إذا اتحدوا لمصالحهم واهتموا بها قليلا لن تتضرر مصالحهم فى أى جزء من العالم ، أضف إلى ذلك مالهم من احتكار لعديد من ثروات العالم المهمة وخيراته القيمة وهى قوة ربما يستطيعون أن يستخدموها لاخضاع دول العالم للاعتراف بالحق ، ولكن من سوء حظنا أننا نهمل الجانب العملى ونبذل طاقاتنا فى شتم العدو .

و مما يجدر بالذكر فى اهتمام اليهود بمشكلات إخوانهم و العطف على قضاياهم فى أى جزء من أجزاء العالم ، أن إسرائيل لما واجهت تضايقاً و ضعفاً فى حرب ١٩٧٣ م بين مصر و إسرائيل كان اليهود فى أمريكا يبعثون نفسه طبية و يشحنون الأدوية و الحاجيات الأخرى مع جماعة من الأطباء الأمريكيين لاسعاف إسرائيل كل جمعة من نيويورك على طائرات خاصــة إلى تل أبيب ، فكان هؤلاء الأطبـاء يقومون بالاسعاف الطبى يومين كل أسبوع من السبت و الأحــد و يرجعون إلى وظائفهم فى نيويورك صباح الاثنين ، و هكذا فانهم لم يدخروا وسعاً فى خدمــــة مصالحهم الوطنية أو القومية ، و إنها لنقطة مهمة جداً لا يمكن أن نقلل من قيمتها بتأويل أن لديهم ثراءاً كبيراً ، فلم يمنعهم شئ عن إنفـاق أموالهم الخطيرة فى مثل هذه الخدمات ، و إننى أعتقد أن القيام بالرحلة بين نيويورك وتل أبيب كل أسبوع وبذل جزء كبير من المال والوقت فى هذا السبيل لايمكن بدون الاهتمام الكبير و الاعتناء المخلص بالقضيـة .

و قد أفادنى أحد الأخوة ضمن الحديث عن الجهود و الاهتمامات اليهودية فى الولايات المتحدة أن زيادة عطلة يوم السبت مع يوم الأحد جزء من الدهاء اليهودى ، إذ أن غايتهم الوحيدة منها هى تعطيل يوم السبت نظراً إلى قدسيتــه و كونه يوم عبادتهم ، فاحتجوا فى ذلك بتوفير التسهيلات للعمال و الموظفين و قــد انتج تحكم اليهود فى الولايات المتحدة ثقافياً ومالياً أن الخلاعة و الدعارة لم تعد هنا أمراً منكراً وذلك فى الواقع مؤامرة يهودية خالصة تستهدف تدهور وإسفاف العالم كله إشفاءاً لغليل العقلية اليهودية الانتقامية .

دراسة عن الحضارة الاسلامية و منحها العالمية

(٢)

محمد صدر الحسن الندوى

٢- المساواة و المواساة :

التمييز العنصرى الذى نال تشجيعاً كبيراً فى الحضارات العالمية ...
الاسلام فحسب بل رفضه رفضاً قاطعاً ، ولا التفاوت الط...
على أساس الأحساب و الأنساب كاليهود و النصارى
الأعمال والأخلاق ، والانسان كلهم سواسية ، لافضل لا...
يتمتع بهذه وتلك ، وغيره لايتمتع منها فى نقير ولاقطمير ، بل قدم الاسلام أمام العالم أروع قانون رئيسى فى قولته البليغة الموجزة المعجزة ، فقال : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة و خلق منها زوجها و بث منهما رجالا كثيراً و نساءاً ، و اتقوا الله الذى تساءلون به و الأرحام ، إن الله كان عليكم رقيباً (١) » وقال : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر و أنثى و جعلناكم شعوباً و قبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم (٢) ».

نسوق هنا أمثلة خلدها التاريخ للحضارة الاسلامية و دورها فى بث المساواة و الكرامة الانسانية .

سرقت امرأة من بنى مخزوم فى عهد النبى ﷺ وجئ بها إليه لتعاقب ، فأهم

(١) النساء : ١ (٢) الحجرات ١٣ .

ذلك قريشاً وقالوا : من يشفع لنا عند رسول الله ﷺ فى إسقاط الحد عنها، ثم ذكروا أن أسامة بن زيد حبيب إلى قلب رسول الله ﷺ فكلموه فى أن يشفع لها عنده ، فكلمه بذلك فغضب عليه الصلاة و السلام غضباً شديداً ، و قال لأسامة : أتشفع فى حد من حدود الله ؟ ثم قام فى الناس خطيباً ، فقال : إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم إذا كان سرق فيهم الشريف تركوه ، و إذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، و أيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها (١) .

مر عمر بن الخطاب رضى الله عنه بباب قوم وعليه سائل يسأل، شيخ كبير ضرير البصر ، فضرب عضده من خلفه ، و قال : من أى أهل الكتاب أنت ؟ فقال : يهودى ، فقال : فما ألجأك إلى ما أرى ؟ قال : أسأل الجزية و الحاجة و السن ، فأخذ عمر بيده و ذهب به إلى منزله ، فرضخ له بشئ من المنزل ، ثم أرسل إلى خازن بيت المال ، فقال : أنظر هذا و ضرباءه ، فوالله ما أنصفنا ، إن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم ، و وضع عنه الجزية و عن ضربائه (٢) .

قال أسلم : خرجنا مع عمر رضى الله عنه إلى حرة واقم ، حتى إذا كنا بصرار(٣) إذا نار تؤرث فقال : يا أسلم إنى أرى هاهنا ركاناً قصر بهم الليل والبرد انطلق بنا ، فخرجنا نهرول حتى دنونا منهم ، فإذا بامرأة معها صبيان و قدر منصوبة على نار ، و صبيانها يتضاغون ، فقال عمر : السلام عليكم يا أهل الضوء ، و كره أن يقول : يا أهل النار ، فأجابته المرأة ، وعليكم السلام! فقال : أ أدنو ؟ فقالت أدن بخير أو دع ، فدنا منها ، فقال : و ما مالكم ؟ قالت : قصر بنا الليل والبرد

(١) رواه البخارى فى صحيحه .

(٢) كتاب الخراج ص ١٣٦ .

(٣) مكان على مقربة من المدينة .

و قال و ما بالَ هؤلآء الصبية يتضاغون ؟ قالت : الجوع ! قال . و أى شئ فى هذه القـــــدر ؟ ماء أسكتهم به حتى يناموا ، والله بيننا و بين عمر ! فقال : أى رحمك الله ، و ما يدرى عمر بكم ؟ فقالت يتولى أمرنا ثم يغفل عنا ؟ فأقبل على فقال انطلق بنا !

فخرجنا نهرول حتى أتينا دار الدقيق ، فأخرج عدلا من دقيق و كبة من شحم ! و قال . احمله على ! قلت : أنا احمله عنك ، قال : أنت تحمل وزرى يوم القيامة لا أم لك .

فحملته عليه ، فانطلق و انطلقت معه ، إليها نهرول ، وألق ...

وأخرج من الدقيق شيئاً فجعل يقول لها : ذرى على وأنا

ينفخ تحت القدر ، و كانت لحيته عظيمة ، فرأيت الدخان

طبخ لهم ، ثم أنزلها و أفرغ الحريرة فى صحفة و هو يقو

أسطح لهم (أى أبرده) و لم يزل حتى شبعوا وهى تقول له جزاك الله خيرا . كنت بهذا الأمر أولى من أمير المؤمنين » (٢) .

قدم الاسلام هذه التوجيهات أمام العالم قبل أربعة عشر قرناً ، و بفضل هذه التعليمات عم جو من الهدوء و الطمأنينة ، و هبت ريح من الأخوة و المساوات و المؤاساة و الكرامة الانسانيــة ، و حسب الناس كأنهم فى عالم جــديد ، عالم لا يعرف فوارق الألوان والدماء و الأواصر ، و العصور و الأمصار ، والشرق و الغرب ، و الأسود و الأحمر ، و الرئيس و المرؤس و الخادم و المخـــدوم و المالك و المملوك ، كان العـدل و المساواة نصب أعينهم فى كل ثانيــة من ثوانى

(١) أى اتخذ لك حريرة ، و هى الحساء من الدقيق و الدسم .

(٢) عبقرية عمر ، عباس محمود العقاد ص ٥٣ ، ط ٥ .

الحياة ، كانت تتمثل هذه الآية الكريمة أمام أنظارهم دائماً ، وهى : « لا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا ، إعدلوا هو أقرب للتقوىٰ » .

و قد سمعنا رنين بعض هذه التوجيهات فى ١٨٥٩ م فى صورة إلغاء الرق أعلنه إبراهيم لنكون حينما نشأت فى الغرب حركة تحرير العبيد ، وكان ذلك صدى للتعاليم الاسلامية .

لكن الغرب - فى صورة عامة - لم يلتفت إلى هذا القانون العام الشامل الذى يتعلق بالانسان وحقوقه إلا بعد مضى قرون كثيرة بعد الاقتباس من مشكاته حينما توطدت العلاقات بينه و بين البلدان الاسلامية و تعرفوا على تلك القوانين التى يحتوى عليها الاسلام فى هذه القضية ، حتى فى عقب الثورة الفرنسية فى القرن الثامن عشر أعلن عن حقوق الانسان والمواطن سنة ١٧٨٩ م و تلى ذلك الاعلان العالمى لحقوق الانسان الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ديسمبر١٩٤٨م ثم أدت تلكما الاتفاقيتان الدوليتان الخاصتان بحقوق الانسان اللتان نالتا المصادقة الاجماعية من الجمعية الأممية فى ١٦ ديسبر ١٩٦٦ م و كان هدف هذه المواثيق و القوانين وضع قواعد و أسس لحماية الانسان و صون كرامته و الدفاع عن جميع حقوقه فى الحياة و التملك ، و الحرية فى العقيدة و التفكير و التصرف و المساواة أمام القضاء و التعليم و المسكن و غير ذلك من حقوق ، تحقق الحياة الكريمة له كانسان » (١) .

و هنا نكتفى بايراد قصتين حدثت مع المماليك فى الغرب ، مما يتندى له جبين المروءة و الانسانية .

« يقول مترجم إبراهام لنكون (الرئيس الأمريكى الذى قتل فى سنة

(١) مقتبس عن تقرير رابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة .

١٨٦٥م) برعاى جورج ، فى سنة ١٦١٩م حدث أن سفينة للاسطول البحرى البلجيكى حينما أرست على شاطئ جيمس تاؤن (James Town) لم تكن الأغذية متوفرة لملاحى السفينة ، و كذلك كانت الخمور قد نفدت و لم تكن عندهم العملة الأجنبية ، فلجأوا إلى أن قالوا لسكان المدينة ، أن توفروا لنا الخمور و سنعوضها أشياء ثمينة نافعة قابلة للاستخدام .

كانت هذه الأشياء التافهة و الصالحة لاستخدام أولئك الرجال السود من سكان أفريقيا الذين كانوا مصفدين فى السلاسل الحديدية من أخمص القدمين إلى ناصية الرأس و جرت مساومة عشرين رجلا و حصل طاقم السفينة على مقدار ضئيل للخمر » .

« كانت النساء و الرجال و الولدان يستوردون

الثعالب و الأكباش من الغابات ، و كانت تجرى تجارب

و لرؤية كلية الانسان الحى كان الرجل ينشر قائماً .

كانوا إذا احتاجوا إلى صيد التمساح من البحر حيا ، كان الرضيع الأفريقى يراش فى شص الصيد حياً ، و كان يلقى فى البحر لصيد التمساح و الأسماك .

نشأ فى الراس خيال بأن استخدام جلد الانسان موضع القرطاس قد يكون نافعاً فسلخت جلود عدة رجال من الأفريقيين ، ثم دبغت فى الشمس و انتسخت عليها الوثائق بعد ذلك ، و هى توجد حتى الآن فى المكتبة العامة لجامعة هارورد .

كيف يترتب تأثير السم على الجسم الانسانى ، و بأى سم يموت الانسان فى أى ساعة ، أجريت هذه التجربة على أولئك العبيد الأفريقيين ، إلى كم نوع تقسم الحيات و هل يوجد علاج للدغ حية دون حية ، أجريت هذه التجربة على أجساد أولئك العبيد عدة مرات » .

و أسمعوا الآن قصة اليهود فقد كانت جماعة من الضباط و رؤساء الحرب اليهود مشغولين فى الميسر و شرب الخمر على الجبهة العسكرية فى حيفا سنة ١٩٣٨م فينشأ النوع الطريف للميسر فى رأس ضابط .

« أحضرت ثلاث نسوة عربيات من الأسارى ، و اشترط ضابط الجيش فيما بينهم ، قال أحدهم إن الجنين الذى يوجد فى بطن هذه المرأة هو ذكر و قال الآخر إنه أنثى ، ثم اشترط خمسة دولارات ، و شق بطن تلك المرأة بالسونكى ثم يحصل الناجح فى الشرط على خمسة دولارات ثم يبدأ الضحك بالقهقة ، ثم يؤتى بالمرأة الثانية و يسجون نفس ذلك المسلك مع تلك المراة ، ثم تحضر المرأة الثالثة فيقول هذا الضابط الجرىء الشجاع ، إن الجنين لم يبلغ المرحلة التى يميز فيها الذكر من الأنثى ، فيقول صاحبه فلا بد لنا أن نشترط على هذا ، أن حملها إلى أى حد بلغ » (١) .

و يحلو لى أن أضيف إليهما قصة واحدة فحسب ، وهى حدثت مع المماليك فى أكبر هجرة معروفة ، عبروا فيها البحار وعانوا أثناء الرحلة البحرية من ظروف قاسية للغاية ، تقول راويها الكاتبة الأمريكية المسلمة مريم جميلة .

« إنهم جردوا عن الملابس ، و ضربوا بالسياط ، و كووا بقضبان الحديد المحمرة بالنار ، و صفدوا بالسلاسل الحديدية ، و اضطروا إلى العيش لأسابيع وشهور فى الحجرات المغلقة المنافذ (للسفينة) و أجبروا على الاستراحة والاضطجاع فى السلاسل و الأغلال ، و كانوا قد رصوا فيما بينهم بشدة فى الألواح الخشبة الخشبية التى ما كانت هناك أية فسحة فيما بينهم (٢) .

---

(١) مجلة الحق الباكستانية رمضان ١٤٠٠هـ .

(٢) Western imperialism Menaces Muslims P. 16 (1978)

٣- تشجيع للعلوم و المعارف :

جاء الاسلام ليهدى الناس إلى عبادة فاطر هذا الكون . وقد حث أتباعه على امتثال هذا الجانب المهم ، لكنه لم يغفل الجوانب الأخرى المهمة ، و منها العلوم و المعارف ، بل شجع على إتقان العلوم و الفنون بقوله : ﷺ « بعثت معلماً » فنبغ رجال ـ لا يحصيهم عدد ـ فى مختلف مجالات العلم و صاروا أساتذة العالم ، نقل الغرب هذه العلوم إليه ، و بذلك جاءت النهضة فى أوربا .

نقل « روبرت ريل كلـــك » قول « استــــين ودكوب » مؤسس « Progressive Education Society » فى كتابه « Educator »

و هو يقول « لو لا الاسلام لما كانت النهضة فى أوربا

وكذلك نقل الـ، كريم قول « جون ديون بورت

« Contribution to Science & Civilization » ـ و هو يقول

بأن العلوم التى انتشرت فى أوربا من القرن العاشر الميلادى سواء كان علم الطبيعة أو الفلك أو الفلسفة ، أو الرياضى ، كانت قد أخذت من المدارس العربية حقيقية و مسلمو أسبانيا هم مؤسسو الفلسفة الأوربية » (١) .

وقد عد لكلرك فى تاريخ الطب العربى ثلاثمائة كتاب نقلها الغرب من العربية إلى اللاتينية ، و لذلك نجد فى المصطلحات الطبية كثيراً من الألفاظ العربية التى نقلت إلى الطب بتغيير يسير، نقلت هذه الألفاظ إلى الغرب بطريق أفريقيا الشمالية وأسبانيا و طليطلة ، نذكر على سبيل المثال بعض الألفاظ منها ، ذكرها البروفيسور حتى فى كتابه « تاريخ العرب » منها (Gulap) هو من « جلاب » و « Syrup » هو من « الشراب » و « Soda » هو من « الصداع » و « Gingir » و هو من « زنجبيل » و « Suger » و هو من « السكر » .

---

(١) مجلة « الاسلام والعصر الحديث أبريل ويونيو ١٩٧٩ م (جامعة ملية دهلى)

ومن المعلوم أن المؤلفين العرب أكثروا فى تأليف الكتب فى الطب وأجادوا فيها ، و هذبوها و أتقنوها ، نذكر منها بعض المؤلفات الطبية التى كانت لها جولة وصولة و كانت تعد من أنفس الكتب فى هذا الفن ، و هى :

١ـ كتاب النبات و الشجر للاصمعى م٢٤١هـ ـ ٢ـ كتاب النبات و الشجر للاقص م٢١٤ هـ ـ ٣ـ كتاب النبات لأبى حنيفة الدينورى م٢٨١هـ ـ ٤ـ كتاب الشجر لابن خالويه م٣٧٠هـ ـ ٥ـ كتاب الفوز الأصغر لابن مسكويه م٤٢١هـ ـ ٥ـ القانون لابن سيناء ١٤ جزءاً م٤٢٨هـ ـ ٧ـ كفاية الطبيب فيما صح لديه من التجارب لابن رضوان م٤٥٣هـ ـ ٨ـ كتاب تقويم الصحة لابن بطلان م٤٥٥هـ ـ ٩ـ كتاب فى قوى الأدوية المفردة لابن الهيثم البصرى م٤٣٠هـ ـ ١٠ـ الأمراض العارضة لابن بطلان م٤٥٥هـ ـ ١١ـ دعوة الأطباء لابن بطلان م٤٥٥هـ ـ ١٢ـ التيسير فى المداواة و التدبير لابن زهر م٥٥٧هـ ـ ١٣ـ كتاب الجامع فى الأشربة و المعجونات لابن زهر م٥٥٧هـ ـ ١٤ـ كتاب الأغذية لابن زهر م٥٥٧هـ ـ ١٥ـ كتاب الأعشاب الطبية لأحمد بن خليل الغافقى م ٥٦٠هـ ـ ١٦ـ كتاب النبات لرشيد الدين الصورى م ٦٣٩ هـ ـ ١٧ـ كتاب الأدوية المفردة لرشيد الدين الصورى م ٦٣٩هـ ـ ١٨ـ ميزان الطبيب لابن البيطار م٦٤٦هـ ـ ١٩ـ كتاب المغنى فى الأدوية المفردة لابن البيطار م٦٤٦هـ ـ ٢٠ـ جامع مفردات الأدوية و الأغذية لابن البيطار م٦٤٦هـ ـ ٢١ـ كتاب المختار فى ألف عقار لرشيد الدين أبى حليفة م٧٠٠هـ ٢٢ـ كتاب العقاقير للبيرونى م١٠٤٦هـ (١)

و لذلك اضطر المؤرخ الكبير جوستاف لبون إلى الاعتراف بهذه الحقيقة هو يقول : لم يدخل العلم أوربا فى الحروب الصليبية كما هو الرأى الشائع بل دخل بواسطة الاندلس و صقلية ، و فى سنة ١١٣٠ م أنشئت مدرسة للترجمة فى طليطلة بعناية ريموند رئيس الأساقفة وأخذت تترجم إلى اللاتينية أشهر مؤلفى العرب (٢)

---

(١) راجعوا للتفصيل « طبقات الأطباء » للأنبارى و« تاريخ آداب اللغة العربية لبروكلمان .

(٢) الاسلام و الحضارة العربية ص ٢٠٦ ج ١ .

دراسات وأبحاث

البحث الاسلامى ، أهدافه و مناهجه

(٣)

الأستاذ محمود أحمد غازى
إســــــلام آباد باكستان

تأثير الفكرى الاستعمارى فى تفكير المسلمين

أثر الفكر الاستعمارى العلمانى تأثيراً عميقاً فى تفكير المسلمين اليوم ، و لعل أهم مظهر من مظاهر هذا التأثير هو ظهور فكرة تفريق الدين عن الدنيا ، و أن لقيصر ما لقيصر و لله مالله ، فطائفة من المسلمين تؤمن بهذه العقيدة الفاسدة إيماناً شعورياً تعمدياً ، وطائفة منهم تؤمن بها بدون أن تشعر بها ، ولنعم ما أشار الأستاذ أبو الحسن على الندوى إلى مظاهر هذا التأثير الفكرى والانهزام الثقافى والحضارى أمام الغرب وإلى ظلال التفكير الغربى فى الجيل المثقف ، يقول الأستاذ الندوى :

« إن الالحاح على كون الدين قضية شخصية لا علاقة لها بالدولة و الحكم ، و المعاملة مع الاسلام كمعاملة الكنائس المسيحية ، و نظرية فصل الدين عن الدولة و الاعتقاد بأن الدين عائق فى سبيل النهضة و الاكتشافات و التحقيق ، و إقامة علماء الاسلام فى صف ممثلى الكنيسة المسيحية الذين كانوا يملكون السلطة المطلقة فى العصور المتوسطة ، و إعطاء المرأة حق الاسهام فى جميع أمور الحياة و كفاحها (السياسى و الاجتماعى و العسكرى و الخروج مع الرجل متكاتفة متساوية (فى حقول السياسة و الاجتماعيات و العسكريات ، و إلقاء حبلها على غاربها فى كسب

الرزق لها و الحصول على القوت ، ورفض الرجل عن تحمل مسئولية توفير النفقة و القوت لزوجتها و أمها و أختها وبنتها) و جعل الحجاب - فى أى شكل كان - تذكاراً لنظام الحرم القديم فى الشرق ، و علامة استبداد الرجل بالمرأة ، و القضاء عليه خطوة أولى نحو الاصلاح و التقديم ، و الاعتقاد بأن قانون الوراثة والنكاح و الطلاق اجتهاد فقهاء المسلمين فى العصور المتوسطة و نتيجة طبيعية للمجتمع البدائى المحدود الذى وجد فى القرنين السابع و الثامن الميلاديين ، و إدخال التعيير والاصلاحات فى ذلك المجتمع وصوغه فى قالب المجتمع الغربى بتطبيق المبادىء الغربية ومعاييرها عليه ، فريضة الساعة و واجب الوقت ، وصرف النظر

و الميسر ، و عن العلاقات الجنسية المطلقة ، و الايمان

الوثنية) و الاندفاع نحو إحياء الحضارات القديمة و الله

بأهمية الخط اللاطينى (و قداسته) و فوائده ، كل هذ

و ما أشبهها التى تحتل محل الحقائق الثابتة لدى الجيل المثقف و تعد من امارات التنور والنهضة والتقدم ، كل ذلك نتيجة نظام التعليم الغربى وبيئته الفكرية ، و جوه العلمى العقلى و تراثه التاريخى » (١)

هذه العقلية المنهزمة كانت سبباً لما نراه اليوم من الالحاد الفكرى و الردة الثقافية والفكر الحضارى ، وكانت هذه العقلية بدورها نتيجة للهزيمة السياسية والثقافية للمعسكر الاسلامى أمام الزحف الغربى الجارف ، و تجلت هذه العقلية المنهزمة فى كتاب السير سيد أحمد خان وعلى عبد الرزاق و كل من تولى كبر حركة التفرنج الفكرى و الثقافى فى البلاد الاسلامية (٢) والذى زاد الطين بلة هو إضافة العصر

---

(١) أبو الحسن على الحسنى الندوي : نحو التربية الاسلامية الحرة ص ٤١ - ٤٢ .

(٢) راجع للبسط فى هذا الموضوع : الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى ، للدكتور محمد البهى .

الشيوعى فى هذه العقلية المنهزمة ، و لم تكتف الحركة الشيوعية بنشر آرائها و بث نظرياتها فى العالم الاسلامى ، بل قامت بشن الحملات المنظمة و تدبير المؤامرات المدروسة المدققة لتشويع العالم الاسلامى و استعماره من جديد استعماراً أفظع وأبشع و أشد وقاحة من الاستعمار الغربى السابق ، وكانت نتيجة هذه المؤامرات و الحملات أن أصبح العالم يتكتل بتكتلات عقائدية و نظرية و فكرية ، و تحاول كل كتلة عقائدية أن تقنع الجنس البشرى بصدق نظريتها ونظامها الفكرى وصلاحيتها لهذا العصر ، و قام دعاة كل كتلة و حماة كل نظرية بشن الحملات الهجومية لبث عقائدهم و نشر آرائهم ، و ظهرت فى العالم أنواع لا تعد و لا تحصى من الالحاد و الفكر و الزندقة و أصبحت فلسفات مستقلة و نظامات متناسقة لها من الدعاة والرعاة والحماة أكثر ما للديانات السماوية ، يدعون خلق الله إليها ويشككون أبناء العالم الاسلامى و يفسدون شبابه ، فالاباحية لها دعاة ورعاة و أصوات و أقلام ، و للعراة دين يدعون الناس إليه ، و الشيوعيون فى مقدمتهم جميعاً تأثيراً و نشاطاً و تنظيماً ، ذلك لأن الروحية الالحادية و العلمانية التى تسربت إلى أنظمة التربية و التعليم و المؤسسات الثقافية فى عالمنا الاسلامى هى التى تقدم إلى الشيوعية ترحيباً حاراً ، فان الشيوعية و الالحاد توأمان يهدفان إلى استئصال جذور الاسلام .

ونرى نتائج هذه الحملات أن الأمر قد استفحل و وجدت الشيوعية أنصارها و أعوانها فى كل بلد إسلامى ، و مع الأسف نجحت فى إقناع عدد غير قليل من من أبناء العالم الاسلامى بصدق أفسد نظام وأبطل نظرية أنشأتها شياطين الانس ، و نحن لم نقنعهم بحقية الاسلام و صدقة و صلاحيته لكل زمان و مكان ، و نرى مع الأسف جماعة من أهل العلم من أبناء العالم الاسلامى تأثروا بالفكر الشيوعى تأثراً كاملا ، بل و تصبغوا بالصبغة الشيوعية ، و أضرب لذلك أمثلة

الدكتور مبشر حسن و الدكتور سبط حسن من زعمـــاء المفكرين اليساريين في باكستان ، فانهما فسرا التاريخ الاسلامي في مؤلفيهما (بفتح اللام) تفسيراً شيوعياً خاصاً ، وحاولا إجلال شخصيات مردودة أمثال بابك الخرمي وأبي مسلم الخراساني وابن مقفع والحسن بن الصباح و أمثالهم ، ولعل أول نموذج ظهر للتأثير الماركسي في تفكير المسلمين هو كتاب « من هنا نبدأ » لخالد محمد خالد الذي يعرفه الاحوال العرب معرفة كاملة .

والمؤسف المؤلم أن هؤلاء المسلمين المتشوعين لم يدرسوا سيرة رسول الله ﷺ لا و حاولوا تفسيرها تفسيراً شيوعياً ، وأذكر أن الدكتور عبد الرحمن الشرقاوي ... كتاباً ، أعتقد في الستينات ، باسم « محمد رسول الـ... شر سنوات ، و لا أذكر محتويات الكتاب بالضبط ، و ... نموذجاً جيـــداً للتأثير الشيوعي في الفكر الاسلامي ،

ويرحمه ، إذا لم يتعمد و يهديه إذا تعمد ، يعبر سيرة رسول الله ﷺ تعبيرا ديناميكياً جـــدلياً ، و يفسر الحوادث تفسيراً مادياً بحتاً ، و يكثر من استعمال مصطلحات الشيوعيـــة من اليمين و اليسار و اليمين المتطرف و اليسار المتطرف ، ... أن صحابة نبينا ﷺ برآء من كونهم يمينيين أو يساريين .

حاجتنا إلى ثورة في التفكير

يشهد التاريخ الانساني الطويل و ظهور الحضارات و الثقافات و المدنيات سقوطها في مختلف بلاد العالم وعهود من عهود تاريخها أن الله عز وجل كتب ...دم و التطور للأمم التي تتقدم في ميدان العلم و الفكر و الثقافة و التي تكون قيادة فكرية لما عـداها من البشرية و التي تعرف أسرار الكون و نظام العـالم ...فة لا تدانيها فيها أمم أخرى ، ولسنا بحاجة إلى الاتيان بالأدلة على هذه الحقيقة

الواضحة البينة ، فان كل من له إلمام بتاريخ صدر الاسلام و تاريخ النهضة الأوربية الحديثة و بتاريخ فشل المغول و التتار فى نيل زعامة العالم و قيادته يؤيد هـذه الحقيقية تاييداً كاملا .

وتهتم الأمم الحية فى العالم بالجهود الفكرية اهتماماً بالغاً كبيراً ، وتحاول أن تكون فيها جماعة غير قليلة العدد لتعكف على المساعى العلميـة و تواصل جهودها للحصول على المزيد والمزيد من المعرفة التامة للقوى العاملة فى نظام الكون و تكون أصابع هذه الجماعة دائماً على سيرة التاريخ ، و يقول المفكر الانكليزى هكسلى أنه لا بد لكل مجتمع رفاهيته و نهضته أن لا يزال فيه عـدد غير ضئيل للفكرين و أرباب الفهم و النظر ، و هذا هو الذى أشار إليـه القرآن الكريم فى قوله تعالى : « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين (التوبة : ١٢٢) . و قال رسول الله ﷺ : لا تزال عصابة من المسلمين يقاتلون على الحق ظـاهرين على من ناواهم إلى يوم القيامة (١)

و لا شك أن للبحث العلمى و المجهود الفكرى أهمية قصوى للأمم التى تؤمن بنظام خاص للحياة و نظرية خاصة للفكر و العقيدة و العمل ، و يجب على هـذه الأمم أن ترتب جميع المعلومات التى توفرت لديها فى مجالات الاجتماعيـات و الطبيعيات والانسانيات والدينيات فى صورة علوم منظمة و مرتبة ترتيباً وتنظيماً يلائم و يوافق نظام حياتهم و نظرية فكرهم و عقيدتهم و معاشهم و تدونها تدويناً يخدم هذا النظام و هذه النظرية و تساعدها فى تطويرهـا و تشييدها و تكون عوناً و مدداً و وسيلة لاقامة هذا النظام و تضمن بقاءه و سلامته .

(١) رواه أحمد بن حنبل عن معاوية بن أبى سفيان ، مسند الامام أحمد المجلد ٤ ص ٩٣ ،

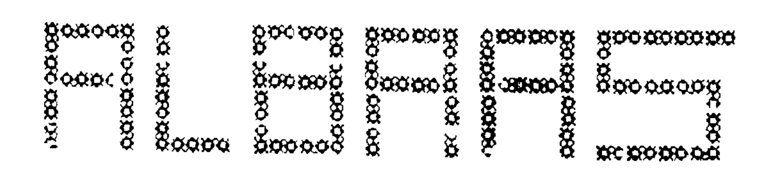
فاذا تقدمت أمة من الأمم فى هذه المعركة الفكرية والصراع الفكرى وسبقت غيرها من الأمم تكون صاحبة اللواء فى قيادة العالم وحائزة على العلم فى الزعامة فى ميادين العلم و الثقافة و الحضارة ، و تقلدها الأمم و تسلم أمام نظريتها للكون و تؤمن البشرية بنظام حياتها وفكرها وعقيدتها ، و يتخذ الناس الحضارة والثقافة و المدنية الناتجة من هذه النظرية وهذا النظام أسوة وقدوة لهم ، و تخرج العلوم كلها مصبغة بصبغة هذه النظرية و هذا النظام . و تصبح متشبعة بروحها ومصبوغة بصبغتها و مسبوكة فى قالبها .

وإذا فازت أمة و انتصرت فى معترك الفكر و

تكون فائزة و منتصرة فى المعارك الأخرى ، ويشهد

و الدافع الواضح كل مصالح خبير ، و قد أصبحت

فى عصرنا هذا ، عصر الفكر والعقيدة ، العصر الذى أصبحت فيه الدنيا كلها معترك الأفكار و العقائد ، فالأمة التى تدافع اليوم عن نفسها فى هـذا المعترك كتب لها السقوط والانهيار والذل و العبودية ، ولا تغنى عنها أسلحتها و أموالها ودولاراتها و بترولها و معادنها من الذل و السقوط و العبودية ، و هل الأموال والثروات بدون العقل و الفكر والعلم غير طعام من ضريع لا يسمن و لا يغنى من جوع .



ردود على شبهـــات حول قضايا إسلامية

دكتور عبـــد الكريم زيدان

أولا نظام تعدد الزوجات

١ـ تعدد الزوجات نظام إسلامى ، نص عليه القرآن الكريم ، و أكدت السنة النبوية الشريفة وعمل به مسلمون من عهد النبى ﷺ و حتى الآن ، ومصلحته ثابتة للزوج و المرأة و المجتمع .

٢ـ و التعدد مباح بشرط القدرة على أعبائه و توقع العدل بين الزوجات على أن التأكـد من تحقق هـذا الشرط متروك على ديانة المسلم و لا سلطان للقضاء عليه .

٣ـ والتعدد علاج حاسم لمشكلات فردية واجتماعية كثيرة الوقوع فى الماضى و الحاضر و المستقبل و منها مشكلة زيادة عدد النساء على عدد الرجال

٤ـ لا يجوز شرعاً المساس بهذا النظام بتحريمه أو تقييده .

٥ـ أخذ فى الوقت الحاضر بعض الكتاب الغربيين بالدعوة إليه ، كما طالبت به بعض الشعوب حلا لمشكلة زيادة النساء على الرجال .

ثانياً ـ معاملة النبى ﷺ لبنى قريظة

١ـ بنو قريظة ـ طائفة من اليهود سكنت أطراف المدينة ، عاهـدت النبى ﷺ على عدم معاونة من يهاجم المدينة و يقاتل المسلمين .

٢ نقضت العهد و عاونت المشركين يوم جاؤا و حاصروا المدينة والمسلمون يدافعون عنها من وراء الخندق الذى حفروه .

٣ـ أغارت على المدينة و المسلمون يدافعون عنها من وراء الخندق مما جعلهم يحاربون فى جبهتين : جبهة اليهود وجبهة المشركين المحاصرين للمدينة .

٤ـ بالرغم من جريمة اليهود لم يعلنوا أسفهم و لا اعتـــدارهم و لا طلبوا العفو من النبى ﷺ بل شتموا المسلمين و نالوا من عرض النبى ﷺ عندما وصلتهم طلائع المسلمين لمحاصرتهم فى حصونهم .

٥ـ طلبوا أن يحكم بينهم وبين النبى ﷺ سعد بن معاذ فقبل النبى ﷺ بذلك

٦ـ حكم عليهم سعد بن معاد بقتل مقاتلتهم و ...
دلك فيهم .

٧ـ اقتراح البديل لعقابهم باجلائهم عن المدينة :
يعنى طلب التسامح معهم ، و هم لم يطلبوه ، ولأن فى ......
تحريضهم للشركين على قتال المسلمين كما فعل رؤساء بنى النضير الذين أجلاهم النبى ﷺ ، إذ حرضوا قريشاً و غطفان على قتال المسلمين ، و قد استجابوا لهم

٨ـ عقوبتهم بما ذكرناه عقوبة عادلة إذا استحضرنا فى ذهننا جريمتهم ، و لا يجوز أن يطلب لهم أكثر من العدل فى العقاب و هو موفور فى عقوبتهم

ثالثاً ـ الحروب و الغزوات فى الاسلام

١ـ الحرب فى الاسلام تقوم دفعاً للاعتداء عن المسلمين ، و إزالة لكل كيان باطل لا يقوم على شرع الاسلام ، لأن هذه الازالة من قبل إزالة المنكر من الأرض فاذا زال برضا أهل الباطل بأن يسلموا فيها و إلا فدفع الجزية فان أبوا فالقتال .

٢ـ ليست الحرب فى الاسلام لاكراه الناس على اعتـــاق الاسلام لأنه « لا إكراه فى الدين » ولأن الاسلام شرع الجزية التى تؤخذ من غير المسلم الذى

يدخل فى ذمة المسلمين، ولو كان القتال فى الاسلام لادخال الناس فى الاسلام كرهاً لما شرعت الجزية و لا عقد الذمة ، وإنما القتال لازالة حكم الكفرة من الأرض .

٣ـ فاذا أزيلت الكيانات الباطلة من الأرض و صار الحكم للسلمين وطبقت أحكام الاسلام ، و ترك الناس أحراراً ينظرون فى معانى الاسلام و يشاهــدون عدل الاسلام ، فهذا قد يحملهم على اعتناق الاسلام فيسعدون به فى الدنيا والآخرة و من فاتته نعمة الاسلام و أصر على كفره فلا تفوته نعمة عدل الاسلام .

رابعاً ـ الحدود فى الاسلام

١ ـ الحدود فى الاسلام هى العقوبات التى قدرها المشرع لبعض الجرائم حقاً لله تعالى ، لعظيم خطرها و لتعلق حق العامة بها

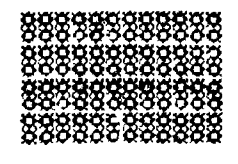
٢ـ و هذه الحدود هى عقوبة الزنا والقذف وشرب الخمر و السرقة والحرابة و البغى و الردة .

٣ـ فى العقوبات مقادير كافية من الاسلام تكفى للردع و الزجر ، فهى بقدر هذه الجرائم ، و من ثم فهى عقوبات عادلة .

٤ـ القول بأنها قاسية لا يعنى عدم عدالتها

٥ـ القول بأنها قديمة لا يعنى عدم صلاحيتها ، لأن الصلاحية تستمد من ذاتها لا من تاريخ تشريعه .

القول بأن فيها جلد و بتر أعضاء، فالجلد لا يزال مطبقاً فى الوقت الحاضر كما إن قطع الرأس لا يزال موجوداً فى الوقت الحاضر ، و الرأس أهم من اليد فاذا جاز قطع الأهم لجواز قطع ما دونه أهون .



الفقه الإسلامية

التلقيح الصناعى فى الاسلام

الدكتور يوسف القرضاوى

التلقيح الصناعى .

إذا كان الاسلام قد حمى الأنساب بتحريم الزنا و تحريم التبنى ، و بذلك تصفو الأسرة من العناصر الغريبة عنها ، فانه يحرم ما يعرف « بالتلقيح الصناعى » إذا كان التلقيح بغير نطفة الزوج بل يكون هذه الحالة كما قال الأستاذ الأكبر الشيخ شلتوت ـ « جريمـــة منكرة و إثماً عظيماً ، يلتقى مع « الزنا » فى إطار واحد ، جوهرهما واحد ، و نتيجتهما واحدة ، وهى وضع ماء رجل أجنبى قصداً فى حرث ليس بينه و بين ذلك الرجل عقد ارتباط بزوجية شرعيـة يظلها القانون الطبيعى ، و الشريعة السماوية ، و لو لا قصور فى صورة الجريمـــة ، لكان حكم التلقيح فى تلك الحالة ، هو حكم الزنا الذى حددته الشرائع الالهيـة ، و نزلت به كتب السماء .

و إذا كان التلقيح البشرى بغير ماء الزوج على هذا الوضع و بتلك المنزلة كان دون شك أفظع جرماً ، و أشد نكراً من التبنى ، فان ولد التلقيح يجمع بين نتيجة التبنى المذكور ، و هى إدخال عنصر غريب فى النسب ، و بين خسة أخرى و هى التقاؤه مع الزنا فى إطار واحد تنبو عنه الشرائع و القوانين ، و ينبو عنه

المستوى الانسانى الفاضل ، و ينزلق به إلى المستوى الحيوانى الذى لا شعور فيه للأفراد برباط المجتمعات الكريمة » (١) .

انتساب الولد إلى غير أبيه يوجب اللعنة

وكما حرم الاسلام على الأب أن ينكر نسب ولده بغير حق ، حرم على الولد أن ينتسب لغير نسبه ، ويدعى إلى غير أبيه ، و عد النبى ﷺ ذلك من المنكرات الشنعاء التى تستوجب لعنة الخالق و الخلق ، روى ذلك من فوق المنبر على رضى الله عنه من صحيفة كانت عنده ، عن رسول الله ﷺ وفيها يقول « من ادعى إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه ، فعليه لعنة الله و ... لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً و لا عدلا » (٢

و عن سعد بن أبى وقاص ، عنه ﷺ أنه قال ... و هو يعلم أنه غير أبيه ، فالجنة عليه حرام » (٣)

لا تقتلوا أولادكم :

بعد أن حفظ الاسلام الأنساب على هذا النحو ، أوجب لكل من الولد و الوالد حقوقاً على الآخر ، تقتضيها الوالدية والبنوة ، و حرم على كل منهما أموراً تقتضيها صيانة هذه الحقوق و رعايتها .

فللولد حق الحياة ، و ليس لأبيه و لا لأمه أن يعتديا على حياته بالقتل أو الوأد ـ كما كان يصنع بعض العرب فى الجاهلية ـ والبنت و الابن فى ذلك سواء . قال تعالى : « ولا تقتلوا أولادكم من خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم ، إن قتلهم كان خطئاً كبيراً » الاسراء ١٣ « و إذا الموؤدة سئلت بأى ذنب قتلت » التكوير ٨ ، ٩

(١) أنظر الفتاوى للشيخ شلتوت ص ٣٠٠ .
(٢) متفق عليه (٣) أيضاً .

و مهما يكن الدافع إلى هذا المنكر ـ اقتصادياً كخشية الفقر و ضيق الرزق أو غير اقتصادى كخشية العار إذا كان المولود بنتاً ـ فان الاسلام يحرم هذا العمل الوحشى أشد التحريم لأنه قتل وقطيعة رحم، وعدوان على نفس ضعيفة، ولذلك سئل عليــه السلام : أى الذنب أعظم ؟ فقال ـ أن تجعل لله نداً و هو خلقك ! قيل ثم أى ؟ قال : أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك » (١) .

و قد بايع النبى النساء ـ كالرجال ـ على تحريم هذه الجريمة والانتهاء عنها « الا يشركن بالله شيئاً و لا يسرقن ولا يزنين و لا يقتلن أولادهن » (سورة الممتحنة ، ١٢) و من حق الولد على أبيه أن يحسن تسميته فلا ينبغى أن يسميه باسم يتأذى معه إذا كبر عليــــه و يحرم ، أن يسميه بعبد غير الله ، كعبد النبى وعبد المسيح ، ونحوه .

و للولد حق الرعاية ، و التربية و النفقة ، ولا يجوز إهماله ، أو إضاعته . قال عليــه السلام : « كلكم راع و كلكم مسئول عن رعيته » (٢) « كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت » (٣) « إن الله سائل كل راع عمــا استرعاه ، حفظ أم ضيع ، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته » (٤) .

التسوية بينهم فى العطاء :

ويجب على الأب أن يسوى بين أولاده فى العطية حتى يكونوا له فى البر سواء و يحرم عليه أن يؤثر بعضهم بمنحة أو عطاء بغير مسوغ و لا حاجــة ، فيوغر صدور الآخرين ، و يوقد بينهم نار العداوة والبغضاء ، و الأم كالأب فى ذلك .

(١) متفق عليه (٢) أيضاً .
(٣) أبو داؤد و النسائى و الحاكم .
(٤) أحمد و النسائى و أبو داؤد .

قال عليه السلام : « اعدلوا بين أبنائكم ، اعدلوا بين أبنائكم ، اعدلوا بين أبنائكم » (١) وقصة هذا الحديث أن امرأة بشير بن سعد الأنصاری طلبت إليه أن يخص ولدها النعمان بن بشير بمنحة مالية ـ كحديقة أو عبد ـ و أرادت توثيق هذه الهبة فطلبت منه أن يشهد على ذلك رسول الله ﷺ ، وذهب إليه فقال : يا رسول الله ، إن ابنة فلان ـ زوجته ـ سألتنی أن أنحل ابنها غلامی ـ عبدی ـ فقال ﷺ : « أله إخوة ؟ قال : نعم ، قال فكلهم أعطيت مثل ما أعطيته ؟ قال لا . قال : فليس يصلح هذا ، و إنی لا أشهد إلا على حق » (٢) .

« لا تشهدنی على جور ، إن لبنيك عليك من الحق أن ...

من الحق أن يبروك » (٣) « اتقوا الله و اعدلوا ...

و عن الامام أحمد أن التفاضل يجوز إن كان ...

لزمانة (عاهة) به أو نحو ذلك دون الباقين (٥) .

---

(١) مسلم و أحمد و أبو داؤد : ت ٢٧٤ .

(٢) ابن حبان فی « صحيحه » .

(٣) رواية أبی داؤد : ت ٢٧٥ ، (٤) الشيخان .

(٥) قال فی « المغنی » فان خص بعضهم لمعنى يقتضی تخصيصه مثل اختصاصه بحاجـة أو زمانة أو عمى أو كثرة عائلة أو اشتغاله بالعلم أو نحوه من الفضائل . أو صرف عطيته عن بعض ولده لفسقه أو بدعتـه أو لكونه يستعين بما يأخذه على معصية الله أو ينفقه فيها ، فقد روى عن أحمـد ما يدل على جواز ذلك لقوله فی تخصيص بعضهم بالوقف : « لا بأس به إذا كان لحاجة و أكرهـه على سبيل الأثرة و المعطية فی معناه » ج ٥ ص ٦٠٥ .

الوقوف فى الميراث عند حدود الله :

و مثل ذلك الميراث ، فلا يحل لوالد أن يحرم أولاده من الميراث : لا يحل له أن يحرم الاناث أو يحرم أولاد زوجة غير محظية عنده .

كما لا يحل لقريب أن يحرم قريبه المستحق من الميراث بحيلة يصطنعها ، فان الميراث نظام قرره الله بعلمه و عدله و حكمته ، و أعطى به كل ذى حق حقه ، و أمر الناس أن يقفوا فيه عند ما حدده و شرعه ، فمن خالف هذا النظام فى تقسيمه و تحديده فقد اتهم ربه .

وقد ذكر الله شؤن الميراث فى ثلاث آيات من القرآن ، قال فى ختام الآية الأولى ، « آباؤكم و أبناؤكم ، لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً فريضة من الله ، إن الله كان عليماً حكيماً » سورة النساء ١١

و قال ختام الآية الثانية : « غير مضار ، وصية من الله و الله عليم حكيم . تلك حدود الله و من يطع الله و رسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها و ذلك الفوز العظيم ، و من يعص الله و رسوله و يتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها و له عذاب مهين » سورة النساء ١٢ ، ١٣ .

وقال تعالى فى ختام الآية الأخيرة من الميراث : « يبين الله لكم أن تضلوا و الله بكل شئ عليم » آخر سورة النساء .

فمن خالف عما شرع الله فى الميراث فقد ضل عن الحق الذى بينه الله ، و اعتدى على حدود الله عز وجل ، فلينتظر وعيد الله « ناراً خالداً فيها و له عذاب مهين » .

عقوق الوالدين من الكبائر :

و للوالدين على الولد حقوق تتمثل فى البر و الطاعة و الإكرام ، و هو

ما تنادی به الفطرة ویوجبه الوفاء و العرفان بالجمیل ، و یتأکد ذلك فی حق الأ
فانها قاست من آلام الحمل و الوضع و الارضاع و التربیة ما قاست ، قال تعالی
« و وصینا الانسان بوالدیه إحساناً ، حملته أمه کرهاً ، و وضعته کرهاً ، و حمله
و فصاله ثلاثون شهراً » سورة الأحقاف . ١٦ .

و جاء رجل یسأل النبی ﷺ : « من أحق الناس بحسن صحابتی ؟ قال
أمك . قال : ثم من ؟ قال : أمك قال ثم من . قال : ثم أمك قال ثم
من ؟ قال : أبوك » (١) .

وجعل النبی علیه السلام عقوق الوالدین من أکبر ا
بعد الشرك بالله تعالی – کما هو صنیع القرآن – فی
بأکبر الکبائر ثلاثاً ، قالوا : بلی یا رسول الله ، قا
الوالدین ، و کان متکئاً فجلس فقال ، ألا و قول الزور ر

و قال علیه السلام : « ثلاثة لا یدخلون الجنة ، العاق لوالدیه . و الدیوث
و الرجلة (المتشبه بالرجال) » (٢) .

و قال « کل الذنوب یؤخر الله منها ما شاء إلی یوم القیامة ، إلا عقوق
الوالدین فان الله یعجله لصاحبه فی الحیاة قبل الممات » (٣) .

وأکد الوصیة بالوالدین حین یبلغان الکبر ، وتهن قوتهما ، و تشتد حاجتهما
إلی مزید من العنایة بشئونهما ، و الرعایة لمشاعرهما المرهفة ، و فی ذلك یقول
القرآن ، « و قضی ربك أن تعبدوا إلا إیاه و بالوالدین إحساناً إما یبلغن عندك

---

(١) متفق علیه .
(٢) النسائی و البزار باسنادین جیدین و الحاکم .
(٣) الحاکم و صحح إسناده .

الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف و لا تنهرهما و قل لهما قولا كريماً ، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة و قل رب ارحمهما كما ربيانى صغيراً » (سورة الاسراء : ٢٣ ، ٢٤) .

و قد ورد فى الآثار تعقيباً على هذه الآيات : لو علم الله فى العقوبات شيئاً أدنى من أف لحرمه :

التسبب فى سب الوالدين من الكبائر :

و أكثر من ذلك أن رسول الله ﷺ لم يجعل تسبب الولد فى لعن أبويه من المحرمات ، بل من كبائر الذنوب :

قال : « إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه ، فاستغرب القوم أن يلعن رجل عاقل مؤمن والديه و هما سبب حياته ، فقالوا . و كيف يلعن الرجل والديه ؟ قال : « يسب أبا الرجل فيسب أباه و يسب أمه فيسب أمه » (١)

فكيف بمن يسبهما فى وجههما ؟ !

التطوع للجهاد بغير إذن الوالدين لا يجوز :

و لحرص الاسلام على رضا الوالدين حرم على الولد أن يتطوع للجهاد بغير إذن من أبويه مع ما للجهاد فى سبيل الله من منزلة فى الاسلام لا تعدلها منزلة قائم الليل ، و لا صائم النهار .

عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : « جاء رجل إلى نبى الله ﷺ فاستأذنه فى الجهاد ، فقال أحى والداك ؟ قال : نعم ، قال : ففيهما فجاهد » (٢)

أى اجعل ميدان جهادك برهما و رعايتهما ، و فى رواية عنه قال : « أقبل رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : أبايعك على الهجرة و الجهاد ابتغى الأجر من

(١) متفق عليه (٢) متفق عليه

الله : قال له فهل من والديك أحـــد حى ؟ قال نعم ، بل كلاهما حى قال : أفتبغى الأجر من الله؟ قال : نعم قال: فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما»(١)

و عنه قال : « جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : جئت أبايعك على الهجرة و تركت أبوى يبكيان فقال ارجع إليهما فأضحكهما كما أبكيتهما » (٢) .

وعن أبى سعيد أن رجلا من أهل اليمن هاجر إلى رسول الله ﷺ فقال : هل لك أحد باليمن ؟ قال : أبواى ، قال أأذنا لك ؟ قال: لا . قال : فارجع إليهما فاستأذنهما ، فان أذنا لك فجاهد ، و إلا فبرهما » (٣) .

الوالدان المشركان :

و من أروع ما جاء به الاسلام فى معاملة الوالد كانا مشركين كافرين ، بل ولو كانا مبالغين فى شركهما و يجاهدان أن يفتنا ابنهما المسلم عن دينه ، و فى ذلك يقول تعالى أن اشكر لى و لوالديك إلى المصير ، و إن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما و صاحبهما فى الدنيا معروفاً ، و اتبـــع سبيل من أناب إلى ثم إلى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون » (سورة لقمان ١٤ ، ١٥) .

فقد أمر المسلم فى هاتين الآيتين ألا يطيعهما فيما يحاولانه و يأمران به ، إذ لاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق : وأى معصية أكبر من الشرك بالله ؟ ولكنه أمر أن يصاحبهما فى الدنيا معروفاً ، غير متأثر بموقفهما من إيمانه ، بل متبعاً سبيل من أناب إلى الله من المؤمنين من الأبرار ، تاركاً الحكم بينـــه و بينهما إلى أحكم الحاكمين ، يوم لا يجزى والد عن ولده ، و لا مولود هو جاز عن والده شيئاً ، و هذه قمة من التسامح لم يبلغها دين من الأديان .

---

(١) مسلم   (٢) أخرجه البخارى وغيره .   (٣) أبو داود .

كلمة إلى قضاة مسلمين

[هذا البحث ألقى فى اجتماع للقضاة عقدته « الامارة الشرعية لولاية بهار و أريسة » التى هى مؤسسة قضائية مستقـلة تعمل باشراف رئيسها فضيلة الشيخ محمد منة الله الرحمانى السكرتير العام لهيئة قانون الأحوال الشخصية للمسلمين على مستوى عموم الهند ، وقد أعد البحث فضيلة الشيخ مجاهد الاسلام سكرتير الامارة الشرعية باللغة الأردية ، ونقلته أسرة تحرير مجلة البعث الاسلامى إلى العربية ، ننشره نظراً إلى قيمته الموضوعية] .

حضرات الأخوة القضاة ! إنكم تتبوؤن منصباً ذا خطورة و أهمية كبيرة ، لها مسئوليات و واجبات دقيقة جداً ، و لكن مثوبتها غالية ، و لذلك فان عمل القضاء يجب أن يكون مؤسساً على الاخلاص و الاحتساب ، مع النظر العميق فى خطورة المنصب وبذل الجهود الضخمة فى التوصل إلى الحق المبين ، وبذلك نستطيع أن نثبت كفاءاتنا للقيام بهذا الواجب .

ولكى نقدر عظمة منصب القضاء الجليل وأهميته يجب أن نعرف أن رسول الله ﷺ قد جعل الحاكم العادل الذى يقضى بين الناس بالعدل أول السبعة الذين يظلهم الله فى ظل عرشه يوم القيامة (١) وحديث آخر يجعل العالم موضع الغبطة لأنه يحقق

---

(١) فى حديث روى عن أبى هريرة رضى الله عنه فى الصحيحين .

مقتضيات علمه بالعمل و يؤدى به واجب القضاء، فعن عبد الله بن مسعود قال :
ما معناه : « عدل ساعة أحب إلى من عبادة سبعين سنة » .

هذا ، ويشير بعض الأحاديث إلى أن من جعل قاضياً فقد ذبح بغير سكين ، و فى حديث آخر عن رسول الله ﷺ قال : « القضاة ثلاثة اثنان فى النار و واحد فى الجنة ، رجل علم الحق فقضى به فهو فى الجنة ، ورجل قضى للناس على جهل فهو فى النار ، و رجل جار فى الحكم فهو فى النار » .

و من ثم فان واجب القضاء فى غاية من الدقة و الخطورة يمكن أن نعبر عنه بالصراط الذى ينصب فوق جهنم ويكون أدق من "
ذلك لأن منصب القضاء قيام بالقسط ومن مناصب النبو
للنبى ، يقضى بين الناس فى ضوء شريعة الله و يصلح ،
و أرواحهم و يصون أعراضهم و كرامتهم ، و قد أشار إلى هذه الحقيقة ابن الطرابلسى و ابن فرحون ، كل فى مقدمته

« إنه مقام على ومنصب نبوى ، به الدماء تعتصم وتسفح ، والأبضاع تحرم و تنكح ، و الأموال يثبت ملكها و يسلب ، والمعاملات يعلم ما يجوز منها ويحرم و يكره و يندب » .

فانتم أيها السادة ! تتبوؤن هذا المنصب العظيم الذى إذا عرفتم حقه تصونون الأموال والأرواح ، وإذا أخطأتم محله تنتهكون حرمات وتسفكون دماءاً وتحللون أموالا من غير حق ، فيصبح المجرمون أبرياء و الظالمون منصفين و الحلال حراماً و الحرام حلالا ، و بذلك تنهدم الحياة و يتحطم المجتمع ، ويصدق عليكم ما جاء فى المثل القائل « زلة العالم زلة العالم » .

زملائى الكرام ! إن مسئوليات هذا المنصب الجليل ضخمة لأن مجال
للقاضى ليس الدليل وحده و لا الحجـة وحدها ، ولكنه مكلف بتخريج الأ
الشرعية الصحيحة بالدلائل الشرعية والمدارك الحكمية فى وقت واحد ، لأنه ،
تخريج الأحكام الشرعية الصحيحـــة فى جانب كما أنه مسئول فى جانب آخر
تحقيق الأحداث الصحيحة فى كل قضاء على أساس الحجج و البراهين ، يكلف
بأمر بتنفيـــذ الأحكام الشرعية بعد تحقيق الواقع ، و يعنى ذلك القاضى يؤ
حكمه على أسس الكتاب و السنة والاجماع و القياس والمدارك الشرعية الاخر
فقد نصبه الله تعالى كدليل على أحكامه لكى يتمكن من استنباط حكم الشر
الصحيح مع اطلاعه الكامل على الشهادة ، والاقرار و الحلف و النقول والقر
الواضحة و الحجج و البراهين حتى لا يفوته الحكم بالحق و الصدق فى المناز
و الخصومات .

ومن أجل ذلك فان منصب القضاء حيثما يحتاج إلى علم عميق بالشريعة ها
يوجب على القاضى أن يكون متميزاً بالذكاء الخارق و الفطانة البالغة لكيلا تع
حجج الخصوم البليغة وتعبيراتهم الرائعة فى بيان مواقفهم عن التوصل إلى الحق المطلو
يقول الامام القرافى فى مناسبة . « القضاء يرجع إلى التفطن لوجوه حجاج الخص
وقد يكون الانسان أعلم بالحلال و الحرام و هو بعيد عن التفطن للخدع الصاد
من الخصوم و المكايد و التنبه لوجه الصواب من أقوال المتحاكمين فهذا باب آ
عظيم يحتاج إلى فراسة عظيمة و فطنة متوافرة و قريحة باهرة و دربة مساع
وإعانة من الله تعالى عاضدة ، فهذا كله محتاج إليه بعد تحصيل الفتاوى فقد يكو
الأقضى أقل فتيا حينئـــذ فلا تناقض بين قوله ﷺ أعلمكم بالحلال و الحر
معاذ بن جبل و أقضاكم على » (١) .

---

(١) الأحكام للامام القرافى ص ٢٨ .

لحاجتنا الكبرى أن نكتسب بصيرة نافذة فى الأحكام الشرعية حتى لا نتخدع فى استنباط الأحكام من النصوص الشرعية ونتوصل إلى الحق الأصيل لدى الاستماع فى أى قضية إلى دلائل الخصوم ، لأن الحق يختفى أحياناً وراء أستار غليظة وقد يزخرفه مكايد الخصوم، وطول المدة و تعبيرهم المليح و براعة أسلوبهم فى الادلاء بالحجج ، ولكن التجربة خير شاهد على أن الحق إنما يتضح إذا بحثنا عنه فى ضوء الشريعة و إخلاص النية مهما أثير حوله النقع .

نرى أن الناس فى هذا العصر طالما يهتمون بالعبادات أكثر من اللازم ، و لكنهم هم أنفسهم يستهينون بأحكام الشريعة فى الحقوق و
أن نغتر بأحوالهم الظاهرة بل يجب أن نتبين الحق .

موجز القول أن مهمة القضاء تحتم على القاضى
الاسلامى ذا بصيرة نافذة فيه ، و فى جانب آخر يكون
بكل ذكاء و عناية ، أما أول شرط للتبحر فى الفقه الاسلامى فقد أشار إليه شيخ الاسلام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوى كتابه القيم «عقد الجيد» يقول . « من شرطه أن يكون صحيح الفهم عارفاً بالعربية و أساليب الكلام ومراتب الترجيح ، متفطناً لمعانى كلامهم ، لايخفى عليه غالباً تقييد ما يكون مطلقاً فى الظاهر والمراد منه المقيد ، و إطلاق ما يكون مقيداً فى الظاهر والمراد منه المطلق ، نبه على ذلك ابن نجيم فى البحر الرائق » (١) .

إن نظرة القاضى تتركز على الأصول أكثر من الفروع وعلى الكل أكثر من الجزء ، فهو مسئول عن المحافظة على المصالح الشرعية فى كل حال ، إنه يزيل المفاسد

(١) عقد الجيد ص ٦٢ - ٦٣ .

و يرجح مصلحة على مصلحـــة لجلب الأصلح أو دفع المفسدة فيما إذا تعارضت المصالح ، من أجل ذلك حاجة القاضى إلى معرفة قواعد وأسس الشريعة أشد منها إلى غيرها ، ذلك لئلا يؤثر حكما جزئياً على أصل كلى فى بعض قضائه مما يعارض مصالح و الأصول ، يقول الطرابلسى :

« علم القضاء يفتقر إلى معرفة أحكام تجرى مجرى الكليات بأحكام الوقائع الجزئيات » .

و إلى ذلك يشير ابن فرحون المالـكى فيقول :

« علم القضاء يفتقر إلى معرفة أحكام تجرى مجرى المقدمات بين يدى العلم بأحكام الوقائع الجزئيات » .

و من ثم يعتبر كل عالم و لا سيما القاضى مسئولا عن الاطلاع الكامل على أحوال عصره ، فان المصالح الكلية و الأصولية ، و مقتضيات صيانة الدين تتطور مع الأوضاع فى العصور المختلفة ، إذ من الممكن أن تكون هناك مصلحـة شرعية تعتبر فى الزمن الماضى للعمل بحكم خاص ، و لـكنهـا فى الظروف المتطورة اليوم لا تراعى للعمل بذلك الحـكم ، أو أنها إذا روعيت فتودى إلى فوات مصلحـــة أكبر منها ، و هنالك يلزم القاضى أن يصـــدر حكماً جديداً فى الأوضاع المتطورة للحصول على قواعد الدين و كلياته بصرف النظر عن الفروعيات ، خاصة إذا كان المتقدمون من الفقهاء قـــــد أصدروا فتاوى كثيرة بالنظر إلى الأوضاع الموجودة آنذاك ، و قد جاء فى « الفصول العمادية » أن التلمذة لازمة للفتوى ، كما يتحدث عن ذاك مبيناً علته :

« لو أن رجلا حفظ جميع كتب أصحابنا لا بد أن يتلمذ للفتوى حتى يهتدى إليه لأن كثيراً من المسائل أجاب عنها أصحابنا على عادة أهل بلدهم و معاملاتهـم

فينبغى لكلِّ مفت أن ينظر إلى عادة أهل بلده و زمانه فيما لا يخالف الشريعة » .

و فى الفتاوى السراجية :

« لا ينبغى لأحد أن يفتى إلا أن يعلم أقاويل العلماء و يعلم من أين قالوا و يعرف معاملات الناس » .

لأجل ذلك رجح العلماء فى كل عصر العدول عن الفتاوى السابقة المعمول بها ، و الافتاء بحسب الأحوال الموجودة ، ولم يروا بأساً فى الأخذ بمذاهب الأئمة الآخرين ، كما وقع فى باب مفقود الخبر من الأخذ بمذهب المالكيـة أو الاعتبار بالتغير عهداً بعد عهد فى القول بعدم جواز الأجرة على القر...

بتوريث ذوى الأرحام فى أحكام الوراثة عند فساد ...

الملقينى أداء النقود فى زكاة الذهب و الفضـة ، و ...

الرازى إعطاء مال الزكاة لبنى هاشم نظراً إلى فقرهم و ...

و كذلك هناك أحكام كثيرة أفتى فيها العلماء بغير ما كان معروفاً على أساس تغير الأحوال و بالنظر إلى مصالح الدين العامة و قواعده الكلية .

و فى عصرنا هذا حيث تغيرت الأحوال و تطورت ، و لا تكاد الفتاوى القديمة تفى بمقاصد الشريعة كيف يستساغ أن نصر على التمسك بالفتاوى القديمـة بصرف النظر عما تجدد من العوائد والعرف ، و نتصلب على ما صدر من فقهائنا فى القديم بالنسبة إلى الأحوال التى عاشوها فى أزمانهم ، فى هـذا الزمن المتطور المتغير ، و قد أشار الامام القرافى إلى هذا الجانب المهم باحثاً عن هـذا الموضوع فى أسلوب السؤال و الاجابة عليه . يقول :

« ما الصحيح فى هذه الأحكام الواقعة فى مذهب الشافعى و مالك وغيرهما المرتبة على العوائد و العرف اللذين كانا حاصلين حالة جزم العلماء بهـذه الأحكام

فهل إذا تغيرت تلك العوائد و صارت العوائد تدل على ضد ما كانت تدل عليــه أولا فهل تبطل هذه الفتاوى المسطورة فى كتب الفقهاء و يفتى بما تقتضيــه العوائد المتجددة ، أو يقال نحن مقلدون ومالنا إحداث شرع لعدم أهليتنا للاجتهاد ، فنفتى بما فى الكتب المنقولة عن المجتهدين » ؟ .

جوابه :

« إن إجراء الأحكام التى مــــدركها العوائد مع تغير تلك العوائد خلاف الاجماع و جهالة فى الدين بل كل ما هو فى الشريعة يتبع العوائد يتغير الحكم فيه عند تغير العادة إلى ما تقتضيه العادة المتجددة ، و ليس هذا تجديداً للاجتهاد من المقلدين حتى يشترط فيه أهلية الاجتهاد بل هذه قاعدة اجتهد فيها العلماء و أجمعوا عليها ، فنحن نتبعهم فيها من غير استئناف اجتهاد بل ألا يشترط تغير العادة بل لو خرجنا من ذلك البلد إلى بلد آخر وعوائدهم على خلاف عادة البلد الذى كنا فيه أفتيناهم بعادة بلدهم و لم تعتبر عادة البلد الذى كنا فيه ، وكذلك إذا قدم علينا أحد من بلد عادته مضادة للبلد الذى نحن فيه لم نفتــــه إلا بعادة بلده دون عادة بلدنا » (١) .

بناءاً على هذه الناحية و نظراً إلى التفاصيل الأخرى يعتبر القضاة مسئولين فى العصر الحاضر عن دراسة الفقه الاسلامى و أصوله وقواعده وكلياته بتعمق وتوسع ، لكى لا تفوتهم اجتهادات الأئمة واستنباطاتهم ومجهوداتهم العلمية والفقهية مع الاطلاع الكامل على مآخذ أقوال هؤلاء الأئمة ، وهل إن أساس جزئياتهم الفقهية فى مصادر الشريعة نصوص الكتاب والسنة ، أو الاجماع والقياس ، أو العرف والعوائد التى وجدت فى أزمانهم ، ذلك ليتسنى لهم التفريق بين مدارج هذه الأحكام ، و نحمد الله على أن آثار العلوم الشرعية ومصادرها لا تزال حية مستمرة ، وليس علينا إلا أن نتوصل إليها رغم الطريق الوعر و المرتقى الصعب .

---

(١) الأحكام ص ٢٣١ - ٢٣٣ .

سادتى القضاة ! بصرف النظر عن البصيرة الفقهية و العلمية و دقة موقفنا من تفهم المعاملات و القضايا فاننا فى مواجهة تحـد كبير من قبل الأوضاع التى نعيشها و نقوم فيها بواجب القضاء ، و معلوم أن قضاءنا فى الأمور لا يجد سبيلا إلى التنفيذ بفضل قوة مادية ، و إنما يتم ذلك على أساس الايمان الكامن فى خفايا النفوس ، و تقوى الله تعالى ، وحب رسوله ﷺ . والشوق إلى العمل بأحكام الدين للنجاة فى الآخرة ، وعند ما يتم تنفيذ الأحكام على أساس القوى المادية تحل المادة حينذاك محل الغاية الأصيلة ، أما إذا كان الايمان هو سلاحنـا فلا بد للقاضى من إخلاص النية فى عمله ، بعيداً عن كل طمع وحرص على المنص
التركيز على العطف على الخلق ، و على الورع ، وطلب
قضاء كما يجب عليه أن يكون متأنياً فى القضاء و لا يص
جانب دون جانب ، ناظراً إلى كل الوجوه و الفروق بين
مع مراعاة جوانب الأخلاق و حسن المعاملة حتى لا ينفر الفريقين أو واحـداً منهما ، و لا يرجع الفريق الذى أصدر الحكم ضده إلا مطمئناً واثقاً بشريعة الله راضياً بقضائه ، راجياً سعادة الآخرة .

و مما لا شك فيه أن القاضى لا ينبغى له أن يتظاهر فى مجلس القضاء بسلوك عادى فيتجرأ عليه الناس ، كما يجب أن لا يعامل معاملة قاسية حتى تسوء به الظنون ، و لا يتشجع الفريقان على عرض قضاياهم عليه ، ولذلك وضع عليه الحد من إظهار الزجر و القلق و الحدة و الغضب ، و قـد منع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه القضاة عن مثل هذه الأمور فى رسالتـه الشهيرة ، نقلها العلامـة السرخسى فى كتابه كما يلى :

« إياك و الزجر والقلق ، وهما نوعان من إظهار الغضب ، فالقلق الحدة ،

و الزجر رفع الصوت فی الکلام فوق ما یحتاج إلیه ، و القاضی منهی عن ذلك لأنه یکسر قلب الخصم به و یمنعه من إقامة حجته ویشتبه علی القاضی بسببه طریق الاصابة ، و ربما لا یفهم کلام أحد الخصمین عند ذلك ، قال « والبادی بالناس » یعنی إظهار البادین بکثرة الخصوم بین یدیه و إظهار الملال منه و المراد البادی بما یسمع من بعض الخصوم مما لا حاجة به إلیه فقد یطول أحد الخصمین کلامه ، و لکن لا ینبغی للقاضی أن یظهر البادی بذلك ما لم یجاوز الحد ، فان تکلم بما یرجع إلی الاستخفاف بالقاضی أو یذهب به حشمة مجلس القضاء ، فحینئذ یمنعه عن ذلك ، ویؤدبه علیه ، ثم قال « والتنکر للخصوم » وهو أن یقطب وجهه إذا تقدم إلیه خصمان ، فان فعل ذلك مع أحدهما فهو جور منه ، و إن فعله معهما ربما عجز المحق عن إظهار حقه ، فذهب وترك حقه ، ألا تری إلی قوله تعالی : ولو کنت فظاً غلیظ القلب لانفضوا من حولك » ثم قال « فی مواطن الحق الذی یوجب الله تعالی بها الأجر و یحسن بها علی الذخر » یعنی فی مجالس الحکم ، فالحلم و ترك الزجر و القلق وإظهار البشر مع الناس محمود فی کل موضع ، و فی مجلس القضاء البشر و طلاقة الوجه أولی ، بعد أن یکون فعله ذلك لوجه الله تعالی (۱) .

ملخص القول أن نتحلی بالأخلاق المحمدیة ونتمسك بآداب القضاء التی ذکرها العلماء و رأوها لازمة للقاضی ، تلك التی تبعث فی نفوس الناس و الفریقین ثقة بأحکام الشریعة ، و تحملهم علی قبول قضاء الله فی شئونهم و قضایاهم .

إخوانی ! إنکم علماء الاسلام و تطلعون علی المسائل و المشکلات إطلاعاً جیداً ، و إننی لم أرد بهذه الکلمة إلا التذکیر والقیام بالواجب الذی یعود علی ، و إننی متأکد أن کلمتی هذه تنال اهتماماً منکم ، و تهیئ لکم أضواءاً علی الطریق الذی تسیرون فیه ، حتی تتمکنوا من القضاء الصحیح الدقیق فی المسائل و القضایا التی تدرسونها الآن ، و ستواجهونها فی المستقبل .

---

(۱) السرخسی ج ۱٦ / ص ٦٤ ـ ٦٥ .

من إعلام التاريخ الاسلامى فى الهند :

الشيخ بركة الله البوفالى

السيد منظور حسين سروش
تعريب : سليم الرحمن خان الندوى

إن اسم الشيخ بركة الله البوفالى يتصدر قائمة أسماء بوفال ال
رئيس الوزراء لحكومة المنفى الهندية التى تأسست أثر إ
ولد بركة الله فى بلدة سيهور المجاورة لبلدة بوفال فى س
الأولية على يد أبيه السيد شجاعة الله ، ثم التحق بالمدرسة
اللغات العربية والفارسية والانجليزية ، وبعد أن تخرج أصبح مدرساً بالمدرسة نفسها .

من الأساتذة الذين تلقى العلم منهم المحدث الشهير الشيخ حسين عرب ، و الأمير صديق حسن خان ، و الشيخ محمد بشير ، و القاضى عبد الحق الكابلى . و درس على الآخر الذكر منهم كتاب مشكاة المصابيح ، و الموطا لمالك ، وحجة الله البالغة للدهلوى ، و بما أن الهند مع الولايات الشبه المستقلة كان من المحظور فيها إبداء الرأى الخاص كان الشيخ الكابلى يشرح كتاب حجة الله البالغة فى أرصبة الظروف المعاصرة مع كل تحفظ ، والسيد بركة الله عرف أهمية هذا الدرس عندما غادر الهند و عاش فى أمريكا

كان السيد جمال الدين الأفغانى معتقلا فى الهند ، و كان مقيماً فى تلك الأيام بحيدر آباد لأجل أن أحد تلاميذه قام برأية الجهاد ضد الانجليز فى مصر ،

وهو الشيخ أعرابى باشا . ولكن أفرج عنه عند ما لقى الشيخ أعرابى باشا هزيمة فى طل الكبير . و بعد ما أفرج عن الأفغانى زار بعض المدن قبل أن يسافر إلى فرنسا ، فأقبل إلى بوفال أيضاً ، و نزل على الشيخ عبد الحق الكابلى ، و فى هذه الفترة اتصل بركة الله بالأفغانى عن وساطة أستاذه و أعجب به ، و بقى به هـذا الاعجاب طول حياته ، و هو قد أتم دراسة الانجليزية ببومباى ، و أقام بها أربع سنوات ثم سافر إلى انجلترا فى سنة ١٨٨٧ م ، و فى لندن اتصل ببعض الزعماء الهنود ، منهم شياما جى كرشنا ورما ، وكوبال كرشن كوكهلى ، وبال كنكا دهرتلك .

و أثناء بقائه بلندن تعلم اللغات التركية ، و الألمانية ، و الفرنسية ، واليابانية وكان يحصل على مصاريفه بتعليم اللغة العربية ، وكتابة المقالات فى المجلات والجرائد و كان ينشر نتاجه القلمى فى الجرائد الشهيرة مثل لندن تايمز ، و بهذا عرف فى الأوساط العلمية و السياسية و الصحافية .

و عندما ذاع صيته عن طريق الجرائد والمجلات طلبه شيخ الاسلام عبد الله كوئيلم إلى ليفربول ، عبد الله كوئيلم كان ينحدر من إحـدى البيوتات الانجليزية العالية فى ليفربول ، و كان قد أسلم . وقد جعله السلطان عبد الحميد شيخ الاسلام لانجلترا . و كان كوئيلم قد أسس دائرة علمية ثقافية باسم المعهد الاسلامى بليفربول (Muslim Institute of Liverpool) وكان هذا المعهد يصدر دوريتين باسم الهلال (Institute Crescent) و العالم الاسلامى (Islamic World) و بدأ بركة الله يكتب لهذه الجرائد ، و توظف كذلك فى جامعة ليفربول كمدرس اللغة العربيـة ، و كان مستمراً فى دعوته إلى الاسلام فأسلم على يديه قرابة ألف شخص .

المستر غلادستون كان رئيس الوزراء فى بريطانيا ، و كان من سكان بلدة ليفربول و كان يتسم بشخصية فائقة وعداوه للاسلام كان معروفاً ، كان من المقرر أن غلادستون يوجه خطاباً لحفل فى ليفربول فى اليوم المحدد . عقد عبد الله كوئيلم

و بركة الله البوفالي حفلا في ليفربول قبل مقدم غلادستون بيوم ، و في هذه الحفلة ألقى بركة الله البوفالي خطاباً حاراً ضد غلادستون مدعماً بالأدلة ، و لقى خطابه قبولا بين الناس ، وأثر ذلك على الحفل الذي كان من المقرر انعقاده بعده بيوم و حضره غلادستون ، وانخفض الحضور في خطاب غلادستون بسبب ذلك ، وبقى غلادستون بنفسه متحفظاً إلى حدما ، و لم يتجرأ على نقد مفتوح ، و أدى ذلك أن بركة الله البوفالي أصبح من المراقبين ، و فرض عليه الحظر من دخول بعض المناطق .

و صادف ذلك أن تلقى في هذه الفترة دعوة م
إليها في عام ١٨٩٩م وبدأ نشاطاته فور وصوله هنا
و ركز على تبغيض الاستعمار الانجليزي لدى الهنود ا

كان بركة الله في أمريكا ، و كان قد تعرف عليه شيخ و س
الديوبندي و أعجب به عن طريق خطاب له نشر في بعض الجرائد الهندية و كان وجهه إلى الشيخ حسرت الموهاني و في هذه الأيام قرر شيخ الهند محمود حسن أن يرسل بعض الوفود إلى خارج الهند التي تقوم بحركة ضد الاستعمار في الداخل . ووجه الوفد الأول إلى الصين و طلب من بركة الله البوفالي أن يقود الوفد الثاني إلى اليابان ... بركة الله البوفالي دعوته ... عادر من أمريكا إلى اليابان ، و لحقه أعضاء الوفد في الطريق ، وصل الوفد اليابان في ١٩٠٥ ، و ... قبل بركة الله كمدرس اللغة الأردية في جامعة طوكيو ... حيث أسس ... باسم ... (...) و اتخذها رصفاً لنشاطاته السياسية التي قدم لأجلها إلى اليابان ، وأصدر جريدة من ... الأخوة الاسلامية و ... بنفس الاسم و لقيت الجريدة تقبلا حاراً ، و لكن الحكومة البريطانية لم تحتمل النقد اللاذع

الذى كانت توجه هذه الجريدة ، فاتصل القنصل البريطانى فى طوكيو لدى الجهات المسئولة هناك ففصل بركة الله عن الوظيفة . ولكن لم يؤثر هذا الفصل فى مهمته بل ازدادت ، و أثناء هذه الفترة قام بجولات فى بلاد شرق آسيا و كذلك إلى بعض بلاد أوربا ، و مكث بضعة أيام فى باريس ، وساهم فى جريدة كان يصدرها الهنود من باريس باسم « الانقلاب » .

و فى سنة ١٩١٣م وصل بركة الله باشارة من القيادة فى الهند إلى أمريكا و أسس بالتعاون من زملائه جمعية باسم (Pacific coast Indian Association) و أصدر جرائد باللغات الأردية ، و الهندية ، و المرهتية ، و الغورموكية . وقام بركة الله و زملاؤه بجولات واسعة فى مدن أمريكا و كندا و عرف الأهداف التى كانوا يسعون لاحرازها ، و عدما زادت نشاطات هؤلاء اتصلت الحكومة البريطانية بالحكومة الأمريكية فوضعوه تحت المراقبة و ألقى على بعضهم القبض .

بدأت الحرب العالمية الأولى فى شهر يوليو سنة ١٩١٤م ، و تأسست فى أكتوبر فى ألمانيا جمعية باسم « الحرب الهندى الوطنى برلين » فانحاز إليها جميع الزعماء الوطنيين الهنود المتواجدين فى أوربا و لحقهم بركة الله البوفالى أيضاً ، و هنا أيضاً فتحوا جبهة جديدة ضد الانجليز .

وقرر الحزب الوطنى البرلينى أن يتصل أعضاؤه بأولئك الهنود العسكريين الذين وقعوا فى الأسر وهم كانوا يقاتلون مع الانجليز ويحرضونهم أن يشاركوا العرب والايرانيين الذين كانوا يحاربون الانجليز ، وكان بالنية أن يؤلف جيشا كبيراً يهاجم الانجليز عن طريق أفغانستان و يحرر الهند عنهم ، أما الاتصال بهؤلاء الجنود الأسارى فوكل إلى بركة الله البوفالى ، و هو عند ما كان يلقى أمامهم خطاباً يعجب به أغلبهم و يجهش بالبكاء كثير منهم و يتعهد أنه سيقوم بهذه المهمة .

و قرر أيضاً أن يتوجه وفد إلى قسطنطينية و يزور خليفة المسلمين و يحصل من قبله على رسالة إلى المسلمين فى الهند و أفغانستان و فتوى من شيخ الاسلام يوجب الجهاد ضد الانجليز ، و يزور الوفد بعد ذلك أفغانستان و يطلب إلى حاكم أفغانستان أن يسمح جيش المقاتلين المتطوعين من الهنود الأسارى فى الحرب العالمية والألمان ، بمر بأراضى أفغانستان و يقابل الانجليز فى الهند و يحررها . وتمهيداً لهذه المهمة اتصل الوفد بالجهات العليا فى ألمانيا و حصل على توصيات و رسائل ودية باسم رؤساء أفغانستان ، و نيبال ، و ولايات عديدة فى الهند

و زار الوفد تركيا وأفغانستان و تحققت له غايته التى

البلاد ، وانتهى الأمر إلى أن اجتمع الأعضاء أخيراً

و تأسست حكومة المنفى المؤقتة (ernment of India

« راجا مهندر برتاب » رئيساً للحكومة وبركة الله البوفالى

السندى وزير الداخلية ، و كاظم بك وزير الدفاع .

و رسمت هذه الحكومة المؤقتة خطة شاملة لمحاربة الانجليز . و كان فى هذه الخطة أن تزور وفود من أعضاء البلاد المجاورة و تحاول أن تحصل على التعاون من قبلها فى تحقيق الغرض المنشود ، وأرسلت ثلاثة وفود إلى روسيا و اليابان و تركيا و لكن الحكومة الروسية باشارة من الحكومة البريطانية ألقت القبض على الوفود الثلاثة التى كان من المقرر لجميعها أن تصل إلى منازلها عن طريق الأراضى الروسية ، و وكلتهم إلى الحكومة البريطانية ، و بعد مدة قليلة تغيرت الأحوال فى روسيا حيث أطيح بعرش زار فى روسيا واحتلت الثورة الشيوعية مكان الحكومة ، و فى هذه الأثناء أشار حاكم أفغانستان أمان الله خان على بركة الله البوفالى أن يزور الزعيم الروسى لينين فى موسكو و يحاول أن يرضيه للمساعدة فى الحرب ضد

الانجليز ، فقام بركة الله بزيارته و اتصل بالجهات المسئولة الأخرى أيضاً ثم رجع إلى أفغانستان ، و لكن قبل أن يرجع هو إلى أفغانستان بادر الانجليز بالاعتراف بحكومة أمان الله خان ، فأثر ذالك فيه أنه رجع عن وعده أنه سيفتح الحرب فى وجه الانجليز إذا حالفه لينين ، و لكن بركة الله البوفالى بعد فشله فى دلك خرج فى القبائل فى باغستان و حاول أن يحصل على مساعدة من قبلهم و لكنه لم ينجح فى ذلك .

ثم رجع بركة الله إلى موسكو ، و مرض هناك فسافر إلى ألمانيا فى عام ١٩٢٢م ثم إلى سويسرا ، و صادف قدومه سويسرا انعقاد اجتماع الصلح بين العرب و الأتراك ببلدة لوزان ، و بذل بركة الله كل جهده أن يتحقق هذا الحلم ، و لكن لم يتجسد له هذا الأمل . وصنف كتاباً باللغة الانجليزية باسم « الخلافة » و هو بسويسرا فى سنة ١٩٢٥م وكتب عليه التقدمة عبد الله يوسف على المترجم الشهير للقرآن ، و لقى هذا الكتاب قبولا فوق المتوقع .

و أصدر جريدة من ألمانيا باسم « الاصلاح » فى سنة ١٩٢٥م ، و شارك فى « مؤتمر معارضة الاستعمار » فى بركسلز فى عام ١٩٢٧م وما أن رجع من الحضور فى هذ المؤتمر أصابه مرض ذيابيطس و كاد أن يكون طريح الفراش ، و فى هذا الوقت تلقى دعوة من أمريكا للحضور فى مؤتمر لحزب الثورة الهندية فتوجه وهو بهذا الحال إلى أمريكا ، و زادت حاله سوءا حتى توفى فى ستمبر عام ١٩٢٧م ببلدة فرانسسكو .



صور وأوضاع

موقف الدعوة و موقف الدعاة

واضح رشيد الندوى

شاع استعمال تعبير العمل الاسلامى فى هذا العصر، انسياقاً إلى منهج الحركات السياسية التى يتوقف نجاحها و تأثيرها على الخطة المرسومة ، و مدى تطبيقها ، و الامكانيات و الوسائل التى تسخر فى تحقيق أهدافها ، و قد صرف هذا التعبير الدعاة والعاملين إلى جانب واحد من الدعوة ، الجانب الذى يتبادر إليه الذهن باستعمال كلمة العمل و هو الجهد عقلياً ، و مادياً ، فاذا ذكر أحد العمل الاسلامى ، انتقل الذهن إلى الفكر الاسلامى ، والعمل لنشره ، و فى هذه المرئية الضيقة يبدو العمل الاسلامى قد خطا خطوات واسعة .

كان الفكر الاسلامى والدعوة إليه غريباً قبل السبعينات فكان كل من يعرف عنه أن يفكر فى العودة إلى الاسلام و يدعو إليه ، ويعتبره نظاماً للحياة أويحاول التطبيق بينه وبين النظم العصرية ، يشار إليه بالبنان ، كأنه غريب الزمان والمكان ، وكان ينعت بنعوت مختلفة ، إنه رجعى ، إنه عميل للاستعمار، عدو للتقدم ومسايرة الزمن . و ما إلى ذلك من نعوت ، و قد حققت الحركات الاسلامية انتصاراً كبيراً فى قلب الأوضاع ، وعلى الأقل فى تغيير التفكير ، أو بالتعبير الثورى : فى إحداث ثورة فكرية بفضل التضحيات الجسيمة و الجهود الجبارة التى قام بها الدعاة و صمودهم فى وجه الطغاة .

لقـــد بذلت تضحيات فى سبيل الاحتفاظ بالاسلام و رفع صوت الحق

ما لا يوجد له نظير فى التاريخ المعاصر، ولا يستطيع حركة من الحركات المعاصرة أن تقدم سجلا حافلا بالتضحيات يضاهى سجل العاملين فى سبيل الاسلام .

وبفضل هذه الجهود أصبح الفكر الاسلامى فكراً معاصراً ، لا يساير الأقطار المعاصرة فحسب بل يتقدم ويسبق الأفكار المعاصرة ، و يتغلب عليها ، بدأت سائر الأفكار تنحسر ، ويخوض الاسلاميون آخر معركة مع الأفكار المعادية للاسلام فى كثير من البلاد الاسلامية

إن الاحتفالات التى أقيمت فى مختلف أنحاء العالم و اشترك عدد كبير من المفكرين و المثقفين المسلمين منهم وغير المسلمين فى كل ا...

اليقظة الاسلامية ، و دور الاسلام فى تنمية الحضار...

يحمل من تأثير على سير الحضارة و رقيها فى هذا ال...

تدل على الشعور النامى بعودة الاسلام إلى الحياة المعاصر...

فى ميزان القوى ، فصـــار الفكر الاسلامى موضوعاً يدرس ، و يناقش بل صار موضوع الساعة الحاسم .

يسود هذا الشعور الدول غير الاسلامية أكبر بمثلما يسود فى الدول الاسلامية رغم أن عدة دول إسلامية لاتزال تحصع لحكام يعتبرون الحركة الاسلامية والأعمال التى تعشها ، وتقويها ، خطراً مباشراً لهم ، فيغمصون أعينهم و يقعون منعزلين عن شعوبهم و يجهلون هذه الحقيقة التى تتجلى كل يوم لذى عينيه .

لقد تغلب الفكر الاسلامى ، و بفضل تغلبه ظهرت حركات إسلامية فى كل بلد إسلامى ، بأسماء مختلفة ، ولكل حركة منهج خاص ، وخطة عمل تطابق الظروف و الأوضاع الخاصة بذلك البلد ، و هى تجهد و تكافح و تسير إلى النصر بخطى حثيثـــة .

إن العاملين فى سبيل الدعوة الاسلامية بفكرهم ، و المجاهدين بقلمهم ولسانهم وبما يملكون من قوة ، ومن عتاد ، باختلاف مناهجهم و سبل دعوتهم ، يسعون إلى غاية واحدة ، و هى أن تكون كلمة الله هى العليا ، و أن يعود العالم إلى عدل الاسلام ، وأن تزول الحواجز البشرية و النفسية التى تفصل الانسان عن الانسان .

إنها دعوة لاصلاح الفرد والمجتمع ، داخلياً و خارجياً ، دعوة إلى تغيير الحياة ، و لكن الفكر الذى لا يتمثل فى الحياة ، ولا ينقل إلى العمل ، لايستطيع أن يقاوم الأفكار المعادية ، لأن تأثر العقل لا يدوم إلا إذا اقترن به تأثر القلب و تسرب الفكر إلى القلب و اصطبغت الحياة بتلك الصبغة الخاصة .

ومثل تعبير العمل الاسلامى يستخدم الدعاة تعبيرات أخرى ، وهى الفكر الاسلامى ، الطريقة الاسلامية ، والحركة الاسلامية ، وبهذه التعبيرات كلها ينتقل الذهن إلى جانب الفكر و ممارسة العقل ، و الجانب الفلسفى ، والجانب التنظيمى للدعوة ، و لو أن هذه التعبيرات ، وسيلة للتفهيم والتقريب ، لكنها من سوء الحظ ، صرفت الذهن فى نفس الوقت عن جانب مهم ، و هو جانب تطبيق المفاهيم الاسلامية و المثل الاسلامية فى حياة الداعى نفسه ، و فى حياه مجموعة الدعاة ، و الحرص على أن يكون كل داع صورة تشخص المثل التى يدعو إليها

لقد خطا العمل الاسلامى خطوات واسعة فى تعميم الفكر الاسلامى ، و فى نشر الدعوة الاسلامية ، وهو مكسب كبير و عنصر هام ، لكنه عنصر واحد من العناصر الثلاثة الرئيسية التى تتكون منها الدعوة

إن المثل التى ندعو إليها مثل لا ينازع فيها اثنان ، و هى مثل نبيلة حتى فى عيون الأعداء ، و لكن استهواء القلوب إليها و نقلها إلى الحياة و العمل يتركز على انفعال الداعى نفسه ، و تهافته على تمثيلها فى حياته ، وأن يعتبر نفسه المخاطب

الأول فلنبدأ مرحلة التطبيق فى أنفسنا من الأمور التى يمكن تطبيقهـا انفرادياً ، و بذلك نقترب من مرحلة التطبيق الاجتماعى ، و بذلك نهئ النفوس للانقلاب الاسلامى

إن الحواجز التى تعترض فى سبيل انتصار العمل الاسلامى انتصاراً نهائياً فى كثير من البلدان الاسلامية ترجع إلى سبب رئيسى و هو أن الدعوة الاسلاميـة صارت فى كثير من البلدان عبارة عن مطالب بدون استعداد نفسى لتلبية مقتضياته فى الدعاة أنفسهم ، و بدون انقلاب عملى جوهرى فى حياتهم .

وثمة جانب آخر ، و هو جانب مهم يغفله الدعاة نحو

على الفكر ، والحركة ، وهو جانب الرجوع إلى الله

إليه ، فتصبح الدعوة مقترنة بالدعاء ، وبالانابة و

إن التاريخ يزخر بمواقف غريبة معجبة لامتزاج

الأنبياء ، و الدعاة الذين اقتدوا بهم . لأن الدعاء مفتاح ، يفتح القلوب ، ويفتح المغلقات ، و يذلل الصعاب .

لقد وقف سيدنا إبراهيم عليه السلام موقف الدعوة ، و موقف الدعاء ، وسجل القرآن الكريم هذا الموقف الجامع بقوله :

« ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع ، عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة ، فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم ، وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » .

و تجلى موقف الدعوة ، و موقف الدعاء فى الطائف عندما أوذى رسول الله ﷺ فى أول خروجه فى الدعوة يلتمس النصر من ثقيف و المنعة من قومـه ، و قبولهم لما جاء به من الله عز وجل ، فلم يلق منهم إلا النكران ، و الأذى ،

والتاليب عليه ، فقال النبى ﷺ ، وهو خير موقف يقفه الداعى بعد ما بذل جهده و فعل ما كان فى وسعه .

« اللهم إليك أشكو ضعف وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس ، يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين ، و أنت ربى ، إلى من تكلنى ؟ إلى بعيد يتجهمنى أم إلى عدو ملكته أمرى ، إن لم يكن بك على غضب فلا أبالى ، و لكن عافيتك هى أوسع لى ، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات ، و صلح عليه أمر الدنيا و الآخرة ، أن تنزل بى غضبك ، أو يحل على سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، و لا حول و لا قوة إلا بك » .

لقد رقت القلوب بهذا الموقف ، و تغير الجو ، و وجد النبى ﷺ فرصة للدعوة و لم يكد النبى ﷺ يرجع إلى مكة إلا و قد آمنت جماعة من الجن ، و انفتحت به آفاق الدعوة و إقبال الناس عليها .

لقد تجلى موقف الدعوة ، والدعاء ، و اقترن الموقفان مرة أخرى فى معركة بدر الحاسمة بعد أن عدل الصفوف ، رجع إلى العريش فدخله ومعه فيه أبو بكر (الصديق رضى الله عنه) ليس معه غيره ورسول الله ﷺ يناشد ربه ما وعده من النصر و يقول فيما يقول . « اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد » .

وخفق رسول الله ﷺ خفقة وهو فى العريش ثم انتبه فقال : « أبشر أبا بكر أتاك نصر الله ، هذا جبرئيل آخذ بعنان فرس يقوده على ثناياه النقع .

لقد اجتمعت مواقف الدعوة و الدعاء ، فى حياة كثير من أبطال الاسلام و له نظائر فى حياة المتأخرين من الدعاة والأبطال والمجاهدين ، وفتح الدعاء كثيراً من المغلقات ، و هو سلاح المؤمن فى المحنة ، و الشدة و البلاء ، والدعوة لا تثمر إلا إذا اقترنت بموقف الدعاء « وإذا سألك عبادى عنى فانى قريب ، أجيب دعوة

الداع إذا دعانى فليستجيبوا لى ، و ليؤمنوا بى لعلهم يرشدون »

فلا يغفلن الدعاة هذا السلاح ، و لا يفقدن هذا المفتاح

مؤتمر القمة الاسلامى الثالث

استلفت مؤتمر القمة الاسلامى الثالث الذى انعقد فى الطائف بين ٢٦ - ٣٠ يناير ١٩٨١م اهتمام العالم كله ، و سلطت عليه الأضواء ، و تابعته إذاعات العالم و الصحافة العالمية و انتظرت قراراتها بلهفة و اهتمام ، وقد كان المؤتمر يهم العالم من عدة اعتبارات ، باعتبار المسائل الحاسمة التى تهم العالم الاسلامى ، و باعتبار الأهمية الاستراتيجية التى كانت الدول المشتركة فى ا...

السياسية و الاقتصادية ، و العقائدية ، فكان من

و يراقب سلوك وتصرف المشتركين بأهمية ، و...

و كممثلين عن الدول الاسلامية ، و لانعقاد المؤتمر

الهجرى ، الذى يعتبر عصر الصحوة الاسلامية .

نشرت الصحف العالمية بتفصيل ، استعدادات المؤتمر ، والاجراءات التى اتخذت لتوفير راحة المشتركين و المبالغ الطائلة التى أنفقت على إنشاء مدينة كاملة للمشتركين و توفير وسائل لم تكن لازمة فحسب بل كانت فوق الكماليات ، و التى كانت تعطى انطباعاً كأن الاجراءات تتخذ لاستجمام القادة المسلمين . بدلا من تهيئة ممر جاد لمناقشة المشاكل الحيوية التى تتعلق بمصير العالم الاسلامى ، فيا حبذا لوكان المؤتمر نموذجاً لمؤتمر يمثل الطبيعة الاسلامية ، والبساطة العربية المعروفة ، والمناقشة الجادة الهادفة .

و قد أحسن منظمو المؤتمر أن اختاروا خير بقاع الأرض لعقد الجلسة الافتتاحية و هو الحرم المكى الشريف ، ليستوحى المشتركون و يستلهموا من هذا الجو المقدس الذى يحيط ببيت الله الشريف ، ويستدروا البركة والهدى و الرشد ،

للمضى إلى سبيل الحد ، وقد كانت كلمة جلالة الملك خالد موشراً إلى ذلك الاتجاه ، لو سارت المداولات فى المرحلة التاليـة على نفس الخط .

لقد أتيحت لقادة المسلمين فرصة نادرة للاجتماع فى مهبط الوحى ، و منطلق الدعوة الاسلامية التى بعثت الأمة العربيـــة من خمولها ، و وحدتها من شتاتها ، و صهرتها إلى وحدة عالمية تذوب فيها القوميات ، العجمية و العربية ، و فى البلد الآمن الذى صدر فيه أول ميثاق لوحدة الانسان ، و كرامته ، و زالت فيـــه الحواجز البشرية .

اجتمعوا فى هذا المركز و المنطلق ، فلو كانوا اجتمعوا و هم مرتبطون بانتماء واحد ، و هو الانتماء إلى الاسلام ديناً و سياسة و قوميـــة ، لكان المؤتمر الذى كان افتتاحه فى هذه البقعة المباركة ، نقطة انطلاق ، و مصدر وحـدة و تآلف ، لكنهم اجتمعوا و هم يتبعون شخصياتهم وشاراتهم وشعاراتهم التى تفرقهم وتوزعهم ، ينظر كل شخص منهم إلى المسائل الاسلامية بمنظار مصلحته الشخصية ومصلحة سياسة بلاده ، و يصر على موقفه و يتصلب فيه و يقف فى وجه كل محاولة تتنافى مع مصلحة سياسته ، كما يدل عليه موقف التصلب الذى وقفه وفدا سوريا واليمن الجنوبية فى إحباط إدانة الاتحاد السوفيتى .

و قد حاول المنظمون للمؤتمر أن لا ينتهى المؤتمر إلى جمود وتجنبوا الصدام الشخصى ، فاكتفوا باصدار قرارات مطاطيـــة يفسرها كل شخص حسب ميوله و مصالحه و يطبقها حسب فهمه و سياسته ، و تذهب القرارات مذهب نداءات أخلاقية لا تحمل وزناً سياسياً .

كان من المناقضات ، أن يشترك فى المؤتمر الاسلامى حكام عرفوا بعدائهم للاسلام ومحاربتهم للعاملين فى سبيل الدعوة الاسلامية والذين أيدوا قوى الاحتلال

فى أفغانستان ، فاذا كان من المسموح كزعيم مثل طاغيــة سوريا أن يشترك فى المؤتمر الاسلامى بسجله الأسود الذى يقطر دماً ، و بحقده و مكائده ضد الشعب السورى المسلم ، و انتهاك عملائه للحرمات ، والمقدسات الاسلامية ، فاذا كان من المسموح له بأن يشترك و يتــدخل فى مداولات المؤتمر ، فماذا كان يمنع منظمى المؤتمر من السماح للقادة الآخرين فى العالم الاسلامى الذين لم يشتركوا فيه ، وأغرب من ذلك أن ينال حافظ الأسد جائزة على جرائمه ، بموافقة المؤتمر على منح دعم مالى له لمواصلة مواجهة إسرائيل

ألم يكن فى حق المشتركين أن يسألوه اين صرف الدعم " " "

حتى الآن ، صرفه ضد إسرائيل ام ضد المواطنين العزل

و قتل الأبرياء فى السجون ، وقصف المناطق الآهلة بالسـ

و اغتيال الصحفيين و المثقفين الاسلاميين فى مختلف أنحـ

إن ما يجرى فى سوريا لا يقل خطراً عن ما يحــدث فى افغانستان ، فان سوريا تعيش الآن تحت ظروف احتلال الأقلية العلوية المعادية للاسلام و المسلمين و تساندها القوات السوفيتية ، و قد كان من حق المناضلين فى سوريا أن يكون لهم دوى و صدى فى المؤتمر الاسلامى ، وأن ينالوا الدعم المالى بدلا من النظام الذى ليس له أى مبرر قانونى

لقد جرح قرار مؤتمر القمة بدعم سوريا مشاعر المسلمين ، و خاصة الشعب السورى الباسل ، وقد كان من الآمال التى كانت تعقــــد بالمؤتمر أن يكون دعما لسائر المضطهدين فى العالم الاسلامى الذين يواجهون الاستبداد و القهر ، وأن يكون المؤتمر نقطة انطلاق فى حل المشاكل الاسلاميــة الحيوية ، و لكن لم يكن ذلك ميسراً إلا إذا كان القادة المسلمون درسوا المشاكل مرتفعين عن مصالحهم القومية و الشخصية .

الثورة الاسلامية فى سوريا المجاهدة

الأستاذ محمد زاهد عبد الله

صدر فى دمشق فى غرة المحرم و بداية القرن الهجرى الخامس عشر « بيان الثورة الاسلامية فى سوريا ومنهاجها » ، وينقسم إلى قسمين ، الأول بيان الثورة ، ويستعرض أحوال سوريا منذ استقلالها وما آلت إليه فى ظل الحكومات المختلفة حتى انتهت إلى قبضة الحكم الطائفى الطاغوتى ، ويتحدث عن الفساد الذى استشرى فى كل مكان ، والهجمة الظالمة على الاسلام ، وكل ذلك من بواعث الثورة الاسلامية التى انطلقت لاحياء فريضة الجهاد وإعادة الأمر إلى نصابه والحكم إلى أهله وأصحابه

و يتحدث القسم الثانى بشكل دقيق عن برامج الثورة الاسلامية فى السياسة الداخلية و التشريع و الاقتصاد و الزراعة و الصناعة و الجيش والتربية والاجتماع و الصحة و السياسة الخارجية ، و قد أشار البيان فى معرض حديثه عن التربية إلى قول سماحه الاستاذ أبى الحسن على الحسنى الندوى « إن مهمة التربية هى التمكين للعقيدة ، و القيام على خدمتها ، أما إذا انحرفت التربية عنها ، و سارت فى طريق تشويهها أو التشكيك فيها ، فانما هى تربية خائنة » .

و قد وقع البيان عن قيادة الثورة الاسلامية فى سوريا الأستاذ عدنان سعد الدين المراقب العام للاخوان المسلمين فى سوريا و المربى الاسلامى المعروف ، و الأستاذ سعيد حوى مسؤول الشؤون العقائدية فى الاخوان و الكاتب الاسلامى المعروف ، ذو المؤلفات العديدة ، والأستاذ على صدر الدين البيانونى نائب المراقب

العام و نجل فضيلة الشيخ الراحل أحمد عز الدين البيانونى أحـد كبار علماء حلب العاملين التقاة الثقاة .

و يعد صدور البيان خطوة هامة تخطوها الثورة الاسلامية الظافرة ، و قد تلقته جموع الشعب المتلهفة بالقبول ، و حاز رضا جميع الفئات و الطوائف .

شهدت دمشق فى الأسابيع الماضية بداية الجولة الثانيـة من معركة الحق مع الباطل الزهوق ، فقد ثار المجاهدون لضحايا الغدر و الدالة الطائفية الذين ما فتأت قوات النظام الباغية تقتلهم دون جريرة أو ذنب ، و ذلك فى سلسلة من الهجمات المقدامة التى شنوها على مساكن الضباط الطائفيين النصيريين ،

ستـــة ضباط من ذوى الرتب العالية ، أهمهم قائد

سرايا الدفاع .

كذلك نفذ المجاهـــدون فى الأسبوع الأول من

الدكتور يوسف صايغ عضو القيادة القطرية لحزب البعث ، و الذى تسبب بحقده على الاسلام و المسلمين فى إيذاء المسلمين و المتدينين فى الأوساط الطبية ، و هو إضافة إلى ذلك طبيب الطاغية الخاص

و فى نفس الوقت نفذ المجاهدون حكم الله فى عالم السوء عـدنان اللادقانى ، الذى تواطأ مع النظام و باع دنياه بدينه و أصبح عيناً على المجاهدين وعوناً للطغاة المتسلطين ، و كانت إذاعـــة دمشق تذيع خطبته يوم الجمعة لما تتضمنه من النفاق و الرياء و الطعن و الهجوم على المجاهدين و تبرير لمظالم الطغيان ، و هو يفعل كل ذلك تحت رداء الاسلام الذى هو منه براء

و فى الأسبوع الأخير من ديسمبر ، نفذ المجاهـــدون حكم الله فى درويش الزونى أحد أركان الحكم الطائفى الحاقد ، و هو من مؤسسى حزب البعث و عضو

القيادة المركزية للجبهة الوطنية التقدمية ، و هو ضابط سابق برتبة عميد و قاضى عسكرى سابق .

و قد جاءت هذه العمليات الجريئة رداً عملياً على مزاعم الطغاة و تخرصاتهم بأنهم قضوا على المجاهدين و « عمودهم الفقرى » على حد تعبير ناطقهم الرسمى ، وقد هب الطائفيون يزبدون ويرعدون ـ وفرائصهم من الخوف ترتعد ـ وأعلنوا عن مداهمات وهيمة لمخابىء المجاهدين ليستروا بذلك سوءاتهم ، و أنى لهم ذلك .

ارتكبت السلطات الطائفية الباغية فى أوائل ديسمبر الماضى جريمة جديدة بحق الشعب السورى المسلم ، عند ما حاصرت القوات الخاصة و سرايا الدفاع المنطقة الصناعية فى حمص ، و جمعت المواطنين الموجودين فى المنطقة ، و نهبت ممتلكاتهم و أذاقتهم ألوان العذاب و الاهانات عن الشتائم الجارحة بحق الله عز و جل و الأنبياء و الملوك والرؤساء العرب ـ والتى طلب من المواطنين ترديدها تحت تهديد السلاح ـ و من ضرب بالعصى و أطراف البنادق و أسلاك الكهرباء الغليظة ، و قد استمرت هذه الجريمة طيلة ذلك اليوم الحزين فى مدينة خالد بن الوليد .

وتشاء عدالة الله عز و جل أن يكون بين الموقوفين عدد من أتباع السلطة ورجالها ، منهم ضابطان برتبة نقيب ومقدم . وعضو فى مجلس الشعب (البرلمان) هو غالب النجيب ، وأخو العماد مصطفى طلاسى وزير الدفاع الحالى و أحد الطغاة المستبدين ، و لكن ذلك لم يشفع لهم لدى النصيريين الحاقدين . فنالوا نصيبهم الأوفى من الشتم و الركل و الضرب الشديد .

وقد نتج عن هذه الأعمال الوحشية استشهاد ستة من المواطنين ، مات أحدهم غرقاً على يد أحد الجنود الذى غطه فى الماء بعد محاولته الهرب .

و قد رد المجاهدون احفاد خالد بن الوليد على ذلك بسرعة مذهلة حين

نفذوا حكم الله فى ثلاثة ضباط نصيريين فى مساء اليوم نفسه ، ثم نفذوا بعد يومين حكم الله فى أحد المخبرين المتواطئين مع ابنه .

شهدت مدينة الميادين شمال شرقى سوريا قرب دير الزور معـــارك ضارية خاضها الشعب السورى ضد الطغمة الطائفية المتسلطة .

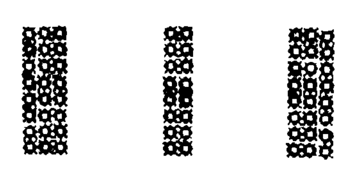
فقد تصدى المجاهدون فى بداية ديسمبر لمجموعات من المخابرات يقدر عددهـا بمائتى عنصر جاءت تحاول القبض على ثلاثة منهم ، وانضم أهل البلدة إلى المجاهدين وأوقعوا بالمعتدين خسائر قدرت بعشرة قتلى و سبعة عشر جريحاً ، جراح بعضـ عميقـــة ، كما دمروا ثلاث سيارات ، مما حمل الطغاة دير الزور .

و بعد أسبوعين ، حشدت السلطات الطائفية

المدرعات و تدعمهم مختلف الأسلحة ، و ذلك للهجوم

القضاء على المجاهدين ، و لـكن يقظـــة المجاهدين ـ بعون الله و توفيقه ـ أفشلت خططهم ، فقد انضم أهل البلدة مرة أخرى إلى المجاهدين فى صد العدوان ، وكانت معركة استخدم فيها المجاهدون مدافع الهاون (مورتر) و القذائف الصاروخية ، و ردوا قوى الشرك و البغى على أعقابها خاسرة مذعورة .

و لا تزال السلطة الباغيـــة تلعق جراحها ، بينما يسود التوتر و الترقب على المنطقـــة .



فضيلة الشيخ محمد المجذوب أستاذ الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ، فى ندوة العلماء .

★ شرف ندوة العلماء فضيلة الشيخ محمد المجذوب حفظه الله ، من كبار أساتذة الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة على دعوة من سماحة الشيخ مولانا أبى الحسن على الحسنى الندوى رئيس ندوة العلماء بالهند ، لالقاء محاضرات فى كلية اللغة العربيـــة و كلية الشريعة حول موضوعات أدبية ودعوية وتربوية ، وقد تفضل فضيلته بالقاء محاضرات حول التربية الاسلاميـــة ، و الدعوة الاسلامية و أساليبها و حكمتها ، و تاريخ الأدب العربى ، و فقه اللغة ، و النقد الأدبى .

و قد استفاد من فضيلته الطلاب من المراحل العالية و العليا ، خلال إقامته فى دار العلوم ، وقـــد امتدت إقامته إلى عـــدة أسابيع ، فكانت مبعث نشاط و حيوية فى الحى الجامعى و الوسط التعليمى ، كما أن فضيلته قد اطلع على جميع الأقسام والكليات ومناهجها وزار المجمع الاسلامى العلمى ، وارتاح مما رأى فى دار العلوم من نشاط تعليمى و تربوى ، و أدبى و دينى ، و غادر دار العلوم إلى مدارس الهند الاسلامية الأخرى ، فزار الجامعة السلفية فى بنارس حيث نال ترحيباً كبيراً من المسئولين عن الجامعـــة ، وزار جامعة الفلاح فى اعظم كره ، و مؤسسة دار المصنفين بأعظم كره ، وجامعة مظهر العلوم فى بنارس وجامعة الرشاد فى اعظم كره ، والجامعة الاسلامية فى بنارس ، ومدرسة فلاح الدارين بتركيسر غجرات ، والجامعة الاسلامية بداهيل غجرات ، و غيرها من الجامعات والمدارس الاسلامية ، وغادر الهند إلى المدينة المنورة فى آخر شهر صفر ١٤٠١هـ .

و نرجو الله سبحانه و تعالى أن تتكرر مثل هذه الزيارات و اللقاءات على رحاب ندوة العلماء بصفة دائمة

★ اكتشاف شحنة كاشفة فى جمعية الاصلاح الاجتماعى بالكويت :

حملت الأنباء اكتشاف محاولة خطيرة لتفجير جمعيـــة الاصلاح الاجتماعى ، فى

الكويت ، من قبل طغمة دبلوماسية فى إحدى السفارات العربيـة فى الكويت ، ولو لا أن الله سبحانه من على المسلمين وعلى العاملين والحاضرين فى جمعية الاصلاح لأداء الصلاة و الاستماع إلى المحاضرة بكشف القنبلة الناسفة التى تم العثور عليها قبل انفجارها بعـــدة دقائق لذهب ضحيتها ـ لا قدر الله ـ حوالى ٨٠٠ مسلم ممن كانوا فى مقر الجمعية و المسجد ، و نسف مبنى الجمعية بأسره ، و لكن الله سبحانه أحبط هذه المؤامرة الخسيسة بفضله و من على عباده المؤمنين المخلصين المجاهدين فى سبيل دينه و العاملين فى رفع كلمتـه بالحصانة و الصيانة ، و رد كيد الأعداء إلى نحورهم ، و عاقبهم بالذل و الخسارة .

هذا و قد أشارت المصادر المطلعة إلى أنه قد تم

الدبلوماسية فى إحدى السفارات العربية فى الكويت التى

الجرائم و تنفيذها بواسطة عملاء ما جورين .

نحمد الله على ما تكرم فأحاط جمعية الاصلاح الاجتماعى و رجالها برعايته ، و حفظهم من كل مكروه ، و لا حول و لا قوة إلا بالله العلى العظيم .

★ سماحة الشيخ مولانا أبى الحسن على الحسنى الندوى يغادر إلى مكة المكرمة :

غادر سماحة مولانا الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى إلى مكة المكرمة فى ٢٨/ ربيع الأول ١٤٠١هـ المصادف ٤/ فبراير ١٩٨١م للحضور فى المجلس الأعلى للمساجد برابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة ، التى تبدأ دورة المجلس الأعلى للمساجد من غرة ربيع الثانى ١٤٠١هـ ، ويرافقه فى هذه الرحلة الأستاذ محمد الثانى الندوى رئيس تحرير مجلة « رضوان » الشهرية الصادرة من لكهنو .

ويرجى أن يزور سماحته المدينة المنورة بعد انتهائه من جلسات المجلس الأعلى للمساجد ، حيث يقضى عدة أيام ، وأن يزور بعض المناطق الأخرى للمملكة باذن الله تعالى ، والمتوقع أن رحلته هذه ستستغرق شهراً واحداً ، فعلى بركة الله فى الحل والترحال

رسالة حديثة حول القرن الخامس عشر الهجرى الجديد

قام المجمع الاسلامى العلمى بندوة العلماء بنشر رسالة القرن الخامس عشر الهجرى الجديد لسماحة مولانا الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى ، كهدية القرن الهجرى الجديد للسلمين و العالم الاسلامى كله .

الكتيب يقع فى ٨٤ صفحة بالقطع الصغير و يحتوى على دراسة عميقة للتاريخ الاسلامى ، واستعراض أمين للواقع ، ويتحدث عن المنهج الشامل للعمل الاسلامى و الدعوة الاسلامية فى هذا العصر ، و يعرض صورة واضحة صادقة للقرن الرابع عشر الهجرى ، و يدعو المسلمين لكى يحاسبوا أنفسهم فى ضوئها ، و يقارنوا بين أرباحهم و خسائرهم ، و أخطائهم و إصاباتهم و يستعدوا بعزم أكيد لمواجهة الحقائق و معالجة القضايا .

إنه هدية طريفة غالية للقرن الخامس عشرالهجرى الجديد ، و وثيقة تاريخية تحمل عصارة دراسات عميقة و تجارب عملية طويلة .

يطلب من المجمع الاسلامى العلمى بندوة العلماء .



Phones . 49747 42948 Regd. No. LW/NP 59

ALBAAS-EL-ISLAMI

Nadwat-ul-Ulama LUCKNOW (India)

البعث الإسلامي

شهرية إسلامية جامعة

رياسة التحرير : سعيد الأعظمي
واضح رشيد الندوي

الاشتراكات السنوية

في الهند ٣٠ روبية، ثمن النسخة ٣ روبيات

في العالم العربي ٦ دولارات أمريكية أو ما يعادلها بالبريد العادي
١٥ دولارا بالبريد الجوي

في أفريقيا الجنوبية ٣ دولارات بالبريد الجوي
والشمالية وأمريكا وأوروبا ٨ دولارات بالبريد العادي

في باكستان ٥٥ روبية بالبريد العادي
مع أجرة البريد

المراسلات

NADWA LUCKNOW





المنهج الاسلامي

المنهج الاسلامى ، منج مستقل ، منهج مختلف ، منهج أصيل ، ليس بينه وبين المناهج الوضعية وجه شبه أونسب ، فبينما المناهج الأخرى أوالديانات السائدة الأخرى ، تختلط مع الشعوب البشرية العامة فى سوق المادة والمعدة وتجتمع معها على مائدة واحدة ، وتتمتع معها بملذات الحياة المحرمة بحرية تامة ، نرى الاسلام ينفصل عن هذه الشعوب المادية من أول الطريق ، ...

على دين ...

الباطلة و ...

بما جاء فى

و التشديد على النهى عن متابعتهم ولو فى الأمور العادية البسيطة « وتحسبونه هينا و هو عند الله عظيم »

محمد الحسنى (رحمه الله)

العدد التاسع

● جمادى الثانية ١٤٠١هـ

● إبريل ١٩٨١م

NADWAT-UL-ULAMA

Po. Box 93

Lucknow (India)

البعث الاسلامي

شهرية اسلامية جامعة

انشأها فقيد الدعوة الاسلامية الاستاذ محمد الحسنى (رحمه الله) فى عام ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م

سعيد الأعظمى الندوى

واضح رشيد الندوى

البعث الاسلامي

ندوة العلماء ص ب ٩٣

لكهنو — الهند

محتويات العدد

من دورالتقليد إلى دورالابتكار والاختراع واضح رشيد الندوى ٣

★ التوجيه الاسلامى

أمثلة من دعوة سيدنا موسى عليه السلام سماحة الشيخ الندوى ١٠

مسلمون . . ملكيون أكثر من الملك ! الدكتور فاروق عبد السلام ٢١

على هامش الانحراف الدكتور غريب جمعة ٢٥

★ الدعوة الاسلامية

الفكرة الاسلامية السنية و الحاجة إليها فضيلة الشيخ محمد إسحاق الندوى ٢٩

دراسة عن الحضارة الاسلامية ومنحها العالمية محمد صدر الحسن الندوى ٣٧

★ دراسات و أبحاث

دراسة عن معجزة القرآن الكريم الأستاذ محمد محمود شاكر ٤٧

البحث الاسلامى ، أهدافه و مناهجه الأستاذ محمود أحمد غازى ٥٨

المعاول الهدامة على اللغة العربية محمد عبد السليم خان ٦٩

★ المرأة

المرأة قبل الاسلام و بعده الأستاذ سعيد بن عبد الله سيف الحاتمى ٧٨

★ فى رياض الشعر و الأدب

من أسرار التآخى والترابط بين المسلمين ! الأستاذ الشاعر حسن بن يحيى الذارى ٨٦

★ العالم الاسلامي

ندوة عالمية للأدب الاسلامى « التحرير » ٩٠

أخبار اجتماعية و ثقافية ٩٤

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحيـــة

من دور التقليد إلى دور الابتكار و الاختراع

إن أهم غاية للعلم الحقيق هو تكريم الانسان و تحريره عن الشوايب ، و التقليد الأعمى ، و تحقيق مكانة الشرف و الخير و السعـــادة له فى الدنيا و الآخرة ، فيعيش المتعلم الذى نال العلم الصحيح ، بروح ا [illegible]
أحد ، و لايخـــذله إنسان غيره ، و لا يحرم
و إعمال الفكر و النظر ، بما وهبه الله تعالى م
و جسمية ، و يعيش فى حيـاته ، سيداً لا م
لا يخضع لأحد إلا لمن خلقه وسواه ، و صوره فأحسن صورته ، و ا كرمه و أحسن مثواه .

صرح القرآن الكريم كلما ذكر خالق الانسان و فطرته ، أنه مخلوق مكرم ، مخلوق محبوب خلقه الله ليكون خليفة له على الأرض ، سخر كل ما خلقه لخدمة الانسان ، و لقضـــاء مآربه ، و حاجاته ، و أعطاه مفاتيح الأرض ، و علومها ، و أسرارها ، و حث القرآن على معرفة أسرار الكون ودراسة طبيعة الحياة ، والتفكير فى آيات الله التى تتجلى فى خلقه ، وحسن صنعه ، وبين أن آيات الله لا تعد ولا تحصى فأكد الاستمرار فى البحث ، و التفكير لأن العلم عملية مستمرة و جهد متواصل ، و خاطب من غره علمه المحدود وحسب أى مبلغ من العلم أنه آخر نقطة من العلم ولم يفكر ويدبر فى آيات الله بقوله :

و ما أوتيتم من العلم إلا قليلا ، ليعلم و يدرك أن ما يعلمه محدود ، و أن هناك آفاقاً أخرى لم تكتشف بعد ، و أن علمه لا يحيط إلا بجانب من العلم .

إن العلوم مهما بلغ الانسان من معرفتها ، و تقدم فيها ، خلقت للانسان و تكشف عليه بقدر بحثه عنها ، و توفيقه فی السعی إليها ، ويشكل كل مجموعة من العلوم قدراً ضئيلا من العلوم و المعارف الحقيقية التی أودعها الله تعالی للانسان الذی يعيش علی وجه الأرض إلی يوم القيامة

من طبيعة الانسان ، الذی خلق عجولا ، إنه كلما اكتشف قدراً جديداً من العلوم و المعارف ، و أسرار الكون ، إعتبر أنه بلغ الذروة ، أو أحرز القدح المعلى ، و لكن علمه بالنسبة للعلوم التی ستكتشفها الأجيال القادمة محدود وضئيل

إن ما يكتشفه العلماء وما يكونون من نظريات و فلسفات عن الحياة جديدة و راقية لكونها آخر ما اكتشفه العلم و لكنها بعد حقبة من الزمان تصير موضع نقد ، يرفضها العلماء الباحثون الذين يتقدمون فی العلم و يواصلون الفكر و البحث و التمحيص .

كم من النظريات الفلاسفة قدماء سيطرت علی الفكر زمناً طويلا ، و سببت فی شقاء و تعذيب علماء لم يقبلوها فی عهدهم ، و لكنها بعد زمن فقدت تأثيرها بل صارت مرذولة و مرفوضة .

فلا ثبات للعلوم ، و لا ثبات للزمان ، لأن الزمان لا يقر له قرار و الفكر الانسانی يتغير بتغير الظروف و الأحوال ، فلا يمكن أن ينطبق علی أی بحث و علم القول بسداده لكل عصر ودوامه ، إلا العلم الربانی الذی لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه ، تنزيل من حكيم ، و العلم العصری ، هو العلم المقيد بزمان ومكان ، فكل ما نعلمه اليوم قد ننكره غداً ، وما ينطبق علی منطقة لا ينطبق علی منطقة أخری ، و قد يقبل العقل الانسانی اليوم شيئاً لا يقبله غداً ،

فليس العلم شيئاً مقدساً لأنه يزول و يتقيد بذهن و عقلية . و بيئة و يتوقف على تفكير و تجربة وممارسة عقلية مكيفة بزمان و مكان ، فتبلى جدته . وتحل معارف جديدة محل المعارف التى ندرسهـا كحقائق ثابتة . و تاريخ العلوم و الأفكار ، و الثقافة خير شاهد على مثل هذه التقلبات

كذلك المال و القوة ، و كل ما يتباهى به الانسان .

كان المال والقوة أكثر استقراراً ، ودواماً فى العهود الماضية . لأن الوسائل للحصول عليها لم تكن ميسرة ، فكان استقرارهما أمراً بديهياً لأن أصحاب القوة و النفوذ ، و أصحاب الثراء والغنى كان يدوم نفوذهم

و لكن المجتمع الحالى الذى يتميز بالسرعة و التح

من يد إلى يد أخرى بسرعة الزمن .

يمكن أن تكون هذه الحقيقة عن العلم ، و الما

الذى عاش فى العهود التى لم تنتشر فيها وسائل الاعـــلام ، حيث كان سكان بلد لا يعرفون ما يحدث فى بلد مجاور ، إلا بعد شهور أو سنين ، أما اليوم فيعرف الانسان اليوم ما يحدث فى آخر بقعة من بقاع الأرض فى الوقت نفسه ، ويتابع الأحداث ، وتصل إليه أحدث الاكتشافات فى العلم ، وأحدث الأحداث السياسية والاجتماعية ، يعرف سقوط حكومات ، وقيام حكومات ، فور حدوثه ، ويعرف تغير الخطوط فى لحظات . فلا يتعجب بتغير المعارف ، إذا صار المجهول معلوماً و المعلوم مجهولا و لا يتعجب إذا صار الحاكم محكوماً و المحكوم حاكماً

فليس العلم إذا مقدساً . و لا المال و القوة مما يقدس ، و كثيراً ما نجد أعلاماً نالوا القدسية والشرف للعظيم لآرائهم لكنهم ذهبوا فى مجاهيل التاريخ بتقدم العلم ، أو ببطلان نظرياتهم ، وأمثال هؤلاء العلماء الذين اهتزت عروشهم و رفعت عن رؤسهم تيجانهم ، كثيرة فى التاريخ .

فكل ما نعرفه اليوم نتيجة لجهودنا العلمية المحدودة يحتمل الشك ، ولا يشكل . إن كان حقاً ، إلا قدراً ضئيلا مما سنعرفه غداً .

يرى الباحثون أن الشك مصدر للتقدم فى العلم لأن العلم شيء لم يتقدم ويتغير بكل تحقيق . و نظر ، و تفكير ، فلا توجد فى العلم مفروضات ، و لا حقائق ثابتة ، ولذا تتضارب الآراء فى كل علم بين العلماء الباحثين حسب ميولهم وأبحاثهم ، و لا يأخذ أحد منهم ما حققه غيره كعقيدة مقدسة لا مجال فيها للشك ، و كان ذلك سر نمو العلم و تقدمه .

و لكننا فى الشرق على عكس علماء الغرب ، الذين يؤمنون بعدم قدسية العلم و عدم افتراض نظرية من النظريات ، مقلدون للغرب بكل ما فى هذه الكلمة من معنى ، وافترضنا أن كل ما عليه علماء الغرب ، لا تقل من البديهيات ، فاذا تعارض العقل و النقل رفضنا النقل ، لأن العقل له قيمة كبرى و هو مقياس الحكمة و السداد فى أعين العقلانيين ، لكن إذا تعارض العقل ، والنقل من الفكر الأوربى أمام هؤلاء العقلانيين ، آثروا النقل ، و تقليد الغرب لأنه هو منطق العقل ، وقد آمن علماء العصر الحديث من المسلمين الذين درسوا العلوم الغربية أو تتلمذوا على أساتذة مثقفين بالثقافة الغربية بقدسية الغرب ، فى كل شئ ، فى العلم وتجاربه فيه ، و فى الثقافة لأنه ثقافة السادة فى العالم المعاصر ، مهما تعارضت أفكارهم ، و مثل حياتهم ، مع أفكارهم الأصيلة ومثل حياتهم القومية وتنافت مع غيرتهم وشخصيتهم ، فتحولت بذلك طبيعة الشرقيين و خاصة المسلمين ، الذين كانوا أكبر هدف لهجوم الغرب السياسى و الغزو و الثقافى ، إلى طبيعة التلميذ الذى يحاكى أستاذه و يقلده فى كل عمل و سلوك ، و يقف عند حده ، لا يوجد فيه اندفاع و لا غيرة ولا حرية تفكير لأنه آمن بعبقرية أستاذه وقدسيته وكماله الدائم مهما تغيرت الظروف و تطورت الأفكار .

نشأت هذه الطبيعة ، طبيعة تقديس العلوم و الافكار التى كان منبعها الغرب ، فى عهد الانحطاط فى ظلال الاستعمار الغربى ومثلت المدارس الاستعمارية التى أنشئت فى ذلك العصر ووسائل الاعلام دورها فى تحبيب وتمجيد كل ما يأتى من الغرب ، و تقديسه ، و قد ولى ذلك العهد و تحررت الشعوب الشرقية ، و خاصة المسلمون و نشأت لهم دول مستقلة ذات سيادة ، و لهم جامعــات و مدارس ، و مجامع علمية ، ولكن الشئ الذى لا يزال ينقص هذه المؤسسات العلمية ، هو الابتكار ، و الابتداع ، و الحرية فى الفكر ، و لا يزال الأساتذة و رجال التربيــة يلقنون و يرددون شعار مسايرة الحياة المعاصرة ، فمن يكن أقصى أمله
أن يفكر فى السبق و التقدم لأنه رضى لنفسه أن
يسير مع رائده حيث سار ، فانى له أن يفكر
و النظر و العمل بحرية .

طغى التقليد على عقلية علمائنا المتغربين إلى حد انهم [illegible] ، فيرددون أقوال أرسطو ، و الفلاسفة اليونانيين الآخرين الذين يستمد من أفكارهم علماء الغرب أفكارهم ، ويتحاشون عن العلماء المسلمين الذين جاؤا بعدهم و كانوا على معرفة من الفلسفة اليونانية كالغزالى والرازى والرومى وابن خلدون ، وعلماء ومصلحين آخرين ، و يعتبرون الانتساب إليهم رجعية و تخلفا ، أما الانتماء إلى أرسطو ، وفلاسفة يونانيين آخرين سبقوا حكماء الاسلام بمآت السنين تقدم وتنور لأن علماء الغرب يستمدون أفكارهم منهم ، كذلك يعتمد الباحثون المسلمون على المستشرقين فى الدراسات الاسلامية ، و يغفلون تعصبهم و خضوعهم لأغراض سياسية و الدافع الصليبى فى التأويل العلمى .

لقد استمد الغرب العلوم اليونانية عن طريق المسلمين ، ولكنه لم يعتبر نفسه مقلداً للسلمين أيام تعلمه ، أخذ هذه العلوم و هو يحقد الاسلام و المسلمين وتحرك قلبه روح الصليبية ، ودافع السبق على المسلمين ، فقام بتطوير هذه العلوم

المقتبسة وان يخرج منها نظريات جديدة وتصورات جديدة ، ملائمة لطبيعته ومتغيرات حياته ، ثم هاجم الاسلام و المسلمين علمياً ، بمكنته جديدة يدعى بهما الاستقلال بالعلوم ، و انتقل فى فترة قليلة من دور التلمذ إلى الأستاذية ، و احتكر العلوم بصياغتها الجديدة

أما المسلمون رغم هذه المدة الطويلة من كسب العلم و اتصالهم المباشر بعلماء الغرب ، و فتح المدارس والجامعات فى البلاد الاسلامية ، فلم يتقدموا فى طريق الابتكار ، أو الانفصال عن استاذهم ومربيهم . ولم يقو ساعدهم و لم يبذلوا الجهد للوقوف على أقدامهم ، لأن الثقة بالنفس و النضج و عقلية الابتكار ، و الابتداع كانت تنقصهم و غلبت عليهم عقلية المحاكاة و التقليد ، فتصوروا العلم ميراثاً لطبقة واحـــدة .

إن هذه القدسية للعلم الغربى يجب أن تزول ، و لكن لا يمكن أن تزول إلا إذا تقدم علماء مسلمون مثقفون ، لهم معرفة دقيقة بالعلوم الغربية ـ ولا يقل عددهم فى العـالم الاسلامى ـ للنقد و الاستعراض ، بحرية ، فى ضوء المتغيرات الاجتماعية و الفكرية فى العالم الاسلامى و متطلبات البيئة الاسلامية و تطورها ، وقاموا بالبحث و التمحيص فى سائر العلوم ، و خاصة فى علم النفس ، والاجتماع و الاقتصاد ، و السياسة ، و العلوم الطبيعيـــة ، فضلا عن الآداب ، و يغربلوها ويخرجوا من دور ما قبل المراهقة ، وذلك هو الطريق الأقوم لمكافحة الاستعمار ، و لتكوين الشخصية الاسلامية المستقلة و لتحقيق الحرية و الشرف الانسانى ، وإذا قضى المسلمون على التقليد و دخلوا فى دور البحث و التمحيص ، فانهم بكفـــاءتهم و ما يحملون من تراث علمى أصيل ، و تجارب و خبرات علمية عصرية يستطيعون فى مدة قصيرة ، أن يخاطبوا علماء الغرب من موقف القوة ، وموقف الثقة والخبرة ، ويقولوا « و ما أوتيتم من العلم إلا قليلا »

واضح رشيد الندوى

التوجيه الاسلامي

امثلة من دعوة سيدنا موسى عليه السلام وحكمته النبوية

سماحة الشيخ السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى

مهمة سيدنا موسى تختلف عن مهمة الأنبياء الآخرين عليهم الصلاة والسلام :

إن الأوضاع التى ولد فيها سيدنا موسى وعاش فيها و الأجواء و الملابسات التى اقترنت به جعلت مهمته تختلف عن مهمة الأنبياء الآخرين عليهم الصلاة والسلام أجمعين ، اختلافاً يسيراً ، و هو أنه كلف أن يقول لفرعون كلمة صريحة أنه جبار و أنه تسلط على بنى إسرائيل ، أولاد الأنبياء المؤمنين بالله ، و المؤمنين بعقيدة التوحيد وحدهم فى ذلك العصر ، لم تكن القضية قضية أمة من الأمم ، ولا قضية مجموعة بشرية من المجموعات الكثيرة التى كان يزخر بها العالم ، ولا تزال هذه المجموعات على وجه الأرض ، لوكانت القضية قضية أمة مضطهدة ، قضية أمة تسلط عليها جبار سخر الأمة ليقضى مآربه و أخذها بالسخرة الظالمة و القسوة البالغة و بالاضطهاد الدينى ، لكان أمراً يسيراً ، فهذا يقع كثيراً ، وقع فى كل فترة من فترات التاريخ ، و سيقع فى كل حقبة من أحقاب الزمان .

ميزة بنى إسرائيل فى معاصريهم :

ولكن لم تكن القضية بهذه المكانة من البساطة و السهولة ، كانت هذه الأمة هى الأمة الوحيدة التى كانت تؤمن بالله إيماناً صحيحاً ـ على علاتها و على ما كانت تعانى من أدواء خلقية و دينية كذلك ـ ولكنها كانت هى البقية الباقية التى كانت

تؤمن بالله إيماناً صحيحاً ، تؤمن بالتوحيد وهى الأمينة على عقيدة التوحيد ، وقد ثبت تاريخياً أن بنى إسرائيل كانوا فى كل فترة من فترات التاريخ ، على رغـــم أدوائهم الكثيرة ، ورغم انحطاطهم الخلقى والاجتماعى ، متمسكين بعقيدة التوحيد ، وقد أتى على الناس حين من الدهر لم يكن لعقيدة التوحيد وجود إلا فى اليهود ؟ و لذلك علل المفسرون أشرفيـــة السلالة الاسرائيلية بكونهم محافظين على عقيـــدة التوحيد فى الظلام السائد على العالم من الشرك و الوثنية (١) لم تكن القضية أن بنى إسرائيل وقعوا تحت سنابك خيل فرعون و جنوده و وقعوا تحت رحمته وهو قاس جبار ، بل إن القضية أن بنى إسرائيل كانوا

للاشارة للسوات السابقة ، كانت عدم الأمانة

عليهم الصلاة و السلام ،

ألقيت على عاتقه عليه السلام مهمتان

وسيدنا موسى يختلف عن الأنبياء الآخرين ، لأنه ألقيت على عاتقه مهمتان مهمة دعوة فرعون إلى الله الواحد القهار الذى لا شريك له فى الملك ، و لا فى التشريع ، و لا فى أى شئ ، و مهمـــة أخرى و هو أن يدعو فرعون إلى أن يترك بنى إسرائيل و شأنهم ، و يفك أسرى بنى إسرائيل ، وقـد جاء فى القرآن صريحاً : « فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بنى إسرائيل و لا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك و السلام على من اتبع الهدى » (٢) هذا هو الجانب الذى يميز دعوة موسى عن دعوة الأنبياء الآخرين و كان موقفاً حرجاً ، لماذا ؟

(١) قال الله يؤكد هذا المعنى ويكرر فيقول « يا بنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم و أنى فضلتكم على العالمين » (البقرة ٤٧).

(٢) طـــه ٤٧ .

لأن لسيدنا موسى قصة ، فريدة ، و حياته حياة من طراز آخر .

أراد فرعون أن لا يولـد مولود عادي فى بنى إسرائيل ، وأراد الله أن يولد أكبر مولود .

إنه ولد فى جو قاتم خانق قاتل ، إن فرعون وجه تعليماته إلى « قسم المخابرات » كما تقول المصطلحات الحالية ، إلى شرطته أن لا يدع أحـداً يولد فى بنى إسرائيل « إن فرعون علا فى الأرض و جعل أهلها شيعاً ، يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيى نساءهم ، إنه كان من المفسدين (١) » إن فرعون قد خطط تخطيطاً دقيقاً ، تخطيط الحكومات المنظمـة أن لا يولد فى بنى إسرائيل مولود جديد ، و ينقرض جيل بنى إسرائيل ليتخلص منهم تماماً ، و تبقى طبقـة النساء ، يذبح أبناءهم ويستحيى نساءهم ، إنه قرر كملك صاحب حول وطول ، وأراد أن لا يولد أى مولود عادي ، و أراد الله أن يولد أكبر مولود ، و أرهب مولود ، أراد أن يمحو و أن يتفادى و أن يستريح من مولود يشكل خطراً على حكمه وخطراً على مشاريعه . و خطراً على مخططاته ، ولكن الله سبحانه و تعالى خيب مخططه لأنه أمر أن يولد موسى الذى كان يذبح له الأطفال ، إنمـا كانوا يقتـلون الأبناء فى حساب موسى و لكن المولود الذى كان فرعون يخشاه و كان يرصد له ، ولد ، ثم أراد أن لا يعيش فعاش ، و أراد أن لا ينشأ فنشأ ، وأراد أن لا يشب فشب ، وكيف عاش وكيف نشأ ، هذا من عجائب التاريخ الانسانى ، و من معجزات قدرة الله تبارك وتعالى إنه نشأ فى أحضان ألد عدو و فى حجر أعدى عدو يوجد على وجه الأرض .

جو خارق للعادة :

تستحضرون هذا الجو الذى كان جواً خارق العادة ، و كل شئ فيه خارق

---

(١) القصص ٤ .

للعادة « فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عــدواً و حزناً ، إن فرعون و هامان و جنودهما كانوا خاطئين ، و قالت امرأة فرعون قرة عين لى ولك ، لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخــــذه ولداً و هم لا يشعرون ، و أصبح فؤاد أم موسى فارغاً ، إن كادت لتبدى به لو لا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين ، وقالت لأخته قصيه فبصرت به عن جنب و هم لا يشعرون ، و حرمنا عليــه المراضع من قبل ، فقالت هل أدلكم عــــلى أهل بيت يكفلونه لكم و هم له ناصحون فرددناه إلى أمه كى تقر عينها و لا تحزن و لتعلم أ
أكثرهم لا يعلمون (١) » .

ثم خرج من غير استئذان ، وكان منه م
الحاكمة أو الشعب الحاكم ـ ما حكاه القرآن
من أهلها ، فوجد فيها رجلين يقتتلان ، هذا من شيعته وهذا من عدوه ، فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه ، فوكزه موسى فقضى عليه . قال هذا من عمل الشيطان ، إنه عدو مضل مبين (٢) .

هذا من معجزات الايمان و من معجزات القدرة الالهية و من الآيات البينات ، إن الله يكل هذه المهمة إلى فرد موقفه أصعب من كل فرد من أفراد بنى إسرائيل

محنة لقوة النفس و قوة الايمان :

الشئ الثانى أن سيدنا موسى الذى حكى القرآن قصته فى سورة القصص فى تفصيل أكثر ، و فى سور أخرى تارة باجمال و تارة بتفصيل ، هذا الذى يؤمر بالدعوة و فى كل منهما محنة عظيمة للايمان ، و محنة التوكل على الله ، ومحنة لقوة

(١) القصص ٨ - ١٣ .　　(٢) أيضاً ـ ١٥ .

النفس و لقوة الايمان ، محنة المطالبة بحرية بنى إسرائيل ، فهـذا الشئ الذى يجعل سيدنا موسى عنده شئ من الارتباك ، لذلك يقول القرآن على لسانه فى سورة القصص : « و لهم على ذنب فأخاف أن يقتلون » (١) و هو الذى أشار إليه فرعون بقوله : « و فعلت فعلتك التى فعلت و أنت من الكافرين » (٢) فهـذا يجعل سيدنا موسى مرتبكا بعض الارتباك ، ومترددا بعض التردد عند ما أكرم و أمر بأداء هاتين المهمتين ، و تبليغ هاتين الرسالتين ، و لكنه سبحانه و تعالى كان أعلم بأن موسى هو الرجل المهيأ . الرجل المختار لهذه الدعوة

و الآن تأتى أمامنا قطعة من القرآن فيها امتحان لسيدنا موسى كنبى ملهم و كداع حكيم يجمع بين الغيرة على هذه الدعوة و بين الفقه الدقيق العميق لها و لا بد أن يكون النبى هو الأسوة و المثل الكامل فى منهاج الدعوة . هـذه هى النقطة الدقيقة الحاسمة بين الدعاة المقيضين المهيئين للدعوة ، المؤيدين من الله ، و بين الدعاة المحترفين المصطنعين ، المتكلفين المتملقين ، المجاملين الذين يسمون أنفسهم « واقعيين » .

أحب عباد الله إلى أبغض عباد الله .

فأولا يجب أن نلاحظ أن الله سبحانه و تعالى يرسل سيدنا موسى الذى هو حبيبه وصفيه إلى رجل هو أكبر عدو له ، يعنى هنالك نسبة المضادة ، نسبة التفاوت العظيم الذى لا يقوم بين رجلين عاديين . إنما يقوم بين رجلين هما على طرفى النقيض ، أحب عباد الله إلى أبغض عباد الله ، أعظم الرسل فى عصره ، يرسل إلى إنسان قد تحدى القدرة الالهية و قد تحدى الكبرياء الالهية ، وقد جاء فى الحديث القدسى : الكبرياء ردائى و من نازعنى ردائى قصمته » . و قد بلغ من

(١) الشعراء ١٤ (٢) الشعراء ١٩

التحدى من الوقاحة و من الجراءة على الله آخر نقطـــة ، فقال « أنا ربكم الأعلى » (١) فيرسل الرسول الذى يكرم بالرسالة و يكرم بالاصطفاء و بالكلام و بالمناجاة مع الله تبارك و تعالى ، يرسله إلى أكبر عـدو اقترف أكبر ذنب . ثم قد ضم إلى ذلك أنه ادعى الألوهية « قال أنا ربكم الأعلى » فيرسل الله تبارك و تعالى مثل هـذا الرسول الكريم إلى هذا العدو البغيض الرجيم . و لكن ماذا يقول له · « فقولا له قولا ليناً لعله يتذكر أو يخشى (٢) » بعد ذلك لا يمكن أن يتعلل إنسان و يقول إنى أغلظت لهلان القول لأ ما يمكن لانسان أن يبلغ إلى هذا المدى من و من التحدى لقدرة الله تبارك و تعالى و - الأعلى » .

« قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى » (٣) قـد كان فى موقفه ضعف وحرج ودقة ، لذلك قال الله تعالى : لا تخافا إننى معكما أسمع وأرى فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بنى إسرائيل و لا تعذبهم قـد جئناك بآية من ربك ، و السلام على من اتبع الهدى . إنا قد أوحى إلينا أن العـذاب على من كذب و تولى ، قال فمن ربكما ياموسى ، قال ربنـا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى (٤) » .

السهم المسموم من كنانة فرعون .

تفتقت قريحة فرعون الشيطانية و أخذ من كنانته سهماً مسموماً هو السهم الذى لا يطيش ، السهم الذى أطلق على أى واحـد من الدعاة الأذكياء الحاذقين

(١) النازعات ٢٤ . (٢) طه ٤٤ .
(٣) طـه ٤٥ . (٤) طه ٤٦ – ٥٠

الذين درسوا فلسفة الدعوة و درسوا علم النفس ، و علم الاجتماع ، و علم الجدل و المخاصمة ، تحقق له الفشل الذريع ، قال : « فما بال القرون الأولى » (١) هذا من دكاء فرعون الشيطانى . فانه أراد أن يحرك غضب ندمائه الذين كانوا جالسين أراد أن يتخلص و أن يصيد بهذا السهم الواحد صيدين ، أولا أراد أن يشغله عن الدعوة إلى التوحيد لأن أخوف ما يخافه ، هو التوحيد الدى يحرك السواكن من القلوب ، و يحرك الايمان الدقيق الكامن فى قرارة نفوس هؤلاء ، لأنهم كانوا بشراً و كانوا بنى آدم ، و كان فيهم أصحاب عقول وضمائر ، فكان يمكن أن يحرك هدا ، فأراد أولا أن يشغل عن هده النقطة الحساسة التى كانت من أبغض النقط إلى فرعون ، و كان من أوحش الناس لها ، ثم أراد أن يأخذ فى حواره هؤلاء الدين كانوا جالسين حوله لأنه بقى وحده ، و كان محاطاً وحـده ، وأراد أن يكسب ودهم و يثير حميتهم الجاهلية ، فأثار موضوعاً شديد الحساسية بالنسبة لهؤلاء المتكبرين « قال فما بال القرون الأولى » هنالك احتمالان ، إما أن لا يحابى موسى و لا يجامل و يقول هم فى جهنم . « إنكم و ما تعبدون من دون الله حصب جهنم ، أنتم لها واردون (٢) » فمادا تكون العاقبة ، هؤلاء تثور فيهم حمية الجاهلية و يتسلطون عصياً و على الأقل أنهم لا يسمعون لموسى كلاماً ، إما ينقضون من هناك وإما يبطشون بسيدنا ـ أكرمه الله وعصمه ـ وإما أن يحدثوا صخباً وغوغاء ، مادا تقول يا موسى ؟ قد أهنت آباءنا و جرحت شعورنا

السر الكامن و الاعجاز الكامل

و هنالك احتمال آخر ، و هو أن يسكت موسى أو يجامل آباءهم ، ويقول نحن نحترمهم و أنهم كانوا على علم كبير ، أشياء من المجاملة ، فكان لابد أن يتمسك

(١) طـه ٥١ (٢) الأنبياء ٩٨

فرعون بهدا و يتشبث به و يقول : إدا كانوا يستحقون الاحترام . و إدا كانوا أحلاء ، فانهم كانوا على عقيدتى ، ولـكن مادا قال موسى ؟ « قال فما بال القرون الأولى ، قال علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى و لا ينسى » (١) ثم تخلص من هدا إلى ما كان يقوله مثل « الحديث بالحديث يدكر » كان يمكن أن يقول : علمها فى التاريخ ، و لـكن إدا قال التاريخ المجرد . أو فى قصص الأولين لتحول الموقف و صار فرعون يخطب ويتكلم . و احتج بالتاريخ المؤلف المختلق فى عصره و المدروس فى مدارسه و لـكنه قال « علمها عند ربى فى كتاب » ، تلاحظ التعبير الدقيق و تخير الكلمات ، هنا السر الكا

ألف تعبير ويستطيع كل واحد منا إدا واجه

المحنة يتخلص منها بألف تعبير ، حل هدا الدكر

قصص الغابرين ، هدا فى حديث الأولين .

التمسك بالدعوة و عدم الحياد عنها .

و لـكن موسى لم يترك سبيل الدعوة . ولم يترك الخيط الدى كان متمسكاً به ، بل انتقل بسرعة لا تتصور سرعة أكثر منها ، و ببلاغة لا تتصور بلاغة أبلغ منها ، و بحكمة لا تتصور حكمة أقوى و أدق منها ، بكلمة واحدة « علمها عند ربى » و لم يرد أن تطول هده العبارة ، لأنه إدا طول هـده العبارة انتهز فرعون الفرصة و اقتحم المعركة ، « قال علمها عـند ربى » وصل بها إلى ما كان عليه « علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى و لا ينسى » ثم استمر و بدأ يدكر صفات الله التى كان يتهرب منها فرعون ، وهدا الدى كان فرعون يحب أن يتخلص منه ، و الله هناك تأخد الانسان هزة و طرب أدبى و طرب عقلى « علمها عـند

(١) طـــه ٥١ ـ ٥٢

ربى فى كتاب لا يضل ربى و لا ينسى ، الذى جعل لكم الأرض مهداً و سلك لكم فيها سبلا و أنزل من السماء ماءاً فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى ، كلوا وارعوا أنعامكم إن فى ذلك لآيات لأولى النهى » (١) .

مراوغة (٢) فكرية من فرعون ،
و استقامة موسى و نجاحه فيها :

والمثل الثانى تروبه فى سورة الشعراء ، « قال فرعون و ما رب العالمين ، قال رب السماوات و الأرض و ما بينهما إن كنتم موقنين ، قال لمن حوله ألا تستمعون ، قال ربكم و رب آبائكم الأولين ، قال إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون » (٣) هنالك مراوغة فكرية ، فلاغية دعوية ، كيف يحاول فرعون أن يتخلص و أن يعطى هذا الموقف ، يغطيه بسياسته و بلباقته و بتجاربه فيريد أن ينتقل من موضوع إلى موضوع ، و موسى عليه السلام يأبى إلا أن يواصل هذا الموضوع « قال فرعون و ما رب العالمين » وكان فرعون يتوقع أن موسى عليه الصلاة و السلام يقول كلمة ثم تجرى المناقشة ، لكن سيدنا موسى عليه الصلاه و السلام اختار الشئ الذى يضرب على الوتر الحساس « قال فرعون وما رب العالمين ، قال رب السماوات و الأرض و ما بينهما إن كنتم موقنين » .

---

(١) طه ٥٢ - ٥٤ .

(٢) المراوغه قد تطلق فى معنى المخادعة المذمومة ، و المقصود هنا التنقل جيئة و ذهوباً من مكان إلى مكان ، و القيام بحركة مفاجئة فى اتجاه جديد ، كما يفعل اللاعب الماهر مع منافسه ، و أقرب كلمة إليه فى اللغة الانجليزية (Dodge) .

(٣) الشعراء ٢٣ - ٢٧

« ما بينهما » معنى ذلك أن عرش فرعون قائم على غير قوائم ، لم ينطق موسى عليــــه السلام ، و لم يكتف بقوله : « رب السماوات و الأرض و ما بينهما » ولكنه قال : « إن كنتم موقنين » تحداه كذلك ووضع الأصبع على موضع الداء إن كنتم موقنين » .

فرعون يطلق السهم الوحيد فى كنانته :

هنالك أطلق فرعون نفس السهم الذى أطلقه فى الموقف الأول . الموقف واحد . ولكن القرآن يتنوع بحكايته ، « قال لـ ...

تثورون ، ألا تغضبون ، ألا تقومون للدفاع عـ...

ألا تستمعون ؟ و قبل أن يتكلم هؤلاء أو يـ...

آبائكم الأولين » هنالك كذلك حاول فرعون ...

الحرج ومن هذه الأزمة التى واجهته فقال : « إن رسولكم الذى أرسل إليـــكم لمجنون » و هنالك رجا فرعون أن موسى يدافع عن نفسه ، يقول لست مجنوناً ، هذا كان متوقعاً عن صاحب عقل ، وقد أثبت ذكاءه و سلامة ذهنه فى مناسبات كثيرة

آخر سهم فى كبد فرعون :

وعرف فرعون موضع الداء فى نفس الانسانية ، أن الانسان إذا أهين أو أن الانسان إذا انتقد أنه ينسى كل شئ ويدافع عن نفسه كأنى به أسمع وأرى ، كان يتوقع أن موسى ينسى دعوته و ينسى كل شئ ، و يقول : من يقول أنا مجنون ؟ أطلبوا الأطباء يفحصون عنى فحصاً طبياً ، ويقدموا إليك تقريرهم ، فكان هذا رجاء فرعون فى قوله : « إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون » .

و لكن موسى أجابه بقوله : « قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم

تعقلون (١) » لم يدافع عن نفسه ، و لم يقل أى كلمة فى الدفاع عن نفسه ، إنه كان مرسلا من الله تبارك و تعالى ، مكلفاً بالدعوة ، فقضية الجنون و العقل هذه قضايا بالنسبة إلى هذه الدعوة الكريمة الجليلة ، قضايا لا قيمة لها فى المجتمع الذى يسود فيه الشرك ، فى المجتمع الذى تسود فيه الوثنية ، فى المجتمع الذى تشيع فيه الجنايات والجرائم ، فى المجتمع الذى تهتك فيه الأعراض ، فى المجتمع الذى يقتل فيه الأبرياء وتقتل الأطفال ، ما أهمية الجنون ؟ إنه تناسى هذه التهمة و قال . « رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون » هذا آخر سهم فى كبد فرعون لأنه كان يعتقد أنه رب المشرق و المغرب فى مصر ، و كان يعتقد أن العالم فى مصر ، و كان يعتبر أن الذى يملك مصر و يحكم مصر فهو رب العالم ، فلما قال « رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون » ، إنه حطم البناء الذى قامت عليه دعوى فرعون و قام عليه عرش فرعون وحكمه .

هـذا مثال من أمثلة الدعوات النبوية و حكمتهم ، و هـذه الصورة الثانية تختلف فى الدعوة و الداعى و المدعو إليه ، الدعـوة هى دعوة معقدة دقيقـة ، و الداعى موقفه دقيق و حرج ، و المدعو إليه أكبر ملك ، لذلك هذه الصورة تستحق الاهتمام منا ، و تستحق الدراسة ، و تستحق التأمل الدقيق و استيحاء الحكم و النتائج العميقة و البعيدة المدى ، من هذا النموذج الذى عرضه القرآن فى حكاية سيدنا موسى و فى حكاية دعوته .

---

(١) الشعراء ٢٨ .

مسلمون . . ملكيون أكثر من الملك ! !

بقلم : الدكتور فاروق عبد السلام

واجب العصر على الدول النامية فى الشرق الاسلامى . . . .
للحاق بركب الحضارة الحديثة عبر جهود مضاعفة
اللائق بها بين دول هذا العالم ، و لا حرج
الأخذ بأساليب العصر ومسايرته فى حدود . . .
فلا تقع فى محظور ثابت بالنص و كل ما يفرضه علينا . . . .
هو طرح كل جديد من مبادىء و نظريات شرقيه أو غربية حديثة على الأصول
الفقهية للتوفيق بين ما هو وضعى و ما هو شرعى

كل ذلك من المسلم به و المتفق عليه لا خلاف ، إلا أن ما يثير الدهشة
أحياناً و يستعصى على الفهم و يدعو للأسى و يستحق المراجعة ، أننا أمام بعض
المبادىء و القضايا الحديثة والواردة علينا من خارج المنطقة لا نطرحها على أصول
الشريعة فنعدل فيها بما يفرضه علينا و يلزمنا به الوازع الدينى ! !

و لا نأخذها على علاتها بالشكل الذى أراده لها أصحابها الأصليون !

إنما نجنح بها فنضيف عليها اجتهادات محلية تبعد بها عن روح الشريعة أكثر
مما كان ! !

و من العلامات البارزة فى هذا الشأن لمحاولات اجتهاد محلية فى مجال الفكر

السياسى المصرى فى النصف الثانى من القرن العشرين :

١ـ أن تقرر للعمال و الفلاحين نسبة ٥٠ ٪ على الأقل فى مقاعد التنظيمات الشعبية و السياسية على جميع مستوياتها .

٢ـ عدم قيام الحزب على أساس طائفى أو على أساس التفرقة بسبب العقيدة الدينية .

وبالنسبة للنقطة الأولى و هى اشتراط ٥٠ ٪ على الأقل من مقاعد التنظيمات الشعبية والسياسية للعمال والفلاحين ، نقول إن أصل الأمر ما أخذ به العالم الحديث من فكرة « الاقتراع العام » و فحواها أن لا يشترط فى الناخب شروط مالية أو علمية و ما يشترط فى المرشح من حيث الثقافة ، القدر الذى يمكنه من أداء وظيفته و حده الأدنى إجادة القراءة و الكتابة ،

كان الواجب الشرعى يفرض على المسلمين عدم الأخذ بمبدأ « الاقتراع العام» دون إضافة أو تعديل ، كان عليهم النهوض بالشروط الواردة فى هذا المبدأ والتقريب بينها بقدر الامكان و بين ما هو معلوم فى الشريعة من شروط الاجتهاد و اللازم توافره فى أهل الشورى وأهل الحل والعقد ، ولو حدث شئ من هذا لاستحسنه العالم منا ، و لم يرفضه على طول الخط كما يتصور البعض بل إن من الفلاسفة الوضعيين من نادى بما هو قريب من ذلك فهذا هو «جون ستيورات مل» الفيلسوف الوضعى يرفض أن تتساوى أصوات الناخبين و يرفض أن يكون للاكثرية العددية حق اختيار الحكومة ويرفض أن يترك للجماهير الجاهلة حق اختيار الطبقة الحاكمة و ينادى بنظام التمثيل النسبى مع إقامة وزن أكبر للكفايات

ولما قبل المسلمون مبدأ « الاقتراع العام » دون إجراء محاولة للتوفيق بينه وبين روح الشريعة كان المتوقع بعد ذلك الاستمرار على العمل بالمبدأ على علاته و هذا

ما حدث عندنا فى مصر فى النصف الأول من القرن العشرين ، ويصبح الغريب والشاذ بعد ذلك أن يجنح بالمبدأ فى النصف الثانى من القرن العشرين ونعلن كملكيين أكثر من الملك تقرير نسبة ٥٠ ٪ للعمال والفلاحين فى مقاعد التنظيمات الشعبية والسياسية على جميع مستوياتها

و فى محاولة جادة لفهم و تفسير قرار من هذا النوع و للغرابة التى نشعر بها نحوه نطرحه على المتخصصين من أساتذة الدستور و النظم السياسية فنجدهم أكثر غرابة منا حيث يقول الأستاذ الدكتور عبد الحميد متولى فى مؤلفه «الحريات العامة»

« من البين أن هذه الحجة إحدى ص

رجال الأدب ' و حسبنا شاهداً على ذلك أ

أعلم ـ أحد من رجال الفكر السياسى أو الفقه ال

إلى مختلف دساتير الدول لاسيما الدول الاشترا

الفرص فلم نجد فيها دولة واحدة رأت أنه مما يفرضه ذلك المبـــدأ ولا غيره من المبادىء أن تقرر للعمال والفلاحين نسبة الـ ٥٠ ٪ على الأقل فى مقاعد التنظيمات الشعبية و السياسية على جميع مستوياتها »

و يقول نفس الأستاذ أيضاً

« إن النظام الديمقراطى النيابى لا يتطلب أن تكون تلك التنظيمات و بخاصة المجلس النيابى صورة من الشعب أو الأمـــة و إلا لوجب أن يكون ذلك المجلس مجلس الشعب فى بلد كمصر مكوناً من نحو ٧٠ ٪ من الأميين » !

و بنفس المنطق نقول عن النقطة الثانية التى تشترط عدم قيام الأحزاب على أساس دينى إن المسلم الذى يؤمن بأن صـــلاته و نسكه و محياه و مماته لله رب العالمين إذا طرحت عليه قضية الأحزاب اشترط على الفور قيامها على أساس دينى

و إذا لم يتمكن من ذلك فأضعف الايمان أن يأخذ بالمبدأ على علاته ويمنح الفرصة بالتساوى والعدل للاحزاب الدينية والأحزاب السياسية على قدم المساواة ، والشعب هو الفيصل والحكم فى النهاية بالمفهوم الديمقراطى الغربى المصدر الأصيل وصاحب الفكرة من الأساس

أما أن نجنح بالمبدأ إلى حد الحظر على قيام الأحزاب الدينية فهذا هو الغريب والشاذ بحق ، الأمر الذى يستحق المراجعة إذا كنا ننشد الصلاح لأمتنا وديننا بحق ، و إذا كنا أمل فى خلف يعيد أمجاد السلف ونحلم بدولة العلم والايمان ونطمع فى التوفيق بين الأصالة و المعاصرة .

« ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ، ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا و لا تحملنا ما لا طاقة لنا به و اعف عنا و اغفر لنا و ارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين » (سورة البقرة ٢٨٦) .

علـــــى هـامش الانحراف

الدكتور عريب حمـــــــــــد

كثرت الكتابة فى الآونة الأخيرة عن الانحراف (أسبابه ـ نتائجه) وأدلى

كل كاتب بدلوه فى هذا الموضوع حسب وجهة نظره ، فمنهم م [illegible]

و منهم من [illegible] . والحقيقة أن الحديث عن

بعيد الجذور متشابك الفروع ، أسهمت فى ـ

و عالمية ، وكان فى مقدمة تلك الهيئات [illegible]

و ما أفلام الجنس و بيوت الدعارة و دور الأزياء [illegible]

ثمرات مخططاتها لاحتواء العالم والسيطرة عليه سياسياً و اقتصادياً واجتماعياً .

و لا نقول هذا القول رجماً بالغيب و لا ضرباً من الكهانة و الشعوذة أو الحماسة الجوفاء و إليك الدليل أيها القارىء :

جاء فى « البروتوكول الثالث عشر » من « بروتوكولات حكماء صهيون » ما يلى

لكى نصرف الجمهور المزعج عن مناقشة الأمور السياسية نجىء إليه بما ندعيه أنه الجديد المختار فى الصناعة و ما إليها و ندعه يخوض فى هذا ويسبح ما يشاء ، ولكى تبقى الجماهير فى ضلال سنعمل على زيادة صرف أذهانها بانشاء وسائل المباهج و المسليات و الألعاب الفكهة ، وضروب و أشكال الرياضة واللهو و ما به الإثارة لملذاتها و شهواتها ، و الاكثار من القصور و المبانى المزركشة » .

كما جاء فى « البروتوكول السابع عشر » أيضاً :

« لقد بذلنا جهداً كبيراً لاسقاط هيبة رجال الدين عند غير اليهود (تأمل أيها القارىء عد غير اليهود) و قصدنا بذلك أن نفسر عليهم رسالتهم فى الأرض وهى الرسالة التى لا تزال بنفوذها عقبة كؤوداً فى طريقنا و هذا النفوذ فى تناقص مستمر يوماً بعد يوم » .

تلك إشارة سريعة إلى دور « اليهود » فى غرس الانحراف و حرصهم على تعهده و نشره فى سائر المجتمعات غير اليهودية بالطبع .

و لما كان مجتمعنا لا يمكن أن يعيش بمعزل عن الأحداث والتطورات العالمية كان لابد أن يصيبنا شئ من هذا الطوفان المدمر و يتضاعف التدمير و التخريب خصوصاً بعد أن أصبح اليهود يعيشون بين ظهرانينا وهنا يقفز إلى الذهن سؤال : و ما هو طريق النجاة ؟

و طريق النجاة (فيما أتصور) يتمثل فى الآتى :

أولا : التربية الاسلامية بكل ما فى هذه الكلمة من معنى ، ابتداءاً من المدارس الابتدائية حتى المرحلة الجامعيـــة و أقصد بها التربية التى تخلق فى الانسان الضمير الدينى اليقظ الذى يحرسه فى غيبة القانون و الناس و يدفعـه إلى السلوك السوى و مخالفة الناس بخلق حسن ، و قد تنبه إلى ذلك أحد رؤساء أمريكا فى المـاضى و هو الدكتور « ويلسون » فقال .

« خلاصة المسألة أن حضارتنا إن لم تنقذ بالمعنويات فلن تستطيع المثابرة على البقاء بماديتها ، وإنها لايمكن أن تنجو إلا إذا سرى الروح الدينى فى جميع مسامها و ذلك هو الأمر الذى يجب أن نناقشه فى معابدنا و منظماتنا السياسيـة و أصحاب رؤس الأموال وكل فرد خائف من الله محب لبلده » (هـذا هو قول الأجانب فما هو قولكم يا عشاق كل ما هو أجنبى) .

ثانياً : التربية بالقدوة .

و تبدأ بالوالدين فى البيت و الأستاذ فى المدرسة والجامعة ، لأن حال رجل

فى ألف خير من مقالة ألف رجل ، وكذلك السيدات اللائى يتولين مناصب قيادية أو إعلامية ، و كذلك على السادة الدعاة إلى الله أن يكونوا صورة صادقة ونماذج حية لما يدعون إليه حتى تنفذ كلماتهم إلى الأسماع و القلوب و أن لا يكون حال بعضهم كما يقول القائل :

و غير تقى يصف التقى طبيب يداوى الناس وهو عليل ''

ثالثاً · لابد أن تبرز وسائل الاعلام الفضيلة فى ثوب يحببها إلى النفوس لأنها أصبحت تدخل على الناس حجرات نومهم كما يجب عليها أن تكشف عن دور اليهودى فيما يتعلق بالناحية الأخلاقية و لا تكتفى بوجهة الا "

رابعاً : أمر ربما يثير الدهشة و هو

فى الله تعاهدت فيما بينها أن تبتعد عن الا

فيها ، فان لم تفلح فى علاجه هجرته هجراً -

إلى الطريق الصحيح ، أما أن ستسم للمنحرف ...

تبارك و تعالى يقول « و تواصوا بالحق و تواصوا بالصبر »

خامساً : لا بد أن ينال تجار الشهوات و سماسرة الأعراض الذين يخافون الناس و لا يخافون الله ، لا بد أن ينالوا عقابهم الرادع ، و لن يكون ذلك إلا بتطبيق « شريعة الله » وليس غير الشريعة الاسلامية ذلك تصور أرجو أن يكون - بتوفيق الله - صحيحاً ، و المجال لا يزال فى حاجة إلى كلمات وتصورات أصحاب الأقلام المسلمة الذين يجاهدون فى الله و لا يخافون لومة لائم .

على أننا إذا كنا نريد الاصلاح والنجاة فعلا ، فلابد أن نثبت و نصبر ولا نتعجل النتائج لأن المجتمعات لا تتغير طفرة ومع الثبات و الصبر لا بد أن نكون جادين فيما نسعى إليه أما إذا اكتفينا بالبكاء و العويل و ندب الحظوظ والوقوف عند حدود تشخيص الداء دون وصف الدواء فنحن كما قال القائل :

ترجو النجاة و لم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجرى على اليبس



الدّعوة الإسلاميّة

الفكرة الاسلامية السنية و الحاجة إليها

(٣)

فضيلة الشيخ محمد إسحاق الندوى

« الفكرة السنية العلمية »

قد بينا من قبل أنها التفكير فى أمر من

فإنها أعظم شأناً من الفكرة الطبيعية لكن

و لكون تعلق حكم الشريعة بها أظهر

حياتنا الاعتقادية والعملية ، كالمعاشرة والسي

فردية أو اجتماعية ، لكن الحاجة إليها فى حياتنا الاجتماعية و القومية أشد . لأن تركها فيها أدهى وأمر ، فإن الخطأ فى الفكر المتعلق بالفرد فقط يوجب ضرر الفرد . لكن الخطأ فى الفكر المتعلق بالمجتمع موجب لضرر المجتمع ، ثم يذوق وباله الفرد أيضاً ، فضرره أشد و أمر مراراً من ضرر الأول .

و الأمور التى تدخل تحت هذا النوع على قسمين :

الأول . الأمور التى لا حاجة فيها إلى التفكر لكونها مسلمة الثبوت عندنا كفرضية الصلاة و حرمة القمار و نفع العدل و ضرر الظلم .

الثانى : الأمور التى تحتاج إلى النظر والفكر ليتضح صحتها أو سقمها ، وهى موضوعنا فى هذه المقالة ويواجهها المجتمع كما يواجهها الفرد ، مثالها فى الحياة الفردية مسألة تعليم الولد لرجل مسلم فى هذا الزمان و فى الحياة الاجتماعية مسألة التعاون

بفرقة ضالة لهدف مشترك

واضح ، أن هذا القسم من مسائل الحياة يحتاج إلى النظر و الفكر ، فأى منهاج نختار فيها للتفكير ؟ و ما هى الأصول الثابتة بالكتاب و السنة التى يجب علينا اتباعها عند التفكير فى هذا النوع من المسائل ؟ .

« الأصول المتبعة »

حقيقة جلية و صدق لا ريب فيه أن مرجع العلم و المعرفة و الفارق بين الصحيح و السقيم فى الأمور التى لها دخل بالغ فى سعادة النفس و شقائها هو القرآن الحكيم و سنة النبى الكريم ﷺ ، و هذا أمر مسلم لا يشك فيه أحد من المسلمين كما قال الله تعالى فى كتابه المبين : « هدى للناس و بينات من الهدى و الفرقان »

فهو مأخذ الهداية ، ومنبع العلم والمعرفة والفرقان المبين بين الحق و الباطل و الصحيح والسقيم ، و ما هذا شأنه فحقه أن يتخذ مأخذاً ومرجعاً للعلم والمعرفة أما الاجماع والقياس فيرجعان إليهما ، إن اتباع الصراط المستقيم هو المنهاج المختار فى التفكير لأنه منهاج الذين أنعم الله عليهم ، و هو الاهتداء بالكتاب و السنة و الاعتماد عليهما ، فان النبى ﷺ كان أصل علمه و منبعه هو الوحى الالهى ، و إذا اجتهد كان يتفكر فى ضوء الوحى ، ثم الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يتعلمون منه ﷺ ويتبعونه . وإذا احتاجوا إلى الاجتهاد نظروا إلى الكتاب أولا ثم إلى السنة ثم إلى الرأى المبنى على أحدهما . مثال ما ورد فى قصة سيدنا معاذ ابن جبل رضى عنه حين بعثه النبى ﷺ قاضياً إلى اليمن[1] ، فاختبره بالسؤال عن منهاج التفكير و الاجتهاد ، و لما أجاب بذكر المراجع المذكورة بالترتيب المذكور صوب النبى ﷺ رأيه .

ثم إن الكتاب و السنة كل واحد منهما قد وصل إلينا بأيدى الصحابة رضى الله عنهم الذين تعلموهما من النبى ﷺ من غير واسطة ، و فهموا معناهما وعقلوا مغزاهما و عملوا بهما تحت مراقبته ﷺ ، و رسول الله ﷺ بنفسه تولى تربيتهم و تزكيتهم ، و جعلهم أسوة متبوعة من سواهم من الأمة الكائنة إلى يوم القيامة ومبلغاً لدعوته إلى الناس ، ومعلماً لما علمهم من الكتاب والسنة لمن سواهم من أمته ﷺ ، فجماعة الصحابة هى الواسطة الكبرى بيننا وبين النبى ﷺ ، و كل صحابى رضى الله عنه هو أنموذج عملى لتعاليمه عليه أفضل الصلوات ، فبديهى أن لا تتضح معانى الكتاب و السنة إلا بالنظر إلى عمل "

فالكتاب والسنة منبعان لماء الحياة ،

لهما لا يزال يجرى إلى يوم القيام .

قد تبينت من هذه المقدمات الممهدة ...

النفسية و هى هذه

الأصل الأول

١ـ يجب أن يكون تفكيرنا فى مسألة من مسائل الحياة من هذا النوع مبنياً على عقيدتنا الجازمة بأن المأخذ الأول للعلم الفارق بين الحق و الباطل هو الكتاب و الثانى هو السنة أما الاجماع و القياس فيرجعان إليهما

و إن أصحاب النبى ﷺ هم الذين أخذوهما من النبى ﷺ من غير واسطة ونقلوهما إلى من بعدهم من الأمة ، و لم ينقل و لا يمكن أن ينقل كذلك شئ من الدين عن غير الصحابة و من نسب شيئاً إلى النبى ﷺ بغير توسط صحابى ، فهو كاذب زنديق ، فتعامل الصحابة هو مأخذ ثالث للعلم لكونه دليلا قطعياً على كون عملهم ثابتاً بالكتاب والسنة مطابقاً لهما ـ ولكونه أنموذجاً عملياً لتعليم النبى ﷺ فهو حجة شرعية

مهما لم يعارضه حجة شرعية أخرى أقوى منه كنص الكتاب مثلا .

الثانى

٢- و لتكن وجهة فكرنا و مقصدنا بالذات فى كل فكرة هى المنفعة الدينية و رضا الله سبحانه و لو بوسائط عديدة ، و لتكن المنفعة الدنيوية تابعة لها غير مقصودة بالذات بل مقصودة تبعاً ، لأن الله تعالى يقول : « و من أراد الآخرة و سعى لها سعيها و هو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً » (بنى إسرائيل) .

الثالث

٣- علينا أن نتفكر فى الكتاب و السنة و تعامل الصحابة ، هل نجد فيها هداية جزئية ، قولية أو عملية مختصة بما نحن فيه . أو عامة كلية تنطبق على ما نتفكر فيه ؟ ثم إن علينا اتباعها إن فزنا بها فى الكتاب أو السنة أو تعامل الصحابة . فقد قال الله تعالى : « و لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم » (الأنبياء) و سيوضح المسألة المثال الآتى

إن أرباب الحل و العقد من مملكة إسلامية يتفكرون فى سياستها الداخلية فى مسألة تفويض الوزارة الداخلية أو الخارجية أوغيرهما ، ويتجسسون لرجل يفوضونها إليه ، ثم ينظرون إلى كتاب الله فيجدون فيه

« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا » الآية

و هذه الآية تهديهم إلى أصل عظيم ينور طريقهم لأنها تحذرهم عن تفويض الأمر إلى شيعى أو شيوعى و أمثالهما من أعداء الاسلام .

الرابع

٤- إن الاحتراز عن الباطل و عونه واجب كاحقاق الحق ، و الحذر عن سبيل الغى حتم واجب كاتباع سبيل الحق و الهدى ، فيجب علينا أن لا نستخدم

دليلا ولا نعمل عملا يعين أهل الباطل فى طغيانهم أو يؤيدهم فى ضلالهم أو ينفعهم فى إظهار بواطيلهم ، فان الله تعالى يقول :

« و لا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار » و قال عز اسمه « و من يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى » (سورة البقرة)

وينبغى لنا أن نراعى فى فكرتنا جانب النفى أيضاً فتكون فكرتنا مشتملة على نفى الباطل كاشتمالها على إثبات الحق

الخامس

٥ ـ يجب الاحتراز كل الاحتراز عن

أو السنة أو الصحابة أو إلى ضعفها ، وعن عد

و التمسك بالكتاب و السنة واجب على كل

بهما إلا باتباع الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين .

إلى ضعف هذا الاعتصام و التمسك فباطل مهلك فضلا عما تؤدى إلى قطعه ، (و العياذ بالله) .

قال الله تعالى : « و اعتصموا بحبل الله جميعاً و لا تفرقوا » .

و قال النبى ﷺ : تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله و سنة رسوله ﷺ ، و الآيات الدالة على هذا الأصل العظيم والأحاديث المصيبة له كثيرة و حق ، إن قلنا إنه من ضروريات الدين

السادس

٦ ـ لا نقبل فكراً أو حلا لمسألة ثبت كونه غير مرضى عند الله بالكتاب أو السنة أو قول الصحابة أو عملهم ، ولو كان مباحاً ، قال الله تعالى فى مدح الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين :



« يبتغون فضلا من الله و رضواناً » .

فعلى المؤمن أن يبتغي رضوان الله تعالى شأنه ، و يترك ما هو غير مرضى عنده عز اسمه . مثاله أخذ ما تمنح الدول الكافرة باسم العون على الرقى فى المعاش و إصلاحه ، فان أخذه و إن كان مباحاً فى نفسه لكنه يؤدى إلى مفاسد كثيرة كالميل إلى عون الدولة المانحـة فى مسلكها السياسى و إن كان باطلا و غيره من المفاسد ، ولاشك أن هذه الاستعانة غير مرضية عند الرب سبحانه و تعالى بالنظر إلى ما يؤدى إليه وإن كانت فى نفسها مباحاً . ولم تكن ديناً حراماً ، وينبغى للمؤمن أن يحترز عن هذا القسم من المقدمات إذا تفكر فى تدبير أمر أو إنجاح حاجـة من الحوائج القومية .

السابع

٧ـ لا ينبغى أن تكون مقدمات فكرتنا مبنية على مجرد الميل و الرغبـة إلى أمر أو عن أمر ، بل لابد أن تكون ناشئة عن الفهم السليم و الحكمة .

قال الله تعالى « و من يؤت الحـكمة فقد أوتى خيراً كثيراً » (سورة البقرة)

و هذه الأصول هى أجزاء الفكرة السديدة النفسية ، و الفكر التى تراعى فيها هذه الأصول وتكون على طبقها ، تسمى بالفكرة السديدة ، و الأسف أنها متروكة فى حياتنا الاجتماعية منذ قرون ، و تركها إنما هو سبب زوال الأمة المسلمة فى حياتها الدينية و السياسية و فى غيرهما من شعب الحياة ، و علاجه إنما هو اتباع هـذه الفكرة ، ولاشك أن اتباعها فى فكرتنا الاجتماعية ضامن لرقى الاجتماع وغلبة الاسلام و المسلمين .

الأمثـلة

و لزيادة التنوير نورد أمثلة للفكرة السديدة النفسية فى الأمور الاجتماعية .

المثـال الأول نفرض أن دولة من دول المسلمين تفكرت فى مسألة تعليم

العلوم الحديثة لكنها لم تتبع « الفكرة السنية » إذا تجعل الدنيا غاية فكرها وجهدها وتكون فكرتها فكرة أوربية وأمريكية. وتختار ما اختار أهلها من الرغبة عن الدين، و الميل إلى الفسق والفجور، واتحاد سبيل الغى فى النظم التعليمى ومناهجه كرفع حجاب الطالبات و أمثالها من الأمور المخالفة للشريعة المقدسة. و كذلك لا تبالى هذه المملكة بتسليط أهل الضــلالة كالشيعة و المرزائيين و غيرهما من الضالين على الادارات التعليمية و نظمها ، و أما إذا كانت فكرتها « الفكرة السنية » فتكون غاية فكرتها وجهدها ومرام سعيها من إشاعة العلم هى إعلاء كلمة الله و منافع الآخرة وترويج الخير فى العالم. وتكون الغاية هى إرضاء الله

فتكون مقصودة تبعاً للمنافع الدينية. فتتجنب

عما نهى عنه الشرع الشريف ، و لا تجترئ

من المنافقين و المجاهرين بالكفر على الادار

مثال آخر

فرضنا أن أرباب الحل و العقد لمملكة مسلمـــــة يريدون أن يضعوا دستوراً لمملكتهم فيلجأون إلى الكتاب و السنة و عمل الصحابة و مشاورة الفقهاء ، و لا يلتفتون إلى ما يتفوه به أهل أوربا أو أمريكة أوغيرهما من الدين لايتبعون الاسلام لأن الفكرة السنية الصفية ترشدهم إلى تلك المآخذ و المنابع وتصدهم عن النظر إلى غيرها . وكذلك يصرحون فى الدستور بأن مملكتهم هى مملكة إسلامية سنية قائمة على منهاج الخلافة الراشدة ، و غاية وجودها هى إجراء الأحكام الشرعية وحفظها و الدعوة إليها ، و نصرتها و الرقى الدينى و الدنيوى لأهل الاسلام بحيث تكون دنياهم تابعة لدينهم ، ثم إنهم لا يغفلون عن الأغيار الأشرار المجــاهرين بالاسلام الداعين إلى النار كالشيعة والمرزائية وغيرهما من أهل الضلالة والنفاق ، وأن أرباب الحل و العقد و قواد المسلمين المتفكرين « بالفكرة السنية » لا يغفلون عن مكائد تلك الأشياع الضـالة فيضعون قوانين و ضوابط فى الدستور التى تسد طرق تلك الأشياع المنافقـة على المملكة و طرق غدرهم بها ، و يحفظون المملـــكة عن شرهم

و كونهم دخيلا و مؤثراً فى نظامها

وأما الذين لا يتفكرون بالمنهاج الاسلامى أى لا يختارون « الفكرة السنية » فلا يبالون بتلك الأمور المهمة ، أو يغفلون عن بعضها أو يطرحون بعضها قصدا لضعف إيمانهم و إعوجاج فهمهم لفقد « الفكرة السنية » فيذوقون وبال أمرهم ، و يخسرون فى الدنيا و الآخرة ، و يوردون قومهم مورد الهلاك و الخسران ، كما نرى الآن فى سورية فان أهل السنة بها مبتلون بظلم شديد و مصائب عظيمة ، و ما ذلك إلا لفقد « الفكرة السنية » فى حركاتهم السياسية و ذهولهم عن الحقيقة أنهم أهل السنة و الجماعة ، و أنهم هم المسلمون و أن الدروزيين الرافضة ليست من الاسلام فى شيء ، بل هم أعداء الاسلام و المسلمين .

مثال آخر

أرادت دولة مسلمة حديثة إصلاح معيشة القوم ، و إجراء نظام للمعيشة يكون موجباً لفلاح القوم ، ويحفظ أهل الملك من الفقر و المسكنة و ظلم الظلمة من المستحصلين المتمولين المغلوبين من الشح والبخل فان كانت الدوله معتادة لـ « لفكرة السنية » و اختارتها للتفكر فى هذه المسألة المهمة فلا بد أن تنظر إلى الكتاب و السنة و عمل الصحابة و أقوال الفقهاء ، فتختار النظام الاسلامى للمعيشة الذى أمر به الله تعالى شأنه و رسوله ﷺ ، و فسرته الصحابة بقولهم و عملهم و فصلته الفقهاء فى ضوء عمل الصحابة و أقوالهم ، و لا تلتفت هذه الدولة المؤمنة إلى نظام غير إسلامى كالشيوعية و غيرها من النظامات الخاطئة الباطلة ، و أما الدولة التى ليس لها حظ من « الفكرة السنية » فتخبط خبط عشواء وتتبع كل عمياء، وتنظر إلى أنظمة غير إسلامية فتختار بعضها فتذوق وبال أمرها فى الدنيا والآخرة ، و كانت عاقبة أمرها خسراً .

والأمثلة الثلاثة المذكورة آنفاً لـ « الفكرة السنية » تكفى للزيادة فى وضاحتها و تنوير مفهومها و مصداقها وتحقيق بيانها ، والله الموفق للصواب . و إليه المرجع و المآب .

دراسة عن الحضارة الاسلامية و منحها العالمية

(٣)

محمد صدر الحسن الندوى

بدأت الحركة العلميـــة فى العصر العباسى و [illegible]

الخليفة المأمون ، الذى كان ولعا بالعـــلوم ، [illegible]

الجد فى إتقان هذه العلوم و تسعت العلوم [illegible]

أحصائيون لكل فن ، و كان للهيئة و الفلك [illegible]

من بغداد إلى أندلس ، حتى قام الأحصائيون بافامة [illegible]

الأجرام الفلكية و كيفية سبح النجوم فى السماء ، و لما نقل العرب علوم الفلـ

و الهيئة نقلوها من غير تغيير فى أسمائها .

يقول البروفيسور فلب ، كى ، هتى (Hitti) و هو يكتب عن تاثير العلـ

الفلكية للعرب على أوربا ، يقول : إن أوربا نقلت أسماء النجوم إليها من غير تغيير

منها لفظ (Acrab) هو مأخوذ من « عقرب » و (Algedi) هو مأخوذ

« الجدى » و (Altair) هو مأخوذ من « الطائر » و (Doneb) هو مأخوذ

« ذنب » و (Pherked) هو مأخوذ من « فرقد » و (Azimth) هو مأخوذ

« أسموت » و (Nadir) هو مأخوذ من « نظير » و (Zemit) هو مأخوذ

« أسمت » (١) .

---

١) History of the Arabs by Hitti P. 175 .

وأما ما يتعلق بالكيمياء فالعرب هم الذين خاضوا هذا المضمار ، حينما كانت الدنيا تعمه فى غيابات الجهل ، و جاءوا باكتشافات هامة ، يقول المؤرخ الشهير جرجى زيدان فى كتابه :

« و لا خلاف أن العرب هم الذين أسسوا الكيمياء الحديثة بتجاربهم و مستحضراتهم ، و قد ذكر محققو الافرنج أن العرب هم الذين استحضروا ماء الفضة (الحامض النتريك) وزيت الزاج (الحامض الكبريتيك) وماء الذهب (الحامض النيتروهيدروكلوريك) و اكتشفوا البوتاسا و روح النشادر و ملحه و حجر جهنم (نترات الفضة) و السليمانى (كلوريد الزئبق) و الراسب الأحمر (أكسيد الزئبق) و ملح الطرطير و ملح البارود (نترات البوتاسا) و الزاج الأخضر (كبريتات الحديد) و الكحول ، و القلى ، و الزرنيخ ، و البورق ، و هم أول من وصف التقطير و الترشيح والتصعيد والتبلور و التذويب (١)

ومن المعلوم أن الفونسو التاسع ملك قشتالة (١٢٥٢ - ١٢٨٤م) أعظم علماء النصرانية فى أسبانيا ، استدعى كثيراً من اليهود ليترجموا له الكتب العربية و كتب بنفسه شيئاً كثيراً من النثر الأسبانى تجلى فيه الروح العربى (٢) .

يعترف المؤلف الكبير و المؤرخ البارع البروفيسور « درابر » بهذه الحقيقة و يشيد بتلك المؤهلات التى أحرزها العرب بفضل الاسلام ، و حازوا قصب السبق فى هذا المضمار حتى صاروا قادة الأمم لا فى القوانين الادارية فحسب بل فى العلوم و الفنون أيضاً ، يقول

« و من عادة العرب أن يراقبوا و يمتحنوا ، و قد حسبوا الهندسة والعلوم

---

(١) تاريخ آداب اللغة العربية لجرجى زيدان ج ٢ ص ٣٣٩ .

(٢) جريدة البلاغ المصرية ١٤ من ربيع الثانى ١٣٥٣هـ .

الرياضية وسائط للقياس ، و مما تجـــدر ملاحظته أنهم لم يستندوا فيما كشفوه فى الميكانيكيات و السائلات و البصريات على مجرد النظر ، بل اعتمدوا على المراقبة و الامتحـــــان ، بمـا كان لديهم من الآلات و ذلك مما هيأ لهم سبيل ابتـداع الكيميـاء ، و قادهم لاختراع أدوات التصعيـــد و التبخير ، و رفع الأثقـال ، و دعاهم إلى استعمال الربع و الاصطرلاب فى علم الهيئـــة ، و استخـــــدام الموازنة فى الكيمياء مما خصوا به دون سواهم ، و هيأ لهم صنع جداول للحادثة النوعية و علم الهيئة على نحو ما صنع مثلها فى بغداد و الأندلس وسمرقند ، ففتح لهم بذلك باب تحسين عظيم حتى قضايا الهندسة ، حـ...

واستعمال الأرقام فى الحساب ، وكان هذا كله

والامتحان ، ولم يقرروا فى علم الهيئة لوائح ...

فى فلكهم أيضاً ، مطلقين على دوات القدر ...

كراتنا الفلكية » (١) .

و المنهج التجريبى الذى تفتخر به أوربا على سائر العالم ، و تعتبر هذا المنهج من أولياتها ، لم يكن له أى صلة بأوربا ، بل كان المسلمون مبتكرى هذا المنهج ، و بهم شاع هذا المنهج فى العالم كله

يقول بريفـــالت فى كتابه (Making of Humanity) إن روجر بيكون (Roger Becon) ١٢١٤ - ١٢٩٤م درس اللغة العربية و العلم العربى فى مدرسة « أكسفورد» على خلفاء معلميه العرب فى الأندلس ، وليس لروجر بيكون ، وفرنسيس بيكون (Francis Becon) ١٥٦١ - ١٦٢٦م الذى جاء بعده ، الحق فى أن ينسب إليهما الفضل فى ابتكار المنهج التجريبى ، فلم يكن روجر بيكون إلا رسلا من رسل

(١) Conflict Between Relegion and Science P. 136

العلم و المنهج الاسلاميين إلى أوربا المسيحية (١) .

و من من الاسلام على أوربا أن المسلمين ـ لأول مرة ـ عرفوا الغرب بصنعة القرطاس ، و فى اللغة الانجليزية لها شهادة لغوية و هى أن لفظ (Ream) الانجليزى الذى أخذ من اللغة الفرنسية القديمة (Raym) و أخذ هذا عن اللغة الأسبانية (Resma) و هو أخذ من اللغة العربية و هى « رزمة » (٢) .

و أول من قدم نظرية نشوء التاريخ أمام العالم ، هو عبد الرحمن بن خلدون الأندلسى ، هو أول من حاول مجهودات مكثفة فى تدوين التاريخ فى أسباب رقى الشعوب و الأمم وانحطاطهم ، و لذلك لا غرو إذا قلنا إنه من مؤسسى العلوم العمرانية على الأقل (٣)

و هذه كلها كان بفضل الاسلام و تعاليمه الخالدة ، من طريق الأندلس الاسلامية ، و لذلك لما حدث جلاء المسلمين من الأندلس لم يبق للعلوم و الفنون عين و لا أثر ، يقول لين بول (Stanley Lane Poole) فى كتابه و هو يشير إلى هذه الحقيقة الناصعة :

« حدث جلاء المسلمين من أرض الأندلس فى سنة ١٠١٧هـ لكن أرض الأندلس المحبة للرجال و العباقرة والمتحة للعلوم و المعارف أصبحت خراباً يباباً و عادت سيرتها الأولى (٤) .

من المعترف لدى الجميع أن كولمبس ـ المكتشف الشهير ـ هو الذى قام بأسفار بحرية و مر بأخطار جسيمة أثناء رحلته البحرية ، و نال صيتا دائماً حينما اكتشف

---

(١) Making of Humanity P. 202

(٢) History of the Arabs P. 172

(٣) نفس المصدر ص ١٧٤ .

(٤) The Moors in Spain' P . 208

أمريكا « العالم الجديد » ولذلك عزا المؤرخون هذا الاكتشاف إلى كولمس ولقبوه بمكتشف أمريكا ، لكن الأمر عكس ذلك ، بل نزل المسلمون فى تلــك الأرض المكتشفة قبل نزول كولمس بقرنين . ولهذه الدعوى دليل قاطع و وثائق أثرية عثر عليها أحد علماء الأثريات ، يقول الأستاذ كرد على

« بحث بعض علماء الأمريكيين و الانجليز فى لغات الهنود فى أمريكا فوقعوا على كلمات عربية ترجع إلى سنة ١٢٩٠م أى إلى قرنين قبل وصول كولمس إلى أمريكا ، و قد يكون أصحاب تلك الكلمات اتصلوا بها قبل ذلك بقرنين آخرين ، و هناك مستعمرات عربية وحدت بين سنة ·

آثار عربية فى شاطئ الخليج المكسيكى حاص

قبل كولمس بزمان طويل ، و ثبت أن ـ

و من هناك إلى ازوارد فى وسط الاطلنطى ، و بـ

الغربية ، و فى هذه الناحية من تلك الجزائر نهر تسمى نهر عباس ، يستدل بها أن بـ استعمروا تلك الناحية ، وكان فى لشبونة مصور بلاد أمريكا مما صنعته أيدى العرب ، و لنا أن نقول : إن التجارة بين العرب وهنود أمريكا كانت قبل موافاة كولمس لها بخمسة قرون ، و لما أبحر كولمس من أوربا كان متزوداً بمصورات وخرائط للعرب ، و بها اهتدى إلى تلك الأرض ، واستصحب رحلين من العرب كانا عبرا إلى أمريكا قبل ذلك و عرفا الطريق ، و عثر أحد علماء الأثريات على ألواح مكتوبة بحروف عربية و لغة عربية (١)

تأثير الثقافة الاسلامية على « الكوميديا » لدانتى

داع صيت دانتى (١٢٦٥ - ١٣٢١م) بكتابه (Comedy) الذى يعتبر

---

(١) الاسلام و الحضارة العربية ج ٢ ص ٥٥٢

من خيرة الكتب في اللغة الايطالية ، الذي اجتمع فيه التصوف و الفلسفة مع الأدب ، وبهذا الكتاب اعتبر « دانتي » منقذ أوربا المسكينة في القرون الوسطى ، القرون المظلمة ، وعد من قواد الداعين إلى الاتزان و الاعتدال ، كانت أوربا تعاني من الأزمة السياسيـــة و الانحلال الخلقي و الفكري و خاصة في رجال الكنيسة ، كان هذا الداء العضال يأكل أوربا كالديدان ، اضطرب دانتي بهـــذه الأوضاع المتأزمة وتصدى لتأليف كتاب خالد عرف بعد بـ(The Devine Comedy) و صور فيه الجنة و النار والأعراف ببراعة ، إنه يرى أولئك المجرمين في النار ويذكر حالتهم السيئة الذين لم يؤمنوا سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام ، و أيضاً أولئك الذين آمنوا سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام ، لكنهم قصروا في صبغ حياتهم في الصبغة المسيحية الكاثوليكية ، و في الأعراف أنه يبدى صورة الرجاء والخوف ، و يريد بهذا أن الذين يتأرجحون بين هذا وذاك ، لا بد لهم أن يؤمنوا سيدنا عيسى عليه الصلاة و السلام كافة ، ليستقروا في الجنة و يتلذذوا من نعيمها

و الفصل الأخير « للكوميديا » يعتبر في القمة في الأدب الغربي ، و يرى « جاسر » أن هذا الفصل هوملهم

إنه أراد بهذا الكتاب الشهير أن يسمو بأوربا من حضيض المهانة و الجوع إلى قمة الرقي و الازدهار ، و لعب هذا الكتاب دوراً هاماً في ترقية أوربا إلى حد لا بأس به ، وكان لهذا الكتاب موضع احترام في الأوساط العلمية لأوربا ، و كانوا يقيمون له وزناً لائقاً و يرون إليه بنظر الاعتزاز و التباهي ، لأن هذا الكتاب كان الدرة اليتيمة في موضوعه ، لم يسبق على منواله .

هناك كتب قيمة في موضوعه مثل « اليد » (الياذة) و « أوديسے » لـ « هومر » (Homer) و « أينائد » (Aeneid) لـ « ورجل » (Vergil) في

الوقائع الحربية ، وكتابان لـ « ملتن » (Milton) الجنة الضالة (Paradise Lost)
و الجنة المفقودة (Paradise Regained) فى الديانة المسيحية . لكن « كوميديا »
له أهمية زائدة لكونه أدق فى وضع الأصبع على نقطة الضعف التى كانت سائدة فى
الديانة المسيحية فى أوربا كلها ، و أروع فى المستوى العلمى الاستقرائى .

لكن هذا الاكتشاف سيبعث القارىء على الاستعجاب بأن هذا الكتاب
مقتبس بقصه و قضيضه من الكتب الاسلامية التى ألفت فى الأندلس .

ألف البروفيسور إيم ، اسه ، بلاكيوس (Mjneu Asin Palacios) أستاذ
الآداب العربية فى جامعة ميدرد فى أسبانيا
كوميديا لدانتى باسم (a Divine Comedia
وأثبت بالدلائل المعممة المحكمة أن هذا الـ
« و ترجمان الأشواق » و فتح الدخائر و الأعلاق
الفاخرة » و « كتاب المعراج » للامام الغزالى ، و« رسالة الغفران » لأبى العلاء
المعرى و « كتاب العشق و العشاق » و « طوق الحمامة » لابن حزم .

كذلك أثبت الدكتور بلاكيوس أن المسيحية أخذت تصورات عديدة من
الاسلام ، منها عقيدة البعث بعد الموت ، و عقيدة الثواب والعقاب ، و بعد ذلك
صارت هذه العقيدة من العقائد الرئيسية للكنيسة

وأثبت أن تامس أغيس (St. Thomas Agvinas) تأثر بأفكار ابن رشد ،
و ريمدلل (Raymond Lull) بأفكار ابن عربى و ترميدا كا آسلو (Fr. Anse-
-lmo De Turmeda) برسائل إخوان الصفا .

ويؤيد هذه الدعوى المستشرق الايطالى الشهير مارت دى ولات (Monart-
Devillard) فى كتابه القيم « دراسة عن الاسلام فى القرن الثانى و الثالث
عشر » إنه يذكر فيه نسختين خطيتين فى اللغة الفرنسية اللتين ترجمتا من اللغة

العربية و فيهما ذكر المعراج للنبي ﷺ ، وأيده البروفيسور إنريكو كرولى (Enrico Cerulli) بقوله : إن هذين الكتابين نسختان مختلفتان لترجمة « كتاب المعراج » للغزالى ، و ترجمت هذان الكتابان إلى اللغة الايطالية قبل ولادة دانتى بخمسين سنة

و ترجم كتاب الدكتور بلاكيوس إلى اللغة الانجليزية ، قام بنقله من اللغة الأسبانية هيرولد سندرليند (Harold Sunderland) و أسماه بـ (Islam and Devine Comedy) و طبع فى لندن ، فمن شاء التفصيل فليراجع هذا الكتاب .

قام الدكتور بلاكيوس فى كتابه بالمقارنة بين « كوميديا » لدانتى والكتب الاسلامية وخاصة « الفتوحات المكية » لابن عربى ، إنه وجد أثناء المقارنة أن دانتى يحذو حذو ابن عربى فى تصور الجنة والنار و تقسيم درجاتهما ، و فى بيان روعة النار وجمال الجنة . تصدى ابن عربى فى كتابه لوضع الخريطة للجنة والنار ، وقسم كلا منهما على سبع درجات ، ذكر من طبقات الجنة دار المقامة ، و دار السلام ، و الخلد ، و المأوى ، و النعيم ، و الفردوس ، و جنة عدن ، ومن طبقات النار سجينا ، والحطمة ، واللظى ، والسقر ، والسعير ، والجحيم ، وجهنم ، كذلك قام دانتى بوضع خريطة النار والجنة فى كتابه وسلك مع ابن عربى بتغيير يسير ، ولم يكتف ابن عربى على ذلك بل بين أن من يرتكب الكبائر بالعين يدخل فى النار فى الطبقة الفلانية ، و من يقترف السيآت باليد يدخل فى الطبقة الفلانية ، كذلك سجله دانتى فى كتابه .

و لذلك لما عثر على هذا التحقيق العلمى الرصين الممجدون لدانتى فى إيطاليا أبدوا استعجابهم على هذا ، لكن سرعان ما اكتشفت الحقيقة واعترفوا بهذه الحقيقة ، منهم رئيس جمعية دانتى فى إيطاليا البروفيسور بيورجنا (Pio Rajna) والبروفيسور بريدى (Paredi) و البروفيسور نالينو (Nallino) أستاذ الأدب العربى فى جامعة

روما و البروفيسور بنوسى (Binucci) لجامعة سينا .

و الآن صارت هذه الحقيقة جلية أن « الكوميديا » لدانتى هو نسخة ثانية للكتب الاسلامية و خاصة للفتوحات المكية لابن عربى (١)

مع هذا الاستعراض العابر نختم هذا المقال على قول المؤرخ الشهير بريفالت الذى يعترف بفضل الثقافة الاسلامية فى كل ناحية من نواحى الازدهار الأوربى و يقول بكل ثقة

« ليس ثمة ناحية واحدة من نواحى الازدهار الأوربى إلا و يمكن إرجاع أصلها إلى مؤثرات الثقافة الاسلامية بصورة
أوضح ما تكون ، و أهم ما تكون فى نشأة
من قوة متمايزة ثابتة و فى المصدر القوى
البحث العلمى » (٢) .

---

(١) مجلة «فكرونظر» الباكستانية يونيو ١٩٧١م و«التبشير والاستعمار» ص ٢٢٠

(٢) « الثبات و التطور فى الحياة البشرية » للاستاذ محمد قطب ص ٢٣٦

دراسات وأبحاث

دراسة عن معجزة القرآن الكريم

الأستاذ محمد محمود شاكر

ولا مناص لمتكلم فى « إعجاز القرآن » من أن يتبين حقيقتين عظيمتين قبل النظر فى هذه المسألة، وأن يفصل بينهما فصلا ظاهراً لا التباس فيه، وأن يعد أمورا ... بين الوجوه المشتركة التى تكون بينهما

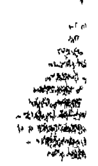
أولاهما أن « إعجاز القرآن » ...

النبى ﷺ على صدق نبوته، وعلى أنه رسول ...

النبى ﷺ كان يعرف « إعجاز القرآن » من الوجه الذى عرفه منه سائر من آمن به من قومه العرب، وأن التحدى الذى تضمنته آيات التحدى، من نحو قوله تعالى « أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين. فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون » (١) وقوله « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً » (٢) إنما هو تحد بلفظ القرآن ونظمه وبيانه لا بشىء خارج عن ذلك، فما هو بتحد بالاخبار بالغيب المكنون، ولا بالغيب الذى يأتى تصديقه بعد دهر من تنزيله، ولا بعلم ما لا يدركه علم المخاطبين به من العرب، ولا لشىء

---

(١) سورة هود : ١٣ - ١٤ (٢) سورة الاسراء : ٨٨



من المعانى مما لا يتصل بالنظم والبيان .

ثانيهما : أن إثبات دليل النبوة ، و تصديق دليل الوحى ، و أن القرآن تنزيل من عند الله ، كما نزلت التوراة والانجيل و الزبور وغيرها من كتب الله سبحانه لا يكون منها شيء يدل على أن القرآن معجز، ولا أظن أن قائلا يستطيع أن يقول : إن التوراة و الانجيل والزبور كتب معجزة بالمعنى المعروف فى شأن إعجاز القرآن من أجل أنها كتب منزلة من عند الله ، و من البين أن العرب قد طولبوا بأن يعرفوا دليل نبوة رسول الله ، ودليل صدق الوحى الذى يأتيه ، بمجرد سماع القرآن نفسه ، لا بما يجادلهم به حتى يلزمهم الحجة فى توحيد الله ، أوتصديق نبوته ، ولا بمعجزة كمعجزات إخوانه من الأنبياء مما آمن على مثـله البشر ، و قد بين الله فى غير آية من كتابه أن سماع القرآن يقتضيهم إدراك مباينته لكلامهم ، و أنه ليس من كلام بشر ، بل هو كلام رب العالمين ، و بهذا جاء الأمر فى قوله تعالى : « و إن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون » (١)

فالقرآن المعجز هو البرهان القاطع على صحة النبوة ، أما صحة النبوة فليست برهاناً على إعجاز القرآن .

و الخلط بين هاتين الحقيقتين ، و إهمال الفصل بينهما فى التطبيق و النظر و فى دراسة « إعجاز القرآن » قد أفضى إلى تخليط شديد فى الدراسة قديماً وحديثاً ، بل أدى هذا الخلط إلى تأخير علم « إعجاز القرآن » و علم « البلاغة » عن الغاية التى كان ينبغى أن ينتهيا إليها .

أما مسألة « إعجاز القرآن » فهى عندى أعقد مشكلة يمكن أن يعانيها « العقل »

---

(١) سورة التوبة : ٦

الحديث ، كما يسمونه ، حتى بعد أن يتمكن من إرساء كل دعامة يقوم عليها إيمانه بصدق نبوة رسول الله ﷺ ، و بصدق الوحى ، وبصدق التنزيل . و أيضاً فهى المسألة التى ترتبط ارتباطاً وثيقاً بقضية الشعر الجاهلى ، وبالكيد الخفى الذى اشتملت عليه هذه القضية ، بل إنها لترتبط ارتباطاً لافكاك له بثقافتنا كلها ، و بما ابتلى به العرب فى جميع دور العلم ، من فرص منهاج خال من كل فضيلة فى تدريس اللغة و آدابها ، بل إنها لتشمل ما هو أرحب من ذلك ، تشمل بناء الانسان العربى أو المسلم ، من حيث هو إنسان قادر على تذوق الجمال فى الصورة و الفكر جميعاً

و معرفة معنى « إعجاز القرآن » و ما هـ

عنه لمسلم و لا لدارس ، و شأنه أعظم من

معناه ، و تمكن من تاريخه ، وتتبع للآيات ا

مستقصيه فى هـذا الموضع ، و لـكنى مستعين

على معرفته .

و ذلك أن رسول الله ﷺ بأبى هو و أمى ، حين فجئه الوحى فى غار حراء ، و قال له : « إقرأ » فقال : « ما أنا بقارىء » ثم لم يزل به حتى قرأ « إقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، إقرأ و ربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم » .

رجع بها وهو يرجف فؤاده . ودخل على خديجة فقال : « زملونى زملونى » فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، وذلك أنه قد أتاه أمر لا قبل له به ، وسمع مقالا لا عهد له بمثله ، وكان رجلا من العرب ، يعرف من كلامها ما تعرف ، وينكر منه ما تنكر ، كان هذا الروع الذى أحدثه بأبى هو وأمى أول إحساس فى تاريخ البشر بمباينة هذا الذى سمع ، الذى كان يسمع من كلام قومه ، و للـذى كان

يعرف من كلام نفسه ، ثم حمى الوحي و تتابع ، و أمره ربه أن يقرأ ما أنزل عليه على الناس على مكث ، فتسمع الأقران من عشيرته وقومه ، يقرأ عليهم هذا الذى نزل إليه ، و لم يكن من برهانه و لا مما أمر به أن يلزمهم الحجة بالجدال حتى يؤمنوا أنما هو إله واحد ، و أنه هو لله نبى ، بل طالبهم بأن يؤمنوا بما دعاهم إليه ، ويقروا له بصدق نبوته ، بدليل واحد هو هذا الذى يتلوه عليهم من قرآن يقرؤه ، و لا معنى لمثل هذه المطالبة بالاقرار بمجرد التلاوة ، إلا أن هذا المقروء عليهم كان هو فى نفسه آية فيها أوضح الدليل على أنه ليس من كلامه هو ، و لا من كلام بشر مثله ، ثم أيضاً لا معنى لها البتة إلا أن يكون كان فى طاقة هؤلاء السامعين أن يميزوا تمييزاً واضحاً بين الكلام الذى هو من نحو كلام البشر ، والكلام الذى ليس من نحو كلامهم

وكان هذا القرآن ينزل عليه منجماً ، وكان الذى نزل عليه يومئذ قليلا كما تعلم ، فكان هذا القليل من التنزيل هو برهانه المفرد على نبوته ، و إذن فقليل ما أوحى إليه من الآيات يومئذ ، و هو على قلتـــه و قلة ما فيه من المعانى التى تنامت و تجمعت فى القرآن جملة كما نقرؤه اليوم منطو على دليل مستبين قاهر ، يحكم له بأنه ليس من كلام البشر ، و بذلك يكون دليلا على أن تاليه عليهم - و هو بشر مثلهم - نبى من عند الله مرسل

فاذا صح هذا ، و هو صحيح لا ريب فيه ، ثبت ما قلناه أولا من أن الآيات القليلة من القرآن ، ثم الآيات الكثيرة ، ثم القرآن كله ، أى ذلك كان ، فى تلاوته على سامعه من العرب الدليل الذى يطالبه بأن يقطع بأن هـــذا الكلام مفارق لجنس كلام البشر ، و ذلك من وجه واحد ، هو وجه البيان و النظم .

و إذا صح أن قليل القرآن و كثيره سواء من هذا الوجه ثبت أن ما فى

القرآن جملة من حقائق الاخبار عن الأمم السالفة ، و من أنباء الغيب ، و من دقائق التشريع ، و من عجائب الدلالات على ما لم يعرفه البشر من أسرار الكون إلا بعد القرون المتطاولة من تنزيله ، كل ذلك بمعزل عن الذى طولب به العرب ، و هو أن يستبينوا فى نظمه و بيانه انفكاكه من نظم البشر و بيانهم ، من وجه يحسم القضاء بأنه كلام رب العالمين ، و ههنا معنى زائد . فانهم إذا أقروا أنه كلام رب العالمين بهذا الدليل ، كانوا مطالبين بأن يؤمنوا بأن ما جاء فيه من اخبار الأمم ، و أنباء الغيب ، ودقائق التشريع ، و عجائب الدلالات على أسرار الكون هو كله حق لا ريب فيـــه و إن ناقض ما .
أنه عندهم أو عند غيرهم حق لا يشكون فيه
و البيان أن هــذا القرآن كلام رب العالمين
فيه من كل ذلك أما صحة ما جاء فيه فليس .
بأن نظم القرآن و بيانه مباين لنظم البشر و بيانهم ، و أنه بهذا من كلام رب العالمين ، و هذا أمر فى غاية الوضوح

فمن هذا الوجه كما ترى طولب العرب بالاقرار و التسليم ، و من هـــذا الوجه تحيرت العرب فيما تسمع من كلام يتلوه عليهم رجل منهم ، تجده من جنس كلامها لأنه نزل بلسانهم ، لسان عربى مبين ، ثم تجده مباينا لكلامها . فما تدرى ما تقول فيه من طغيان اللدد والخصومة ، و إنه لخبر مشهور ، خبر تحير النفر من قريش على رأسهم الوليد بن المغيرة . لقد ائتمرت قريش يومئذ حين حضر الموسم لكى يقولوا فى هذا الذى يتلى عليهم و على الناس قولا واحداً لا يختلفون فيـــه ، وأداروا الرأى بينهم فى تاليه على أهل المواسم و تشاوروا أن يقولوا : كاهن ، أو مجنون ، أو شاعر ، أو ساحر ، فلما آلت المشورة إلى ذى رأيهـم و سنهم و هو الوليد بن المغيرة رد كل ذلك بالحجة عليهم ، ثم قال و الله إن

لقوله لحلاوة ، و إن أصله لعــذق ، و إن فرعــه لجناة ، و ما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عرف أنه باطل ، و أن أقرب القول فيه لأن تقولوا . ساحر جاء بقول يفرق بين المرء و أبيه ، و بين المرء و أخيه ، و بين المرء و زوجته ، و بين المرء و عشيرته .

فهـذا التحير المطلق الذى غشاهم و أخذ منهم بالكظم ، و الذى نعته الوليد فاستجاد النعت ، كان تحيراً لما يسمعون من نظمــه و بيانه ، لا لما يدركون من دقائق التشريع ، وخفى الدلالات ، وما لا يؤمنون به من الغيب ، و مالا يعرفون من أنباء القرون التى خلت من قبل .

و حمى الوحى و تتابع عاماً بعد عام ، وأقبل ﷺ يلح جهرة فيقرأ القرآن عليهم وعلى من طاف بهم من العرب فى بطن مكة ، و فى مواسم الحج والأسواق ، و همت قريش تناوئه و تنازعه ، و تلح فى اللدد و الخصومة ، و فى الانكار والتكذيب ، و فى العداوة والأذى . ولما طال تكذيبهم وإنكارهم على ما يجدون فى أنفسهم من مثل الذى وجد الوليد ، ومن مثل الذى آمن عليه ومن آمن من قومه العرب ، صب الله عليهم من الوحى ما هالهم وأفزعهم ، كانوا يتحيرون فى هذا الذى يتلى عليهم . وظل رسول الله ﷺ بمكة ثلاثة عشر عاماً والمسلمون قليل مستضعفون فى أرض مكة ، ظل الوحى يتتابع وهو يتحداهم أن يأتوا بمثل هذا القرآن . ثم بعشر سور مثله مفتريات . فلما انقطعت قواهم قطع الله عليهم وعلى الثقلين جميعاً مادة اللدد و العناد ، فقــال . « قل لئن اجتمعت الانس و الجن على أن يأتوا بمثل هــذا القرآن لا يأتون بمثله و لو كان بعضهم لبعض ظهيراً » و كذلك كان !

فكان هذا البلاغ القاطع الذى لا معقب له ، هو الغاية التى انتهى إليها أمر هذا القرآن ، و أمر النزاع فيه ، لا بين رسول الله و بين قومــــه من العر

لحسب ، بل بينه وبين البشر جميعاً على اختلاف ألسنتهم وألوانهم ، لا . بل بينه وبين الانس و الجن مجتمعين متظاهرين ، و هذا البلاغ الحق الذى لا معقب له من بين يديه ولا من خلفه . هو الذى اصطلحنا عليه فيما بعد ، و سميناه « إعجاز القرآن » .

و هذا الذى اقتصصته لك تاريخ مختصر أشد الاختصار ، ولكنه مجزىء فى الدلالة على تحديد معنى « إعجاز القرآن » فالمعنى الذى يفهم من هذا اللفظ على إطلاقه ، و مجزىء فى الدلالة على هـــذا « الاعجاز » أ . . .

إعجازاً ، و إنه ليكشف عن أمور لا عى

الأول : أن قليل القرآن و كثيره ڤ

الثانى : أن الاعجاز كائن فى وصف

خصائصه المعهود من خصائص كل نظم و بيان فى لغة العرب ، م فى سائر لغات البشر ، ثم فى بيان الثقلين جميعاً إنسهم و جنهم متظاهرين

الثالث أن الذين تحداهم بهذا القرآن قد أوتوا القدرة على الفصل بين الذى هو من كلام البشر ، و الذى هو ليس من كلامهم .

الرابع أن الذين تحداهم به كانوا يدركون أن ما طولبوا به من الاتيان بمثله أو بعشر سور مثله مفتريات ، هو هذا الضرب من البيان الذى يجدون فى أنفسهم أنه خارج من جنس بيان البشر .

الخامس . أن هذا التحدى لم يقصد به الاتيان بمثله مطابقاً لمعانيه بل أن يأتوا بمـــا يستطيعون افتراءه و اختلاقه ، من كل معنى أو غرض ، مما يعتلج فى نفوس البشر .

السادس : أن هذا التحدى للثقلين جميعاً إنسهم وجنهم متظاهرين . تحد مستمر

قائم إلى يوم الدين

السابع : أن ما فى القرآن من مكنون الغيب ، ومن دقائق التشريع ، ومن عجائب آيات الله فى خلقه ، كل ذلك بمعزل عن هذا التحدى المفضى إلى الاعجاز ، و إن كان ما فيه من ذلك كله يعد دليلا على أنه من عند الله تعالى ، و لكنه لا يدل على أن نظمه و بيانه مباين لنظم كلام البشر و بيانهم و أنه بهذه المباينة كلام رب العالمين ، لا كلام بشر مثلهم

فهذه أمور تستخرجها دراسة تاريخ نزول القرآن ، ومدارسة آياتهم فى جدال المشركين من العرب فى صحة الآيات التى جاءتهم من السماء ، كما جاءت سائر آيات الأنبياء ومعجزاتهم ، وحسبك فى بيان ذلك ما قال رسول الله ﷺ : ما من نبى إلا و أوتى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، و إنما كان الذى أوتيته وحياً أوحى إلى ، وأنا أرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة ، فالقرآن هو آية الله فى الأرض ، آيته المعجزة من الوجه الذى كان به معجزاً للعرب ، ثم للبشر ، ثم للثقلين جميعاً

و كل لبس يقع فى ضبط هذه الأمور المتعلقة بمعنى « إعجاز القرآن » و كل اختلال فى تمييزها و تحديد ما تقتضيه فى العقل و النظر ، مفض إلى انتشار أغمض اللبس وأبلغ الخلل فى فهم معنى « إعجاز القرآن » من الوجه الذى صار به القرآن معجزاً للعرب ، ثم لسائر البشر على اختلاف ألسنتهم ، ثم للثقلين جميعاً متظاهرين

فهذا بعض ما أدى إليه النظر المجرد فى استخراج المعنى الذى هو مناط الإعجاز و مفصل الاعجاز ، و أرجو أن أكون قد بلغت فى كشفه مقنعاً ورضى فى ما لا بد منه ، أن نستنبط بهذا الأسلوب من النظر المجرد ، صفة القوم الذين تحداهم وصفة لغتهم .

فاذا صح أن الاعجاز كان فى وصف القرآن و نظمه و بيانه ، بلسان عربى مبين ، وأن خصائصه مباينة للمعهود من خصائص كل نظم وبيان تطيقه قوى البشر فى بيانهم ، لم يكن لتحديهم به معنى إلا أن تجتمع لهم و للعتهم صفات بعينها .

أولها أن اللغة التى نزل بها القرآن معجزاً . قادراً بطبيعتها هى أن تحتمل هذا القدر الهائل من المفارقة بين كلامين كلام هو الغاية فى البيان فيما تطيقه القوى . و كلام يقطع هذه القوى ببيان ظاهر المباينة له من كل الوجوه

ثانيها أن أهلها قادرون على إدراك هذ

وهذا إدراك دال على أنهم قد أوتوا من

و وجوهه قدراً وافراً يصح معه أن يتحدا

عند سماعه أن تاليه عليهم نبى من عند الله مر

ثالثها . أن البيان كان فى أنفسهم أجل من أن يخونوا الأمانة فيه ، أو يجوروا عن الانصاف فى الحكم عليه ، فقد قرعهم و عيرهم و سفه أحلامهم و أديانهم ، حتى استخرج أقصى الضراوة فى عداوتهم له ، و ظل مع ذلك يتحداهم ، فمنهم أمانتهم على البيان عن معارضته و مناقضته و كان أبلغ ما قالوه « و قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا » و لكنهم كفوا ألسنتهم فلم يقولوا شيئاً ، هذه واحدة . و أخرى : أنه لم ينصب لهم حكماً ، بل خلى بينهم و بين الحكم على ما يأتون به معارضين له ثقة بانصافهم فى الحكم على البيان ، فهذه التخلية مرتبة من الانصاف لا تدانيها مرتبـــــة .

رابعها : أن الذين اقتدروا على مثل هذه اللغة ، و أوتوا هذا القدر من تذوق البيان ، و من العلم بأسراره ، و من الأمانة عليه ، و من ترك الجور فى الحكم عليـــه ، يوجب العقل أن يكونوا كانوا قـد بلغوا فى الاعراب عن أنفسهم

بألسنتهم المبينة عنهم ، مبلغاً لايدانى .

وهذه الصفات تفضى بنا إلى التماس ما ينبغى أن تكون عليه صفة كلامهم ، إن كان بقى من كلامهم شىء ، فالنظر المجرد أيضاً يوجب أمرين فى نعت ما خلفوه :

الأول : أن يكون ما بقى من كلامهم شاهداً على بلوغ لغتهم غاية من التمام والكمال والاستواء ، حتى لاتعجزها الابانة عن شىء مما يعتلج فى صدر كل مبين منهم .

الثانى . أن تجتمع فيه ضروب مختلفة من البيان ، لا يجزىء أن تكون دالة على سعة لغتهم و تمامها ، بل على سجاحتها أيضاً حتى تلين لكل بيان تطيقه ألسنة البشر على اختلاف ألسنتهم

فهل بقى من كلامهم شىء يستحق أن يكون شاهداً على هذا و دليلا

نعم ، بقى « الشعر الجاهلى » !

و إذن ؟ ! إذن ينبغى أن نعيد تصور المشكلة و تصويرها ، فإن النظر المجرد ، و المنطق المتساوق ، والتمحيص المتتابع ، كل ذلك قد أفضى لنا إلى تجريد معنى « إعجاز القرآن » مما شانه و علق به ، حتى خلص لنا أنه من قبل النظم و البيان ، ثم ساقنا الاستدلال إلى تحديد صفة القوم الذين تحداهم ، وصفة لغتهم ، ثم خرج بنا إلى طلب نعت كلامهم ، ثم التمسنا الشاهد و الدليل على الذى أدانا إليه النظر ، فإذا هو « الشعر الجاهلى »

و إذن ، فالشعر الجاهلى ، هو أساس مشكلة « إعجاز القرآن » كما ينبغى أن يواجهها العقل الحديث و ليس أساس هذه المشكلة هو تفسير القرآن على المنهج القديم ، كما يذهب إليه أكثر من بحث أمر إعجاز القرآن على وجه من الوجوه

و لكن الشعر الجاهلى قد صب عليه بلاء كثير ، آخرها و أبلغها فساداً و إفساداً ذلك المنهج الذى ابتدعه « مرجليوث » لينسف الثقة به ، فزعم أ

شعر مشكوك فى روايته، وأنه موضوع بعد الاسلام، و هذا المكر الخفى الذى مكره «مرجليوث» وشيعته وكهنته. والذى ارتكبوا له من السفسطة والغش والكذب ما ارتكبوا كما شهد بذلك رجل من جنسه وهو «آربرى» كان يطوى تحت أدلته و مناهجه و حججه إدراكاً لمنزلة الشعر الجاهلى فى شأن إعجاز القرآن. لا إدراكاً صحيحاً مستنيراً، بل إدراكاً خفياً مبهماً. تخالطه صعبية مستكينة للعرب وللاسلام

و هذا المستشرق و شيعته و كهنته، كانوا أهون شأناً من أن يحوروا كثيراً عن منهجهم الذى سلكوه وإدانتهم التى احتطبوها لما فى تشككهم من الريب والخداع، و لكنهم بلغوا ما بلغوا من استماتة مكرهم.

الحـــديث فى العالم الاسلامى بوسائل أعاد

من النظر الصحيح فى شىء، و قـــد أسهم

إلى إثبات صحة الشعر الجاهلى مناهج لا شك ب

الاستدلال و بلا خـــداع فى التطبيق، و بلا مراء فى الذى يسلم به صريح العقل وصريح النقل، إلا أنهم لم يملكوا بعد من الوسائل ما يتيح لهم أن يبلغوا بحقهم ما بلغ أولئك بباطلهم.

(للبحث صلة)

البحث الاسلامى أهدافه و مناهجه

(٣)

الأستاذ محمود أحمد غازى
إســـلام آباد باكستان

نقد العلوم الغربية الحديثة

إن العلم وحدة مطلقة لا يجوز تقسيمها إلى غربى و شرقى ، أو إلى شمالى و جنوبى ، إنما يقسم إلى إسلامى و غير إسلامى ، إلى ما يعترف بالوحى الالهى كمصدره الرئيسى و إلى ما لا يعترف به ، و لكننا استعملنا كلمـة الغرب هنا فى معنى الالحاد والطغيان المادى ، لأن الغرب توغل فى الالحاد و الطغيان على الوحى و الديانات بحيث أصبحت كلمة الغرب مترادفة بالالحاد و طغيان المادة و نظراً إلى هذه الوحدة نرى آباءنا المسلمين أنهم لم يفرقوا بين علم الغرب و علم الشرق ، بل أخذوا العلم عن كل مصدر و نهلوا عن كل منهل دون أيما تعصب .

قبل أن ندخل فى صلب الموضوع و نتكلم عن نقد العلوم الغربية ينبغى أن نقف قليلا و نتساءل : ما هى العلوم ؟ و نجيب على هذا التساؤل و نقول العلوم سواء كانت اجتماعية أوإنسانية أو طبيعية أو ما وراء الطبيعية هى عبارة عن مجموعة معلومات و نظريات و قواعد فى مجال من المجالات العلمية أو الفكرية ، و ترتب هذه المجموعة بحيث تفيـد الدارس فى الوصول إلى هذه المعلومات و المصطلحات التى تسهل فهم هذه المعلومات و النظريات . و يرتب كل عالم من علماء هذه العلوم

وكل خبير من خبرائها هذه المعلومات و هذه النظريات ترتيباً يوافق آراءه ويلائم طبيعته ويطابق بيئته الاجتماعيـة ، و يستخرج منها نتائج تتمشى مع روح فكره و تؤيد عمود آرائه ، نأخذ العلوم الاجتماعية كمثال ، فهذه العلوم كالتاريخ والفكر السياسى و الاقتصاد والقانون وغير ذلك درستها جميع الأمم ، و لكن استنتجت كل أمة مما درسته من العلوم نتائج تختلف تماماً عما وصلت إليها الأمم الأخرى ، وأقامت كل أمة حضارتها وثقافتها على أساس هذه النتائج ورتبت بها نظام حياتها

و هـذا أمر فى منتهى الوضوح ، ولا يخفى عا

التعليمية أن العلوم كلها سواء كانت اجتماعية أ

وخمير وقلب وقالب ، وشأنها فى هذا الصدد

و قلبه و قالبه ، و ذاكرته الخاصة و ماضيه

غيره . فروح العلم هى الفكر الذى سرى فيه ويتشرب منـــه ذلك العلم الخاص . و خميره هى الفلسفة التى تنسق معتقداته العامة و كلياته و معلوماته . و قلبه هو باطن ذلك العلم العام ، و قالبـــه هو الظاهر منه من تدوينه و لفظه و صيغتـــه وأسلوبه فى البيان والأداء ، وكذلك الذاكرة و الماضى والخلفية ، و من المستحيل جداً سحب هذه الروح و الخمير من العلوم وتجريدها من قلبها و تفريغها من قالبها وقطعها من ذاكرتها و ماضيها وخلفيتها ، اللهم إلا بعد إجراء عملية جبارة تغيرها قلباً وقالباً وتجعل منها غيرها كأنها شيء جديد ، بل بعد هدمها كلها أساساً لاستعمال المواد المهدمة فى تعمير جديد و بناء حديث

نأخذ الآن مثال العلوم و الآداب الأوربية الحديثة السائدة فى جميع العالم أو على الأقل فى أكثر بلاد العالم ، فنراها كلها مصبغة بالصبغة العلمانية الأوربية الخاصة و متشبعة بروحها الاستعمارية و مصوغة بصيغتها الالحادية و مقلوبة بقالبها المسيحى

المحرف كما استعرضناها استعراضاً موجزاً .

انظر علومهم الطبيعية الحديثة التى يقولون عنها أنها تدخل فى نطاق الحس و التجربة ، و فى الظاهر لا صـــلة لها بالدين و بالحقائق التى يبحث عنها الدين وتعالجها الشريعة ، وميدانها يختلف ميدان الدين و نطاقها خارج عن نطاق الوحى والالهام، ولـكن مع هذه الدعاوى كلها تختلف الحقيقة عنها تمام الاختلاف ، وتصارح العلوم الطبيعية بلسان الحال ما تدل عليـــه العلوم الاجتماعية ضمناً بلسان القال عن براءتها من الدين وعن وجود خالق بارىء للكون والمظاهر الطبيعية التى هى موضوع بحثها ونقاشها ، و يبدو كأن هذه العلوم تنفر من الهداية الالهية و الوحى الربانى نفور الحيوان الوحشى من الانسانية .

و الأساس المزعوم التى ترتمت عليه العلوم الطبيعية الغربية و دونت عليه هو أن العلم ما نعرفه و نعلمه بواسطة الحواس البشرية ، و ما سواه جهل مطلق ، فكل غير محسوس غير موجود حتى نعلم وجوده علماً قطعياً باحدى حواسنا الخمسة . و لا شك أن هذا الأساس المزعوم يبدو فى الظاهر أمر معقول يتفق معـــه كل إنسان مثقف ذو عقل وبصيرة ، ولـكننا لو قبلنا هذه القاعدة كأساس على معترف به لأبطلنا ثلثى الدين بل أكثر منـــه ، إذ لا يبقى أساس من أسس الدين إلا هدمناه ولا قاعدة من قواعد الشريعة إلا ألغيناها ، فان الوحى و النبوة والرسالة و التوحيد و المعاد و البعث بعد الموت و الحساب و الجزاء والصراط و الجنـة و النار و حتى وجود الخالق البارىء و ملائكتـه و كتبه و ما إليها من حقائق الدين كلها خارجة عن نطاق الحواس الخمسة ، وأساسها على الوحى والالهام والايمان بالغيب فقط و لا أساس لها غيره ، و ذلك لأن شرف الامامـــة و الزعامة فى العلوم الطبيعية التجربية و التكنالوجيا كان ولا يزال فى أيدى أولئك الذين يدعون

أنهم مؤمنون بعدم وجود الخالق ، و يرون أن الكون ظهر إلى حيز الوجود بدون أى قوة محركة من الخارج و تطور إلى الحالة التى هو عليها الآن بنفسه وتلقائياً بدون أى طاقة تطوره أو تهيمن على تطوره ، فصاغوا هذه العلوم بصيغتها الفاسدة و جعلوها تؤدى قراءها إلى ما ذهب إليه صائغوها و مدونوها من إنكار الخالق و الالحاد ، أوالنزعة العلمانية على الأقل إذ كان فيهم من آمن بدين أوتمذهب بمذهب أو انتحل نحلة . و لا تسأل عن العلوم الاجتماعيـــة و العمرانية ، فانها لا تقل شأناً فى هذا الصدد عن أخواتها من العلوم " "

نحن أشرنا بايجاز إلى خلفية تاريخية

أنتجتها الحضارة و الثقافة الأوروبيــــة خلال

هذه العلوم له روحها الخاصة و طبيعتها الخاص

وخلق هذه الروح عوامل و بواعث كثيرة ترجع أصلهـا و بدايتها فى تاريخ اوربا القديم ، فأثرت تقاليد أوربا التاريخية والخلفية الدينية الخاصة والمثل العربية الحضارية و البيئة الأوروبية الثقافية و ما إليها تأثيراً عميقاً جذرياً فى تكوين عقلية هذه العلوم و طبيعتها و روحها .

ولا تختلف حالة الألسنة و اللغات وكيفيتها عن حالة العلوم ، فكما أن أفكار أمة و آرائها و دينها وحضارتها ، ثقافتها تتجلى فى علومها فكذلك تتسرب هذه الأشياء فى لغتها و آدابها و لم ترلغــــة أمة من الأمم و آدابها الامتشربة بمثلها الخاصة و تقاليدها الدينية و الاجتماعية و حضارتها و ثقافتها

انظر اللغة العربية القديمة والأدب العربى الجاهلى ، تتجلى فيها الصفات والمثل و التقاليد الجاهلية كما تتجلى صورة الناظرة فى المرآة ولذلك قيل " الشعر ديوان العرب . و هذه الأمر ليس بخاص بالعرب فقط ، فكل أمـة ديوانها شعرهـــــا

و تتجلى آراءها و ثقافتها وحضارتها فى آدابها و لغتها خذ مثلا اللغة و الآداب الانكليزية تتجلى فى كلماتها و تراكيبها الأدبية و أساليبها الشعرية و استعاراتهـــا و تشبيهاتها طبيعة الأمة الانكليزية و مزاجها الاجتماعى الخاص . و تتصف لغتهم و آدابهم بنفس الصفات و الخصائص التى تتصف بها الأمـــة الانكليزية ، فكما أن المادية و الدبلوماسية الماكرة من خصائص الأمة الانكليزية و صفاتها فكذلك نرى اللغة و الآداب الانكليزية متصفة بهذه الصفات و الخصائص . و خذ مثلا اللغتين الهندية والسنسكريتية من بين اللغات الشرقية ، تسربت فيها الآراء والأفكار الهندوكية الدينية و أساطيرهم و خرافاتهم وهاتان اللغتان متشربتان ومتشبعتان بالفكر الدينى و الفلسفى الهندوكى بحيث أنه لا يمكن الفرق بينهما و تمييز أحدهما عن الآخر ، فان هاتين اللغتين تربتا و اغتذتا بغذاء الاساطير و الخرافات الهندوكية .

و انظر على العكس من ذلك العلوم الاجتماعية و الطبيعية التى أنشأهـــا المسلمون ، تتجلى فيها الطبيعة الاسلاميـــة و المزاج الاسلامى و تتمثل فيها المثل الاسلامية العليا ، ويرى القارى بين كتبها وصفحاتها بل و بين أسطرها خصائص الثقافة الاسلامية و التمدن الاسلامى و الحضارة الاسلامية ، و لا نضرب لذلك مثلا من العلوم الاجتماعية و الفكرية التى تأسست على أسس و مبادئ استمدها المسلمون من القرآن و السنة ، و هى إسلامية بحتة من حيث الروح و الجســد و القلب و القالب و المحتوى و الضمير و لكنما نضرب لذلك مثلا من العلوم الطبيعية و التجربية التى أنشأها ورقاها المسلمون فكلها مصبغة بالصبغــــة الاسلامية الخالصة و مطبعة بالطابع الاسلامى الواضح الجلى ، و تتجلى فيها الروح الاسلامية الظاهرة التى تهدى القارىء إلى سواء السبيل .

و إن شئت فخذ أى كتاب أردت من المنطق أو الرياضيات أو الكيمياء

أو الطبيعيات أو من أى علم من العلوم الطبيعية و التجربية ألفه عالم من علمـــاء المسلمين فى العهد الاسلامى الزاهر تجد فى صفحاته و بين أسطره و فى مضمونه و محتواه روحاً إسلامية تهديك إلى الموضوع هـــداية إسلامية كما فهمها و هضمها المؤلف .

و ليست العلوم فقط ، بل هكذا الحال فى المؤسسات والأنظمة و الادارات و الهيئات . فلا تخلو مؤسسة من المؤسسات أو إدارة من الادارات أو نظام من الأنظمة أو هيئة من الهيئات عن عقيدة مؤسسيها و عقليتهم ...
و تسرى هذه العقيدة و العقلية فى تلك المؤ...
الجسد ، نأخذ لذلك مثال دارالعلوم الاسلا...
التى أنشأها مولانا محمد قاسم النانوتوى و ...
مائة سنة و ربع قرن) و لكن عقيدة المؤسس الجليل و عقليته تجرى حتى الآن فى هذه المؤسسة ، ويشم الزائر رائحة هذه العقلية و يشعر بنكهة هذه النفسية حتى فى جدران دار العلوم ومبانيها وحيطانها ، وكذلك جامعة على كره تسرى فيها روح السيد سيد أحمد خان وعقليته سريان الروح فى الجسد ، وتجرى فيها آراؤه وأفكاره و نزعاته مجرى الدم فى عروق الانسان ، و جامعة ندوة العلماء تسرى فيها أرواح مولانا محمد على المونكيرى ومولانا شبلى النعمانى وزملائهما وهلم جراً ولا يمكن أن تسحب هذه الأرواح و هذه النفسيات من هذه المؤسسات و المعاهد ، هـذه هى حال المؤسسات و الادارات فما ظن القارىء الكريم فى شأن العلوم والأفكار و الفلسفات التى تستمد غذاءها و روحها من أرواح واضعيها و عقليات مؤسسيها و نفسيات مؤلفيها .

و هذا النظام التعليمى الذى طبقه الاستعمار الغربى فى العالم الاسلامى والذى

لم نرثه منه فحسب بل ننفق الملايين والمليارات و نستنفد امكانياتنا المعنوية والمادية فى تطويره و تدعيمه فى بلادنا الاسلامية هو نظام استعمارى بحت ، و طبقه الاستعمار لمجرد أهدافه الاستعمارية ، و من المناسب أن نشير إلى ما تكمن به من نتائج استعمارية و أهداف استعمارية لتطبيق هذا النظام أحد مدونيه الكبار فى الهند الاسلامية ، فقد كتب الكاتب و المفكر التعليمى الانكليزى الشهير اللورد ميكالى فى تقريره الذى قدمه إلى الحكومة البريطانية فى عام ١٩٣٥م بصفته رئيساً للجنة التعليمية :

« يجب أن ننشىء جماعة تكون ترجماناً بيننا وبين ملايين من رعيتنا ، وستكون هذه الجماعة هندية فى اللون والدم وانجليزية فى الذوق والرأى واللغة والتفكير» (١)

و ما أصدق هذا الطاغوت التعليمى الاستعمارى ! ألسنا نحن اليوم متفرنجين أو متفرنسين أو متمركسين فى الذوق و الرأى و اللغة والتفكير ؟ ألسنا و خاصة الطبقة المثقفة « المنورة » منا بقينا مسلمين فى اللون و الدم و الاختتان فقط ؟ ولنقف هنا قليلا ونتساءل : ماذا أنفقنا على إنجاح هذا النظام خلال القرنين الماضيين اللذين قضيناهما فى عهد الاستعمار و عهد ما بعد الاستعمار من أموال وإمكانيات و صلاحيات ، و ما الذى أحرزنا و ربحنا و كسبنا بعد تحمل هذه النفقات والتكاليف كلها ؟ ونجيب على هذا السؤال ونقول أنفقنا المليارات من الدولارات و الجنيهات و الريالات فى مشارق الأرض ومغاربها من جزيرة تيمور شرقاً إلى مدينة داكار غرباً و ضحينا بأجيال متتابعة من شبابنا المؤمن على مذبح الكنيسة الغربيـة و فدينا بعقول آلاف من المفكرين و مئات من النوابغ من أبناء العالم

---

(١) تاريخ التعليم لميجرباسو ، ص ٨٠ نقلا عن أبى الحسن على الندوى : نحو التربية الاسلامية الحرة طبع بيروت ، ١٩٦٩م ص ٣٢ - ٣٣ .

الاسلامى و قضينا أعمارنا فى تطبيق هذا النظام بحذافيره و إنجاحه منذ قرنين أو قرن و نصف ، هذا بعض ما أنفقنا ، و أما ما كسبنا و ربحنا بعد هذه النفقات الطائلة فجماعة من المثقفين المتنورين الذين تثقفوا بالثقافة الالحادية و طائفة من المفكرين الذين يفكرون بالفكر الأوربى المنحرف الثائر على الوحى و الديانات والأجيال الصائعة الحائرة على مفترق الطرق . إلا من عصم ربك و قليل ما هم

إن مسألة التعليم و تربية الأجيال و تنشئة الشباب من كبريات المسائل التى تعنى بها الدول العقائدية (الأيديولوجية) و توليها اهتمامها البالغ . لأن الأمم والدول التى تقوم على أساس عقيدة مبدأ و

و وضعها . وتخضع نظام فكرها و تعليمها .

و تكون تعليمها و تشكل نظام تربيتها بحيث

التى لا تؤمن بعقيدتها و فكرها فحسب بل تدافع عنه

نشرها وبثها فى أنحاء العالم ، و أريد أن أذكر القراء الكرام بما قام به الشيوعيون فى الاتحاد السوفيتى من تكوين نظام تعليمهم و تربيتهم على أساس الفكر الماركسى اللينى ، و الجدير بالذكر أن لجامعة موسكو ثلاث أهداف تنص اثنان منها على كلمة : الفكرة الماركسية اللينينية أى (Marxist Leninist Doctrine) ومن المضحكات المبكيات أن الذين يؤمنون بأنتن أنواع الكفر لايستحيون بمصارحتهم بالكفر ونحن المسلمون نستحيي بمصارحتنا بالاسلام و إجهارنا بالحق .

و لم يكتف الشيوعيون بتوجيه نظام تعليمهم وجهة شيوعية خالصة وتامة ، بل قام علماؤهم بتدوين العلوم تدويناً جديداً يتفق مع فكرهم الشيوعى ، و صاغوا العلوم كلها و خاصة الاقتصاد والفكر السياسى و القانون و الفلسفة و ما إليها من العلوم بصيغة شيوعية جديدة تتناغم مع الفلسفة البرولتارية ، فالعلوم عندهم الآن كلها مقلوبة تماماً ، قلباً و قالباً ، و متشربة بالفكر الشيوعى الالحادى .

فليت شعرى ما الذى يمنعنا عن هذا العمل و ما يعوقنا عن تدوين العلوم على أساس الفكر الاسلامى وتطهيرها فى ضوء الشريعة الاسلامية ، فاننا أكمل فكراً من الشيوعيين ، وأصلح نظاماً و أتم قانوناً منهم ، وديننا خاتم الأديان ، وكتابنا خاتم الكتب ، وشريعتنا المطهرة هى السمحة السهلة البيضاء الغراء التى ليلها كنهارها ، و نؤمن بكتاب خالد عربى مبين ، لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . ألسنا أقدر و أجدر بهـــذا العمل من الشيوعيين ؟ ألسنا قادرين على إنجازه على أحسن منوال وأبدع أسلوب ؟ ولا يسعنا فى هذا المقام أن نضرب لتدوينهم أمثلة من كتبهم و من أراد أن يعرف أسلوبهم فى التدوين (و فى الحقيقة التحريف) فليراجع إلى أى كتاب شاء من الكتب المطبوعة فى روسيا

و ينبغى أن نستفيد من تجارب الأمم الشيوعية فى مسألة تجـــديد العلوم الاجتماعية و الانسانية و التطبيقـــة بدون أى تأمل أو تردد ، فانهم رفضوا جميع العلوم الموجودة من قبل الثورة الشيوعية و سموها بالعلوم البورجوازية ، فكل غير شيوعى عندهم بورجوازى ، و كـــذلك الفكر الذى يخالف الشيوعية يسمونه الفكر البورجوازى و العـــلم الذى لا يوافق آراءهم هو العلم البورجوازى ، و كل ما هو بورجوازى فهو مردود و مرفوض لا يفيد فى شأن ، حتى العلم الطبيعى التطبيقى الذى هو علم مادى بحت و يعتقد كثير من المسلمين المثقفين أنه لا صلة له بالفكر و الدين قسمه الشيوعيون إلى قسمين : العـــلم الشيوعى و العلم البورجوازى : فالعلم الشيوعى عندهم هو العلم الذى يحتم بانكار خالق الكون ورفض الأديان والمعتقدات الدينية ، و العلم البورجوازى هو العلم الذى يتردد فى المصارحة بهذا الإنكار البحت و الرفض القطعى ، و كذلك غيروا تاريخ العالم كله ، و قام المؤرخون الشيوعيون بالتدوين الجديد للتاريخ البشرى بما فيه التاريخ الاسلامى و السيرة النبوية الشريفة

تدويناً جديداً وفق التعبير المادى الشيوعى للتاريخ و نرى أمثال هـذا التدوين المحرف فى جميع الكتب التى تطبع و تنشر فى البلاد الشيوعية وخاصة فى روسيا ، و توزع مجاناً أو بالثمن الزهيد فى البلاد الاسلامية .

ويجدر بنا فى هذا المقام أن نلفت نظر القارىء إلى ما قاله أحد أئمة التربية و التعليم فى البلاد السوفيتية عن الفرق الواضح الجلى الذى يصنعه الشيوعيون بين العلم الروسى و بين العلم الأوربى العام. يقول عالم طبيعى من كبار علماء السوفيت م . س . كوفرن (M. C. Govern) .

« إن العلم الروسى ليس قسماً من أقسام
مداته ، يختلف عن سائر الأقسام كل الاختلاف
أنه قام على فلسفة واضحة متميزة أن التحقيقات
علومنا الطبيعية ، الفلسفة المادية التى قدمها ماركس و
نريد أن نخوض ـ و فى أيدينا هذه الفلسفة ـ فى معترك العلم الطبيعى و نصارع جميع التصورات الأجنبيـة التى تناهض فلسفتنـا المادية و الماركسيـة بكل حزم و قوة » (١) .

و ليست الدول الشيوعية فحسب بل رفضت الدول الآسيوية الأخرى أيضاً أن تطبق هذا النظام الفكرى التعليمى الغربى والاستعمارى بكامله و تتخذه المقياس الحقيق و المعيار الوحيد لنشر العلم و الثقافة ، فقد رفضه اليابان البوذى و ألح أن يكون هذا النظام مصطبغاً بصبغته البوذية بقدر ما أمكن و مطبعا بطابع الحضارة البوذية القديمة وتتجلى فيه فلسفتهم القديمة البوذية التى يؤمن بها اليابانيون . وكذلك رفضت الهند البرهمية بعد استقلالها من البريطانيين اختيار هذا النظام بحـذافيره

(١) نقلا عن أبى الحسن على الحسنى الندوى ، المصدر السابق ، ص ٦٤ ـ ٦٥

بل غيرته إلى حد كبير و جعلته متمشياً مع مصالحها البرهمية و خاضعاً لفكرتها الهندوكية .

فيجب قبل كل شيء أن نرفض أمامة الغرب الفكرية و قداسته العلمية ، نكفر بامامته و قداسته ، فقد أمرنا أن نكفر بالطاغوت لأن الكفر بالطاغوت من شرائط الايمان و يدخل فيه الكفر بالطاغوت الغربي الأوربي و الطاغوت الشرقي الشيوعي . و بعد ذلك تأتي مرحلة الايمان بالله والايمان بملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر . وبعد هذا الايمان الكامل المركب من النفي والاثبات تأتي مرحلة تعلم القرآن ، كما قال سيدنا ابن عباس : تعلمنا الايمان ثم تعلمنا القرآن ، وتعلم القرآن يشتمل على التعمق في روحه و التذوق بذوقه و التصبغ بصبغته والاصطباغ بطابعه و بعد أن تعلمنا الايمان و القرآن سوف نتمكن من التهافت على فلاسفة هذا العصر و نرد على مناطقة الوقت و نسد الطريق في وجه السيل الالحادي الجارف الذي يكاد يذهب بالأذهان والعقليات المعاصرة ، لا بل ذهبت بها احطتها

و لا يعني رفض إمامة الغرب الفكرية و قداسته العلمية عدم الاعتراف برقيه العلمي و غض النظر عن نهضته العلمية و التقنيـة و الصناعية و لا يعني أيضاً سد طريق المسلمين نحو الرقي العلمي و الفني ، فليس بين الرقي الفني المادي و بين الرقي الديني الروحي أي تعارض ، و من الممكن بل الأحسن والأنسب أن يكون المسلم راقياً من كلتا النـاحيتين المادية والروحية ، فان الاسلام استحسن اجتماع الرقي الروحي الديني بالرقي الفني المادي ، و استحسن القرآن الكريم بساطة العلم وبساطة الجسم معاً ، و فضل رسول الله ﷺ المسلم القوي على المسلم الضعيف .

« يتبـع »

المعاول الهدامة على اللغة العربية

محمد عبد السليم خان

مدير مركز الدراسات الآسوية العربية الجامعة الاسلامية علي كره

اللغة العربية لغة القرآن و رمز الـ

ازدهرت عبر القرون الزاهية حتى حصعت

فبدأت تواجه المعارك الهدامة و المساعى

١ـ الاستعمار و عملاؤه

٢ـ الأفراد والفئات التى تكمن حقداً وصعبية على الاسلام أو العروبة أو عليهما معاً ،

٣ـ الأفراد السذج المخدوعون أوالأفراد الذين يعتقدون بحسن نية أنهم يعملون لصالح العرب أو لتسهيل اللغة العربية ، هذه الفئة الثالثة ليست نشيطة فى جميع المجالات الهدامة بل إنها تلعب دورها فى ميادين خاصة و محدودة .

أما الميادين التى يعمل فيها هؤلاء المخربون فهى أيضاً ثلاثة

١ـ تخريب اللغة العربية فى البلاد العربية و استبدالها بلغة أجنبية

٢ـ ترك اللغة الفصحى و استبدالها باللهجة العامية أو الدارجة

٣ـ ترك الخط العربى أو استبداله بالخط اللاتينى

فلنبحث هذه الميادين بشىء من التفصيل فيما يأتى

١ـ تخريب اللغة العربية واستبدالها بلغة أجنبية وقع تخريب اللغة العربية قبل كل شىء فى البلاد العربية التى احتلتها الامبراطورية العثمانية ، فقد لقيت اللغة العربية عنتاً شديداً

فی ظل الحـ .. ... ، وأخذت اللغة التركية تمد نفوذها فی ميادين التعليم والقضا و الدواوين فتـــدهورت العربية تدهوراً بالغاً فی الأسلوب و التعبير و دخلتها الكلمات الأجنبية كثيرة ، وقد ثبتت اللغة العربية إلى حد ما أمام التأثيرات العثمانية و لكنها بدأت تواجه فيما بعد التأثيرات الأجنبية الأوربية ، فاستعمر الفرنسيون الجزائر فی القرن التاسع عشر و مكثوا فيها إلى سنــة ١٩٦٢م مع مالديهم من الأساليب القمعية الجديدة ، فأقفلوا جميع الفرص أمام الجزائريين حتى لايتمكنوا من تعليم لغتهم (١) ، و فرنسوا الادارة و الاقتصاد و التعليم ثم حاربوا العقيــدة الاسلامية ، و ذلك بتحويل بعض المساجد إلى الكنائس (٢) ، و أقفلوا جميع المدارس العربية الموجودة فی حدود ثلاث كيلومترات من أية مدرسة فرنسية (٣) ، هذه السياسة الغاشمة كانت بطبيعتها سبباً فی إيقاظ الضمير الاجتماعی لشعب الجزائر مما نتج عنها النضال الجزائری فيما بعد ، كان هذا النضال فی البــدء بطيئاً متمثلا فی حركات الاصلاح الدينی والاجتماعی والتربوی ، لكن هذه الحركات الاصلاحية نمت نمواً مطرداً بعـد تأسيس « جمعيـة العلماء المسلمين الجزائريين » كان شعارها

---

(١) عثمان سعدی ، قضية التعريب فی الجزائر (دار الطليعة للطباعة و النشر بيروت ، ١٩٦٧م) ص ٣٧ « راجع محمود عبد المولی » معركة العربية فی الجزائر ، اللسان العربی (الرباط) المجلد التاسع الجزء الأول يناير ١٩٠٢م ص ١٣ .

(٢) علال الفاسی ، المغرب العربی (القاهرة) ص ٧١ ، راجع اللسان العربی المذكور أعلاه .

(٣) عمار أزيغان ، الجهاد الأفضل ص ٣٩ راجع اللسان العربی المــذكور أعلاه ص ١٣ .

« الاسلام ديننا و العربية لغتنا و الجزائر وطننا » (١) هـذه الجمعية لم تحارب الاستعمار الفرنسى فحسب بل حاربت أيضاً المثقفين المتفرنسين برئاسة الدكتور ابن جلول الذين كانوا على استعـداد لضم الجزائر إلى فرنسا على شرط المساواة، لكن العلماء تحت راية الجمعية برئاسة الشيخ عبد الحميد بن باديس وقفوا لهم بالمرصاد حيث أعلن أن « الجزائر ليست فرنسة ولا يمكن أن تكون ولا تريد أن تكون، وأن اللغة العربية هى حرة لا يتحرى من كيان الـ

كله أن الجزائريين حاربوا الاستعمار الفر

التى تتجاوز عن خمس سكان الـبـلاد لتـ

العربية على درجة اللغة الرسمية والشعبية

الفرنسى أن يتبع هذه السياسية فى البلاد العربيـة الافريقية الأخرى ، فى سوريا و لبنان أيضاً على المستوى الأدنى كما فعل الاستعمار الايطالى فى ليبيا

٢ـ المعركة بين اللغة الفصحى و اللهجة العامية ـ المرحلة الثانية التى بدأ الاستعمار الغربى على اللغة العربية هى فى مجال استعمال اللغة فى العصر الحاضر ، وكانت حجته أن اللغة الفصحى لغـــة صعبة جـداً ، و أنه لا تستعمل فى التكلم إلا قليـلا و أنها تعتبر كلغة ميتة غير مفهومة للشعب ، لذلك يجب استعمال العامية للكتابة أيضاً و بالتالى يجب نقل العلوم كلها إلى اللغة العامية التى كانت سهلة جداً و مفهومة لجميع الناس .

أول من حمل لواء هذه الدعوة هو المهندس الإنجليزى وليم ولكوكس (William Wilcox) الذى جاء إلى مصر وعمل فى الرى المصرى

(١) المصدر السابق ص ٢٦ ، ٢٧

(٢) المصدر السابق .

ويلكوكس خطابه التاريخى فى مصر فى يناير ١٨٩٢ بعنوان « لاتوجد قوة الاختراع لدى المصريين الآن » قال فى خطابه : إن وجدت فى المصريين الصفات الأربعة وهى الثبات والاقدام والقوة المفكرة والحق ، ولكن لاتوجد عندهم قوة الاختراع لأنهم يستعملون اللغة الفصحى للكتابة و القراءة ، وضرب مثلا من الواقع الانكليزى قائلا . إن مادام الانكليز استعملوا اللغة اللاتينية كانت نتائج مؤلفاتهم عقيمة بالنسبة بغالب الأفراد ، ولكن لما بدأ الانكليز استعمال اللغة الانكليزية فأصبحوا قادرين على قوة الاختراع ، لذا حث ويلكوكس المصريين على ترك اللغة الفصحى الصعبة واستعمال اللغة الدارجة السهلة للاغراض العلمية لتطوير قوة الاختراع فيهم (١) ، وواضح أن حجة ويلكوكس وأتباعه من المتأخرين ضعيفة وعابثة جداً ، فان اللغة الفصحى ليست كاللغة اللاتينية الميتة التى كانت أجنبية للانكليز حيث أن اللغة العربية هى بمثابة اللغة الأم للمصريين . و أن العامية ليست لغة كاملة و صحيحة لأنها فقيرة جداً فى المفردات و القواعد وأساليب التعبير ، إلى جانب هذا حقيقة هامة أخرى وهى أن استعمال العامية سوف يحرم المصريين من تراثهم الأدبى و الثقافى الغزير كما أنها يعزلهم من الشعوب العربية الأخرى .

رد الكثيرون على ويلكوكس ، فقدم السيد الرمزى حجة دينية رداً عليه قائلا . إن جميع من يطلق عليهم اسم المسلمين مهما اختلفت لغاتهم وتباينت ألسنتهم تجمعهم رابطة عظمى وعروة وثقى وهى القرآن المجيد ، كما تعلم باللغة العربية الفصحى فهو حارس أمين على هذه اللغة من الضياع وهو محفوظ » (٢) أما رد جرجى

(١) أنور الجندى ، اللغة العربية بين حماتها و خصومها ص ٥٦ .

(٢) نفس المصدر ص ٥٦ .

ریدان فکان شاملا و واسعاً ، فقال (١) .

١ـ ما صدق علی اللغة الانکلیزیة لا یصدق علی اللغة العربیة

٢ـ إن الانکلیز باستبدالهم اللغة اللاتینیة باللغة الانکلیزیة قد استبدلوا لغة أجنبیة بلغة وطنیة و لیس کذلك الحال فی اللغة العربیة

٣ـ الفرق بین لغة الکتابة و لغة التکلم لیس بالشیء الکثیر

٤ـ استبدال اللغة العربیة الفصحی باللغة العامیـــة سیوقع العرب فی شر عظیم ، لأن الناطقین بالضاد تختلف لغتهم العامیة باختلاف الأوضاع ، والفرق بین لغة مصر و الشام لیس بأقل من الفرق بین اللغة الفصحی و ...

أحد هذه البلاد و لغة بلاد المغرب أو ا

بین هذه الأقطار العربیة من العلائق الأدبیة

یحرم أبناء قطر عربی من نتائج أبناء قطر ع

٥ ـ إن العامیة لا تقوم مقام اللغة الفصحی لأن الفصحی من أرقی لغات العالم .

٦ ـ إن الجامعة العربیة قائمة بالمحافظـــة علی اللغة الفصحی ، إذا لو لا القرآن الشریف و المحافظة علیه منذ صدر الاسلام و عودنا إلیه فی إصـــلاح ما تفسده الطبیعة من لغتنا لتشتت شمل الشعب العربی و أصبح کل قطر من الأقطار العربیة مستقلا عن الآخر لا یفهم لغته کتاباً و تکلماً

٧ ـ إن إغفال اللغة الفصحی یستوجب إغفال کل ما کتب فیها من العلوم علی أنواعها منذ ألف و ثلاث مأة سنة و هی حضارة لا تعوض

٣ـ ترك الخط العربی و استبداله بالخط اللاطینی . لم یدع ویلمور أحد قضاة محاکم الاستئناف بالقاهرة سنة ١٩٠١ إلی استعمال اللغة العامیة فحسب بل دعا أیضاً

(١) نفس المصدر ص ٥٨ ـ ٥٩ .

إلى حروف لاتينية لكتابة العربية (١) . والحجة التى قدمها لهذه الدعوة كانت سخيفة و مضحكة إلى حد أنها لا تحتاج إلى مناقشة و لكن دعاة العاميـــة و دعاة الخط اللاتينى فى الأعوام الأخيرة بالأخص فى لبنان هم نفس الأفراد و نفس الفئات التى تعمل الآن على إشاعة العامية المكتوبة باللاتينية .

فقد قال فى هذا الصدد الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله مدير المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى الوطن العربى ، جامعة الدول العربية (الرباط) فى محاضرة ألقاها « فى الملتقى الخامس للتعرف على الفكر الاسلامى » الذى انعقـــد بوهران (الجزائر) بين ٢٠ و٣٠ يوليو ١٩٧١ (٢) : « إن كل شعوبنا ترنو إلى الوحدة العربية الكبرى بعيون طمأ و قلوب متلهفة ، و كل شعرائنا و كتابنا و أرباب الفنون منا يتحدثون عنها ، و كل زعمائنا يتخذونها تكأة سياسية . . . لكن كيف يتم لنا تحقيق هذه الوحدة أو الاتحاد أو ما شئتم له من تسمية ، إذا كنا لا نستطيع التفاهم بدقة على ما نريد و نتحدث بلهجات متباينة » و يضيف قائلا « ومع هذا نجد بيننا من يدعو إلى تعميق هذا التفاوت باستخدام اللهجات العامية مكان العربيـة الفصحى ويسميها لغات ، فهناك من يدعو إلى العامية اللبنانية بحماسة ، وقد وضعت فيها كتب تطبع اليوم فى بيروت بعشرات الألوان وتوزع بالمجان تقريباً أو بثمن رمزى و تكتب بحروف لاتينية ، ويكافأ المبرزون فيها بجائزة مقدارها أربع مئة دولار وهى جائزة مستمرة تدفع فى مطلع كل شهر للفائز الأول فى تخريب الفصحى .

---

(١) نفس المصدر ص ٦٠ .

(٢) عبد العزيز بن عبد الله « ثورية التعريب » . اللسان العربى (الرباط) المجلد الثالث الجزء الأول يناير ١٩٧٢ ص ٧ - ٨ .

فيتهافت كثير من الشبان عليها طامعين بها و فى يد كل منهم معوله يضرب به فى أساس اللغة فيخرب ناحية ويهدم ركناً ، حتى بلغ عدد الكتب المؤلفة باللغة العامية اللبنانية العشرات ، و هم يسمونها اللغة الفينيقية أحياناً و يدعون بأنها وريثة فينيقية التى كانت قائمة فى لبنان قبل نحو ثلاثة آلاف عام ، والناس العقلاء الطيبون يتساءلون من أين يأتى هذا الداعية الفقير بالمال ليمضه فى هذا السبيل ؟ و يشير إلى هذا الوضع الخطير الذى يواجه العالم العربى فى مجال اللغة العربية الفصحى بكلمات آتية :

« إن اللغة الآن فى محنة من أشد المحن ، تقاتل على جبهات متعددة بعضها خارجى و بعضها داخلى ، وتجتاز مآزق حاسمة
لم تقف فى وجه هذا التحدى بتحد أشد
لها منها ، إن خصومها يخططون لتحريمها
يصممون ويعملون ضمن برنامج معروف المدى ...
و لا مناص لها من خوض هذه المعركة بمثل سلاحهم ، أما التفاخر بالماضى و الادعاء العاطفى و الارتجال فالأمور لا تجدى فى معركتنا هذا فتيلا ، يجب أن تثور ثورة عاقلة و أن تكون أول ثوراتنا على أنفسنا فنغير مناهجنا و سلوكنا وتكتيكنا ثم نحدد خطتنا و نعين هدفنا وننطلق بايمان لا نلتوى بعده مهما تعاورنا من محن أو تأكدنا من عقبات » .

إن تقدم اللغة دلالة تقدم الشعب بالعموم ، ولكن تقدم اللغة العربية لاتدل على تقدم العرب المعاصرين ، بل إنها تدل على أن العرب كانوا متقدمين وإن لغتهم المتقدمة هى تراث من أجدادهم المتقدمين ، و لكن التراث مهما كان غنياً يصبح متخلفاً بمرور الزمن إن لم يسلك فى قالب عصرى ، اللغة العربية التى كانت متقدمه

قبل بضعة قرون تكاد لاتملك الآن الكلمات والمصطلحات التى تستعمل على مستويات عالية فى العلوم الطبيعية و البيولوجية والاجتماعية و التكنولوجية ، هذه هى الميادين العلمية التى تنمو وتزدهر بسرعة مدهشة ، و هذا هو التحدى المضاعف للعرب ، فعليهم أولا أن يتقدموا بسرعة خاطفة لكى يبلغوا إلى درجة الملل المتقدمة ، والثانى أن يطوروا لغتهم إلى درجة اللغات المتقدمة المعاصرة ، فهل يوجد عند العرب العزم و الطاقة والمثابرة أن يسرعوا بسرعة فوق سرعة الزمان ليسدوا نقصهم ، يدركوا الملل المتقدمة ثم يتقدموا فى موكبها ؟ هل عندهم خطة شاملة مدروسة ؟

« بقية المنشور على ص ٨٥ »

فى معروف ، قال : فيم استطعتن واطقتين ، قالت قلنا : الله ورسوله أرحم بنا هل نبايعك يا رسول الله ! قال رسول الله ﷺ : إنى لا أصافح النساء ، إنما قولى لمائة امرأة كقولى لامرأة واحدة (رواه النسائى) .

من مس كف امرأة ليس منها بسبيل وضع على كفه جمرة يوم القيامــة (رواه مسلم) .

و أما العجائز اللاتى قد طعن فى السن فتجوز الخلوة بهن و لا يمنع من مسهن (١) .

---

(١) أبو الأعلى المودودى : الحجاب بتصرف .


المرأة

المرأة قبل الاسلام و بعده

(١٢)

الأستاذ سعيد بن عبد الله سيف الحاتمى

التربية و الصحة أنسب وظائف المرأة

إن عمل المرأة خارج بيتها و خاصة فى المحلات العامة يزيد المشكلة تعقيداً إذ يعيش الطفل فى فراغ لسبب فقده لأمه طوال اليوم ، فنجده فى الصباح يعيش فى اضطراب نفسى بسبب تغيير المعاملة معه فى اليوم الواحد عدة مرات ، و قد سجل الدكتور عيسى عبده بحثاً فى هذا الأمر ، و قد انتهى فيه إلى أن الطفل الصغير يتعلم على يد المربيات أموراً كثيرة خطيرة مثل الكذب و السرقة والقسوة و غير ذلك ، فعليه لو كانت كل النساء يقمن بوظيفتهن الرئيسية ألا و هى تنشئة الطفل ، إن تربية أولادهن بأنفسهن بدل تسليمهم إلى المربيات أوالخادمات أوجليسة الطفل (١) يحل نصف مشكلة مستشفيات الحالات العصبية و العيادات النفسية ،

---

(١) تسمى بالانجليزية بالبابى سيتر (Baby Seater) و هى عبارة عن امرأة ، و تكون عادة متقدمة فى العمر تبقى مع الأطفال عند خروج الوالدين لسبب ما ، وتأخذ مبلغاً من المال مقابل ذلك ، و يكون هذا هو عملها فى كثير من الأحيان ، ويكون هذا إما فى بيتها أو فى بيت عائلة الطفل ، وأن أكبر جليسة الأطفال اليوم هى حضانة الأطفال أو كما يسمونها روضة الأطفال .

و لربما اضطرت بعض هذه العيادات إلى إغلاق أبوابها لأنها لا تحصل على الزبائن أو الرواد واضطر الأطباء النفسانيون إلى البحث عن أعمال أخرى يقومون بها ، و ذلك لعدم وجود حالات عويصة يستعصى علاجها و بحاجة إلى خبراتهم .

يحتاج الطفل الصغير إلى اهتمام الأم أكثر من أى شيء آخر وخاصـــــة فى المرحلة الأولى من حياته وعليه أن نرى أن العرب كانوا يسلمون أطفالهم إلى أهل البادية لتربيتهم لم يكونوا يسلمونهم قبل الشهر السادس من العمر عادة . هـذا مع الفارق الكبير لأن الطفل فى البادية كان يعيش حياته الطبيعية

لو علمنا مثل هذا لكنا ربينا مجتمعاً صحـ

السبب و لأسباب أخرى نرى أن الاسلام يعـ

هو دور الزوجية ، و منه الأمومة و تربيـ

إن أسيء استعماله ، أين لنا تلك المجتمعات الصـ...

و لا عقد عندهم لأنهم تربوا تربية صحيحة ، وكانت الركيزة الأولى لهذه التربية هى الأم الحنون التى كانت متفرغة لهـذا العمل الجبار الذى كثيراً ما نراه مهملا من قبل الجميع اليوم .

---

(١) هل لاحظت الطفل أقل من سنتين من العمر أنه يبكي كلمـا رأى رجلا غريباً عليه ، ويراه لأول مرة ؟ يرجى مراقبة طفل يبلغ من العمر ثلاث سنوات تراه لا يحب الابتعاد عن بيته لأكثر من عشرين متراً ، وعند ما يلعب مع زملائه ترى كل واحد منهم له لعبه الخاصة به لا يشاركه أحد و لا يشارك أحداً ، وعندما يبلغ الخامسة من العمر نراه يكون أحسن مجتمع دولى لا توجد بينهم تفرقة عنصرية أو جنسية أو لونية أو دينية أو اجتماعية أو . أو

نستنتج من هذا كله ومن غيره أن أحسن عمل تقوم به المرأة المسلمة العاقلة الرزينة المخلصة هو كل عمل من الأعمال المتعلقة بالصحة والتربية (١). أعود فأقول: إنى قلت: إن هذه هى أحسن الوظائف و لم أقل: إنها الوظائف الوحيدة من الممكن جداً أن تكون المرأة قوية فى مجالات أخرى وقد تبرز فيها، ولكن هذين المجالين هما أحسن المجالات لها، هما المجالان اللذان يشبعان رغبتها الطبيعية أكثر من غيرها من المجالات، لو هى عملت فى هذين الميدانين لأنتجت أكثر و لخدمت الانسانية بخدمات لا تنسى، و لكانت سبباً فى تخفيف موجة البطالة لدى الشباب فى كثير من البلاد. وليس هذا فحسب غير أنها تتعلم الكثير عن طبيعة الانسان فى هذين المجالين الشيء الذى يعينها على متابعة السير فى هذا المضمار وتطوير العملية بعد معرفتها طبيعة الانسان.

أرجو أن لا يفهم من هذا الكلام أن الاسلام يحدد للمرأة مجال عملها، ولا يسمح للمجتمع أن يستفيد من خبرات نساء ذوات مواهب نادرة فى أى مجال من المجالات، و منها أنه يجب عليها أن تشترك فى الدفاع عن الدين يوم النفير و لا تترك هذا الدفاع للرجال فقط، و قد اشتركت المرأة المسلمة بالفعل فى شتى المجالات عبر التاريخ الاسلامى كما سوف نرى، وهذا الاشتراك له شروطه ونظمه.

اشتراك المرأة المسلمة فى شتى المجالات

كان أبو جهل يعذب سمية عذاباً أليماً يطلب منها أن تشتم محمداً ﷺ و ربه و تمدح آلهة قريش، وقال لها فيما قال: إن لم تفعل ما يأمرها فلن ترى الشمس بعدها أبداً لأنها سوف تموت قبل غروب الشمس فأجابته سمية بصوت متقطع ضعيف: سحقاً وبؤساً لك ولآلهتك! وهل شيء أحب إلى من الموت الذى يريحى

---

(١) من الممكن جداً أن تكون المرأة ممرضة أو رئيسة الممرضات أو طبيبة أو مصلحة أو محاضرة فى كلية البنات أو ناظرة مدرسة أو موجهة تربوية أو كل ما يتعلق بمثل هذا العمل.

من النظر إلى وجهك هذا القبيح ، و على هـذا الكلام تضاحك عتبة و شيبة ابنى ربيعة مما زاد غضب أبي جهل فجعل يعذب بطعن سمية وهى تقول . بؤساً لك و سحقاً لا يتمالك أبو جهل ، ويفقد أعصابه و يهجم عليها و يطعنها بحربة كان معه فتشهق ثم تكون أول شهيد فى الاسلام (١) .

رأينا فى مقدمة هذا الكتاب أنه اشتركت امرأتان من مجموع خمسة وسبعين شخصاً فى وفد يثرب (المدينة المنورة) الذى أتى إلى الرسول ﷺ يطلب منــه الهجرة إلى المدينة ، وهاتان المرأتان هما : سيبة بنت كعب (أم عمارة) من بنى النجار و أسماء بنت عمرو (٢) (أم منيع) من بنى سلمى . وسوف نقدر هذا التصرف أكثر تقدير لو تذكرنا أن هـــذا العـ'

الوفد الرسمى حــدث فى القرن السادس أو الـ

أجزاء كبيرة من العالم و خاصـــة فى أوربا تقو

روح ؟ و هل هى إنسان مثل الرجل ؟ . . إلخ

أسماء بنت أبى بكر هى التى كانت ترسل الطعام إلى الحبيب رسول الله ﷺ مع صاحبه أبى بكر رضى الله عنه فى الغار ، قطعت أسماء قطعة من نطاقها وأوكت به فم الجراب وقطعت الأخرى عصامة للقربة ، فبذلك لقبت (ذات النطاقين) (٣) و كانت عائشة بنت أبى بكر تعد لهما الطعام أيام إقامة الرسول ﷺ مع صاحبه فى غار حراء ، نرى نساء مسلمات يشتركن فى الجهاد فى أيام الرسول ﷺ و بعده و كان عملهن الرئيسى هو الاسعاف وترقيع الملابس ورفيها وغسل ملابس المقاتلين

---

(١) للمؤلف : المسلمون الأوائل (بالسواحلية) مطبعة الهلال زنجبار ١٩٦٣م

(٢) محمود شيت خطاب : الرسول القائد .

(٣) محمد عبد الوهاب : مختصر سيرة الرسول ﷺ .

و طهى الطعام لهم و تقديم الماء لهم و علاجهم و كل ما يتعلق بهذا المجال .

فقد اشتركت كل من أم المؤمنين عائشة بنت أبى بكر و أم أيمن الحبشية و نساء مسلمات أخريات فى موقعة أحد و كن يقدمن الماء للعسكر و يهتممن بالجرحى ويقمن برعايتهم ، و لما جرح النبى ﷺ قامت فاطمة بحرق قطعة من حصير فألصقتها به . قادت نسيبة بنت كعب وفد النساء إلى النبى ﷺ يطلبن منه السماح لهن بالاشتراك فى الحروب مثل الرجال ، فما كان من القائد الرسول ﷺ إلا أن سألهن . ما تستطعن أن تعملن يا نسيبة ؟ فأجابت : يمكننا أن نرفأ الملابس ونداوى الجرحى و نسقى الجمع ، وقد اشتركت نسيبة بنفسها فى القتال بالفعل دفاعاً عنه ﷺ ، و فى حرب الأحزاب قتلت صفية بنت عبد المطلب (أخت حمزة) يهودياً كان يتجسس لحساب العدو بعد أن طلبت من حسان بن ثابت أن يقتله فلم يقدر عليه .

توسطت زينب بنت رسول الله ﷺ عند أبيها لحماية أبى العاص الذى لم يكن قد أسلم آنذاك لحمايته من أبى بصير وأعطيت له هذه الحماية بعد مشورة المسلمين ، وما أن وقع هذا الواقع على قلب أبى العاص حتى رقق الله قلبه و هداه فاعتنق الاسلام .

صفية (والدة الزبير بن العوام) كانت إحدى المسلمات اللاتى اشتركن فى حرب خيبر ، و كانت تخاف على ولدها الزبير من أن يقتل فقال لها النبى ﷺ : إن الزبير سوف يقتل عدوه .

يقول ابن إسحاق : شهد خيبر مع رسول الله نساء من نساء المسلمين فرضخ لهن رسول الله من الفيء ، و فى حديث أبى داود : أن نسوة من بنى غفار قلن . يا رسول الله قد أردنا أن نخرج معك فى وجهك فنداوى الجرحى ونعين المسلمين

بما استطعنا فقال : على بركة الله (١) . أسرت نساء مسلمات فى معركة اليرموك و حاولن الدفاع عن حريتهن و لم يكن لديهن أى نوع من السلاح للدفاع عن أنفسهن ، و أخيراً قلعن أعمدة الخيام والعصى والأوتاد وحاربن بها وانتصرن و قد كانت خولة بنت الأزور هى التى تقود معركة الحرية .

وليست قصة الخنساء مع أولادها الأربعة الذين استشهدوا جميعاً بغريبة على أحد .

لعبت المرأة المسلمة دوراً كبيراً فى الاسلام ، لم تكن حياتها محاصرة داخل الجدران الأربعة ، و لكنها خرجت لتأخذ مكانها فى بناء الاسلام و الزود عن حياضه و خاضت غمار مجالات مختلفة من الحياة تحت شعار الاسلام محافظة على شرفها و عزتها و كرامتها و أنوثتها وعقيدتها

بعد كل هذا يوماً من الأيام دورها الرئيسى

زوجة تلعب دورها الرئيسى فى بيتها و ترى

و كما قلنا آنفا أن الاسلام يستفيد دوماً من جهد

فنقرأ فى كتاب الشيخ على يحيى معمر (٢) « الاباضية فى موكب التاريخ » فصلا

---

(١) محمد الغزالى . فقه السيرة

(٢) الاباضية مذهب أثير حوله غبار كثير للتشكيك فيه ، فقد اعتبروا من الخوارج ومن المعتزلة و من الأشعرية أو الرافضة أو القدرية أوالجبرية ، يقول على يحيى معمر : فان المذهب الاباضى يكون من أولها نشوءاً فقد كان معلمه الأول جابر بن زيد من كبار التابعين الذين نشروا الثقافة الاسلامية فى القرن الأول الهجرى . و قد عاش هذا الامام العظيم ما بين سنتى ٢١ - ٩٦ للهجرة النبوية « راجع كتابى على يحيى معمر » وهما الاباضية فى موكب التاريخ » و « الاباضية بين الفرق الاسلامية » تجد ما يشفى الغليل عن

كاملا من كتابه تحت عنوان : «المرأة المسلمة فى ليبيا» و قد ذكر فى هذا الفصل عدداً كبيراً من مسلمات شمال أفريقيا وليبيا بالذات اللائى قمن بدور كبير فى تشكيل حياة المسلمين فيها .

لنضرب لذلك مثلا ونقتبس الآتى كما كتبه صاحبه «الاباضية فى موكب التاريخ» :
السابع كانت أم يحيى (هى زوجة أبى ميمون) العالمة الفاضلة و المربية القديرة تسكن مدينـة « أمسين » بين جيطال و تمجار ، و كانت ترى أن الفتاة لا تتم دراستها فى المدارس التى يدرس بها الطلبـة الذكور و رأت أنها لو فتحت مدرسة خاصة بالفتاة لأتاحت للمرأة المسلمة فرصة الدراسة إلى آخر المراحل التعليمية ، وما أن اقتنعت بهذه الفكرة حتى شرعت فى تنفيذها ، و تأسست المدرسة الخاصة بالبنات و فتح بهامشه ما يسمى اليوم بالأقسام الداخلية ، فكانت الفتيات يقبلن عليها للتعليم و كانت البعيدات منهن يقمن فى المدرسة و هى تقدم لهن الاكل و تشرف على تربيتهن ، ولم تكتف بهذا فقد كانت توجه الفتيات حسب استعدادهن و ميولهن ، فكانت ترى الجميع تربية إسلامية صالحة ، و توجههن فى الحياة ، فمنهن من تفتح لها أبواب العمل ، و منهن من تسهل لها طريق تكوين أسرة ، ومنهن من تحرص أن تستمر فى دراستها حتى تصل إلى درجة النبوغ .

يجدربنا أن ننهى هذا الموضوع باقتباس مقالة الدكتور إنعام الله فى مقاله « الرسول الكريم رحمة للملايين » الذى نشر فى مجلة تايمز آف عمان :
جاء النبى ﷺ ليعطى المرأة مكانها اللائق فى مجتمـــع الانسان . ورفعها إلى

★ هذا المذهب ، ويوجد الاباضيون فى شمال أفريقيا ، ومنهم الطوارق فى ليبيا و تيونس و الجزائر و فى عمان و شرق أفريقيا ، و ما زالت هناك فئة قليلة منهم فى طشقند .

مستوى أعلى من مستوى المتاع و الأثاث و أعطاها كيانها و شخصيتها المعنوية واعتبرها وحدة اقتصادية واجتماعية تعمل فى إطار حقوقها الفردية إذا شاءت ذلك . إنها لأول مرة منحت المرأة حقوق التعليم و حقوق الملكية الفردية باسمها الخاص بها وحقوق الميراث ، وعلاوة على هذا حقوق الانتخاب وحقوق العبادة ، فما هى حقوق الانتخاب يا ترى ؟ هى حرية الكلام والتعبير الحر والاختيار لا يستطيع التاريخ الانسانى أن يقدم أى مستوى للافتخار مثل ما قدمه الرسول الكريم ﷺ للمرأة وإن حديثه « الجنة تحت أقدام الأمهات » هى كلمات خالدة و هى هدية وهاجة متلألئة للمرأة .

الخلوة و اللمس

لايجوز لرجل أن يخلو بامرأة إلا أن يكون

كان من أدنى أقاربها ، يروى عن رسول الله

النساء ، فقال رجل من الأنصار يا رسول الله

(رواه الترمـــذى) لا يخلو رجل بامرأة إلا ذو محرم (رواه البخارى)

لا تلجوا على المغيبات فان الشيطان يجرى من أحدكم مجرى الدم (رواه الترمذى)

نهانا رسول الله ﷺ أن ندخل على النساء بغير إذن أزواجهن (رواه الترمذى)

لا يدخلن رجل بعد يومى هذا على مغيبة إلا ومعه رجل أو اثنان (رواه مسلم)

عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أن النبى ﷺ كان إذا بايع النساء يبايعهن كلاماً ، ولا يأخذ أيديهن فى يده فقالت « لا والله ما مست يده يد امرأة قط فى المبايعة و ما بايعهن إلا بقوله : قد بايعتك على ذلك (رواه البخارى)

عن أميمة بنت رقيقة قالت : أتيت رسول الله ﷺ فى نسوة من الأنصار نبايعه فقلنا : يا رسول الله نبايعك على أن لا نشرك بالله شيئاً و لا نعصيك فى

« البقية على ص ٧٦ »

في رياض الأدب و الشعر

من أسرار التآخى و الترابط بين المسلمين !

الأستاذ الشاعر حسن بن يحيى الدارى

عالم اليوم كم شكوت الداء ... و بدات الجهود ترجو الشفاء

من صراع ساد الحياة فأضحت ... وحـــدة أورثت فيها الشقاء

فشلت هـــذه الحضارة فى أن ... تجعل الناس أخوة سعـــداء

كلما أمل الأنام بها الخير ... أرتهم مشاكلا نكراء

لم تحقق سوى الاباحية الرعناء ... فكم دمرت و هدت بناء

لأصول الأخلاق فى كل نفس ... جرعتهـــا السموم و البـــلواء

تاه فيها الانسان يطلب حلا ... للآسى و ينشد النعـــماء

جاهلا مــــلة تولى بناهـــا ... خالق عم لطفـــه الأحياء

فهداهم بمعجز من بيان ... روع العقل أذهل البلغـــاء

و هدى مقعد البرية نارا ... ل شعـــاعاً يسلط الأضواء

لعـــلاج المشاكل التى فزع العـ ... الم من هولها و ذاق العناء

رغم أن الاسلام يلقى من الأعـ ... داء حرباً مريرة شعواء

من نفوس مريضة ترهب النو ... ر و تخشى الحقيقة الغراء

و توالى أعداؤنا فى الضلال ... و تراهم لحقدها حلفاء

حققت حلمهم لاقصاء هذا الد   ين كيما تمهد الأهواء

لقوى الهدم إذ أغارت بحقد   روع الأمين و الابرياء

يأبى الدين دافعوا عن حماه   و احذروا مكر من يريد الفناء

لتعاليم ملة حوت العدل   و عاشت منارة شماء

فاذا شئتموا لها اليوم فى الأر   ض وجودا مهيمنا و لواء

فأقيموا قرآنها حاكما عد   لا فقد فاق حكمـــة و قضاء

نهجه شامل تفرد بالعـــد   ل و صاع الشريعة السمحاء

إنه منبع الهداية نور الله   و يمحو [illegible]

من تمنى نظامــه رغم النو   ر

لو سلكنا سبيلها ما التمسنا العو   ن

سوف لا نطلب المعونة إلا   من

سوف لا نرتضى بمناهج هذا   الدين منهجا يستورد الاراء

سوف لا نطلب الحماية إلا   من إله يدبر الأشياء

قد رضينا بحكمه و قضاه   نفوسنا فاختارنا شهداء

و حبانا من فضله جنة الخـ   لد وفاء بعهــــده و جزاء

أنه منجز لنا الوعد مهما   أعلن الكفر حربنا و العداء

إن أردتم أعزاز أمتنــــا   حقاً لتمضي تجابه الأرزاء

فعسى أن يعيد تاريخها اليو   م أخاء شاد العلى و الصفاء

فى نظام بناه أحمد بالحـ   ب فأولاه ذو الجلال ثناء

فى أخاء صاغ النفوس على الايما   ن فى ألفة و أرسى البناء

جمع الشمل بعد طول شتات   كون [illegible] الرائدين والأمناء

كالجواد السخی (سعد) و قد صـ ـور فی نبله الاخاء و السخاء
بذل المال للشقیق ابن عفیف رغبـــة تظاهر أو ریاء
و جمیع الأنصار أكرم خلـ ـق الله نفسا أبیة ووفاء
سوف نمضی علی الدروب التی سا روا علیها و نشهد العلیاء
إننا أوفیاء للسلف الصالح نأبی تنكر أو ازدراء
للمبادیء التی بهــا شید الاسلام نهجاً مفصلا و ضیاء

إعلان الملكیة

١ مركز النشر : دار العلوم ندوة العلماء بادشاه باغ لكهنؤ
٢ـ شهریة
٣ـ الطابع : جمیل أحمد ـ هندی ـ ٢٦٥ /٣٩ ساكن وكتوریة كنج لكهنؤ
٤ـ الناشر . جمیل أحمد ـ هندی ـ ٢٦٥ /٣٩ ساكن وكتوریة كنج لكهنؤ
٥ـ رئیس التحریر : سعید الأعظمی و واضح رشید الندوی هندی الحسنیـــة
٦ـ ملك : ندوة العلماء لكهنؤ

أنا الموقع أدناه جمیل أحمد أصدق أن التفاصیل المذكورة أعلاه صحیحة علی حد علمی .

الناشر : جمیل أحمد أول مارس سنة ١٩٨١م

العالم

ندوة عالمية للأدب الاسلامى

في دار العلوم بندوة العلماء ـ لكهنؤ الهند

١١/ ١٢/ ١٣/ جمادى الأخرى ١٤٠١هـ

إن مكتبة الأدب فى حاجة شديدة إلى استعراض جديد و إلى دراسة جديدة و إلى عرض جديد ، و خاصة الأدب العربي ، فانه قد أصيب بمحنة أصيب بها أدب كل أمة ، و هي محنة تكاد تكون طبيعية و مطردة للآداب و اللغات ، إلا أن آجالها تختلف فقد يطول أجل هـذه المحنة فى أدب قوم و يقصر فى أدب قوم آخرين ، و ذلك يرجع إلى الأحوال الاجتماعية و العوامل السياسية و حركات الاصلاح و التجديد ، فاذ توفرت فى أمة قصر أجل هذه المحنة ، و إذا فقدت أو ضعفت ، طال أمد هذه المحنة و طال شقاء الأدب والأمة بها .

إن هذه المحنة هو تسلط أصحاب الصناعة و التكلف على هذا الأدب الذين يتخذونه حرفة و صناعة و يحتكرونه احتكاراً ، و يتنافسون فى تنميقه و تحبيره ، ليثبتوا به براعتهم و تفوقهم و يصلوا به إلى أغراضهم ، و يستمر ذلك و يستفحل حتى يصبح الأدب مقصوراً عليهم مختصاً بهم ، و يأتى على الناس زمان لا يفهم من كلمة « الأدب » إلا ما أثر عن هذه طبقة من كلام مصنوع وأدب تقليدى لاقوة فيه و لا روح ، و لا جدة فيه و لا طرافة ، و لا متعة فيه و لا لذة .

و يطغى هذا الأدب الصناعى التقليدى على كل ما يؤثر عن هـذه الأمة ، و تحتوى عليه مكتبتها الغنيـة الزاخرة من أدب طبيعى و كلام مرسل ، و تعبير

طبيع يحرك النفوس ويثير الاعجاب ، و يوسع آفاق الفكر ، و يغرى بالتقليـــد ، و يبعث فى النفس الثقة ، و لا عيب فيه إلا أنه صدر عن رجال لم ينقطعوا إلى الأدب و الانشاء ، و لم يتخذوه حرفة و مكسباً ، و لم يشتهروا بالصناعة الأدبية و لم يكن لهذا الانتاج الأدبى الجميل الرائع عنوان أدبى ، ولم يكن فى سياق أدبى و إنما جاء فى بحث دينى أو كتـاب علمى ، أو موضوع فلسفى أو اجتماعى فبقى مغموراً مطموراً فى الأدب الدينى ، أو الكتب العلمية ـ ولم يشأ الأدب الصناعى بكبريائه ـ أن يفسح له فى مجلسه ، و لم يتنبه له مؤرخو الأدب ـ لضيق تفكيرهم و قصور نظرهم ـ فينوهوا به و يعطوه مكانه اللائق به .

إن هذا الأدب الطبيعى الجميل القوى ...
هو أكبر سناً و أسبق زمناً من الأدب الـ...
الحـــديث و السيرة قبل أن يدون الأدب ...
و لكنـــه لم يحظ من دراسة الأدباء و النا...

الصناعى ، مع أنه هو الأدب الذى تجلت فيه عبقرية اللغة العربية وأسرارها وبراعة أهل اللغة و لباقتهم ، و هو مدرسة الأدب الأصيلة الأولى

ليس السر فى فضل هذه الكتابات العلمية و الدينية و تأثيرها و قوتها وجمالها هو التحرر من السجع والبديع و ترسلها فحسب ، بل السبب الأكبر هو أن هذه الكتابات قد كتبت عن عقيدة و عاطفة ، و عن فكرة و اقتناع و عن حماسة وعزم ، أما الكتـابات الأدبية فقد كان عالبها يكتب بالاقتراح من ملك أو وزير أو صديق ، أو لارضاء شهوة الأدب أو تحقيق رغبـــة المجتمع ، أو حباً للظهور والتفوق ، و هذه كلها دوافع سطحية لا تمنح الكتابة القوة و الروح ، و لا تسبغ عليها لباس البقاء و الخلود و لا تعطيها التأثير فى النفوس و القلوب و الفرق بينها

و بين الكتابات المنعشـــة من القلب و العقيدة كالفرق بين الصورة والانسان ، و كالفرق بين النائحة و الثكلى .

أما هؤلاء المتصنعون فانهم فى كتاباتهم الأدبية أشبه بالممثلين قد يمثلون الملوك فيصفون أبهة الملك و مظاهره ، و قـــد يمثلون الصعلوك ويتظاهرون بالفقر ، و قـــــــــــد يمثلون السعيد ، و قد يمثلون الشقى من غير أن يذوقوا لذة السعادة أو يكتووا بنار الشقاء ، و قـــد يعزون من غير أن يشاركوا المفجوع أحزانه ، و قـــد يهنئون من غير أن يشاركوا السعيد فى أفراحه .

إن لكتب الأدب القديمة ـ من رسائل ومقامات وغير ها ـ قيمتها اللغوية و الفنية ، و لكنها مرحلة طبعية فى حياة اللغات و الآداب ، و ليست الأدب كله ، و لا تحسن تمثيل أدبنا العالمى الذى هو من أجمل آداب العالم و أوسعها . و أنها حجرت على القرائح و الملكة الكتابية و المواهب و الطاقات و على صلاحية اللغة العربية و منعتها من التوسع و الانطلاق فى آفاق الفكر و التحليق فى أجواء الحقيقة و الخيال ، وتخلفت بهذه الأمة العظيمة ذات العبقرية فى اللغة والأدب فترة غير قصيرة ، خير لنا أن نعطيهـــا حظها من العناية و الدراسة و نضعها فى مكانها الطبعى فى الأدب وطبقات الأدباء ، وننقب فى المكتبة العربية من جديد ونعرض على ناشئتنا و على الجيل الجديد مجموعة جديدة من الكتب القديمة للأدب العربى ، حتى يتذوق جمال هذه اللغة و ينشأ على الابانة و التعبير البليغ و يتعرف بهـــذه المكتبة الواسعة ، و يستطيع أن يفيد منها .

وضعت ندوة العلماء منذ نشأتها هذا الهدف نصب أعينها و جعلته موضع اهتمامها الخاص . و يدل على ذلك ما أنتجه رجال ندوة العلماء و خريجوها فى الأدب

و نقده و تاريخه ، و بيان نصوصه ، أضافوا بها مدرسة أدبية خاصة ، ظهرت آثارها بوجه خاص فى لغة « أردو » لغة المسلمين فى شبه القارة الهندية فى ثمانية عقود من السنوات الأخيرة ، ثم فى العربية فى كتابات عدد من أدباء الندوة وممارسى الكتابة و التأليف منهم سابقاً و حالياً .

و بحمد الله تعالى قررت ندوة العلماء تمشياً مع فكرتها و منهجها فى دراسة الأدب عقد ندوة إسلامية عالمية للبحث والاستعراض لهذه المفاهيم الأدبية لتستعرض فيها كافة الجوانب الأدبية التى تتفق مع المفهوم الاسلامى للأدب موضوعاً للدراسة و البحث ، و تنال الآداب العربية الاهتمام الأ. -

من إسلامية و شبه إسلامية

موعد الندوة ١١ ، ١٢ ، ١٣ حمادى الث

١٩ ، أبريل ١٩٨١م

و مجالات البحث فى الندوة

١ـ أدب القرآن و الحديث : ٢ـ أدب التربية و المواعظ

٣ـ مجالات النثر الاسلامى المختلفة ٤ـ الشعر الاسلامى

٥ـ المديح النبوى ٦ـ مناهج لتعليم الأدب

٧ـ تأثير الاسلام على اللغات : ٨ـ المجامع الاسلامية والمراكز للأدب الاسلامى

للاطلاع على برامج تفصيلية يكتب على العنوان التالى

الأمين العام للندوة العالمية للادب الاسلامى

كلية اللغة العربية دار العلوم ندوة العلماء

ص ب ـ ٩٣ ، لكناؤ ـ الهند

أخبار اجتماعية و ثقافية

★ دورة المجلس الأعلى للمساجد فى مكة المكرمة

قرر المجلس الأعلى للمساجد فى دورته السادسة التى عقدها فى مكة المكرمة تأييد بلاغ مكة الصادر من مؤتمر القمة الاسلامى، وأعرب عن الأمل فى أن الملوك و الرؤساء سيوفقون فى سعيهم لتنفيذ ما اتخذوه من قرارات فى صالح الأمة الاسلامية، و ناشد المجلس فى قرارات أخرى اتخاذ موقف حازم يضمن انسحاب الجيش الأحمر من أفغانستان و مساندة الشعب الأفغانى، و دعم جهاد المسلمين فى القرن الأفريقى

و دعا المجلس فى قرار عن الفقه و الدعوة إلى تحكيم الشريعة الاسلامية نصاً و روحاً. فى جميع شئون الحياة، و اتخذ المجلس قرارات تدعو إلى تدريب الأئمة للمساجد. ورعاية المساجد فى العالم والمساهمة فى تعميرها، وتعيين المبعوثين و الدعاة، و الاعتناء بطباعة القرآن الكريم، و دعوة الدول الاسلامية إلى تعيين المسلمين الصالحين لتولى شئون الأجهزة المسئولة عن الاعلام، وقرارات تتعلق بمكافحة الشيوعية، و قضايا القدس، و فلسطين و أفغانستان و الأقليات الاسلامية.

★ المجمع الفقهى الاسلامى بمكة المكرمة

صرح سماحة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى فى كلمته التى ألقاها فى الجلسة الافتتاحية للمجمع الفقهى بمكة المكرمة.

إن هذا الدين دين خالد صالح لكل زمان و مكان و لكل بيئة

و محيط يقول الله تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام ديناً » وكذلك إن الحياة متحركة متطورة مستمرة النمو ، فلا يساير هذه الحياة المتطورة ، و هذا الزمن المتغير فى رحلتها الدائمـــة إلا دين حافل بالحركة و النشاط ، لا يتخلف عن ركب الحياة ، و لا يعجز عن مسايرته ، و زمالته فهو يجمع بين الكمال الذى لا انتظار بعده لدين آخر و لا حاجة معـــه إلى رسالة جديدة ، فلا هو مائع ككثير من الأديان المحرفة و الفلسفات الخاضعة للأهواء و لا هو خشيب جامد كبعض الديانات التى هجرها أتباعها .

و أضاف سماحته يقول إن هناك أغلوطة قد سلبت كالحقائق ...

أنه ليس للزمن ثبات أو دوام البتـة ، و إن ...

الزمان و يصورونه كأنه مرآة فى يد شلاء دائمة

و يدعون الديانات السماوية ، و نظم التشريع ...

الدوار و تسايره كالطفل التابع لأهله ، و لكن الامر ليس كذلك ، إن الزمان لحمته و سداه التغير و الاستمرار ، و إذا اختل هذا التوازن فيتحكم الاستمرار فى التغير و يتسلط التغير أو يتسلط التغير على الاستمرار اختل الميزان و ظهرت آثار خطيرة عرضت المجتمع و الحضارة للانهيار أو الانتحار .

إن الزمان بحاجة إلى التناسب أكثر من أى مركب كيماوى . و إن مقارنة التغير والاحتفاظ بالأسس و القيم صفة متأصلة فى الزمن و لو لا ذلك لما بقيت الحياة تجرى مجراها الطبيعى ، و ما بقيت تلك القيم و المثل التى توارثتها الأجيال و قامت عليها المجتمعات البشرية عبر القرون

إن الدين السماوى المؤسس على الوحى و النبوة و الهادف لاسعاد البشرية و قيادتها لا يستجيب لكل تغير ، لأن الدين ليس مقياس حرارة ولا هو بالأداة

التى تنصب لترصد هبوب الرياح إنه يميز بين تغير سليم وآخر غير سليم ، وبين نزعة هدامة و أخرى بناءة ، فبينما يتمشى الدين مع الحياة الديناميكيـة جنباً إلى جنب لجهة من الجهات ، فانه يعمل حارساً وحامياً لها من جهة أخرى ، و يقوم بمهمة المراقبة و الضبط و مهمة الوصاية على المجتمع البشرى .

لقد استطاع هذا الدين و استطاع هذا التشريع الاسلامى أن يواكبا الحياة ويقوداها ويقضيا حاجة البشرية و المجتمع الانسانى الذى قبل وصايتهما بشيئين اثنين

١ـ المبادىء والأصول الثابتة أو المنصوصات التى جاءت فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ

٢ـ الاجماع والقياس الأصلان اللذان أرشد إليهما الكتاب و السنة وأشار إليهما الرسول ﷺ فى عبارة صريحة

هذا و قد وصل سماحة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى إلى الهند سلامة الله بعد الاشتراك فى دورة المجلس الأعلى للمساجـــد ، و المجمع الفقهى لرابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة ، و قد رافق سماحته فى هذه الزيارة فضيـلة الشيخ محمد الثانى الحسنى رئيس تحرير مجلة « رضوان » الشهرية .

★ الموسم الثقافى فى بارس

عقدت الجامعة السلفية ببارس موسماً ثقافياً استغرق عشرة أيام ابتداءاً من ٢٦ فبراير ١٩٨١م ، و قام بافتتاح الموسم فضيلة الدكتور عبـــد الله الزائد نائب رئيس الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ، كما اشترك فيه فضيلة الشيخ محمد عمر فلاتة أمين عام الجامعة الاسلامية والشيخ عبد الصمد محمد الكاتب وفضيلة الشيخ عبد المعز عبد الستار و الدكتور فضل الرحمن وأساتذة الجامعة الاسلامية وآخرون و ألقوا كلمات توجيهية و تربوية .

و قد اجتمع بهذه المناسبة عدد كبير من أساتذة و طلبة عـــدة مدارس إسلامية فى الهنـــد ، للاستفادة من توجيهات العلماء و الأساتذة فى الدعوة والتعليم و التربية .

★ مؤتمر الجماعة الاسلامية فى حيدر آباد

انعقد مؤتمر الجماعة الاسلامية فى « وادى الهدى » بحيدر آباد ، وحضر فيه كما تقدره الصحف الهندية حوالى مأتى ألف شخص ، و من بينهم الوفود ، و أعضـاء الجماعة الاسلامية و المحبون لها الذين قدموا من مختلف أنحاء الهند و من بينهم عدة آلاف من النساء .

و قد اتخذ المنظمون للمؤتمر إجراءات .

كبيرة من الأراضى ، وكان يتوقع أن يشترك

الاسلامية المعروفة من خارج الهند ، ولكن

منهم من الحضور .

و كان من الشخصيات المعروفة التى حضرت الدكتور عبد الله الرائد نائب رئيس الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة و أعضاء وفده ، والدكتور عبد الله التركى و الدكتور أحمد التوتونجى .

★ الأستاذ سعيد الأعظمى فى رحلة إلى الخليج ★

توجه الأستاذ سعيد الأعظمى رئيس تحرير مجلة « البعث الاسلامى » وأستاذ الأدب العربى بندوة العلماء ، والأستاذ شمس الحق الندوى من مدرسى ندوة العلماء إلى دول الخليج العربى و المملكة العربية السعودية فى الأسبوع الأخير من شهر فبراير ، لتوجيه الدعوة للحضور فى الندوة العالمية للأدب الاسلامى المقترح عقدها فى ١٧ ١٩ من أبريل ١٩٨١م و إجراء لقاءات شخصية مع الشخصيات الدينية و العلميه فى العالم العربى ، و من المتوقع أن يعودا بسلامة الله فى آخر شهر مارس ١٩٨١م

★ الشيخ عبد المعز عبد الستار في ندوة العلماء ★

وصل فضيلة الشيخ عبد المعز عبد الستار المفتش الديني بوزارة التربية والتعليم في دولة قطر إلى لكهنؤ في ٨ مارس ١٩٨١م للاجتماع بسماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي ، و زيارة ندوة العلماء ، بعد حضور ، الموسم الثقافي الذي عقدته الجامعة السلفية في مارس ، و أعرب فضيلة الشيخ عبد المعز عبد الستار عن سروره البالغ بأعمال التوسعة التي تجرى في ندوة العلماء و تمهيد المشروع الجبار لبناء المكتبة العامة لندوة العلماء .

و في ٩ مارس عقدت حفلة استقبال في قاعة جمعية الاصلاح لندوة العلماء ، تحدث فيها سماحة الشيخ الندوي عن صلته برجال الدعوة والتربية الاسلامية الذين نشأوا في ظل تربية الامام الشهيد حسن البنا رحمه الله ، و استعداد إلى الأذهان الدور لا تنساه السماء في تربية الجيل الجديد الذي مثلته حركة الاخوان المسلمين . و رحب بالشيخ عبد المعز عبد الستار ، ونوه بجهوده وخدماته في خدمة الاسلام و المسلمين .

و تحدث فضيلة الشيخ عبد المعز عبد الستار فنوه بجهود ندوة العلماء في انشاء جيل مثقف بالثقافة الاسلامية ، والوعي الاسلامي ، و أكد أهمية الاخلاص و حسن النية في العمل .

وغادر فضيلة الشيخ في ٩ مارس متوجهاً إلى مدراس وكيرالا لحضور عدة اجتماعات تعقدها المدارس الاسلامية في المنطقة .

إلى رحمة الله

★ الدكتور اشتياق حسين قريشى ★

توفى فى الشهر الماضى رجلان من كبار أهل العلم والثقافة فى شبه القارة الهندية أحدهما الدكتور اشتياق حسين قريشى الذى توفى فى ٢٢ يناير ١٩٨١م فى كراتشى و قد بعثت أصحاب الدراسات والبحوث و أساتذة الجامعات و عدوا وفاته خسارة للاسرة العلمية الجامعية

ولد الدكتور فى الهند قبل تقسيمها إلى
إلى أن أحرز شهادة الماجستير والدكتوراة فى
العلمى و بذل حياته فى ذلك مدة فى الهند و
و خرج تلاميذ و علماء و أصدر بحوثاً ومؤلفات طبق صيته بها فى البلاد وشغل مناصب علمية كبيرة منها رئاسة الجامعات و وزارة التعليم

و كان اسمه عنواناً للسمعة العلمية البارزة بين رجال العلم و الثقافة اشتهر به البلاد فى خدمة قضاياها العلمية و ذاع صيته إلى خارج بلاد باكستان

كان الدكتور صاحب عاطفة إسلامية و صفات إنسانية كريمة ، أثنى عليه أصدقاؤه و الذين اتصلوا به ، و كان صاحب عقيدة و فكرة هادئة فى السياسة و الاجتماع ، و قد حضر عدد محترم في تشييع جنازته وكان فيهم رئيس الجمهورية الباكستانية كذلك .

★ الشیخ امتیاز علی عرشی ★

توفی الشیخ فی ٢٥/ فبرایر فی بلدة رامفور الهند عن حیاة ملؤها خدمة العلم و كان اختصاصه فی إدارة المكتبة و خدمة الكتب الخطیة بوجه خاص ، و قد امتاز فی هذا المجال حتی قل من یضاهیه فی هذه الناحیة ، نظم مكتبة رضا العامة الواقعة فی بلدة رامفور و هی من أهم المكتبات الاسلامیة فی شبه القارة الهندیة تحتوی علی أثمن الكتب ، فكانت قبل قبول الشیخ لمسئولیة إدارتها من أبسط المكتبات و لكن هذبها و رقاها حتی عدت من أهم المكتبات ، و ادارها الشیخ حتی أحیل إلی المعاش ، و لكنه بقی مقیماً فی بلدة رامفور یبذل تعاونه للمكتبة ، و یهتم بقضایاها طیلة حیاته .

ولد الشیخ فی سنة ١٩٠٤م و درس العلوم الاسلامیة و الأدبیة ، ثم عكف علی الدراسة والبحث والاهتمام بالتحقیق عن الكتب النادرة حتی عرف بین رجال العلم بهذا الاختصاص و انتظم لمدة من الزمن إلی أسرة ندوة العلماء یشغل منصباً للعمل فیها ثم عین مدیراً لمكتبة رضا العامة فی بلدة رامفور

و قد حقق عدداً من الكتب الخطیة و زاد قیمتها بتعلیقاته علیها ، منها ما هی فی الأدب الأردی ، و وضع قائمة علمیة للمكتبة العامة .

وقد خرج الشیخ عدداً من التلامید فی علم المكتبات و فی التحقیق والبحث یشغلون مناصب مرموقة فی اختصاصهم فی الهند .

فوفاة الشیخ خسارة كبیرة فی مجالات العلم و الأدب و البحث و المكتبات و قد رثاه أهل الفكر و العلم فی البلاد ، رحمه الله رحمة واسعة ، و أنزل شآبیب رضوانه

Phones . 49747 42948 Regd. No. LW/NP 59

ALBAAS-EL-ISLAMI

Nadwat-ul-Ulama LUCKNOW (India)

البعث الإسلامي

شهرية إسلامية جامعة

رئاسة التحرير : سعيد الأعظمي
واضح رشيد الندوي

الاشتراكات السنوية

في الهند	٣٠ روبية، ثمن النسخة ٣ روبيات
في العالم العربي	٨ دولارات أمريكية او ما يعادلها بالبريد العادي ١٥ دولارًا بالبريد الجوي
في افريقيا الجنوبية والشمالية وامريكا واوربا	٢٠ دولارًا بالبريد الجوي ٨ دولارات بالبريد العادي
في باكستان	٥٥ روبية بالبريد العادي مع اجرة البريد

الاشتراكات في باكستان ترسل إلى مجلة "البلاغ" كراچي رقم ١٤ (باكستان)

المراسلات
العنوان: البعث الإسلامي، ندوة العلماء، ص ب ٩٣ لكهنؤ - الهند
برقياً: NADWA LUCKNOW
هاتف: ٤٧٧٤٧ ، ٤٢٩٤٨

قام بالطبع و النشر جميل احمد الندوي في مطبعة ندوة العلماء لكهنؤ — رئيس التحرير سعيد الأعظمي


البعث
شعارنا الوحيد
إلى الإسلام من جديد
تصدر في ندوة العلماء - لكهنؤ - الهند

المنهج الاسلامي

المنهج الاسلامي ، منهج مستقل ، منهج مختلف ، منهج أصيل ، ليس بينه وبين المناهج الوضعية وجه شبه أونسب ، فبينما المناهج الأخرى أوالديانات السائدة الأخرى ، تختلط مع الشعوب البشرية العامة فى سوق المادة والمعدة و تجتمع معها على مائدة واحدة ، وتتمتع معها بملذات الحياة المحرمة بحرية تامة ، نرى الاسلام ينفصل عن هذه الشعوب المادية من أول الطريق ، احتفاظاً بسماته و خصائصه ، وغيرته

على دين الله ،

الباطلة .

بما جاء

و التشديد ى

البسيطة « وتحسبونه هينا و هو عند الله عظيم »

محمد الحسنى (رحمه الله)

المجلد الخامس والعشرون

العدد العاشر

● رجب ١٤٠١هـ

● مايو ١٩٨١م

NADWAT_UL_ULAMA

Po. Box 93

Lucknow (India)

البعث الاسلامي

شهرية اسلامية جامعة

أنشأها فقيد الدعوة الاسلامية
الأستاذ محمد الحسنى (رحمه الله)
في عام ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م

رئاسة التحرير :
سعيد الأعظمي الندوي
واضح رشيد الندوي

المراسلات :
البعث الاسلامي
ندوة العلماء ص ب ٩٣
لكهنو ـــ الهند

فى هـــذا العدد

أخى القارىء ! — سعيـــد الأعظمى — ٣

إفساد العقول و تزوير الحقائق . . . واضح رشيد الندوى — ٤

★★ التوجيـــه الاسلامى ★★

موسى عليه مع قومه بنى « إسرائيل » — سماحة الشيخ أبى الحسن على الندوى — ١٠

الاسلام و مستقبل الانسانية — دكتور عبد الحميد أحمد أبو سليمان — ٢٠

★★ الدعوة الاسلامية ★★

بين الدنيا و الآخرة — الأستاذ المرحوم محمد الحسنى — ٣٣

تعليم المسلمين و تربيتهم العامة — سماحة الشيخ أبى الحسن على الندوى — ٣٩

الشرق بين تقليد و تخلف — الأستاذ محمد الرابع الندوى — ٤٥

★★ دراسات وأبحاث ★★

دراسة عن معجزة القرآن الكريم — الأستاذ محمود محمد شاكر — ٥١

البحث الاسلامى ، أهدافه و مناهجه — الأستاذ محمود أحمد غازى — ٦٠

★★ المـــــــــرأة ★★

المرأة قبل الاسلام و بعده — الأستاذ سعيد بن عبد الله سيف الحاتمى — ٦٨

★★ فى رياض الأدب و الشعر ★★

وحضارة الاسلام دو مأتشرق (شعر) — ضياء الدين الصابونى — ٧٨

★★ العـــــــــالم الاسلامى ★★

رسالة و مقال . . . — فضيلة الشيخ عبد الله عبد الغنى الخياط — ٨٢

المبشرون يوزعون منشوراتهم . . . — مجلة « البلاغ » الكويتية — ٨٧

هكذا وقعت الجزرة بصمت — مجلة « الاصلاح » من دبى — ٩٣

قوات سوفيتية جديدة فى أفغانستان — « التحرير » — ٩٥

اغتيال السيدة بنان الطنطاوى — « « « — ٩٦

استشهاد العلماء فى سورية — . . . — ٩٧

العدد القادم لندوة العلماء تستقبل وفود الدول العربية و الاسلامية — ١٠٠

ندوة العلماء في سطور

بمناسبة عقدها للندوة العالمية للأدب الاسلامى

أنشئت جمعية ندوة العلماء ،

على مبدأ الجمع بين القديم الصالح

العلوم و المعارف الاسلامية والعصرية ، و كانت حركة

ودعوة تنادى بتطبيق هذه الفكرة بصورة خاصة فى المدارس

والجامعات الاسلامية فى الهند ، المتمسكة بالمنهج التعليمى

القديم فى أوساط الشعب المسلم الهندى ، و تطويره إلى

ما تقتضيه الدعوة والحياة فى الظروف المتغيرة .

و كان من دعوة ندوة العلماء أيضاً توحيد الفئات

الاسلامية المتخاصمة و إنشاء جيل مثقف بالثقافة المطلوبة

فى الأوضاع السائدة ، وكفؤ للتوجيه والقيادة .

و أنشأت ندوة العلماء مدرستها النموذجية باسم دارالعلوم بعد ٤ سنوات من قيامها ، و ذلك فى عام ١٣١٥ه التى تطورت إلى جامعة أهلية للعلوم الدينية و الاسلامية ، والآداب العربية والمعارف العصرية ، وهى تعمل منذ ذلك الوقت فى مجال التربية و التعليم على المناهج المتلائمه مع فكرتها التى نادت بها ندوة العلماء ، و هى المحافظة على القديم الصالح و الاستجابة للجديد النافع .

خرجت دار العلوم ندوة العلماء فى العقود التسعة من عمرها أجيالا من العلماء كانوا متعمقين فى العلوم الاسلامية ، و مطلعين على الثقافات المعاصرة ، يصدرون فى جهودهم وأعمالهم عن العلم العميق ، و يتكلمون باللغة المعاصرة ، فيهم مثل العلامة الأستاذ المرحوم السيد سليمان الندوى مؤلف الموسوعة المشهورة فى السيرة النبوية ، و الأستاذ المرحوم عبد البارى الندوى ، والأستاذ المرحوم عبدالسلام الندوى ، والأستاذ المرحوم

مسعود الندوى ، والأستاذ المرحوم عبد السلام القدوائى الندوى ، و الأستاذ المرحوم الشيخ محمد أويس الندوى ، رحمهم الله رحمة واسعة .

ولا حاجة إلى ذكر الأعلام الذين يتمتع بخدماتهم المسلمون اليوم مثل سماحة الشيخ السيد أبي الحسن على الحسنى الندوى و زملائه و تلاميذه الندويين .

● جامعة (دار العلوم)

كليتين: كلية الشريعة وكلية اللغة

العالى للفكر الاسلامى والدعوة .

مع إدارة المدارس الثانوية و الابتدائية التابعة لها : فى حيها الجامعى ، و الاشراف على المدارس الثانوية و الابتدائية فى مدينتها و فى أطراف الولاية و القطر الهندى كله بالاضافة إلى مدارس تحفيظ القرآن الكريم و تجويده .

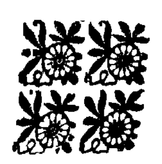
● وتصدر من دار العلوم ندوة العلماء ثلاث صحف ، مجلة البعث الاسلامى الشهرية وصحيفة الرائد نصف شهرية ،

● ● ●

و هما عربيتان ، و صحيفة « تعمير حياة » نصف شهرية ،وهى باللغة الأردوية، وتنال الصحف الثلاث كل استقبال و تقدير من أوساطها .

● و يخضع لتخطيط و إشراف ندوة العلماء عدة مجامع علمية تقوم بانتاج كتب ذات قيمة علمية كبيرة فى عدة لغات ، و من أشهرها مجمع دار المصنفين فى مدينة أعظم كره ، « و المجمع الاسلامى العلمى » فى لكهنؤ ، و هو يقع بجوار دار العلوم ندوة العلماء ، فقد بلغ إنتاج هذين المجمعين مآت من الكتب والمؤلفات القيمة .

● و يرأس جامعة ندوة العلماء سماحة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى . حفظه الله تعالى .



●●●●

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي القارىء !

لا غرابة فيما إذا كانت ندوة العلماء سباقة نحو عقد الندوة العالمية للأدب الاسلامى فى الفترة بين ١٣ - ١٥ جمادى الثانية ١٤٠١هـ ، و هكذا شأنها فى التركيز على مناحى العلم والأدب ، و ابتكار أساليب البحث والتحقيق منـذ أول يوم من قيامها ، وهل ينسى التاريخ ذلك المهرجان التعليمى الكبير الذى أقامته ندوة العلماء فى عام ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م ، و الذى كان تجربة فريدة ... قلدتها المدارس و الجامعات الاسلامية فى الهند .

حملت ندوة العلماء لواء الأدب العربى الأصيل ... لا يعرفون عن الأدب إلا مفهوماً ضيقاً ، و ... العربية حينما كانت هذه اللغة محدودة بين إطار ضيق ... لغة دين وحسب ، فرفعت ندوة العلماء صوتها ضد هذه الفكرة ، وأثبتت بالتجربة العملية أنها لغة حية نامية دافقة بالحيوية ، تساير الحياة فى كل مجال و تساعد الانسان فى كل زمان .

وعقدت هذه الندوة العالمية للأدب الا سلامى فى ظرف عصيب يواجهه أدبنا الاسلامى ، باشراف رئيسها الحالى سماحة الامام أبى الحسن على الندوى ، الذى تفرس بعبقريته النادرة الموعد الصحيح لمثل هذه الندوة العالمية ، و نرجو الله سبحانه و تعالى أن نوفق من خلال هذه الندوة إلى أداء رسالة الأدب الاسلامى التى تحمل لواءها منذ قرن من الزمان ، و ربما تكون نقطة تحول فى مجال الأدب الاسلامى الحاضر وتاريخه إذا تمكنا - باذن الله - من الاشارة إلى منافذ الانحراف التى حدثت فى أدبنا الاسلامى ، ونجحنا فى وضع حد عليها ، فى مطلع القرن الخامس عشر الهجرى « و على الله قصد السبيل و منها جائر » .

سعيد الأعظمي

افســاد العقول ، و تزوير الحقائق ،
أخطر من احراق الكتب و القتل الجماعى

ليس تبادل التجارب ، و نقل المعارف ، و حصيلة ذكاء جماعــة أو أمة إلى جماعة و أمة أخرى ، الذى يعتبر سمة هذا العصر ، بدعاً فى التاريخ الانسانى ، ولا يجهل من له أدنى معرفة بالتاريخ أن تبادل الأفكار ، ونقل العلوم والمعارف ، جرى فى التاريخ فى عهود كثيرة ، و قد جرى هذا التبادل بين الروم و الفرس ، و الهنود خلال الحروب الطويلة الدامية التى جرت بينهم و كانت الحرب سجالا ، تنتقل مناطق رومية إلى استيلاء الفرس حيناً و مناطق فارسية إلى استيلاء الروم حيناً آخر ، وبالاضافــة الى العامل السياسى ، كان هناك عامل آخر للتبادل العلمى وهو حب العلم ومكانته لدى الولاة بغض النظر عن الاعتبارات السياسية و القومية .

و فى العصر الاسلامى ، الذى يعتبر أكثر عهود التاريخ الانسانى تسامحاً وسعة صدر ، لتقبل نتاج القرائح ، وحصاد الفكر والتجارب ، مهما كان مصدرها . انتقلت ثروات علمية و اتسعت دائرتها ، و جرت عملية التبادل ، و التنقيح ، و التنسيق بين الجهود العلمية من مختلف المصادر ، وتقدم ركب العلم ، و وضعت الثروة العلمية التى تكونت من هذا اللقاء تحت خدمة الجميع ، و بقيت هذه العلوم بعد أن شاركت فى دعم المجهود العلمى الواسع تحتفظ بصبغتها و مزاياها ، و بقيت المزايا الشخصية الأصيلة مصونة ، يستطيع الدارس لتطور العلوم فى هذا العصر بعد مضى ألف عام وأكثر على هذا التبادل أن يميز بين المنابع الأصيلة لكل علم ، و يميز بين الخصائص الفردية والقومية للعلماء والباحثين ، و مراكز العلم ، ومدارس الفكر ، سواء كانت

فى الأدب ، أو العلوم العقلية و الميول الاجتماعيـة أو السناء و الرياش والأخلاق ، و الثقافة ، فلكل منطقـــة لون خاص ، و ميزة تميزها عن غيرها ، فكانت بمثابة روافـــد و أنهر تنصب فى المجرى الرئيسى و تندمج إلى التيار الاسلامى العام .

يجد الباحث فى كتب الأقدمين الذين عاشوا عصر التبادل والاختلاط حيث كان الاسلام ينتشر فى العالم و تمتد آفاقه من الشرق إلى الغرب ، يجد فى كتبهم أوصافاً غريبة مدهشة لطبائع الأمم المختلفة ، و خصائص المنوعات البشرية المختلفة و تظافرت فى الاسلام جميع المواهب البشرية و نالت كل احترام و تقدير

لم يكن من هم الحكام المسلمين أن يصبوا ·

مختلفة باعتبار البيئة . و الأحوال للنشأة .

فى قالب واحـد بل تركوا أصحابها أحراراً

واستفاد المسلمون من هـذا التنوع ، و هو تنوع طبعى . . . . . . معادن كمعادن الذهب و الفضة ، طبائعهم و مواهبهم تختلف و تتنوع اختلاف الأرض .

إن القدرات العقلية و الميول الفردية والقومية . تختلف و تتنوع فقد ينقص رجلا أو أمة جانب من جوانب النبوغ أو الكمال و يتوفر فيـــه جانب آخر من جوانب وصفية ، و لذلك كان اهتمام الاسلام بالتكامل ، بحيث لا يطغى جانب أو فئة على جانب أو فئة أخرى ، و لايحرم جانب و لا فئة من ثمار عقول ومساعى فئة أخرى .

مشاركة غريبة ، مع الاحتفاظ بالمزايا الشخصية الفرعية ، والخصائص الطبيعة فمن كان يتفوق فى العلم و المعرفة ساهم بعلمه و معرفتـــه ، و من كان يتفوق فى الورع و التربية الانسانية ، ساهم بتجربته ، و كان العلماء فى هـذا المضمار تلامـذة أمامهم ، و من أتاه الله الجرأة ، و البسالة وقوة الصمود ، و بذل النفوس وكان

ممن باع ، نفسه لله ، ساهم بنفسه ، و نفيسه ، وبمهجته ، ومن كان يتفوق بالذوق الفنى ، و المشاعر المرهفة ، و قوة التعبير ، و هى سلاح من الأسلحة ، و أداة للبناء و التكوين ، ساهم بذوقه الفنى ، و كفاءته الفنية .

كان موقف الاسلام تجاه الحضارات و الخصائص الفردية القوميـــة ، التى لا تتنافى مع العقيدة الاسلامية ، موقف احترام و إقرار ، و قد اعتنى الفاتحون المسلمون بتعليم غير المسلمين حسب رغبتهم ، و لم يكن موقفه منهم موقف الحاقد الغشوم الذى يحرص على إبادة كل تراث و كل ملامح الشخصية الفردية و القومية حتى اللغة ، والأدب ، و العلوم ، للامم المفتوحة .

وعلى العكس كان موقف الغرب موقف الحاقد بالنسبة للتراث القومى والخصائص القومية و الفردية لكل أمة خضعت له ، بل للعالم كله الذى يخضع له علمياً وفكرياً .

كان موقف الغرب بالنســـبة للحضارة و العلوم مختلفاً عن سائر الأمم وعن كل عملية من عمليات الاستيلاء و الغزو ، إنه عملية الابادة الجماعيـة ، لكل القيم ، وكل الخصائص ، وكل تشخصات أى مجتمع إنسانى ، عملية كاسحة ساحقة ، تسحق كل محاولة للبقاء ، سواء فى ميدان العلم ، أو الثقافة ، أو الفكر ، أو القومية ، إنه حركة علمية تتستر فيها نوايا الاستعمار وحركة حضارية تخفى فيها نوايا القهر والهيمنة .

حارب الغرب الدين باسم القومية ، ثم حارب القومية ، لتسيطر الحضارة الغربية ، دفع الغرب الأمة العربية إلى القومية العربية لتنسلخ من رباط الدين ، ثم حارب اللغة العربية و الثقافة العربيـــة ، ليفرض على العرب الثقافـــة الغربية ، و اللغة الانجليزية أو الفرنسيـــة ، حتى الخط العربى لم ينج من هجوم الغرب و عملائه فجرت حركة قوية لتغيير الخط العربى ، و لم يكن المقصود من هـــذه الحركة إلا القضاء على صلة العرب بالاسلام ، و بحضارتهم و تراثهم الأدبى و ماضيهم .

دفع الغرب الأتراك إلى القومية التركية للانسلاخ من الدين ، ثم حارب التركية ، والثقافة التركية ، و وصفها رجعية وباعثاً على التخلف والجمود ، وفرض عليهم الخط اللاتينى ، و فرض عليهم الثقافة الغربية والزى الغربى ، لأن القوميات كانت عقبة فى سبيل هيمنة الحضارة الغربية ،و وجد الغرب لتنفيذ عملية الابادة لمعالم الحضارة العربية العريقة المنبعثة من الاسلام عملاء مسيرين آمنوا بالغرب وتحضروا بحضارته و ثاروا على حضارة آبائهم ، و احتقروهـــا ، فلو لم يكن الاسلاميون المتحمسون للعربية لما بقيت السمة الوحيدة التى بقيت للعرب ، وهى لغـــة الضاد .

و كل حضارة و ثقافة تقوم على أساس عقيدة

هجم المتغربون العرب على مصادر اللغة

العرب ، وضحكوا على مزايا العرب وخصائص

و الاباء وقوة البيان ، ليخلقوا إنساناً غربياً يرفض .

و قـــد حمل هذا اللواء العرب المسيحيون و ضم المتغربون من المسلمين أصواتهم إلى أصواتهم .

حاول الغرب و لا يزال يبذل جهده لصهر العرب من جديد ، لأنه كان يتوقع أن تغريب العرب ، و تجريدهم عن خصائص العروبة ، و تشويه لغتهـــم وحضارتهم ، ودينهم ، وأدبهم يسهل عملية تغريب سائر الأمم الأخرى التى تقتدى بالعرب و تقـلدهم ، لأنهم حملة لواء الاسلام و قـدوة العالم .

إن من يتابع التقدم الحضارى و النهضة العلمية و يدرس عناصرها وإيجابياتها و سلبياتها يجد أن العلم و الحضارة ، لدى الغرب، وسيلتان من وسائل الاستعمار و الاستغلال ، و أن الغرب لا يؤمن فى العلم و الحضارة بمبـــدأ التسامح ، أو التعامل و الأخذ و العطاء و إنما يسير منهج السحق و الابادة .

إن هذا الهجوم على العلوم والحضارات و التفسير المغرض لمفاهيمها وتشويه

طبائع الأمم ، أسوأ من إحراق الكتب ، و من طرح المكتبات العلمية فى البحار لأن الذين يحملون هـــذه العلوم فى الصـــدور يستطيعون احياءها ، و قد وجد فى تاريخ الاسلام علماء كانوا يقدرون على أحياء التراث كله إذا ضاع و لكن تزوير الحقائق و خلق جيل من العرب ، أو من الهنود يفكر بفكر غربى و يعيش حياة غربية ، و يزدرى بتاريخه ، و تراثه العلمى ، و ثقافتــه ، تشكل إبادة علمية و حضارية ، و سحقاً للصلاحيات و الخصائص القومية .

لقد مر العالم الاسلامى ، خلال الاستعمار ، بمرحلة السحق والابادة ، وتجرع مرارتها ، و لقى إهانة لا مثيل لها فى التاريخ ، و كل ما سودته أقلام عبيـــد الغرب فى العالم العربى ضد اللغة العربية ، و ضد الحضارة العربية الاسلامية وضد السلف من العرب ضد الأمجاد من العرب الذين رفعوا شأن الأمة العربية ونقلوها من الصحراء القاحلة إلى قيادة العالم و كسوا لها الشرف ، و المكانة الرفيعـة ، و وضعوا خزائن قيصر و كسرى ، على أقدامها ، كل ما سودته أقلام الكتاب الذين ولدوا فى البيئة العربية ، لكنهم كانوا تغـذوا بلبان الغرب ، و نشأوا فى أحضان أعداء العرب و الاسلام جريمـــة لا تغتفر ، فان الذى يسب و يشتم آباءه و أجداده لا يغفر ذنبه فى أى مجتمع .

لقد تحمل العرب هذه الويلات ، دهراً طويلا ، و تحملوا هؤلاء الطفيليين المرتزقة من أدعياء العلم الذين استعبدهم الغرب للاستعمار ، و قـــد ضعف الآن نفوذهم و انكشف الغطاء ولكن سمومهم لا تزال تفسد الأذهان و قد حان الأوان ليتصـــدى كتاب و علماء من أصحاب الغيرة ، وألولاء و الأنفـــة من العرب أن يفضحوا أدعياء العروبة ، وأدعياء العلم ، و يحرروا الجيل الجديد من السيادة العلمية والحضارية للغرب ، والمتغربين ، ويستعيدواالحضارة العربية الاسلامية الصميمة ، والعلم إلى الأصالة ؟

واضح رشيد الندوى

التوجيه الإلهي

موسى عليه السلام مع قومه "بنى إسرائيل"

سماحة الشيخ السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى

الحرب الداخلية قد تكون أشد خطراً من الحرب الخارجية :

كان الحديث عن موقف سيدنا موسى عليه الصلاة و السلام فى الدعوة أمام فرعون ، الملك الجبار ، فكيف كان موقفه أمام قومه بنى إسرائيل ؟ فان الحرب الداخلية قد تكون أشد خطراً وأكثر دقة من الحرب الخارجية ، إن الحرب بين رجل و منافسه الذى لا يتصل به بنسب و بعقيدة ، قد تكون أهون من الحرب التى تكون بين الرجل وأهل بيته ، بين الرجل وعشيرته ، بين الرجل و بنى جلدته ، الذين يلتقون معه على نسب أو دم ، أو وطن أو جنس ، فكيف كانت مواقف موسى عليه الصلاة و السلام أمام قومه ؟

أربعة مواقف واضحة حاسمة لسيدنا موسى مع قومه :

وإجابة عن السؤال الوجيه نقول ، إننا إذا تأملنا فى القرآن الكريم وجدنا لسيدنا موسى أربعة مواقف واضحة حاسمة مع قومـــه ، و نريد أن نصل بذلك إلى نتائج ذات قيمـــة فى منهج الدعوة و فى موقف الدعاة ، كيف يجب أن يكون موقفهم مع أحب الناس و مع أقرب الناس إليهم ، و نتلق منهم درساً خاصاً ، هو أن موقف الداعى أمام قومه ، أو أمام أعدائه أو أمام أقرب الناس إليـــه ،

يكون دائماً موقف الداعى ، يعنى أن طابع الدعوة يغلب على هذا الموقف ، مهما تنوع هذا الموقف فى الطبيعة ، ومهما اختلفت المناسبات ، ولكنه دائماً هو الداعى ، و هو يتكلم بلغة الدعوة ، ويرمى إلى الدعوة ، و يضرب على الوتر الحساس ، ويقصد من كل ذلك غرس الدعوة فى نفوسهم و تهيئة النفوس لقبول هذه الدعوة ونبذ كل ما عارض الدعوة وأضر بها أو جنى عليها ، إن مهمة سيدنا موسى تختلف باختلاف البيئة و باختلاف الظروف المحيطة ، و باختلاف المجتمع و الجو الذى ولد فيه و عاش .

موقف نبى داع لا موقف زعيم سياسى

إن مهمة سيدنا موسى التى طالب
حرية بنى إسرائيل ، فيها شيء من الالتباس
إن كل من وقف هذا الموقف تغلب عليه الحميه ...
ويخاطب بلسان السياسة أو بلسان « الحقوق » أوبلسان الاحتجاج ، شعب مستعبد مضطهد بأسوء معانى الكلمـــة ، و لا قول أبلغ من قول الله تبارك و تعالى : « و إذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ، يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم و فى ذلكم بلاء من ربكم عظيم » (١) وقول الله تعالى فى سورة القصص : « إن فرعون علا فى الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحى نساءهم إنه كان من المفسدين » (٢) إن كل من كان شأنه هذا ، و يقف مدافعاً عن قوم و يريد أن يحررهم و يتحدى القوة المتغطرسة الظالمـة التى قهرته وداست كرامته ، وأهانته فى أعز الأشياء عنده ، إن شأنه أن تتغلب عليه النفسية القومية ، ويخاطب بلسان السياسة و بلسان المطالبة بالحقوق ، والمطالبة بالحقوق لها

(١) البقرة ٤٩ . (٢) القصص ٤

لغة خاصة ، و لها تعبيرات خاصة .

و لكن الشيء الذى أريد أن ألفت نظركم إليه ، أن موسى عليه السلام ، شأن جميع إخوته الأنبياء والمرسلين ، كان نبياً مرسلا ، والذى اصطفاه الله تبارك و تعالى لكلامه ، و كان داعياً إلى الله و إلى الايمان و العقيدة قبل كل شيء ، فأريد أن تلاحظوا وتتأملوا فى الآيات التى سأقرؤها عليكم ، كيف استطاع سيدنا موسى و كيف أعانه الله تبارك و تعالى على أن لا يرجح كفة الاحتجاج و كفة المطالبة بالحقوق ، أو كفة الغضب و الحمية القومية على كفة الدعوة ، ففى مثل هذه المناسبات الحساسة الدقيقة ، ينسى الانسان كل شيء وتثور فيه الحمية الجاهلية ، و تتغلب عليه النزعة القومية ، و يتكلم بلسان القوميين السياسيين ، و لكن كيف أن الله تبارك و تعالى أعان سيدنا موسى على أن لا يدع هذه النزعة تغلب الايمان القوى و دعوة فرعون إلى الله وبيان الحقائق الدينية ، وسنة الله تبارك وتعالى فى خلقه ، وسنة الله تعالى فى الأمم والأجيال و فى الخلق ، الآن نتلو عليكم الآيات .

أرادوا أن يصيدوا عصفورين بسهم واحد :

« و قال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى و قومه ليفسدوا فى الأرض و يذرك وآلهتك ، قال سنقتل أبناءهم و نستحى نساءهم و إنا فوقهم قاهرون» (١)

أرادوا أن يصيدوا عصفورين بسهم واحد ، عصفور فرعون ـ إذا صح أن يسمى عصفوراً ـ وعصفور قومه ، قالوا لفرعون الكلمة التى كانت تثير فرعون وتهيجه ، هو قولهم : «ليفسدوا فى الأرض » ، وأما الكلمة التى كانت تثير عباد العجل وعباد الأصنام فقولهم : « و يذرك و آلهتك » جمعوا فى هذه الكلمة بين الجانبين « قال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الأرض ويذرك وآلهتك ، قال

(١) الأعراف ١٢٧ .

سنقتل أبناءهم و نستحى نساءهم و إنا فوقهم قاهرون » .

الروح النبوية تتجلى فى أروع مظاهرها :

فى مثل هذه المناسبة الرهيبة ، و فى هذا المقام الذى تثور فى الانسان الحمية و النخوة ، لم ينس موسى منهج الكلام الذى التزمه دائماً ، و الرسالة التى كان يحملها ، وهنا تتجلى الروح النبوية فى أروع مظاهرها ، تصوروا لو وقف هذا الموقف أى واحد من الدعاة و أى واحد من العلماء ، لخاطب فرعون و قومه بدل أن يخاطب قومه ، و لكن موسى خاطب قومه ، لأنهم المخاطبون الأ[illegible] الاعتماد ، و بهم يبدل الله تبارك و تعالى الوضع

موقف الداعى المستقيم الذى هيأه الله لأمر

« قال موسى لقومه استعينوا بالله و اصبروا [illegible] من عباده والعاقبة للمتقين » (١) قال موسى : استعينوا بالله ، [illegible] اعتمدوا على العدد الكثير الذى تتمتعون به ، اعتمدوا على ما أكرمكم الله به من الذكاء والمواهب الأصيلة ، لأن بنى إسرائيل معروفون بالذكاء من قديم الزمان و فى المواهب الفطرية ، إن موسى عليه الصلاة و السلام لم يتعرض لشىء مما كان يمتاز به بنو إسرائيل ، و لا شك أن بنى إسرائيل كانوا يمتازون بالشىء الكثير ، وكان موسى من أدرى الناس به ، ولكنه أبداً لم يلجأ إلى أى شىء ، ماذا قال ؟ كأنه كان واقفاً على منبر فى مسجد من المساجد ، فيقول « استعينوا بالله و اصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده و العاقبة للمتقين » هذا موقف الداعى الأمين الداعى المستقيم ، الداعى الذى هيأه الله لهذا الأمر العظيم ، هنا الدعوة إلى الله ، هنا الدعوة إلى التوكل ، هنا الدعوة إلى تفويض الأمور إلى الله تبارك و تعالى ، هنا الدعوة إلى الصمود

---

(١) الأعراف ١٢٧ .

وإلى الثبات أمام تهديدات فرعون ، التى جاءت فى قوله : « سنقتل أبناءهم ونستحى نساءهم و إنا فوقهم قاهرون » ليست هذه الأفعال هى الأفعال المؤقتة بل إنا فوقهم قاهرون ، بشكل دائم ، بشكل ثابت ، قال موسى لقومه : « استعينوا بالله و اصبروا إن الأرض لله » الكلمة كان لها وقع و كان لها تأثير خاص إذا قيلت أمام فرعون ، قال موسى لقومه : « استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله » ليست لفرعون ولا لبنى إسرائيل ، إذا كان موسى زعيم أمة أو شعب أو قائداً قومياً ، كان له أن يقول : إن الأرض لنا ، إن الأرض لبنى إسرائيل ، هذه اللغة التى يحسنها وحدها القوميون ، إن الأرض ليست للانجليز ، إنما هى لأهل الهند ، مصر لأهل مصر ، سوريا لأهل سوريا ، انكلترا لأهل انكلترا ، أمريكا لأهل أمريكا ، يقول أمام فرعون : الأرض لله ، ولا يقول إنها أرض الآباء ، مع أنهم سكنوها منذ قرون و لهم حق عليها ، و هم « بلديون » « مواطنون » لهم حقوق ، كما كانت للأقباط وللأسرة الحاكمة ، قال موسى لقومه : « استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء » ، و إذا عرفتم و اطمأننتم أنكم إذا ورثتم هذه الأرض وخرج فرعون ، إنكم ستملكونها إلى آخر الأبد ، إن هذا خلاف لسنة الله تبارك وتعالى و مناف لعدله ، « إن الأرض لله يورثها من يشاء و العاقبة للمتقين » يعنى هذه الأرض ليست ملكاً لأحد و لا يستطيع شعب أن يحتكرها و أن يتملكها تملكا دائماً ، « و العاقبة للمتقين » كما جاء فى سورة يونس : « ثم جعلناكم خلائف فى الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون » (١) .

الشيء الذى يفتت الكبد و يقطع القلب :

والشيء الثانى الذى هو أدق عندى حين أقبل عليه قومه بنو إسرائيل وقالوا :

(١) سورة يونس ١٤ .

« أوذينا من قبل أن تأتينا و من بعد ما جئتنا » (١) هـذا كان أشد و أنكى من قول فرعون : « سنقتل أبناءهم و نستحى نساءهم ، و إنا فوقهم قاهرون » لم تكن لهذه الكلمة شدة و ثقل على موسى مثل ما كان لقولهم هذا ، لأن موسى عليه الصلاة و السلام بعث لينقذ بنى إسرائيل و يهديهم إلى الله تبارك و تعالى ، و يخلصهم من هذا العذاب المهين ، و لكنهم كيف كان موقفهم من هذه النعمة « قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا و من بعد ما جئتنا » ، و كان ذلك كما حكاه القرآن فى سورة يسين ، « قالوا إنا تطيرنا بك » (٢) يعنى كنت شؤما علينا

الشيء الذى يفتت الكبد و يقطع القلب ، و

فى سبيلهم ويتنازل عن كل شيء ، و يجازف

و جحود النعمة . إنهم إذا لم يشكروا هذه ال

لهم أن يسكتوا ، و لكن ماذا قالوا « قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا و من بعد ما جئتنا » معنى ذلك أنهم يتشاءمون بميلاد سيدنا موسى ، و يقولون كنت سبب شقوتنا و بلائنا من قبل أن ترد إلينا ، و كنت سبب شقوتنا و بلائنا بعد ما جئتنا ، و نحن فى عذاب مستمر .

الداعى داع فى كل شيء :

فماذا كان جواب موسى ؟ هنا موقف آخر من مواقف الداعى المختار الملهم ، لم يغضب موسى و لم ينفعل ، كأنه لم يسمع هذه الكلمة ، الكلمة الخسيسة التى صدرت من أفواههم وتلقى هذا الكلام الموجع بسكينة الأنبياء و وقارهم ، قال : « عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الأرض فينظر كيف تعملون » (٣)

---

(١) الأعراف ١٢٩ . (٢) يسين ١٨ . (٣) الأعراف ١٢٩ .

الداعى داع فى كل شىء حتى أن لو قلت : إنه فى طعامه و شرابه داع ، و فى بيته و مع أهله وبين أبنائه داع ، و فى أفراحه داع ، و فى أحزانه داع ، لكنت صادقاً ، وهكذا نرى فى سيرة الرسول ﷺ أنه كان داعياً فى كل شىء ، فى كل حركة و سكون . كأنه يقول ذلك باسماً متهلل الوجه ، لم تغيره هذه الكلمة الكنود ، التى صدرت من بنى إسرائيل ، فقال : « عسى ربكم أن يهلك عدوكم و يستخلفكم فى الأرض » و لكن لا تغرنكم أنفسكم مرة ثانية ، و لا تخدعكم نفوسكم ، فأكملها بقوله : « فينظر كيف تعملون » لا أن تتمتعوا بخيراتها كما تتمتع الأقباط ، كما يتمتع فرعون و ملاؤه ، لا ، « فينظر كيف تعملون » « إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده و العاقبة للمتقين » ، كما قال الله تبارك و تعالى : « و لقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون (١) .

و هنا الشاهد فى هذه الآية ، كيف يكون موقف الداعى ، كيف تسيطر الدعوة على كل كلمة تصدر من لسانه ، و على كل عمل يصدر من أعضائه و جوارحه .

أراد موسى شيئاً ، و أراد الله شيئاً :

و الموقف الثانى ، موقف دقيق ، و موقف حرج ، هو الموقف الذى لما خرج سيدنا موسى ببنى إسرائيل لينجوبهم من أرض العذاب ، و من أرض الذل و الهوان ، و من أرض السخرة الظالمة ، و الاضطهاد الفظيع ، إلى بر السلام و إلى شبه جزيرة سيناء التى كانت خارجة عن امبراطورية فرعون ، فلما خرج موسى بهم و قد أراد الله تبارك و تعالى شيئا ، وأراد موسى شيئاً ، وأراد بنو

(١) الأنبياء ١٠٥ .

إسرائيل شيئا ، أراد موسى أن ينجو بنى إسرائيل ، و أراد الله تبارك و تعالى أن يغرق فرعون و جيشه .

قطع موسى طريقه فى ظلال الليل ، فكان هناك قطعة صغيرة كانت تصل بين شبه جزيرة العرب وبر إفريقيا ، أوالحلقة البرية التى كانت تربط بين قارة إفريقيا وقارة آسيا ، وأولها شبه جزيرة سيناء ، و لكن موسى أخطأ الطريق فى ظلام الليل ، و لم يكن هذا الخطأ من المصادفات ، بل كان من المقررات ، كان من المدبرات التى دبرها الله تعالى ، فهنا أخطأ موسى الطريق و
يتوجه إلى البر ، و كان الطريق قصيراً ، و
و أسفر الصباح فوجىء بأن البحر أمامه و
حيلة و صاروا يشكون ، و صاروا يسيئون
أنت احتلت لتأتى بنا إلى هذا المكان لنقع فى شبكة فرعون . ماذا كان غرضك ؟ لماذا جئت بنا إلى هنا ؟ إنما جئت بنا إلى هنا لكى نكون فريسة فرعون وجيشه ، و اللقمة السائغة لهذا الطاغية ، البحر أمامنا و الجيش و راءنا ، ماذا نعمل هنا ؟ و هنا يتجلى موقف الداعى ، فقد جاء فى سورة الشعراء : « فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون » (١) ماذا يكون جواب السياسيين القوميين فى هذه الحالة ؟ لابد أن يقولوا : نحن قد وضعنا مخططاً دقيقاً مدروساً من قبل ، قد وضعنا مشروعاً كفيلا بالنجاح ، و نحن على هدى ، و نحن على بصيرة ، و أنا مستيقظ و أنا متأكد بأننا سنصل إلى البر بسلام .

كلا إن معى ربى سيهدين :

و لكن ماذا كان جواب موسى الأمين و المؤمن العليم ، قال : « كلا إن

(١) الشعراء ٦١ .

معى ربى سيهدين » (١) .

قال ذلك بكل ثقة و اعتزاز ، و بكل طمأنينة و إيمان ، و كل كلمة فى هذه الآية عامرة بالايمان دافقة بالثقة ، ناطقة بالتوكل على الله و الاعتماد على قدرته ، و على أن هذا الاسراء كان بأمر من الله وهو العزيز الرحيم ، الرب الكريم الذى لايخدع عبده ، و لا يخلف وعـــده ، أذن فلا خوف من البحر الزاخر ، و لا خطر من العدو القاهر .

و مثل هــذا لا يتوقع و لا يعقل من ملك كريم ، و من أب رحيم ، بل من إنسان ذى مروءة و شرف ، فكيف يتوقع أو يخشى من إله هو أكرم الأكرمين و أرحم الراحمين ، إن موسى ـ على حلال الموقف و دقة الوضع ـ لم يساوره خوف و لم يخامره شك ، لأنه كان يعرف ـ وهو النبى المرسل ـ أن الله الذى أمره بالاسراء ببنى إسرائيل هو غالب على أمره لم يفلت منـــه زمام الكون حتى يفاجئه أمر لا يمكن التغلب عليـــه ، إذن فلا مجال للشك ، و لا محل للخوف ، فقال فى قوة و حماس : « كلا إن معى ربى سيهدين » .

قارن بين هذه القصة التى حكاها القرآن عن سيدنا موسى و بين ما حكاه القرآن نفسه عن خاتم الرسل سيدنا محمد ﷺ ، و هو قوله تعالى ، « ثانى اثنين إذ هما فى الغار ، إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنـــا » (٢) و اقرأوا فى شرحها و استعراض الواقع الدقيق ما جاء فى الجامع الصحيح للبخارى (٣) و فى كتب السيرة ، فقد جاء فيها « بينما هما (رسول الله ﷺ ورفيقه أبو بكر الصديق رضى الله عنه) فى الغار (٤) ، إذ رأى أبو بكر آثار المشركين ، فقال : يا رسول

---

(١) الشعراء ٦٢ (٢) التوبة ٤٠

(٣) باب قوله تعالى « ثانى اثنين إذ هما فى الغار كتاب التفسير (٤) غار ثور

الله لو أن أحدهم رفع قدمه رآنا، قال: ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟ » واستشعروا الشبه العجيب بين نبيين عظيمين، فرق بينهما المكان والزمان و البيئة والملابسات. ولكن جمعت بينهما النبوة و الايمان القوى الوثيق الذى هو سر إيمان ملايين من البشر، و معرفتهما لقدرة الله تعالى و رحمته و حكمته، معرفة يمتاز بها الأنبياء ولا يصل إلى قمتها الفلاسفة والحكماء وكبار العلماء و العقلاء، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

فماذا كان؟ اقرأوا قول الله تعالى:

« فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر، فانفلق فكان كل فرقة كالطود العظيم، و أزلفنا ثم الآخرين، و أنجينا موسى ومن معه أجمعين، ثم أغرقنا الآخرين، إن فى ذلك لآية و ما كان أكثرهم مؤمنين، وإن ربك لهو العزيز الرحيم » (١).



(١) الشعراء ٦٣ - ٦٨.

الاسلام و مستقبل الانسانية

دكتور عبد الحميد أحمد أبو سليمان

مقدمة :

لابد للباحث فى هذا الموضوع من مقدمة تسهل مهمة القارىء فى فهم الاطار الذى يدور فيه البحث .

إن الباحث الواعى أحوال الأمة الاسلامية و ما بلغته من العجز والضعف و التدهور بميزان العصر و مواقع أمم العصر ـ خاصة إن لم يؤمن وعى القارىء على جوانب الموضوع ـ لا بد له من الاعتذار و التوضيح قبل أن يبدأ العرض .

لأن المسلمين على ما هم عليه إنما يدعون الانتماء إلى الاسلام .

و ما كان لمنهج حياة هذه حال من ينتمون إليه أن يوخذ مأخذ الجد فى ساحة التقدم الأفضل للانسانية نحو المستقبل .

و هذا حق لو وقف الأمر عند هذا الحد .

و لكن القضية بالفعل أبعد آفاقاً مما يدل عليه ظاهرها .

و لا بد للفكر و الباحث أن لا يقف عند حد الظواهر بل و أن يتمعن تلك الظواهر إذا كان جاداً فى البحث إذا دعت دواعى الجد .

و الأسباب التى تستوقف الباحث الجاد فى الأمر عديدة منها :

١ـ أن الاسلام دين و ينتسب إليه ما لا يقل عن خمس البشرية .

٢ـ أن الاسلام ظل يسيطر على خيال و ثقافة وفكر الأمة الاسلامية عدداً كبيراً من القرون .

٣ـ أن المسلمين رغـم كل الظروف و الأحوال و الهجوم المر الذى يتعرضون له و لاتسابهم لهـذا الدين و هـذا المفهوم للحياة ، فانهم يتمسكون بالانتماء إليه رغم ما فى واقعهم من انحراف عن مثله .

٤ـ أن المسلمين قد حاولوا كل السبل فى تقليد غيرهم و استيراد أساليبه و مناهجه لاصلاح شأنهم و فشلوا لعدة قرون و تحت ظل مختلف الظروف و المؤثرات من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب دون جدوى .

٥ـ أن المتأمل فى أحوال الانسانية و الحضار
من إنجازات علميـة و تقنية مادية لا يخفى علي
مسار هذه الحضارة ، بل وبسبب ما أنجزته هذه
مدمرة دون أن تحقق له النمو و الاستقرار النفسى و العاطفى و الروحى المتكافىء ، و هذه القدرات . . ولا أن توفر له المنطلقات الفلسفية اللازمة للسيطرة على هذه القوى الهائلة فلا تكون وبالا عليه و على أسس وجوده .

من هنا لا يمكن للباحث أن يتجاهل كل هذه القضايا و الظواهر فلا يبحث فى أسس بلاء هذا الجزء الهام من البشرية الذى هو الشعوب المسلمـة كما لا يمكنه أن يمر بهذه الشعوب الكبرى من البشرية دون أن يتفحص مفاهيمها و منطلقاتها فى مواجهة أزمة البشرية القائمة فى أبعاد حالكة نحو المستقبل إذا قسنا مستقبل البشرية بماضيها المعاصر فى حروب عالمية بربرية مدمرة تفتقد دواعى حكمة المنطق الانسانى السليم .

إن من المهم فى هذه المقدمة تحديد عدة قضايا :

أولا : إن تدهور المسلمين قديم تمتد جذوره إلى قرون طويلة حتى قبل أن تسقط بغداد و قرطبة و سمرقند .

ثانياً : رغم كل الكوارث فإن المسلمين مصرون على الانتماء لا عن التحول .

ثالثاً : إن كل محاولات الحلول المستمرة من المنطلقات الحضارية الأجنبية و لعدة قرون قد فشلت فى تغيير حال الأمة و تحريك طاقاتها و حل مشاكلها .

رابعاً : إن منطلقات الحضارة الغربية المادية على مختلف أشكالها تضع الانسانية فى مآزق خطيرة و مستقبل مظلم لا يغير من تلك الحقيقة كل المنجزات الايجابية لهذه الحضارة بل أن تلك المنجزات تجعل وجوه القصور مطاعن قاتلة للوجود الانسانى ككل .

أزمة فكر لا أزمة عقيدة :

و لكى تعى الانسانية موضوع الاسلام الذى غطى قدراً كبيراً من تاريخها و كيان شعوبها و وجهها اليابسة من تحتها و من مستقبلها .

و لكى يعى المسلمون حقيقة الأزمة المزمنة التى يعانون منها لا بد لهم من تفحص القواعد الأساسية التى يرتكز إليها كيانهم لتحديد سبب الأزمة و الغوص إلى أعماق تلك الأزمة و معالجتها معالجة جذرية ، فلم يعد فى واقع حالهم من الخارطة الانسانية الحضارية ما يحرصون عليه ويخشون ضياعه فى بحثهم عن أسباب الأزمة الساحقة المزمنة التى يعانون منها .

و فاعليات الانسان ترتكز إلى عاملين أساسيين هما :

١- إمكاناته و فاعلياته المادية .

٢- و إمكاناته و فاعلياته المعنوية .

و لذلك فالسؤال الأساسى هل سر الأزمــة التى يعانى منها المسلمون تكمن فى قصور إمكاناتهم و فاعلياتهم المادية

و الجواب بالتأكيد بالنفى .

فالمسلمون يتحكمون فى رقعـــة واسعة من الأرض تضم فى جنباتها مختلف الامكانات المادية التى لا تقصر عن حاجتهم الحضارية ، كما أن كيانهم يضم أعداداً بشرية هائلة تنتمى إلى أجناس الأرض و شع

فيما سبق لها أن حققته من إنجازات و مو

و مع ذلك فان سمة العجز و القص

مكوناتها و مواقعها المادية .

و إذا لم يكن القصور يكمن فى إمكاناتهم و فاعلياتهم المادية فليس من بد فى أن القصور يكمن فى إمكاناتهم و فاعلياتهم المعنوية

ولكن السؤال يكون حينئذ فى أى مكونات الفاعليات المعنوية يكمن الضعف ؟

و قد تبرع الدارسون من أصحاب الغايات و الأغراض من الأمم المناجزة للمسلمين حضارياً و الطامعين فى مقدراتهم ، الساعين إلى السيطرة عليهـــم بالتبرع بالاجابة على هذا السؤال بالقول أن العلة تكمن فى الاسلام دين الأمة و منهجها .

و كانت تلك الاجابة هى منطلق محاولات طويـــلة مرة لأكثر من قرنين للخلاص من سيطرة الاسلام على الأمة و نظامها الاجتماعى و ما تزال الأمة فى ضعف و هوان و عجز تزداد هوته و تتعاظم آلامه .

و لكن الحيرة و التخبط يزدادان و لا ينقصان .

و لا يبدو أمام الأمة الآن مخرج و لا منفذ .

و السبب فى تصورنا أن قضايا البحث اختلطت بقصد و دون قصد .

فالقضية ليست إن كانت تكن فى منهج الأمة و إسلامها أو لا تكن ولكن القضية فى وضعها الصحيح هى فى أى مكونات هـذا المنهج يكن الضعف و سبب الأزمة ؟ .

هل تكن الأزمة فى عقائد الأمة الأساسية وقيمها المثالية و غاياتها الاجتماعية ؟

لايستطيع عاقل أن يقول إن الأزمة لها علاقة بهذا الجانب من مكونات الأمة المعنوية .

و لا يخفى على عاقل سمو تلك القيم والعقائد والمبادىء و الغايات الاجتماعية .

وليس يخفى على الناظر أن من مظاهر الأزمة هذا القصور البين بين هذه القيم و التطلعات و بين واقع السلوك و الممارسة الاسلامية الأمة .

من منا يشك فى غايات الاخاء و العدل و الكرامة و القصد و التطهر فى عقائد المسلمين و قيمهم .

و من منا لا يفتقد تلك القيم و الغايات فى البنية الاجتماعية فى واقع الشعوب الاسلامية و ممارساتها

هل يشك أحد فى وجوب الصدق و الأمانة و الرحمة و البذل و التكافل و العدل و حسن الأداء و الاتقان فى قيم الاسلام .

وهل يشك أحد فى تفريط المسلمين فى هذه القيم و غيبتها وغيابها فى سلوكهم و علاقاتهم .

نعم من المهم أن نعلم أن عقائد الاسلام التى تقوم على التوحيـد و الاخاء و قيم الحق و العدل و البذل هو من ضمن أهم مقومات الأمة و فاعلياتها الايجابية فى مواجهة أسباب الأزمة التى تغوص بها فى دوامة الضعف و العجز و الانهزام .

و لو لا قوة دفع هذا الدين رغم كل التشويه والضباب و القصور فى فهمه

لكان حال الأمة من الهمجية و البربرية أشد هولا و لكان مصيرها الموت والفناء منذ آماد طويلة .

إذن ما هو سبب الأزمة ؟ إن حقيقة الأزمة التى تعانى منها الأمـة هى فى أساليب دربتها الفكرية و علاقاتها التنظيمية الاجتماعية . أى أن الأزمة ليست فى جوهرها أزمة عقائد و غايات ومثل بل هى أزمة فكر وأسلوب وتمثل و تنظيم .

ماهية الأزمة الفكرية و كيف نشأت :

من الواضح و المسلم به أن فترة صـ
التى أرست أسس تكوين الأمة وبنائها ، و
به تلك الفترة من علاقات اجتماعية و قدر
لا تمحى فى قسمات و كيان الأمة .

و لا تخطىء عين الدارس أنه بزوال دولة المديـنة و انقضاء عصر الصدر الأول حدث تغير و تحول فى كيان الأمة و مسيرتها و علاقاتها ، و لكن الباحثين لا يقفون طويلا عنـد هذا التحول الحاسم فى محاولة فهم التدهور اللاحق .

و كثيراً ما ينصرفون إلى محاولة تفهم الأسباب فى الأحداث المباشرة لصعوبة الربط بين تلك الأحداث و التذبذبات و التحولات التى حـدثت فى خلال عصور من التاريخ الاسلامى يتميز كيان الأمة فيه بكل مقومات المهابة و القدرة والانجاز الحضارى فى الدولة الأموية و العصر العباسى الأول .

أو بسبب الارهـاب السياسى فى عصور الضعف و الانحطاط الذى يقاوم النظر السليم و المنطق المستقيم .

أو بسبب الخشيـة من مزيد من العناء ينكأ جراح الأمة و ذكريات محنها و حروبها و صراعاتها الكبرى .

أو بسبب الرهبة و الاجلال لتلك العصور و الشخصيات التاريخية التى لم يبق للامة سوى ذكراها .

وبذلك يبقى البحث عاجزاً ناقصاً يرد الظواهر إلى ظواهر و النتائج إلى نتائج دون قدرة على معرفة حقيقة الأسباب ، و لكن تبقى الحقيقة ماثلة فى أن الأزمات الكبرى فى حياة الأمم و الشعوب لا تفسرها الأحداث المباشرة ولابد من الغوص فى أعماق كيان الأمة و تاريخها و تتبع مجرياته لمعرفة البدايات البعيدة و الأسباب الأولية . و الأساسية و تحديد مساراتها لمواجهتها وتصحيحها و التصدى لمضاعفاتها .

وتبقى الحقيقة أن تحولا أساسياً و فى ميدان فاعليات الأمة وإمكاناتها المعنوية قد حل بها بزوال عهد الصدر الأول و الخلافة الراشدة و علاقاتها الاجتماعية رغم امتداد الدفع المادى وطرح ثماره خلال العهود الأولى اللاحقة لعهد الصدر الأول .

و لكن كيف حدث ذلك التحول ؟

فى تصورنا أن ذلك التحول بدأ بانضمام أفراد القبائل العربيـــة من غير المهاجرين (من قريش) و الأنصـار (من الأوس و الخزرج) إلى صفوف الجيش الاسلامى فى مسيرته نحو الشمال لمواجهة الخطر الداهم من قبل الامبراطوريتين العظيمتين فى ذلك الوقت الرومانية و الفارسية .

و جنود الأعراب لم يكن لهم من الرؤية العقائدية والتربية الاسلامية ما كان لجيش بناء دولة المدينة بقيادة الرسول عليه الصلاة و السلام يشهـد عليهم القرآن الكريم بقوله : « الأعراب أشد كفراً و نفاقاً وأجدر الا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله » (٩ : ٩٧) « قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا و لكن قولوا أسلمنا و لما يدخل الايمان فى قلوبكم . . » (٤٩ : ١٣) و تشهد عليهم قسوة البيئة التى لم تكن تسمح لهم بما وراء حياة الكواسر كثيراً و لقرب عهد التحول

إلى مجتمع الانسان المسلم .

و لذلك و قد أصبحوا قوام جيش الأمة و لتعاظم ضعف رجال القيادة فى المدينة بالسن و فى العدد ، كان لا بد أن يملى جيش القبائل وجوده السياسى و قيمه و تصوراته و علاقاته الاجتماعية التى لم تكن فى حملتها جاهلية محضة و لا إسلاماً ناصعاً نقياً ، ولكن كان مزيجاً من الأمرين ، وما تحلت به ممارساتهم بعد ذلك من المحافظة على الهياكل و الرسوم هو فى حملته على حساب المحتوى و حقيقة الغايات و الأهداف و طبيعة العلاقات الاجتماعية الاسلامية .

و فى ظل هذه المعطيات كان لا بد م

المدينة و كان لا بد من قيام دولة جديدة كا

التغير فيها فقط عند تحول الخلافة إلى ملك عد

و يقفون فى دراستهم عد هذا الحد فالتغيير السياسى

الحد ، فلا مكان لمثل هـــذا التغيير السياسى و لا موضع له دون أن تكون له آثاره الاجتماعية والاقتصادية و الأخلاقية .

و كان أبعد آثار ذلك التحول هو حال الانفصام والمواجهة بين فكر المدينة و منطلقاتها و بين السلطات السياسية فى الدولة الجـــديدة ، و مثالا على ذلك ، تحديداً للمسئولية و حفظاً للحقوق و منعا للتبرير و سوء الاستخدام - كان لابد أن يقف أبوذر ليرد على معاوية رضى الله عنهما وهو على المنبر قوله : «أن «المال مال الله » و هو يبنى عصبيـــة و يتألف أعواناً يتحكم بهم فى الرقاب فى قوم يريدون أن يصطنعوا و أن يميزوا و أن يستخـــدموا أعواناً على رقاب الناس ، و ليقول له بل « مال المسلمين » .

و بقى إقليم النشأة المدينة ثائراً رافضاً هذا التحول - رغم أن رجال الحكم

فى دمشق كانوا من قريش ـ فكانت ثورة الحسين وابن الزبير ومحمد النفس الزكية و زيد بن على و كانت حروباً أهلية طاحنة .

و بقى رجال الفكر الاسلامى و أمنـــاء الفكر الاسلامى فى مركز المناجزة و المعارضة فيموت الامام أبو حنيفة سجينا و يضرب الامام مالك و يهرب الامام الشافعى و يعذب الامام أحمد .

و كانت تلك المواجهة و الانفصال بين القيادتين الفكرية والسياسية فى الأمة هى أخطر آثار ذلك التحول و أس البلاء حيث انعزل الفكر و اضمحل و جفت مصادر نمائه و تجدده فى ميدان التطبيق و الممارسة و القيادة و هزلت السياسيـة و القيادة السياسيـــة لجفاف منابعها من القيم و التطورات و الفكر و ارتكزت إلى الجهل و القهر .

الجمود و التدنى :

وكان ذلك التحول و ما يتبعه من تحولات من دولة المدينة إلى دولة دمشق ثم بغداد و ما وراء دمشق و بغـــداد بكل ما أضافت تلك التحولات من ضباب الرؤية و عماوات جاهلية قبلية عربية و فارسية وهندوكية و رومية و غربية بداية الانحراف الذى أرسى و عمق عزلة القيادة الفكرية الاسلامية عن القيادة السياسية الاجتماعية للأمة .

و تركت تلك العزلة و الفرقة آثارها الرهيبة على الفكر الاسلامى جمودا و على السياسة الاسلامية قهراً وجهلا وعلى كافة الأمة خرافة وضياعاً واستضعافاً .

و يهمنا هنا أن تناقش قضية هذا الجمود جمود الفكر الاسلامى و ما ترتب عليه من ضباب رؤية الأمة ، فنحن إذا استطعنا فى تصورنا توضيح هذين الجانبين أمكن لنا أن نشخص الداء و أن ندرك طبيعة الدواء ـ إن شاء الله .

إن عزلة الفكر و المفكرين المسلمين عن الدولة نتيجة ما حدث من تحول أدى بهم إلى الانزواء و التحفز و المعارضة .

و قد انصرفوا فى البداية إلى توثيق التصور و التطبيقات الاسلامية فنشأ علم الحديث و علم الفقه (بروحه الوصفية) ونشأ علم العقائد بعيداً عن النظر فى النظام الاجتماعى وتنظير تطبيقاته وبقى فى حدود قضايا غيبية كمباحث الاسماء والصفات و القضاء و القدر .

و مع تطور الأحوال الاجتماعية فان عزلة المفكرين الاسلاميين جعلتهم أقل قدرة على إدراكها و مواكبتها و المبادرة إل

الوقت أشد خوفاً على التراث الذى فى أيديهم .

و المغايرة مما انتهى بالفكر الاسلامى إلى العز

بالقناعات الذاتية الناجمة عن النظر الجزئى فى القضايا التاريخية ... عن إدراك التطورات المحيطـــة أو احتوائها و توجيهها و الاغراق فى العزلة و الانغـــلاق و تأكيد الذات .

و هكذا انتهى الفكر الاسلامى إلى الجمود و الركود و الوقوف بعيداً عن مجرى الأحداث وعرف ذلك فى تاريخ التشريع الاسلامى باغلاق باب الاجتهاد.

و لهـــذا لم تأت الومضات الاجتهادية التطبيقية إلا من رجال أضافوا إلى حصيلة علمهم الممارسة الاجتماعية والنظرة الكلية و النزول إلى دائرة العمل السياسى أمثال إمام المدرسة الاصلاحية السلفية الامام ابن تيمية .

و ما أحرانا فى هذا المجال أن نعى معنى اجتهادات أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه الهائلة رغم قرب عهده بالرسول عليه السلام .

و على سبيل المثـــال اجتهاده فى نظام الخراج و اجتهاده فى وقوع الطلقـــة

الواحدة بلفظ الثلاث طلاقاً بائناً رغم معارضة ذلك لظاهر النص القرآنى فى الأمر « الطلاق مرتان فامساك بمعروف أو تسريح باحسان » (٢ : ٢٩) ، أخـذاً منه بحق ولى الأمر المشروع فى تقويم أمر الرعية .

من هذا ننتهى فى هذا المجال إلى أن المنهج الدراسى الفكرى للدرسة الاسلامية التقليدية يحتاج إلى إصلاح جذرى ينقله إلى أسلوب المنظرة الكلية و إلى اعتبارات الممارسة و النظـم و التطبيق و الحروج على الأسلوب الوصفى المحـدود و إعادة الوحدة إلى الفكر الاسلامى بين النظرية و التطبيق بين علم العقائد و علم الفقه وحتى ترتكز التطبيقات و الممارسات الاجتماعيـة فى كل صورها إلى العقائد والتصورات الأساسية التى تحكمها .

الحروج من دائرة الفهم والنظر الجزئى لأحداث الصدر الأول و نصوصه و ممارساته إلى الفهـم و النظر الكلى الذى يعى عنصر الزمان و المكان فى تلك التصرفات و الأحداث و يربط بين أجزائها و غاياتها و مساراتها التاريخية الكليـة ويوظف الأسلوب التحليلى فى فهم الأمور و وعى دلالاتها ، و بذلك تعود للشاهد حياتها و للأحداث معانيها و للقرارات والأوامر دلالاتها و تزول ذاتية الاحكام و محدوديتها و غيبيتها .

و عندئذ فقط يتخلص الفكر الاسلامى من الأسباب الموضوعية لجوده و يعود إلى مكان الصدارة فى توجيه قرارات القيادة السياسية و الاجتماعيـة و إمدادهـا بالحلول و البدائل و الخطط الرائدة لحسن سير الحياة الاجتماعية و فاعليتها .

الحلقة المفرغة :

و ستبقى الأزمة قائمة و الداء مستفحلا و الاستقرار مفقوداً و العجز متفاقما تتردى به الأمة من هاوية إلى قعر هاوية على بحر هائج من التضحيات و الآلام

ما لم يكسر الطوق و يوضع حد للدوران فى حلقات مفرغة من الحلول الفاشلة البائسة من التقليد الأجنبى أو التاريخى .

إن الحل يكمن بتهيئة الظروف لقرار سياسى بكل تبعاته من قبل الأمة وأخذ نفسها به ثمناً لآلامها و معاناتها و آمالها .

هذا القرار هو إعادة صياغة « التعليم » و « الاعلام » لبناء ثقافة موحدة تكون قيادات إسلامية تؤمن بهذه الثقافة وتتفاعل معها . . فكراً و ممارسة بشكل إيجابى و فعال و توفر قاعدة اجتماعية واسعة و تراقب و تدعم هذا اللون من القيادات .

تعليم يقدم المهارة الفنية و البحث الـ

و لغايات إسلامية .

و إعلام يقدم الترويح و الثقافة و التـ

على أساليب و نماذج تمثل القيم و الغايات الا ـ

إن المهمة فى هذه المرحلة التاريخية تقع على عاتق المفكرين والقيادات الاسلامية فى توضيح طبيعة القرار السياسى المطلوب من الأمة حتى إذا ما اتضحت الغاية و اتضح الطريق و الحل .

أخذت الأمة بكل الأسباب لتحقيق تلك الغاية و مارست الحل بكل الطرق و الأساليب و على كل المستويات الرسمية وغير الرسمية والمباشرة و غيرالمباشرة ، و أقامت محاضن الوحدة الفكرية بكل الأساليب و الوسائل فى التعليم الرسمى و التعليم الخاص و فى سياسة النشر و فى سبل نشر الثقافة و الترويح لها و فى سياسة العمل و التوظيف و فى كل المواقع و بكل الأساليب فى جهاد لا يفنى و عزم و لا ينثنى .

عندئذ يتحقق المسار الصحيح لمسيرة الأمة . . و تحل الأزمة الفكرية فى أسسها و منابعها .

« يتبع »

الدّعوة الإسلاميّة

بين الدنيا و الآخرة

الأستاذ المرحوم محمد الحسني

أحب أن أقول قبل كل شيء : إن هذا الموضوع لم يأت عفواً . لخطته عنوان
كلمة و حاولت أن أضعه موضع البحث و ال
الناس أو أخدع نفسي بل إني تعمدت هذا
مغالطات أليمة قد تبدو خفيفة في الظاهر ول
و تمس نظرتها الخاصة في الدنيا و الآخرة .

إن هذه النقطة كما يعلم الجميع هي النقطة الأساسيـة التي تعين مكانة الانسان في الدنيا و غايته في هذه الحياة ، و تغير وجهته من الدنيا إلى الآخرة ، فلايمكن لأحد أن يبدأ حياته بدون أن يتخذ موقفاً معيناً إزاء هذه المسألة في « النفي أو الاثبات » لأن زلة خفيفة فيها و انحرافاً بسيطاً في فهمها قد تغير صورتها أو تجرح روحها على أقل تقدير ، و تبعدنا آلاف الأميال عن الخط الصحيح .

إن بعض المسلمين قد نشأ فيهم في العصر الأخير أسلوب من التفكير لا يتفق مع روح الاسلام الأصيلة ، و ذلك أنهم يحاولون أن يجمعوا بين الدنيا والآخرة و يسيروا بهما كتفاً بكتف ، و يتمتعوا بمنافعهما في ساعة واحدة ، إن الجمع بين الدين و الدنيا نعمة كبيرة و فضل عظيم ، و الاسلام لا يؤمن بهـــذا التقسيم ، و قد جاء في القرآن الكريم :

« ربنا آتنا فى الدنيا حسنة و فى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » (١) .

و لكنهم أرادوا شيئاً آخر ، إنهم أرادوا أن يجعلوا الدين على كفة ميزان و الدنيا على كفته الأخرى ، و حاولوا أن لا ترجح كفة و لا تنخفض كفة ، فالدنيا لا تقل عندهم أبداً من الدين لأن الاسلام ليس فيه رهبانية ، و يقولون إن هؤلاء الصوفية الذين يقللون دائماً من قيمة الدنيا و يحاولون أن يقلعوا حبها من قلوب الناس هم فى طـــلام من الاسلام الصحيح ، الاسلام الكامل ، إن هؤلاء الناقدين لا يؤثرون الآخرة على الدنيا و لا يتحملون فى سبيلها مشاق ، فاذا وقع عراك مثلا بين مصلحة الدين و مصلحة الدنيا تحيروا و لم يجدوا حلا ، و ربما أساءوا الظن بالدين بأنه لا يستطيع أن يجارى الدنيا وأنه يحول بين الناس و بين شهواتهم ، أقول إنها مغالطة نبعت من عدم الاطلاع على حكم الاسلام فى هـــذه القضية الكبرى ، إنهم لم يعلموا بدقة وضبط كيف يعاملون الدنيا و كيف يعاملون الآخرة ؟ و كيف يعملون للدنيا و كيف يعملون للآخرة ؟ و ما هى مكانة الدنيا فى نظر الاسلام ؟ و كيف نجمع بينهما ؟ و ماذا يعنى الاسلام بالجمـــع ؟ لأنهم لم يتفكروا فى هذا الأمر و لم يرجعوا إلى مصادر الدين الصحيحة حتى تهديهم إلى الصواب و ترشدهم إلى الحق المبين .

ماذا يريد القوم بذلك ؟ هل هم يحبون أن يتمتعوا بالحياة و يتعمقوا فيها ، بل يتمرغوا فيها كما يفعل الناس فى هـــذا العصر ، و بجانب آخر يتمكنون من الوصول إل آخر درجة من الزهـــد و التقوى ، و الطهر و العفاف ، و الصدق و الأمانة ، و الطاعة و العبادة ، إلى آخر ما يقتضى الدين ، و يتمتعون بثمراتها فى الحياة الآخرة كما استمتعوا بطيباتها فى حياتهم الدنيا ، فانى أشير عليهم أن يسألوا القرآن ماذا يقول فى هذا الشأن ؟

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٠١ .

إن الاسلام لایقر التقسیم الذی آمنت به المسیحیة «أعطوا لقیصر ما لقیصر وأعطوا لله ما لله» إنه یقضی علی الرهبانیة و یقول : «لا رهبانیة فی الاسلام» أنه لا یحسب هذه الحیاة سلاسل و أغلالا من الحدید و النار یجب أن نتحرر منها فی أقرب فرصة ، و لا یحسبها قفصا من الذهب قد حال بیننا و بین الطیران فی أجواء الروح الفسیحة .

و فی ناحیة أخری إنه لا یرضی أن یری الحیاة ساحة مشاعة مطلقة من سائر الحدود و القیود ویری الدنیا غابة مطلقة تتحکم فیها السباع والذئاب والأسود و لا یعتبرها «فرصة ثمینة» لارضاء الشهوات

إنه یعطی الشعوب نظرة خاصة وفکرة م[illegible]

العقل البشری ، إنه یعد هذه الحیاة مزرعة

أهمیتها ، إنه یراها جسراً لا بد لنا أن نعبره فی سبیل [illegible]

أداة محترمة فی سبیل الوصول إلی الغایات الرشیدة ، ولکنها علی کل حال أداة لا ینبغی أن نتخذها غایة رغبتنا و أکبر همنا و مبلغ علمنا ، کما جاء فی دعاء النبی ﷺ (١) إنه لا ینکرها ولا یکرهها کبعض الدیانات السابقة المعاکسة للفطرة الانسانیة ، و لا یقدسها ویعبدها و یعکف علیها کدیانة المادیة الحدیثة ، إنه یرسم حدود «الدنیا و الآخرة» بعلامات و فواصل یجب أن نعرفها و نقف عندها ، الآخرة عنده دائماً فی الدرجة الأولی لأنها حیاة غیر فانیة فإذا أضعنا تلك الحیاة الخالدة من أجل هذه الفترة القصیرة من العمر فهذا خطأ منا فی المقارنة بین الربح و الخسران ، و سوء تقدیر للمیزان ، الآخرة دائماً فی الدرجة الأولی لأن عذابها

(١) کان من دعاء النبی ﷺ «اللهم لاتجعل الدنیا أکبر همنا و لا مبلغ علمنا و لا غایة رغبتنا» .

خالد و نعمتها خالدة ، و إنه من فتور العقل أن نؤثر النعمة التى تفنى على التى تبقى ، و نرجح الذى يزول على الذى لا يزول .

فليست المسألة إذا مسألة جمع بين الدين و الدنيا ، إنما هى مسألة إيثار و ترجيح ، إن الاسلام لا يدع الدنيا قائمـة بذاتها ، إنه يحللها فى نفسه و يجعلها عبادة و يتحكم فيها و يستخدمها حسب إرادته و قوته .

إنه لايؤيد هذا النوع من الجمع الذى يسيطر فيه المال على القلب والروح و الأعصاب ، و يحتل المركز الأول فى الحياة و يشغل الدين ركنا ضئيـلا فى غضون الرأس ، إنه يسمح للمال أن نضعه على راحة يد أو فى داخل جيب ، أما داخل القلب فلا

أما إذا أردنا أن نساوى بين الدين و الدنيا فى الأهمية فلا نحتمل نقصانا فى الدنيا لحساب الدين ، و لا نرضى بترك الدنيا لأجل الدين . أما إذا أردنا أن نصلى للدين ساعة و نصلى للدنيا ساعات ، و نعبد الله مرة و نعبد المـال مرات ، فاذا طالبنا الاسلام أن نتحمل خسارة ماليـة فى سبيله أو نكبح جماح شهواتنا و نخفض مستوى حياتنا لأجله شق ذلك على النفس ، ورأيناه رهبانية وتقشفا ، فانهـا مغـالطة يجب أن نصححهـا فى أول فرصة .

و كيف يمكن أن تتساوى الدنيا و الآخرة و عمر الفرد على هذا الكوكب الأرضى محدود ، فلا يتجاوز ١٠٠ سنة على الاكثر ، و حياته فى الآخرة خالدة غير محدودة غارقة فى الأبد .

آمال الفرد فى هذه الحياة طامحة و رغباته متوفرة و تمنياته متنوعة ، إنه يحب أن يمس كل جميل ويذوق كل لذيذ و يتمتع بكل نوع من أنواع الراحة والهناء و يفعل ما يشاء فخلقت له « الآخرة » وأخفى له فيها كل ما تقر به العين و يلذ

به النظر و يطرب له القلب .

إذا تمتعت مائة سنة فى هذه الدنيا من نعيمها الذى تخلطه الكلفة ، و ابتسامتها التى تعقبها الدمعة ، و حرمت ذلك النعيم الأبدى الشامل الذى يمتـد إلى ملايين الملايين من العصور و الأحقاب ، فهل تجدك سعيداً بهذا يا ترى ؟

هذه هى وجهة نظر الاسلام فى هذه المسألة ، واضحة لا غموض فيها و لا التواء ، صافية مشرقة ليس عليها غبار ، حقيقة إنسانية يسيغها كل عقل ولايختلف فيها اثنان .

إنه ينبغى أن لا ننسى أن قيمة هذه الحياة

(RELATIVE) إننا لا نحب هـذه الحيـ

لانحب المال لأن المال شىء يستحق أن نحبه و

لا نحب هذا الكون لأنه فائض بالقوة و الجما

متقن غاية الاتقان ، إنما الشىء الذى يهب هذه الحياة و هذا الكون قوة ومكانة أنها نعمة من الله سبحانه و وسيلة إلى الوصول إليه : « كلوا من طيبات مارزقناكم و اشكروا لله » (١) « أنفقوا مما رزقناكم » (٢) .

هذه الفكرة حول الكون و الحياة و الانسان تطلب من الناس أن يتمتعوا بهذا العالم بالمعروف و يكون أكبر همهم و أنبل أهدافهـــــم الدعوة إلى الله و الرجوع إليه وإنشاء المجتمع الانسانى كله على هذه الأسس الصحيحة المتينة .

الدين عندهم دائماً فى النقطة الأولى ، فاذا وقع هناك اصطدام بين شهوة النفس ومصلحة الدين آثروا الدين ولم يترددوا ولم يرتابوا ، لأنهم خلقوا لهدف آخر أسمى من هذه

---

(١) البقرة : ١٧٢ .

(٢) البقرة : ٢٥٤ .

الأهداف المادية الضئيلة والمآرب التافهة ، إنهم يرجحون دائماً كفة الآخرة لأنها الخالدة الباقية و هي دار القرار « وإن الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون » (١) هذه الفكرة تسيطر على جميع مشاعرهم و عواطفهم ، و تدفعهم إلى أن يبذلوا لها كل جهد و لا يدخروا لها وسعاً و يحنوا إليها كأنهم منها على موعد و كأنهم فى انتظار ، و هذا هو الفرق الأساسى بين أسلوب التفكير و الميل الطبعى الذى نراه بين هذه الطبقة التى أشرت إليها و بين هذه الطبقة التى درست القرآن كما يجب أن يدرس ، و فقهت السنة كما يجب أن تفقه ، واستمدت منهما النور فى تفكيرها و سلوكها ، ومنهج حياتها كلها ، وأختم هذا المقال بكلام الامام أبى حامد الغزالى ، فقد أجاد فى وصف هذه الناحية الهامة بقلمه البليغ القوى فيما قال فى الاحياء :

« إن أقل درجات العالم أن يدرك حقارة الدنيا و خستها و كدورتها و انصرامها ، و عظم الآخرة و دوامها ، و صفاء نعيمها و جلالة ملكها ، ويعلم أنهما متضادتان و أنهما كالضرتين مهما أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى ، وأنهما ككفتى الميزان مهما رجحت إحداهما خفت الأخرى ، و أنهما كالمشرق و المغرب مهما قربت من أحدهما بعدت عن الآخر ، و أنهما كقدحين أحدهما مملوء والآخر فارغ ، فبقدر ما تصب منه فى الآخر حتى يمتلىء يفرغ الآخر ، فان من لا يعرف حقارة الدنيا و كدورتها و امتزاج لذاتها بألمها ، ثم انصرام ما يصفو منها ، فهو فاسد العقل فان المشاهدة و التجربة ترشد إلى ذلك ،

و من لا يعلم مضادة الدنيا للآخرة و أن الجمع بينهما طمع فى غير مطمع فهو جاهل بشرائع الأنبياء كلهم بل كافر بالقرآن كله من أوله إلى آخره ، فكيف يعد من زمرة العلماء ، و من علم هذا كله ثم يؤثر الدنيا على الآخرة فهو أسير الشيطان ، قد أهلكته شهوته وغلبت عليه شقوته ، فكيف يعد من حزب العلماء » .

---

(١) العنكبوت : ٦٤

تعليم المسلمين و تربيتهم العامة

سماحة الشيخ السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى
تعريب : الأستاد شمس الحق الندوى

الايمان و الاحتساب :

يشترط الايمان و الاحتساب فى كثير

رواه البخارى « من صام رمضان إيماناً و

و فى حديث آخر « من قام ليلة القدر إيما

فى هذين الحـــديثين كليهما تشير بمغفرة المعاصى لمن صام رمضان و قام ليـــلة القدر إيماناً و احتساباً ، و المراد من الايمـان أن يكون المؤمن و اثقاً بموعود الله ، و مؤمناً بأن الله قادر على أن يضع فى الأعمال ما شاء من الخواص ، وقد علم من أحاديث النبى ﷺ أن الله وضع فى الأعمال خواص . ومعنى الاحتساب أن أن يكون وعد الله ماثلا أمام الأعين لدى الامتثال بالأمر و القيام بالعمل و أن يكون راغباً فيه و طامعاً له .

و لا شك أن هذين الشيئين روح الأعمال ، و بهذين تزداد الأعمال قيمة و وزناً .

و قد ذكر هذا الايمان و الاحتساب فى حديث من صحيح البخارى بشرح و وضوح .

« عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما ، قال قال رسول الله

ﷺ أربعون خصلة أعلاها منيحة العنز ، ما من عامل يعمل بخصلة منها رجاء ثوابها و تصديق موعودها إلا أدخله الله بها الجنة » .

من اطلع على سير أصحاب النبي ﷺ عرف بوضوح أنهم كانوا يمتازون فى هذين الجانبين اللذين زادا قيمة أعمالهم وربما يمكن أن يفوقهم المتأخرون فى العمل ولكن كفة أعمالهم لا تزال راجحة إذ صار الايمان والاحتساب طبيعة لهم بتأثير صحبة النبي ﷺ ، و لذا يقول علماء العقائد ليست فضيلة أصحاب النبى ﷺ بكثرة العمل ، بل بكثرة الأجر ، قال الحسن البصرى رضى الله عنه : « و الله ما كانوا أكثر صلاة و لا صياما و لكنـــه شيء وقر فى القلب » و لعل هذا الشيء هو الايمان و الاحتساب .

و قد فهم الشيخ محمد إلياس هذه النكتة جيداً ، فركز حركته حول هذا المحور ، يقول رحمه الله فى رسالة له .

« إن باطن الدين هو الايمان والاحتساب لذلك يذكر فى كثير من الأعمال بصراحة « إيماناً و احتساباً » إذاً فاستحضار ما ورد من الفضيـــلة لدى كل عمل و معرفة عظمة الله و كبريائه و الرقى فى قربه و اليقين به ، ثم ما وعد الله على هذه الأعمال من المصالح الدينية و الدنيوية و الجزاء و الثواب الكريم ، فاليقين به عطاء لا عوضاً ـ هو الباطن .

يقول الشيخ فى مناسبة أخرى : لا قيمة للأعمال بذاتها بل القيمة فى الحقيقة بالامتثال بها بهذه الرابطة التى تربط العبد بربه فتزداد الأعمال قيمة باعتبار عاطفة القلب و الأريحية التى هى باعثها و محركها ، فمهما ازدادت الأعمال بطمأنينة القلب و الاعتصام بحبل الفضائل التى وردت فيها ، تزداد قيمة و قبولا عند الله .

إننا إذا فكرنا و أمعنا النظر لوصلنا إلى نتيجـــة أن ليس المقصود بالعمل

الأعمال و لا ما يتعلق بها من الأمور ، بل المقصود هو الوصول إلى الله تعالى مشتغلا بهذه الأعمال و السعى فيها ، و كتب فى رسالة أخرى :

« لا بد من مطالعة هذه النصوص وتكرار النظر فيها التى وردت فى العادات و الأذكار واليقين بما وعد الله من الأجر و الثواب الجزيل بالعمل بها والمواظبة عليها بالسعى والجهد المتواصل ، و الغرض الأصيل فى السعى فى حصول اليقين على وعد الله عز وجل ، و ليست علاقة اليقين إلا بالقلب ، فاليقين إذاً كالقلب لهذه العبادات و كل أمل للرقى الروحانى متعلق بها » .

يستطيع الانسان أن يجعل حياته دهماً
أن يجعل الحياة عادة بما فيها من الشواغل
وهو ذاكر بما ورد فى النصوص لهذه الأ...
عليها ، و لكن كما قال الشيخ محمد إلياس .

من سنة الله تعالى أن الانسان بقدر ما يشتغل فى الامتثال بمقتضيات كلمة لا إله بخشوع قلبه فى الصلاة ، يزداد استعداده لقبول ذلك كله (فأتوا البيوت من أبوابها) هذه الأعمال هى أبواب للوصول إليها فالاشتغال بها يوصل الانسان إلى هذا المقام من العرفان ، فاذا وصل إليه بالأذكار النفلية وصل بقدر النفل ، أما الوصول إليه بالفرائض فيكون بمثابة الوصول إليه بواسطة الملك .

و فى القرن الماضى أحيى الشيخ الامام أحمد بن عرفان هذا الطريق باسم الطريق المحمدى ، إنه قال : إننا نعلم الطريقة أشغال المحمدية ، بأن تكون نية الانسان فى أكله ولباسه ، فى زراعته وتجارته و وظيفته ، وفقا بما قال النبى ﷺ فى ذلك كله ، إن هذا التبليغ وهذا السعى للعلم و الدين . و هذا الجهد والاجتهاد فى سبيل نشر الدين أحسن وسيلة للحصول على الايمان والاحتساب و الاخلاص .

الايمان و الاحتساب هما روح هذا التبليغ ليس غير ، يقول الشيخ محمد إلياس فى كتاب له :

لايكون السعى فى إعلاء كلمة الله ونشر وحيه إلا على يقين أن الله هو مولانا ، وليس عملنا هذا إلا لطلب مرضاته ، وعلى يقين أنه زاد لنا بعد الموت ، و ليس تحقق موعود الله إلا مرتبطاً بهـــذه الحيـاة ، إن الحصر فى « أولئك يرجون رحمة الله » ليس بشاهد على هذا فقط بل مؤيد بمآت من الآيات القرآنية .

فلابد لهذا الايمان والاحتساب أن لايكون النظر على المصالح ، وهداية الخلق ، بل أن يكون جهده المستطاع للحصول على رضا الله تعالى و الامتثال بحكمه ، وأن تكون عظمته وهيبته ، خطابه و وقاره هى نصب عين العبد ، يقول الشيخ محمد إلياس فى كتابه له :

أن يلقى الرجل سفينة جهده فى بحر العمل واثقاً بالله وبنفسه وبقلبه مبرءاً ومنزهاً حياته و مساعيه ، هذا هو روح الدين ، وبعد العمل تظهر المصالح التة ، و تبدو المصالح و يراها العامل رأى العين ، فاذا كانت المصالح تتبرز ، و المصالح تتغلب سقط أجر هذه المساعى إلى ألف درجة و قلت قيمتها ، إن وقعة بدر أمام أهل البصيرة ، مع أن مساعى أولئك الذين جاهدوا بعد بدر كثيرة ، ولكنها لاتساوى درجة السابقين ، والمثال الثانى فتح مكة إذ ذكر فى سورة الحديد بصراحة «لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل » ونحن مقصرون فى معرفة قدرته وحقانيته ، لو قمنا لأمر الله يوماً نحدد سعينا بقدر ما حددنا منافعه بعقلنا الذى هو قاصر فى بلوغ مداه ، و الله يقول : « أنا عند ظن عدى بى » فلا تجدون من عند الله إلا ما ظننتم به ، فنحن نقلل عوض سعينا بتحديد منافعه و لم يكن للعقل إلا أن يواصل السعى إيماناً بقوله تعالى : « لايضيع أجر المحسنين » نواصل الجد و السعى

بجهدنا المستطاع ونتمنى أن نبلغ فى هذا الجهد إلى أن يظن الناس بنا مساً من الجنون مع اعتقادنا أن البقاء فى تفانينا لهذا الغرض، تتذوق به فى الدنيا طعم الجنة والنعيم، فلو سعينا لاحياء السنة الصحيحة فلا مانع بفضل الله الخالد و نعمه السرمدية، كما قال الشاعر الأردى شهيدى .

لقد عم لطف الله و كرمه الجميع ، ولو عرفت أنت قيمة نفسك وأكرمتها لم تجد مانعاً عن ذلك .

فمن خرج فى سبيل الله مبلغاً فليصرف النظر عن هداية أولئك الذين ذهب إليهم إذ جعل الله الهداية بيده والسعى على عباده ، لكن لا

فى هذا السبيل أو ينقص أجره ، بل عل

التبليغ أن لايكون نظره إلا على أداء الو

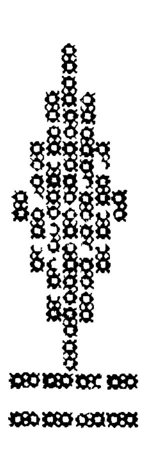
ليس من واجبات الخارجين فى سبيل الله .

لا تخلو ساعة من ساعاتهم من الذكر و الفكر فى الخلوة

و صعب جداً أن يكون النظر على إصلاح نفسه و عائدتها و أن يعد شغله و امتثاله بأمر الله الفوز والنجاح بدلا من هداية الآخرين ، ولكن كما قال الشيخ محمد إلياس : بنسبة فضل العالم على الجاهل يزداد خطاب الله بهـــذا العالم ، وبهذا الاعتبار واجب العالم فى الذهاب إلى الجاهل لاصلاحه و إرشاده أكثر وأكبر من واجب الجاهل فى قدومه إلى العالم طلباً لاصلاحه ، و لكن العامل يرى من واجب الجاهل القبول بما يقدم إليـــــــه من أمور الهداية ، لذا يحسب قبول الجاهل دعوته نجاحاً فى عمله وسعيه ، وهذا خطأ ، فلو رأى أداء فريضة الدعوة من واجبه لرأى النجاح فى أدائه . أما الفكر ليس بأمر صعب و هو أن يجلس فى الخـــلوة و يخاطب نفسه قائلا : إن هذا العمل يرضى الرب ، و إن الموت الذى لاشك فى وقوعه سيصلح الحياة النفسانية و يتيقن بصدق « الدال على الخير كفاعـله »

فكل ما يتعاقب من الأجر و الثواب كنتيجة لهـذا العمل يكون مؤدياً إلى رضا الله تعالى ، و مع ذلك لا بد للانسان أن يعرف ما هى قيمـة رضا الرب الذى نصب عينه هو ، فقال تعالى : « ورضوان من الله أكبر » فعليه أن يفكر فى هذا الموضوع فى الخلوة ، و يسعى أن يكون هذا الفكر غالباً عليه .

كتب إلى الشيخ محمد إلياس أحد المعجبين به : إننى أخرج فى سبيل التبليغ ولكن لا أجد فى نفسى حماساً . فرد عليه الشيخ : كتبتم أنكم لا تشعرون بالعاطفة القوية و الحماس فى الدعوة ، فأنا مغتبط بهذه الحالة ، إن حقيقة امتثال أمر الله للمؤمن أن يكون متقلا بيقين حكم الله و عظمته إلى حـــــــد أن يغلب هذا اليقين على العاطفة ، إن العاطفة تتولد بالطبيعة فاذا كانت العاطفة متغلبة فصار هذا الحب حباً طبيعيا ، و إذا كان هذا بشعور عظمة الامتثال بأمر الله و واجبه فهو حب عقلى و حب إيمانى ، ثم إذا تولدت مع ذلك العاطفة والرغبة فهى نعمة يجب الشكر عليها و لكن ليس بلازم أن يعنى به ، و الاستقامة مرجوة بهذه الصورة التى ذكرتموها فى كتابكم .



الشرق بين تقليد و تخلف

الأستاذ محمد الرابع الندوى
رئيس كلية اللغة العربية بجامعة ندوة العلماء

إن العالم الاسلامى كلــه مصاب اليوم
الاسلامية على المثل الاسلامية العلياء ،
فى كل الأوساط من هذا العالم المسكين
الغرب ، واكتسحت هذه الموجة أوكادت
السمحاء ، و بدأنا نحن نتأسف الآن على الخسارة ، لأننا بدأنا نجنى ثمارها المرة من صابها وعلقمها . ونتلقى ضربات أعدائنا موة وشدة ، و أن هزيمة فلسطين وغيرها جزء من أجزاء هذه الخسارة و الحقيقة المرة ، إنه لا شك أن العـالم الاسلامى كان قبل عقود من السنين مصاباً بالغفلة و الترهل و الجهل ، و هى أمور جعلته متخلفاً ضعيفاً أمام شعوب الغرب و بلدانه ، فلم يكن الشرق يعنى بالنبوغ فى العلوم التجريبية ، و فى السعى لتسخير القوى الكونية حتى يمكن لأقطاره المختلفة أن تصمد بقوة و جدارة أمام تحديات العصر ، و الغزو الاستعمارى الغربى أيضاً ، و لقد كان على هذا الأساس وحده ما كان من تنبيه زعماء المسلمين و من إيقاظهم لهمم الجماهير المسلمة ، وأمرهم لها بأخذ أسباب القوة والعلم ، حتى لا تبقى هذه الأقطار الشرقية حقلا ينتفع به الغرب ، و يستغله لخير بلاده ، بعد أن كان الغرب الناهض

قد ألقى بجرانه ، و وضع كلكله على صدر الأقطار الشرقية و الاسلامية ، ثم لم يرد بعد ذلك مغادرتها إلى أوطانه تاركا لهذه الأقطار و شعوبها ، حريتها و استقلالها ومصايرها فى أيدى أبنائها .

ثم إن الغرب و تلاميذه الأوفياء استغلوا و أساءوا استخدام النداء إلى النهوض والقوة والأخذ بأسباب العلم ، واستغلوا شعور الشرق بضرورة النهضة العلمية والتجربية فى الشرق لمنافعهم الاستعمارية و المادية ، بما كانوا يضمرونه من الشر للشرق و الاسلام منذ القديم ، و كانوا يرونه مجالا حسناً ، غنياً للانتفاع و الاستغلال ، و كان المسلمون و بلادهم أشد من استهدفهم الغرب لهذا الغرض ، و لذلك ابتلى العالم الاسلامى ببلاء و محن كبيرة ، محن فى دينه و فى ثقافته ، و فى أفكاره و عقليته ، و كان هدفاً أكبر لمعاداة الغرب .

أثرت مكايد الغرب و مكايد تلاميذه الشيطانية فى العالم الاسلامى تأثيراً كبيراً ، و أقبل الناس يستقبلون كل شىء يأتى إليهم من الغرب بسذاجة و حب و إخلاص بدون أن يدققوا النظر فى الصحيح و السقيم ، أو الطيب و الخبيث و بدون أن يفصلوا بواطن الوارد عن ظواهره ، و يميزوا دواخله عن خوارجه .

و مر العالم الاسلامى بذلك فى فترة وجيزة أخيرة من خلال تجربة ثقافية وفكرية رهيبة ، تجربة جردت الأمة الاسلامية من كثير من خصائصها ، وأحلت محلها خصائص جديدة أخرى ، وانتشرت فى العالم الاسلامى نظريات جديدة ، وأفكار جديدة وميول ورغبات جديدة ، واتجاهات لم يكن العالم الاسلامى قد عهدها من قبل ، فكانت تجربة ثقافية وفكرية رهيبة من غير شك ، ولو أن الأمر يكون قد توقف على الاستفادة فيما يتفوق به الغرب على الشرق من المنجزات العلمية والتجربية وتسخير القوى الكونية فحسب ، لكان ذلك خيراً للشرق المتخلف الضعيف ، لأن ذلك كان ضامناً لانعاشه و انهاضه فى مجالات القوة و العلم و المعرفة الكونية ، و قد كان

ذلك ضرورياً ضرورة مؤكدة له . و لكن الأمر مع الأسف لم يكن كذلك بل إنما تجاوزه إلى لون من التقليد السطحى المشين، لون أحدث فيه الصفاقة والغباوة و الابتذال ، و لم توجد فيه الحدية و الحزامة و الوقار ، فلم يأت هذا التقليد إلا فى المشابهة بالغرب فى مظاهر الحياة و قشورها ، و فى توافهها و دناياها ، أما ما ينفع الشرق فى مجالات القوة و العلم والمعجزات الغربية فدام الشرق صفر اليدين منه إلى حد بعيد .

و قد ظهرت بذلك فى الشرق مفارقات عجيبة فى كل مجال من مجالات الحياة
و هى مفـارقات نشأ فيها الجيل الحاضر
تبقى هذه المفارقات ما دام الشرق لا يمص
الغباوة و البلادة فى تقليد الغرب و إح

و قد استخدم الغرب للوصول إلى أغراضه ى سرق إى وسيلتين . الاولى منهما هم تلاميذه الأوفياء ، الذين قد تخرجوا على مدرسته و نهلوا من المناهل التى صنعها الغرب لهذا الغرض ، والوسيلة الأخرى هى الكلمات و المصطلحات الأدبية و الثقافية الكثيرة ، التى اتخذها الغرب أقوى حبالته لاقتناص العقول الشرقيــة و خداع الجماهير المتخلفة البسيطة ، و مصطلحات و ألفاظ يستعملها اليوم تلاميـذ الغرب الأوفياء فى كل أنحاء العالم الاسلامى ، ويستخدمونها لمآربهم الشيطانية ومآرب الغرب الاستعمارية و الاستغلالية ، سواء كانت رأسمالية أم اشتراكية ، فانها ألوان مختلفة لأغراض خسيسة معينة ، فانهم يقولون « تقدمية » و يقولون « حرية » ، و يقولون « فن » و يقولون « رقى و حضارة » و لكن ما معناهـا ؟ هل هى تقدميـة فى مجالات الخير ؟ و هل هى حرية من أغلال الفساد و الشر ؟ و هل

هو فن لصناعة الفضيلة ؟ و هل هو رقى إلى المجد المطلوب ؟ و هل هى حضارة الانسانية وجمال السيرة ؟ لا إنه ليس أى شىء من هذا بل إنما هو الخروج عن المآثر القديمة ، لأنها عندهم هو التخلف والخروج عن كل تقليد شريف ، لأنه عندهم هو الأسر والاعتقال ، أما الفن فعندهم هو الاتيان بكل دعارة و مجون ، و الرقى و الحضارة عندهم هما الأخذ بكل أسباب المادية الفاسقة الكافرة مما راجت وتروج كل يوم فى العالم المعاصر .

لقد جنت هذه المصطلحات و الألفاظ الخادعة على الأمة الاسلامية والأمم الشرقية جميعاً جناية كبيرة ، و خدعتها خدعة عظيمـــة ، و أبعدتها عن خصائصها و مقدساتها ، وأسس حياتها الطيبة ، إنها من حبائل الغرب الثقافية والفكرية الحديدة الناجحة ، يجب أن يفطن لها الشرق و لا ينخدع بها ، و يجب أن يعرف الشرق أنه لا تزال فيه بقية الخير ، و حب الفضيلة ، ولذلك نفسه يستخدم الغرب وأتباعه هذه المصطلحات و الألفاظ ، لأن الشرق لا يزال يرفض الشر و لا يقبله ، إلا إذا انخدع و وقع فى خديعة و مكر ، إن هذه المصطلحات و الألفاظ ليست إلا لافتات جميلة ، يتستر وراءها هؤلاء المنافقون ليعيثوا فى أمم الشرق بما أرادوه من تحلل و تشكك وتهتك و فساد ، و يحولوا بذلك مجتمعاته إلى مجتمعات لا قيمة لها ولا قداسة لها فى الحياة ، و هم يتقدمون فى ذلك إلى النجاح قليلا قليلا ، ويتجرد العالم الاسلامى بجهود هؤلاء من أسمى المعانى الشرقية والايمان مع تيار الزمن قليلا قليلا أيضاً ، و لا تفطن الجماهير لما يحاك حولها من حبائل الشيطان .

إنه يجب أن نعلم أن الثقة التى منحتها الجماهير الشرقية زعماء الغرب وتلاميذهم فى الشرق ممن امتطوا صهوة جواد الحكم ، و الزعامة فى بلاد الشرق اليوم ليست

سلعة رخيصة تباع على يد كل طالب ، و إن المسؤلية القيادية العظيمة التى استقلها هؤلاء الزعماء البغاوون المتولفون فى تقليد الغرب ليست شيئاً هيناً يوهب لكل من يريده .

إنه يجب أن لا يعطى هذه المهنة الغالية و أن لا يمنح هذه المسؤلية العظيمة إلا أناس فيهم إخلاص صادق لمصالح أمتهم وأمانة صادقة لرسالتها فى التاريخ و فى الحياة ، و وفاء صادق لمتطلبات دينها و تراثها

و لكن المؤسف المحزن أن ثقة جماهيرنا "ب

القيادة قد أصبحا شيئاً هيناً غير ذى بال يمكن

ثم يستغلها لخير الأعداء و الخصم

و ما دامت جماهير الشرق لا تسهر حتى .

مريب وغير مريب لا يرجى لها التخلص من أسر هؤلاء الزعماء المفسدين ، و لا ترجى لها النجاة من سوء الذى لحق العالم الاسلامى اليوم

دراسات وأبحاث

دراسة عن معجزة القرآن الكريم

(الحلقة الثانية)

الأستاد محمود أحمد شاكر

و قد ابتليت أنا بمحنة « الشعر الجاهل

طالباً فى الجامعة ، و دارت بى الأيام حتى

على صحة « الشعر الجاهلى » لا عن طريق رو

هى ألصق بأمر « إعجاز القرآن » فانى محصت ما محصـ

وجدته يحمل هو نفسه فى نفسه أدلة صحته وثبوته ، إذ تبينت فيه قدرة خارقة على « البيان » و تكشف لى عن روائع كثيرة لا تحد ، و إذا هو علم فريد منصوب لا فى أدب العربية وحدها ، بل فى آداب الأمم قبل الاسلام و بعـــد الاسلام ، و هذا الانفراد المطلق ، ولاسيما انفراده بخصائصه عن كل شعر بعـده من شعر العرب أنفسهم ، هو وحده دليل كاف على صحته و ثبوته .

ولقد شغلنى « إعجاز القرآن » كما شغل العقل الحديث ، و لكن شغلنى أيضاً هذا « الشعر الجاهلى » وشغلنى أصحابه فأدى بى طول الاختبار والامتحان والمدارسة إلى هذا المذهب الذى ذهبت إليه ، حتى صار عندى دليلا كافياً على صحته وثبوته ، فأصحابه الذين ذهبوا و درجوا و تبددت فى الثرى أعيانهم ، رأيتهم فى هذا الشعر أحياناً يغدون ويروحون ، رأيت شابهم ينزو به جهله ، وشيخهم تدلف به حكمته ،

ورأيت راضيهم يستنير وجهه حتى يشرق ، وغاضبهم تربد سحنته حتى تظلم ، ورأيت الرجل و صديقه ، و الرجل وصاحبته ، و الرجل الطريد ليس معه أحد ، ورأيت الفارس على جواده ، والعادى على رجليه ، ورأيت الجماعات فى مبداهم ومحضرهم ، فسمعت غزل عشاقهم ، ودلال فتياتهم ، ولاحت لى نيرانهم و هم يصطلون ، وسمعت أنين باكيهم و هم للفراق مزمعون ، كل ذلك رأيته وسمعته من خلال ألفاظ هذا الشعر ، حتى سمعت فى لفظ الشعر همس الهامس ، وبحة المستكين ، وزفرة الواجد ، وصرخة الفزع ، و حتى مثلوا بشعرهم نصب عينى ، كأنى لم أفقدهم طرفة عين ، ولم أفقد منازلهم ومعاهدهم ، و لم تغب عنى مذاهبهم فى الأرض ، ولا مما أحسوا ووجدوا ، ولا مما سمعوا وأدركوا ، ولا مما قاسوا وعانوا ، ولا خفى عنى شىء مما يكون به الحى حياً فى هذه الأرض التى بقيت فى التاريخ معروفة باسم « جزيرة العرب » .

و هذا الذى أفضيت إليه من صفة الشعر الجاهلى كما عرفته ، أمر ممكن لمن اتخذ لهده المعرفة أسبابها ، بلا خلط و لا لبس و لا تهاون و لا ملل ، و هذه المعرفة هى أول الطريق إلى دراسة شعر أهل الجاهلية ، من الوجه الذى يتيح لنا أن نستخلص منه دلالته على أنه شعر قد انفرد بخصائصه عن كل شعر جاء بعده من شعر أهل الاسلام ، فاذا صح ذلك ، وهو عندى صحيح لا أشك فيه ، وجب أن ندرس هذا الشعر دراسة متعمقة ، ملتمسين فيه هذه القدرة البيانية التى يمتاز بها أهل الجاهلية عمن جاء بعدهم ، و مستنبطين من ضروب البيان المختلفة التى أطاقتها قوى لغتهم و ألسنتهم ، فاذا تم لنا ذلك فمن الممكن القريب يومئذ أن نتلمس فى القرآن الذى أعجزهم بيانه ، خصائص هذا البيان المفارق لبيان البشر .

وهاهنا أمر له خطر عظيم ، فلا تظنن أن الشأن فى دراسة « الشعر الجاهلى » هو شأن المعانى التى تناولها ، و الأغراض التى قيل فيها ، و الصور التى انطوى

عليها ، و اللغة التى استخدمها من حيث الفصاحة و العذوبة و ما يجرى مجراهما ، بل الشأن فى ذلك أبعد و أعمق و أعوص ، إنه تمييز القدرة على البيان ، وتجريد ضروب هذا « البيان » على اختلافها ، واستخلاص الخصائص التى أتاحت للغتهم أن تكون معدنا للسمو ، بالابانة عن جوهر إحساسهم ، سموا يجعل للكلام حياة كنفخ الروح فى الجسد القائم ، و كقوة الابصار فى العين الجامدة ، و كسجية النطق فى البضعة المتجلجلة المسماة باللسان

فاذا اتخذنا لهذه الدراسة أهبتها ، و أعددنا لها من الصبر و الجد و الحذر ما ينبغى لها ، واللسان لساننا ، والقوم أسلافنا ، و" '
ثم أصلنا للدراسة مناهج تعين عليها ، واستحد
نراه بعيـــداً ، و يتجلى لنا ما كان غامضاً ،
أروع روائعه ، و يبذل لنا ما استكن فيه و
بغير تخصيص للغة العرب ، فنراها ماثلة على أدق وجوهـــه و أغمضها ، و فى أتم صورة و أكملها .

وهذا الذى أفضت فيه من ذكر « الشعر الجاهلى » و ما وجدته فيه فى نفسى باب عظيم ، أسأل الله أن يعيننى بحوله و قوته ، حتى أكتشف عنه و أجليـه ، و حتى أؤيده بكل برهان قاطع على تميزه عن كل شعر العرب بعده ، وبذلك يكون نفسه دليلا حاسماً على صحة روايته ، وعلى أن الرواة لم ينحلوه الشعراء افتراء عليهم .

وغير خاف أن الذى وصلنا إلى هذا اليوم من شعر الجاهلية ، قليل مما روته الرواة منه ، و الرواة القدماء أنفسهم لم يصلهم من شعرها إلا الذى قال أبو عمرو ابن العلاء ، فى أوائل القرن الثانى من الهجرة . « ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله ، و لو جاءكم وافراً لجاءكم علم و شعر كثير » و مع ذلك فهـذا القليل مجزىء إن شاء الله فى الدلالة على ما نريد من الابانة عن تميز شعرهم عن شعر من

جاء بعدهم ، و فيه جم واف من خصائص البيان التى امتاز بها أهل الجاهلية .

ولكن كيف بقى هذا الشعر إلى يومنا هذا ؟ بقى مادة للغة العرب ، وشاهداً على حرف من العربية ، و على باب من النحو ، و على نكتة فى البلاغة ، و بقى ذخراً للرواة ، و ركازاً يستمد منـــه شعراء الاسلام ، و منبعاً لتاريخ العرب فى الجاهلية ، بل بقى كنزاً لعلوم العرب جميعاً ، و لكن علم منه نصيب على قـدره ، ولكن غاب عنا أعظم ما بقى له هذا الشعر ، أن يكون مادة لدراسة البيان المفطور فى طبائع البشر ، مقارناً بهذا البيان الذى فات طاقة بلغاء الجاهليـــة ، و كانت له خصائص ظاهرة ، تجعل كل مقتدر بليغ مبين ، و كل متذوق للبلاغـة و البيان ، لا يملك إلا الاقرار له ، بأنه من غير جنس ما يعهده سمعه ودوقه ، و أن مبلغه إلى الناس نبي مرسل ، و أنه لا يطيق أن يختلقـــه أو يفتريه لأنه بشر لا يدخل فى طوقه إلا ما يدخل مثله فى طوق البشر ، وأنه إن تقول غير ما أمر بتبليغه وتلاوته بان للبشر كذبه ، و حق عليه قول منزله من السماء سبحانه : « و لو تقول علينا بعض الأقاويل ، لأخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين ، فما منكم من أحد عنه حاجزين » (سورة الحاقـــة ـ ٤٤ ـ ٤٧) .

و لسائل أن يسأل : فحدثنى إذن ، لم بقى شعر الجاهلية بهذه المنزلة لم يتجاوزها ، و كيف غاب هـــذا الذى زعمت عن أئمة العلم من قبلك ؟ و كيف أخطاه علماء البلاغة ، و هم الذين قصدوا بعلمهم قصد الابانة عن إعجاز القرآن ، و هم أقرب بالتنزيل عهداً منا و منك ؟ وما الذى صد العقول البليغة عن سلوك هذا المنهج ، و ما نهضت إلا للراماة دون إعجاز القرآن ، فى القـــديم و الحديث ؟

و حق على أن أجيب ، و لكن يقتضينى جواب هذه المسألة أن اقتص قصة أخرى ، لا استوعب القول فى حكايتها تفصيــــلا ، بل أوجز المقال فيها إيجازاً

مدفوعاً عنه الخلل ما أطقت ، و على سامعها أن يدفع عن نفسه الغفلة ما أطاق .

فأهل الجاهلية هم من وصفت لك منزلتهم من البيان ، و قدرتهم على تصريفه بألسنتهم ، وتمكنهم من تذوقه بأدق حاسة فى قلوبهم ونفوسهم ، وعلمهم بأسراره ، وتغلغلهم فى إدراك الحجاز الفاصل بين ما هو من نحو بيان البشر ، وما ليس من بيانهم ، أهل الجاهليـــة هؤلاء هم الذين جاءهم كتاب من السماء بلسانهم ، هو فى آيات الله بمنزلة عصا موسى ، و إبراء الأكمه و الأبرص فى آيات أنبيائه ، لتكون تلاوته على أسماعهم برهاناً قاهراً يلزمهم بالاقرار له بصحة تنزيله من السماء على قلب رجل منهم ، و أن هذا الرجل نبى مرسل ، عليهم أن يتبعه،

فلما كذبوه وأنكروا نبوته ، تحداهم أن يأتوا بـ

و ألح عليهم يتحداهم فى آيات منه كثيرة ، و

لبيان البشر ، وجداناً ألجأهم إلى ترك المعارضة إنصافاً [illegible] ،

و تنزيهاً له أن يزرى به جورهم عن هذا الحق

و على الذى تلقوه من اللدد فى الخصومة و العناد لم يلبث أن استجاب له النفر بعـد النفر إقراراً و تسليماً بأن الكتاب كلام الله ، و أن الرجل نبى الله ، ثم تتابع إيمان المؤمنين منهم حتى لم تبق دار من دور أهل الجاهليـــة إلا دخلها الاسلام أو عمها ، و ألقوا إليه المقادة على أنه لا يتم إيمان أحدهم حتى يكون هذا الرجل ، بأبى هو و أمى ، أحب إليه من أهله و ولده ، و هذه أعمالهم تصدق ذلك كله .

فأقبل كل بليغ منهم مبين ، وكل متذوق للبيان ناقد يتحفظ ما نزل من القرآن ويتلوه ويتعبد به ، و يتتبع تنزيله تتبع الحريص المتلهف ، و يصيخ له و ينصت حين يتلى فى الصلوات و على المنابر يوماً بعـد يوم ، و شهراً بعد شهر ، و عاماً

بعـــد عام ، و كلهم مخبت خاشع لذكر الله وما نزل من الحق ، يصدق إخباتهم و خشوعهم ما قال الله سبحانه : « الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشعون ربهم ثم تلين جلودهم و قلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدى به من يشاء و من يضلل الله فماله من هاد » (سورة الزمر ٢٣)

ثم صار للقرآن فى جزيرة العرب دوى كـدوى النحل ، و خشعت أسماع للجاهلية كانت بالأمس ، للذى يتلى عليهم من كلام الله الذى خلقهم ، و جعل لهم السمع و الأبصار و الأفئدة ، وأخبتت ألسنة للجاهلية كانت بالأمس إقراراً لهذا القرآن بالعبودية ، كما أقروا هم للذى اصطفى لغتهم لكلامه سبحانه بالعبودية ، وماجت بهم جزيرة العرب مهللين مكبرين مسبحين ، كلمـا علوا شرفاً أو هبطوا وادياً ، و أقاموا تالين للقرآن بالغدو و الآصال ، و بالليل و الأسحار ، و انطلقوا يتبعون سنن نبيهم و يتلقفونها ، و خلعوا عن قلوبهم ، ونفوسهم ، وعقولهم ، وألسنتهم ، ظلمة الجاهلية ، ودخلوا بألسنتهم و عقولهم ، ونفوسهم وقلوبهم ، فى نور الاسلام .

ثم طار بهم هـذا القرآن فى كل وجه ، يدعون الناس أسودهم و أحمرهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، ويحملون إليهم هذا الكتـاب المعجز بيانه لبيان البشر ، و الذى نزل بلسانهم حجـة على الخلق و هدى يخرجهم من الظلمات إلى النور ، فكان من أمرهم يومئذ ما وصفـــه ابن سلام فى كتاب « طبقات فحول الشعراء » حين ذكر مقالة عمر بن الخطاب فى أهل الجاهلية : « وكان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه » فقال ابن سلام تعليقاً عن ذلك : « فجاء الاسلام فتشاغلت عنه العرب ، و تشاغلوا بالجهاد و غزو فارس و الروم ، ولهت عن الشعر و روايتـه ، فلما كثر الاسلام ، و جاءت الفتوح ، و اطمأنت العرب فى الأمصار ، راجعوا رواية الشعر ، فلم يؤولوا إلى ديوان مدون ، وكتاب مكتوب ،

وألفوا ذلك ، وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل ، فحفظوا أقل ذلك ، و ذهب عليهم منه كثير » .

و لا يغررك ما قال ابن سلام ، فتحسب أن أهل الجاهلية الذين هداهم الله للاسلام ، طرحوا شعر جاهليتهم دبر آذانهم ، فانصرفوا عنه صماً وبكما ، وحلوه عن عقولهم و ألسنتهم كما خلعوا جاهليتهم ، فهذا باطل تكذبه أخبارهم ، وينقضه منطق طبائع البشر ، وتاريخ حياتهم ، بل كان أكبر ما لحقه من الضيم أن نازعه القرآن صرف هممهم إليه ، فكان نصيبه من إنشادهم و تقصيدهم القصائد أقل مما كان فى جاهليتهم ، و لكنه بقى مع ذلك هو ا
طول مدارسة القرآن ، و هو الذى يستريحو
ربهم ، و سن لهم نبيهم ﷺ ، و طل دلك
أبناؤهم يسمعون منهم شعر جاهليتهم و يستمعون إلى محور بيانهم فى ألسنتهم ، فيخرجون أيضاً مركوزاً ذلك البيان فى طباعهم ، و ينتقل ذلك بما يشبه العدوى إلى مسلمة الأعاجم و أبنائهم .

و حيث نزل أهل الجاهلية الذين أسلموا ، نزل معهم الذكر الحكيم ، ونزل شعر الجاهلية و تدارسوه و تناشدوه ، و قوموا به لسان الذين أسلموا من غير العرب ، وأصبح زاد المتفقه فى معرفة معانى كتاب ربه ، هو مدارسة الشعر الجاهلى ، لأنه لا يستقل أحد بفهم القرآن حتى يستقل بفهمه ، وحسبك أن تعرف مصداق ذلك قول الشافعى فيما بعد ، فى القرن الثانى من الهجرة : « لا يحل لأحد أن يفتى فى دين الله إلا رجلا عارفاً بكتاب الله ، بناسخه ومنسوخه ، و محكمه و متشابهه ، و تأويله و تنزيله ، و مكيه و مدنيه ، و ما أريد به ، و يكون بعد ذلك بصيراً بحديث رسول الله ﷺ ، و بالناسخ و المنسوخ ، و يعرف من الحديث مثل ما

عرف من القرآن ، و يكون بصيراً باللغة بصيراً بالشعر ، و ما يحتاج إليه للسنة والقرآن » . فليس يكفى أن يكون عارفاً بالشعر بل بصيراً به أشد البصر، كما قال الشافعى رحمه الله ، والذى قاله الشافعى بعد قرن هو الذى جرى عليه فى أول الاسلام .

و استفاضت بالمسلمين الفتوح ، و استفاض معهم شعر جاهليتهم ، وأسلمت الأمم و دخلت فى العربية ، كما دخلت فى الاسلام ، و نزل بيان القرآن كالغيث على فطرة حديدة ، وفطرة أهل الألسنة غير العربية ، بعد أن رويت من بيان الجاهلية فى الشعر الجاهلى ، و امتزجت العرب من الصحابة و التابعين و أبنائهم ، بأهل هذه الألسنة التى دخلت فى العربية ، فنشأ من امتزاج ذلك كله بيان حديد ، ظل ينتقل و يتغير و يتبدل ، جيلا بعد جيل ، و لكن بقى أهله بعد ذلك كلـــه ، محتفظين بقدرة عتيدة حاضرة ، هى تذوق البيان تذوقاً علمياً ، يعينهم على تمييز بيان البشر ، كما تعهـــده سلائقهم و فطرهم ، و بيان القرآن الذى يفارق خصائص بيانهم من كل وجه .

ثم فارت الأرض بالاسلام من حد الصين شرقاً إلى حد الأندلس غرباً ، و من حد بلاد الروم شمالا إلى حد الهند جنوباً ، و سمع دوى القرآن العربى فى أرجاء الأرض المعمورة ، وقامت المساجد فى كل قرية ومدينة وازدحمت فى ساحاتها صفوف عباد الرحمن ، و علا منابرهـا الدعاة إلى الحق ، و تحلقت الحلق فى كل مسجد ، و تداعى إليها طلاب العلم ، فطائفة تتلقى القرآن من قرائه ، و طائفـــة تدرس تفسير آياته ، و طائفة تروى حديث رسول الله عن حفاظــه ، و طائفة تأخذ العربية عن شيوخها ، وطائفة تتلقف شعر الجاهليـة و الاسلام عن رواته ، طوائف بعد طوائف فى أنحاء المساجد المتدانية ، طوائف من كل لون و جنس و لسان ، كلهـــــــم طالب علم ، و كلهـــم ينتقل من مجلس شيخ إلى مجلس شيخ آخر ، فكل ذلك علم لايستغنى عنه مسلم تال للقرآن ،

لا بل حتى أسواقهم قام فيها الشعراء ينشدون شعرهم، أو يتنافرون به ويتهاجون، و الرواة تحفظ، و الناس يقلبون ينصتون، و ينقلون يتجـــادلون، و عجت نواحى الأرض بالقرآن وباللسان العربى، لافرق بين ديار العجم و ديار العرب.

وبعد دهر نبتت نابتة الشيطان فى أهل كل دين، وجاؤا بالمراء والجدل وباللدد و الخصام، و شققوا الكلام بالرأى والهوى، فنشأت بوادر من البطر فى كل علم، و عندئذ نجم الخلاف، و انتهى الخلاف إلى الجرأة، و أفضت الجرأة يوماً إلى رجل فى أواخر دولة بنى أمية يقال له «الجعـــد بن درهم» و كان شيطاناً خبيث المذهب، تلقى مذهبه عن رجل من أبناء اليهود

فى اتخاذ إبراهيم خليلا، و فى تكليم موسى.

إن فصاحة القرآن غير معجزة، و إن الناس

فضحى به خالد بن عبد الله القسرى فى عيد الأضحى . . . ١٢٤ من الهجرة.

وكلام الجعد - كما ترى - استطالة رجل جرىء اللسان، حيث المست بلاحجة من تاريخ أو عقل. (للبحث صلة)

البحث الاسلامى أهدافه و مناهجه

(الحلقة الرابعة الأخيرة)

الأستاذ محمود أحمد غازى
إسلام آباد باكستان

تطهير الفكر الحديث
أهم أهداف البحث الأسلامى

قال رسول الله ﷺ : لايصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولهـا ، و هذه القاعدة الكلية و الهـــداية العامة الشاملة تشمل جميع نواحى الاصلاح والتصحيح بما فيها النواحى العلمية والفكرية والثقافية . فنحتاج لاصلاح هذه الأمة الفكرى و الثقافى ولتصحيحها العلمى و التربوى و الحضارى إلى إحياء نفس الروح الانتقادية العلمية التى جعلت أجدادنا العلماء مهيمنين على العلوم التى أخذوها من الأمم الأخرى . فانهم لم يتعصبوا فى أخذ العلم والحكمة من أى أحد ، ولكنهم لم يقلدوا أحداً تقليداً أعمى ، بل عاملوا مع كل واحد معاملة الجوهرى الخبير الذى يحك كل شيء يأتى إليه من المعادن و الأحجار على محكه و يميز طيبه من خبيثه و صحيحه من سقيمه و سليمه من فاسده و يأخذمنه ماصفا ويدع ماكدر .

و لكن كما قلنا يجب قبل هذا التنقيد و التطهير أن نرفض أولا قيادة الغرب الفكرية و نحطم إمامته العلمية و الحضارية و نثبت بالدلائل القوية و البراهـــين القاطعة أن أنظمة الفكر و العمل التى دونها الغرب كلها فاسدة باطلة . ولاشك أن

لهذا الأمر أهمية قصوى لحريتنا الفكرية و الحفاظ على كياننا الثقافى و وجودنا الحضارى . وقد مر على استقلال العالم الاسلامى وحريته السياسية أكثر من ثلث قرن و لكننا اليوم أكثر عبودية من الأمس من حيث الفكر و الثقافة . و نعتبر اليوم كلمة الغرب مترادفة بالقداسة و العصمة ، و نسبة الشيء إلى الغرب تكفى عندنا معيارا للحق والصداقة . فالمحك عندنا هو الغرب و ليست مثلنا الاسلامية العليا .

فاذا أراد المسلمون اليوم أن يتحرروا من الاستعمار الفكرى و الثقافى و الحضارى الغربى فأهم خطوة فى هذا الاتجاه
و البعث الجديد للثقافة الاسلامية ، ولا يمكن
والآداب والثقافة المعاصرة التى ورثوها من ا
خالصة وتكوينها تكويناً جديداً صالحاً وفق روح الشريعة ...
و قالباً ، و أقول مرة أخرى : إن هذا التجديد و التدوين لا يمكن إلا بعد أن نرفض المبدأ الذى جعلناه نصب أعيننا بالقصد أو بدون قصد : الأكمل و الأفضل هو الأقرب من الغرب و الأنقص هو الأبعد ، و لا بد من أن يكون هذا الرفض باتاً وشعورياً وتعمدياً ، ونتبرأ من هذا المبدأ كما نتبرأ من الكفر ، ونكرهه كما يكره المؤمن الكفر بعد الايمان و كما يكره أن يلقى فى النار .

ويجب أن نكون على حد قول شاعر الاسلام حكيم الشرق العلامة محمد إقبال مؤمنين بأنفسنا كافرين بالأفرنج ، فالكفر بقداسة الغرب وإنكار كونه معيار الصدق والصلاح هى الخطوة الأولى والخطوة الوحيدة التى توصلنا إلى تجديد العلوم والآداب ، فبعد تجديد الايمان بصدق فكرنا الاسلامى وصلاحية شريعتنا الاسلامية الغراء والكفر بالفكر الغربى العلمانى و الفكر الشيوعى الالحادى نتمكن من إحياء المناهل الفكرية

الاسلامية التى تبدو كأنها جفت و ذبلت بعد سيطرة الغرب الحضارية و الفكرية و العلمية ، فبعد أن أحيينا هذه المناهل تصبح علومنا الاسلامية وأدبنا ذات حيوية و فعالية و تنطلق من حيث وقفت و جفت .

وهذا الأمر (أى تجديد العلوم و تدوينها على أسس إسلامية) أمر ذو أهمية بالغة ، و هذه الأهمية القصوى ليست مزعومة و لا وهمية ، فانها المسألة الكبرى للعالم الاسلامى ، و هذا العمل يحتاج إلى حركة علمية فكرية واسعة المدى متواصلة العمل ، وليس البحث الاسلامى إلا وسيلة لهذه الحركة العلمية الفكرية ، وهذه العملية عملية تطهير العلوم ثم تجديدها ـ عملية متواصلة لا تنتهى و لا تكتمل فى يوم من الأيام ، بل تستمر مع مر الدهور وكر العصور ، فان العلم شيء دائم التطور ويستمر الفكر الانسانى وعقله فى اكتشافه لحقائق الكون وتطويره للعلوم بمساعدة المعلومات و الاكتشافات التى تحصل له خلال البحوث و المشاهدات ، فاذا لم نقدر و نقيم و ننتقد هذه العلوم الدائمة التطور فى كل مرحلة من مراحل تطورها ينشأ منه اختلال و تباين بين مثلنا الحضارية و علومنا الاجتماعية ، و يصبح المجتمع عرضة للاختلال الفكرى و الثقافى والحضارى ، وكان المغفور له العلامة محمد إقبال يقدر أهمية هذه العملية كل التقدير حيث قال :

« إن واجبنا نحن هو أن نراقب تطور الفكر البشرى بكل يقظة و انتباه و نحتفظ بوجهة نظر حرة انتقادية تجاه هذا التطور » (١) .

و قصارى القول أننا نحتاج إلى موقف ثورى فى الفكر و فى كل نواحى الحياة ، فان موقف التوفيق والتسوية لا يغنى من شيء ، لأن الانقلابات و التغييرات

---

(١) محمد إقبال : تجديد التفكير الذى فى الاسلام The Recongtraction of Religious Thought in Islam طبع لاهور ، ص ١٩

فی عالم الفکر و الاجتماع و السیاسة إنما تحدثها مواقف ثوریة بطولیـــة ، و لا تحدثها قط موقف توفیق وموقف التسویة والتطبیق بین الحق والضلال ، فان هذه المواقف التوفیقیة تؤدی إلی استسلام ثم إلی انهیار ، و من لیس فیه جرأة التقدم والهجوم فی معترك الحیاة فالأفضل له أن ینعزل عن المعرکة و یلجأ إلی بیته ینتظر المصیر ، فان المحافظة علی الوجود والکرامة فی میدان الحرب لا یمکن إلا بالتقدم و الهجوم ، أما المستسلم المتردد فکتبت له الهزیمة والموت ، فلیکن شعارنا فی القرن الخامس عشر : التقدم و الهجوم ، لا الاستسلام و التوفیق .

فاذا کان هذا کله و أصبحت العلوم الاجتماعة ·

نطر الاسلام و علی أسس من تعالیم القرآن

أو تعارض بین العلوم وبین القرآن الکریم ،

و الثقافة الاسلامیة المعاصرة ، و بین القرآن و ـــ

و علومنا الاجتماعیة و الانسانیة ، و تکون دراسة کل علم مفیـــدة فی فهم القرآن والتعمق فیه ، و تکون دراسة القرآن مفیدة فی فهم العلوم و التعمق فیها ، و من هنالك تنشأ عقلیة إسلامیة قحة و تفکیر إسلامی خالص ·

و أما العلوم التی ینبغی أن نعطیها الأولویة فی عملیة النقد و التطهیر والتجدید فهی فی رأیی المتواضع کما یلی :

١ـ الفلسفة الغربیة الحدیثة مع جمیع فروعها ·

٢ـ العلم الطبیعی مع جمیع فروعه ·

٣ـ فلسفة التعلیم و التربیة ·

٤ـ الفکر السیاسی ·

٥ـ القانون و الدستور ·

٦ـ علم النفس . ٧ـ علم الاجتماع .

٨ـ الاقتصاد و ما إليه . ٩ـ علم الانسان (الانثروبولوجيا) .

١٠ـ فلسفة الآداب و النقد الأدبي .

و مع أننا أشرنا إلى تأثير الفكر الالحادي الغربي في تطور العلوم الطبيعية التطبيقية و تقسيم الشيوعيين علومهم إلى قسمين : العلم الشيوعي والعلم البرجوازي ، و لكن مع ذلك قد يزعم بعض القراء و كما يعتقد كثير من المثقفين عندنا في العالم الاسلامي أن العلوم الطبيعية و التطبيقية من الكيمياء و علم الحيوان و علم النبات و الفلكيات وعلم طبقات الأرض و الهندسة و الطب و ما إليها من العلوم التجريبية لا صلة لها بالدين و لا يمكن تفريقها إلى ما هو مثلا الهندسة الاسلامية و الهندسة الغير إسلامية ، والكيمياء الاسلامي و الكيمياء الغير الاسلامي ، و هذا الزعم الخاطىء ينشأ من النزعة العلمانية التي خلقها نظام التعليم الحديث المغرب (بالغين المعجمة وتشديد الراء وفتحها) في أذهان الشباب الاسلامي وعقلياتهم ، فنظام التعليم المغرب لايعترف بوجود خالق الكون ودوره في العلوم الطبيعية ، مع أنها إذا كانت تدرس بالمنهج الاسلامي الصحيح وتعالج بالنظرة الاسلامية السليمة تكون سبباً لتقوية الايمان و تدعيم أسسه في قلوب المتعلمين و أذهانهم ، و لا شك أن مجرد الحقائق العلمية من كون النار محرقة وكون الماء مركباً من الأكسوجين والهيدروجين و ما إليها من الحقائق العلمية الثابتة ليست إسلامية أو غير إسلامية في حد ذاتها . ولكن تدوين هذه المعلومات في صورة علم متكامل مدون و استنتاج النتائج العلمية المجهولة منها و البحث عن القواعد الكلية و الفلسفة التي تسري في هذه المعلومات والعوامل الخلفية التي جعلتها كما هي فهذه الأشياء منها ما هو إسلامي و ما هو غير إسلامي .

وينبغي أن يكون تطهير هذه العلوم ثم تدوينها من جديد في مراحل متطورة .

فللدخول فى المرحلة الأولى يجب أن نبدأ فى الفور إدخال المواد الاسلامية المتعلقة فى جميع العلوم الاجتماعية و الانسانية التى تدرس فى الجامعات ، ويجب أن لا تخلو مادة من المواد و موضوع من المواضيع من المحتوى الاسلامى المتعلق بالمادة أو الموضوع ،والأحسن أن تكون النسبة فى البداية خمسين بالمائة ، وإذا لم يكن هذا من الممكن فما أمكن من النسبة و لكن بشرط أن لا تقل عن خمسة وعشرين بالمائة ، وهذا يفيد الطالب والمدرس فى مقارنة العلوم الاسلامية بالعلوم الاجتماعية والانسانية الحديثة من جانب يؤهلهم لتطهير المحتوى الغير الاسلامى فى هذه العلوم من جانب آخر ، و لتكن فى كل جامعــــــــــــــة و ؛ ك -

الجامعة لجنة مختصة بهذا الموضوع ، ولتكن من

المقرر كل سنة من هذا الوجهة واستعراض الوضع

كل سنة ، ونقترح للبداية فى المرحلة الأولى من

فى المناهج المقررة للدراسات العليا فى ميادين الحقوق وعلم السياسة و الاقتصاد والفلسفة

وكان كاتب هذه السطور عضوا و سكرتيرا للجنة الخبراء التى أعدت المناهج والخطة لكلية الشريعة بجامعة القائد الأعظم باسلام آباد . وهى أول كلية على المستوى الجامعى العالى للدراسات الفقهية القانونية العليا التى سوف تقوم بالتدريس و الاشراف على البحوث فى هذه الموضوعات على مستويات ماجستير و دكتوراه . فجعلنا النسبة بين محتوى الحقوق و محتوى الفقه الاسلامى أربعين وستين . و كذلك كنت عضوا فى لجنة وضع المناهج للجامعة الاسلامية المقترح تأسيسها فى كشمير الحرة . وكنت أعددت لها منهجا دراسيا ووضعت النسبة بين محتوى العلوم الاسلامية وبين محتوى العلوم الاجتماعية نسبة ستين و أربعين . و مما ترتاح إليه نفسى أن أعضاء اللجنة كلهم بادروا إلى الموافقة بما اقترحه كاتب هذه السطور .

هذا ما أردت أن أقول ، و ختاماً أجترأ بتقديم اقتراح متواضع إلى أهل

العلم والفكر المشاركين فى هـذا المؤتمر الاسلامى التاريخى .

أقترح أن يعقد مؤتمر عالمى إسلامى للجامع و المعاهد العلميـة الاسلامية التى تقوم بالبحث العلمى فى الموضوعات والعلوم التى تهم المسلمين والعالم الاسلامى فى العلوم الدينية و الاجتماعية و الانسانيـــة و ليتباحث هذا المؤتمر أصول ومبادى البحث الاسلامى فى عالم اليوم ليختارهـا كل من أدلى بدلوه فى هـــذا الموضوع أساسا و أسوة له فى عمله . وليتباحث أيضا فى هذه الموضوعات الهامـة :

١ـ إمكان تأسيس مركز دائم للاتصال و الارتباط و تدعيم المجامع العلمية فى العالم الاسلامى و مراكز البحوث الاسلامية .

٢ـ تناسق البحوث الاسلامية .

٢ـ أهداف البحث الاسلامى فى القرن الخامس عشر

٤ـ تنظيم البحوث وتنسيقه

٥ـ كيف يمكن الاجتناب عن التكرار والاعادة فى البحوث العلمية .

٦ـ تعيين و تقرير المنهج المعيارى الاسلامى للبحوث الاسلامية .

المرأة

المرأة قبل الاسلام و بعده

(١٣)

الأستاذ سعيد بن عبد الله سيف الحاتمى

تعدد الزوجات

نقرأ تحت عنوان (صر) تعدد الزوجات فى المجلد ١٦ من موسوعة المعارف للجميع ما يلى :

بوليجامى (Polygamy) (صر) : تعدد الزوجات أو الأزواج
وهو عبارة عن جنس معين من الجنسين يتزوج بأكثر من واحد من الجنس الآخر و يتكون هذا من نوعين :

١- بوليجنى (Polygyny) (ضر) وهو زواج رجل بأكثر من امرأه واحدة (فى آن واحد)

٢- بولياندرى (Polyandry) (ضماد) : تعدد الأزواج : زواج امرأة واحدة بأكثر من رجل واحد (فى آن واحد) .

وسوف نتحدث هنا عن نوعى التعدد : تعدد الزوجات وتعدد الأزواج لأننا نعتبرهما كشىء واحد. شخص واحد من جنس واحد (رجلا كان أو امرأة) يتزوج بأكثر من واحد من الجنس الآخر يعيش معهم فى آن واحد .

يجب علينا أن نقطع رحلة طويلة فمن الأحسن أن نأخذ طائرة نفاثة لتعود بنا إلى الوراء قليلا .

١ـ أستسمح القارىء بأن استعمل كلمة الضر (Polygyny) على كون تحت عصمة الرجل أكثر من امرأة واحدة وكلمة الضماد (Polyandry) تعنى زواج امرأة واحدة بأكثر من رجل واحد فى آن واحد .

٢ـ الأزواج و الزوج لغة تطلق على الرجال والنساء على حد سواء ، وهنا نستعمل كلمة أزواج للرجال و كلمة زوجات للنساء تسهيلا للعملية .

البوليا ندرى (ضماد) .

كانت عملية الضماد أو البوليا ندرى منتشرة فى شرق الأوسط و الأقصى وما زالت منتشرة بطريقة أو أخرى فى كل من سهوتا

بالهند ، إن أبسط شكل من الضماد هو كالآتى

يقوم أكبر ولد من العائلة بزواج

جميع أفراد العائلة ، ومن المعتاد أن يكون الأزواج

من أقرب الأقربين .

قد يتساءل شخص : بالله عليكم أخبرونى ما نتيجة كل هذا ؟ فنقول له : إنه من غرائب الدنيا ، يلاحظ الانسان أن أفراد مثل تلك الأسرة قلما يكون لديهم غيرة على الزوجة ، وذلك لأن الشعور السائد بينهم أنهم مشتركون جميعاً فى هذه الربحة و لا يحق لأحد منهم أن ينفرد بها دون الآخرين ، وعند ما يشعر أى واحد منهم بالغيرة عليها فنراه يقتل غيرته تلك فى نفسه قبل أن يستفحل الأمر ، طمعا للصلحة العامة التى تعتبر فيما بينهم فوق كل شىء سواها ، ويقولون : إن هذه هى روح الجماعة ، يؤدى كل واحد من هؤلاء الأزواج المشتركين ما عليه ويتمسكون بعضهم البعض ، ويكون كل واحد منهم على استعداد تام للتضحية للصلحة العامة

جبل الانسان على حب التملك و مهما حاول إخفاءه أوالتخلص منه لايستطيع ،

فهنا نحن نجد مثل هذا الشيء يحدث عند ما تلد الزوجة فكثيراً ما نجدهم فى نزاع وشقاق حول الوليد، يدعى كل واحد منهم أن الرضيع ابنه أحق من غيره لأنه هو الوالد الحقيق و . . . و . . . و يحسم النزاع عادة بالنظر إلى ملامح الطفل و مقارنتها بملامح آبائه المتعددين، وهذا فى العادة لايجدى لأن الأزواج المشتركين كثيراً ما يكونون إخوة، و هنا تترك المسألة فى يد الأم و هى التى تقرر وتقول لأحدهم : يا فلان أنت والد هذا الرضيع ويكون قد قضى الأمر الذى فيه يستفتون، و قد كانت المرأة العربية تعمل شيئاً شبيهاً بهذا كما سوف نرى فيما بعد وكما نعرف عنه جيداً، إن فكرة الضماد (١) هذه تموت تدريجياً .

٢ـ الضر (البوليجينى) :

إن البوليجينى أو الضر هى عبارة أن يتزوج رجل بأكثر من امرأة واحدة يعيش معا بزيجية واحدة و يكون الضر عادة بالطريقة التالية :

يتزوج الرجل كبرى بنات عائلة ما و يكون له الحق القانونى فى الحصول على الحقوق الزوجية الفعلية على كل من تصغر البنت التى تزوجها بالفعل، لنفرض أن زيداً من الناس تزوج البنت الثالثة من نفس العائلة فتحدد حقوقه الزوجية لأخوات البنت الصغيرات . و لا يحق له الحصول على هذه الحقوق من أخواتها اللاتى يكبرنها سناً، و هذا يعنى أنه من تزوج بأكبر بنت فى العائلة فله الحق كل الحق فى مضاجعة أخوات زوجته كلهن، ولا تستطيع واحدة منهن الامتناع عن هذا، ومن تزوج باحدى البنات فى الوسط فيحق له أن يضاجع أخواتها اللاتى هن أصغر من زوجته عمراً و لا يحق له الاستمتاع الزوجى لمن تكبرها سناً، و كانت هذه العملية منتشرة فى الصين و الهند و بدأت الآن تقل تدريجياً .

(١) الضماد بكسر الضاد : تعدد الرجال الأزواج لزوجة واحدة .

يعتبر بعض الشرقيين أن الضر (تعدد الزوجات) هو أحسن نوع من الزواج و نجده منتشرة أكثر لدى الطبقات العالية و الطبقة الغنية و يقومون بمثل هذا الزواج لأسباب اقتصادية .

من المعتاد فى الشرق أن يزور عدد كبير من الناس رجلا ذا نفوذ معين يومياً للعاملات أوللزيارة أو لمجرد التسليم عليه ، ويأتى أكثر هؤلاء الأشخاص من أماكن بعيدة ، وكما نذكر أنه لم تكن هناك طرق أو مواصلات متيسرة و منطمة ، ولم تكن هناك مطاعم أو مسافرخانات أو نزل ، مقاهى أو أى مكان آخر يستطيع فيه الشخص الحصول على أى شىء يأكله و هو ماش

أخذ الطعام معهم للأسباب المذكورة و

الشرقيين و عليه فقد كان لزاماً على هده

طعاماً للناس الموجودين وقت الغذاء، الـ

يقضين وقتاً طويلا فى المطبخ يجهزن الطعام و غيره من أمور الضيوف .

ويوجد نوع آخر من تعدد الزوجات غير النوع الأول الذى ذكرناه سابقاً ، ألا وهو أن يتزوج الرجل نساء من عائلات مختلفة و سوف نتطرق إلى هذا الموضوع باذن الله .

تعدد الزوجات فى الصين

كان للصينيين نوع من تعدد الزوجات و هو كالآتى :

كان للرجل زوجته الرئيسية وكان له الحق فى اتخاذ أزواج ثانوية أخرى إن أراد ذلك ، وكانوا يعتبرون كل الأولاد سواء كانوا من الزوجة الرئيسية أو من الزوجات الثانويات أولاداً شرعيين له ، يمكن للرجل أن يتزوج الزوجة الرئيسية وكان يسمح له اتخاذ زوجات ثانويات ويعتبر الأولاد من جميع الزوجات أولاداً شرعيين

له ، و كان من عاداتهم أن تأخذ العائلات الفقيرة بنتا كبنت إضاف للعائلة ومن ثم و بعد احتفال بسيط تصبح هذه البنت زوجاً لأحد أولاد العائلة (١) .

في الديانات الهندية

تشجع الديانات الهندية تعدد الزوجات بشكل أو آخر ، عند ما يقرأ الواحد منا كتاب (مانو) المسمى « دهارما ساشترا » يجد التشجيع غيرالمباشر بالنسبة لتعدد الزوجات ، يقول مانو : من الممكن جداً أن توضع المرأة الفظة والقاسية جانباً ويستغنى عنها ، و تحل امرأة أخرى محل الزوج التى تشرب الخمر أو ترى الكراهية لزوجها وإلها ، أوتسبب أذى أو تضيع ماله ، كانت الحالة الاجتماعية فى المجتمع الهندى فى عهد الفيدا ــ هو العهد قبل أن يضع مانو قوانينه وأساطيره ــ هى الاكتفاء بالزوجة الواحدة فى كثير من الأحيان .

عندما يقدم الزوجان القربان تجدهما جالسين أمام الموقد كشخصين متساويين ، و من الواجبات الأساسية للمرأة (الزوج) الاهتمام بقداسة الأوانى المستعملة و طهارتها و هى التى يحضر فيها القربان .

إذا لم تنجب الزوج ولدا ذكراً فهناك يجب على الزوجة أن تتنازل من مركزها فى البيت إلى زوجة ثانية .

و على هذا الأساس نجد المرأة الهندية تبذل قصارى جهدها لمنع مثل هذه الأمور من الحدوث ، إنها تقدم قرابين ثمينة للآلهة و تجهد نفسها بالقيام بأنواع أخر من الطقوس ، مثل القيام بأصعب نوع من الصيام (حسب الديانات الهندية طبعاً) وطقوس دينية أخرى لترزق و لو بولد واحد ليزول عنها كابوس الضرة.

كان من عادات بعض المناطق فى الهند أن يتزوج الرجل بزوجات عدة من

---

(١) موسوعة المعارف البريطانية المبدأ الرابع ص ٤٠٩ .

أماكن مختلفة ومتباعدة الشيء الذى يجعله من الصعب عليه إعالتهن كلهن و إعطاء من الحقوق الزوجية الأخرى ، وغير مستبعد أن لا يكون قد رأى بعضهن أبداً . وقد بدأت هذه العادة الآن تزول تدريجياً ، و السبب فى زوالها بسيط جداً ألا و هو أنه كثيراً ما تقع مسؤلية الاعالة و القوامة لمثل هؤلاء الزوجات على عاتق آبائهن دون أزواجهن ، وذلك كما ذكرنا آنفاً أن هؤلاء الرجال قل أن يكونوا قد رأوا زوجاتهم بعد الزواج بهن و لا يزورهن إن كانوا قد رأوا بعضاً منهن ، لأنه فى العادة يكون الزوج يعيش فى مقاطعة بعيدة كل البعد عن المقاطعة التى تعيش فيها الزوج ، ويصعب عليه قطع هذه المسافات الشاسعة لامرأة لم يرها قط

و أدهى من ذلك و أمر أن بعض هؤلا

الواحدة منهن كثيرة الحيوية والنشاط ، و

فقط لكثرة مشاغل الزوج و لبعد الم

الاغواء و الاغراء الحسى .

و من المدهش حقاً أن يجد الانسان أن النساء وخاصة الفتيات منهن يفضلن عبادة سيفا بوجا (Siva Puja) على كريشنا بوجا (Krishna Puja) و ذلك لسبب بسيط جداً ألا و هو أن سيفابوجا كان غيوراً لزوجه و مخلصاً لها بينما كان كريشنا بوجا قد استبدته الحلابات الساقطات و بياعات الحليب العديدات و قد كان زير النساء .

تهتم الهنديات كثيراً بالطقوس التى تطرد الضرة . إنها لا تحب كثيراً أن يشاركها زوجها شخص آخر ، إنه إلهها الصغير وتتحاول جهد المستطاع طرد شؤم تعدد الزوجات ، وعليه تقوم بالطقوس المسماة بسنجوتى فراتا (Sanjuti Vrata) وطريقها كالآتى .

ترسم المرأة أشياء كثيرة على أرضية الدار و من ضمن هذه الأشياء صورة رجل وامرأة و نهرى الغانجين وجنا ومعبد سيوا (Siva) وبعد ذلك تطلب سيوا أن يرحمها و يرجها من مشاكل الضرة ثم تقوم و تلغى ضرتها (Satin) .

في الديانة البوذية

أما في الديانة البوذية نرى أن بوذا بنفسه لم يكن يهتم بالنساء أبداً و لم يكن يلق أى بال فى أى شكل من أشكال الزوج ، هاهو ذا يترك زوجته ياشودا هارا (Yashodhara) مع طفله المولود فى حينه دون أن ينظر إليه ولو بنظرة خاطفة ليرى ملامحه على أقل تقدير ، ثم نجده بعد سبع سنوات يلتقى بابنه ويحاول معه إلى أن يجعله أحد حوارييه ، ثم يخرج بجموعة من الناس برحلة و قد أخذ كل واحد منهم مع زوجته اللهم إلا واحداً منهم فانه أخذ معه امرأة ساقطة تسرق المرأة الساقطة و تختفى ، و يخرج الناس باحثين عنها فيلتقون ببوذا أثناء بحثهم عنها فيأمرهم أن يبحثوا عما فى أنفسهم بدل البحث عن المرأة أو النساء و به يصبحون حوارييه .

لما كان أناندا أحد حوارى بوذا فى طريق عودته التقى بفتاة من الطبقة المنبوذة (أدنى طبقة فى الهند) طلب منها ماء فرفضت باديء ذى بدء ثم قدمت له ماطلب و اتفقا على الزواج ، و لما عرف بوذا ما اتفقا عليه أتى إلى الخطيبة براكريتى (Prakriti) و ما زال يكلمها إلى أن وافقت أن تكون راهبة .

تأتى الملكة مهابجباتى (Mahapajati) عمة بوذا و ضرة أمه و هى التى ربته بعد وفاة والدته تأتى و معها مجموعة من النساء و تطلب منه أن يوافق على دخولهن الساويا (المعبد) فيرفض بوذا بشدة و أخيراً يتدخل أناندا و يوافق بوذا على دخولهن تحت شروط قاسية . هذا هو موقف بوذا من النساء .

فى اليهودية

لم تحدد اليهودية عدد النساء اللاتى يستطيع الرجل أن يتخذهن زوجات له تحت سقف واحد ، و كانت من عادتهم اتخاذ أكثر من زوج واحدة فى آن واحد ، كان لنبي الله إبراهيم عليه السلام أكثر من زوجة واحدة ، كان قد تزوج بسارة التى أنجبت فيما بعد إسحاق ـ أبو اليهود ـ وكانت عنده هاجر التى أنجبت إسماعيل ـ أبو العرب .

« و أما ساراى امرأة أبرام فلم تلد له و كانت لها جارية مصرية اسمها هاجر فقالت ساراى لأبرام هوذا الرب قد أ
جاريتى لعلى أرزق منها بنين ـ فسمع أبرا
أبرام هاجر المصرية جاريتها من بعد عشر
وأعطتها لأبرام رجلها زوجة له فدخل على
١٦ : الفقرات ١ ـ ٤) .

يقال إنه كان لنبي الله داود أكثر من مائة زوجة ، لنقرأ ما يلى من العهد القديم:

« و ولد لداود بنون فى حبرون ، وكان بكره أمنون من أخنو اليزر علية ، وثانية كيلاب من أبيجايل امرأة نابال الكرملي . والثالث أبشا لوم بن معكة بنت تلماى ملك جشور ، و الرابع أدونيا بن حجيث ، والخامس شفطيا بن أبيطال ، والسادس بثر عام من امرأة داود ، هؤلاء ولدوا لداود فى حبرون (سفر صموئيل الثانى الاصحاح الثالث : الفقرات ٢ ـ ٦) يظهر من هذا أنه كان لنبى الله داود أولاد آخرون ولدوا فى مكان آخر من أمهات أخريات .

يقال إنه كان لنبي الله سليمان عليه السلام ألف امرأة من زوجة وسرية ، أقر ما يلى :

« و أحب الملك سليمان نساء غريبـــة كثيرة مع بنت فرعون موآبيات و عمونيات و دوميات و صيـــدونيات وحثيات. من الأمم الذين قال عنهم الرب لبنى إسرائيل : لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم ، لأنهم يميلون قلوبهم وراء آلهتهم فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة وكانت له سبع مائة من النساء السيدات وثلاثمائة من السرارى فأمالت نساء قلبه (سفر الملوك الأول : الاصحاح الحادى عشر ١-٤) .

في الديانة النصرانية

لم أجد نصاً صريحاً في النصرانية الذى يحدد بصراحة الزواج بواحدة و لا يحق للرجل أن يتزوج بأكثر من واحدة ، حاولت البحث لعلى أجد هذا النص الصريح و لم أيأس مازلت أبحث عنه .

إذا قارنا النص الذى يتمسك به النصرانيون ألا وهو : خلق الله امرأة لكل رجل وبما يؤولونه عن الاكتفاء بزوج واحدة نجد أن النص لم يحدد الزواج بواحدة ، وإنما يشجع على الزواج ويفند فكرة الرهبنة ، يقول هذا النص صراحة : يوجد عدد كاف من النساء لكم فما ليتزوج كل واحد منكم ولاتعيشوا عزابا ، و أمامنا كلام بولس الذى يقول : يجب على كل حبر أن يكون زوجاً لامرأة . نستنتج من هذا الكلام نقطتين هامتين ألا وهما : هذا الدداء موجه إلى الأساقفة والمطران والرهبان عامة ، ولم يوجه إلى العامة من الناس ، وثانياً أن هذا النص يحثهم على الرواج ، نقرأ من المجلد ١٦ من موسوعة المعارف البريطانية حول فكرة النصارى الأوائل حول الجنس ما يلى :

بما أن الأمور الجنسية تنحصر على الجسد فقط فانما هى إذا أصبحت عدوة للروح أن اليهودية وافقت على الفلسفة الازدواجية غير أنه لديها نعمة موفورة فى زيجات واسعة بريئة من عدواتها للجنس ، ولم تكن الحالة هكذا مع النصرانية ، وذلك أنهم يعتبرون الأمور الجنسية خارج الزواج من الشرور التى لا تطاق و لا تخفف و تكون داخل أرباط الزوجية ضرورة مشؤمة وهى التناسل فقط وليست للراحة ، و أن الشعور اللاجنسى القوى كان هو النتيجة النسبية لفكرتهم العجيبـــة عن الحياة (من الملاحظ أن الرب و يسوع لم يكن لهما أزواج وأنه لن يكون هناك زواج

فى الجنة) إنهم كانوا يتوقعون أن نهاية العالم و الدينوية الأخيرة سوف تقع عما قريب ، و لم يكن هنالك وقت للتخلص من الجسد فقد كان لزاماً عليهم التقرب إلى النهاية بخطوات مباشرة و صارمة .

ما اقتبسناه سابقاً يلقى ضوءاً أخضر عما كان النصارى الأوائل يؤولون الحياة الجنسية و نهاية العالم ، فلا عجب بعد ذلك إذا أن نقرأ فى رسالة بولس إلى أهل كورنثوس ما يقوله لهم فى مثل تلك الأمور بالنسبة للعلاقات بين الرجل والمرأة ؛

يقول بولس فى رسالته إلى أهل كورنثوس :

« وأما من جهة الأمور التى كتبتم لى عنها فحسن للرجل أن لا يمس امرأة ، ولكن لسبب الزنا ليكن لكل رجل امرأته ، وليكن لكل وا
حقها الواجب ، كذلك المرأة أيضاً الرجل ، ليس
و كذلك الرجل أيضاً ليس له تسلط على جسد
إلا أن يكون على موافقة . . . و لكن أقول هذ
الأمر لأنى أريد أن يكون جميع الناس كما أنا ، لكن كل واحد له موهبته الخاصة من الله ، الواحد هكذا و الآخر هكذا ، و لكن أقول لغير المتزوجين و للأرامل أنه حسن لهم إذا لبثوا كما أنا (١) ، ولكن إذا لم يضبطوا فليتزوجوا لأن التزوج أصلح التحرق ، و أما المتزوجون فأوصيهم لا أنا بل الرب أن تفارق المرأة رجلها و إن فارقته فلتلبث غير متزوجة أو لتصالح زوجها و لا يترك الرجل امرأته ، و أما العذارى فليس عندى أمر من الرب فيهن و لكنى أعطى رأياً من رحمة الرب أن يكون أميناً ، فأظن أن هذا حسن لسبب الضيق الحاضر ، إنه حسن للانسان أن يكون هكذا أنت مرتبط بامرأة فلا تطلب الانفصال أنت منفصل عن امرأة فلا تطلب امرأة (رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس : الأصحاح السابع : الفقرات ١ - ١٠ و ٢٥ - ٢٩)

(١) ألا يشم القارىء الكريم الدعوة إلى الرهبانية ؟ .

و حضارة الاسلام دوماً تشرق

ضياء الدين الصابوني
الجامعة الاسلامية فى المدينة المنورة

كالمسك ذكرك يا محمد يعبق ... كالبدر فى عليائه يتألق
الكون يشكو و الحياة مظالم ... و الجهل طاغ و النفوس اتزهق
و أدوا البنات على الحياة مخافة ... من سبة فالعقل منهم ضيق
بينا الظلام ممدد برواقه ... و يسوده فقر و جهل مطبق
و الرأى للأقوى الرفيع عماده ... ينهى و يأمر ، وهو فرد مطلق
سطعت بأنحاء الجزيرة شمسه ... فأنارت الدنيا و ضج المشرق
و أطل فجر محمد بسنائه ... فانجابت الظلما و ساد المنطق
جاء الرسول فليس من متناحر ... أو قاطع رحماً و لا من يسرق
جمع القلوب على المحبة والاخا ... فتفتحت للخير نوراً يشرق
و استل من أرواحهم عصبية ... عمياء تلتهم البلاد و تحرق
الله ألف بينهم لولاه ما ... ألفت بين قلوبهم ، ما أنفقوا
هذى بشائر (أحمد) وضاءة ... حيث الرسالة نورها يتألق
نشر العدالة و الأخوة سمحة ... فاذا بأغصان المحبة تورق
هذى رسالة أحمد و كتابه ... بغداد تحكى مجدها بل جلق
تروى حكايات البطولة والفدا ... و لكم يهيج حديثهن الشيق

تلك الحضارة لا تزال مضيئة و حضارة الاسلام دوماً تشرق

شهدت لها الأعداء واعترفت بها فعدالة و تسامح و تخلق

و مذبذبين يرون دين (محمد) رجعية و هو المغيظ المحنق

و يغيظهم قبس الهداية مشرقاً راياته فى المشرقين لتخفق

فالحقد يأكل قلبه، واللؤم يعـــــصر نفسه ، و مع الجهالة يحمق

كذبوا و رب البيت بل مدنية تختال منها الأرض مسكا تعبق

وحضارة فاقت حضارات الألى تسمو بأجواء العــلا و تحلق

أمن أنار القلب بعــد تحجر فاذا يناد... " "

خضعت له الأفكار من وحى الهدى و

يا فتية (القرآن) آن أوانكم فتيه...

يا أمة (التوحيد) أين جهادكم؟ أيـ...

كانوا ليوثاً لا يهابون الردى و سيوفهم فى المشركين لتبرق

كونوا على الأعداء صفاً واحداً لا تسمحوا للهادمين فينعقوا

لا يخدعنك من العدو ليونة قد تشرب العذب الفرات فتشرق

إن تنصروا الرحمن ينصركم فلا تهنوا ، فنصر الله عهد موثق

❋ ❋ ❋

أ بنى العقيدة أنتم أمل العلا فتوحدوا دوماً و لا تتفرقوا

إنا بغير (محمد) لا نقتدى أبداً و غير كتابه لا ننطق

إنا لنؤمن فى رسالة أحمـــد لا ما يقول الناعقون و عفلق

مهما تجهمت الخطوب وعربدت فيقيننا بالنصر صاح محقق

و الله خير مؤيد و موفق و عيونه ترعى التقى و ترفق

أنا مسلم أعتز فى دينى الذى	يهدى ، و نور جماله يتألق
أنا لا أرى غير الشريعة مذهباً	إن شعوذ المتبجحون وصفقوا
تقوى (الاله) إذا تخالط مهجة	تروى القلوب الظامئات وتعتق
(تقوى الاله) سعادة و تجارة	تسلو الهموم ولا ترى ماتقلق
إن السعيد يعيش فى كنف التقى	فاذا أردتم أن تفوزوا فاتقوا
فيها لعقلك راحة و سكينة	و بها لقلبك بهجة و تألق
و المتقون الفائزون تراهم	و النور ملء وجوههم مترقرق
باعوا النفوس رخيصة فى ذاته	و نفوسهم للقائه تتحرق
عفواً إله العرش إنا أمة	قعدت بها هماتها فتفرقوا
و تهاونوا طرآ بشرع نبيهـــم	فتفرقوا فى رأيهم و تمزقوا
حسبوا التفلت شرعة و تقدماً	فتفرقوا و مع الزمان تزندقوا
رباه من قلب يوجهه الأسى	أدعوك أن تحمى فأنت المطلق
رباه إن جنح الطغاة إلى الأذى	و تألبوا فى حربنا و توثقوا
فاجعل لنا فرجاً و نصراً عاجلا	هل غير بابك يا إلهى نطرق ؟
واشمل بعطفك أمتى و الطف بها	يا من ببابك لا يخيب ويطرق
صلى المليك على النبى محمـــــد	ما دام فى الدنيا فؤاد يخفق

العالم الا ية

رسالة ومقال

[تلقينا هذه الانطباعات الكريمة عن مجلة البعث الاسلامى من فضيلة الشيخ الجليل عبد الله الخياط إمام و خطيب المسجد الحرام، ننشرها - شاكرين - لما فيها من توجيه و تشجيع و دعوة إلى كلمة الحق]

« التحرير »

إلى سيادتى الأخوين الكريمين رئيسى تحرير مجلة البعث الاسلامى سلمهما الله ،

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته

و بعد أبعث لكم بالمقال الذى وعدت بكتابته عن مجلتنا الحبيبة (البعث الاسلامى) و كان من الواجب أن أتبع ما كتبته عن مجلة (الرائد) بهذا المقال ، و هذا أقل ما يجب أن يقال عن مجلة مجاهدة هادية هادفة . ترسم مناهج الاصلاح و تهدى إلى السبيل السوى .

أرجو لو سمحتما بنشره على صفحات البعث إن وجدتم للنشر مجالا .

و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته .

من المحب فى الله

مكة المكرمة	عبد الله عبد الغنى الخياط
٤/ ٤/ ١٤٠١	الخطيب فى المسجد الحرام
	و عضو هيئة كبار العلماء

و الكلمة الطيبة صدقة

عنوان هذا المقال قطعة من حديث نبوى شريف عمدت إلى جعله كتوصئة لما أكتبه عن مجلة البعث الاسلامى التى تصدر عن ندوة العلماء لكهنؤ الهند ولقد كنت كتبت مقالا تشجيعياً عن مجلة (الرائد) و ...
المجلة المجاهدة (البعث الاسلامى) غير أن
فور كتابتى عن الرائد، بل لقد كان من حق
من باب التعاون على البر ، ولأنها كما اعتقد ا
الطريق أماً دون حيدة فى المذهب أو انحراف عن المهيع ، رغم انها تصدر وسط العواصف الهوج و فى بلد قد يكون الكثيرون فيه على غير منهجها إن لم يكونوا مناهضين لها .

رغم ذلك تخطت السدود و سارت بخطى ثابتة متزنة طوال أكثر من ربع قرن ، أقول : لقد كان بودى بل ومن واجبى أن أسهم بالكتابة فيها غير أن ظروفى الصحية وفتور نشاطى وارتباطاتى المتعددة أقعدتنى عن هذا الواجب . وأقل ما أصنعه اليوم بل قبل اليوم أن أشيد بها فى طليعة المجلات الاسلامية الناهضة المجاهدة وعلى رأس الأسفار العلمية الهادية الهادفة ، وإننى إذ أقول : الأسفار العلمية فلأنها حوت بين دفتيها الكثير من العلوم الاسلامية الهادية التى قل أن يعثر عليها الباحث فى بطون الكتب إلا بعد جهد جهيد و استغراق فى التنقيب و الاستطلاع .

وعلى سبيل المثل لذلك أذكر من موضوعات العدد السابع من المجلد الخامس و العشرين عدد ربيع الثانى الذى صدر و وصل إلى قبل أن تشرق شمس الشهر المذكور بأمد طويل، أذكر من موضوعاته (حالة المنافق وصفات المؤمن ـ أثر الرسالة الاسلامية فى الحضارة الانسانية ـ الفكرة الاسلامية السنية والحاجة إليها ـ ـ طبيعة هذا الدين ـ البحث الاسلامى و أهدافه ومفاهيمه) بالاضافة إلى المقالات الضافية العامرة بالأهداف الكريمة و الارشادات القيمة والتوجيهات الرفيعة التى هى بمثابة مثل عليا، من حق كل مسلم أن يستجيب لها و يأخذ نفسه بها و يسير طبق مناهجها .

و ليست هذه المواضيع العلمية و الأبحاث المتنوعة الأغراض فى هذا العدد فحسب بل فى كل أعداد المجلة تجد الجديد الذى يذهلك لوتتبعته وعمدت إلى المواظبة على دراسته و الافادة منه .

و إن ربع قرن فى عمر مجلة إسلامية محدودة الموارد و الامكانيات تصدر بلغة الضاد فى بلد لا يتكلم إلا القليل من أهله اللغة العربية، مجلة هذا وضعها من حق كل مسلم أن يعنى بها و من واجب كل عالم و مثقف أن يشيد بخطواتها التى خطتها طيلة هذه الفترة المديدة و يوجه الأنظار إليها و يدعمها بكل ما فى وسعه و يشاطر القائمين عليها الأعباء الجسيمة التى تقلدوها من أجل الاسلام و حماية سياجه و التحافى به عن الدخيل و نشره من معينه الصافى الذى لا يعكره أو يغير عذوبته أحداث الزمان و تقلبات الأيام و لا غواشى الباطل التى تكتنفه فى بعض الفترات، حسبك أن تحمل شعاراً يوحى بكل ما أسلفنا القول عنه (إلى الاسلام من جديد) مجلة هذا وضعها وذاك شعارها لا يكفى أن يقال عنها إنها مجلة شهرية يكتب فيها جهابذة العلماء و أفاضل المفكرين بأنها لو وصفت بهذا الوصف فحسب

لا تزيد عن رصيفاتها من المجلات التى تصدر فى البلاد الاسلامية تؤدى واجباً أو تسط فكرة أو تناضل عن مبدأ ، وقد يكون ذلك مشوباً بدافع الشهرة أو حب الظهور أو المديح والاطراء ، أو غير ذلك من الدوافع التى تقلل من أثر التضحية (إنما الأعمال بالنيات و إنما لكل امرىء ما نوى) و تبعاً لهذه النية قد تتعرض المجلات أو كتابها للقمع و الايقاف المؤقت أو الدائم .

ومن ثم كانت مجلة البعث الاسلامى تنفرد عن غيرها من المجلات التى تصدر فى بعض البلاد الاسلامية ، تنفرد بأسلوبها السديد الرشيد و بالاتجاهات السليمة التى درجت عليها منـــذ أكثر من ربع قرن لم تتعرض

قلم المطبوعات لها أو الحد من نشاطها أو سيط

أعود فاستلهم الحديث الشريف الذى

الطيبة صدقة) و الصدقة لا تقف عند المحدو

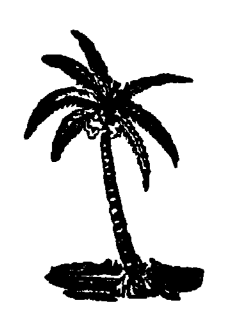
مختلف ألوان البر و الاحسان ، و خير الاحسان و أفضله ما كان علما يشاع و يذاع ، و معرفة تهدى دون من أو جزاء و دون رياء أو سمعة أو اعتداد و زهو ، و ذلك ما تصنعه مجلة « البعث الاسلامى » ـ و لو أردنا أن نحصى الصدقات التى تتصدق بها على المجموعة الاسلامية حسب انتشارها فى الأصقاع الاسلامية فى كل عدد من أعدادها و بين طيات كل بحث من بحوثها و بعدد سطورها و كلماتها لأعيانا ذلك ، ولكننا نرجو لحضرات المتصدقين فى مجلة « البعث الاسلامى » من العلماء والكتاب و المثقفين و كل من يسهم فى دعمها مادياً أو أدبياً نرجو للجميع الأجر الضافى عند من لاتضيع عنده صنائع المعروف ، و الذى يجزى على الحسنة بعشر أمثالها .

سدد الله خطاها و رفع من شأنها و جعلها علماً خفاقاً ينشر الاسلام على حقيقته و يزهق الباطل .

و بعد فهذه كلمة عاجلة كتبتها لمناسبة زيارة العلامة و الداعية الاسلامى سماحة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى لمكة المكرمة فى شهر ربيع الثانى سنة (١٤٠١هـ).

فلقد ذكرتنى زيارته لبلد الله بالواجب نحو مجلة إسلامية ، لسماحته عليها فضل الرعاية والتوجيه وأكثر من يقوم بأمرها من طلابه وعارفى فضله ، ويؤسفنى أننى لم ألتق به فى هذه الزيارة لظروفى الصحية إلا أننى قد كلفت أحد المنسوبين إليه من إخواننا ليبلغه شعورى نحوه ودعواتى المخلصة الصادقة لسماحته . وإن كان فى العمر بقية فسوف نلتقى إن شاء الله .

ولست أنسى فى هذه المناسبة منشىء مجلة البعث الأستاذ محمد الحسنى رحمه الله فلقد كانت له اليد الطولى فى الدفاع عن الحق على ممر هذه المجلة ولا نزال نقرأ له فيها و فى غيرها ما يدفعنا إلى الدعاء له و سؤال الله له الرحمة والرضوان ، إنه سميع مجيب ، وصلى الله على خير خلقه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبع سبيله و سار على هديه إلى يوم الدين .



المبشرون يوزعون منشوراتهم فى مساجد الكويت

كتبت مجـلة « البلاغ » الكويتية الغراء

لقد سمعنا أن بعض أصحاب صناديق البريد يجدون فى صناديـ...

أو على الأصح (تضليلية) واردة من الخار...

و بعد مدة أحضر إلينا شاب مسلم منشو...

التى تدرس فى مدرسة خاصة ، و أعطتها إياه...

القضية . و لكننا تريثنا . و قلنا لعلها مصادفة نادرة . أو غير مقصودة . .

أو لعلها ليست بهذه الخطورة ، و كذلك حتى لا يقال كالعادة . بأننا متشنجون

متعصبون . نثير الطائفية ، و نجعل من الحبة قبة ، إلخ .

ولكن يبدو أن الأمر ليس بتلك البساطة التى تصورناها . . و أن السكوت

على مثل هذه الأعمال . جريمة فى حق الأمـة و الأجيال . ذلك أن النشاط

التبشيرى النصرانى أخذ يتسع بشكل خطر ، و يتحـدى مشاعر الأمة التى آوت

بعض النصارى و أطعمتهم و أكرمتهم . . . بل و مكنتهم من كثير من مصـادر

الرزق الوفير و غيرها .

لقد بلغت الوقاحة بالمؤسسات التبشيرية أن توزع منشوراتها أمام المساجد

و تلقى بها فى سيارات المصلين ، و هم يؤدون صلاة الجمعة . . كما حصل فى مسجد

العثمان فى يوم الجمعة غرة ربيع الآخر سنة ١٤٠١هـ ٦ - ٢ - ١٩٨١ حيث فوجىء المصلون و هم خارجون من صلاتهم بسيل من هذه المنشورات (القذرة الكافرة) أمام مسجدهم و فى سياراتهم و منها منشور كله دجل وكذب و (نصب) بعنوان (ما هى مشكلتك ؟) يخدعون البسطاء ليبحثوا عن حل مشاكلهم لديهم . . و ما يظنون أن أساليبهم التافهة لا تخدع طفلا صغيراً وأن الطمأنينة و الأمن النفسى الذى يعطيه الاسلام لمعتنقيه يستحيل أن يتصوره المسيحى أو غيره مجرد تصور . إلا إذا أصبح مسلماً خالطت بشاشة الايمان قلبه . . و حينها يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يلقى فى النار .

و بالمناسبة . . هل قام أحد من الشباب المسلم بتوضيح الحقيقة وطباعة منشور يدعو الضالين (النصارى) إلى الايمان . . و وزعه أمام الكنائس الكثيرة فى بلد ليس من أهله نصرانى واحد ؟ . و وزعه بعد صلاة الآحاد مثلا ؟ هل جرؤ أحد على ذلك ؟ و لو جرؤ فما هو مصيره ؟ و هل يسلم من العقاب و الترصد و الملاحقة و الاتهام .

ترويج الأباطيل و الأكاذيب :

و لقد كان مما وزعه الضالون المضلون (المبشرون) أيضاً أمام مسجد العثمان بعد صلاة الجمعة الأولى فى ربيع الآخر ٦ - ٢ - ٨١ كتيباً أحمر (كانجيل ماو) سموه (طريق الخلاص) و وضعوا فيه مقتطفات من أناجيلهم المتهافتة المتناقضة وبدأوه بالكفر المتحدى للاسلام و عقائده ففيه الادعاء بالصلب و موت المسيح عليه السلام . . و هذا تكذيب للواقع و للحق الذى جاء به القرآن .

و فيه ادعاء أن (كل الكتاب موحى به من الله) كما كتبوا على غلافه كذباً . . و حتى محققو النصرانيـــة المصفون اعترفوا بتحريف معظم الأناجيل

و اختراعها من دساسى البشر . . و نفس أسلوبها الركيك و موضوعاتها وطريقة معالجتها التى يستطيع تلميذ المتوسطة أن يكتب أبلغ منها وأحسن هى نفسها تكذب نفسها بنفسها .

و قد ادعوا كذلك كذبا وزوراً أن ما اسموه (كتابهم المقدس) هو الاعلان الوحيد للحق الالهى . . و يكفى هذا تكذيباً بآيات الله ، و إنكاراً للقرآن و تحدياً للؤمنين . . . و خصوصاً و هم مصرحون من صلاة سمعوا فيها و قالها القرآن الحق الذى لم يحرف . . يتلى عليهم . . و إذا هم يهاجمون بالعبارات المريضة السقيمة التافهة التى تعلن الكفر الـ

و تلقى بكميات كبيرة فى سياراتهم

فى الصفحة ١٢ من الكتيب (

ان الله » و يرجعون ذلك إلى انجيل لو

و على ص ١٣ كذلك يدعون موت المسيح مكذبين للقرآن . .

و يزعمون ـ قاتلهم الله ـ فى ص ١٦ أن (الله ظهر فى الجسد) و كفى به كفراً مبيناً . .

ويزعمون فى ص ١٧ أن سيدنا المسيح عليه السلام رب ، وأنه يغفر الخطايا.

تخدير و تبرير للاجرام :

و فى ص ١٨ يدعون أن من يعتر ، بهذا الباطل ضمن النجاة مهما عمل .

و هذا تخدير يدفع صاحبه إلى فعل كل الجرائم ـ كما يفعل المستعمرون الصليبيون بالشعوب المستعمرة . . و كما يفعل الصليبيون الكتائبيون فى لبنـان و المتعصبون فى الفلبين و غيرها . . ضد المسلمين . . حيث لا أخلاق و لا ضمير لأنهم يعتمدون على عقيدة الخلاص المخدرة . . و لكنه تخليص من العقل والأخلاق والضمير . .

فيتحول الانسان إلى وحش يستبيح حرمات أخيـه الانسان . تماماً كالمستعمرين النصارى الذين نهبوا البلاد و فتكوا بالعباد .

القرآن يرد و يتحدى :

ويكررون هذه الافتراءات الكافرة المكذبة للقرآن و للحق والواقع . . ، و لكل منطق و عقل . . فى سائر صفحات كتابهم المريض (طريق الخلاص من العقل و الأخلاق و الذمة) فيكررون نظرية الفداء ، و قتل المسيح و ألوهيتـه و ربوبيته و بنوته لله تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً (وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا . . ، ما لهم به من علم و لا لآبائهم . . كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا) الكهف .

(لقد جئتم شيئاً إداء تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً أن دعوا للرحمن ولداً . . وما ينبغى للرحمن أن يتخـذ ولداً . إن كل من فى السموات و الأرض إلا آتى الرحمن عبداً) .

هذه بعض آيات من كتاب الله الحق (القرآن) ترد عليهم وتتحداهم . . أن يأتو بآية من مثلها . . فكل أناجيلهم و مؤلفاتهم لاتعدل آية واحدة . . فأين الحق من الباطل . . ؟ و أين النور من الظلمة ؟ .

تشجيع على الزنا :

أما المنشورات التى وزعت فى مدرسة للبنات . فمن ضمنها قصة تتحدث عن امرأة تزنى ثم يباركها (يسوع) . . إلخ ، فى سياق يغرى الضعيفات بالزنا ويضمن لهن الأمان من العقوبة . . و يحاول أن يكسر فى أنفسهن الحـاجز بينهن و بين الجريمة . . و على طريقة الأفلام المعروفة . . يبين الزانية أنها ليست مذنبـة بل ربما قديسة ! كما يدعون أن غيرهم من الأديان وثنية (و منها الاسلام) و إن

المسيح سيعود . وهو سيعود فعلا ، لكن بالاسلام وليكسر صلبانهم ويخاص عليهم .

ومنشورات تافهة أخرى ، وفيها إعلان واضح ودعوة لشراء ما يسمونه (العهد الحديد و الكتاب المقدس) . . من بلدان منها الكويت ، (و هذه المشورات مطبوعة فى بيروت) . . أما التى وزعت أمام المساجد فطبعت فى مطبعة (النيل المسيحية) .

أسئلة مهمة !

و السؤال : إذا كانت هذه المطبوعات طبعت فى الداخل . فكيف سمح بذلك ؟

و إذا كانت قد وردت من الخارج

و كيف تسربت بكل هذه الكميات الهائلة

و يا ترى . . لو أن جماعة إسلامية

الله و إلى خير . . لا إلى كفر و فجور

الكنائس ـ علانية . . فماذا يكون مصيرها ؟

كم مشرأ عوقب أو سفر و طرد أو منع من الوعظ لأنه وزع و شجع و نشر . . مطبوعات و منشورات تشجع الكفر و الفساد . . و تثير الفتنة فى البلاد . . و تتحدى مشاعر العباد ؟ .

و كم مسلما فعل به ذلك لأنه قال كلمة حق . . . أو جهر بما يعتقد أنه حق أو دعا إلى الله و عمل صالحاً و قال إننى من المسلمين . . . كبعض خطباء المساجد مثلا ؟

إننا نحذر من فتن الكفر و الصليبية قبل أن تستفحل ، و ندعو للحد من الكنائس غير المشروعة ، و النشاطات المشبوهة . . فالبلاد مليئة بالأوكار الصليبية غير المرخصة و التى تكون ستاراً لتجمعات مشبوهة .

هل اقتصر الأمر على الأوراق :

و من يدرى . . ؟ لعل الذين استطاعوا أن يدخلوا كل هـــذه الكمية من المنشورات والمطبوعات يتمكنون كذلك من تهريب السلاح بنفس الوسائل والطرائق و لاشك أنهم يتربصون بالبلاد شراً كل شر . . فحذار حذار . . (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار) .

إننا لا نريد إثارة فتنة . . نريد فقط حماية ديننا من التشويش و التحدى و الاهانة و التكذيب .

و نريد حماية أجيالنا من الدجل و الكذب و التضليل و التزوير .

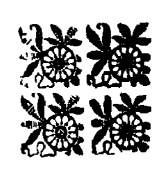
و يكفينا ما حل بنا . . و حسبنا بعداً عن كتاب الله ما نحن فيه . .

و ليتق الله قوم بأيديهم منع الباطل و لا يمنعونه . . و بامكانهم قول الحق و لا يقولونه .

ألا هل بلغنا ؟ .

اللهم أشهد . .

مع الشكر لمجلة « البلاغ » الكويتية



هكذا وقعت المجزرة بصمت

واشنطن ـ شوقى رافع :

المجزرة مرت بصمت ، وسائل الاعلام الغربية تجاهلتها ، والتقارير الدبلوماسية ضربت حولها نطاقاً من الكتمان .

المجزرة وقعت فى نيجيريا على أيدى قو[illegible]

ضحيتها ٧٠٠٠ آلاف إنسان من المسلمين الف[illegible]

الرقم مخيف ، ولكن ما يخيف أكثر هو [illegible]

إلى اقتلاع أعينهم و بيعها فى السوق السوداء لاستخدامها فى أعمال السحر .

تفاصيل المجزرة روتها تقارير صحفية ومصادر دبلوماسية فى العاصمة الأمريكية ، و قد وقعت كالتالى :

فى ١٨ كانون الأول (ديسمبر) الماضى و بعد ٣ أيام من انتصار قوات جوكونى عويدى فى تشاد الدولة المجاورة لنيجيريا ، استطاع الشيخ محمدو المروى مع ١٠ آلاف من اتباعه السيطرة على مدينة « كانو » النيجيرية و عدد سكانها يزيد على مليون نسمة .

مركز قيادة الشيخ المروى كانت المنطقة الشعبية فى المدينة حيث هاجم أنصاره مخافر الشرطة فيها و احتجزوا عناصرها ثم استولوا على أسلحتهم ، و ما لبث أن انضم إليهم كل فقراء العاصمة .

و فى خلال أسبوعين نجح الشيخ محمدو المروى فى تطهير المدينة من القوات الحكومية .

الحكومة النيجيرية التى يعتبرها الغرب نموذجاً للحكومات الأفريقية الحديثة لجأت إلى أشد الأساليب الوحشية فى قمع ثورة فقراء المسلمين ، فقصفت وعلى مدى ٤٨ ساعة متواصلة بالصواريخ و مدفعية الدبابات و المورتر هذه المدينة الاسلامية العريقة .

ثم اقتحم الجيش المدينـــة حيث جرت كما وصف شهود أعيان مجازر تفوق الخيال ، من قتل الأطفال و النساء إلى تقطيع الأوصال و اقتلاع العيون .

و قد قدرت التقارير عدد القتلى بما يزيد عن سبعـــة آلاف بالاضافة إلى ألوف أخرى من الجرحى (و الغريب ، يضيف شهود العيان أن اتبـاع الشيخ المروى لم يكونوا يخافون القصف و حين دخل الجيش المدينـــة خرجوا لمواجهـــته بالآلاف ، كانوا يرغبون الموت .

الاحياء الشعبية فى المدينة والتى سلمت من القصف تولت بولدوزرات الحكومة فى ٣ كانون الثانى (يناير) الماضى إزالتها من الوجود ، وتم القضاء على حركة الشيخ المروى و استعاد الجيش سيطرته فى اليوم نفسه على المدينة .

مع الشكر لمجلة « الاصلاح » الغراء

قوات سوفيتية جديدة فى أفغانستان

أفادت لأنباء الأخيرة بوصول قوات إضافية إلى أفغانستان من الاتحاد السوفيتى ويقدر عدد القوات الجديدة بحوالى عشرين ألفاً ، و قد تم نقلها بصورة عاجلة على متن طائرات النقل الكبيرة ، و بذلك ارتفع عدد المقاتلين إلى أكثر من مائة ألف جندى .

و لعل وصول القوات الجديدة يرجع إلى تصعد المقاومة الشعبية و ازدياد نشاطات المجاهدين ، و قد علم أخيراً أن عدداً ....

أيدى المجاهدين .

و انضم عدد كبير من جنود وضا

صفوف المجاهدين بأسلحتهم و عتادهم

بأن التذمر وخيبة الأمل تزداد فى الجنود السوفيت نتيجة للخسائر الجسيمة فى الأرواح ، و قد صرح أحد الضباط الكبار بعد أن أسره المجاهـــدون ، أن الجنود السوفيت يقاتلون مكرهين و أنهم واثقون بأن الاتحاد السوفيتى مكتوب له الفشل فى هذه الحرب .

قد كان هناك جمود فى القتال عند ما اشتدت الأزمة فى بولندا ، فكان الاتحاد السوفيتى يستعد للتدخل العسكرى فى بولندا ، و قد هدأ الموقف و انتهت المناورات العسكرية التى كانت حول بولندا استعداداً للهجوم ، فطرح الاتحاد السوفيتى ثقله من جديد فى أفغانستان .

و قد أعرب الرئيس ضياء الحق عن قلقه بالتقارير التى تفيد بازدياد القوة العسكرية للاتحاد السوفيتى فى أفغانستان .

اغتيال السيدة بنان الطنطاوى

صدم الضمير الانسانى، كله حادث اغتيال السيدة بنان زوجة المجاهد الاسلامى و الداعية السورى عصام عطار فى ألمانيا ، و قد اقتحم البيت ثلاثة رجال مسلحين مرتزقة، أعضاء فرق الاغتيال التى انتشرت فى مختلف أرجاء العالم لاغتيال الأحرار الذين يعارضون سياسة الاضطهاد و الكبت و الظلم فى بلادهم ، و فتشوا المنزل بصورة وحشية وأطلقوا النار على السيدة المحتشمة التى آثرت الايمان والدفاع لديها .

تقول الصحف إن المغتالين كانوا ينتمون إلى فرق الاغتيال التى أرسلتها سوريا ، لتسكت أصوات المعارضة خارج البلاد ، بعد أن تحاول إسكات الضمائر الحرة و خنقها فى داخل البلاد ،

لقد كان اغتيال المواطنين فى خارج البلاد عملا شنيعاً لا مثيل له فى التاريخ الانسانى ، فان حق الجوار و اللجوء كان محترماً حتى فى عصور الهمجية ، فى عهد حكم الغابات ، و لكن الثورة بعد تلقيح الاشتراكية لا تحترم أى قانون و لا تتمسك بأى قيم ، ثم الاعتداء على امرأة متحجبة محتشمة تعيش مع زوجها فى المنفى بعيدة عن الوطن ، و العشيرة ، جريمة لا تساويها جريمة .

إن الاستنكار ، و الادانة لا تحمل أى معنى بالنسبة للنظام القائم فى سوريا و لكن الضمير الانسانى ، لا يستطيع أن يسكت على هذا الحادث الاجرامى ، « و سيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون » .

ندعو الله لها الغفران و الرحمة ، و مكانة الشهداء ، و نسأله الصبر والعزاء للعلامة الأديب الاسلامى الكبير الشيخ على الطنطاوى على هذه الرزيئة ، و المجاهد و الداعية الأستاذ عصام عطار ، و نتضرع إلى الله أن تكون هذه الجريمة آخر جرائم الأيدى الآثمة الملطخة بدماء الأبرياء .

استشهاد العلماء فى سورية

مدخل : العلماء ورثة الأنبياء . . . (حديث شريف)

العلماء مطالبون بالذود عن الدين الذى ورثوه عن الأنبياء .

علماء الاسلام قاموا بدورهم على مر العصور . فى جهاد الكلمة ، وجهاد اليد .

أمثلة من القديم على جهاد العلماء :

سعيد بن جبير ، عبد الله بن

خضوع البغاة للعلماء رغم بغيهم :

لم يتجرأ على العلماء إلا الطغاة و المارقو

وعيد الله سبحانه لمن عادى أولياءه : من عادى لى وليا فقد اذنته بالحرب .

اضطهاد السلطة السورية للعلماء ، و اضطهاد السلطة الاسرائيليـة لعلماء المسلمين فى الأرض المحتلة :

- هل اقتران اضطهاد السلطة السورية و الاسرائيلية لعلمائنا مصادفة ؟
- الأساليب الوحشية التى لم يوفر عالماً كبيراً أو صغيراً .

أمثلة من اضطهاد علماء سورية :

دمشق : الشيخ علاء الدين بن الشيخ أحمد أكازلى ، و قد استشهد فى حزيران ١٩٨٠م والده معروف بالعلم و التقوى ، تخرج فى كليـة الشريعة بدمشق ، واستشهد أخوه محمد قبل عـدة أيام من استشهاده فى اشتبـاك مع زبانية السلطة ، عذب والده الشيخ أحمد و أمه و إخوانه و أخواته انتقاماً منه بعد استشهاده .

حلب : اعتقل العلماء التالية أسماؤهم ، و أودعوا فى سجن تدمر ، و يرجع أنهم استشهدوا فى المجزرة الأولى ٢٧/ ٦/ ١٩٨٠ و هم : محمد خير الزيتونى ـ محمد عثمان جمال ـ عبد الرؤف محمد حسن حاج إبراهيم ،

الشيخ موفق سيرجية حمل السلاح بعد أن منع من خطبة الجمعة ودروسه فى جامع عباد الرحمن و استشهد مع سبعة من إخوانه (انظر ترجمة له فى النذير ـ العدد ١٢ ـ الصفحة ١٨) .

ـ الشيخ أحمد الفيصل : استشهد فى رمضان المبارك ١٤٠٠هـ تحت التعذيب و ذلك بأن نفخ الربانية بطنه و أحشاءه بالماء حتى تقطعت أمعاؤه ، ثم توفى ، و ألقوا بجثته أمام باب داره .

كان داعية يجوب المدن و القرى لدعوة الناس إلى الاسلام ، يكسب رزقه بعمل يده (انظر ترجمته فى النذير ـ العدد ٢ الصفحة ٥) (و فى العدد ٧ ـ الصفحة ١٥) .

حمص : الشيخ فاضل زكور : استشهد تحت التعذيب فى تموز ١٩٧٩م ،

الشيخ إسماعيل السباعى : استشهد فى شهر تشرين الثانى ١٩٨٠ ، عمره : / ٨٠/ سنة ، اقتيد من المسجد بعد صلاة الفجر حيث كان يتلو الأوراد و عذب عذاباً شديداً حتى استشهد رحمه الله .

اللاذقية : الشيخ الدكتور ممدوح جولحة : استشهد فى حزيران ١٩٨٠ ، ولد الشهيد فى قرية تركمانية على الساحل السورى و نال الشهادة الجامعية و شهادة الدكتوراة فى الشريعة الاسلامية ، بدرجة ممتازة من جامعة الأزهر الشريف ، وحرم من التعيين فى الجامعات السورية لسعة علمه وجراءته فى الحق كما منع من الخطابة فى المساجد حتى داهم بيته / ٣٠/ .

عنصراً من المخابرات ، و وجدت جثته الطاهرة فى اليوم التالى ملقاة فى أحد شوارع اللاذقية (ترجمته فى النذير العدد ٢١ الصفحة ٢٥) .

بانياس : الشيخ عبد الستار عيروط : له جماعة واسعة و مريدون كثر فى الساحل السورى ، اختطفه عملاء السلطة ، و عذبوه حتى الموت و ألقوا بجثته فى الشارع مع جثة الشهيد الدكتور ممدوح جولحة .

أدلب : الشيخ سليم الحامض : إمام مسجد فى جسر الشغور . حمل السلاح حتى استشهد دفاعاً عن دينه (ترجمته فى النذير الـ[illegible]) .

الشاب أمين الشيخ فى قرية سرمد[illegible]

حماه : الشهيد الشيخ محمود شقفه : قتله [illegible] بسكين فى بطنه داخل المسجد [illegible]

على خير الله : فى الثمانيين من عمره استشهد تحت التعذيب وهو مريض بالقلب و ذلك فى شهر آب أغسطس ١٩٧٩ (انظر خبرهما فى العدد الأول من النذير الصفحة ٣) .

العلماء فى سورية بين قتيل و أسير ومشرد ، حتى إن المساجد تخلو من الأئمة والخطباء ، يرجى حض المسلمين على :

١- الدعوة إلى الله بنصر مسلمى سورية ٢- إرسال أبنائهم إلى معاهد العلم الشرعى للتعويض عن فقد العلماء ٣- فى مناصرة مسلمى سورية بكل الأساليب : إعلان المعارضة و الاستنكار ، إرسال البرقيات - جمع التبرعات .

ندوة العلماء تستقبل وفود الدولة العربية و الاسلامية

استقبل سماحة الشيخ أبي الحسن على الحسنى الندوى رئيس ندوة العلماء وفود الدول العربية الاسلامية التى حضرت للاشتراك فى الندوة العالمية للأدب الاسلامى و قد بلغ عدد الوافدين من مندوبى الجامعات الاسلامية و المراكز التعليمية إلى ما يقارب ٤٥ مندوباً ، ممن يمثلون القطاعات المختلفة للتعليم والتربية والأدب والثقافة ، فى الدول العربية .

و ستبتدىء الندوة يوم الجمعة ١٣ / جمادى الثانية ١٤٠١هـ بالكلمة الافتتاحية التى يلقيها سماحة الشيخ الندوى ، وبعدها تواصل الندوة دراسة البحوث التى يقدمها حضرات المندوبين حول المواضيع المحددة لهذه النـــدوة ، و يتبع كل بحث نقاش من حضرات المندوبين و المشاركين فى الندوة .

كما أن عدد المساهمين فى الندوة من داخل البلاد لا يقل عن مأة شخص ،

وستنشر مجلة البعث الاسلامى فى عددها القادم باذن الله تعالى ، التفاصيل عن برامج النـدوة و ما جرى فيها من مـــذاكرات و مباحثات حول الموضوع ، مع الاشارة إلى أسماء المندوبين الكرام وعناوين بحوثهم ، ويرجى نشر مجموعة من هذه البحوث فى أعداد المجلة باذن الله تعالى .

العدد القادم

و هو العدد الأول للمجلد السادس والعشرين سيصدر ـ باذن الله ـ فى غرة رمضان ١٤٠١هـ (يوليو ١٩٨١)فنرجو القراء أن لا يترقبوا المجلة فى شهر شعبان ١٤٠١هـ (يونيو ١٩٨١)

« التحرير »

Phones . 49747 42948

Regd. No. LW/NP 59

ALBAAS-EL-ISLAMI

Nadwat-ul-Ulama LUCKNOW (India)



البعث الإسلامي

شهرية إسلامية جامعة

رئاسة التحرير : سعيد الأعظمي
واضح رشيد الندوي

الاشتراكات السنوية

في الهند	٣٠ روبية، ثمن النسخة ٣ روبيات
في العالم العربي	٩ دولارات امريكية او ما يعادلها بالبريد العادي ١٥ دولاراً بالبريد الجوي
في افريقيا الجنوبية والشمالية وامريكا واوربا	٢٠ دولاراً بالبريد الجوي ٨ دولارات بالبريد العادي
في باكستان	٥٥ روبية بالبريد العادي مع اجرة البريد

الاشتراك في باكستان [illegible] مجلة [illegible] كراچي رقم ١٤ [illegible]

المراسلات

NADWA LUCKNOW

قام بالطبع [illegible] احمد [illegible] في مطبعة ندوة العلماء لكهنؤ — رئيس التحرير سعيد الأعظمي